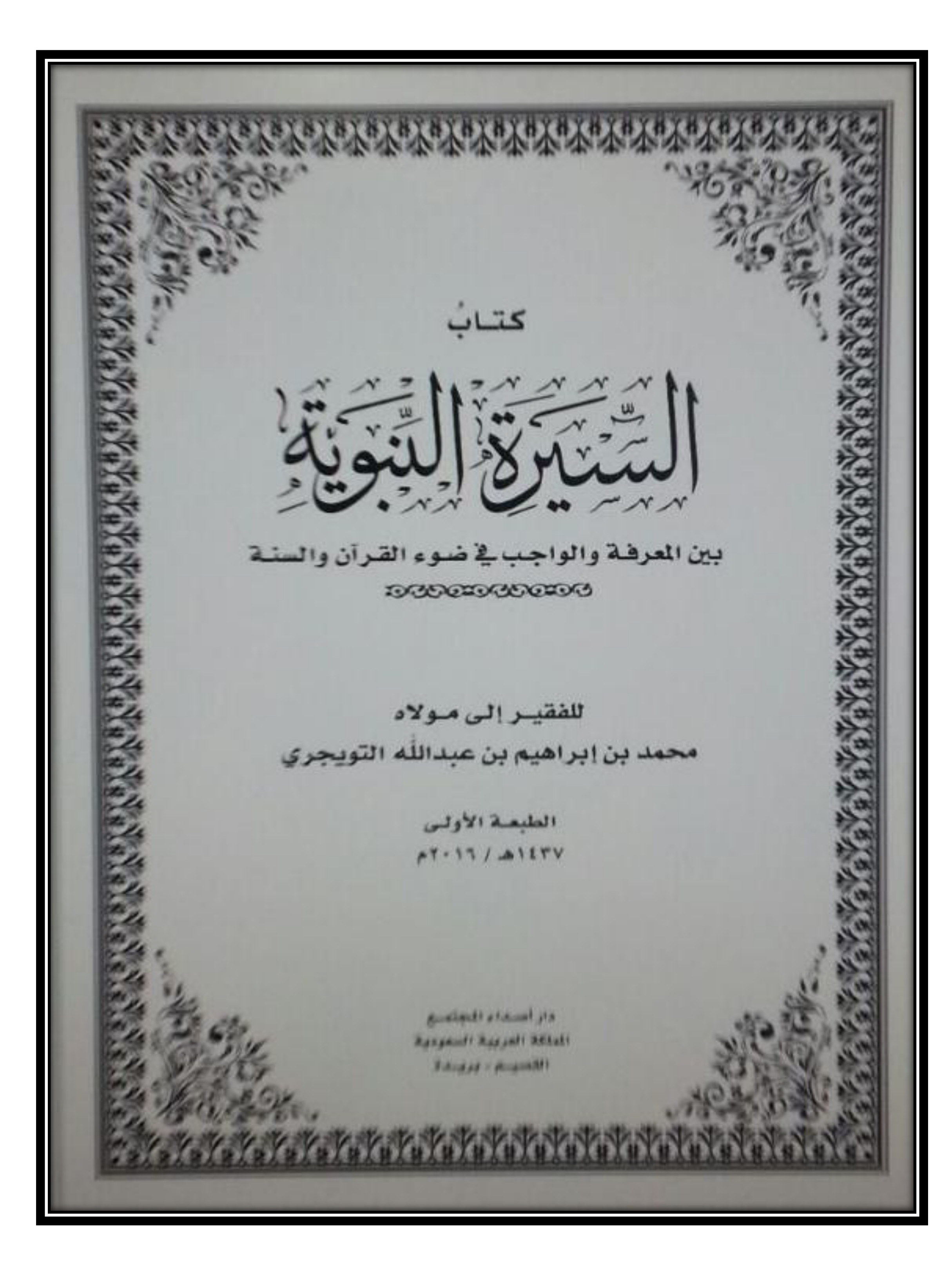


كتاب

السيرة النبوية

بين المعرفة والواجب في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى مولاه

محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجري

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

دار أصداء المجتمع

المملكة العربية السعودية

القصيم - بريدة



المقدمة

إنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران/ ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء/ ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب/ ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإن خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخير الهُدَى هُدَى محمدٍ ﷺ ، وشر الأمورِ مُحْدثَاتُها، وكلُّ مُحْدَثة بِدْعةٌ، وكلُّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وَكُلُّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

الحمد لله رب العالمين الذي تفرد وحده بالأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى.

وأحمده وأشكره على عظيم نعمه السابغة، الظاهرة والباطنة، التي عم بها كل مخلوق في السموات والأرض، وفي الدنيا والآخرة.

والحمد لله كثيرا على جلاله وجماله، وعلى كمال ربوبيته وألوهيته، وعلى عظمة ملكه وسلطانه، وعلى عظيم إنعامه وإحسانه، وعلى كمال دينه وشرعه، وعلى بعثة أنبيائه ورسله، وعلى حسن دينه وشرعه، وعلى صدق وعده ووعيده.

سبحانه لا إله غيره، ولا رب سواه، كل مخلوق شاهد بوحدانيته، وكل موجود داع إلى محبته وتعظيمه وحمده، وكل محسوس هاد إلى ربوبيته، وكل شيء يسبح بحمده، وكل

مخلوق متصاغر لكبريائه، ومستجيب لمشيئته، ومسرع الى إرادته، وخاضع لعظمته.
هو سبحانه الواحد الأحد، الخالق لكل أحد، القادر على كل أحد، المحيط بكل أحد، العليم بكل أحد، البصير بكل أحد، المالك لكل أحد، الملك الذي لا يحتاج إلى أحد، الغني الذي يحتاج إليه كل أحد، الرب الذي يربي كل أحد.
وهو سبحانه الملك الحق الذي يستحق المحامد كلها، له الحمد في الأولى والآخرة على جلاله وجماله، وله الحمد على نعمة الخلق والإيجاد، وعلى نعمة العطاء والإمداد، وعلى نعمة الهداية والإسعاد : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].
وهو سبحانه الخالق القادر القاهر الذي وسم جميع المخلوقات بآثار الحدث بعد العدم، وبما أجرى على الكل من العجز والحاجة، والنقص والزيادة، لتكون له الحجة البالغة، والربوبية الناطقة، والألوهية الواحدة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .
ثم أكد الله ﷻ ذلك وأكمله برسل بعثهم بالحق إلى خلقه، فجعلهم سفراء بينه وبين عبيده، وأُمناء على وحيه، واختصهم بفضله، واصطفاهم برسالته، وأمرهم بإبلاغ وحيه، وكلفهم بالدعوة إلى توحيده، والعمل بشرعه.
هو سبحانه الخالق الذي له الخلق والأمروحده،خلق جميع الخلائق،وفضل بعضهم على بعض، فاصطفى من الملائكة رسلاً، واصطفى من البشر أنبياء ورسلاً، وفضل بعضهم على بعض، وجعلهم على مراتب مختلفة، ودرجات متفاوتة.
فاصطفى الله ﷻ من الأنبياء والرسل أولي العزم وهم:
(**نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد**) عليهم أفضل الصلاة والسلام.
واصطفى الله سبحانه من أولي العزم الخليلين (**إبراهيم ومحمد**) عليهما أفضل الصلاة والسلام، واصطفى من الخليلين (**محمداً** ﷺ) ، وجعله أكمل الخلق، وسيد البشر، وخاتم الأنبياء، وأفضل الرسل، وأكثرهم تابعاً، وأعلاهم قدراً، وأحسنهم شريعة.
وخصه ربه بأعلى الدرجات، وأحسن الكرامات، وأعظم الأخلاق، وأرسله بأكمل

الشرائع، وجعل له من الأصحاب والأتباع النصيب الأوفر، وبعثه بالدعوة التامة، والرسالة العامة، وحفظه من كل جبار عنيد، وعصمه من كل شيطان مريد، حتى أظهر الله به الدين، وأوضح به السبيل، وأشاد به معالم الحق، وهدم به معاقل الشرك، وأزهق به الباطل، وحطَّم به الأصنام والأوثان، وأظهر به أمة التوحيد والإيمان.

وجعل سبحانه دينه أحسن الأديان، وكتابه أحسن الكتب، وأمته خير الأمم.

ثم أوجب الله علينا الإيمان به ﷺ وتصديقه، ومحبته وطاعته، وتوقيره واتباعه، وحسن الاقتداء به، والقيام بأداء حقوقه، ونصرة دينه وأتباعه، والدفاع عنه وعن دينه وسنته .

فالحمد لله رب العالمين الذي أكرمنا بتصديق رسوله ﷺ، وشرفنا باتباعه، وجعلنا من أمته، خير أمة أخرجت للناس.

والحمد لله رب العالمين الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، أرسله كافة للناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا، وبعثه رحمة للعالمين، بلسان عربي مبين.

والحمد لله رب العالمين الذي اختار محمداً ﷺ ليكون رسولاً أميناً، معلماً مبيناً، واختار له ديناً قويماً، وهداه صراطاً مستقيماً، وارتضاه لجميع البشرية إماماً، وجعل شرعه للنبوة ختاماً :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب/ ٤٠].

ملأ الله قلبه ﷺ إيماناً ورحمة، وعلماً وحكمة، وأرسله رحمة للعالمين، فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

بلَّغ ﷺ البلاغ المبين، وعلَّم أصحابه أركان الإسلام والإيمان، وبين لهم شرائع الإسلام وفضائله، وفرائضه ونوافله، وعبادته ومعاملاته، وحلاله وحرامه، وأخلاقه وآدابه.

وكان ﷺ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وعلى تعليمهم ما ينفعهم حريصاً أميناً، يرشدهم إلى أحسن الأعمال، ويهديهم إلى أحسن الأخلاق، ويدلهم على ما فيه فلاحهم وفوزهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

دل ﷺ أمته على كل خير، وحذرهم من كل شر، لم يترك خيراً قط إلا أمرهم به،

ولم يترك شراً قط إلا حذرهم منه، حتى لم يكن شيئاً من أعمال البر في زمانه متروكاً، ولم يكن شيئاً من سبل السلام والخير في زمانه إلا مسلوكاً : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦] .

فلما تم ما أراده الله برسوله من هداية أهل الإسلام، وبلَّغ ﷺ جميع ما أرسله الله به من الأحكام، وقرب رحيله من دنيا الأعمال، أنزل الله شواهد التبليغ والتمام والكمال فقال : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة/ ٣].

فرحل ﷺ إلى جوار ربه، وترك الأمة على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وترك ﷺ لأمته الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والآداب الحسنة، والأخلاق الكريمة، والسيرة العطرة، والسنة المطهرة.

وأمرهم ﷺ بتعلم هذا الدين الحق، والعمل بأحكامه، والتخلق بأخلاقه، وإبلاغه لجميع البشرية إلى يوم القيامة، ليعبد الناس ربهم وحده لا شريك له، ويسعدوا في الدنيا والآخرة: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم/ ٥٢].

هو ﷺ رسول رب العالمين ، الصادق الأمين ، الهادي الى الصراط المستقيم، المفسر بسيرته للقرآن الكريم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢] .

بلَّغ ﷺ القرآن لأمته ، وفسره لهم بحياته العلمية والعملية والاخلاقية ، وتفجرت من لسانه بحار العلوم الإلهية ، وجرت منه أنهار الأحكام الشرعية ، وتجمل ظاهره وباطنه بأحسن الأخلاق الإسلامية.

وقد ربى الرسول ﷺ أمته على حمل هذه الأمانة العظيمة ، وأمرهم بأدائها للبشرية، كما نزلت، من أول يوم بعثه الله فيه.

ولقد كانت السيرة النبوية أول وأكبر وأحسن جامعه تخرَّج منها أمثل النماذج

البشرية ، وأطهر النفوس الزكية ، وهم أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان، الذين آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا في الله حق جهاده، حتى رضي الله عنهم ورضوا عنه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

فكان من الصحابة رضي الله عنهم الخلفاء الراشدون، والمهاجرون والأنصار.

وكان من هؤلاء الأخيار: المؤمن التقي النقي، والعابد الخاشع، والساجد الباكي، والقائد المحنك، والسياسي الداهية، والحاكم العادل، والمجاهد الباسل، والعبقري الملهم، والمحدث الحافظ، والفقيه البارع، والعالم العامل، والغني الشاكر، والفقير الصابر، والورع الزاهد، والحكيم والحليم، والعفو والكريم، والتاجر والزارع الأمين .

وكان منهم الأب التقي، والزوج الوفي، والولد البار، والأم الرحيمة، والزوجة الأمينة، والعامل الصادق، والأخ الرحيم، والجار المحسن.

فهذا الجيل الفريد من البشر، وهذا السوق العامر بالفضائل، كله من ثمرات الإيمان بالله ورسوله، وكلهم تخرجوا من جامعة الايمان والتقوى، وأصبحوا رعاة للأمم بعد أن كانوا رعاة للغنم، فساد الأمن والسلام في كل بلاد فتحوها.

ولهذا كانوا الأمة الوسط، وخير القرون، ونواة خير أمة أخرجت للناس.

أولئك أئمة الحق والهدى، وحماة الإسلام، وهداة الأنام، وعباد الرحمن، وليوث الصدام.

أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأصدقها يقيناً، وأحسنها عملاً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

وأعظم ما خص الله به هذه الأمة من الفضيلة، وشرفهم به على سائر الأمم بالمنازل الرفيعة، حفظ ما حباهم به من وحيه وتنزيله، والعمل به وتبليغه.

لهذا توَّجهم ربهم بأربعة تيجان عظيمة:

تاج (**هو اجتباكم**) .. وتاج (**كنتم خير أمة أُخرجت للناس**) .. وتاج (**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**) .. وتاج (**لتكونوا شهداء على الناس**).

ولما كانت سيرة النبي ﷺ هي الينبوع الصافي لطالب العلم والفقه، والدليل الهادي لمريد الهداية والصلاح، والمنهج السديد لمريد الدعوة والاصلاح، والخزانة الواسعه لكل شُعب الدين والخير والحياة.

وكذا السيرة النبوية هي البحر الزخار، والسراج المنير، والغيث العميم، والشجرة المباركة المثمرة بأطيب الثمار من الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الكريمة، والسنن النبوية.

وكذا السيرة النبوية خير معلم ومدرس، وخير مرب ومؤدب، وفيها كل ما ينشده كل مسلم من دروس التوحيد والإيمان، ومناهج الدعوة والتعليم، وأنواع العبادات والمعاملات، ومعالي الأخلاق والآداب، وأصول الإمامة والقيادة، ومناهج العدل والرحمة، وأنواع الجهاد والكفاح، وألوان الكرم والعطاء، وأنواع الصبر والتضحيات في سبيل الله ﷻ.

وكذا السيرة النبوية هي المصدر الوحيد الأعلى للأسوة الحسنة التي يتطلع إليها كل مسلم، ومنبع الشريعة العظيمة التي يدين لله بها كل مسلم.

والمسلم الذي لا يعيش الرسول ﷺ في قلبه، ولا يتبعه في فكره وعلمه وعمله بجوارحه، ولا يقتدي به في سيرته وسنته، ولا يتخلق بأخلاقه وآدابه، هو مسلم انتماء، لا مسلم التزام، لأنه أخذ الصورة، وترك الحقيقة: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

ولشدة محبتي للرسول ﷺ ، ومحبة الرب الكريم الذي أرسله، ومحبة الدين العظيم الذي جاء بواسطته، ومحبة المؤمنين به، ومحبة الخير لجميع أمته، شرح الله صدري، ورغبت نفسي أن أكتب عنه ﷺ ما أنتفع به، وما تنتفع به أمته، وما أرجو به شفاعته، والعمل بسنته، وإبلاغ شريعته، وإحياء سنته، وتقييد العلم بالكتابة سنة نبوية مأمور بها: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود/ ٨٨] .

وأحمد الله ﷻ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأشكره على ما امتن به عليّ من

تيسير الكتابة عن شهادة أن لا إله إلا الله (**كتاب التوحيد في ضوء القرآن والسنة**)، ثم ألهمني وأعانني ووفقني أن أُردف ذلك بكتاب في شهادة أن محمداً رسول الله، فجاء هذا المولود المبارك بإذن الله وفضله، وتوفيقه وعونه.

ولما وُلد وسمته وسميته (**السيرة النبوية، بين المعرفة والواجب، في ضوء القرآن والسنة**) .

وبفضل الله وحده جمعت في هذا الكتاب ما تفرق في غيره، من سيرته ﷺ العلمية والعملية، وسنته القولية والفعلية، وأخلاقه وشمائله النبوية.

وأجريت فكري في بحور حياته ﷺ ، وحركت قلمي لتحرير سيرته، وصرفت وقتي لتدوين ما صح من سنته.

وما أُمرت بذلك، ولا رغبت فيه، لعظيم تبعاته، وعدم أدائه حقه، ولكنه أمر حُبب إلي فأقدمت عليه، من غير زاد ولا إحسان ولا إعجاب، بل مع خوف من السؤال والحساب: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٦٠].

وقد وفقني الله ﷻ فطالعت في كتب السيرة النبوية بنية الاستفادة والإفادة، وقرأت ما أحمد الله عليه من كتب التفسير والحديث، وكتب المغازي والسير، حتى أصبحت السيرة النبوية في فؤادي، تسليني في وحدتي، وتؤنسني في وحشتي، وتذكرني في غفلتي.

لهذا لن يعبد الله حقاً إلا من عرفه حقاً بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرف ملكه الكبير، وخزائنه العظيمة، وعرف دينه وشرعه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد/ ١٩] .

ولن يتبع الرسول ﷺ حقاً إلا من عرفه حقاً بأقواله الحسنة، وأعماله الصالحة، وأخلاقه العظيمة، وسيرته الكريمة، وعرف دعوته وتعليمه، وجهاده وغزواته، وعرف صبره وتضحياته، وعرف رحمته وإحسانه، وعرف أخلاقه وشمائله، وعرف عباداته ومعاملاته، ثم اقتدى به في كل ذلك تعبداً لله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

ومن جمع له الله بين هذا وهذا فقد آتاه الله الحكمة، وفصل الخطاب، وجمع له أصول النعم والكرامات في الدنيا والآخرة: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس/ ٥٨].

وعلامة محبة العبد لله اتباع رسول الله، ومن أحب الله ﷻ فلن يحبه الله ﷻ إلا إذا اتبع رسوله، واتباع الرسول ﷺ لابد أن تسبقه معرفة سيرته : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾** ﴾ [آل عمران/ ٣١].

ولب حياة الإنسان، وسعادته في الدنيا والآخرة، مبني على أصلين عظيمين هما:

توحيد الله ﷻ بالعبادة .. وتوحيد الرسول ﷺ بالاتباع.

لهذا فإن أكرم ما تمتد إليه أعناق الهمم، وأعظم ما تتنافس فيه الأمم، وأحسن ما يزرعه الإنسان في أرض العمل، هو العلوم الشرعية، والمعارف الدينية، التي يسعد بها الإنسان في الدنيا والآخرة، فهي أعلى العلوم شأناً، وأرفعها مقاماً، وأعظمها ثواباً، لأنها نور الأبصار والبصائر، وطريق النجاة والفلاح، وكلية الشريعة، وينبوع الحكمة، وروح الرسالة: ﴿ **قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾** ﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤] .

ومن رام ذلك فليجعل كتاب الله ﷻ جليسه، وسنة وسيرة رسول الله ﷺ أنيسه، لعله أن يكون من السابقين الأولين المهتدين، وتشرق في قلبه أنوار التوحيدواليقين، وتطلع في صدره شمس العرفان، وتُدرج النبوة بين جنبيه وإن لم يكن نبياً، ومن سأل الله ذلك صادقاً أكرمه به، والله يؤتي فضله من يشاء: ﴿ **يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾** ﴾ [البقرة/ ٢٦٩] .

وقد يسر الله لي الوقت والرغبة فنظرت في كثير من كتب السيرة النبوية، فوجدتها قيمة ونافعة، لكنها بين كبير قد يئس الحافظ منه لطوله، وبين صغير لا يروي كل المقصودمنه لقصره، والمتوسط منها قليل يعتمد على السرد، ولا يميز أحياناً بين الصحيح والسقيم، والقليل منها جامع للعلم النافع الغزير السليم، فأحببت أن أقرن هذا العمل القليل، مع ذلك القليل، ليكون القليل كثيراً، والمورد كبيراً.

فجاء الله بهذا المختصر اليسير، الذي جمعت فيه بين القرآن والسنة، والأخبار الصادقة، عن سيرة سيد البشر، ودرة الأمم، محمد ﷺ ، متوج بالآيات القرآنية، وموثق بالأحاديث النبوية، ومختصر ومعتصر من كتب السيرة المحققة، ليكون لكل مسلم ومسلمة منار

علم، وصراط هداية، بالسيرة العطرة، والسنة المطهرة، والقدوة الحسنة.
ومن أراد معرفة سنة الرسول ﷺ بالتفصيل فليطالع كتابنا (**مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة**)، الذي يحتوي بفضل الله على أكثر من ثلاثين ألف مسألة شرعية .
وثمرة العلم العمل، وباتباع نبي الرحمن دخول في دار السنة والأمان، ودفع لخطوات الشيطان، وتفويت لفرصة أهل الفساد والطغيان، ورفع لأعلام السنة في كل مكان.
وأكثر العرض التاريخي لهذه السيرة النبوية مأخوذ من القرآن والسنة، وآثار الصحابة رضي الله عنهم، وكتب المغازي والسير، وكتب الشمايل، وكتب السيرة الموثوقة كسيرة ابن هشام، ودلائل النبوة للبيهقي، والطبقات الكبرى لابن سعد، وزاد المعاد، وغيرها من كتب السيرة المعاصرة المحققة.
وقد اجتهدت ما استطعت في الجمع والنقل، والتأليف والترتيب، والتحرير والتهذيب، والاختيار والاختصار.
وقد تم بفضل الله وحده نقل جميع الآيات من القرآن الكريم، كما تم نقل جميع الأحاديث من أصولها الصحيحة، واعرضنا عن جميع الأحاديث والروايات الضعيفة والموضوعة، سواء في الأخبار أو الأحكام، أداءً للأمانة، وصيانة للوحي، وتنقية للسنة.
وما نقلناه من الأحاديث من صحيح البخاري ومسلم لم نبين الحكم عليه، لصحة ما فيهما، وما نقلناه من غيرهما كالسنن الأربع أو غيرها كتبنا أمامه درجة الحديث صحيح، أو حسن.
وما أخذناه من كتب السيرة فنشير إلى اسم المصدر ، وأحياناً لا نذكر اسم المصدر بسبب الإضافة، أوالحذف ، أو الاختصار، أو التقديم، أو التأخير.
ولما كان لكل كتاب طعم يدل على ذوق صانعه، ولون يدل على شخصية مصوره، آثرت ضبط القليل منه مع إتقانه، لأنه أيسر على المرء من معالجة الكثير مع أسقامه.
وحرصت أن يكون هذا المختصر سهل الأسلوب، بيِّن الدروب، جيد الألفاظ، واضح المعاني، محققاً للأماني، جزل العبارة، حلو الطعم، جامعاً لعيون الأخبار، كاشفاً عن الأسرار، هادياً إلى السنة، قامعاً للبدعة، محركاً للطاعات، زاجراً عن المعاصي.
والكتاب كله صدى لما في القلب من حب الله ورسوله ودينه، وحب الخير للناس.

أرجو الله ﷻ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله، وينفع به كل مسلم ومسلمة.
وقد اختصرت هذا المجموع المتين رجاء أن ينتفع به المبتدي والمنتهي، ويستفيد منه المقتدي والمتَّسي، وأن ينهل منه الراغب والمشتهي.
والكتاب بحر عظيم من العلوم القيمة، والجواهر النفيسة، التي تصور أحسن حياة، وأجمل حياة، وأطهر حياة، لسيد الأولين والآخرين.
لكن هذا الكتاب مهما بلغ من الصحة والدقة لا يخلو من الخطأ، ولا يصفو من الكدر، وقد لا يخلو من سقط الرأي، وزلل القول، مما جرى به القلم من غير قصد، فلكل جواد كبوة، ولكل صارم نبوة، ولكل عالم هفوة، فنستغفر الله ونتوب إليه.
وقد أخذ الدهر من عقلي، كما أخذت السن من جسمي، لكن المؤمن يبلغ بنيته ما لا يبلغه بعمله، والله عليم بذات الصدور.
ولا شك أن العصمة للأنبياء، وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.
وكلام غير الأنبياء له خطأ وصواب، وله قشر ولباب، وحسبنا أننا نقصد بما كتبنا وقدمنا وجه الله والدار الآخرة، وأن نضع السيرة النبوية بين المسلمين نقية صافية من الكدر، أداء للأمانة، وقياماً بالواجب، وبياناً للطريق السوي من الطريق المعوج .
والحكمة ضالة المؤمن ، وأسعد الناس من رزقه الله إياها، وهيأ له أسباب الحصول عليها، والحكمة تنبت في القلوب الزاكية كما ينبت الحَب في الأرض الخصبة، وتموت الحكمة في القلوب الفاجرة كما يموت البذر في الأرض السبخة: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾[الأعراف/ ٥٨] .
ولما اكتمل نصاب هذا الكتاب، وأوشك أن يُعرض في الأسواق، وقارب أن يطرق الأبواب، وسمناه بما يعرف به بين الأصحاب، ليعرفه من أراد اقتناء الكتاب، وسميناه (**السيرة النبوية، بين المعرفة والواجب، في ضوء القرآن والسنة**) .
وقد جعلته متوسطاً بين الاختصار والإطناب، لئلا تمله النفوس، وتعرض عنه القلوب، وتقعد عنه الهمم، وصدني عن التوسع والتكثير خشية الإطالة والتنفير .
ولما اكتمل بنيانه، وشيدت أركانه، واستوى على سوقه، وتفتحت أزهاره، وطابت

ثماره، جعلته بين يديك مسطوراً، لك غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، فأكرم رحمك الله الضيف الذي حل بك بحسن قراءته، والعمل بموجبه.

والفضل في ذلك كله لله وحده لا شريك له جمعاً وتأليفاً، وترتيباً وتبويباً، وعرضاً وتحقيقاً، وطباعة وتسويقاً: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل/ ٥٣].

ولما كان الكتاب جامعاً واسعاً، وليسهل على القارئ والمعلم والمتعلم الاستفادة منه، جعلته في عشرة أبواب، تفتح على عشر خزائن، مرتبة على النحو التالي:

الباب الأول : من مولده ﷺ إلى بعثته	**الباب السادس : صفة حياة الرسول ﷺ**
الباب الثاني : من بعثته ﷺ إلى هجرته	**الباب السابع : دعوة الرسول ﷺ**
الباب الثالث : من هجرته ﷺ إلى وفاته	**الباب الثامن: محبة الرسول ﷺ وتوقيره**
الباب الرابع : دلائل نبوة الرسول ﷺ	**الباب التاسع : حقوق الرسول ﷺ**
الباب الخامس : فقه الإيمان بالله ورسوله	**الباب العاشر : فقه اتباع الرسول ﷺ**

تلك عشرة أبواب كاملة، وبكل خير حافلة، أولها التعريف بحياة رسول رب العالمين، وأوسطها التشريف والتكليف بما جاء به خاتم المرسلين، وآخرها نيل الثواب العظيم، والفوز بالرضوان والجنة والمغفرة والرحمة من رب العالمين، لجميع أتباع سيد المرسلين ﷺ.

فهذه أبواب سيرته ﷺ مفتوحة بين يديك، ترحب بالداخلين، وتسعد بالزائرين.

وها هي سيرته ﷺ الطاهرة العطرة مفضوضة لم تختم، ومفتوحة لم تغلق، ومشهورة لم تكتم، ومكشوفه لم تحجب، مرسلة إلى الأكابر والأصاغر، ومهداة إلى العلماء والدعاة، ومعروضة للعامة والخاصة.

مبنية على الصدق والأمانة، ومستمدة من القرآن والسنة، ومزينه بأقوال سلف الأمة، ومتوجة بالتحقيق والإيضاح.

وخير المال عين ساهرة لعين نائمة، وعمل الإنسان فرع عن ذاته، وعمله العلمي والعملي الإيجابي عصارة حياته، وأنفس مدخراته، وخير المال ما عم نفعه.

ورأس الأدب معرفة الإنسان قدره، ونهاية العلم توحيد الرب ﷻ، ونهاية العمل تقوى

الرب ﷻ، وهذا هو مراد الله من خلقه، وجامع أبواب الخير والأجر في شرعه.
والهداية تاج النعم، والاستقامة تاج العمل، والاخلاص روح العبادة.
هذا وإني لعبد ضعيف قاصر العلم والفهم، فأنَّى لي أن أحيط بتلك البحور الزاخرة من حياته ﷺ ، وأن أستخرج الجواهر الغالية من تلك الجبال العالية، وأن أفجر الأنهار العذبة في أرض البشرية المجدبة، لكن ما لا يُدرك كله لا يُترك جله.
وأعظم شيء أعترف به في هذا الشأن هو الإقرار بالقصور والتقصير، والاعتراف بالجهل والعجز، والاعتراف بأن باعي في هذا الميدان قصير هو الحق الذي يعلمه الله مني.
ونحن في هذا المقام نستغفر الله العظيم مما أقدمنا عليه من هذا الأمر العظيم، ونتوب إليه مما اقتحمناه من الخطر الجسيم، ونعوذ بالله العظيم من الوقوع في حبائل الشيطان الرجيم.
ونسأله سبحانه العفو عما سلف وكان، ونستمد منه العون والتوفيق للاستقامة، وأن يصرف عنا كل عمل تعقبه الملامة والندامة: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨].
ونسأل الله الكريم أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بما يجري منها للعالمين، وأن يجعلها حجة لنا لا علينا، يوم تبلى السرائر، وتكشف الخبايا والنوايا.
ونرجو من فضله العظيم عزماً يخترق ما حلَّ بنا من الهموم والمصاعب، وعوناً على إكمال هذا المأرب، وعناية تحفظ العبد المسكين من سوء المقاصد، وقبولاً مع سوء الصنيع، وقلة المآثر، إن ربي غفور شكور .
والله وحده أعلم بحالي، وما يجول في خاطري، وما يعتصر في فؤادي، وغاية مرادي.
وفي الختام أحمد الله ﷻ على نعمة البدء والختام، وأسأله أن ينفع بهذا الكتاب من كتبه وقرأه وعلَّمه ونشره، وأعان على نشره بلسانه وقلمه وماله: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل/ ١٩].
كما أسأله سبحانه أن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .
وأسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يغفر لي ولوالدي ولأهل بيتي، ولمن كتبه وأعان على إخراجه، ولكل من قرأ هذا الكتاب وعلَّمه وتعلمه ونشره،

ولجميع المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.

وأسأله سبحانه أن يتقبل الصواب من هذه الورقات، وأن يعفو عن الزلل والخطأ، ونستغفر الله مما نعلم أننا لسنا من أهله وفرسانه، ولكنه جهد المقل، وراغب في نشر السنة، عسى أن يكون من أهلها.

ونعوذ بالله من كل جاهل وحاقد وحاسد، يبدو في صورة إنسان بار، وهو سبع ضار.

ورحم الله من أهدى إلينا عيوبنا، ودلنا على تقصيرنا، بدافع النصح والمحبة، ليستقيم العود، ويطيب الغذاء، ويصفو من الكدر: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجري

المملكة العربية السعودية - بريدة

موقعنا على الأنترنت : (هذا الإسلام) hatha-alislam.com/index

جوال : (٠٥٠٨٠١٣٢٢٢)-(٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢)

البريد الإلكتروني : Mb_twj@hotmail.com

أهمية دراسة السيرة النبوية

أهم المصالح العظيمة التي تتحقق للمسلم من دراسة السيرة النبوية هي:

١ – أن سيرة الرسول ﷺ هي المثل الأعلى للإنسان الكامل في صورته وسيرته وسريرته، وجميع أحواله وذلك ما ينشده كل إنسان: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

٢- أن حياة الرسول ﷺ وأصحابه هي التطبيق العملي لأحكام الإسلام الواردة في القرآن والنسة، والتعرف على ذلك ودراسته عبادة من العبادات: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر/ ٧].

٣- أن الاقتداء بالرسول ﷺ في نيته وأقواله وأعماله وأخلاقه واجب شرعي، ولا يتم تحقيق هذا الاقتداء إلا بمعرفة سيرته وسننه، وأخلاقه وشمايله، ودلائل نبوته، وأحواله في كل شأن: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف/ ١٥٨].

٤- أن اتباع الرسول ﷺ والاقتداء به قلباً وقالباً دليل على محبة العبد لربه، وثمرتها حب الرب لعبده: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران/ ٣١].

٥- أن معرفة ما حفلت به سيرة النبي ﷺ من مواقف إيمانية، وأخلاق كريمة، تقوي عزيمة المؤمن، وتسكب في قلبه الطمأنينة، وترغبه في محاسن الأقوال، والأعمال، وتفتح له أبواب الأجر والثواب: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٧١].

٦- أن في السيرة النبوية دروساً لجميع فئات الناس، ومواساة لهم في كافة أنواع الابتلاءات التي تصيبهم، والتي تتطلب الصبر، خاصة الدعاة إلى الله والعلماء والحكام: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾[الطور/ ٤٨-٤٩].

٧- أن في دراسة سيرة النبي ﷺ عوناً على فهم كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل/ ٤٤].

٨- أن في السيرة النبوية كثيراً من العبر والعظات التي يتعظ بها الحاكم والمحكوم، فيعرف كل من تحدثه نفسه بالظلم والجبروت والكبرياء مآل من اتصف بهذه الصفات: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف/ ١١١].

٩- أن سيرة النبي ﷺ كنز عظيم للعلوم من عقيدة وأحكام، ودعوة وتعليم، وسياسة وجهاد، وآداب وأخلاق : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢] .

١٠- بيَّن الله في القرآن أصول الدعوة إلى الله، وأصول دعوة الأنبياء، وما يتطلب لذلك من الصبر والبذل والتضحية بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله.

ثم بيَّن ذلك رسول الله ﷺ عمليا حتى صار أعداؤه أولياءه : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٤-٣٥] .

١١- أن معرفة أسباب نزول الآيات القرآنية، ومعرفة علم الناسخ والمنسوخ، ومعرفة المعجزات والآيات التي أجراها الله على يد الرسول ﷺ ، لا يمكن معرفته وفهمه إلا في ضوء معرفة سيرة النبي ﷺ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[النجم/ ٣-٤] .

١٢- أن خصائص النبي ﷺ لا تُعرف إلا في ضوء معرفة سيرته، وأصول الإيمان والدعوة والتعليم والأحكام لا يمكن معرفتها من الناحية العلمية والعملية إلا من خلال سيرته ﷺ : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

وأعظم مصادر سيرة النبي ﷺ هو القرآن الكريم، الذي بيَّن الله فيه السيرة النبوية قبل البعثة وبعدها، وقبل الهجرة وبعدها: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل/ ٨٩] .

وحتى تكتمل الاستفادة من القرآن الكريم لمعرفة سيرة الرسول ﷺ لابد من أمرين :

الأول: الرجوع إلى كتب التفسير بالمأثور المعتبرة لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ وغير ذلك.

الثاني: الرجوع إلى كتب السنة المعتبرة التي عنيت بجمع أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته، وصفاته الخلقية والخُلقية كصحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد، وكتب السنن الأربع والجوامع الصحيحة، وكتب المناقب، وكتب الشمائل، وكتب دلائل النبوة، وكتب المغازي والسير، وغيرها من المصادر الإسلامية الموثوقة .

حياة العرب في الجاهلية

كانت حياة العرب قبل الإسلام أسوأ حياة، وأشدها ظلاماً، وأعظمها فساداً، وأكثرها ظلماً، وأفسدها أخلاقاً، وكانت على شاكلتهم بقية أمم الأرض .

فساءت أخلاقهم في كل شيء، وأفسد الشيطان حياتهم من كل جانب.

فكان فيهم الشرك بدل التوحيد .. والجهل بدل العلم .. والفرقة بدل الوحدة .. والخوف بدل الأمن .. والظلم والعدوان بدل العدل والإحسان .

وكانت في حياتهم أشد أنواع الجاهلية :

حكم الجاهلية .. حمية الجاهلية .. ظن الجاهلية .. تبرج الجاهلية .

وانتشر فيهم الكفر والشرك والظلم، وعم ذلك وطم في كل أسرة، وفي كل قبيلة، وفي كل قوم، حتى كان في كل بيت وثن، ولكل قبيلة صنم، ولكل قوم طاغوت يُعبد من دون الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٥٩] .

وظهرت فيهم أنواع الفواحش، وانتشرت بينهم المحرمات، وكثر فيهم الإثم والبغي، وقالوا على الله غير الحق، وكفروا بالله العظيم : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٢٩] .

وفروا من التوحيد إلى الشرك، حتى أيقنوا أن الشرك هو الحق، وأن التوحيد هو الباطل فقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ ﴾ [ص/ ٥] .

وخاض أهل الجاهلية في كل باطل، واتبعوا الشهوات ما يحل منها وما يحرم، وتجاوزوا حدود الله في عباداتهم وأخلاقهم، وفي أقوالهم وأعمالهم، وفي أكلهم وشربهم، وفي نكاحهم وأموالهم ، فقد استباحوا الخمر، وشاع شربها بينهم، حتى رسخت في قلوبهم، وشغلت أوقاتهم، وأفنت أموالهم، وجعلتهم لقمة سائغة لعدوهم .

واستباحوا الزنا، وكان من عاداتهم أن يتخذ الرجل خليلات، وتتخذ المرأة أخلاء، وكانوا يُكرِهون بعض النساء على البغاء .

واستحلوا الربا، وبالغوا في أكله إلى حد الغلو والقسوة، وأجحفوا فيه حتى أكلوه أضعافاً مضاعفة، فدقَّهم الفقر، وصارت حياتهم جحيماً لا تطاق .

واستحلوا أكل الميتة والدم، وقال لهم الشيطان: إن الذي ذبح الميتة هو الله، أفتأكلون ما ذبحتم، ولا تأكلون ما ذبح الله؟

وبلغت بهم القسوة والحمية وكراهية البنات إلى حد الوأد، فكانوا يدفنون بناتهم وهن أحياء خشية العار : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾[الأنعام/ ١٣٧] .

وكانوا يدفنون الأبناء والبنات وهم أحياء، خشية الفقر: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[الإسراء/ ٣١] .

وسقطت منزلة المرأة عندهم، فكانت تورث كما يورث المتاع والدواب .

وشاع فيهم حب الغارات، وحب الظلم، وقطع الطريق على القوافل، والفخر بمآثر الآباء والأجداد، وتقليدهم فيما كانوا عليه من خيرأو شر : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾[لقمان/ ٢١].

وأُغرموا بالحرب، حتى صارت مسلاة لهم، يتفاخرون بالظلم والعدوان في نواديهم ومجامعهم، ويأكل القوي منهم الضعيف ، وهانت عليهم إراقة الدماء، وإشعال الحروب بمسوغ أو بدون مسوغ، وصارت الحرب ملهاة وهواية لهم، تثير الحروب بينهم حادثة تافهة، تدوم سنين طويلة، تُسفك فيها دماء الناس، وتُنهب أموالهم، وتُسبى ذراريهم، وتُستحل محارمهم .

وزين لهم الشيطان كل منكر ومحرم وباطل، حتى كانوا في حياتهم أضل من الأنعام : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[سبأ/ ٢٠] .

وعاشوا حياتهم يتقلبون في الشهوات كالبهائم بلا دين، ولا حد، ولا قيد، ولا أمر، ولا نهي: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾[محمد/ ١٢] .

وزين لهم الشيطان أن اتباع الهوى هو الهدى، حتى خافوا من الهدى وأنكروه وحاربوه: ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[القصص/ ٥٧] .

وأنكروا الحق، وسخروا منه، وردوا الهدى على الهادي: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأنفال/ ٣٢].

ومن أراد معرفة جهالات العرب وضلالاتهم، وأسوأ قبائحهم، فليقرأ سورة الأنعام.

بعثة النبي ﷺ

اقتضت حكمة الله ﷻ أن تطلع شمس الرسالة من جزيرة العرب التي كانت أشد البلاد ظلاماً، وأشدها حاجة إلى هذا النور الساطع الذي يبدد الظلام، ويملأ الدنيا كلها هداية ونوراً ، ورحمة وعدلاً : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢].

وأخرج الله هذه الأمة ببعثة النبي ﷺ من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الجهل إلى العلم، ومن العداوة إلى المحبة، ومن الظلم إلى العدل، ومن الخوف إلى الأمن، ومن الهوى إلى الهدى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

[آل عمران/ ١٠٣] .

وكما اختار الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ من العرب، فقد اختار سبحانه العرب ليكونوا هم أول من يتلقى هذه الدعوة، ثم يبلغوها إلى أنحاء العالم إلى يوم القيامة .

وفي اختيار الله للعرب ليكونوا أول من يتلقى الوحي حكم بالغة:

فقد كانوا أسلم الناس فطرة، وأصحاب إرادة قوية، إذا عسر عليهم الحق تركوه، وإذا التوى عليهم فهمه حاربوه، وإذا انكشف الغطاء عن عيونهم آمنوا به وأحبوه واحتضنوه، واستماتوا في سبيله، وهذا ما حصل، فقد كانوا شر البرية، ولما آمنوا بالحق صاروا خير البرية .

وكانت ألواح قلوبهم صافية، لم تكتب فيها عقائد وكتابات عميقة، يصعب محوها وإزالتها، شأن الفرس والروم وأهل الهند الذين كانوا يفتخرون بعلومهم وآدابهم الراقية والزاهية، التي لم يكن من السهل حلها وإبطالها .

أما العرب فلم تكن على ألواح قلوبهم إلا كتابات بسيطة، خطتها يد الجهل والبداوة، فانغمست في وديان الشهوات والغفلات، وعميت عن الحق، فكان من السهل اليسير محو تلك العادات وغسلها، ورسم صور ربانية مكانها، فأسرعوا في قبول الإسلام،

فتغيرت حياتهم، وغيروا العالم، وفتحوا قلوب البشرية بالإيمان : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

وكان العرب في جزيرة العرب مع كفرهم وضلالهم أصحاب صراحة وصرامة، وأصحاب جد وحزم، وأصحاب نجدة ومروءة، لا يخدعون أنفسهم، ولا يخدعون غيرهم، اعتادوا القول السديد، والعزم الأكيد، والبطش الشديد، والشهامة والكرم.

فجاء الإسلام ليزيد هذه الأخلاق جمالاً ونوراً : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

ولما أكر م الله العرب بهذا الدين فقبلوه، كانوا خير أمة أخرجت للناس في العبادة والدعوة، والأخلاق والآداب، وحسن المعاملات والمعاشرات، وكانوا أرحم الناس بالناس، فدعوا الناس إلى الله، وعلموهم شرع الله، وأحسنوا إليهم في كل حال .

وكان العرب أصحاب صدق وأمانة وشجاعة، وليس النفاق والمؤامرات والرياء من طبيعتهم، فلما أسلموا صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل الله ﷻ: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) ﴾ [الأحزاب/ ٢٣] .

وكان العرب بمعزل عن أدواء المدينة والترف ونحو ذلك مما يصعب علاجه، ويحول دون التحمس للإسلام، والتفاني في سبيله، فلما أسلموا كانوا جنود الرحمن في كل ميدان .

وكانوا أصحاب تقشف في الحياة، وأهل تجلد عند المصائب، ومغاويرحرب، وأحلاس خيل، فلما أسلموا كانوا أشد الناس فروسية ومبارزة في ميادين القتال، عملاً بالحق، ونصرة للحق، ودفاعاً عن الحق .

وكانت قوى العرب العلمية والعملية، وطاقاتهم الفكرية، ومواهبهم الفطرية، مذخورة فيهم لم تستهلك، فكانت أمة بكراً، فلما أسلمت صارت حياتها دافقةً بالحياة والنشاط، والعزائم والحماس، والرحمة والإحسان، والصدق والإخلاص، والعدل والأمانة، والعلم والتعليم، والدعوة والجهاد : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

﴿... بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)﴾ [الفتح/ ٢٩].

وكانت الفترة التي بَعث الله بها رسوله محمداً ﷺ من أشد الفترات التي مرت بها جزيرة العرب، ظلماً وجهلاً، وفساداً وفرقة، وأبعد من كل أمل في الإصلاح، وأشد يأساً في الاجتماع، وأصعب مرحلة واجهها نبي من الأنبياء.

ثم طلعت شمس الرسالة، وأيد الله رسوله ﷺ بالحق، وأظهر دينه على الدين كله:
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)﴾ [التوبة/ ٣٣].

وأظهر الله ﷻ على يدي الرسول ﷺ محاسن الأقوال والأعمال، وأعظم الأخلاق والآداب، وأحسن السنن والأحكام.

وتغيرت حياة أهل الجاهلية بجهده وجهاده ﷺ، فعزَّت بعد ذلة، واجتمعت بعد فرقة، وتراحمت بعد قسوة.

وانتقلت من أمة كانت ترعى الغنم إلى أمة ترعى الأمم، وانصرفت من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة ربهم الرحمن.

وتزيَّنت قلوبهم بالتوحيد والإيمان، وتجمَّلت أجسادهم بالسنن والآداب.

واجتمعت نفوسهم على الحق والهدى، وشاعت بينهم الرحمة والأخوة بدل الوحشة والقسوة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)﴾ [آل عمران/ ١٠٣].

الباب الأول

سيرته ﷺ من مولده إلى بعثته

وتشتمل على ما يلي :

١ – نسب النبي ﷺ

٢ – أهم الأحداث التي وقعت في حياة عبد المطلب

٣ – مولد الرسول ﷺ

٤ – تسمية الرسول ﷺ

٥ – ختان الرسول ﷺ

٦ – كفالته وحضانته ﷺ

٧ – رضاعه ﷺ

٨ – شق صدره ﷺ

٩ – خاتم النبوة

١٠ – شهوده ﷺ حرب الفجار

١١ – شهوده ﷺ حلف الفضول

١٢ – خروجه ﷺ بتجارة خديجة

١٣ – زواجه ﷺ من خديجة

١٤ – بناء الكعبة

١٥ – حفظ حياته ﷺ

١٦ – مقدمات تبشر بالنبوة

الباب الأول

سيرته ﷺ من مولده إلى بعثته

١ - نسب النبي ﷺ

نسبه ﷺ: هو (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان).

وعدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم ﷺ.

وأخواله ﷺ من بني زهرة، لأن أمه (آمنة بنت وهب) كانت منهم، ويلتقي نسبه بنسبها في(كلاب بن مرة).

وأجداده ﷺ :(قصي): وهوالذي جمع قريشاً، وأعاد سلطتها على الحرم، وكانت له مكانة عظيمة في قريش.

ولما هلك (قصي) خلفه أولاده الأربعة: (عبد مناف، وعبد الدار، وعبد قصي، وعبد الكعبة).

وكان أشرفهم في قريش (عبد مناف) الذي كانت له السقاية والرفادة.

ولما مات (عبد مناف) خلفه ابنه (هاشم)، وهو أول من سن رحلة الشتاء والصيف، وسُمي هاشماً ، لأنه كان يهشم الثريد ويطعمه الحجاج والزوار، واسمه الحقيقي (عمرو).

ثم بعد هاشم جاء ابنه (عبد المطلب)، الذي نشأ بالمدينة، وكان شبيهاً بجده الأعلى (قصي).

وعبد المطلب هو الذي حفر بئر زمزم بعد أن أخفتها السيول، وهو الذي أقسم إن رزقه الله عشرة من الولد أن يذبح أحدهم.

وبهذا نعلم أن الله تعالى اختار نبيه ﷺ من خير القرون، وأزكى القبائل، وأعظم البطون. فكان ﷺ أوسط قومه نسباً،وأعلاهم حسباً، وأعظمهم شرفاً، وأحسنهم خُلقاً، وأعزهم نفراً؛ فكان ﷺ نخبة بني هاشم، وصميم قريش، وأشرف العرب، وتاج الناس، وخيرة خلق الله ﷻ.

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ» أخرجه البخاري[1].

وشاء الله ﷻ أن يكون نبيه ﷺ من أعلى وأطهر أهل الأرض نسباً، وأكرمهم حسباً، وأشرفهم قوماً وقبيلة وفخذاً، وأحسنهم خَلقاً وخُلقاً كما قال الله ﷻ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

وعَن وَاثِلَة بْن الأَسْقَعِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ الله سُبْحَانَهُ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» أخرجه مسلم[2].

وقد شهد القريب والبعيد، والصديق والعدو، بطهارة نسبه ﷺ، فقد سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عندما كان كافراً عن نسب الرسول ﷺ فقال : هُوَ فِينَا ذُو نَسَب. متفق عليه [3].

ولم يزل محمد ﷺ ينتقل من أصلاب الآباء الطاهرين، إلى أرحام الأمهات الطاهرات، لم يصبه من سفاح الجاهلية شيء.

وقد جرت سنة الله تعالى أن لا يبعث نبياً إلا في وسطٍ من قومه شرفاً ونسباً، وقد كان في الذروة من هذه نبينا محمد ﷺ.

فما من أب من أبائه إلا كان غنياً بالفضائل والمكارم، وما من أم من أمهاته إلا وهي أفضل نساء قومها نسباً ومنزلة.

ولم تزل هذه الفضائل والكمالات البشرية تتحدر من الأصول إلى الفروع، حتى تجمعت كلها في سيد البشر، وخيرة بني آدم على الإطلاق : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وحكمة اختيار الرسول ﷺ من قبيلة ذات مكانة عالية :

لتكون دعوته إلى العدل والمساواة قائمة على أسس ثابتة، وليست ردة فعل لحالة نفسية، أو طلب مكانة اجتماعية؛ لئلا يكون لأعداء الإسلام سلاح في أيديهم للصد عن سبيل الله، وحتى لا يتوهم متوهم أن رسالته ﷺ ما هي إلا وسيلة لغاية، وهي رفع وضعه الاجتماعي.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٦).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٧٧٣).

فلو لم يكن محمد ﷺ في هذا النسب الرفيع في قومه لقيل إن محمداً إنما يطالب بما افتقده، ليرد اعتباره الاجتماعي، ومع هذا النسب الرفيع فقد قال الكفار ما حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف/ ٣١].

والناس والعرب إذا كانت تعرف صفاء نسبه وأصالته فلن تجد غضاضة في الانضواء تحت لوائه وطاعته.

كما أن كون الرسول ﷺ من قبيلة ذات مكانة وسيادة يعود عليه بالحماية والنصرة، وقد وقفت قبيلة الرسول ﷺ مواقف طيبة في حمايته، ودخلوا معه في الشِعب لنصرته.

ولما حاول كفار قريش قتله كان من من العقبات التي أهمتهم قبيلته، ووقف معه عمه أبو طالب مواقفه المشهورة ضد أكابر قريش، وإسلام عمه حمزة رضي الله عنه كان أصله وبدايته حمية لابن أخيه.

- **أسرة النبي ﷺ :**

١- تُعرف أسرة النبي ﷺ بالأسرة الهاشمية، نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف، وكان هاشم رجلاً موسراً، ذا شرف كبير، وحين تقاسم بنو عبد مناف وبنو عبد الدار المناصب فيما بينهم، تولى هاشم السقاية والرفادة، فكان يطعم الحجاج في موسم الحج، ويثرد لهم الخبز واللحم، والخبز والسمن، والسويق والتمر، ويجمع لهم الماء من آبار مكة، ويضعها قرب الكعبة ليشرب الحجاج منها، وقد تُحلَّى بشيء من التمر أو الزبيب.

وقد سمي هاشماً لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه، وهو أول من سن الرحلتين لقريش، رحلة الشتاء للتجارة من اليمن، ورحلة الصيف للتجارة من الشام، وقد أخبر الله عنهما بقوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش/١-٤].

ثم إن هاشم بن عبد مناف خرج إلى الشام في تجارة، ولما قدم المدينة تزوج (سلمى بنت عمرو)، من أشراف بني عدي بن النجار، وأقام عندها أياماً ثم خرج إلى الشام، وهي عند أهلها قد حملت منه، فمات هاشم بـ(غزة) من أرض فلسطين، وولدت امرأته (سلمى) طفلاً، وسمته (شيبة).

٢- عبد المطلب بن هاشم :

كان لعبد مناف أربعة أولاد : (هاشم، والمطلب، ونوفل، وعبد شمس)، وحين صارت الرفادة والسقاية لهاشم، أوصى هاشم عند وفاته لأخيه (المطلب) أن يتولى السقاية والرفادة، فصارت إليه من بعده، وكان ذا شرف وفضل في قومه، وكانت قريش تسميه (الفيَّاض)، لسخائه وجوده.

ولما صار(شيبة بن هاشم) غلاماً سمع به عمه المطلب، فرحل في طلبه إلى المدينة، فلما رآه عرف شبه أبيه فيه، ففاضت عيناه، وضمه إليه وقَبَّله، وكساه حلة يمانية، وأردفه على راحلته إلى مكة، فقال (شيبة) لعمه : لست بمفارق أمي إلا أن تأذن لي، فسألها المطلب أن ترسله معه، فأبت، فأقنعها أن ابن أخيه غريب في غير قومه، ونحن أهل بيت وشرف في قومنا، وعشيرته وقومه وبلده خير له من الإقامة في غيرهم، فأذنت له، فاحتمله فدخل به مكة مردفاً له على بعيره.

فقالت قريش: هذا المطلب اشترى عبداً، فسمو شيبة عبد المطلب، فقال المطلب: ويحكم! إنما هو ابن أخي هاشم، قدمت به من المدينة.

ثم أقام عبد المطلب بمكة، وشب وترعرع، ثم إن عمه المطلب بن عبد مناف خرج في تجارة إلى اليمن، فهلك في منطقة (ردفان) من أرض اليمن، فولى بعده عبد المطلب السقاية والرفادة، وأقامها للناس مُسْتناً بمن كان قبله من آبائه.

وكان عبد المطلب بن هاشم رجلا جسيماً وسيماً أبيضاً، طويل القامة، فصيح اللسان، كريم الأخلاق.

ما رآه أحد قط إلا أحبه، وشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه، وعظمت مكانته فيهم حتى عُرف بين أهل مكة بـ (شيبة الحمد)، لكثرة حمد الناس إياه، ويقال له (الفياض) لجوده، ويقال له (مطعم طير السماء)؛ لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش على رؤوس الجبال.

وكان يطعم قومه الكبد والسنام.

ولم يكن عبد المطلب عظيماً عند قريش فحسب، وإنما كان عظيماً كذلك في جميع أنحاء الجزيرة العربية، وله مكانة عند ملوك العرب، وقد اختارته قريش ليكون رئيساً لوفدها عند المهمات واللقاءات مع الملوك والأمراء.

٢-أهم الأحداث التي وقعت في حياة عبد المطلب

أهم الأحداث التي وقعت في حياة عبد المطلب حادثتان :
حفر بئر زمزم .. وحادث الفيل.

الأولى : حادثة حفر بئر زمزم :

زمزم سُقيا من الله منذ عهد إبراهيم ﷺ، ولكن السيول طمرتها حتى خَفيت، ودفنتها الرمال.

فلما أراد الله إظهارها رأى عبد المطلب وهو نائم في حجر الكعبة أنه أتاه آت يأمره بحفر بئر زمزم عند قرية النمل جهة باب الكعبة.

فلما تبين لعبد المطلب شأنها، وعرف موضعها، غدا بمعوله، ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، وليس له يومئذ ولد غيره، فلما بدأ بالحفر بدأ لعبد المطلب الطي فكبّر، فعرفت قريش أنه أدرك حاجته، فقامت إليه قريش، وقالوا: يا عبد المطلب إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقا، فأشركنا معك فيها. فقال : ما أنا بفاعل! إن هذا الأمر قد خُصصت به دونكم، وأُعطيته من بينكم.

وحين نازعته قريش في زمزم، ولم يقدر على مواجهتهم، نذر عبد المطلب لئن أتاه الله عشرة أبناء، وبلغوا أن يمنعوه، لينحرن أحدهم عند الكعبة، لكن قريشاً أُلهمت أن تترك لعبد المطلب سقاية زمزم.

فأجاب الله دعاء عبد المطلب، ورزقه عشرة أولاد غير البنات، وهم:

(الحارث بن عبد المطلب، وهو أكبرهم .. والزبير بن عبد المطلب .. وعبد العزى أبو لهب .. والمقوِّم .. وضرار.. وأبو طالب .. و حَجل .. وعبد الله والد رسول الله ﷺ، وهو شقيق الزبير،.. وحمزة .. والعباس، وهو أصغر أولاد عبد المطلب).

وقد أسلم من أعمام النبي ﷺ العشرة اثنان: حمزة، والعباس رضي الله عنهما.

أما بنات عبد المطلب فست، وهن:

صفية بنت عبد المطلب .. وأم حكيم وهي البيضاء .. وعاتكة .. وأميمة .. وأروى .. وبرة.

ولم يسلم من عمات النبي ﷺ الست إلا صفية.

ولما بلغ بنو عبد المطلب عشرة أبناء ذكور، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء بالنذر فأطاعوه، ثم ضرب عليهم بالقداح، فخرج

القدح على أحب ولده إليه (عبد الله)، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى الكعبة ليذبحه، فمنعته قريش، ولا سيما إخوته وأخواله، من بني مخزوم.
فقال عبد المطلب : ماذا أصنع بنذري؟
فأشير عليه أن تُضرب القداح على عبد الله، وعلى عشر من الإبل، فإن خرجت على عبد الله فتزاد عشرا حتى يرضى ربه، وإن خرجت على الإبل فتنحر عنه، فخرجت القرعة على عبد الله، فزادوها عشرا، ثم ضربوا القداح فخرجت على عبد الله، وما زالوا يزيدون حتى بلغت الإبل مائة، ثم وقعت القرعة عليها.
فقالت قريش : لقد رضي ربك يا عبد المطلب، ثم نُحرت الإبل، وتُركت لا يُصد عنها إنسان ولا سبع ولا طير.
فعبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل، وجرت عليها قريش والعرب، ثم أقرها رسول الله ﷺ على ما كانت عليه قبل الإسلام.
وفي قصة حفر زمزم وما جرى بعده إظهار لمكانة عبد المطلب، ورفع لقدره بين الناس، وتعظيماً لشأنه؛ لأن في صلبه أب سيد البشر، وسلالة بني آدم، ورأس قريش محمداً ﷺ.

الثانية : حادثة الفيل :

حادث الفيل حادث عظيم لم يحدث مثله في تاريخ العرب، وكان دليلاً على ظهور حادث أكبر منه، وعلى أن الله يريد بالعرب خيراً، وأنه سيكون للكعبة شأن ليس لغيرها من بيوت العبادة.
وقد وقعت حادثة الفيل في عهد عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ، وتزامنت مع العام الذي ولد فيه الرسول ﷺ.
وموجز القصة أن أبرهة الحبشي نائب ملك الحبشة النجاشي في اليمن، رأى العرب تتوافد على البيت الحرام في مكة، وتحجه كل عام، فبنى كنيسة كبيرة بصنعاء في اليمن، وسماها (القُلَّيس)، وأراد أن يصرف العرب إلى الحج إليها بدلاً من البيت الحرام بمكة.
فسمع بذلك رجل من بني كنانة، فسار إليها ودخلها ليلاً، ولطخ جدرانها بالعذرة.

فلما علم أبرهة بذلك غضب، وقرر أن يهدم الكعبة، وسار بنفسه يقود جيشاً كبيراً، وكان في جيشه عدد من الفيلة، واختار لنفسه أكبر الفيلة، وسماه (محموداً).
ومضى أبرهة وجيشه لا يقف له أحد حتى وصل إلى المُغَمَّس شرق الحرم المكي، قرب عرفة على مسافة عشرين كيلاً من مكة، وهناك ساق أموالاً لقريش، منها مئتا بعير لعبد المطلب.
فجاء عبد المطلب، وكان سيد قريش، فدخل على أبرهة، فلما رآه أبرهة أَجَلَّه وأكرمه، ثم قال له : ما حاجتك؟ فقال: حاجتي أن يرد الملك عليّ مائتي بعير التي أخذها.
فقال الملك: كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني.
أتكلمني في مائتي بعير، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟
فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه.
فقال أبرهة : ما كان ليمتنع مني، قال : أنت وذاك.
فأمر أبرهة أن تُرد إبل عبد المطلب إليه، فلما قبضها، قلدها النعال، وأشعرها، وجعلها هدياً، وبثها في الحرم، وأشار عبد المطلب على قومه بالتفرق في الشعاب، والتحرز في رؤوس الجبال، خوفاً عليهم من معرة جيش أبرهة؛ لأنه رأى أنه لا طاقة لهم بقتال أبرهة وجنوده، وأن للبيت رباً سيمنعه.
فلجأت قريش إلى الشعاب والجبال، وجلست تنتظر ما يصنع أبرهة وجنوده.
وقام عبد المطلب عند الكعبة يدعوا الله ويستنصره، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة ويقول :

لا هُمَّ إنَّ المَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ ... فَـامْنَعْ رِحَـالَـكْ
لَا يَغْلِبَنَّ صَليبُهُمْ ومحَالُهُمْ ... غَـدْواً مَحَـالَـكْ
إنْ كُنْـتَ تَـارِكَهُمْ وَقِـبْلَتَنا ... فَـأَمْـرٌ مَـا بَـدَا لَـكْ

وعبأ أبرهة جيشه، وتهيأ لدخول مكة، فلما وجهوا فيل أبرهة، إلى مكة برك، فضربوه ليقوم فأبى، فوجهوه إلى جهة اليمن فقام يهرول، ثم وجهوه إلى مكة فبرك.
فبينما هم كذلك إذ أرسل الله على أبرهة وجنوده طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل بحجم الحمص أو العدس، لا تصيب منهم أحداً إلا أهلكته وقطعته، وليس كلهم أصابت، فأهلكت الطيرُ أكثرهم، وفر الباقون هاربين من حيث جاؤا.

وأما أبرهة فأبقاه الله ليرى ما حل بجيشه من الهلاك والفرار، وبعث الله على أبرهة داءً تساقطت منه أنامله أنملة أنملة، ولم يصل إلى صنعاء إلا وهو مثل فرخ الطائر، وانصدع صدره عن قلبه، فمات بين قومه في بلده شر ميتة، وأخبر الله عن أصحاب الفيل بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ [الفيل/ ١-٤].

ولما رد الله الحبشة عن مكة، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة، أعظمت العرب قريشاً، وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم، وكفاهم شر عدوهم، وازدادوا تعظيماً للبيت الحرام، وإيماناً بمكانته عند الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت/ ٦٧].

ووقعت حادثة الفيل هذه في شهر محرم سنة (٥٧١م) قبل ميلاد الرسول ﷺ بحوالي شهر ونصف تقريباً، وكان هذا الحادث العظيم آية من آيات الله، ومقدمة لبعثة نبي يبعث في مكة، ويُطهّر الكعبة من الأوثان، ويعيد إليها ما كان لها من رفعة وشأن، وتكون لدينه صلة عميقة دائمة بهذا البيت: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة/ ٩٧].

وحادثة الفيل جاءت لتبرز وتعلي مكانة قريش بين سائر القبائل العربية، فقد استباح أبرهة القبائل والأراضي التي مر بها، وحمى الله قريشاً وبلده الحرام من أبرهة.

حتى إذا ظهرت مكانة قريش، ثم بُعث منها وفيها نبي هو محمد ﷺ، فتابعته هذه القبيلة، انقادت له سائر القبائل الأخرى، كما أنه إذا انقاد القلب لله انقادت له سائر الجوارح بالطاعة.

فسبحان الحكيم العليم في خلقه، وأمره وتدبيره.

وقد خص الله أهل مكة بهذا التكريم، وهذه الحراسة؛ لأن أهل مكة قدوة لجميع القبائل، فإذا أسلموا أسلم الناس.

وأحوال العرب وقت حادثة الفيل تدل على أنهم كانوا أوزاعاً متفرقين، منهم من هو خاضع للفرس في العراق، ومنهم من هو خاضع للروم في الشام، ومنهم من هو خاضع للأحباش في اليمن، ومنهم القبائل التي يأكل بعضها بعضاً في وسط جزيرة العرب.

وما حدث في قصة الفيل كان مقياساً لحقيقة العرب، وأنه لا قيمة لهم بدون الإسلام.

وأصحاب الفيل كانوا نصارى من أهل الكتاب، ودينهم خير من دين أهل مكة إذ ذاك، لأنهم كانوا عباد أوثان، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصراً لا صنع للبشر فيه، تعظيماً لشأن البيت الحرام، ومقدمة لبعثة النبي ﷺ الذي خرج من مكة، وتعظيماً لأهل ذلك البلد الحرام: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [القصص/ ٥٧] .

واستعظمت قريش هذا الحادث العظيم، فَأَرَّخوا به الأحداث، وقالوا وقع هذا الأمر عام الفيل، وولد فلان عام الفيل، ووقع هذا بعد عام الفيل بسنة .. وهكذا.

٣- مولد الرسول ﷺ

لما بلغ عبد الله بن عبد المطلب خمساً وعشرين سنة، وكان شاباً نسيباً وسيماً، أراد أبوه عبد المطلب أن يزوجه، فزوجه (آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة)، وآمنة يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، وأبوها سيد بني زهرة نسباً وشرفاً، وبنى بها عبد الله في مكة، ثم خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام للتجارة مع عيرٍ من عير قريش، ثم انصرفوا ومروا بطريق عودتهم على المدينة، فأقام عبد الله عند أخواله بني النجار؛ لشعوره بالمرض، فجلس عندهم أياماً ثم مات ودفن بالمدينة، وعمره خمس وعشرون سنة، ورسول الله ﷺ جنين في بطن أمه (آمنة).

ولما قدم أصحابه إلى مكة سألهم عبد المطلب عن ابنه (عبد الله) قالوا : خلفناه عند أخواله بني النجار، لأنه مريض، فبعث إليه عبد المطلب أكبر أولاده، الحارث بن عبد المطلب، ولما وصل إلى المدينة وجد عبد الله قد مات ودفن هناك.

فرجع الحارث إلى أبيه عبد المطلب فأخبره أن عبد الله قد توفي، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً.

وجميع ما خلفه عبد الله بن عبدالمطلب خمساً من الإبل،وقطعة غنم،وجارية حبشية اسمها (برة)، وهي أم أيمن رضي الله عنها.

وفي نهار يوم الاثنين، من شهر ربيع الأول، من عام الفيل، الموافق سنة (٥٧١م)، ولد سيد الخلق محمد ﷺ، في شعب بني هاشم بمكة المكرمة.

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم يوم الاثنين، فقال: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ» أخرجه مسلم [١].

عَنْ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه قال : وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ الله ﷺ عَامَ الْفِيلِ. أخرجه أحمد والترمذي [٢].

وكونه ﷺ ولد في شهر ربيع الأول فيه إشارة إلى ما في شرعه من الحسن ما يشبه زمن الربيع، فإنه أعدل الفصول، وشَرْعه ﷺ أعدل الشرائع.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١١٦٢).

(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم (١٧٨٩١) وهذا لفظه ، وأخرجه الترمذي برقم (٣٩٤٧).

وفي ولادته ﷺ في ربيع بشارة لأمته بكل خير، فالربيع تنشق الأرض فيه عما في بطنها من نعم الله تعالى، ومولده ﷺ في ربيع إشارة ظاهرة إلى التنويه بقدره، وأنه أقبل بأعظم نعمة، وأنه رحمة للعالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

وكونه وُلد في ربيع الأول إشارة إلى أنه الأول على الأنبياء، وشريعته الأولى على الشرائع، وكتابه الأول المهيمن على جميع الكتب: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة/ ٣].

وكونه لم يثبت تاريخ اليوم الذي ولد فيه من ربيع الأول فيه إشارة إلى أن يوم مولد الرسول ﷺ لا يرتبط بعبادة معينة، ولم يُشرع فيه نوع من العبادة، لا احتفال بمولده ولا غيره: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور/ ٦٣].

وليوم الاثنين ميزة خاصة في حياته ﷺ، فإنه ولد في هذا اليوم، وفيه بعث، وفيه مات ﷺ.

والرسول ﷺ ولد بعد موت والده، وهذا أبلغ اليتم، وأعلى مراتبه، ثم ماتت أمه وعمره ست سنين أمام عينيه، حتى لا تتدخل يد أب أو أم حانية في توجيهه، بل يتولاه الحكيم العليم بالتربية والرعاية كما قال سبحانه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨﴾ [الضحى/ ٣-٨].

ويتلقى علومه من لدن حكيم خبير: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [النساء/ ١١٣].

ونشأ ﷺ يتيماً لئلا يكون عليه حق لمخلوق، ولينظر ﷺ إذا وصل إلى مدارج عزه إلى أوائل أمره، ليعلم أن العزيز من أعزه الله، وأن قوته وظهوره ليس من الآباء والأمهات، ولا من الأموال والجاه، بل من الله الذي بيده وحده ملكوت كل شيء: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾ [الصف/ ٩].

ونشأته ﷺ يتيماً يجعله أكثر تعلقاً بربه، ويجعله أكثر إحساساً بآلام الفقراء واليتامى والمحتاجين، فتزداد رحمته لهم، ولئلا يقول المبطلون أن محمداً ﷺ تلقى دعوته هذه من والده، أو ورثها منه، فانقطع بذلك اليتم توارث الزعامة أو التوجيه الأبوي لها، وفيه عبرة لكل يتيم ألا يقف أمام اليتم حزيناً غير منتج.

ونشأة النبي ﷺ في طفولته المبكرة مع أمه فقط لم تكن من باب الصدفة والاتفاق، بل هي سنة الله في تربية الأنبياء والرسل، فإسماعيل ﷺ عاش في بيت أمه في مكة بعيداً عن أبيه إبراهيم ﷺ : ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم/ ٣٧].

وموسى ﷺ عاش في بيت أمه تحن عليه وترعاه بعيدا عن أبيه: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه/ ٣٩].

وعيسى ﷺ عاش في بيت أمه، ومحمد ﷺ نشأ في طفولته في بيت أمه (آمنة بنت وهب).

وفي هذا أعظم إشارة إلى عظيم مكانة الأم، وعظيم دورها في تربية الأنفس والأجيال، فهي التي تولت تربية عدد من الأنبياء في طفولتهم، وهي قادرة على تربية الأجيال بعدهم، ولهذا جعل لها النبي ﷺ ثلاثة حقوق.

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ» متفق عليه[1].

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٧١)، ومسلم برقم (٢٥٤٨).

٤ – تسميته ﷺ

بعد ولادة النبي ﷺ من أمه (آمنة بنت وهب) سمته محمداً، ثم أرسلته إلى جده عبد المطلب، فأخذه ودخل به الكعبة، ولما كان يوم سابعه ذبح عنه، ودعا له قريشاً .
فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب ماذا سميت ابنك؟ قال: سميته محمداً، فقالوا: كيف سميت باسم ليس لأحد من آبائك وقومك؟فقال: إني لأرجو أن يحمده أهل الأرض وأهل السماء.
وقد ورد اسم (محمد ﷺ) في القرآن في قوله سبحانه: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب/ ٤٠]،وقوله سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[الفتح/ ٢٩].
وجاء اسمه (أحمد) في التوراة كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف/ ٦] .
وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ؓ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ لي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي ، وَأَنَا الْعَاقِبُ» متفق عليه [(١)].
وكُنِّي ﷺ بأبي القاسم.
عَنْ جابر بن عبدالله ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تَسَمَّوْا بِاسْمِي ، وَلا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي، فإِنِّي أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ ، أَقْسِمُ بينكم» متفق عليه [(٢)].
وظهر نور من أمه عند ولادته ﷺ أضاءت منه قصور الشام.
عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ؓ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي عِنْدَ الله في أمِّ الكتاب لخَاتَمُ النَّبِيِّنَ، وَإِنَّ آدَمَ لمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِتأويلِ ذَلِكَ، دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى قومَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّيَ الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ» أخرجه أحمد[(٣)].
وفي هذا إشارة إلى استقرار دينه ونبوته في بلاد الشام .
عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ الله ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ» متفق عليه [(٤)].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٨٩٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٥٤).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣١١٤) ، ومسلم برقم (٢١٣٣) واللفظ له.
(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٧١٦٣).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦٤١) ، ومسلم برقم (١٠٣٧) واللفظ له.

٥- ختانه ﷺ

ختن عبد المطلب محمداً ﷺ يوم سابعه على عادة العرب، وعق عنه بكبش، وجعل له مأدبة، وسماه محمداً، وأشهره بين الناس.

٦- كفالته ﷺ وحضانته

وُلد الرسول ﷺ بمكة يتيم الأب، فقد توفي أبوه عبد الله وهو في بطن أمه، وعندما مات والده كفله جده عبد المطلب، وحضنته أمه، ومولاته أم أيمن بركة الحبشية.

وشاركت في إرضاعه ثويبية، مولاة عمه أبي لهب، وأرضعت معه أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

وعندما بلغ ﷺ من العمر ست سنين توفيت والدته (آمنة) بالأبواء، وهي راجعة به من المدينة إلى مكة، بعد زيارة قامت بها معه إلى أخوال جده عبد المطلب من بني النجار، وكان ﷺ يزور قبر أمه بعد بعثته، كما زارها عام صلح الحديبية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهَ ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ المَوْتَ» أخرجه مسلم [1].

ولما توفيت آمنة أم النبي ﷺ، ودُفنت بالأبواء، رجعت أم أيمن بالنبي ﷺ إلى مكة، فضمه وكفله ورعاه جده عبد المطلب، ورق عليه رقة لم يرقها على أحد من أولاده.

وكان عبد المطلب يُقربه منه، ويدنيه إليه، ويجلسه معه على بساطه في حجر الكعبة، ويدخل عليه إذا خلا، وإذا نام، ولايأكل طعاماً إلا قال: عليّ بابني، فيؤتى به ﷺ إليه.

ولما بلغ الرسول ﷺ من العمر ثمان سنوات، توفي جده عبد المطلب، بعد أن أوصى ولده أبا طالب بكفالة النبي ﷺ، وحفظه ورعايته، وذلك لأن عبد الله والد الرسول ﷺ وأبا طالب أخوان لأب وأم، أمهما فاطمة بنت عمرو.

فقام أبو طالب عم النبي ﷺ بحق ابن أخيه خير قيام، وضمه إلى ولده، وقدمه عليهم، وكان يحبه حباً شديداً، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، وإذا خرج خرج معه، وسافر النبي ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام في أشياخ من قريش للتجارة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٧٦).

وكان أبوطالب لا مال له، فلما عاد رسول الله ﷺ من تلك الرحلة، بدأ سعيه في طلب الرزق، وقد اشتغل ﷺ في صباه برعي الغنم، ورعاها لبعض أهل مكة على قراريط، وبذلك ضرب مثلاً عالياً من صغره في اكتساب الرزق بالكد والتعب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ» فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ» أخرجه البخاري [1].

والحكمة من رعي الغنم قبل النبوة: التمرن برعيها على رعاية الأمة، ففي مخالطة الغنم تدريب على الصبر والتحمل، والحلم والشفقة؛ لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها وتفريقها، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره، وعلموا اختلاف طباعها، وأنواع حاجاتها، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها، وتفاوت عقولها، فرفقوا بضعيفها، وجبروا كسيرها، وأحسنوا معاملتها.

وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من غيرها، ومع كثرة تفرقها فهي أسهل انقياداً من غيرها من الإبل والبقر.

وظل أبو طالب يحوط ابن أخيه ويرعاه، ويدافع عنه أكثر من أربعين سنة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٢٦٢).

٧- رضاعه ﷺ

كانت أول من أرضعته ﷺ هي أمه (آمنة)، ثم أرضعته ثويبية مولاة عمه أبي لهب، وكان أبو لهب قد أعتقها، فأرضعت النبي ﷺ.

وإخوة النبي ﷺ من الرضاعة من ثويبية عمه حمزة بن عبد المطلب، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وابنها مسروح.

ثم قَدِمت مجموعة من النساء المرضعات يبحثن عن الأطفال، ومنهن حليمة السعدية رضي الله عنها ، فعُرض عليهن الرسول ﷺ، فكن يرفضن أخذه إذا قيل لهن أنه يتيم، لأنهن يرغبن في صلة أبيه.

وقد وجدت جميع النساء معها أطفالاً، وبقيت حليمة لم تجد غير هذا اليتيم، فأخذته معها؛ لأنها كرهت أن ترجع من بين صواحبها ولم تأخذ رضيعا، فأخذته وسألت الله أن يجعل لها فيه بركة، ولم تأخذه إلا لأنها لم تجد غيره.

وديار حليمة السعدية في وادٍ جنوب غرب الطائف، على نحو مائة كيلو من الطائف.

فأخذته حليمة ، فلما وضعته في حجرها در لبنها، فشرب ﷺ حتى روي، ثم شرب أخوه حتى روي، ثم ناما، ثم قام زوجها إلى شارف لهم فإذا هي حافل باللبن، فحلب منها، ثم شرب وشربت معه، حتى انتهيا رياً وشبعاً، وباتوا بخير ليلة.

فلما أصبحوا قال زوجها الحارث بن عبد العزين- المكنى بأبي كبشة-: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذتي نسمة مباركة، فقالت حليمة: والله إني لأرجو ذلك.

ولما رجعوا إلى بلادهم حملته معها على أتانها، فسبقت الكل، والنساء يقلن: والله إن لها لشأناً.

فلما قدموا منازلهم من بلاد بني سعد، وكانت أرضاً مجدبة، كانت غنم حليمة حين قدمت بالنبي ﷺ تروح عليها شباعاً لبناً، فتحلب وتشرب، وغيرهم لا يحلب قطرة لبن، وهذه من بركة النبي ﷺ على حليمة السعدية وزوجها الحارث.

ولم يزل الرسول ﷺ عند حليمة السعدية حتى مضى من عمره سنتين، ثم فطمته عن الحليب.

وكان ﷺ يشب عندها شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتين حتى كان غلاماً كأنه ابن أربع سنين.

وبعد أن بلغ النبي ﷺ سنتين قدمت به حليمة إلى أمه (آمنة)، وهي حريصة على بقائه معها، لما يرون فيه من البركة التي حلت عليهم منذ نزل عندهم، فرأته آمنة واطمأنت عليه، ولم تزل بها حليمة حتى وافقت على رده معها.
ثم عادت حليمة بالرسول ﷺ إلى ديار بني سعد.
إن إرسال النبي ﷺ للرضاعة في البادية -على عادة أشراف العرب- له فوائد جمة:
منها؛ تجنب أوبئة المدن، والاستفادة من مناخ البادية الصحي.
وفي خروج الأطفال إلى البادية تعويد لهم على النطق السليم للغة العربية، وحماية لهم من اللحن فيها، والله سبحانه يُعِدّ رسوله ليفهم اللغة العربية التي سوف يستقبل بها القرآن الكريم، ويبلغ بها القرآن والأحكام: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء/ ١٩٣-١٩٥].
وفي خروج الأطفال صغاراً إلى البادية تقوية لأجسادهم، وإبعاد لهم عن تدليل الأمهات والأخوات، وتربية لهم على الصبر والمجاهدة منذ الصغر.
ولكل إنسان من اسمه نصيب، سواء في الأشخاص أو غيرهم، فاسم الرسول ﷺ (محمد) فيه تنبيه على أنه محمود عند الله، ومحمود عند الملائكة، ومحمود عند إخوانه المرسلين، ومحمود عند أهل الأرض كلهم، ومحمود في الدنيا، ومحمود في الآخرة حين يقوم المقام المحمود.
واسمه (أحمد) ﷺ إعلام من ربه أنه أحمد الخلق لربه، وأحسنهم حمداً.
وولد ﷺ في شهر ربيع الأول، وفي ذلك إشارة عظيمة إلى الاستبشار بابتداء نعم المولى عليه وعلى العالمين: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].
ومن الفأل الحسن، وصنع الله فيه أن أمه ﷺ (آمنة) والقابلة (الشفا) أم عبد الرحمن بن عوف، وحاضنته بركة، ومرضعته أمه، وثويبة، وحليمة السعدية.
وفي الأسماء نصيب، ففي الوالدة والقابلة الأمن والشفاء، وفي اسم الحاضنة البركة والنماء، وفي مرضعاته الأمن والثواب والحلم والسعد ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

٨- شق صدره ﷺ

حادثة شق صدر النبي ﷺ وقعت له مرتين:

الأولى : حين كان مسترضعاً في بني سعد بن بكر، وعمره أربع سنوات.

قالت حليمة : ولما بلغ أربع سنين كان يغدو مع أخيه وأخته في البهم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً ، فَقَالَ : هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ لأَمَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ ، فَقَالُوا : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ ، قَالَ أَنَسٌ : وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ. أخرجه مسلم (١).

وعَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ شَأْنِكَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : « كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنٌ لَهَا فِي بَهْمٍ لَنَا ، وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا ، فَقُلْتُ : يَا أَخِي ، اذْهَبْ فَأْتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمِّنَا، فَانْطَلَقَ أَخِي وَمَكَثْتُ عِنْدَ الْبَهْمِ ، فَأَقْبَلَ طَيْرَانِ أَبْيَضَانِ كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَهُوَ هُوَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَقْبَلَا يَبْتَدِرَانِي ، فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي إِلَى الْقَفَا ، فَشَقَّا بَطْنِي ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي ، فَشَقَّاهُ فَأَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ .

فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : ائْتِنِي بِمَاءِ ثَلْجٍ، فَغَسَلَا بِهِ جَوْفِي ، ثُمَّ قَالَ : ائْتِنِي بِمَاءِ بَرَدٍ ، فَغَسَلَا بِهِ قَلْبِي ، ثُمَّ قَالَ : ائْتِنِي بِالسَّكِينَةِ، فَذَرَّهَا فِي قَلْبِي ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : حِصْهُ ، فَحَاصَهُ ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : اجْعَلْهُ فِي كِفَّةٍ ، وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ فِي كِفَّةٍ ، فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَلْفِ فَوْقِي، أُشْفِقُ أَنْ يَخِرَّ عَلَيَّ بَعْضُهُمْ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لمَالَ بِهِمْ ، ثُمَّ انْطَلَقَا وَتَرَكَانِي، وَفَرِقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُهُ ، فَأَشْفَقَتْ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ أُلْبِسَ بِي .

قَالَتْ : أُعِيذُكَ بِالله ، فَرَحَلَتْ بَعِيرًا لَهَا فَجَعَلَتْنِي عَلَى الرَّحْلِ ، وَرَكِبَتْ خَلْفِي حَتَّى بَلَغْنَا إِلَى أُمِّي ، فَقَالَتْ : أَوَأَدَّيْتُ أَمَانَتِي وَذِمَّتِي ؟ وَحَدَّثَتْهَا بِالَّذِي لَقِيتُ ، فَلَمْ يَرُعْهَا ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : إِنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّي نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ » أخرجه أحمد (٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٢).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٧٦٤٨).

الثانية : شق صدره ليلة الإسراء والمعراج.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال: كان أبوذر يحدث أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي ، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ، ثُمَّ أَطْبَقَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا..» متفق عليه [(١)].

وحكمة شق صدره ﷺ عياناً: أن في ذلك إشارة إلى إعداده وتهيئته للرسالة بأمر يعرفه الناس، فقد أجري للرسول ﷺ عملية تطهير لقلبه بإزالة تلك العلقة السوداء، ثم غسل القلب بماء زمزم، وذلك تطهير معنوي أخذ الشكل الحسي الذي يراه الناس؛ تأهباً لما سيُلقى إليه من الوحي.

وفي شق صدره في صغره إشارة إلى عصمة الرسول ﷺ منذ صغره، فقد أزيل منه حظ الشيطان لينشأ نشأة لا نصيب فيها للشيطان، على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان.

وفي شق صدره ﷺ إشارة إلى تعهد الله ﷻ لنبيه عن مزالق الطبع الإنساني، ووساوس الشيطان، حصانة لوحيه الذي أرسله الله به : ﴿**وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥**﴾ [النجم/ ١-٥].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٦٢).

٩- خاتم النبوة

وهو عبارة عن قطعة لحم ناتئة، عليها شعر، حجمها قدر بيضة الحمامة، ومكانها عند كتفه الأيسر ﷺ .

وهذا الخاتم علامة من علامات نبوته ﷺ في الكتب السابقة كما في قصة بَحِيرا الراهب، وقصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه.

وهذا الخاتم لم يكن موجوداً عند ولادته ﷺ، وإنما تَكَوَّن بعد الولادة، بعد حادثة شق صدره وهو صغير.

عن السَّائِب بْن يَزِيد رضي الله عنه قال:ذَهَبَتْ بي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ:يَارَسُولَ الله، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي، وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى خاتَم النبوة بَيْنَ كَتِفَيْهِ، مِثْلَ زِرِّ الحَجَلَةِ. متفق عليه [(١)].

وعن جَابِر بْن سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ : رَأَيْتُ خَاتَمًا فِي ظَهْرِ رَسُولِ الله ﷺ، كَأَنَّهُ بَيْضَةُ حَمَامٍ. أخرجه مسلم [(٢)].

١٠- شهوده ﷺ حرب الفِجَار

لما بلغ ﷺ خمسة عشر عاماً أو تزيد، هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس وأحلافها، وكان الظفر في أول النهار لقيس على قريش، حتى إذا كان وسط النهار كان الظفر لقريش وكنانة على قيس.

وقد شهد الرسول ﷺ بعض أيامه، وكان ينبل ويجهز النبل لعمومته أثناء القتال.

وفي هذا إشارة إلى شجاعته وفروسيته منذ صغره.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٤٥).

(٢) أخرجه **مسلم** برقم (٢٣٤٤).

١١- شهوده ﷺ حلف الفضول

وكان هذا الحلف في ذي القعدة، في شهر حرام بعد حرب الفجار بشهر أو أكثر، وكان أعظم حلف سمعت به العرب، وسببه أن رجلاً من (زبيد) باليمن قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي، وأبى أن يعطيه حقه، فاستدعى عليه الأحلاف عبد الدار ومخزوماً وسهماً، فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل، وانتهروه.

فلما رأى الزبيدي الشر، صعد على جبل أبي قيس عند طلوع الشمس، وقريش عند الكعبة، وصرخ بظلامته قائلا :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحِجر والحَجر
إن الحرام لمن ماتت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام الزبير بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ، وقال: ما لهذا متروك، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة، وبنو تيم بن مرة، في دار عبد الله بن جدعان، وتعاقدوا، وتعاهدوا، وتحالفوا بالله، ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يُرد إليه حقه.

فسمَّت قريش هذا الحلف (حلف الفضول)، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشو إلى العاص بن وائل، فانتزعوا منه سلعة (الزبيدي)، ودفعوها إليه، وقد شهد رسول الله ﷺ هذا الحلف.

عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلَامٌ ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ» أخرجه أحمد [(١)].

وفي هذا إشارة إلى كمال رجولته ﷺ ، وحبه للفضائل والمكارم منذ صغره، وتهيئة الناس لقبول ما جاء به.

وهذا الحلف يُعد من أعظم مفاخر العرب، فقد رفعوا به منار العدل، وهدموا به صرح الظلم.

---

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (١٦٥٥).

١٢- خروجه ﷺ بتجارة خديجة رضي الله عنها

كانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم فيه بشيء تجعله لهم، ولما بلغها من رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، وعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً، وأنها ستعطيه أفضل مما تعطي غيره، فقبل رسول الله ﷺ ذلك منها.

فخرج رسول الله ﷺ في مالها إلى الشام، وخرج معه غلامها (ميسرة)، ثم باع النبي ﷺ سلعته التي قدم بها إلى الشام من مكة، ثم اشترى ما أراد أن يشتري، وأقبل قافلاً إلى مكة، ومعه ميسرة.

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة في ساعة الظهيرة، ذهب إلى بيت خديجة، وأخبرها بما ربحوا في الشام، فسرت بذلك.

ثم باعت خديجة رضي الله عنها ما جاء به ﷺ من تجارة، فربحت ضعف ما كانت تربح، وأضعفت له ضعف ما كانت تعطي رجلاً من قومه.

وكان خروجه ﷺ في تجارة خديجة إلى الشام وعمره خمس وعشرون سنة.

١٣- زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها

كانت خديجة رضي الله عنها سيدة نساء قريش، وكانت تسمى الطاهرة؛ لشدة عفافها، وكانت ذات عقل واسع، وذات حسب ومال.

ولما سمعت بعظيم أمانة الرسول ﷺ ، وعرفت حسن أخلاقه، وصدق حديثه، وذلك من غلامها ميسرة، الذي رافق الرسول ﷺ في رحلته إلى الشام، أحسَّت رضي الله عنها أنها وجدت ضالتها المنشودة في محمد ﷺ.

وكانت خديجة رضي الله عنها قد تزوجت قبل الرسول ﷺ برجلين :

أولهما : عتيق بن عائذ، وولدت له (عبد الله، وهند).

والثاني : هند بن مالك، ولدت له هالة وهنداً من الذكور، وزينب، ثم مات.

ولما أراد ﷺ خطبتها والعقد عليها، خرج معه عمه أبو طالب، وعمه حمزة، حتى دخلوا على (عمرو بن أسد) عم خديجة؛ لأن أباها قد مات قبل حرب الفجار، فخطبوا إلى عمها ابنة أخيه، وحضر العقد رؤساء مضر.

ثم بنى رسول الله ﷺ بخديجة، وأولم عليها، ونحر جزوراً أو جزورين، وأطعم الناس.

وكانت خديجة رضي الله عنها أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، ولم يتزوج عليها رضي الله عنها حتى ماتت، وبقيت معه ﷺ خمساً وعشرين سنة.

وكان عمر النبي ﷺ حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة، وقد تزوجها بعد رجوعه من الشام، وكان عمرها رضي الله عنها حينئذ أربعين سنة.

وقد عُرفت خديجة في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة، وعرف محمد ﷺ بالصادق الأمين، فأراد الله ﷻ أن يكون أول بيت بني في النبوة بين الطاهرة العفيفة، والصادق الأمين، ويُرزق منها الذرية دون غيرها، ما عدا مارية القبطية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ.

وكان النبي ﷺ يحب زوجه خديجة رضي الله عنها ، ويثني عليها لما هي عليه من مكارم الأخلاق، ولأنها التي واسته ﷺ بنفسها ومالها، وهي أول من آمن به من النساء، وأول من صلى خلفه، وأول من بذلت نفسها ومالها في سبيل الله، وأول من جاءها سلام من الله مع جبريل .

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ : سمعت علياً ﷺ يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ » متفق عليه [١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : مَا غِرْتُ عَلَى امرأةٍ مَا غِرْتُ على خديجةٍ ، وَلَقَدْ هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ ، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا ، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ في الجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِلِهَا. أخرجه مسلم [٢].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلامَ مِنْ رَبِّهَا ﷻ وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاصَخَبٌ فِيهِ وَلانَصَبٌ. متفق عليه [٣].

وخديجة رضي الله عنها لها قدر كبير في قلب النبي ﷺ، فقد آمنت به عندما كفر الناس، وصدقته عندما كذبه الناس، وواسته بمالها عندما حرمه الناس، ورُزق منها الولد دون غيرها، وهي من أقرب نسائه إليه في النسب.

وقد تزوجها رسول الله ﷺ قبل البعثة بخمسة عشر عاما، وبنى بها في البيت الذي كانت تسكنه بمكة، وَفيه ولدت جميع أولادها، وفيه تُوفيت، وعمرها خمس وستون سنة، في العام العاشر من البعثة.

ولم يزل النبي ﷺ ساكناً فيه حتى خرج مهاجراً إلى المدينة، فأخذه عقيل بن أبي طالب.

وكل أولاد النبي ﷺ من خديجة رضي الله عنها ، ما عدا إبراهيم فإنه من مارية القبطية.

وأول من وُلد للرسول ﷺ من خديجة قبل البعثة (القاسم)، وبه كان يُكنى ﷺ، ثم وَلدت له (زينب)، ثم (رقية)، ثم (أم كلثوم)، ثم (فاطمة)، ثم ولد له في الإسلام (عبد الله) وكان يلقب بالطيب والطاهر؛ لأنه ولد بعد النبوة، رضي الله عنهم أجمعين.

وقد مات بنوه ﷺ وهم صغار، فمات القاسم بعد أن بلغ سناً تمكنه من المشي، ثم مات عبد الله وهو طفل صغير.

وأما بنات الرسول ﷺ فكلهن أدركن الإسلام، وأسلمن، وعشن حتى تزوجن، وكلهن متن في حياة النبي ﷺ ، ما عدا فاطمة رضي الله عنها ، فقد ماتت بعد وفاته ﷺ بستة أشهر.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٤٣٢) ، ومسلم برقم (٢٤٣٠).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٤٣٥).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٢٠) ، ومسلم برقم (٢٤٣٢) واللفظ له.

وكان المشركون في مكة يعيِّرون النبي ﷺ بانقطاع أثره؛ لوفاة أولاده الذكور، فلما مات القاسم، ثم مات بعده عبد الله قالوا : انقطع ولده، فهو أبتر، فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر/ ١-٣].

وقد شاء الله ﷻ وله الحكمة البالغة أن لا يعيش للنبي ﷺ أحد من الذكور، حتى لا يكون ذلك مدعاة لافتتان الناس بهم، وادعائهم لهم النبوة.

فأعطاه ﷻ الأولاد الذكور تكميلاً لفطرته البشرية، وقضاء لحاجات النفس الإنسانية، ولئلا يُنتقص النبي ﷺ في كمال رجولته شانئ، أو يتقول عليه متقول.

فأخذهم الله في الصغر، ليكون ذلك عزاء وسلوى للذين لا يرزقون البنين، أو يرزقونهم ثم يموتون.

وفوق ذلك أن ذلك لون من ألوان الابتلاء، وأشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، وأعظم من ابتلي من الخلق فصبر محمد ﷺ.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ الله ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ : «الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» أخرجه الترمذي وابن ماجه[1].

---

(١) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٨)وهذا لفظه ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٠٢٣).

١٤- بناء الكعبة

الكعبة أول بيت وُضع للعبادة في الأرض كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٩٦] .

وقد تعرضت الكعبة للسيول والعوادي التي زعزعت بنيانها، وصدعت جدرانها.

وقبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنين، وعمره ﷺ خمس وثلاثون سنة، جرف مكة سيل عرم انحدر إلى البيت الحرام، فأوشكت الكعبة منه على الانهيار، وكان قد أصاب الكعبة من قَبل حريق بسبب امرأة كانت تجمرها، وكانت جدرانها رضماً من الحجارة فوق القامة، فظهر الخلل في جدرانها، فاضطرت قريش إلى تجديد بنيانها؛ حرصاً على مكانتها، وحفاظًا على حرمتها ، وتعظيماً لبيت ربها .

وقد اتفقت قريش على أن لا يُدخلوا في بناء الكعبة من كسبهم إلا طيبا، فلا يُدخلوا فيه مالاً من ربا، ولا مهر بغي، ولا مظلمة أحدٍ من الناس.

ولما أرادت قريش هدم الكعبة لبنائها من جديد تهيبوا من ذلك، وخافوا أن يصيبهم ما أصاب أصحاب الفيل.

فقال لهم الوليد بن المغيرة المخزومي: أتريدون بهدمها الإصلاح أم الإساءة؟

فقالوا : نريد الإصلاح. فقال : إن الله لا يهلك المصلحين.

وأخذ المعول، وشرع يهدم جدار الكعبة .

فقال الوليد : قوموا ساعدوني، فقالوا : لا، ننتظر إلى الغد، فإن أصيب الوليد لن نهدم منها شيئا، ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله صنعنا فهدمنا.

فأصبح الوليد من ليلته لم يصبه شيء، فهدموا معه، حتى إذا انتهوا إلى أساس إبراهيم ﷺ ، أفضوا إلى حجارة خضراء آخذ بعضها ببعض، فتركوا الأساس كما هو، وشرعوا في البناء فوقه.

وقد اشترك سادة مكة في أعمال الهدم والبناء، فقسموا جدران الكعبة، وجعلوا لكل قبيلة جزءا منها، فكان جهة الباب لبني عبد مناف وزهرة، وما بين الحجر الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش، وكان ظهر الكعبة جهة الغرب لبني جمح وسهم، وجهة الحِجر لبني عبد الدار بن قصي، و بني أسد، وبني عدي.

وقد شارك النبي ﷺ مع أعمامه في البناء ونقل الحجارة.

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ : يَا ابْنَ أَخِي ، لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَ عَلَى مَنْكِبَيْكَ دُونَ الحِجَارَةِ ، قَالَ : فَحَلَّهُ ، فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ عُرْيَانًا ﷺ . متفق عليه[1].

فلما بلغت القبائل في البنيان موضع الحجر الأسود تنازعوا فيمن يضعه في مكانه، فكل قبيلة تريد أن تحظى بهذا الشرف، وتفاقم الأمر، حتى أوشكت الحرب أن تشتعل بينهم، وقرَّب بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، واستمروا على هذه الحال عدة أيام.

ثم ألهم الله سبحانه وتعالى أكبر قريش سناً، وهو أبو أمية بن المغيرة المخزومي، فقال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب بني شيبة، فرضوا واجتمعوا يترقبون أول داخل، فإذا به الصادق الأمين محمد ﷺ، كأن الله ﷻ أرسله ليخلص قريشاً من هذا الشر المستطير.

فلما رأوه، قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد.

فلما وصل إليهم أخبروه الخبر، فلم يلبث رسول الله ﷺ حتى أعطاهم الحل العظيم الذي قطع الله به دابر الفتنة، فبسط ﷺ رداءه، ثم أخذ الحجر فوضعه فيه، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بطرف، ثم أمرهم برفعه، فرفعوه جميعاً، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده المباركة في مكانه، ثم بنى عليه.

وبهذا الرأي السديد كان ﷺ سبباً في وقاية قريش من حرب كادت تقع بينهم وتفنيهم.

فسبحان من أرسله رحمة للعالمين،ورحمة للمتخاصمين: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

[التوبة/ ١٢٨] .

وكانت النفقة الحلال قد ضاقت بقريش عن إتمام بناء البيت على قواعد إبراهيم ﷺ، فاضطروا إلى النقص منه، فبنوا عند الجزء الشمالي الذي تركوه جداراً قصيراً، للإعلام أنه من البيت، وهو ما يعرف (بالحِجْر)، ونقصوا منها قليلاً من الجهة الشرقية، وهو ما يسمى بالشاذروان، ورفعوا باب الكعبة عن الأرض، وكان ارتفاع

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٣٤٠).

الكعبة على عهد إبراهيم وإسماعيل تسعة أذرع، وكان لها بابان، باب شرقي يدخل منه الناس، وباب غربي يخرج منه الناس.

فلما بنتها قريش زادوا في ارتفاعها تسعة أذرع أخرى، واقتصروا على باب واحد في الجهة الشرقية، ورفعوا بابها عن الأرض، ليُدخلوا من شاؤا، ويمنعوا من شاؤا.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا : « يَا عَائِشَةُ ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بالبيت فَهُدِمَ ، فَأَدْخَلتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ وَأَلْزَقْتُهُ بِالْأَرْضِ ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ ، بَابًا شَرْقِيًّا ، وَبَابًا غَرْبِيًّا ، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ» متفق عليه[1].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ : سَأَلتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الجَدْرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ :« نَعَمْ» ، قُلْتُ : فَمَا لَهُمْ لمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ :«إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ». قُلْتُ : فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟ قَالَ :«فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاؤا ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الجَدْرَ فِي الْبَيْتِ ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالْأَرْضِ » متفق عليه[2].

وحديث تحكيم النبي ﷺ في أمر الحجر الأسود بيّن مكانة محمد ﷺ في قومه، فقد تلقاه الجميع بالرضا والقبول، وإذا كانت حادثة الفيل أبرزت قريشاً على سائر القبائل، لحماية الله لها، فإن حادثة بناء الكعبة تتم الخطوة الثانية بتتويج محمد ﷺ على هذا الرمز.

فحادثة الفيل ميزت قريشاً ورفعتها، وحادثة بناء الكعبة ميزت محمداً ﷺ على قريش، ورفعته عليهم، وذلك كله تمهيداً للبعثة التي دنت، وأزف موعدها، وقرب إعلانها.

فسبحان من خصه ﷺ بهذه الكرامات والتشريفات، وفي هذا إشارة بليغة صريحة، وهي أن الذي حال بين إراقة الدماء التي كادت تتفجر، هو الذي سيحول غداً بين إراقة الدماء بين البشر.

والذي جمع قومه بعد نزاعهم، هو الذي سيجمع البشرية كلها غداً تحت لواء الإسلام ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ ﴾ [المائدة/ ٧].

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥٨٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٣٣٣).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥٨٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٣٣٣).

١٥ - حفظ حياته ﷺ

حفظ الله ﷻ نبيه ﷺ من جميع أدران الجاهلية، وظلت حياته ﷺ إلى البعثة حياة فاضلة طاهرة، مع أنه شب في مجتمع جاهلي في عقيدته، جاهلي في أخلاقه، ولكن الله تعالى حفظه من جميع مساوئ الجاهلية، لما يريده سبحانه له من الكرامة والرسالة، حتى صار أحسن قومه خُلقاً، وأفضلهم مروءةً، وأكرمهم حسباً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأحسنهم رأياً، وأعظمهم حلماً، وأعلاهم فكراً، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال، حتى صار وحده معروفاً بالصادق الأمين.

ولم يتأثر بما حوله من الأفكار والأفعال والرذائل الجاهلية.

وقد ذكر الله ﷻ في كتابه ما مَنَّ به على عبده ورسوله محمد ﷺ من أنواع الكرامات والأخلاق، والهبات التي خصه ربه بها، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى/ ١-٨].

وقال سبحانه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء/ ١١٣].

فنشأ ﷺ سليم العقيدة، صادق الإيمان، عميق التفكر، غير خاضع لأباطيل الجاهلية، فما عُرف عنه أنه سجد لصنم قط، أو تمسح به، أو ذهب إلى كاهن أو عرَّاف، وبغضت إليه عبادة الأصنام، والتمسح بها.

عن عروة بن الزبير قال: حدثني جارٌ لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة :« أَيْ خَدِيجَةُ، والله لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ أَبَدًا، والله لَا أَعْبُدُ الْعُزَّى أَبَدًا » أخرجه أحمد [(١)].

وعن زيد بن حارثة رضي الله عنه قَالَ : كَانَ صَنَمٌ مِنْ نُحَاسٍ يُقَالُ لَهُ إِسَافٌ ، أَوْ نَائِلَةُ يَتَمَسَّحُ الْمُشْرِكُونَ بِهِ إِذَا طَافُوا ، فَطَافَ رَسُولُ الله ﷺ ، وَطُفْتُ مَعَهُ ، فَلَمَّا مَرَرْتُ مَسَحْتُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تمَسَّهُ»، قَالَ زَيْدٌ : فَطُفْنَا فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَأَمَسَّنَّهُ حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَكُونُ فَمَسَحْتُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلَمْ تُنْهَ؟» قَالَ زَيْدٌ :فَوَالله مَا اسْتَلَمَ صَنَمًا حَتَّى أَكْرَمَهُ الله بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ.أخرجه النسائي في السنن الكبرى[(٢)].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٧٩٤٧).

(٢) **حسن**/ أخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم (٨١٣٢).

وحفظ الله نبيه ﷺ من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فلم يشرب خمراً قط، ولا اقترف فاحشة قط، ولا شارك في ميسر أو لهو عابثٍ قط، أو جلس مجلساً دنيئاً قط.

وبُغِّضَ إليه ﷺ قول الشعر، فلم يُعرف عنه قط أنه قال شعراً، أو أنشأ قصيدة؛ لأن ذلك لا يتلائم ومقام النبوة، وقد نزهه الله عن قول الشعر، فقال: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩﴾ [يس/ ٦٩].

ومع هذا فقد كان ﷺ يتذوق ما في الشعر من جمال وحكمة، ويسمعه من غيره، ولا عجب فهو القائل ﷺ: « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا» أخرجه البخاري [(١)].

وهو القائل ﷺ: « إِنَّ مِنَ الشعرِ حكمةً» أخرجه البخاري [(٢)].

وكان ﷺ معروفاً في الجاهلية بالأمانة، لا يأتمنه أحد على وديعة إلا أداها له، ولا يأتمنه أحد على سر إلا وجده عند حسن الظن به.

وكان ﷺ معروفاً بالصدق، شهد له بذلك العدو والصديق، ولما بعثه الله ﷻ إلى الناس كافة، وأمره أن ينذر عشيرته الأقربين، صار ينادي بطون قريش، فلما حضروا، قال لهم : «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ». قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. متفق عليه[(٣)].

وكان ﷺ كريماً،وصولاً للرحم،عطوفاً على الفقراء،يُقري الضيف، ويعين الضعيف، ويُواسي البائس، وقد وصفته بمكارم الأخلاق زوجه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها عند بدء الوحي إليه، لما جاء إليها خائفاً قالت له: أَبشِرْ، فوالله لَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا،والله إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ،وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ،وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ. متفق عليه[(٤)].

وكان ﷺ يكره مخالفة دين إبراهيم ﷺ، فقد كان يقف مع الناس قبل البعثة بعرفات، ولا يصنع ما كانت تصنع قريش من الوقوف في الحج بالمزدلفة، وعدم الوقوف مع الناس بعرفات تمييزاً لهم عن غيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥١٤٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦١٤٥).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٩٧١) ، ومسلم برقم (٢٠٨).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣)، ومسلم برقم (١٦٠) واللفظ له.

عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﵁ قَالَ : أَضْلَلْتُ بَعِيرًا لي يَوْمَ عَرَفَةَ ، فَخَرَجْتُ أَطْلُبُهُ بِعَرَفَةَ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَاقِفًا مَعَ النَّاسِ بِعَرَفَةَ . متفق عليه[1].

وكان ﷺ قبل البعثة يجد في نفسه قلقاً غامضاً، لا يعرف مصدره ولا مصيره، ولم يكن يخطر بباله ما سوف يكرمه الله به من الوحي والرسالة، ولم يحلم بذلك في يوم من الأيام، كما قال الله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى/ ٥٢].

ولم يكن ﷺ يستشرف للرسالة، ولا يحلم بها، ولا فكر بها، وإنما كان الله سبحانه يلهمه الخلوة للعبادة، تطهيراً له، وإعداداً روحياً لتحمل أعباء الرسالة: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [القصص/ ٨٦].

وكان من حكمة الله تعالى وتربيته لرسوله ﷺ أن نشأ ﷺ أمياً، لا يقرأ ولا يكتب، ليكون أبعد عن تهم الأعداء، وظِنَّة المفترين، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٨].

وشرفه ربه بالأمية الأرضية، ورفعه بالعلمية السماوية، كما قال سبحانه: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

وقد كان ﷺ معصوماً قبل الوحي وبعده من جميع الفواحش ومنكرات الأخلاق، ومن الرذائل والسفه والكذب، وبذاءة اللسان، وغيرها من مساوئ الأخلاق، ومتحلياً بأحسن الأخلاق والآداب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢].

لقد عاش ﷺ في شبابه متميزاً بالأخلاق الحسنة، وسلامة الفطرة الكارهة للوثنيات والشركيات والخرافات، فنشأ على فطرة التوحيد التي فطر الله الناس عليها، نزيه القلب، طاهر القالب، حسن السلوك، عظيم الأخلاق، وكل هذه الأمور تمهد للرسالة العظمى التي سيحملها ويُحملها غيره صلوات الله وسلامه عليه: ﴿لَقَدْ

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٦٦٤)، ومسلم برقم (١٢٢٠) واللفظ له.

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة/ ١٢٨].

لقد نشأ ﷺ متمتعاً بجميع خصائص البشر، فهو شاب كسائر الشباب، وله عواطفه وميوله، يخالط الناس، ويتعامل معهم، ومع هذه الميول البشرية، فإن الله قد عصمه من جميع مظاهر الانحراف التي تَحُول بينه وبين الحق والعدل والفضيلة؛ لأن الله يُعدُّه لأعظم رسالة جاءت إلى أهل الأرض: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[التوبة/ ٣٣].

فكانت حياته ﷺ قبل البعثة أحسن حياة، وأجمل حياة، وأطهر حياة، وأكرم حياة، وأحفلها بمعاني الإنسانية، ثم نبأه الله سبحانه وبعثه إلى الناس، فتمت هذه الفضائل على أحسن وجه، وما زالت تسمو فروعها، وترسخ أصولها، في كل مكان وزمان، توحيد وإيمان، وفضل وكمال، وهدى ونور، وحق وخير، وعبادة ودعوة، وأجر وثواب، هي مجموع حياة نبينا ﷺ الذي أكرمنا الله بالاقتداء به : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٢١].

١٦- مقدمات تبشر بالنبوة

في الأيام الأخيرة قبيل البعثة بدأت تلوح آثار النبوة على النبي ﷺ .

ومن أبرز هذه العلامات والآثار :

١- حجب الشياطين عن استراق السمع من السماء :

لمَّا تقارب أمر رسول الله ﷺ، وحضر مبعثه، حُجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها لاستراق السمع، كما أخبر الله عن الجن بقولهم: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الجن/٨-١٠] .

ومن رام استراق السمع من الجن رُمي بالشهب : ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن/ ٩] .

٢- الرؤيا الصادقة :

أول ما بُدئ به النبي ﷺ من النبوة الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤياً في نومه إلا جاءت كفلق الصبح، حتى مضى على ذلك ستة أشهر، ثم بدأ ينزل الوحي عليه ﷺ.

٣- حبه ﷺ للخلوة :

حين تقاربت سن النبي ﷺ من الأربعين حبب الله إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من الخلوة وحده، فكان ﷺ يهجر مكة كل عام، ليقضي شهر رمضان يتحنث بغار حراء، وكان يتزود لخلوته، ويقيم الأيام والليالي ذوات العدد.

عن عائشة رضي الله عنها قالت :كان أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ. متفق عليه[1].

وكان النبي ﷺ إذا قضى خلوته من شهره ذلك، أول ما يبدأ به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته الكعبة، فيطوف بها سبعاً، أو ما شاء الله تعالى، ثم يرجع إلى بيته، وظل النبي ﷺ على ذلك ثلاث سنوات إلى أن جاءه الوحي وهو في إحدى خلواته بغار حراء.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣) ومسلم برقم (١٦٠) واللفظ له.

٤- تسليم الحجر والشجر على النبي ﷺ :

حين أراد الله تعالى كرامة نبيه محمد ﷺ كان إذا خرج لحاجته لا يمر بحجر ولا شجر إلا وقال: السلام عليك يا رسول الله، فيلتفت فلا يرى إلا الشجر والحجر، وظَل كذلك يسمع ويرى حتى جاءه جبريل بالوحي وهو بغار حراء في شهر رمضان.

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» . أخرجه مسلم [1].

٥- سماعه ﷺ الصوت، ورؤيته الضوء :

فقد أقام ﷺ بمكة خمس عشرة سنة، يسمع صوت الهاتف به من الملائكة، ويرى نور الملائكة، حتى رأى الملك جبريل بعينه، وشافهه بوحي الله في غار حراء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أقام رسول الله ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً يَسْمَعُ الصَّوْتَ، وَيَرَى الضَّوْءَ، سَبْعَ سِنِينَ وَلَا يَرَى شَيْئًا، وَثَمَانِ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ، وَأَقَامَ بِالمَدِينَةِ عَشْرًا . أخرجه مسلم [2].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لخَدِيجَةَ: « إِنِّي أَرَى ضَوْءًا ، وَأَسْمَعُ صَوْتًا، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ يَكُونَ بِي جُنُنٌ ». قَالَتْ: لَمْ يَكُنِ الله لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ يَا ابْنَ عَبْدِالله، ثُمَّ أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: إِنْ يَكُنْ صَادِقًا فَإِنَّ هَذَا نَامُوسٌ مِثْلَ نَامُوسِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإِنْ بُعِثَ وَأَنَا حَيٌّ فَسَأُعَزِّرُهُ ، وَأَنْصُرُهُ، وَأُومِنُ بِهِ. أخرجه أحمد [3].

* * * * *

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣٥٣).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٨٤٥).

الباب الثاني

سيرته ﷺ من بعثته إلى هجرته

وتشتمل على ما يلي :

١ – بدء نزول الوحي

٢ – مراحل الدعوة في حياة النبي ﷺ : وتشمل:

١ – الدعوة السرية

٢ – الدعوة الجهرية، وتشمل:

١ – موقف قريش من الجهر بالدعوة

٢ – أساليب كفار قريش في مواجهة الرسول ﷺ ودعوته

٣– الهجرة إلى الحبشة

٤ – مفاوضات قريش مع أبي طالب

٥– طلب قريش تسليم النبي ﷺ

٦– محاولة الطغاة اغتيال الرسول ﷺ

٧– إسلام حمزة بن عبد المطلب

٨– إسلام عمر بن الخطاب

٩– إغراءات قريش للنبي ﷺ

١٠ – المقاطعة العامة

١١ – وفاة أبي طالب

١٢ – وفاة خديجة بنت خويلد

١٣ – شدة أذى قريش للرسول ﷺ بعد وفاة أبي طالب

١٤ – خروجه ﷺ إلى الطائف

١٥ – الإسراء والمعراج

١٦ – عرض الرسول ﷺ نفسه على الأفراد والقبائل

١٧ – بيعة العقبة الأولى

١٨ – بيعة العقبة الثانية

الباب الثاني

سيرته ﷺ من بعثته إلى هجرته

١- بدء نزول الوحي

لما دنت بعثة النبي ﷺ؛ انتشر في الأمم أن الله سبحانه سيبعث نبياً في هذا الزمان، وأن ظهوره قد قرب.

فكان أهل الكتاب يعرفون ذلك من كتبهم، كقصة ابن الهيبان، الذي قدم من الشام إلى المدينة قبيل البعثة، وقال لليهود أن سبب قدومه للمدينة توقع خروج نبي فيتبعه، ودعا اليهود إلى اتباعه، لما يعرفه من صفته وصفة زمانه في التوراة.

وقصة سلمان الفارسي الذي جاء من بلاد فارس يبحث عن الدين الحق، فأقام بالشام، ثم دله الأحبار على مكان بعثة محمد ﷺ ، وقرب زمانه.

وأما غير أهل الكتاب من الأمم فكانت ترى في الآيات المنذرة ما تستدل به على قرب هذا المبعث.

وكان ﷺ يحب الخلاء، ويُكثر من الانفراد عن قومه؛ لما يراه عليهم من الضلال المبين، من عبادة الأوثان، ومخالفة الفطرة، ولما في الخلوة من صفاء النفس، وهدوء البال، والتفكر في ملكوت الله، وعظيم خلقه، ومظاهر قدرته، فكان يخلو بغار حراء في رمضان من كل عام.

وقويت محبته ﷺ للخلوة عند مقاربة إيحاء الله له، وإذا عاد ﷺ من مجاورته في الغار بدأ بالطواف بالبيت، ثم انصرف إلى منزله.

وقد كانت خلوته ﷺ في الغار قبل البعثة، يتعبد لله فيها بما يفتح الله عليه.

أما بعد البعثة فقد فرض الله عليه خلوة من نوع آخر، هي التهجد وقيام الليل، كما قال سبحانه:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩ ﴾ [الإسراء/ ٧٩].

ولما كَمُل للنبي ﷺ أربعون سنة، وخرج إلى حراء كما كان يخرج في شهر رمضان، أتاه جبريل ﷺ بأمر الله ﷻ ، فأشرق عليه نور النبوة، وأكرمه الله تعالى بالرسالة، وبعثه سبحانه رحمة للعالمين إلى يوم الدين.

وكانت بعثته ﷺ في يوم الاثنين من شهر رمضان، وأول ما أكرمه الله بنبوته أنزل عليه القرآن كما قال الله سبحانه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة/ ١٨٥].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ، قَالَ : «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدتُّ فيهِ ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فيهِ» أخرجه مسلم (١).

وبعث الله نبيه ﷺ وعمره أربعون سنة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بُعِثَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ أُمِرَ بالهجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. متفق عليه (٢).

أما عن قصة بدء الوحي بالتفصيل فقد نقلته للأمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالحَةُ فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ وَكَانَ يخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ - قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إلى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ.

فَجَاءَهُ الملَكُ ، فقَالَ : اقْرَأْ ، قَالَ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، قَالَ : فَأَخَذَني فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، قُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَني فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَني فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ الله عَنْهَا ، فَقَالَ : « زَمِّلُوني زَمِّلُوني » ، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فَقَالَ لخَدِيجَةَ ، وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ : «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» .

فَقَالَتْ خَدِيجَةُ : كَلَّا، والله مَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتحمِلُ الكَلَّ ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ ، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١١٦٢).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٩٠٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٥١).

فِي الجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : يَا ابْنَ عَمِّ ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : يَا ابْنَ أَخِي ، مَاذَا تَرَى ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى.

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى ﷺ،يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الوَحْيُ. متفق عليه[1].

ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ مدة يسيرة، أياماً معدودة، وذلك من رحمة الله به ﷺ ، ليذهب عنه ما كان وجده من الروع، وليحصل له التشوق إلى العود، وليعلمه ربه أن الوحي خاص بالله وحده، متى شاء أنزله، وأن محمداً ﷺ لا يملك تقديمه ولا تأخيره: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ [الضحى/ ١-٣].

وعَنْ جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : حُبِسَ الوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ، وَحُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ ، فَجَعَلَ يخْلُو فِي حِرَاءٍ ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُقْبِلٌ مِنْ حِرَاءٍ إِذَا أَنَا بِحِسٍّ مِنْ فَوْقِي، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الَّذِي أَتَانِي بِحِرَاءٍ فَوْقَ رَأْسِي عَلَى كُرْسِيٍّ، قَالَ: « فَلَمَّا رَأَيْتُهُ جُئِثْتُ عَلَى الأَرْضِ ، فَلَمَّا أَفَقْتُ أَتَيْتُ أَهْلِي مُسْرِعًا ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي ، فَأَتَانِي جِبْرِيلُ ﷺ ، فَقَالَ : "يَأَيُّهَا المُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ"» أخرجه أحمد[2].

ثم نزل الوحي على رسول الله ﷺ بعد أن ذهب عنه الروع، وظهرت له الحقيقة بالنبوة، وبدأ يترقب مجيء الوحي، ويستعد له، جاءه جبريل بالوحي مرة ثانية.

وكان النبي ﷺ أثناء فترة الوحي يذهب إلى غار حراء فيخلو فيه.

وبينما هو نازل ذات يوم إذ سمع صوتاً من السماء، فإذا جبريل ﷺ في صورته التي خلقه الله عليها، ساداً ما بين الأفق، فرعب منه، ورجع إلى أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

عَنْ جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الوَحْيُ فَتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ ، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٦٠).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٥٠٣٣).

جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَجُئِثْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إلى الأَرْضِ، فَجِئتُ أَهْلِي ، فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَأَنْزَلَ الله تَعالَى: " يَأَيُّهَا المُدَّثِّرُ – إلى – فَاهْجُرْ"». متفق عليه[1].

وكانت هذه أول آيات نزلت بعد فترة الوحي، وكانت هذه الأوامر المتتابعة إيذاناً وتكليفاً لرسول الله ﷺ بالبدء بالدعوة إلى الله تعالى.

فقام رسول الله ﷺ بالدعوة، وظل قائماً بعدها ثلاثة وعشرين عاماً إلى أن توفاه الله ﷻ ، جزاه الله عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء.

ثم نزلت بعد سورة المدثر مباشرة، سورة المزمل، حيث قال الله ﷻ له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ٤﴾ [المزمل/ ١-٤].

محمد ﷺ نُبئ بـ (اقرأ)، حين أمره جبريل بالقراءة، وأُرسل ﷺ بالمدثر، حين قال الله له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢﴾ [المدثر/ ١-٢].

قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، قم للعبء الثقيل الذي هيأك الله له، قم للجهد والكد والنصب والتعب، قم للأمر الكريم بالتكليف العظيم، والجهاد الطويل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ٧﴾ [المدثر/ ١-٧].

وكان قيام الليل فرض على النبي ﷺ وأصحابه، فقام ﷺ وأصحابه حولاً كاملاً حتى ورمت أقدامهم، فأنزل الله ﷻ : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل/ ٢٠].

فصار قيام الليل تطوعاً بعد فرضيته.

عن سعد بن هشام أنه سأل عائشة رضي الله عنها عَنْ قِيَامِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ:

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣٨) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٦١).

أَلَسْتَ تَقْرَأُ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ. أخرجه مسلم [1].

وبهذا نعلم أن البعثة النبوية مرت بالمراحل الآتية:

حيث انتشر أولاً في الأمم أن الله سيبعث نبياً في هذا الزمان .. ثم دنا لما وقت النبوة حبب الله إليه ﷺ الخلوة .. ثم الرؤيا الصادقة في منامه ﷺ، والتي امتدت ستة أشهر .. ثم نزول الوحي بـ (اقرأ) على الرسول ﷺ حين جاءه جبريل في الغار، وهي مرتبة النبوة، وهي الإخبار فقط، دون الأمر بالإنذار .. ثم نزل الوحي على النبي ﷺ بالأمر بالإنذار، وهي مرتبة الرسالة، فأصبح بذلك نبياً ورسولاً للبشرية كافة، وللعالم أجمع: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان/ ١].

والوحي من الله تعالى إلى رسوله ﷺ له مراتب شتى:

الأولى: الرؤيا الصادقة، فكان ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وكانت مبدأ وحيه ﷺ، ورؤيا الأنبياء كلها وحي: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح/ ٢٧].

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه ﷺ من غير أن يراه.

الثالثة: أن يكلمه الله تعالى بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى ﷺ من وراء حجاب.

الرابعة: أن يرى ﷺ الملك رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول، وفي هذه الحال يراه الصحابة، كما تمثل جبريل مرة في صورة دحية الكلبي.

الخامسة: أن يرى الملك في صورته التي خلقه الله عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له ﷺ مرتين.

وفي هذه الأحوال يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ٥١﴾ [الشورى/ ٥١].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٤٦).

كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ» .قَالَتْ عَائِشَةُ : وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا. متفق عليه[1].

وكان ﷺ يخاف من نسيان ما أوحى الله إليه من القرآن، فكان يعالج من التنزيل شدة، ويحرك به شفتيه لئلاينساه، فأمره الله أن يستمع وينصت إذا قرأ جبريل، فإذا ذهب جبريل قرأه ﷺ كما قرأه جبريل كما قال سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة/ ١٦-١٩].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٣٣).

٢- مراحل الدعوة في حياة النبي ﷺ

منذ أن أمر الله نبيه ﷺ بالدعوة إلى الله، قام من فوره يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له. واجتناب عبادة ما سواه .

وقد مرت الدعوة في حياة النبي ﷺ منذ بعثته إلى وفاته بفترتين:

الأولى : الفترة المكية : وقد استمرت ثلاثة عشر عاماً.

الثانية : الفترة المدنية : وقد استمرت عشر سنوات.

وتنقسم الفترة المكية إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى : الدعوة السرية، وقد استمرت ثلاث سنوات.

المرحلة الثانية : الدعوة الجهرية، وهي الدعوة جهراً باللسان دون قتال، واستمرت من بداية السنة الرابعة للبعثة، حتى الهجرة إلى المدينة.

١ - الدعوة السرية

استجاب رسول الله ﷺ للأمر بالدعوة والتبليغ في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ ﴾ [المدثر/ ١-٧] .

فنهض ﷺ من فراشه فوراً، وظل يدعو إلى الله سراً لمدة ثلاث سنين، فبدأ يدعو إلى توحيد الله ، ونبذ كل مظاهر الشرك، والدعوة إلى مكارم الأخلاق.

فبدأ ﷺ يدعو إلى الإسلام سراً، لئلا يفاجئ أهل مكة بما يهيجهم عليه، فجعل يعرض الإسلام على ألصق الناس به، وأقربهم إليه، من أهل بيته، وأصدقائه، ومن يتوسم فيهم الخير ممن يعرفهم بحب الحق، ويعرفونه بالصدق والصلاح.

فأجاب الرسول ﷺ إلى الإسلام أفراد في مقدمتهم:

١- خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، زوج الرسول ﷺ، وهي أول من آمن به من النساء، بل هي أول من آمن به مطلقاً.

٢- ورقة بن نوفل، ولكنه مات مبكراً.

٣- ثم أسلم علي بن أبي طالب ﷺ، وهو ابن عم النبي ﷺ، أسلم وهو ابن عشر سنين، وهو أول من أسلم من الصبيان، وكان يسكن عند النبي ﷺ في بيته.

٤- ثم أسلم مولاه زيد بن حارثة ا لكلبي، وهو أول من أسلم من الموالي.

٥- ثم سارعت إلى الإسلام بنات النبي ﷺ (رقية، وزينب، وأم كلثوم، وفاطمة) رضي الله عنهن.

٦- وأول من أسلم من خارج بيت النبي ﷺ أبو بكر الصدِّيق ﷺ، فهو أول من آمن بالرسول ﷺ من الرجال البالغين الأحرار، وكان صديقاً للنبي ﷺ، وهو أصغر من الرسول ﷺ بسنتين ونصف تقريباً، وكان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ.

عن أبي الدرداء ﷺ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ» فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَالتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لي فَأَبَى عَلَيَّ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ . فَقَالَ : « يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَابَكْرٍ» - ثَلاثًا- ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ

أَبي بَكْرٍ فَسَأَلَ: أَثَّمَ أَبوبَكْرٍ ، فقَالُوا : لَا. فَأَتَى إلى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبوبَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، والله أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ - مَرَّتَيْنِ -، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبوبَكْرٍ : صَدَقَ، وَوَاسَاني بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لي صَاحِبِي» - مَرَّتَيْنِ - فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا. أخرجه البخاري [1].

ولما أسلم أبو بكر الصديق أظهر إسلامه، ودعا إلى الله ورسوله، وكان أبو بكر ﵁ رجلاً كريماً، مُؤلفاً لقومه، محبوباً، نساباً، سهلاً، تاجراً، ذا خُلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه، لعلمه وجوده وتجارته وحسن مجلسه.

فكان ﵁ يدعو إلى الله تعالى كل من وثق به من قومه، ممن يغشاه، ويجلس إليه، أو يذهب إليه.

وأبو بكر ﵁ أول من دعا إلى الله تعالى، وقد أسلم على يديه في بداية الدعوة خمسة من العشرة المبشرين بالجنة، وهم: (عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله).

فكان هؤلاء النفر هم الرعيل الأول، وطليعة الإسلام، فجاء بهم أبو بكر إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له، وأسلموا، وأصبحوا من جنود الإسلام.

وقامت كذلك خديجة رضي الله عنها بالدعوة إلى الله ، فدعت بناتها إلى الإسلام فأسلمن، ودعت صديقاتها.

ثم تلا هؤلاء من المسلمين جمع آخر، وهم:

أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وأخواه: قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وأم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب، وخباب بن الأرت، وعتبة بن غزوان، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم أجمعين.

ثم بدأ الناس يتسامعون برسالة الإسلام، وسارع الفقراء وغيرهم إلى الدخول في الإسلام،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٦١).

فأسلم مسعود بن ربيعة، وعياش بن أبي ربيعة، وخنيس بن حذافة، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش، وجعفر بن أبي طالب وزوجته أسماء بنت عميس، والسائب بن مظعون، ونعيم بن عبد الله النحام، وعامر بن فهيرة، وخالد بن سعيد بن العاص، وأبو حذيفة بن عتبة، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان، وبلال بن رباح، ومصعب بن عمير، وعمرو بن عنبسة .. وغيرهم من السابقين إلى الإسلام.

وجميع هؤلاء أسلموا سرا، وقد زاد عددهم على سبعة وستين نفراً من الرجال والنساء، عامة هؤلاء من الأغنياء والوجهاء والأشراف، وثلاثة عشر فقط من الموالي والأرقاء والمستضعفين.

وبجهود هؤلاء وغيرهم انتشر الإسلام بمكة وخارجها على يد هؤلاء الأغنياء والفقراء، والسادة والموالي، والرجال والنساء، والكبار والصغار.

وكان ﷺ يجتمع بهؤلاء السابقين إلى الإسلام مستخفياً، فيذكِّرهم بالله، ويرشدهم إلى دينهم سراً؛ لأن الدعوة كانت لا تزال فردية وسرية.

وفي هذه المرحلة كان ﷺ يلتقي بمن أسلم في دار (الأرقم بن أبي الأرقم)، عند جبل الصفا.

ولعل سبب اختيارها أن الأرقم لم يكن معروفاً بإسلامه، ولأنه من بني مخزوم حاملة لواء العداء لبني هاشم، لذا يستبعدون اللقاء في قلب دور الأعداء، ولأنه كان صغيراً عمره في حدود ستة عشر عاماً، والأنظار تنصرف عادة إلى الكبار، ولأن داره قرب الصفا حيث تشتد الحركة، مما لا يلفت النظر إلى حركة خاصة فيه.

وكان من حكمة الله ﷻ أن أَلهم رسوله ﷺ أن يقوم بالدعوة في البداية سراً، لئلا يفاجئ أهل مكة بما يهيجهم عليه، ويثيرهم عليه، فيئدون الدعوة في مهدها.

ولكي يكون للدعوة أنصار وأعوان يحمونها إذا جهر بها رسول الله ﷺ، وظهر لها أعداء يحاولون القضاء عليها.

وكان مقتضى حبه ﷺ للدعوة، وحماسه لها، أن يدعو كل من يلاقيه في السوق أو عند الكعبة، أو غيرها، لكنه لم يتحدث إلا مع أفراد معدودين، مؤجلاً الدعوة العامة للوقت المناسب.

والدعوة الفردية هي أصل الدعوة وأساسها، وأكثر دعوة الرسول ﷺ كانت فردية، والدعوة الفردية لا تكلف شيئاً، لأنها تحصل في المنزل والطريق والسوق ووسائل المواصلات

والمطارات ووسائل الاتصال وغيرها.

وهي أحسن طرق الدعوة، لأنها تقوم على الاستفادة من اللقاءات والزيارات والاجتماعات، ويتحدث فيها فرد مع فرد، ويعرض عليه ما يريد بهدوء، مع إفساح المجال للأخذ والعطاء والحوار.

وسر سرية الدعوة في البداية إرشاد الدعاة في كل مكان وزمان إلى الأخذ بالأسباب، وتقديم مصلحة حفظ النفس، على مصلحة الدين المرجوحة.

وكان ﷺ حين استخفائه وأصحابه بدار الأرقم، يأمرهم بالتزام الحيطة والحذر، والتخفي، وعدم الإعلان عن الإسلام إلى أن يقضي الله أمره.

فكانوا إذا أرادوا الصلاة خرجوا إلى الشعاب فاستخفوا فيها بصلاتهم عن أنظار المشركين.

وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء: ركعتين قبل طلوع الشمس، في وقت الفجر، وركعتين قبل الغروب في وقت العصر كما قال سبحانه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۝٥٥﴾ [غافر/ ٥٥].

وقيام الليل كان واجباً على النبي ﷺ، وعلى أمته حولاً، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء/ ٧٩].

ثم نسخ الله وجوبه ليلة الإسراء بفرض الصلوات الخمس، وبقي حكم التهجد سنة مؤكدة.

ومرت ثلاث سنوات، والدعوة لم تزل سرية فردية، وقد تكونت خلال هذه الفترة جماعة من المؤمنين، تقوم على المحبة والأخوة والتعاون، وتبليغ الرسالة، ثم نزل الوحي يُكلف رسول الله ﷺ بمعالنة قومه بالدعوة، ومجابهة باطلهم، ومهاجمة أصنامهم جهاراً، كمال قال سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر/ ٩٤-٩٥].

٢- الدعوة الجهرية

أمر الله رسوله ﷺ أن يصدع بما جاء به من الحق، وأن ينادي الناس بأمره الذي أرسله الله به، وذلك بعد أن ظل مستخفيا بالدعوة ثلاث سنين.

وأول ما نزل من القرآن بهذا الشأن: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) ﴾[الشعراء/ ٢١٤-٢١٦] .

ثم أنزل الله قوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) ﴾[الحجر/ ٩٤-٩٥].

فبدأ ﷺ بتنفيذ أمر ربه، فكان أول شيء فعله أن دعا جميع ذويه وقرابته وعشيرته من بني هاشم، ونفر من بني عبد المطلب، فاجتمع أربعون رجلاً أو يزيدون، فأكرمهم رسول الله ﷺ وأطعمهم، ودعاهم إلى الله، وخوفهم من عقابه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لمّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ" دَعَا رَسُولُ الله ﷺ قُرَيْشًا ، فَاجْتَمَعُوا ، فَعَمَّ ، وَخَصَّ ، فَقَالَ : «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي هَاشِم ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةُ ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا» متفق عليه[1].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ : لمَّا نَزَلَتْ "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ " وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ ، خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ : «يَا صَبَاحَاهْ». فَقَالُوا: مَنْ هَذَا ؟ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : « أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟ » قَالُوا : مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا ، قَالَ : «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ». قَالَ أَبولَهَبٍ : تَبًّا لَكَ، مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لهذَا ، ثُمَّ قَامَ ، فَنَزَلَتْ : " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ" متفق عليه[2].

ثم جمع ﷺ قرابته وعشيرته مرة ثانية، وصنع لهم طعاماً، فأكلوا وشربوا، ثم خطبهم ﷺ، ودعاهم إلى الله عز وجل .

---

(١) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٤٧٧١) ، ومسلم برقم (٢٠٤) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٤٩٧١) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٠٨).

وبعد أن تأكد النبي ﷺ من تعهد عمه أبي طالب بحمايته، أخذ ﷺ يفكر في وسيلة جديدة يبلغ فيها قومه رسالة ربه، فصعد ﷺ جبل الصفا ذات يوم، ودعا قومه إلى الله ﷻ .
وفي بدء الرسول ﷺ بإنذار عشيرته الأقربين، مع أنه رسول لجميع البشرية، توضيح وبيان لدرجات مسئوليات الداعي التي يجب أن تبدأ من الأهل والأقارب.
فالشخص مسئول عن أهله وزوجته وأولاده ووالديه وأعمامه وأقاربه، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٤].
وفي المواجهة القوية من أبي لهب، وهذا العداء المعلن من أول لحظة من عم النبي ﷺ، أكبر دليل يوضح للناس أن هذه الدعوة ليست دعوة عشائرية، أو عصبية قبلية، بل هي دين ورسالة من الله تعالى إلى خلقه من الإنس والجن، كما قال سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .
وظل ﷺ يدعو كفار قريش إلى الإسلام، ويدعو لهم بالهداية، والله يحفظه ويكلؤه، ويطمئنه بحراسته وحمايته له من أعدائه والمستهزئين، كما قال سبحانه: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٤-٩٥].
ولكمال معرفته ﷺ بالحق الذي أرسله الله به، وشدة رحمته لقومه، فإنه قد ضاق صدره بسبب أقوالهم المعاندة للدين، فأنزل الله له حَلَّ ذلك بقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩].
لقد كان ﷺ كبير المنزلة في بلده وقومه، معروفاً بالأمانة والصدق، يحبه الجميع لكمال خلقه، ولكنه بعد الجهر بالدعوة واجه مكة بما تكره، وتعرض لخصام السفهاء والكبراء والأقارب.
وأول قوم يغامر بخسران مودتهم هم عشيرته الأقربون، لكن هذه الآلام تهون في سبيل إبلاغ الحق الذي أرسله الله به، وشرح صدره للقيام به، لأنه يعلم أن الذي أرسله معه، وما عليه إلا البلاغ والصبر: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٧-١٢٨].

١ - موقف قريش من الجهر بالدعوة

كانت قريش تظن أن دعوة محمد ﷺ كسائر الدعوات التي ظهرت في مكة، ثم لم تلبث أن انتهت، ولكن لما جهر رسول الله ﷺ بدعوته، وبدأ يتحدث عن الشرك وأهله، ويبين حقائق الأصنام، وأنها حجارة لا تنفع ولا تضر، حينذاك أدركت قريش أن هذه الدعوة ليست كالدعوات السابقة، وأنها بدأت تدخل كل منزل.

وقريش في البداية سالمت الرسول ﷺ، ولم تتعرض له، لكنه لما تحدث عن الإلهية والتوحيد، ونبذ كل ما يخالف ذلك، وذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا على خلافه وعداوته إلا عمه أبا طالب، الذي حدب عليه، ومنعه، وقام دونه ضد من عاداه.

ومضى رسول الله ﷺ في دعوته مُظهراً لأمر الله تعالى، ذاكراً حقائق الأصنام، مبيناً أن من عبدها من دون الله فهو في ضلال مبين، وكان ذلك في سنة أربع من البعثة.

لقد فاجأ رسول الله ﷺ العرب بما لم يكونوا يألفونه ويعرفونه، فاستنكروا دعوته أشد الاستنكار، وكان كل همهم القضاء عليه وعلى أصحابه ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص/ ٢-٧].

والذي دفع قريشاً إلى رفض دعوة محمد ﷺ هو تقليد الآباء، وتلك سنة جاهلية إبليسية كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٢١﴾ [لقمان/ ٢١].

إن تقليد الآباء عقبة تحول بين الإنسان والإصغاء للحق، لأنه تلقَّى دينه وراثة عن أبيه دون تفكير، وما عارض الكفارُ الرسلَ إلا بالعادات المستقرة الموروثة لهم عن أسلافهم، فيرى أباه أو أقاربه يفعلون شيئا فيفعله ويتعود عليه، ولا يكتفي بهذا، بل إذا ذكر بأن هذا خطأ لا يتجاوب في تركه، بل ينكر ذلك، لأنه ألفه، ويستصعب مواجهة عادات أهل بلده : ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۝٢٢

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف/ ٢٢-٢٣].

وكان أبو طالب يعرف صدق محمد ﷺ، ويدافع عنه، ويحنو عليه، ويحسن إليه، ويحامي عنه، وهو مستمر مع ذلك على شركه، وكان رسول الله ﷺ أحب خلق الله إليه طبعاً، وسر ذلك أن الله ﷻ امتحن قلبه بحب محمد ﷺ حباً طبيعياً لا شرعياً، وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه الله لرسوله من الحماية، إذ لو أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه، ولاجترؤا عليه، ولمدوا أيديهم، وألسنتهم بالسوء إليه.

وكفار مكة مقرون بقلوبهم أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، ولكنهم قدموا أهواءهم، وتقليد آبائهم، على اتباع الحق، كما قال الله عنهم: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣﴾ [الأنعام/ ٣٣].

ولما رأى كفار قريش ثبات النبي ﷺ على دعوته، ورأوا أنه لا يجيبهم إلى شيء مما أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه، وقام دونه، ولم يسلمه لهم، عند ذلك مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، وهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب، وأبو جهل عمرو بن هشام، والوليد بن المغيرة، ونبيه ومنبه ابناء الحجاج، والعاص بن وائل السهمي.

فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه.

فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه، مؤملين إجابته.

- **موقف الوليد بن المغيرة:**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ الوَلِيدَ بْنَ المُغِيرَةِ جَاءَ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالاً. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ.

قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالاً. قَالَ : فَقُلْ فيهِ قَوْلاً يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ .
قَالَ : وَمَاذَا أَقُولُ، فَوَاللهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالأَشْعَارِ مِنِّي، وَلا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي، وَلا بِأَشْعَارِ الجِنِّ، والله مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، ووالله إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاوَةً ، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ. قَالَ: لا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ، قَالَ: هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ. فَنَزَلَتْ: " ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا". أخرجه الحاكم[1].

- **قريش تصد الحجاج عن سماع الدعوة :**

استمر النبي ﷺ في دعوته، يظهر دين الله تعالى، ويدعو إليه، حتى اقترب موسم الحج، وعرفت قريش أن وفود العرب ستقدم عليهم، واحتاروا في أمر الرسول ﷺ، وتشاوروا كيف يحولون بينه وبين الحجاج، لأنه سيؤثر عليهم، وكفار قريش يعلمون أن محمداً صادق أمين، فاتفقوا أنهم يصفون النبي ﷺ بأنه ساحر.
وكان هذا الرأي رأي الوليد بن المغيرة المخزومي الذي أنزل فيه: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾[المدثر/ ١١-٢٥].
وبعد أن اتفق زعماء قريش على هذا الرأي، وهذا القرار، باشروا في تنفيذه، فجلسوا بسبل الناس حين قدموا الموسم، فجعل لا يمر بهم أحد إلا حذروه رسول الله ﷺ، وذكروا له أمره، ليصرفوهم عنه.
والذي تولى كبر ذلك عمه (أبو لهب)، فقد كان رسول الله ﷺ يتبع الناس إذا وافى موسم الحج في منازلهم، وفي سوق عكاظ، ومجنة، وذي المجاز، فيدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويخبرهم أنه نبي مرسل، وأبو لهب خلفه يقول للناس لا تطيعوه، ولا تسمعوا منه، فإنه صابئ كذاب.

---
(١) **صحيح**/ أخرجه الحاكم برقم (٣٩٢٦).

عن رَبِيعَةَ بْن عَبَّادٍ الدَّيلِي ﵁ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي المَجَازِ وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا» وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الوَجْهِ، أَحْوَلُ، ذُو غَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ. فَسَالتُ عَنْهُ، فَذَكَرُوا لي نَسَبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالُوا لي: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ. أخرجه أحمد[1].

ولما صدرت العرب من ذلك الموسم انتشر ذكر رسول الله ﷺ في بلاد العرب كلها، وخشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه، فقال قصيدته المشهورة التي تعوذ فيها بحرم مكة، وتودد فيها أشراف قومه، وأكَّد لهم أنه غير مسلم رسول الله ﷺ ولا تاركه حتى يهلك دونه ، ومن أبلغ أبياتها قوله:

وَلمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ لَا وُدَّ فِيهِمُ ... وَقَدْ قَطَّعُوا كُلَّ العُرَى وَالوَسَائِلِ

وَقَدْ صَارَحُونَا بِالعَدَاوَةِ وَالأَذَى ... وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ العَدُوِّ المزَايِلِ

وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظِنَّةً ... يَعَضُّونَ غَيْظًا خَلْفَنَا بِالأَنَامِلِ

صَبَرْتُ لهُمْ نَفْسِي بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ ... وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُرَاثِ المقَاوِلِ

وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ البَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي ... وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالوَصَائِلِ

قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ ... لَدَى حَيْثُ يَقْضِي حَلْفَهُ كُلُّ نَافِلِ

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ ... عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ

وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيبَةٍ ... وَمِنْ مُلْحَقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ نُحَاوِلِ

وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ ... وَرَاقٍ لِبِرٍّ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ

وَبِالبَيْتِ حَقِّ البَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةٍ ... وبالله إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِغَافِلِ

وَبِالحَجَرِ المُسْوَدِّ إِذْ يَمْسَحُونَهُ ... إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالأَصَائِلِ

وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً ... عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ نَاعِلِ

وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ ... وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاجِلِ

وَلَيْلَةِ جَمْعٍ وَالمَنَازِلِ مِنْ مِنًى ... وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ

وَبِالجَمْرَةِ الكُبْرَى إِذَا صَمَدُوا لهَا ... يَؤُمُّونَ قَذْفًا رَأْسَهَا بِالجَنَادِلِ

وَكِنْدَةَ إِذْ هُمْ بالحِصَاب عَشِيَّةً ... تُجِيزُ بِهِمْ حُجَّاجُ بَكْرِ بْن وَائِل

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٦٠٢٣).

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا مِنْ مُعَاذٍ لِعَائِذٍ ... وَهَلْ مِنْ مُعِيذٍ يَتَّقِي اللهَ عَاذِلِ
يُطَاعُ بِنَا العِدَى وَوَدُّوا لَوَ انَّنَا ... تُسَدُّ بِنَا أَبْوَابُ تُرْكٍ وَكَابُلِ
كَذَبْتُمْ وَبيْتِ اللهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا ... وَلمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالحَلَائِلِ
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ بِالحَدِيدِ إِلَيْكُمُ ... نُهُوضَ الرَّوَايَا تحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالَ اليَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ
يَلُوذُ بِهِ الهُلَّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
وَسَائِلْ أَبَا الوَلِيدِ مَاذَا حَبَوْتَنَا ... بِسَعْيِكَ فِينَا معْرِضاً كَالمُخَاتِلِ
وَكُنْتَ امْرَأً مِمَّنْ يُعَاشُ بِرَأْيِهِ ... وَرَحْمَتِهِ فِينَا وَلَسْتَ بِجَاهِلِ
فَعُتْبَةُ لَا تَسْمَعْ بِنَا قَوْلَ كَاشِحٍ ... حَسُودٍ كَذُوبٍ مُبْغِضٍ ذِي دَغَاوِلِ
وَمَرَّ أَبُو سُفْيَانَ عَنِّي مُعْرِضًا ... كَمَا مَرَّ قَيْلٌ مِنْ عِظَامِ المَقَاوِلِ
يَفِرُّ إلى نَجْدٍ وَبَرْدِ مِيَاهِهِ ... وَيَزْعُمُ أَنِّي لَسْتُ عَنْكُمْ بِغَافِلِ
وَيُخْبِرُنَا فِعْلَ المنَاصِحِ أَنَّهُ ... شَفِيقٌ وَيُخْفِي عَارِمَاتِ الدَّوَاخِلِ
أَمُطْعِمُ لمْ أَخْذُلْكَ فِي يَوْمِ نَجْدَةٍ ... وَلَا مُعْظِمٍ عِنْدَ الأُمُورِ الجَلَائِلِ
أَمُطْعِمُ إِنَّ القَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةً ... وَإِنِّي مَتَى أُوكَلْ فَلَسْتُ بِوَائِلِ
جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا ... عُقُوبَةَ شَرٍّ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلِ
بِمِيزَانِ قِسْطٍ لَا يُخِسُّ شَعِيرَةً ... لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ
لَقَدْ سَفُهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا ... بَنِي خَلَفٍ قَيْضًا بِنَا وَالغَيَاطِلِ
وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ ... وَآلِ قُصَيٍّ فِي الخُطُوبِ الأَوَائِلِ
وَسَهْمٌ وَمخْزُومٌ تمَالَوْا وَأَلَّبُوا ... عَلَيْنَا العِدَى مِنْ كُلِّ طِمْلٍ وَخَامِلِ
فَعَبْدَ مَنَافٍ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمِكُمْ ... فَلَا تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاغِلِ
لِيَهْنِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ عُقُوقُنَا ... وَخِذْلَانُنَا وَتَرْكُنَا فِي المعَاقِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ كُلِّفْتُ وَجْدًا بِأَحْمَدٍ ... وَإِخْوَتِهِ دَأْبَ المُحِبِّ المواصِلِ
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمَّلٍ ... إِذَا قَاسَهُ الحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ
حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ ... يُوَالِي إِلهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ

كَرِيمُ المَسَاعِي مَاجِدٌ وَابْنُ مَاجِدٍ لَهُ إِرْثُ مجْدٍ ثَابِتٍ غَيْرِ نَاصِلِ
وَأَيَّدَهُ رَبُّ العِبَادِ بِنَصْرِهِ وَأَظْهَرَ دِينًا حَقُّهُ غَيْرُ زَائِلِ
فوالله لَوْلَا أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ تُجَرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي المَحَافِلِ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مُكَذَّبٌ لَدَيْنَا وَلَا يُعْنَى بِقَوْلِ الأَبَاطِلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدٌ فِي أَرُومَةٍ تُقَصِّرُ عَنْهَا سُورَةُ المتَطَاوِلِ
حَدِبْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمَيْتُهُ وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَا وَالكَلَاكِلِ

٢- أساليب كفار قريش في مواجهة الرسول ﷺ ودعوته

لما رأى كفار قريش أن النبي ﷺ ماضٍ في دعوته، لا يصرفه عن الدعوة إلى الله شيء، ولم يثنه عنها حديثهم مع عمه أبي طالب، ولا غير ذلك من المحاولات الأخرى، فلجؤا إلى أساليب أخرى لمواجهة الرسول ﷺ، ودعوته، واختاروا لقمع هذه الدعوة عدة أساليب تنفر الناس عنها، ومن ذلك:

١- إثارة الشبهات حول مصدر القرآن الذي جاء به :

وذلك ببث الدعايات الكاذبة حول القرآن، والرسول الذي جاء به، حتى لا يبقى لأحد مجال في تدبر دعوته، أو الاستماع إليه.

فكان كفار قريش يقولون عن رسول الله ﷺ كما أخبر الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ﴾ [النحل/ ١٠٣] .

وكانوا يقولون عن الرسول ﷺ: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧﴾ [الفرقان/ ٧] .

وكانوا يقولون عن القرآن: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ [الفرقان/ ٤-٥].

وكانوا يشككون في مصدر القرآن: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾[النحل/ ١٠٣].

٢- معارضة القرآن بأساطير الأولين :

وذلك لإشغال الناس بالأساطير عن القرآن، والذي تولى كبر ذلك النضر بن الحارث، وكان من شياطين قريش، وممن يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد تعلم أحاديث ملوك الفرس، فكان يعقب الرسول ﷺ في مجلسه إذا قام، ويقول أنا أحسن حديثاً منه، وما حديثه إلا أساطير الأولين، ثم يحدثهم.

وقد نزل في النضر قوله تعالى : ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩﴾ [الجاثية/ ٧-٩] .

ونزل فيه: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٥﴾[القلم/ ١٥] .

٣- أسلوب السخرية والاستهزاء :

كان كفار مكة يسخرون ويستهزؤن بالقرآن الكريم، والنبي ﷺ، وذلك لصد الناس عنه، وتخذيل المسلمين، وتحقيرهم، ومواجهتهم بحرب نفسية توهن قواهم، وتشككهم في دينهم.

فرموا النبي ﷺ بالجنون: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجر/ ٦] .

ورموه بالسحر والكذب: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ص/ ٤] .

ورموه بالشعر: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٥] .

وكان ﷺ إذا قرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله تعالى سخروا منه: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [فصلت/ ٥] .

وسخروا منه حين أخبرهم أنهم سيبعثون بعد الموت : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ ﴾ [الرعد/ ٥] .

وكان أبو جهل فرعون هذه الأمة، يستهزئ بالرسول ﷺ في كل ناد، فقال: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، كما أخبر الله عنه وعن وأصحابه : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال/ ٣٢-٣٣] .

وجاءت أم جميل زوجة أبي لهب، فقالت للرسول ﷺ ساخرة مستهزئة: إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ متفق عليه [1].

إن الاستهزاء باللسان أشد وقعاً على النفس من جرح السنان، وإذا كان الاستهزاء شديداً على النفس، فإنه ولا شك أشد وقعاً على الرجل الشريف البريء، الذي له المكانة الرفيعة في الخُلق والعقل، والصدق والأمانة.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٩٥٠) ، ومسلم برقم (١٧٩٧).

ليس من السهل عليه ﷺ أن يجد نفسه في موقف يُسخر منه، ويُستهزأ به، ويوصف بالسحر والجنون والكذب، من قوم كانوا يمدحونه ويحمدونه من قبل، ولكن رسول الله ﷺ هان عليه كل ذلك في سبيل الله ومرضاته، رغم ما فيه من القسوة وألم القلب.

وبهذا نعلم عظمة حلمه ﷺ على من آذاه، وقوة صبره على قومه وهم يستهزؤن به، ويسخرون منه، لأنه يعلم مالا يعلمون، ويتطلع إلى ما لا يتطلعون، والله يؤيده ويصبره: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩].

والله سبحانه يأمره بالصبر كلما اشتد عليه الأذى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم/ ٦٠].

والغالي يبذل في سبيله كل غال، فلابد من الصبر الطويل على كل استهزاء وأذى، ولابد في سبيل الله من تحريك القدم، وإتعاب البدن، وإيلام القلب بالتهم، حتى يظهر دين الله ﷻ.

عن عُرْوَةَ بْن الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ: يَا رَسُولَ الله ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْم أُحُدٍ؟ ، فَقَالَ : «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إلى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ ، فَنَادَانِي، فَقَالَ : إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ .

قَالَ : فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الله قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ» فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» متفق عليه [(١)].

فجعل ﷺ ما ناله من الاستهزاء، وشماته الأعداء، أشد مما لاقاه يوم أحد من قتل حمزة مع سبعين من أصحابه، مع ما ناله من الجراحة: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يس/ ٣٠].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (١٧٩٥).

وكلما افترى الكفار فرية على القرآن والرسول ﷺ كذبهم الله بوحي يُتلى كما قال سبحانه: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحاقة/ ٣٨-٤٣] .

وكفار قريش لما عجزوا أن يجدوا حجة أو برهاناً يواجهون به النبي ﷺ؛ لجأوا إلى السيف والقوة كما فعل فرعون مع موسى ﷺ: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢٩] .

والله سبحانه يربي رسوله ﷺ ليواجه أهل السخرية والاستهزاء بالتأكيد على الأمور التالية :

١- أن جميع الأنبياء واجههم الكفار بالسخرية والاستهزاء، فهي سنة الله لتربية أنبيائه وأوليائه: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الزخرف/ ٦-٧] .

٢- الإكثار من الحث على الصبر، وقد أمر الله رسوله ﷺ بالصبر على مشاق الدعوة في أكثر من ثمانين موضعاً في القرآن كما قال سبحانه : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم/ ٦٠] .

وقال سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [ق/ ٣٩] .

٣- الاستعانة على الدعوة بالعبادة: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩] .

وقال سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [طه/ ١٣٠] .

٤- تذكير المستهزأ به أنه ليس وحده في الميدان، فقد استهزأ الكفار بالله وآياته، ورسله، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة/ ٦٥-٦٦] .

٥- بيان أن المستهزئ مغلوب ومفلس، وأنه أقل درجة من المستهزأ به، فليعلن الحق الذي معه، ولا يبالي بما سواه: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٤-٩٦] .

وقال سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم/ ٦٠].

٤- أسلوب المواجهة بالقوة :

أعداء الأنبياء إذا سمعوا الحق فإما أن يستسلموا له، وإما أن يستمروا في مواجهته بالقوة إن استطاعوا، فإن لم يستطيعوا واجهوه بالسخرية والاستهزاء.

وكفار قريش جمعوا في إيذاء النبي ﷺ وأصحابه بين السخرية والاستهزاء تارة، وبين الإيذاء المادي الجسدي تارة أخرى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٥٧] .

وقد قام المشركون بالأذى المعنوي والجسدي لِيَحُوْلوا دون انتشار الدعوة، وإعادة الداخلين فيها إلى حظيرة الكفر.

وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته هم: (أبو لهب، وعقبة بن أبي معيط، والحكم بن أبي العاص)، وهؤلاء كانوا جيرانه، وكان أحدهم يطرح رحم الشاة على رسول الله ﷺ وهو يصلي، وبعضهم يطرحها في برمته إذا نصبت له.

عَنْ ابن مسعود ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ ، إِذَا سَجَدَ فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ ، فَجَاءَ بِهِ ، فَنَظَرَ حَتَّى إِذَا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَأَنَا أَنْظُرُ لا أُغَيِّرُ شَيْئًا لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ .

قَالَ : فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَرَسُولُ الله ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ : «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ ، قَالَ : وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ البَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ ، ثُمَّ سَمَّى «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ»، وَعَدَّ السَّابِعَ ، فَلَمْ يَحْفَظْ ، قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ الله ﷺ صَرْعَى فِي القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ. متفق عليه [1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟ ، قَالَ : فَقِيلَ : نَعَمْ ، فَقَالَ : وَاللَّاتِ وَالعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ ، قَالَ : فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٤٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٧٩٤).

رَقَبَتِهِ، قَالَ : فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ ، قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : مَا لَكَ؟ فَقَالَ : إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» أخرجه مسلم [١].

وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : سَالتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ الله ﷺ . قَالَ : رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا ، فَجَاءَ أَبُوبَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الله وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ. أخرجه البخاري [٢].

وكما أوذي النبي ﷺ في سبيل الله فصبر، فقد أوذي أصحابه رضي الله عنهم كذلك فصبروا، حتى أظهر الله دينه:

فأبو بكر رضي الله عنه قام يَخطب في المسجد الحرام فضربه المشركون، وكان ممن ضربه عتبة بن ربيعة، حيث جعل يضربه على وجهه بنعليه، حتى لم يُعرف وجهه من أنفه.

ومصعب بن عمير رضي الله عنه لما علمت أمه بإسلامه أخرجته من منزله، وكان فتىً منعَّماً في بيت ثراء، فأصبح لا يجد ما يسد جوعه.

وجهر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بالقرآن في المسجد الحرام فضربوه ضرباً أثر في وجهه.

أما بلال بن رباح رضي الله عنه فقد نال من العذاب ما لم ينله غيره؛ لأنه كان من الموالي، فكان أمية بن خلف يضع في رقبته حبلا، ثم يسلمه إلى الصبيان يطوفون به جبال مكة، وكان يخرجه إذا حميت الظهيرة إلى بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ويقول له: لا تزال كذلك حتى تموت أو تكفر بمحمد، فلا يزيد على قوله: أحدٌ ، أحدٌ، حتى مر به أبو بكر فاشتراه فأعتقه لوجه الله.

وكان خباب بن الأرت رضي الله عنه يذيقه المشركون أنواع العذاب، وكانوا يضعون على صدره الحجارة، ويضعونه على الجمر، فلا يطفئ الجمر إلا ودك ظهره.

وكان عمار بن ياسر رضي الله عنهما مولى لبني مخزوم، فأسلم هو وأبوه وأمه، فكان المشركون يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الظهيرة فيعذبونهم بحرها.

ومر النبي ﷺ بآل ياسر وهم يعذبون فقال: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةُ»أخرجه الحاكم [٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٩٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٨).

(٣) **صحيح**/ أخرجه الحاكم برقم (٥٦٩٦).

فمات ياسر في العذاب، وطَعن أبو جهل زوجته سمية في قُبلها بحربة فقتلها، فكانت أول شهيدة في الإسلام.

وكان من المستضعفين الذين يعذبهم كفار قريش عامر بن فهيرة، وحمامة أم بلال، وأبا فكيهة، وزنبرة، والنهدية، وصهيب الرومي، وغيرهم رضي الله عنهم.

وكان من المعذبين من أهل مكة : عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد، وخالد بن سعيد بن العاص، وغيرهم رضي الله عنهم.

إن قريشاً لما عجزت أن تقف للدعوة الإسلامية، وأيست من طاعة الرسول ﷺ لها، اجتمع رؤساؤهم وقرروا اللجوء إلى العنف والقوة في محاربة الإسلام والمسلمين، فأصدروا أوامرهم إلى القبائل ليصبوا العذاب والأذى على كل من تابع محمداً ﷺ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ [البروج/٨-٩].

فكانت فتنة كبرى على من آمن، وفُتن فيها من فُتن، وعصم الله من عصم، ومنع الله رسوله ﷺ بعمه أبي طالب، لأنه كان شريفاً في قومه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾ [البروج/١٠].

وكان من أعظم المجاهرين بالظلم لرسول الله ﷺ؛ ولمن آمن به، صناديد قريش، ومن أشدهم وأشهرهم : أبو لهب، وأبو جهل، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، والحكم بن أبي العاص، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأمية بن خلف، وأُبي بن خلف، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وغيرهم.

عَنْ أبي مسعود رضي الله عنه قَالَ : أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ : رَسُولُ الله ﷺ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ الله ﷺ فَمَنَعَهُ الله بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ الله بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ المُشْرِكُونَ، فَالبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الحَدِيدِ ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالٌ ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي الله ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَأَعْطَوْهُ الوِلْدَانَ ، وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ ، أَحَدٌ. أخرجه أحمد وابن ماجه[1].

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٣٨٣٢) وهذا لفظه ، وأخرجه ابن ماجه برقم (١٥٠).

والله سبحانه وتعإلى قادر على حماية الرسول ﷺ وأصحابه، ومنع المشركين من إصابتهم بأذى، ولكن بإصابتهم بما أصابهم من الكفار يتحقق عدة مصالح :

منها: رفعة درجاتهم، وزيادة حسناتهم، وحط سيئاتهم.

ومنها: أن ما أصابهم يوضح لمن بعدهم كيفية مواجهة الإيذاء البدني والمعنوي، وأن المؤمن يُصاب ويُؤذى، فمتى عرف ذلك عمن سبقه صبر، وهان عليه تحمل الأذى في سبيل الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤ ﴾[العنكبوت/ ١-٤] .

وهذه الابتلاءات العظيمة، والشدائد المؤلمة، أثمرت ما يحبه الله ورسوله ، وما يريده الله تعالى ورسوله ﷺ.

فقد تبين بها الطيب من الخبيث، والصادق في إيمانه من الكاذب، ولهذا لم يظهر في مكة منافقون أبداً.

أما في المدينة لما ذهب الإيذاء البدني كثُر المنافقون، ودخل في الإسلام من يكيد له.

وإيذاء الكفار لمن آمن بمكة حقق عكس مرادهم، فقد جعل الإسلام ينتشر، وجعل الصحابة يهاجرون إلى الحبشة، وإلى بقاع الأرض فراراً بدينهم، ومن ذلك قصة الطفيل بن عمرو الدوسي، فقد أسلم بسبب كثرة تشويه كفار قريش لهذا الدين.

وفي إيذاء هؤلاء الكفار للمؤمنين حكمة أدت إلى تعاطف بعض الكفار مع المؤمنين، ومناصرته لهم، وإسلامه، كما حصل من حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، لمَّا علم بإيذاء أبي جهل لمحمد ﷺ، فدخل المسجد الحرام، وضربه على رأسه، ثم قال: أتشتمه؟ فأنا على دينه، أقول ما يقول، فرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعت؟.

وكذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان سبب إسلامه أنه ضرب زوج أخته فاطمة، وضربها لما منعته، فندم واستحيا، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ، في دار الأرقم، وأسلم.

وحين كثر الداخلون في الإسلام كان لابد من مكان يجتمع فيه المسلمون مع الرسول ﷺ، ليعلمهم أمور دينهم، فاختار لهم الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، وكانت على جبل الصفا، وبابها خلفي يدخله الداخل فلا يُرى، وقد اتخذها الرسول ﷺ

مقراً للدعوة في السنة الخامسة من البعثة، وفي هذا تكوين للبيئة الصالحة، والصحبة الطيبة التي تُذكِّر الإنسان إذا نسي، وتعلمه إذا جهل، وتنبهه إذا غفل، ولتكون مقراً للتواصل بين المسلمين، وتعهد الرسول ﷺ لمن آمن به يوماً بعد يوم: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف/ ٢٨] .

٥- محاولة التقريب بين الإسلام والجاهلية :

فقد اعترض رسول الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة الوليد بن المغيرة، والأسود بن المطلب، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، وكانوا من أشراف قومهم، فقالوا: يا محمد هلمَّ فلتعبد ما نعبد، ونعبد ما تعبد، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا حظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون/ ١-٦] .

وكان كفار قريش يرون أن يترك محمد ﷺ بعض ما هو عليه، ويتركون هم بعض ما هم عليه، ليحصل التآلف والتوافق، فأنزل الله ﷻ: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم/ ٥-٩] .

فثبت الله رسوله ﷺ على الحق، وأيده بنصره: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء/ ٧٤-٧٥] .

ولما طال العذاب على المستضعفين من المسلمين ذهب خباب بن الأرت رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ يستنجد به من هذا العذاب، فيضرب الرسول ﷺ لهم الأمثال، فيرجعون راضين مطمئنين صابرين على البلاء.

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه قَالَ : شَكَوْنَا إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ : « كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا

يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلى حَضْرَمَوْتَ لَايخَافُ إِلَّا اللهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». أخرجه البخاري[1].

٦- صبر النبي ﷺ على استهزاء قريش :

صبت قريش وغيرها من القبائل عظيم عذابها على المستضعفين من المسلمين، وغيرهم من الوجهاء والأقوياء.

أما النبي ﷺ فلم تستطع قريش بادئ الأمر أن تبطش به، أو تعتدي عليه كما فعلت بالمسلمين، لأنه كان رجلاً شهماً وقوراً، تتعاظمه نفوس الأعداء والأصدقاء، بحيث لا يُقابل إلا بالإجلال والتوقير من قبل الخاصة والعامة، وكان مع ذلك في منعة عمه أبي طالب.

لكن قريشاً، خاصة أئمة الكفر والضلال، جعلوا يهمزونه ويستهزؤن به، ويسخرون منه ومن أتباعه، ويجادلونه ويخاصمونه.

وكان على رأس المستهزئين أبو لهب عمه، وعقبة بن أبي معيط، والحكم بن أبي العاص، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأبو جهل بن هشام وغيرهم.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْر رضي الله عنها قَالَتْ : لمَّا نَزَلَتْ : " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لهَبٍ" أَقْبَلَتِ العَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ ، وَلهَا وَلْوَلَةٌ وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ وَهِيَ تَقُولُ : مُذَمَّمٌ أَبَيْنَا ، وَدِينَهُ قَلَيْنَا ، وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا ، وَرَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ، ثُمَّ قَرَأَ قُرْآنًا وَمَعَهُ أَبوبَكْرٍ.

فَلَمَّا رَآهَا أَبُوبَكْرٍ قَالَ : يَا رَسُولَ الله ، قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي » ، وَقَرَأَ قُرْآنًا اعْتَصَمَ بِهِ كَمَا قَالَ ، وَقَرَأَ : «وَإِذَا قَرَأْتَ القُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا» ، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَلمَ ْتَرَ رَسُولَ الله ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي . فَقَالَ : لا ، وَرَبِّ هَذَا البَيْتِ مَا هَجَاكِ ، قَالَ : فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ : قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا. أخرجه الحاكم[2].

وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ مذمماً، ثم يسبونه، فكان ﷺ يقول: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْش وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا ، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ» أخرجه البخاري[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦١٢).

(٢) حسن/ أخرجه الحاكم (٣٤٢٨) .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٣).

أما زوجها أبو لهب، عم رسول الله ﷺ فقد بلغ من أمره أنه كان يتبع رسول الله ﷺ في الأسواق والمجامع والأندية، ومواسم الحج، ويكذبه أمام الناس.

عن رَبِيعَةَ بْن عَبَّادٍ الدَّيلِي رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي المَجَازِ وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا» وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الوَجْهِ، أَحْوَلُ، ذُو غَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ. فَسَالتُ عَنْهُ، فَذَكَرُوا لِي نَسَبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالُوا لي: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ. أخرجه أحمد[1].

وتسلط عتبة بن أبي لهب على رسول الله ﷺ بالأذى، وشق قميصه، فدعا عليه رسول الله ﷺ، وقال: «اللَّهم سَلِّط عليهِ كَلْباً من كلابك» فخرج في قافلة يريد الشام فنزل منزلاً فقال: إني أخاف دعوة محمد. قالوا له: كلا. فحطوا متاعهم حوله وقعدوا يحرسونه، فجاء الأسد فانتزعه فذهب به. أخرجه الحاكم[2].

وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ (٣) كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ (٤) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ (٥) نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ (٦) ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ (٩) ﴾ [الهمزة/١-٩].

وأما أخوه أُبيّ بن خلف فجاء يوماً إلى رسول الله ﷺ بعظم بالٍ، فقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما أرم؟ ثم فته بيده، ثم نفخه نحو رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: نعم أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا، ثم يدخلك النار، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾ [يس/٧٨-٨٣].

أما أشقى القوم عقبة بن أبي معيط، فماذا حصل منه؟

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٦٠٢٣).
(٢) حسن/ أخرجه الحاكم (٤٠٣٧).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : كَانَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ لا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ إِلا صَنَعَ طَعَامًا فَدَعَا عَلَيْهِ النَّاسَ جِيرَانَهُ وَأَهْلَ مَكَّةَ كُلَّهُمْ ، وَكَانَ يُكْثِرُ مُجَالَسَةَ رَسُولِ الله ﷺ وَيُعْجِبُهُ حَدِيثُهُ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ الشَّقَاءُ ، فَقَدِمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ سَفَرِهِ فَصَنَعَ طَعَامًا ، ثُمَّ دَعَا رَسُولَ الله ﷺ إلى طَعَامِهِ ، فَقَالَ : « مَا أَنَا بِالَّذِي آكُلُ طَعَامَكَ حَتَّى تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله » . فَقَالَ : اطْعَمْ يَا ابْنَ أَخِي . قَالَ : مَا أَنَا بِالَّذِي أَفْعَلُ حَتَّى تَقُولَ ، فَشَهِدَ بِذَلِكَ ، فَطَعِمَ مِنْ طَعَامِهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : صَبَوْتَ يَا عُقْبَةُ، وَكَانَ خَلِيلَهُ.
فَقَالَ : لا والله مَا صَبَوْتُ ، وَلَكِنْ دَخَلَ إِلَيَّ الرَّجُلُ فَأَبَى أَنْ يَطْعَمَ مِنْ طَعَامِي إِلا أَنْ أَشْهَدَ لَهُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِي قَبْلَ أَنْ يَطْعَمَ ، فَشَهِدْتُ لَهُ فَطَعِمَ . فَقَالَ : مَا أَنَا بِالَّذِي أَرْضَى عَنْكَ أَبَدًا حَتَّى تَأْتِيَهُ فَتَبْزُقَ فِي وَجْهِهِ، وَتَطَأَ عَلَى عُنُقِهِ. قَالَ فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، وَأَخَذَ رَحِمَ دَابَّةٍ فَأَلقَاهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ.
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «لا أَلقَاكَ خَارِجًا مِنْ مَكَّةَ إِلا عَلَوْتُ رَأْسَكَ بِالسَّيْفِ ».
فَأُسِرَ عُقْبَةُ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقُتِلَ صَبْرًا، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ الأُسَارَى غَيْرُهُ ، قَتَلَهُ عَاصِمُ بْنِ ثَابِتُ بْنُ الأَقْلَحِ. أخرجه أبونعيم الأصبهاني في دلائل النبوة[1].

وكان الأخنس بن شُريق من أشراف القوم، وممن يُسمع له، وممن يؤذي رسول الله ﷺ ويصيب منه، ويرد عليه، فأنزل الله فيه: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ ﴾ [القلم/ ١٠-١٣] .

وكان الوليد بن المغيرة المخزومي من سادة قريش، وكان ممن يجادلون رسول الله ﷺ، وينال منه، ويقول: أَيُنزَل على محمد، وأُترك وأنا كبير قريش وسيدها؟ ويُترك أبو مسعود عروة بن مسعود الثقفي سيد ثقيف؟ فنحن عظيما القريتين! فنزل قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ۝٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٣٢ ﴾ [الزخرف/ ٣١-٣٢] .

أما العاص بن وائل السهمي فكان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وتهكماً به.
فحين مات عبد الله ابن النبي ﷺ، قال العاص بن وائل: لقد انقطع نسله، وكان إذا ذُكر رسول الله ﷺ، قال: دعوه، فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو قد مات لانقطع ذكره،

---

(١) صحيح/ أخرجه أبونعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (٢/ ٤٧٠).

واسترحتم منه، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر/ ١-٣].

وعَنْ خَبَّابٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ لي عَلَى العَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ لِي: لَنْ أَقْضِيَكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي لَنْ أَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تمُوتَ، ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: وَإِنِّي لمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ، فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إلى مَالٍ وَوَلَدٍ، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝٨٠﴾ متفق عليه[1].

أما أبو جهل بن هشام فكان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فكان أخزاه الله يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق، ويؤذيه بالقول والفعل.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إلى بَيْتِ المَقْدِسِ، وَجَاءَ مِنْ لَيْلَتِهِ يُحَدِّثُهُمْ بِمَسِيرِهِ، وَبِعَلامَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَبِعِيرِهِمْ، فَقَالَ أُنَاسٌ: نَحْنُ نُصَدِّقُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم بِمَا يَقُولُ، فَارْتَدُّوا كُفَّارًا، وَضَرَبَ الله أَعْنَاقَهُمْ مَعَ أَبِي جَهْلٍ، قَالَ: وَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يُخَوِّفُنَا مُحَمَّدٌ بِشَجَرِ الزَّقُّومِ، هَاتُوا زُبْدًا وَتَمْرًا فتزَقَّمُوا. أخرجه أحمد[2].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: "اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ» أخرجه أحمد والترمذي[3].

ولقي أبو جهل مرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: والله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك الذي تعبد، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام/ ١٠٨].

فكف عندئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سب آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله تعالى.

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: إن أول يوم عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني كنت أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهل: «يا أبا الحكم، هَلُمَّ إلى اللهِ عز وجل وإلى رسولِه، أدعوكَ إلى اللهِ». قال

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٠٩١)، ومسلم برقم (٢٧٩٥) واللفظ له.

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٣٥٤٦).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٧٣٥)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٧٦٧) وهذا لفظه.

أبو جهل: يا محمد هل أنت منتهٍ عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أنْ نشهد أنْ قد بلَّغت؟ فنحن نشهد أنْ قد بلَّغت ، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حقاً ما اتبعتك. فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل عليَّ فقال: فوالله إني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكنْ بني قصي قالوا : فينا الحِجابة. فقلنا: نعم. فقالوا: فينا الندوة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا اللواء. فقلنا: نعم. قالوا: فينا السقاية. فقلنا: نعم. ثم أطعَموا وأطعَمنا، حتى إذا تحاكَّت الركب قالوا: منا نبي، والله لا أفعل. أخرجه البيهقي في دلائل النبوة[1].

هذه بعض أنواع السخرية والاستهزاء من كفار قريش بالنبي ﷺ، والله سبحانه يؤيده ويحفظه، ويسليه، ويبشره بالنصر والتمكين، فيقول: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنعام/ ١٠].

ويقول له: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[الحجر/ ٩٧-٩٩].

ويقول له: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأنعام/ ٣٣].

ويقول له: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم/ ٦٠] .

ويقول له: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحقاف/ ٣٥].

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٧).

٣- الهجرة إلى الحبشة

لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم : «إِنَّ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ مَلِكًا لا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ ، فَالحَقُوا بِبِلادِهِ ، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ» أخرجه البيهقي في السنن الكبرى[١].

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام.

وكان فيمن هاجر: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة، وامرأته ليلى بنت أبي حثمة، رضي الله عنهم أجمعين.

فخرجوا حتى أتوا الشعيبة، مرفأ للسفن على البحر، منهم الراكب، ومنهم الماشي، ويسر الله تعالى لهم ساعة وصلوا سفينتين لتجار حملوهم فيهما إلى الحبشة.

وكان عددهم خمسة عشر نفراً: أحد عشر رجلا، وأربع نسوة، وكان خروجهم في رجب من السنة الخامسة من البعثة، ولما وصلوا إلى الحبشة وجدوا فيها خير جار، وأمنوا على دينهم، وعبدوا الله، لا يؤذيهم أحد، ولا يسمعون شيئاً يكرهونه.

ولكن لم يطل بهم المقام في الحبشة، فقد عادوا إلى مكة بعد رمضان من تلك السنة.

- **الهجرة الثانية إلى الحبشة :**

لما رجع المهاجرون من الحبشة إلى مكة، اشتد أذى الكفار عليهم، فأشار الرسول ﷺ على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة ثانية، فهاجروا قرابة ثلاثة وثمانين رجلا، وثماني عشرة امرأة.

ولما علمت قريش بهؤلاء بعثت رجلين من أصلب رجالها وأذكاهم، وهم:

عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، وأرسلوا معهم الهدايا المستطرفة إلى النجاشي وبطارقته.

وجاء الرجلان إلى الحبشة، وقدما رشوتهما إلى البطارقة، ليكونوا عوناً لهما في إقناع النجاشي، ليطرد هؤلاء المسلمين من بلاده.

ولكن النجاشي لم يتعجل في إعطاء الرأي، وطلب أن يحضر بين يديه جميع أطراف القضية.

---

(١) جيد/ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٧).

فلما حضروا قَدَّم الرجلان الهدايا لملك الحبشة، وحضر المسلمون، واختاروا جعفر بن أبي طالب أن يكون المتحدث عنهم.

فقال النجاشي لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم؟ ولم تدخلوا به في ديني؟

فقال جعفر رضي الله عنه: أيها الملك! كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ... إلخ.

ثم استمر الحوار بين النجاشي والصحابة رضي الله عنهم حتى انتهى بفشل مكيدة كفار قريش، ورجوعهم خاسرين، وبقاء المسلمين في الحبشة آمنين مطمئنين.

وقد ابتلى الله تعإلى الصحابة بهذه الهجرة، لينظر هل يتركون البلد والأهل والمال من أجل الدين، أو يتركون الدين من أجل البلد والأهل والمال، فاختاروا الهجرة في سبيل الله من أجل الدين، وهاجروا في سبيل الله إلى الحبشة فارين بدينهم.

وأحدثت هجرة الحبشة هزة كبيرة في المجتمع المكي المشرك؛ لأنها شملت أفراداً من البيوت القرشية الكبيرة.

وقد مكث مهاجروا الحبشة ما شاء الله، ثم عاد بعضهم بعد هجرة المدينة، وقبل غزوة بدر الكبرى، وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلاً وثمان نساء، وعاد الباقون مع جعفر بن أبي طالب بعد فتح خيبر في العام السابع الهجري، وفي هذا العام توفي النجاشي بعد أن أكرمه الله بالإسلام، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب. متفق عليه[1].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٤٥)، ومسلم برقم (٩٥١).

٤ - مفاوضات قريش مع أبي طالب

أيقنت قريش أن بطشها بالمسلمين المستضعفين وغيرهم لم يصرف الناس عن الإسلام، ورأت أن طرق الاستهزاء والسخرية بمحمد ﷺ وأصحابه لم تفلح في الصد عن سبيل الله ، فلجأت قريش إلى أسلوب المفاوضات مرة أخرى.

فذهب أشراف قريش إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً، ومنزلة فينا، وإن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي مجلسنا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الطرفين.

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه، فبعث إلى رسول الله ﷺ، فلما جاء إليه قال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاؤني، فزعموا أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مجلسهم فانته عن ذلك، وأبق عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر مالا أطيق.

فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: «مَا تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ» ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : «مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تُشْعلُوا مِنهَا شُعلَةً » ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : مَا كَذَّبْنَا ابْنَ أَخِي قَطُّ فَارْجِعُوا. أخرجه الحاكم(١).

ثم أطلق أبو طالب قصيدته المشهورة في نصرة الرسول ﷺ، فقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفينا
فامضي لأمرك ما عليك غضاضة	أبشر وَقَرَّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وعلمتُ أنك ناصحي	فلقد صدقت وكنت قِدْمَ أمينا
وعرضت ديناً قد علمت بأنه	من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة	لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

(١) صحيح/ أخرجه الحاكم (٣/ ٥٧٤) .

٥- طلب قريش تسليم الرسول ﷺ

لما رأت قريش أن رسول الله ﷺ ماض في دعوته، وأن أبا طالب قد أبى خذلان ابن أخيه وإسلامه، وإصراره على حمايته، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، قد جئناك بفتى قريش جمالا، ونسبا، وشهامة وشعرا، فخذه، فلك نصره وعقله وميراثه، واتخذه ولدا، وأسلم إلينا ابن أخيك، هذا الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله.

فقال أبو طالب: والله ما أنصفتموني! أتعطوني ابنكم أكفله لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله لا يكون أبدا.

فقال المطعم بن عدي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد تقبل منهم شيئاً.

فقال أبو طالب: والله ما أنصفتموني، ولكنك قد أجمعت خذلاني، والمظاهرة عليّ، فاصنع ما بدا لك.

ولما رأى أبو طالب ما تصنع قريش بالمسلمين دعا بني هاشم، وبني المطلب إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ، والقيام دونه، فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه إلا ما كان من عمه أبي لهب فبقي على عداوته.

٦- محاولة الطغاة اغتيال الرسول ﷺ

بعد فشل مفاوضات قريش مع أبي طالب اشتد مكر زعمائها، وأجمعوا على قتل النبي ﷺ، فلما كان مساء الليلة التي عرضوا فيها عمارة بن الوليد على أبي طالب فُقد رسول الله ﷺ ، فلم يُعلم أين مكانه .

وجاء أبوطالب وعمومته فلم يجدوه في منزله، فجاء زيد بن حارثة رضي الله عنه فوجد أبا طالب مهموماً، فأخبره أن الرسول ﷺ في دار الأرقم، ومعه أصحابه يتحدثون، ولما علم رسول الله ﷺ بحال عمه أبي طالب ذهب إليه، فقال: يا ابن أخي أين كنت؟ أكنت في خير؟ فقال: نعم، فقال أبو طالب: أدخل بيتك، فدخل رسول الله ﷺ بيته، فلما أصبح أبو طالب غدا مع النبي ﷺ فأخذه بيده فوقف به على أندية قريش، ومعه فتيان بني هاشم، وفتيان بني المطلب.

فقال: يا معشر قريش! هل تدرون ما هممت به؟ فقالوا: لا! فأخبرهم الخبر، وقال للفتيان: اكشفوا عما في أيديكم، فكشفوا، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة. فقال: والله لو قتلتموه ما بقي منكم أحد حتى نتفانى نحن وأنتم، فانكسر القوم، وكان أشدهم انكساراً أبو جهل لعنه الله.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أَن أُنَاسًا من بني مَخْزُوم تواصوا بِالنَّبِيِّ ﷺ ليقتلوه، مِنْهُم أَبُو جهل والوليد بن مُغيرَة ، فَبينا النَّبِي ﷺ قَائِم يُصَلِّي سمعُوا قِرَاءَته فأرسلوا إليه الوَلِيد ليَقْتُلهُ ، فَانْطَلق حَتَّى أَتَى المكَان الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ، فَجعل يسمع قِرَاءَته وَلَا يرَاهُ، فَانْصَرف إليهم فأعلمهم بذلك فَأتوهُ، فَلَمَّا انْتَهوا إلى المَكَان الَّذِي هُوَ يُصَلِّي فِيهِ سمعُوا قِرَاءَته، فيذهبون إلى الصَّوْت فَإِذا الصَّوْت من خَلفهم، فيذهبون إليه فيسمعونه أَيْضاً من خَلفهم، فانصرفوا وَلم يجدوا إِلَيْهِ سَبيلاً، فَذَلِك قَوْله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ أخرجه البيهقي في دلائل النبوة[1] .

ولم تزل فكرة اغتيال النبي ﷺ ترقد وتزداد في قلوب المشركين يوماً بعد يوم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة طويلة جرت بين المشركين وبين النبي ﷺ .. فلما قام عنهم ﷺ قال أبو جهل :يا معشر قريش، إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٩٦).

عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وسب آلهتنا ، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ، فإذا سجد فضخت به رأسه، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً وجلس ، وأتى النبي ﷺ فقام يصلي بين الركنين الأسود واليماني، وكان يصلي إلى الشام، وجلست قريش في أنديتها ينظرون، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع مرعوباً منتقعاً لونه ، قد يبست يداه على حَجَره ، حتى قذف به من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا : ما لك يا أبا الحكم ؟ فقال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهَمَّ أن يأكلني. [1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ أَبُوجَهْلٍ : هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟قَالَ فَقِيلَ : نَعَمْ . فَقَالَ : وَاللَّاتِ وَالعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ .قَالَ : فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ ، قَالَ : فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ ، قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً.فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«لَوْدَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ المَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» . أخرجه مسلم [2].

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢٦/ ١٢٣)، وسيرة ابن هشام (١/ ٣٣٥).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٩٧).

٧- إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

في وسط هذا الجو المشحون بالظلم والطغيان من كفار قريش أسلم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وهو عم الرسول ﷺ، وأخوه من الرضاعة، وكان رضي الله عنه أسن من الرسول ﷺ بسنتين.

وسبب إسلامه في البداية حمية للرسول ﷺ، فقد مر أبو جهل برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه ببعض ما يكره، ورسول الله ﷺ ساكت لا يكلمه.

ثم انصرف أبو جهل إلى ناد من قريش عند الكعبة، فجلس معهم، ثم أقبل حمزة رضي الله عنه من صيدٍ، متوشحاً سيفه، فأخبرته أمة ابن جدعان بما سمعت، فاحتمل حمزة الغضب، لِمَا أراد الله به من الكرامة.

فخرج يسعى ليوقع بأبي جهل ما يكره، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، وقام على رأس أبي جهل، فرفع القوس، وضربه به، فشجه شجة منكرة، ثم قال لأبي جهل: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول، رُدَّ عليَّ ذلك إن استطعت.

فقام رجل من بني مخزوم لنصرة أبي جهل، فمنعهم أبو جهل، وقال لهم: دعوا أبا عمارة، فو الله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً.

وعاد حمزة رضي الله عنه إلى بيته، وثبته الله على دينه، فجاء إليه رسول الله ﷺ فذكَّره وبشَّره، وأنذره، فثبت الله تعإلى الإيمان في قلبه.

وسُرَّ رسول الله ﷺ بإسلام عمه حمزة أيما سرور، وعرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة رضي الله عنه سيمنعه.

فسبحان الحكيم العليم الذي جعل ما يحب في باطن ما يكره الإنسان، فما فعله أبو جهل برسول الله ﷺ من الأذى كان سبباً لتحريك العصبية القبلية، وإسلام حمزة، وإذا ضعفت العصبية تطاول السفهاء على الأنبياء، والعصبية ممقوتة، لكن إذا سُخِّرت لخدمة الدين، وإعلاء كلمة الله ، وردع الظالمين، فهي محمودة.

٨- إسلام عمر بن الخطاب ﷺ

بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب ﷺ بثلاثة أيام، أيد الله الإسلام والمسلمين بإسلام الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، وكان رجلاً معروفاً بحدة الطبع، وقوة الشكيمة.

وكان من أشد الناس عداوة للمسلمين، ونالهم منه من الأذى حتى يئسوا من إسلامه، وقد دعا رسول الله ﷺ لعمر بالهداية.

عَن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ ، بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ » فَكَانَ أَحَبُّهُمَا إلى الله عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ. أخرجه أحمد والترمذي[(١)].

أما قصة إسلام عمر بن الخطاب ﷺ فقد روتها أم عبد الله بنت أبي حثمة فقالت: والله إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وهو على شركه. قالت: وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشراً علينا. فقالت: فقال: إنه لَانطلاق يا أم عبد الله.

قالت: فقلت: نعم، والله لنخرجن في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجاً. قالت: فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أرها، ثم انصرف وقد أحزنه – فيما أرى – خروجنا.

قالت: فجاء عامر– وهو زوجها – من حاجتنا تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله، لو رأيت عمر آنفاً ورِقَّته وحزنه علينا. قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم. قال: لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب. قالت: يأساً لِمَا كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام. أخرجه أحمد في فضائل الصحابة والحاكم[(٢)].

وقد أسلم عمر بن الخطاب ﷺ وهو في السادسة والعشرين من عمره، بعد أن دخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، بعد أربعين نفساً أسلموا قبله من الأحرار، ثم انتشر خبر إسلام عمر بن الخطاب ﷺ في مكة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما أسلم عمر بن الخطاب قال : أي قريش أنقل للحديث ؟ قيل له : جميل بن معمر الجمحي .قال : فغدا عليه ، قال عبد الله :

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٥٦٩٦)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٦٨١).

(٢) حسن/ أخرجه أحمد في فضائل الصحابة برقم (٣٧١)، وأخرجه الحاكم برقم (٦٩٧٩).

وغدوت أتبع أثره أنظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقِل كلما رأيت ، حتى جاءه ، فقال : أما علمت يا جميل أني قد أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ ؟

قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رجليه، واتبعه عمر، واتبعت أبي ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن عمر قد صبأ . قال : يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكن قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله.

قال : وثاروا إليه ، قال : فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم ، قال : وطلح - أي أعيا - فقعد ، وقاموا على رأسه ، وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف أن لو كنا ثلاث مائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا ، قال : فبيناهم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه جبة حبرة وقميص قومس حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبأ عمر بن الخطاب ، قال : فَمَه ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟ أخرجه أحمد في فضائل الصحابة وابن حبان [(١)].

وبإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عزَّ الإسلام والمسلمون، وصاروا يطوفون بالكعبة، ويصلون لا يخافون قريشاً.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر . أخرجه البخاري [(٢)].

---

(١) جيد/ أخرجه أحمد في فضائل الصحابة برقم (٣٧٢) وهذا لفظه ، وأخرجه ابن حبان برقم (٦٨٧٩).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٦٨٤).

٩- إغراءات قريش للنبي ﷺ

لما رأت قريش أن الرسول ﷺ ماض في دعوته، وأن أصحابه يزيدون يوماً بعد يوم، وأن كل محاولاتها في الصد عن سبيل الله قد باءت بالفشل، فرأت أن تجرب أسلوب الإغراء بالمال، أو الجاه، أو المُلك، ظناً منهم أنه ربما يُغري محمداً ﷺ بريق هذه العروض.

عن محمد بن كعب القرظي قال : حُدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيدا - قال يوماً وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ فقالوا : بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه.

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرَّقت به جماعتهم ، وسفَّهت به أحلامهم ، وعِبت به آلهتهم ودينهم ، وكفَّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أَعْرِض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

قال : فقال له رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليدِ أسمعْ».

قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفا سوَّدناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملَّكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئْياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه.

فلما فرغ من قوله، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال رسول الله ﷺ : «أقد فرغتَ يا أبا الوليد ؟»قال : نعم.

قال : « فاسْتمع مني » قال : أفعل. فقال رسول الله ﷺ : بِسْمِ الله الرّحمَنِ الرّحِيمِ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه،

ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال ﷺ: «قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ، فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فقال لهم : ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة.

يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تُصِبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلْكه مُلْككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم. أخرجه ابن إسحاق في السيرة والبيهقي في دلائل النبوة [١].

- **طلب الآيات والمعجزات :**

لما رأت قريش أن طرق الأذى والإرهاب، وطرق الإغراء والشراء لم تفلح في كف النبي ﷺ عن دعوته، رأت أن تطلب من النبي ﷺ الخوارق والمعجزات المادية والحسية، ليعجز، ويفشل، ويترك دعوته.

فقالوا : يا محمد ، إن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً، ولا أقل ماء، ولا أشد عيشاً منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسيِّر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا، وليخرق لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام.

وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب، فإنه كان شيخ صِدْق، فنسألهم عما تقول ، أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدَّقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله تعالى ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بهذا بُعثت إليكم، إنما جئتكم من الله تعالى بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أُرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ».

---

(١) حسن/ أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/ ٣٣٠) ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٤).

قالوا : فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدِّقك بما تقول، ويراجعنا عنك ، واسأله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة، يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما نلتمس ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم .
فقال لهم رسول الله ﷺ : «ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت بهذا إليكم، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».
قالوا : فأسقط السماء علينا كِسَفاً كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل . قال فقال رسول الله ﷺ: «ذلك إلى الله ﷻإن شاء أن يفعله بكم فعل ».
قالوا : يا محمد ، فما علم ربك أنا سنجلس معك، ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك فيعلمك بما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به .
إنه قد بلغنا إنما يعلمك هذا رجل من اليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا .
وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا.(١)
فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي، وهو ابن عمته ، فقال له : يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل - أو كما قال له - فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلما ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ، ثم تأتي معك بصك معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٧).

ثم انصرف عن رسول الله ﷺ ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً آسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه.[1].

ولما دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام، وبلغهم رسالة ربه، قال له زمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، والعاص بن وائل: لو جُعل معك ربك يا محمد مَلَك يحدث عنك الناس، ويُرى معك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام/ ٨-٩] .

وأنزل الله فيما سألوه لأنفسهم من تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وبعث موتاهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد/ ٣١] .

وأنزل الله في قولهم: خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لنفسه أن يجعل له جناناً وقصوراً وكنوزاً: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾ [الفرقان/ ٧-١٠].

وأنزل الله على رسوله ﷺ مبيناً لهم أنه بشر مثلهم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان/ ٢٠] .

وأنزل الله فيما قال عبد الله بن أبي أمية: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء/ ٩٠-٩٣] .

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٤).

وأنزل الله في قولهم: إنما يعلمك يا محمد رجل باليمامة، يقال له الرحمن! ولن نؤمن به أبداً: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الرعد/ ٣٠] .

ونزل في قولهم: إنما يعلمه بشر عند المروة: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النحل/ ١٠٣] .

ومن رحمة أرحم الراحمين سبحانه أنه لم يجبهم إلى ما سألوه؛ لأن الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك، فيعاجلهم بالعذاب، وهو القادر على كل شيء، ولأنهم كذلك لم يسألوا مسترشدين، وإنما سألوا متعنتين ومستهزئين، فاقتضت حكمة الله عدم إجابتهم، لأن سُنَّته سبحانه أنه إذا طلب قوم آية فأُجيبوا، ثم لم يؤمنوا أخذهم الله بعذاب الاستئصال، كما فعل بالأمم السابقة كعاد وثمود وغيرهم: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإسراء/ ٥٩] .

والله قد رفع عن هذه الأمة عذاب الاستئصال بفضل نبيِّها محمد ﷺ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين إلى قيام الساعة: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يصبح لَنَا الصَّفَا ذَهَبَةً ، فَإِنْ أَصْبَحَتْ ذَهَبَةً اتَّبعناك، وعرفنا أن ما قلتَ كما قلتَ. فسأل رَبَّهُ ﷻ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَتْ لَهُمْ هذه الصفا ذَهَبَةً ، فمَنْ كفرَ مِنْهُمْ بعد ذلك عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْنا لهُمْ أبواب التَّوْبَةِ. قَالَ :« يَا رَبِّ ، لا ، بل افتح لهم أبواب التَّوْبَةِ » أخرجه أحمد(١).

وكيف يطلب كفار قريش الآيات، وقد أنزل الله عليهم القرآن العظيم، وهو آية الآيات، وبينة البينات: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٥٠-٥٢] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٣٢٢٣).

١٠ - المقاطعة العامة

لما رأت قريش أن أمر الإسلام أخذ ينتشر ويعلو، وأن عدد المسلمين أخذ يزداد ويكثر، وأن محاولاتها لصد النبي ﷺ عن دعوته بات بالفشل، ولم تمنع من انتشار الإسلام، وأن مساوماتها لأبي طالب وابن أخيه محمد ﷺ قد قوبلت بالرفض، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه من المسلمين في الحبشة، وأن حمزة بن عبد المطلب قد أسلم، وأن عمر بن الخطاب قد أسلم، وأن حمزة وعمر رضي الله عنهما صارا قوة في وجوه قريش، وأن الإسلام جعل يفشو في القبائل، وخافت قريش من استفحال الأمر.

لهذا اجتمعوا واتفقوا أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاهدون فيه على بني هاشم، وبني المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم، ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، وأن يضيقوا عليهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا ذلك في صحيفة علقوها في جوف الكعبة، توكيداً على أنفسهم.

فلما رأى أبو طالب تآلب قريش على ابن أخيه ﷺ قام في أهل بيته من بني هاشم، وبني المطلب، ودعاهم إلى حماية النبي ﷺ، وحياطته، والقيام دونه، فأجابوا إلى ذلك، وأجمعوا أمرهم أن يُدخلوا النبي ﷺ معهم في شعب بني هاشم، حتى كفارهم، يمنعه ﷺ مسلمهم إيماناً، وكافرهم حمية، إلا أبا لهب فكان مع قريش.

وكان ابتداء حصر بني هاشم وبني المطلب في شعب أبي طالب، في أول يوم من المحرم سنة سبع من البعثة، واستمرت المقاطعة ثلاث سنين، وفي فترة الحصار وُلد ابن عباس رضي الله عنهما، واشتد الحصار عليهم، ومُنع عنهم الطعام، حتى بلغهم الجهد، وسُمع أصوات صبيانهم بالبكاء من الجوع من وراء الشعب.

وكان أبو طالب يخاف على رسول الله ﷺ، فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم، أمره أن ينام في فراشه، حتى يراه من أراد به مكرا، فإذا نام الناس أخذ أحد بنيه أو إخوته أوبني عمه فأضجعه على فراش رسول الله ﷺ، وأمره أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها.

واشتد الأمر، وقطعت عليهم الأسواق، فكانت قريش لا تترك طعاماً يصل إلى مكة إلا بادروا إلى شرائه، حتى يقتل الجوع من في الشعب، فهلك من هلك من المحاصَرين، والرسول ﷺ لم يتوقف عن الدعوة خارج الشعب.

وآذت قريش كل من اطلعوا على أنه يمد المحاصَرين بالمؤن والغذاء خفية، وكان ممن يمدهم بالطعام سراً حكيم بن حزام، ابن أخ خديجة رضي الله عنها، وهشام بن عمرو العامري، وكان أوصلهم لبني هاشم، فكان يأتي بالبعير ليلاً فيوقره طعاماً، ثم يضربه باتجاه الشعب، ويترك زمامه ليصل إلى المحصورين.

واستمرت الأحوال الشديدة على أهل الشعب، حتى سعى في نقض الصحيفة، ورفع هذا الظلم، بعض أقارب من كان في الشعب، وكان في مقدمة هؤلاء هشام بن عمرو بن الحارث، والمطعم بن عدي، وزهير بن أبي أمية، وزمعة بن الأسود، وأبو البختري بن هشام.

وكانت تربط هؤلاء ببني هاشم وبني المطلب صلات رحم.

وكان مما ألان قلوب هؤلاء لنقض الصحيفة الظالمة أن النبي ﷺ أخبر عمه أبا طالب أن الله قد سلط الأرضة على الصحيفة فأكلت جميع ما فيها من جور وظلم وقطيعة وبهتان، فكلم أبو طالب قريشاً بهذا، وقال لهم: إن كان الأمر كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذباً دفعت إليكم ابن أخي.

فتعاقدوا جميعاً على ذلك، ثم نظروا فإذا هي كما قال الرسول ﷺ، فزادهم ذلك شراً، وقالوا هذا سحر ابن أخيك.

فقال أبو طالب: يا معشر قريش، علام نُحبس ونُحصر، وقد بان الأمر، وتبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة والإساءة؟

ثم دخل أبو طالب وأصحابه بين أستار الكعبة والكعبة، ودعا.

فقال: اللهم انصرنا على من ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحل ما يَحرُم عليه منا، ثم انصرفوا إلى الشعب.

وعند ذلك قام المطعم بن عدي إلى الصحيفة فمزقها، ثم مشى إلى أولئك النفر من قريش الذين أجمعوا أمرهم على نقض الصحيفة، فلبسوا السلاح، ثم خرجوا إلى بني هاشم، وبني المطلب، فأمروهم بالخروج من الشعب إلى مساكنهم ففعلوا.

وكان خروجهم من الشعب في المحرم أول السنة العاشرة من البعثة.

فسبحان العزيز الرحيم الذي يسمع ويرى ما يفعل الكفار بنبيه ﷺ وأصحابه، ويحلم عليهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فأي قسوة، وأي جور، وأي ظلم، لمن جاء بدين الرحمة والشفقة على المؤمنين والكافرين والمحاربين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وما أعظم ما لاقاه الرسول ﷺ وأصحابه ومن ناصره من أذى واضطهاد، فصبروا حتى نصرهم الله، وأظهر دينه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة/ ٣٣].

لقد انتهت المقاطعة على نحو فرَّق كلمة قريش، وأوقع الصدام والنزاع بينهم، وأظهر صبر الرسول ﷺ وأصحابه، وكشف عن قوتهم وثباتهم على الحق أقوى من قبل، وأظهر لهذا الدين من ينصره ممن لم يؤمن به، من أهل المروءة والشهامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الله لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ» متفق عليه[1].

وخرج رسول الله ﷺ من الشعب يدعو إلى الله تعالى، وظل أبو طالب يحوطه ويمنعه إلى أن لاحقه المرض واشتد به، فحاول المشركون أن يفاوضوا النبي ﷺ بين يدي أبي طالب، لئلا يُعابوا في الإساءة إليه بعد وفاة عمه.

فلما اشتكى أبو طالب، وثقل به مرضه، قالت قريش بعضهم لبعض، إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب، فليأخذ لنا على ابن أخيه، وليعطه منا، والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا.

فمشى إليه أشراف قريش في خمسة وعشرين رجلاً، منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل، وغيرهم.

فقالوا: يا أبا طالب إنك كبيرنا وسيدنا، وأنت منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، فأنصفنا من ابن أخيك، فمره فليكف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه.

فبعث إليه أبو طالب، فجاء النبي ﷺ، فقال له أبو طالب؛ يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك، ليعطوك وليأخذوا منك، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم، ويدعوك وإلهك، فاقبل منهم فقد أنصفوك.

فقال رسول الله ﷺ: «أرأيتم إن أعطيتكم هذه، هل أنتم معطي كلمة إن أنتم تكلمتم بها

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٠٦٢) واللفظ له، ومسلم برقم (١٧٨).

ملكتم بها العرب، ودانت لكم بها العجم».

فقال أبو جهل: نعم وأبيك! وعشر كلمات فما هي؟ فقال ﷺ : «تقولوا : لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه». فقال أبو طالب: يا ابن أخي! والله ما رأيتك سألتهم شططاً.

أما زعماء قريش فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن أمرك لعجب.

ثم قالوا: إنه والله لن يعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص/ ١-٧] .

١١- وفاة أبي طالب

اشتد المرض على أبي طالب، ثم توفي بعد خروجه من الشعب، في آخر السنة العاشرة من البعثة، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وله من العمر «٨٧» سنة.

وكان أبو طالب يذب عن النبي ﷺ، ويرد عنه كل من يؤذيه، أكثر من أربعين عاماً، وهو مقيم مع ذلك على دين قومه، ومات على ذلك.

عن سَعِيد بْن المُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ الله ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْل وَعَبْدَالله بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«يَا عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله» فَقَالَ أَبُوجَهْلٍ وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ : يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ المَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَمَا والله لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لمَ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللهﻷ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ وَأَنْزَلَ الله تَعَالى فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ :﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾» متفق عليه [(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﭬ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعَمِّهِ : « قُلْ لا إِلَهَ إِلا الله ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ». فَقَالَ: لَوْلا أَنْ تُعَيِّرَني قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الجَزَعُ لأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ ، فَأَنْزَلَ الله ﻷ ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾» أخرجه مسلم [(٢)].

وكان أبو طالب يحب رسول الله ﷺ حباً شديداً، وكان ﷺ يحب له أن يؤمن، ولكن أبا طالب كان عنده العصبية لمحمد لا لدين محمد ﷺ، ومات أبو طالب كافراً، فواراه بالتراب ابنه علي بن أبي طالب ﭬ.

ومصير أبي طالب إلى النار، لكنه أهون أهل النار عذاباً، لشفاعة النبي ﷺ له.

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٤) ، ومسلم برقم (٢٤) واللفظ له.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥).

عن العَبَّاس بْن عَبْدِ المُطَّلِبِ ﷺ أنه قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : مَا أَغْنَيْت عَنْ عَمِّكَ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ. قَالَ : «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِن النَّارِ» متفق عليه [1].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ ، فَقَالَ : «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ» متفق عليه [2].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ» أخرجه مسلم [3].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٠٩).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢١٠).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢١٢).

١٢- وفاة خديجة رضي الله عنها

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوجة رسول الله ﷺ، وهي من نعم الله الكبرى عليه ﷺ، فقد آمنت به، وآزرته في أحرج الأوقات، وأعانته على إبلاغ رسالته، وواسته بنفسها ومالها، وشاركته أعباء الجهاد المُرِّ الطويل.

توفيت رضي الله عنها بعد وفاة أبي طالب بأيام، فاجتمعت على النبي ﷺ مصيبتان: مصيبة من كان يحميه في الخارج وهو عمه، ومن كان يؤنسه في داخل بيته وهي زوجته، فلزم بيته، وأقل الخروج، وحزن لفراقها.

وكانت وفاتها رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين، وبعد البعثة بعشر سنين، وتوفيت رضي الله عنها قبل أن تفرض الصلاة في الإسراء والمعراج.

ودفنت رضي الله عنها بالحجون، في مقابر أهل مكة، ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها، ولم تكن صلاة الجنازة شرعت.

وكانت مدة إقامتها مع الرسول ﷺ خمساً وعشرين سنة، وتوفيت ولها من العمر خمس وستون سنة، والرسول ﷺ حين وفاتها يبلغ من العمر خمسين سنة.

عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ إلى المَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، وَنَكَحَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ بَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ. متفق عليه [١].

- **فضائل خديجة رضي الله عنها :**

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لا صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ. متفق عليه [٢].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:«خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ» متفق عليه [٣].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٩٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٤٢٢).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٢٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٤٣٢).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨١٥) ، ومسلم برقم (٢٤٣٠) واللفظ له.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ : مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ . فَيَقُولُ : « إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لاي مِنْهَا وَلَدٌ» متفق عليه [1].

وعَنْ أنس ﷺ أَنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ العَالمِينَ أَرْبَعٌ : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ» أخرجه أحمد والترمذي [2].

والقدر المشترك بين (آسية، ومريم، وخديجة)، أن كلاً منهن كفلت نبياً مرسلاً، وآمنت به، وصدقته، وآزرته، وأحسنت إليه.

ومن فضائل خديجة أن النبي ﷺ لم يتزوج عليها حتى ماتت.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت. أخرجه مسلم [3].

وهي أول من أسلم من النساء من هذه الأمة، وأول داعية إلى الله من نساء هذه الأمة، وأول من أنفق ماله في سبيل الله من هذه الأمة، وأول من صلى خلف النبي ﷺ من هذه الأمة، وأول من بعث الله له السلام مع جبريل من هذه الأمة.

ومن فضائلها رضي الله عنها أنها لم تسوءه ﷺ قط، ولم تغاضبه، ولم ينله منها بلاء، ولا عتب، ولا هجر، وأن أولاده ﷺ كلهم منها إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية.

ولما توفيت خديجة رضي الله عنها تزوج ﷺ عائشة، لكن لم يدخل بها إلا بعد الهجرة إلى المدينة، لما بلغ عمرها تسع سنين، ثم عقد ﷺ على سودة بنت زمعة في مكة، ودخل بها قبل دخوله بعائشة، وكانت سيدة جليلة نبيلة ضخمة، وانفردت بالنبي ﷺ نحواً من ثلاث سنين.

ولما كبرت سودة رضي الله عنها، خشيت أن يفارقها رسول الله ﷺ فوهبت يومها لعائشة، وبقيت معه ﷺ حتى توفيت بالمدينة آخر خلافة عمر بن الخطاب ﷺ.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨١٨) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٤٣٥).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٢٣٩١) والترمذي برقم (٣٨٧٨).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٤٣٦).

١٣- شدة أذى قريش للرسول ﷺ بعد وفاة أبي طالب

لما خرج رسول الله ﷺ من الشعب في العام العاشر من البعثة، توفي بعد ذلك أبو طالب، ثم توفيت خديجة رضي الله عنها في العام نفسه، فزادت عليه المصائب من قريش، واجترأ عليه كفار قريش بالأذى والنكال بالقول والفعل، بعد أن كان مقتصراً على الاستهزاء قبيل وفاة عمه أبي طالب.

فقدطرح الكفار سلا الجزور بين كتفيه ﷺ وهويصلي،وعزم أبوجهل أن يطأ عنقه ﷺ وهو يُصلي، فحِيل بينه وبين ذلك.

عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِقَالَ: سَالتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ :أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ المُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُوبَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: "أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ" أخرجه البخاري (١).

وعن ابْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ وَأَبُوجَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ. فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ فَجَاءَ بِهِ ، فَنظَرَ حَتَّى إِذَا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا لَوْ كَانَ لي مَنَعَةٌ ، قَالَ : فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَرَسُولُ الله ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ : «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ ، قَالَ : وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ البَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ ، ثُمَّ سَمَّى «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» وَعَدَّ السَّابِعَ ، فَلَمْ يَحْفَظْ ، قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ الله ﷺ صَرْعَى فِي القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ. متفق عليه (٢).

ومما لقيه ﷺ من المشركين بعد وفاة أبي طالب ما حصل من أبي جهل لعنه الله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ أَبُوجَهْلٍ : هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟قَالَ فَقِيلَ : نَعَمْ . فَقَالَ : وَاللَّاتِ وَالعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٨٥٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٧٩٤).

فِي التُّرَابِ .قَالَ : فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ ، قَالَ : فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلى عَقِبَيْهِ ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ ، قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً.فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«لَوْدَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ المَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا». قَالَ : فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾ . أخرجه مسلم [1].

وعن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي الله وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي الله وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ وَمَا لي وَلِبِلالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبِطُ بِلالٍ» أخرجه أحمد والترمذي [2].

وأوغلت قريش في كفرها وصدها عن سبيل الله ، وعنادها الضاري، فلم يثر هذا كله غضبه ﷺ، ولكنه أثار شفقته ورحمته، وكان جوابه ﷺ اعتذاره لقومه بقوله : «اللَّهُمَّ اهدِ قَوْمِي فَإِنهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» أخرجه ابن حبان [3].

وإذا أراد الله إظهار دينه، فلن تستطيع قريش ولا غيرها أن تطفئ نور الله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٢] .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين ضاقت عليه مكة، وأصابه فيها الأذى، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له، فخرج مهاجراً إلى أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة سيد القارة، وقال له: إن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، فارجع إلى مكة واعبد ربك، وأنا لك جار، فرجع إلى مكة وبنى مسجداً في فناء داره، ورفع صوته بالقرآن، فأفزع ذلك كفار قريش، وشكوه إلى من أجاره، فرد عليه جواره، ورضي بجوار الله عز وجل.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٩٧).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٤٠٥٥) ، وأخرجه الترمذي برقم (٢٦٤٠).

(٣) **حسن**/ أخرجه ابن حبان برقم (٩٧٣).

١٤- خروجه ﷺ إلى الطائف

لما اشتد البلاء على رسول الله ﷺ، من سفهاء قريش بعد موت أبي طالب، وخديجة رضي الله عنها، ولما زهدت قريش في الإسلام، وانصرفت عنه، رأى رسول الله ﷺ أن الدعوة في مكة لم تؤت أكلها.

فبدأ يفكر بالخروج من مكة إلى بلد آخر، لعله يجد فيه قبولاً واستجابة لما جاء به من عند الله، ونصيراً يعينه على إبلاغ دين الله، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف، حيث تقطن هناك قبيلة ثقيف، والطائف تبعد نحو ثمانين كيلا عن مكة، فخرج ﷺ إلى الطائف سيراً على الأقدام ذهاباً وعودةً، ومعه مولاه زيد بن حارثة، يبتغي الدعوة إلى الله تعالى، والإيواء ليبلغ رسالة ربه، والنصرة على قومه، والمنعة منهم.

وكان خروجه ﷺ إلى الطائف في نهاية شهر شوال، سنة عشر من البعثة.

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب ، بنو عمرو بن عمير بن عوف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمح،فجلس إليهم فدعاهم إلى الله،وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه.

فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرك ؟ وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا ؛ لئن كنت رسولاً من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلمك .

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم: «إن فعلتم ما فعلتم ، فاكتموا علي». وكره رسول الله ﷺ أن يَبْلُغ قومه خبرقدومه على الطائف، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل حبلة من عنب فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف.

فلما اطمأن في الحائط توجه إلى ربه قائلاً :« اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي ، وَقِلّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَأَنْتَ رَبّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي ، أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي ؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي ، وَلَكِنّ عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك ، أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سُخْطُكَ، لَك الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِك ».

فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي، تحركت له رحمهما ، فدعوا غلاماً نصرانياً يقال له عداس .فقالا له : خذ قطفاً من هذا العنب ، فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه ، ففعل عداس ، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ، ثم قال له : كل . فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه ، قال : « بسم الله » ، ثم أكل ، فنظر عداس في وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله ﷺ: « ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس؟ وما دينك ؟» قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ » . فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ: « ذلك أخي، كان نبياً، وأنا نبي».

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه .

فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عداس قالا له : ويلك يا عداس ، ما لك تقبِّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ، ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي.قالا له :ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه .[1].

ثم عاد رسول الله ﷺ من الطائف، وهو مهموم ومحزون، فلم يستفق إلا وهو بقرن الثعالب، جبل مطل على منى.

عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ :« لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ

(١) انظرسيرة ابن هشام (٢/ ٣٤) ، البداية والنهاية (٣/ ١٤٧).

وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي ، فَقَالَ : إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ : ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» متفق عليه [(١)].

وقام ﷺ في تلك الليلة يصلي، فصرف الله إليه نفراً من الجن، فاستمعوا قراءته، ولم يشعر بهم الرسول ﷺ حتى نزل عليه قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف/ ٢٩-٣٢].

ثم قدم رسول الله ﷺ مكة، وقريش أشد ما كانوا عليه من خلافه، وفراق دينه.

فلما أراد ﷺ دخول مكة، قال له زيد بن حارثة رضي الله عنه: كيف تدخل عليهم وهم أخرجوك ؟ فقال ﷺ « يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإنه ناصر دينه، ومظهر نبيه».

ثم انتهى ﷺ إلى جبل حراء، فبعث رجلاً من خزاعة هو عبد الله بن أريقط إلى الأخنس بن شريق ليجيره فأبى، فبعث ﷺ إلى سهيل بن عمرو فامتنع من جواره.

فبعث ﷺ إلى المطعم بن عدي ليجيره، فقال المطعم: نعم. وأجابه إلى ذلك، وقال لعبد الله بن أريقط: قل لمحمد فليأت.

فرجع إلى رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح خرج المطعم بن عدي، وقد لبس سلاحه هو وبنوه ستة أو سبعة، فدخلوا المسجد الحرام، وقال لرسول الله ﷺ: طف، وأمر بنيه أن يكونوا عند أركان البيت لحماية الرسول ﷺ.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٧٩٥).

ثم جاء أبوسفيان إلى المطعم بن عدي ، وقال له: أمجيرأم تابع؟ فقال المطعم: بل مجير.فقال أبو سفيان: إذاً لا نخفر ذمتك، قد أجرنا من أجرت.

فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه، فلما انصرف الرسول ﷺ انصرفوا معه، ورجع أبو سفيان إلى مجلسه.

وقد حفظ ﷺ للمطعم هذا الصنيع، وجهده في نقض الصحيفة الظالمة، فقال ﷺ: في أسارى بدر: «لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا فَكَلَّمَنِي فِي هَؤُلاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ» أخرجه البخاري [1].

إن الداعي إلى الله يهمه فقط هداية الناس،وتعريفهم بالحق، مَن كانوا وحيث كانوا.

فالله سبحانه بعث النبي ﷺ رحمة للعالمين في كل زمان ومكان، فإذا لم تستجب قرية ذهب إلى غيرها، وإذا امتنع شخص عن الإسلام ذهب إلى غيره، وإذا لم يقبل الكبير ذهب إلى الصغير: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء/١٠٧].

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٣٩).

١٥- الإسراء والمعراج

الإسراء: رحلته ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى في الشام.

والمعراج : رحلته ﷺ من المسجد الأقصى في الشام إلى سدرة المنتهى فوق السموات السبع.

والإسراء والمعراج تكريم للنبي ﷺ، ومعجزة باهرة له، وعلامة جلية على نبوته، وهي من الآيات الخاصة بالنبي ﷺ، وهي من الآيات المكية التي وقعت للنبي ﷺ قبل الهجرة إلى المدينة بسنة.

والإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة، بجسد النبي ﷺ وروحه، بعد عودته من الطائف، ولكن لم يتعين اليوم والشهر الذي وقعا فيه.

ومن تأمل سيرة الرسول ﷺ يرى أن ثمة ابتلاءات شديدة، وأحوالاً أليمة، وأموراً قاسية، حصلت للنبي ﷺ قبل الإسراء والمعراج بقليل، فموت أبي طالب الذي كان حصناً للنبي ﷺ أمام الكفار وناصراً، وموت خديجة رضي الله عنها سكن النبي ﷺ، وهجرة من هاجر من أصحابه إلى الحبشة فراراً بدينهم، وخروجه ﷺ إلى الطائف داعياً أهلها إلى الإيمان فما كان منهم إلا أن رفضوه، وما جاء به، وعدم مبالاة قريش به وبما جاء به من الحق، وزيادة جُرأتهم عليه .

فلما اجتمعت هذه الصعاب الموجعة أكرمه الله تبارك وتعالى بالمعجزة الساطعة، والمكرمة العالية، الإسراء والمعراج، ليبين الله للناس أنهم إذا رفضوا نصر رسوله، وقبول دينه، فإن الله سيكرمه وينصره ويؤيده: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٣].

وقد ذكر الله ﷻ الإسراء والمعراج في سورتين.

فذكر قصة الإسراء في سورة الإسراء، في قوله سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء/ ١].

وذكر سبحانه قصة المعراج في سورة النجم، في قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم/ ١٣-١٨].

فبعد العِشاء من ليلة الإسراء والمعراج جاءه ﷺ جبريل، وشق صدره، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدره، ثم أطبقه.
وهذا هو الشق الثاني الثابت لصدره ﷺ بعد شق صدره في بادية بني سعد.
ثم أتاه جبريل ﷺ بالبُراق، وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه.
فركبه ﷺ إلى بيت المقدس، يصحبه جبريل ﷺ، فربط البراق بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخل المسجد فوجد الأنبياء قد جُمعوا له، فصلى بهم ركعتين، ثم خرج فأتاه جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاختار اللبن.
فقال جبريل: أصبت الفطرة.
ثم نُصب له المعراج الذي يشبه السلم، فصعد عليه بصحبة جبريل، الذي كان يطلب له فتح كل سماء فيفتح له، ثم التقى بالأنبياء في كل سماء، ثم وصل إلى البيت المعمور فوق السماء السابعة، ثم رُفع إلى سدرة المنتهى، ثم فرض الله عليه وعلى أمته الصلوات الخمس، ورأى الجنة والنار، ثم عاد من السموات العلا إلى بيت المقدس بصحبة جبريل، ثم ركب البراق إلى مكة، ووصلها قبل الصبح.
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ : «بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الحِجْرِ مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ - قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَشَقَّ - مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ - فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي مَا يَعْنِي بِهِ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ- فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا فَغُسِلَ قَلْبِي ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ أَبْيَض - فَقَالَ لَهُ الجَارُودُ: هُوَ البُرَاقُ يَا أَبَاحَمْزَةَ ؟ قَالَ أَنَسٌ : نَعَمْ - يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟.
قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ثُمَّ قَالَا مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.
ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ نَعَمْ، قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ. قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.
ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلى إِدْرِيسَ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.
ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ نَعَمْ، قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.
ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ، قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، قَالَ نَعَمْ قَالَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.
ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ المُنْتَهَى فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ، نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ.

ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ.

ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي والله قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَاسْالهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إلى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إلى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إلى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إلى مُوسَى فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَاسْالهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ. قَالَ: سَالتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ. قَالَ فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي» متفق عليه (١).

ولما أصبح الرسول ﷺ في مكة بين قومه، أخبرهم بما أراه الله من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم، وأذاهم له، وسخريتهم منه .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، فَظِعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِي» فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، قال: فَمَرَّ بِه عَدُوُّ الله أَبُوجَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: « نَعَمْ» قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ :« إِنِّي أُسْرِيَ بيَ اللَّيْلَةَ » : قَالَ إلى أَيْنَ ؟ قَالَ : «إلى بَيْتِ المَقْدِسِ » قَالَ : ثُمَّ أَصْبحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا ؟ ! قَالَ : « نَعَمْ » .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٤).

قَالَ : فَلَمْ يُرِهِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مخافَةَ إنْ يَجْحَدَهُ الحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَرَأَيْت إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ أَتحَدِّثُهُمْ بِمَا حَدَّثْتَنِي ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « نَعَمْ » . قَالَ : هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ . قَالَ : فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ المَجَالِسُ وَجَاؤا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا . قَالَ : حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي .

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنِّي أُسْرِيَ بِيَ اللَّيْلَةَ » . فَقَالُوا : إلى أَيْنَ ؟ قَالَ : «إلى بَيْتِ المَقْدِسِ » قَالُوا : ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قَالَ : فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ - زَعَمَ - قَالُوا : وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا المَسْجِدَ؟ - وَفِي القَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إلى ذَلِكَ البَلَدِ وَرَأَى المَسْجِدَ - قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى التبَسَ عَليَّ بَعْضُ النَّعْتِ» .

قَالَ : « فَجِيءَ بِالمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عَقِيلٍ -أَوْ عِقَالٍ - فَنعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»، قَالَ : «وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لمْ أَحْفَظْهُ»، قَالَ : «فَقَالَ القَوْمُ : أَمَّا النَّعْتُ فوالله لَقَدْ أَصَابَ» أخرجه أحمد (١).

ولما بلغ أبو بكر الصديق ﷺ الخبر، صدَّق دون تردد.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى ، أصبح يتحدث الناس بذلك ، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر ﷺ فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال : أو قال ذلك ؟ قالوا: نعم . قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! قال:نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة .

فلذلك سمي أبو بكر الصديق. أخرجه الحاكم (٢).

وقد رأى رسول الله ﷺ ربه بفؤاده، ولم يره بعينه.

عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا : يَا أُمَّتَاهْ ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ ؟ فَقَالَتْ : لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ : "لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (٢٨١٩) .
(٢) **صحيح/** أخرجه الحاكم (٣/ ٦٢) .

الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ " ، " وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ " ، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ: "وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا " ، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ: "يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ "الآيَة، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ. متفق عليه [١].

وعن أبي ذر ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أَنَّى أَرَاه» أخرجه مسلم [٢].

ولما أصبح رسول الله ﷺ من صبيحة ليلة الإسراء، جاء جبريل ﷺ حين زاغت الشمس، فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها.

فأمر رسول الله ﷺ فنادى بأصحابه: الصلاة جامعة، فاجتمعوا فصلى به جبريل، وصلى الرسول ﷺ بالناس، وسميت تلك الصلاة الظهر؛ لأنها أول صلاة ظهرت، أو لأنها فُعلت عند قيام الظهيرة.

عن جَابِرِ بْن عَبْدِ الله ﷺ قَالَ : جَاءَ جَبْرَائِيلُ إلى النَّبِيِّ ﷺ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ : قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الظُّهْرَ ، فَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى كَانَ فَيْءُ الرَّجُلِ لِلْعَصْرِ مِثْلَهُ ، فَجَاءَ فَقَالَ : قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ العَصْرَ ، فَقَامَ فَصَلَّى العَصْرَ ، ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ ، فَقَالَ : قُمْ فَصَلِّ المَغْرِبَ فَقَامَ فَصَلاهَا حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ سَوَاءٌ ، ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى ذَهَبَ الشَّفَقُ فَجَاءَهُ ، فَقَالَ : قُمْ فَصَلِّ العِشَاءَ فَقَامَ فَصَلاهَا ، ثُمَّ جَاءَهُ حِينَ صَدَعَ الفَجْرُ بِالصُّبْحِ ، فَقَالَ : قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ ، فَقَامَ فَصَلَّى الصُّبْحَ .

ثُمَّ جَاءَهُ مِنَ الغَدِ حِينَ كَانَ فَيْءُ الرَّجُلِ مِثْلَهُ ، فَقَالَ : قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الظُّهْرَ ، فَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ جَاءَهُ حِينَ كَانَ فَيْءُ الرَّجُلِ مِثْلَيْهِ ، فَقَالَ : قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ العَصْرَ ، فَقَامَ فَصَلَّى العَصْرَ، ثُمَّ جَاءَهُ المَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ وَقْتًا وَاحِدًا لَمْ يَزُلْ عَنْهُ ، فَقَالَ : قُمْ فَصَلِّ المَغْرِبَ، فَصَلَّى المَغْرِبَ ، ثُمَّ جَاءَهُ العِشَاءَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ فَقَالَ : قُمْ فَصَلِّ، فَصَلَّى العِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَهُ الصُّبْحَ حِينَ أَسْفَرَ جِدًّا ، فَقَالَ : قُمْ فَصَلِّ الصُّبْحَ ، ثُمَّ قَالَ : مَا بَيْنَ هَذَيْنِ كُلُّهُ وَقْتٌ. أخرجه أحمد والحاكم [٣].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٨٥٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٧٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).
(٣) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٤٥٣٨) ، وأخرجه الحاكم برقم(٧٣٠) .

وكانت الصلاة عندما فرضها الله تعالى على النبي ﷺ وأمته ليلة الإسراء ركعتين الظهر والعصر والعشاء والفجر، والمغرب ثلاثاً، ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ففرضت أربعا، وتركت صلاة السفر على الأولى.

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: فَرَضَ الله الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الحَضَرِ. متفق عليه [(١)].

فالصلوات الخمس فرضت ليلة الإسراء ركعتين ركعتين، إلا المغرب فثلاث، ثم زيدت بعد الهجرة إلا الفجر لطول القراءة فيها، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار.

وكان ﷺ يصلي بمكة إلى بيت المقدس، ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، حتى هاجر، ثم نزل الوحي بعد ستة عشر شهراً بتحويل القبلة إلى الكعبة، كما قال سبحانه: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة/ ١٤٤].

وليلة الإسراء والمعراج لم يعرف يومها ولا شهرها، ولا عامها بالتحديد، فليست لها أفضلية على سائر الليالي في العمل، فلا يشرع في تلك الليلة مزيد عبادة، سواء كانت تلك العبادة ذكراً، أو صلاة، أو صدقة، أو عمرة أو غيرها.

وفي الإسراء والمعراج آيات وأحكام، فقد أظهر الله به قدرته في نصر أوليائه، وإكرامه لهم، وفي ترحيب أهل السموات بالرسول ﷺ دليل على استحباب تلقي أهل الفضل بالبشر والترحيب، والثناء، والدعاء، وبذل النصيحة لمن يحتاج إليها وإن لم تُطلب منه، وفيه بيان لأهمية الصلاة في الإسلام، فقد فرض الله جميع الأحكام بواسطة جبريل ﷺ، وفرض الصلاة على الرسول ﷺ وأمته مباشرة بلا واسطة، وفي الإسراء والمعراج تمحيص للناس، فمن كان مؤمناً صدق وثبت وزاد إيمانه، ومن كان متردداً ضعيفاً انتكس وارتكس، فالدين ليس بالعقل، وإنما بالوحي والنص، فمن نَوَّر الله قلبه قدم الوحي على العقل، وفي مقدمة هؤلاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي آمن وصدق بخبر الإسراء والمعراج: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٣٣].

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٨٥).

١٦- عرض الرسول ﷺ نفسه على الأفراد والقبائل

لما اشتد أذى قريش للنبي ﷺ خرج إلى الطائف، فلم يجد عندهم خيراً، بل عاد ﷺ مكلوم الفؤاد من الإعراض والاستهزاء، ومكلوم القدمين من الحجارة، وحينما اشتدت عليه الأمور جاءه من ربه تكريم الإسراء والمعراج.

ثم بعد ذلك بدأ ﷺ بعرض نفسه على الأفراد والقبائل، بحثاً عن مخرج آخر للدعوة بين الوافدين إلى مكة، وكان هدفه ﷺ إيجاد مكان مناسب يَعبد الله فيه مع أتباعه آمنين.

وكانت مواسم الحج والعمرة، وأسواق العرب، مناسبات هامة للالتقاء بذوي الشأن وغيرهم، ليحموه وينصروه، حتى يبلغ رسالة ربه.

وتفاوتت ردود فعل المدعويين من الأفراد والقبائل، فمنهم من أبى، ومنهم من توقف، ومنهم من استجاب.

فلما رجع ﷺ من الطائف إلى مكة في السنة العاشرة من البعثة، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه، وكان موسم الحج ذالك العام قد اقترب، أخذ ﷺ يتهيأ لدعوة قبائل العرب إلى الإسلام، كما كان شأنه كل عام منذ أن جهر بالدعوة في السنة الرابعة من البعثة، فبدأ يزور الناس في منازلهم ومجامعهم، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويعرض نفسه على القبائل والأفراد.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : مَكَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبَّعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةٍ، وَفِي المَوْسِمِ بِمِنًى، يَقُولُ : مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُني؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الجَنَّةُ ». حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، أَوْ مِنْ مصرفيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ. أخرجه أحمد [١].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي المَوْقِفِ فَقَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إلى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي» أخرجه أبوداود والترمذي [٢].

وكان ﷺ كلما مرعلى قوم يدعوهم إلى الله تبعه عمه أبولهب يكذبه،وينفرالناس منه.

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٤٤٥٦) .

(٢) **صحيح**/ أخرجه أبوداود برقم (٤٧٣٤) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٢٩٢٥).

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدَّيلِيِّ ﷺ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي المَجَازِ يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا الله تُفْلِحُوا » وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا ، وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا ، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا الله تُفْلِحُوا» إِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الوَجْهِ ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ : إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ ؟ قَالُوا : عَمُّهُ أَبُو لهَبٍ. أخرجه أحمد [1].

ومن الأفراد الذين عرض عليهم الرسول ﷺ الإسلام:

١- سويد بن الصامت، وكان شريفاً في قومه، أحسن الرد، ولم يسلم.

٢- ضماد بن ثعلبة الأزدي من اليمن، وكان صديقاً للنبي ﷺ في الجاهلية، فسمع من النبي ﷺ وأسلم.

٣- الطفيل بن عمرو الدوسي، رئيس قبيلة دوس باليمن، عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، وقرأ عليه القرآن فأسلم، ثم جاء الطفيل بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ممن أسلم من قومه إلى المدينة، ثم لحقوا برسول الله ﷺ وهو بخيبر.

٤- إياس بن معاذ من بني عبد الأشهل، وكان يوم بعاث على ميلين من المدينة، انتصر فيه الأوس على الخزرج، وقتل فيه أشرافهم، جعله الله تقدمة لرسول الله ﷺ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : كَانَ يَوْمُ بُعَاثٍ يَوْمًا قَدَّمَهُ الله لِرَسُولِهِ ﷺ ، فَقَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ وَقَدِ افْتَرَقَ مَلَؤُهُمْ، وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ وَجُرِّحُوا ، فقَدَّمَهُ الله لِرَسُولِهِ ﷺ فِي دُخُولِهِمْ فِي الإِسْلَامِ. أخرجه البخاري [2].

ومن أبرز القبائل التي عرض الرسول ﷺ نفسه عليها بنو عامر بن صعصعة، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو نصر من هوازن، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذرة، ومحارب، وغسان، وحمدان، وثقيف، وكلب، وعبس، وبكر بن وائل، وبنو شيبان.

وكل هؤلاء لم يستجيبوا لما عرضه النبي ﷺ عليهم، ولكن تفاوتت ردودهم بين رد قبيح كما فعل بنو حنيفة، ورد غير سيء كما فعل بنو شيبان: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٦٠٢٣) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧٧٧).

﴿يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يس/ ٣٠-٣٢].

وفي هذا العرض العام على القبائل المختلفة التي كانت تفد إلى مكة للحج والعمرة من مختلف البقاع، دليل على عالمية الدعوة، وأنها للعالمين أجمعين، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

وعَرْض الإسلام على الناس لابد أن يصاحبه أذى، فيلزم الداعي الصبر، واحتساب الأجر، وعدم مواجهة من أساء بشيء يكرهه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان/ ٦٣].

١٧- بيعة العقبة الأولى

دخلت السنة الحادية عشرة من البعثة، ورسول الله ﷺ يقوم بالدعوة إلى الله، رغم تضييق قريش عليه،وإثارتهم الشائعات والأكاذيب حوله،ليصدوا الناس عما جاء به.

فلما كان موسم حج السنة الحادية عشرة من البعثة، وأراد الله ﷻ إظهار دينه، واعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أنتم؟» قالوا: نفر من الخزرج، قال: «أمن موالي يهود؟»، قالوا:نعم، قال:«أفلا تجلسون أكلمكم؟»، قالوا: بلى،فجلسوا معه،فدعاهم إلى الله،وعرض عليهم الإسلام،وتلا عليهم القرآن.

ومما صنع الله لهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان، وكان اليهود قد غزوهم في بلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا: إن نبياً مبعوثاً الآن، قد أظل زمانه نتبعه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله أنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، وقبلوا ما عرضه عليهم من الإسلام.

ثم قالوا له: إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، وندعوهم إلى أمرك الذي أجبناك إليه، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم، قد آمنوا وصدقوا بالله ورسوله.

وكان عدد هؤلاء ستة نفر من الخزرج وهم:

أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رئاب رضي الله عنهم .

ثم رجع هؤلاء الستة إلى المدينة، دعاة إلى الإسلام، ففشا فيها الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ.

وكان الأوس والخزرج إخواناً لأم وأب، فالأوس منسوبون إلى أوس بن حارثة، والخزرج منسوبون إلى الخزرج بن حارثة، وكانوا من قبل يعرفون باسم أمهم (قيلة)، فسماهم رسول الله ﷺ (الأنصار).

وقد فرق اليهود شملهم، ومزقوا وحدتهم، فوقعت بينهم العداوة بسبب قتيل، ولبثت الحرب بينهم مائة وعشرين سنة، إلى أن أطفأها الله بالإسلام، وألف بينهم برسول الله ﷺ كما قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٣].

وبقي هؤلاء الستة في المدينة يدعون إلى الله ﷻ، حتى إذا كان العام المقبل، وذلك سنة اثنتي عشرة من البعثة، وافى موسم الحج اثنا عشر رجلا، اثنان من الأوس، وعشرة من الخزرج، منهم خمسة من الستة الذين أسلموا على يد النبي ﷺ في العام الماضي.

من الخزرج: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ومعاذ بن الحارث، ورافع بن مالك، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، والعباس بن عبادة، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، رضي الله عنهم.

ومن الأوس: أبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة رضي الله عنهما.

وقد لقي رسول الله ﷺ هؤلاء عند العقبة بمنى، فبايعوه بيعة العقبة الأولى، على السمع والطاعة في العسر واليسر، وفي المنشط والمكره، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول الحق، وأن لا يخافوا في الله لومة لائم، وعلى الولاء والنصرة لرسول الله ﷺ إذا قدم عليهم المدينة، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأولادهم.

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي اليُسْرِ وَالعُسْرِ، وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَ أَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ أَوْ نَقُومَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي الله لَوْمَةَ لَائِمٍ. متفق عليه [(١)].

وبعد أن تمت هذه البيعة المباركة، وانتهى الموسم، عاد أولئك النفر إلى المدينة، وبعث معهم النبي ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه، ليعلمهم الإسلام، ويقرئهم القرآن، وليدعو هناك إلى الإسلام.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١٩٩) واللفظ له، ومسلم برقم (١٧٠٩).

عن البراء بن عازب ﵁ قال : أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرئاننا القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ، ثم جاء النبي ﷺ ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون : هذا رسول الله ﷺ قد جاء. أخرجه البخاري [1].

فأسلم على يد مصعب بن عمير خلق كثير من الأنصار، وكان ممن أسلم على يد مصعب بن عمير ﵁ سيد بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ، وأسيد بن خضير، رضي الله عنهما، وبإسلامهما أسلم جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد إلا الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت فقد تأخر إسلامه إلى يوم أحد، واستشهد فيه.

وكان نزول مصعب بن عمير بالمدينة على السيد الجليل السابق إلى الخير أسعد بن زرارة ﵁، وأقام في المدينة يدعو إلى الله، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون.

ومع حلول الموسم التالي، عاد مصعب بن عمير ﵁ إلى مكة.

وأخبر الرسول ﷺ بانتشار الإسلام في المدينة، وكُثر الداخلين فيه منها، فَسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ.

وسبب سرعة إسلام الأنصار، ما طبع الله عليه الأوس والخزرج من الرقة واللين، وعدم المغالاة في الكبرياء، وجحود الحق، فإنهم من أهل اليمن، وقد قال النبي ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أفئدةً، وَاليَنُ قُلُوبًا ، الإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ» متفق عليه [2].

ثم إن الأوس والخزرج قد أنهكتهما الحروب الداخلية التي استمرت أكثر من مائة وعشرين عاماً، وقد اكتووا بنارها، وذاقوا مرارتها، حتى اشتاقوا إلى جمع الكلمة، والخلاص من الحروب، فكان دخولهم في الإسلام رحمة لهم.

وقريش وسائر العرب قد طال عهدهم بالنبوات والأنبياء، حتى غرقوا في الأوثان والوثنية، وقبائح الجاهلية .

أما الأوس والخزرج فكانوا يسمعون اليهود يتحدثون عن الأنبياء، ويتوعدونهم بنبي قد أظل زمانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٤١).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٨٨) واللفظ له ، ومسلم برقم (٥٢).

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٨٩].

فلما عرفوا رسول الله ﷺ في الموسم، ودعاهم إلى الإسلام، ارتفعت الغشاوة عن عيونهم، وكأنهم كانوا من هذه الدعوة على ميعاد.

وفوق ذلك كله أن الله علم ما في قلوبهم من قبول الحق، فشرح صدورهم له، وجعلهم في صدره، وأسبق الناس إليه.

١٨- بيعة العقبة الثانية

انتشر الإسلام في المدينة، ولما اقترب موسم الحج من السنة الثالثة عشرة للبعثة، اجتمع ثلاثة وسبعون رجلا من الأنصار، فقالوا: حتى متى نذر رسول الله ﷺ يُطرد في جبال مكة ويُخاف؟

فتواعدوا واتفقوا على المسير إلى الحج، وملاقاة رسول الله ﷺ، فخرجوا مع حجاج قومهم من أهل الشرك وهم خمسمائة، فقدموا مكة مع الحجاج من قومهم، مستخفين بإسلامهم، وكان معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه ، فلما وصل مكة جاء منزل رسول الله ﷺ أولاً، فجعل يخبر رسول الله ﷺ عن الأنصار، وعن سرعتهم إلى الإسلام، ويقص عليه خبر قبائل يثرب، وما لها من قوة ومنعة.

فَسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ، ودعا له.

ثم جرت بين الأنصار وبين رسول الله ﷺ اتصالات سرية، أدت إلى اتفاق الفريقين على أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق ليلاً، في الشعب الذي عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى، وذلك لإبرام اتفاق هو أعظم اتفاق في تاريخ الإسلام، وأن يتم هذا الاجتماع في سرية تامة، في ظلام الليل.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : مَكَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةٍ ، وَفِي المَوْسِمِ بِمِنًى، يَقُولُ : «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الجَنَّةُ. «حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، أَوْ مِنْ مصرفيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ» . أخرجه أحمد [(١)].

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا، فلما توجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا: يا هؤلاء إني قد رأيت والله رأيا، وإني والله ما أدري توافقوني عليه أم لا؟ قال: قلنا له: وما ذاك؟.

قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر يعني الكعبة، وأن أصلي إليها. قال فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه. فقال: إني أصلي إليها.

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٤٤٥٦) .

قال فقلنا له: لكنا لا نفعل. فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة. قال أخي: وقد كنا عبنا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة عليه، فلما قدمنا مكة قال: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ فاسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه.

قال فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ وكنا لا نعرفه، لم نره قبل ذلك، فلقينا رجل من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ فقال: هل تعرفانه؟ قال قلنا: لا. قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه، قلنا: نعم. قال وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا. قال فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس. قال فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ معه جالس فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: « هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ » قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك. قال فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ «الشاعر » قال: نعم.

قال فقال البراء بن معرور: يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا وهداني الله للإسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: « لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها» قال فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام. قال وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم.

قال وخرجنا إلى الحج فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق.

فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله ﷺ ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من سادتنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غدا، ثم دعوته إلى الإسلام وأخبرته بميعاد رسول الله ﷺ فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا، قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا، ومعنا امرأتان

من نسائهم: نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع.
قال فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه يومئذ عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أول متكلم فقال: يا معشر الخزرج قال وكانت العرب مما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج أوسها وخزرجها: إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، وهو في عز من قومه ومنعة في بلده. قال فقلنا: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.
قال فتكلم رسول الله ﷺ فتلا ودعا إلى الله ﷻ، ورغب في الإسلام قال « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله ﷺ، فنحن أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر.
قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبد الأشهل فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإنا قاطعوها يعني العهود، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا، قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال « بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم، وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم » وقد قال رسول الله ﷺ: « أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم » فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا، منهم تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، وأما معبد بن كعب فحدثني في حديثه عن أخيه عن أبيه كعب بن مالك قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم تتابع القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قط يا أهل الجباجب، والجباجب المنازل، هل لكم في مذمم والصباة معه قد أجمعوا على حربكم؟
فقال رسول الله ﷺ: « هذا أزب العقبة، هذا ابن أزيب، اسمع أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك » ثم قال رسول الله ﷺ: « ارفعوا إلى رحالكم » قال فقال له العباس بن

عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا. قال فقال رسول الله ﷺ: « لم أومر بذلك » قال فرجعنا فنمنا حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، والله إنه ما من العرب أحد أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم، قال فانبعث من هنالك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه، وقد صدقوا لم يعلموا ما كان منا، قال فبعضنا ينظر إلى بعض، قال وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وعليه نعلان جديدان قال فقلت كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: ما تستطيع يا أبا جابر وأنت سيد من سادتنا أن تتخذ نعلين مثل نعلي هذا الفتى من قريش، فسمعها الحارث فخلعهما ثم رمى بهما إلي فقال: والله لتنتعلنهما قال يقول أبو جابر أحفظت والله الفتى، فاردد عليه نعليه، قال فقلت: والله لا أردهما، قال: والله صلح، والله لئن صدق الفأل لأسلبنه». أخرجه أحمد (١).

إن في بيعة العقبة الأولى والثانية فضل كبير للأنصار رضي الله عنهم كما أخبر الله عنهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر/٨-٩].

وعن البراء رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «الأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ الله» متفق عليه (٢).

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ» متفق عليه (٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لَوْ أَنَّ الأَنصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الأَنصَارِ، وَلَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الأَنصَارِ» أخرجه البخاري (٤).

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٥٧٩٨).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٧٨٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٧٨٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٤).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٧٧٩).

وفي استجابة الأنصار واستعدادهم لنصرة الرسول ﷺ، وتأخر إسلام قومه وبني عمه، وسبق الأباعد إلى الإيمان به، حكم عظيمة قدَّرها الحكيم العليم، إذ لو بادر أهله وأقاربه وقومه إلى الإيمان به لقيل: قوم أرادوا الرياسة والفخر برجل منهم وتعصبوا له.

فلما بادر إليه الأباعد، وقاتلوا على حبه من كان منهم أو من غيرهم، دل على صدق إيمانهم، وصدق من آمنوا به، وأن هذا الدين يَشْرف به من آمن به، والله يختص برحمته من يشاء.

وبيعة العقبة الثانية من أهم الأحداث في الإسلام، حيث فتح الله بسببها الطريق أمام الصحابة رضي الله عنهم للهجرة إلى المدينة، ثم هجرة الرسول ﷺ، إلى المدينة، ثم شرعت الأحكام، وفتحت أبواب الجهاد، وانتشر وانتصر الإسلام، وقامت دولة الإسلام كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور/ ٥٥].

* * * * *

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

وتشتمل على ما يلي :

١- السنة الأولى من الهجرة
٢- السنة الثانية من الهجرة
٣- السنة الثالثة من الهجرة
٤- السنة الرابعة من الهجرة
٥- السنة الخامسة من الهجرة
٦- السنة السادسة من الهجرة
٧- السنة السابعة من الهجرة
٨- السنة الثامنة من الهجرة
٩- السنة التاسعة من الهجرة
١٠- السنة العاشرة من الهجرة
١١- السنة الحادية عشرة من الهجرة

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الأولى من الهجرة

وتشتمل على ما يلي :

١- الهجرة إلى المدينة، وتشمل :
   ١- هجرة أصحاب النبي ﷺ إلى المدينة
   ٢- هجرة النبي ﷺ إلى المدينة
   ٣- وصول النبي ﷺ إلى المدينة

٢- أسس بناء الدولة الإسلامية في المدينة، وتشمل :
   ١- بناء المسجد النبوي
   ٢- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
   ٣- وثيقة المعاهدة بين سكان المدينة

٣- مظاهر نجاح الهجرة إلى المدينة

٤- دعاء الرسول ﷺ للمدينة

٥- زواج النبي ﷺ بعائشة

٦- تشريع الأذان

٧- إسلام عبد الله بن سلام

٨- شراء عثمان بن عفان بئر رومة

٩- زيادة ركعات الصلاة

١٠- خوف رسول الله ﷺ أن تعرى المدينة

١١- أعداء الإسلام في المدينة، ويشمل :
   ١- عداوة يهود المدينة
   ٢- عداوة كفار المدينة
   ٣- عداوة المنافقين في المدينة

١٢- الإذن بقتال الكفار

١٣- السرايا في السنة الأولى من الهجرة

١٤- وفيات السنة الأولى من الهجرة

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الأولى من الهجرة

١ - الهجرة إلى المدينة

اختار الله ﷻ المدينة داراً لهجرة النبي ﷺ ، ومركزاً لدعوته، إكراماً لأهلها الذين سارعوا في الدخول في الإسلام، ودعوا رسول الله ﷺ إلى بلدهم لنصرته.

وقد تميزت المدينة عن سائر القرى بتحصين طبيعي حربي، فكانت حرة الوبرة تحيط بالمدينة من الغرب، وحرة واقم تحيط بها من الشرق، أما شمال المدينة فهو مكشوف.

وكانت الجهات الأخرى من أطراف المدينة محاطة بالنخيل والزروع الكثيفة، لا يمر منها الجيش إلا في طرق ضيقة.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ» أخرجه البخاري[١].

وكان أهل المدينة من الأوس والخزرج أصحاب نخوة وحمية، وأصحاب فروسية وقوة وشكيمة، ألفوا الحرية، ولم يخضعوا لأحد، ولم يدفعوا إتاوة أو جباية لقبيلة أو حكومة.

فكانوا أعز الناس نفساً، وأشرفهم همماً، وأرقهم أفئدة، وألينهم قلوباً.

فكانت المدينة أصلح مكان لهجرة الرسول ﷺ وأصحابه، واتخاذها لهم داراً وقراراً، حتى يقوى الإسلام، ثم يعم أرجاء الأرض.

وسر الهجرة إلى المدينة أن الله ﷻ فرق فيها بين أوليائه وأعدائه، وجعلها مبدأ لإعزاز دينه، ونصر عبده ورسوله، واستخلاف أوليائه، والتمكين لهم في الارض.

١ - هجرة أصحاب النبي ﷺ إلى المدينة :

لما صدر أهل بيعة العقبة الثانية، وعددهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، طابت نفسه ﷺ ، وقد جعل الله له بالمدينة أهل منعة ونجدة، واشتد البلاء من المشركين على المسلمين في مكة، لما يعلمون من خروجهم إلى المدينة، فضيقوا عليهم وآذوهم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩٠٥).

فشكا ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، واستأذنوه في الهجرة إلى المدينة فأذن لهم.
ثم مكث ﷺ أياماً، ثم خرج إلى أصحابه مسروراً، فقال: « رَأَيْتُ فِي المنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ » متفق عليه[1].
ثم إنه ﷺ أمر جميع المسلمين بالهجرة إلى المدينة، واللحوق بإخوانهم من الأنصار، فقال ﷺ : «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى يَقُولُونَ: يَثْرِبَ، وَهِيَ المدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ» متفق عليه[2].
فخرج أصحابه ﷺ إلى المدينة أرسالاً، متخفين، مشاة، وركباناً رضي الله عنهم.
وأقام ﷺ بمكة ينتظر أن يؤذن له بالهجرة من مكة إلى المدينة.
فكان أول من هاجر من مكة إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد، ثم عامر بن ربيعة، وامرأته ليلى، ثم عبد الله بن جحش وغيرهم.
ثم خرج الصحابة أرسالاً يتبع بعضهم بعضاً رضي الله عنهم.
عن البراء بن عازب ﷺ قال : أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَبِلاَلٌ رَضِيَ الله عَنْهُمْ. أخرجه البخاري[3].
فهاجر الصحابة رضي الله عنهم الواحد تلو الآخر، ولم يبق في مكة إلا رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقلة من المسلمين حبسهم المرض أو العذر.
وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، ولكن رسول الله ﷺ يأمره بالبقاء والتريث.
وحين سمع الذين بالحبشة من المسلمين بهجرة إخوانهم إلى المدينة رجع بعضهم إلى مكة، ثم هاجر بعضهم، وحبس كفار مكة بعضهم، وبقي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في الحبشة في عدد من المهاجرين، ثم قدموا على الرسول ﷺ في المدينة عام خيبر سنة سبع من الهجرة.
ولم تكن هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة سهلة، بل كانت من أصعب الأمور على الكفار، وعلى المسلمين.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم(٣٦٦٢)، وأخرجه مسلم برقم (٢٢٧١).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨٧٧)، وأخرجه مسلم برقم (١٣٨٢).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٩٢٤).

فقد كان كفار مكة يمنعون المهاجرين بأساليب قاسية، ويمتحنون المهاجرين بأنواع من المحن والأذى، ليردوهم عن الإسلام والهجرة.

والمهاجرون واجهوا أعظم الأخطار، وهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وبلادهم في سبيل دينهم، وكل منهم يعلم أنه في الطريق مستباح الدم والمال، راكب لقطار الموت في سبيل الله، ونصرة رسوله ﷺ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾[الحشر/٨].

فالمهاجرون تركوا وبذلوا كل شيء من أجل الدين، والأنصار استقبلوا وبذلوا كل شيء في سبيل الله، فرضي الله عنهم ورضوا عنه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة/١٠٠].

٢- هجرة النبي ﷺ إلى المدينة:

لما رأى المشركون أصحاب رسول الله ﷺ أخذوا في الهجرة إلى المدينة بأنفسهم وأموالهم وأهلهم، ورأوا الرسول ﷺ صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، فشعرت قريش بخطورة الأمر، وخافوا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وأن يجمع أتباعه لحربهم، فاجتمعوا في دار الندوة، وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً هاماً إلا فيها، ومكانها مقابل حِجر الكعبة من الشمال، وكان اجتماعهم في السنة الرابعة عشرة من البعثة، بعد ثلاثة أشهر من بيعة العقبة الثانية، فاجتمعوا ليتشاوروا فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، وحضر معهم إبليس في صورة شيخ نجدي، ولم يتخلف عن هذا الاجتماع أحد من أهل العقل والرأي فيهم، ومنهم صناديد قريش أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وطعيمة بن عدي، وجبير بن مطعم، والنضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمية بن خلف، وغيرهم ممن ليس من قريش.

اجتمعوا: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾[الصف/٨-٩].

وحين اجتمع أئمة الكفر والضلال في اليوم الذي حددوه، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد

اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا . قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم .
فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره. فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت .
فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه رأيا غير هذا .
قال فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم .
قال فقال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره.
فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له . [(١)].
وبهذا اتفق زعماء قريش مع إبليس على ارتكاب أكبر جريمة بعد الشرك في تاريخ البشرية، وهي قتل الرسول ﷺ .
وقد أخبر الله ﷻ نبيهﷺ بهذه المؤامرة الكبرى بقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال/ ٣٠].

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٩٤)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٠٩).

ولما حان وقت تنفيذ هذه المؤامرة أتى جبريل إلى النبي ﷺ ، وقال له: لا تبت هذه الليلة في فراشك.

ولما جاء الليل أمر الرسول ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يبيت في فراشه، وأن يؤدي الأمانات التي كانت عند رسول الله ﷺ للناس؛ لأنه ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده ﷺ ؛ لما يعرفون من صدقه وأمانته.

ثم خرج رسول الله ﷺ من بيته ظهراً، وهو يتلو ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[يس/ ٩] .

ونثر ﷺ على رؤوس الجالسين عند بابه التراب، ثم انصرف حيث أراد، ونزل في هذا قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال/ ٣٠] .

ثم ذهب رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه ، فخرجا من خوخة في دار أبي بكر رضي الله عنه ليلاً، حتى لحقا بغار ثور جهة اليمن.

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد حبس نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين عنده ورق السمر أربعة أشهر، ليهاجر مع رسول الله ﷺ عليهما إلى المدينة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: بَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ الله ﷺ مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، والله مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لي فِي الخُرُوجِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ - بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ الله - إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بِالثَّمَنِ».

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ: ثُمَّ لحِقَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ

مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا، حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ.

وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيًا خِرِّيتًا - وَالخِرِّيتُ المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ - قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاَثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ. أخرجه البخاري[(١)].

ولما فقدت قريش رسول الله ﷺ طلبوه في كل مكان في مكة، وبعثوا القافة في أثره في كل طريق، وأعلنت قريش عن مكافأة سخية قدرها مائة ناقة، لمن يأتي بالرسول ﷺ وصاحبه إلى قريش حيين أو ميتين.

فانطلق المطاردون في كل جهة، حتى وصلوا إلى باب غار ثور، ولكن الله غالب على أمره، فقد وقفوا على باب الغار ولم يدخلوه، ولو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لأبصرهم، ولكن حجبهم الذي يملك السمع والأبصار .

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه حَدَّثَهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ المُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا». متفق عليه[(٢)].

وفي هذا الشأن نزل بعد سنين قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة/ ٤٠].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩٠٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٣)، وأخرجه مسلم برقم (٢٣٨١).

ومكث رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في غار ثور ثلاثة أيام، حتى هدأ الطلب عنهما، ولما هدأ الطلب خرجا مع دليلهما الذي أمعن في اتجاه الجنوب نحو اليمن، حتى إذا وصل إلى طريق لم يألفه الناس اتجه شمالاً، وسلك طريقاً قرب الساحل لم يسلكه أحد من الناس إلا نادراً،ومر ﷺ في طريقه بخيمة أم معبد الخزاعية في قديد.

وفي الطريق إلى المدينة لحقهما سراقة بن مالك، فمنعهما الله منه، وكفاهما شره.

عن سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُم قال: جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يجْعَلُونَ فِي رَسُولِ الله ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مجْلِسٍ مِنْ مجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ.

قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلاَنًا وَفُلاَنًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي المَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ البَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلاَمَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا: أَضُرُّهُمْ أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ، تُقَرِّبُ بي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ الله ﷺ ، وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ الله ﷺ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلاَنِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا». فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ الله ﷺ. متفق عليه (١).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٩٠٦)، وأخرجه مسلم برقم (٢٠٠٩).

وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: ارْتحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا، أَوْ سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلٍّ فَآوِيَ إِلَيْهِ، فَإِذَا صَخْرَةٌ أَتَيْتُهَا فَنَظَرْتُ بَقِيَّةَ ظِلٍّ لهَا فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ فَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ الله، فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ .

ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي هَلْ أَرَى مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَالتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لمَنْ أَنْتَ يَا غُلامُ، قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، سَمَّاهُ فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِك مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الغُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ: هَكَذَا، ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالأُخْرَى، فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ الله ﷺ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَافَقْتُهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ الله، فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «بَلَى». فَارْتحَلْنَا وَالقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا. أخرجه البخاري[1].

وقبل قدوم الرسول ﷺ المدينة، لقي الزبير بن العوام ﷺ في ركب من المسلمين، كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيض.

٣- وصول النبي ﷺ إلى المدينة :

سار النبي ﷺ من مكة، من غار ثور ومعه صاحبه أبو بكر الصديق ﷺ ، وعامر بن فهيرة خادماً لهما، وعبد بن أبي أريقط دليلاً في الطريق لهما.

وقد وصل الركب المبارك الميمون إلى المدينة يوم الاثنين، من شهر ربيع الأول، من السنة الأولى من الهجرة.

واستقبله ﷺ أهل المدينة استقبالاً حاراً، وصاح النساء والخدم والغلمان: جاء رسول الله ﷺ ، جاء محمد، الله أكبر، جاء محمد، وأنشدوا فرحاً بقدومه ﷺ :

طلـع البـدر علينـا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... مـا دعـا لله داع

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٢).

ثم سار ﷺ حتى نزل قباء، في بني عمرو بن عوف من الأوس، ونزل في بيت كلثوم بن الهدم، شيخ بني عمرو بن عوف، ونزل عنده بضع عشرة ليلة، حتى بنى ﷺ مسجد قباء، وصلى فيه.

وكان ﷺ يجلس ويتحدث مع أصحابه رضي الله عنهم في بيت سعد بن خيثمة، لأنه كان عزباً لا أهل له هناك، وكان عزاب الصحابة عنده، ونزل أبو بكر رضي الله عنه على خارجة بن زيد.

عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدِمَ المَدِينَةَ، فنزلَ في عُلْوِ المَدِينَةِ، فِي حَيٍّ يُقَالُ لهمْ بَنُو عَمْرِو بْنُ عَوْفٍ، فَأَقَامَ فيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً. متفق عليه[1].

ثم خرج رسول الله ﷺ من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، وهو في طريقه إلى داخل المدينة، فجمع بهم بالمسجد الذي في بطن الوادي، وكانت أول جمعة أقيمت داخل المدينة، ويسمى مسجدها الآن مسجد الجمعة.

ونزل ﷺ داخل المدينة بدار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه في أخواله بني النجار.

عن عُرْوَة بْن الزُّبَيْر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، كَانُوا تجارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْم، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ الله ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ المُسْلِمُونَ بِالمَدِينَةِ مخْرَجَ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ.

فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُم مِنْ آطَامِهِمْ، لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ الله ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ العَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ المُسْلِمُونَ إِلَى السِّلاَحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ الله ﷺ بِظَهْرِ الحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الاثنين مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ.

فَقَامَ أَبُوبَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ - ممَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ الله ﷺ - يحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ الله ﷺ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ الله ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَبِثَ رَسُولُ الله ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ المَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَصَلَّى

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٩٣٢)، ومسلم برقم (٥٢٤).

فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ، لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ المَنْزِلُ». ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الغُلاَمَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالاَ: لاَ، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ، وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ: « هَذَا الحِمَالُ لاَ حِمَالَ خَيْبَرْ، هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ» وَيَقُولُ: «اللهمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرة، فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَةَ » أخرجه البخاري [1].

وكان ﷺ كلما مر على دار من دور الأنصار استقبله كبارها، ودعوه إلى النزول عندهم، ويقولون له: يا رسول الله هلم إلى القوة والمنعة، فيقول: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»، فلم تزل تسير به إلى مكان المسجد اليوم، فبركت فيه، فنزل عنها ﷺ ، وقال:«أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ». فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللهِ ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، قَالَ: «فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلاً» أخرجه البخاري [2].

وعن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: لمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ، نَزَلَ فِي عُلْوِ المَدِينَةِ، فِي حَيٍّ يُقَالُ لهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: فَأَقَامَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى مَلَإِ بَنِي النَّجَّارِ، قَالَ: فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي سُيُوفِهِمْ، قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُوبَكْرٍ رِدْفَهُ، وَمَلأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ، حَتَّى القَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: فَكَانَ يُصَلِّي حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإِ بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا، فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي حَائِطَكُمْ هَذَا» فَقَالُوا لاَ واللهِ، لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللهِ، قَالَ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ، كَانَتْ فِيهِ قُبُورُ المُشْرِكِينَ، وَكَانَتْ فِيهِ خِرَبٌ، وَكَانَ فِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُبُورِ المُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، وَبِالخِرَبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، قَالَ: فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ، قَالَ: وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ حِجَارَةً . أخرجه البخاري[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩٠٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٩١١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٩٣٢).

وأقام النبي ﷺ في منزل أبي أيوب ﷺ حتى بنى حُجَره ومسجده، ثم ارتحل من منزل أبي أيوب إلى حجراته ﷺ بعد شهر تقريباً.
وبهذا نعلم حب الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ ، حيث خرجوا لاستقباله، ونستفيد من ذلك مشروعية استقبال الأكابر، واحترامهم، وتوقيرهم، وإكرامهم.
وفي نزوله ﷺ على كلثوم بن الهدم مشروعية نزول الأكابر على الأكابر؛ لأنه كان كبير قبيلته.
وفي ترك أمر النزول على أحد إلى اختيار الناقة إرضاء للجميع، والنزول حسب ما يريد الله ﷻ .
وفي اختيار أمر نزول رسول الله ﷺ عند أقرب بيت للمسجد تطييب لقلوب الجميع، والنزول حيث يريد الله ﷻ.
وقد بَعث ﷺ وهو في بيت أبي أيوب ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه إلى مكة، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم، ليأتياه بأهله من مكة.
فقدما بابنتيه فاطمة وأم كلثوم رضي الله عنهما، وزوجته ﷺ سودة بنت زمعة رضي الله عنها، وأم أيمن حاضنة الرسول ﷺ ، وزوجة زيد بن حارثة، وابنها أسامة بن زيد رضي الله عنهما.
وأما زينب بنت الرسول ﷺ فمنعها من الهجرة زوجها أبو العاص بن الربيع، وكان لا يزال مشركاً، وأما رقية بنت الرسول ﷺ فهاجرت من قَبل إلى الحبشة مع زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنهما.
وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر الصديق بعيال أبيه، أم رومان زوجة أبيه، وأختاه عائشة وأسماء رضي الله عنهم، وقدموا المدينة جميعاً.
فنزل آل رسول الله ﷺ في بيت حارثة بن النعمان ﷺ ،ونزل آل أبي بكر ﷺ في بني الحارث بن الخزرج بالسنح.

٢- أسس بناء الدولة الإسلامية في المدينة

قامت الدولة الإسلامية بعد الهجرة إلى المدينة على ثلاثة أسس: (بناء المسجد النبوي .. والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .. ووثيقة المعاهدة بين سكان المدينة).

١- بناء المسجد النبوي

لما وصل النبي ﷺ إلى قباء، قام مع أصحابه ببناء مسجد قباء في بضع عشرة ليلة، ثم تحول إلى المدينة، فكان أول عمل قام به بعد نزوله بناء المسجد النبوي، حيث بركت الناقة في مربد للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين من بني النجار، فابتاعه منهما، وبناه مسجداً.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الحِجَارَةَ. متفق عليه[1].

وكان ﷺ ينقل معهم اللبن والحجارة في بنيانه، ويُقدِّم في العمل من يجيد جانباً منه، ويشجع المواهب.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يحملون لبنة لبنة، وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين، وكان رجلا ضابطاً قويا، فرآه النبي ﷺ ، فجعل ينفض التراب عن رأسه، ويقول: «يا عَمَّارُ، أَلَا تحْمِلُ مَا يحْمِلُ أَصْحَابُكَ؟ »، قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ الأَجْرَ مِنَ الله ، فَجَعَلَ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «وَيْحُ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّار» أخرجه ابن حبان[2].

وقد استغرق بناء المسجد النبوي اثني عشر يوماً تقريباً، وكان بناؤه متواضعاً في أبسط صورة، فراشه الرمال، وأعمدته جذوع النخل، وسقفه جريد النخل، وطوله مما يلي القبلة إلى مؤخرته مائة ذراع، وعرضه مثل ذلك أو دونه.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢٨)، ومسلم برقم (٥٢٤).
(٢) **صحيح**/ أخرجه ابن حبان برقم (٧٠٧٩).

وبعد الفراغ من بناء المسجد بُنيت الحجرات لأزواج النبي ﷺ حول مسجده الشريف، وسُقفت بالجريد وجذوع النخل، لتكون مساكن لرسول الله ﷺ وأهله، فكان لسودة بنت زمعة رضي الله عنها بيت، وآخر لعائشة رضي الله عنها.

وظل المسجد النبوي على حاله حتى كثر الناس، وضاق المسجد، وذلك بعد غزوة خيبر، فأدخل فيه رسول الله ﷺ الأرض التي اشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه، ووسع بها المسجد ﷺ، وكان ﷺ يصلي بالناس فيه، ويخطب فيه مستنداً إلى جذع نخلة.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله ، أَلاَ نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ»، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ. قَالَ: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا» أخرجه البخاري[1].

وكان ﷺ يصلي قبل بناء مسجده حيث أدركته الصلاة، ولأهمية المسجد في الإسلام فقد بادر رسول الله ﷺ إلى البدء في بنائه فور وصوله إلى المدينة، قبل أن يبني بيتاً لنفسه.

وهذا يدل على أهمية المسجد في الإسلام، فهو يؤدي الوظائف التالية :

١- الوظيفة التعبدية : فهو محل إقامة الصلاة جماعة، ومحل الاعتكاف، وتلاوة القرآن الكريم، وغيرها.

٢- الوظيفة التوجيهية: حيث تقوم فيه حلقات التعليم، والتدريس، والوعظ، والإفتاء، وغيرها.

٣- الوظيفة الاجتماعية: حيث من خلال المسجد يتم إيواء الفقراء فيه، واستقبال الضيوف والغرباء فيه، ويتم التعارف بين أهل القرية فيه، واجتماع أهل الحي الواحد فيه، وتتحقق من خلاله الأخوة والمحبة والمواساة بين المسلمين.

وفي مشاركة الرسول ﷺ أصحابه في بناء المسجد دليل على تواضعه، وحاجته إلى التماس الأجر، وتقديم القدوة الحسنة في العمل، فالمسلم إذا دعا إلى خير يكون أول المبادرين إليه.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٨٤).

أما فضائل المسجد النبوي، فهو أول مسجد أسس على التقوى، والصلاة فيه بألف صلاة، وأنه من المساجد التي يجوز شد الرحال إليها.

قال تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ الفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ» متفق عليه[1].

وعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ المَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا» لِمَسْجِدِ المَدِينَة. أخرجه مسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى» متفق عليه[3].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٩٠)، ومسلم برقم (١٣٩٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٣٩٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٨٩)، ومسلم برقم (١٣٩٧).

٢- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كان العمل الثاني الذي قام به الرسول ﷺ بعد بنائه المسجد هو عقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

فقد آخى ﷺ بين المهاجرين بعضهم مع بعض حين نزلوا المدينة ليُذهب عنهم وحشة الغربة، ويُؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد أزر بعضهم ببعض، ليرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى، لأن بعض المهاجرين أحسن حالا من بعض بالمال والعشيرة، كما آخى ﷺ بين حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة رضي الله عنهما، لأن زيداً كان مولاهم.

وآخى ﷺ بين الزبير بن العوام، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

عن أنس رضي الله عنه قَالَ: آخَى النبيُ ﷺ بَين ابن مَسعودٍ والزُبير. أخرجه البخاري في الأدب المفرد والحاكم [1].

ثم آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فقد قدم المهاجرون إلى المدينة من بطون مختلفة، ونزلوا فيها بلا أهل ولا مال، وقدموا إلى قوم لم يسبق لهم بهم معرفة.

وكان الأنصار قوماً لم تجف الدماء بينهم من الحروب، وبينهم من مظاهر الفرقة والنزاع الكثير، ولكن الله برحمته ألف بين قلوب الجميع بالإيمان، كما قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٣].

وقد عقد ﷺ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك رضي الله عنه، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار.

فآخى ﷺ بينهم على الحق، والمواساة، والتوارث فيما بينهم دون ذوي الرحم.

فلما عز الإسلام، واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة، أنزل الله سبحانه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال/ ٧٥].

فنسخ الله التوارث، وخصه بالقرابة، وأبقى الأخوة والمناصرة.

وقد آخى النبي ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار كما يلي:

---

(١)) **صحيح**/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٤٤٢)، وأخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٥٤٣٢).

فكان أبو بكر مع خارجة بن زيد رضي الله عنهما أخوين، وكان عمر بن الخطاب مع عتبان بن مالك رضي الله عنهما أخوين، وكان أبو عبيدة مع أبي طلحة رضي الله عنهما أخوين، وكان عبد الرحمن بن عوف مع سعد بن الربيع رضي الله عنهما أخوين، وكان جعفر بن أبي طالب مع معاذ بن جبل رضي الله عنهما أخوين، وكان مصعب بن عمير مع أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما أخوين، وكان سلمان الفارسي مع أبي الدرداء رضي الله عنهما أخوين، إلى آخر التسعين.

ثم صار ﷺ يجدد التآخي بحسب من يأتي إلى المدينة مهاجراً.

وقد كانت عواطف المحبة والإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الإخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثلة: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح/ ٢٩].

فقد حرص الأنصار رضي الله عنهم على الحفاوة بإخوانهم المهاجرين، فما نزل مهاجري على أنصاري إلا بقرعة.

عن أمِّ العلاءِ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ طَارَ لَهُمْ فِي السُّكْنَى، حِينَ اقْتَرَعَتِ الأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى المُهَاجِرِينَ، قَالَتْ أُمُّ العَلاَءِ: فَاشْتَكَى عُثْمَانُ عِنْدَنَا فَمَرَّضْتُهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، وَجَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، شَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ الله، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ الله أَكْرَمَهُ»، قَالَتْ: قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، فَمَنْ؟ قَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ وَالله اليَقِينُ، وَالله إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَمَا أَدْرِي وَالله وَأَنَا رَسُولُ الله مَا يُفْعَلُ بِي»، قَالَتْ: فَوَالله لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ، قَالَتْ: فَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ، فَنِمْتُ، فَرَأَيتُ لِعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «ذَلِكِ عَمَلُهُ» أخرجه البخاري[1].

وقد تسابق الأنصار رضي الله عنهم إلى البذل بكل ما يخفف عن إخوانهم المهاجرين وطأة الغربة والفاقة، حتى عرضوا على رسول الله ﷺ أن يقسم بينهم وبين إخوانهم المهاجرين النخل.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩٢٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَتْ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ؟ قَالَ: « لا، تَكْفُونَنَا المَؤونَةَ ، وَنَشْرَكْكُمْ فِي الثَّمَرَةِ » قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. أخرجه البخاري[1].

ومن مظاهر هذه الأخوة العظيمة أن الأنصار تجاوزوا المؤاساة إلى المساواة.

وقد آثر الأنصار المهاجرين بكل شيء، حتى أثنى الله عليهم، بقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحشر/ ٩] .

وتحقق بهذه الأخوة والمحبة، وهذا والبذل والعطاء والإيثار، رضوان الله عليهم، وأعظم فلاح وفوز في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة/ ١٠٠].

والقرآن وإن نسخ التوارث بالإخوة، وفرض التوارث بالنسب، فقد أبقى بين المسلمين الأخوة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الحجرات/ ١٠] .

وأمرهم بالتعاون على البر والتقوى، والتعاون على الحق والنصرة، والتناصح والمواساة، إلى يوم القيامة: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[المائدة/ ٢].

وقد ضرب الأنصار في ذلك كله أروع الأمثلة، وهذه بعض فضائلهم:

عن أنس رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ» متفق عليه[2].

وعن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، قَالَ: فَخَلَا بِهَا رَسُولُ الله ﷺ ، وَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ثَلَاثَ مَرَّات»متفق عليه[3].

وعن أنَسَ بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِم» متفق عليه [4].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٣٢٥).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٧)، ومسلم برقم (٧٤).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٧٨٦)، ومسلم برقم (٢٥٠٩).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٧٩٩)، ومسلم برقم (٢٥١٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«لَوْ أَنَّ الأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا، أَوْ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الأَنْصَارِ، وَلَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ»، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي، آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ، أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى. أخرجه البخاري[1].

أما فضائل المهاجرين، فهم أول من آمن بالله ورسوله، وأول من هاجر في سبيل الله، وأول من أُخرج من بلده وماله ابتغاء مرضاة الله، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

وهم أول من نصر هذا الدين كما قال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر/ ٨].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٧٧٩).

٣- وثيقة المعاهدة بين سكان المدينة

كانت المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام تسمى في الجاهلية (يثرب)، فلما هاجر إليها ﷺ سماها المدينة، وطيبة، وطابة، وقد جاء القرآن بتسميتها بالمدينة في عدة آيات كما قال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) ﴾ [التوبة/ ١٢٠].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى سَمَّى المَدِينَةَ طَابَةَ» أخرجه مسلم [1].

وبعد الهجرة صارت المدينة دار الإيمان، وحصن الإسلام.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا» متفق عليه [2].

ولما وصل النبي ﷺ إلى المدينة وفيها المسلمون واليهود والمشركون، أراد ﷺ أن ينظم العلاقات بين أهل المدينة، وأن يبين حقوقهم وواجباتهم، فكتب كتاباً بهذا الشأن، ينظم علاقة المسلم بالمسلم، وعلاقة المسلم بغير المسلم.

وأهم بنود الصحيفة المتعلقة بالمسلمين من المهاجرين والأنصار:

أنهم أمة واحدة من دون الناس، والعدل بين المؤمنين، وأنهم يداً واحدة على من بغى منهم أو عليهم، أو أفسد بين المؤمنين، وأن بعضهم أولياء بعض من دون الناس، وأنه يجير على المسلمين أدناهم .... إلخ.

أما الصحيفة المتعلقة باليهود، فأهم بنودها:

أن يُنفق اليهود مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته، وأن لا يخرج أحد من يهود المدينة إلا بإذن محمد ﷺ ، وأن على المسلمين نفقتهم،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٨٥).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨٧٦)، ومسلم برقم (١٤٧).

وعلى اليهود نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل المدينة، وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم ... إلخ.

أما بنود الصحيفة المتعلقة بالمشركين، فهي:

ألا تُجار قريش ولا من نصرها، ولا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولقريش وحلفائها حق الصلح إذا طلبوه، إلا من حارب منهم الإسلام، وأن لا يسدى لقريش أي عون.

أما بنود الصحيفة المتعلقة بالقواعد العامة لأهل المدينة فهي:

أن المدينة حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وأن ما يكون بين أهل المدينة من حدث أو شجار يخاف ضرره، فإن مرده إلى الله تعالى، وإلى محمد رسول الله ﷺ، وأن بينهم النصر على من دهم المدينة، وأن من خرج آمن، ومن قعد بالمدينة آمن، إلا من ظلم أو أثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

وبهذه الحكمة، وبهذا العدل، وبهذه الرحمة أرسى رسول الله ﷺ قواعد المجتمع الجديد ، وقواعد الأمن والحياة السعيدة ، مما لم يعرف التاريخ سواه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٨] .

وقد وفا ﷺ بالعهد الذي التزم به لليهود وغيرهم، أما اليهود فلم يفوا بالعهد الذي بينهم وبين الرسول ﷺ ، بل حاربوه، وكان اليهود في المدينة ثلاث قبائل:

بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.

فَمَنّ ﷺ على بني قينقاع، وأجلى بني النضير إلى خيبر، وقتل بني قريظة، وسبى ذريتهم.

ونزلت سورة الحشر في بني النضير، وسورة الأحزاب في بني قريظة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[المائدة/ ٨٢] .

واليهود أعظم الناس ظلماً وحسداً للرسول ﷺ ، وما جاء به من الحق ، ولكن الله خذلهم،

ونصر نبيه ﷺ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [البقرة/ ١٠٩] .

أما كفار قريش فقد هددوا المهاجرين، والأنصار الذين آووهم.

ووجدت قريش ضالتها في ابن سلول، زعيم المنافقين، الذي فاتته زعامة المدينة بمجيء الرسول ﷺ ، فأشعل الفرقة والفتنة بين المهاجرين والأنصار في المدينة، واجتمع حوله جيش من المنافقين الذين يفسدون بين المسلمين ويستهزئون بالرسول ﷺ ، وما جاء به من الحق، ويخونون الله ورسوله ﷺ ، ويكيدون للإسلام والمسلمين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١١-١٢] .

وصدوا عن الحق، وصدوا الناس عنه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء/ ٦١] .

وكان ﷺ يعفو عن زعيم المنافقين بعد كل موقف نفاقي له، مراعاة لعاطفة قرابته من الأنصار.

قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ؓ: يَا رَسُولَ الله ، اعْفُ عَنْهُ، وَاصْفَحْ عَنْهُ، فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ لَقَدْ جَاءَ الله بِالحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، ولَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ البُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ بِالعِصَابَةِ، فَلَمَّا أَبَى الله ذَلِكَ بِالحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ الله شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللهِﷺ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ المُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الكِتَابِ، كَمَا أَمَرَهُمُ الله، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: "وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا"، وَقَالَ الله: "وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ" ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَوَّلُ العَفْوَ مَا أَمَرَهُ الله بِهِ، حَتَّى أَذِنَ الله فِيهِمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِﷺ بَدْرًا، فَقَتَلَ الله بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُشْرِكِينَ وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ عَلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمُوا. متفق عليه(١)

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٥٦٦)، و برقم(١٧٩٨).

وكان أول ما فعله كفار مكة أن كتبوا لابن سلول قائلين: إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أولتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم.

فامتثل ابن سلول لأمرهم، وأخذ في جمع كفار المدينة لتنفيذ المطلوب.

فقال لهم ﷺ : «لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمُ المَبَالِغَ، مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ، وَإِخْوَانَكُمْ» فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَفَرَّقُوا. أخرجه أبو داود[1].

وأرسل كفار مكة إلى مسلمي المدينة يقولون لهم: لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب، سنأتيكم فنستأصلكم، ونبيد خضراءكم في مقر داركم.

ولكن الله خذلهم، وأحبط كيدهم، ونصر رسوله ﷺ عليهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال/ ٣٦] .

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣٠٠٤).

٣- مظاهر نجاح الهجرة إلى المدينة

الله الذي يسير الشمس والقمر والنجوم في السماء هو سبحانه الذي يسير من يحب إلى ما يحب، بالأمر الذي يحب: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يونس/ ٢٢] .

وقد نجحت هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة أيما نجاح، وهُدمت بها معاقل الشرك، وحققت أهدافاً عظيمة، جعلتها تستحق أن تكون بداية للتاريخ الإسلامي.

ومظاهر هذا النجاح والتوفيق كثيرة نجملها فيما يلي :

١- خسرت قريش بعد الهجرة كل موازين القوة والمكانة التي توارثتها على عدة قرون، وزال عنها سلطانها، وسقطت هيبتها.

٢- دب الخلاف بين أبنائها، فتعاركوا، وتشردوا، وتسلل كثير منهم إلى المدينة فأسلموا.

٣- أن قريشاً لم تعد حاجزاً في وجه الدعوة إلى الإسلام، فقد أسقطت الهجرة رهبتها من نفوس المسلمين، كما أسقطت الهجرة هيبتها من قلوب العرب، وبدؤا ينظرون إلى محمد ﷺ ودينه نظرة محايدة، فدخلوا في دين الله أفواجاً، وجاءت قبائل العرب من كل جهة يبايعون رسول الله ﷺ على الإسلام.

٤- بالهجرة ارتفعت مكانة المدينة، وأصبحت محط الأنظار، وعاصمة الإسلام، وبين ربوعها قامت أول جماعة على أساس العقيدة، لا على أساس القبيلة، ومنها انطلق الدعاة إلى الله، فتوحدت تحت لوائها الجزيرة العربية.

٥- ظهرت بالهجرة أمة إسلامية جمعها الإسلام، ولم تجمعها عصبيات قبلية، ولأول مرة ظهرت أمة واحدة تربط بين أفرادها مشاعر الحب والإخاء والولاء ابتغاء وجه الله تعالى، حيث مَنَّ الله عليهم بالإسلام: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال/ ٦٣] .

٦- بعد الهجرة تغيرت حياة العرب من قوم يشنون الحروب، ويسفكون الدماء، لأتفه الأسباب، إلى أصحاب قيم ومبادئ عالية، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وقويت روابط الأخوة والمحبة بينهم، وزالت عنهم بواعث البغض والكراهية، والثأر والانتقام، وجمعهم الإسلام على الأخلاق والهدى والعلم، فعمت الفضيلة، وانتشر العلم

والعلماء، واختفى الجهل والجاهلية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢] .

٧- بعد الهجرة صارت المدينة مدينة الصفات، لا مدينة الحجارة، فاستقرت فيها الفضائل، وخرج منها الدعاة إلى الله إلى العالم، فغيروا وجه التاريخ، ووسموا أهل الأرض بصفات الإيمان والحق والعدل والإحسان: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

٨- الهجرة النبوية أعطت الإسلام حرية الحركة والدعوة في كل مكان، فحين استقر الرسول ﷺ بالمدينة بادر فوراً إلى مراسلة القبائل داخل الجزيرة العربية.

كما بادر إلى إرسال السفراء إلى الملوك والرؤساء والأمراء في الدول المجاورة، يدعوهم إلى الدخول في الإسلام تحقيقاً لأمر ربه بقوله : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

٩- كانت الهجرة النبوية مقدمة لإنهاء عصور الوثنية، وقيام عصر جديد في كل مصر، شعاره الإيمان، وكرامة الإنسان، وتحرير العباد من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد الأحد: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[الإسراء/ ٨١] .

١٠- الهجرة كانت إعلاناً ببداية قيام الدولة الإسلامية، القائمة على الحق، والعدل، والإحسان: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[النور/ ٥٥] .

١١- قامت الدولة الإسلامية في المدينة بعد الهجرة، وكانت الهجرة هي السبب في انتصارات المسلمين في الفتوحات الإسلامية، وهي السبب في دخول الإسلام إلى كل عواصم العالم، وبسببها امتدت رقعة الإسلام والمسلمين حتى تكونت الدولة الإسلامية الكبرى، من الهند شرقاً، إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن أفريقيا جنوباً، إلى روسيا شمالاً .

١٢- بالهجرة سعد العالم بالأمن والسلام، وتخلص العالم بأجمعه من ذل الجبابرة، ومن الفوضى والظلم والهمجية: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء/ ١٠٧] .

١٣- لما تمت الهجرة إلى المدينة، أقام النبي ﷺ الدولة الإسلامية، فحصل الاستقرار للمسلمين، فبرزت الطاقات والمواهب التي كانت كامنة تحت ظلمات الكفر والجاهلية، فانطلق المسلمون وقد استضاؤا بنور الإسلام، عبقريات تفتح الأرض، وتعلم الدين، وتنشر العلم، وتقيم العدل، وتؤسس الدول في بلاد الفرس والروم والهند وأفريقيا وأسبانيا، وغيرها: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦] .

وهذه سنة الله ، فلن تُفتح الأرض بالسلاح، حتى تُفتح القلوب بالإيمان، ولن يخرج العدو الخارجي من البلاد، حتى يخرج العدو الداخلي من القلب وستبقى بلاد المسلمين محتلة، ما دامت القلوب معتلة: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم/ ٥٢] .

وبعد هذا كله نعلم يقيناً أن هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة كانت رحمة من الله، ونعمة من الله، فقد كانت بداية انطلاق الإسلام إلى كل مكان، وفاتحة خير لبناء الدولة الإسلامية القائمة على الحق والعدل، وبُشرى تخليص المستضعفين من براثن الظلم والطغيان، وفتح أبواب الأمن والسلام لكل إنسان: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣] .

ولهذه الأسباب والثمرات التي تحققت بالهجرة إلى المدينة رأى الصحابة رضي الله عنهم أن تكون الهجرة النبوية هي بداية التاريخ الإسلامي، وليس المولد النبوي، ولا البعثة، ولا وفاة الرسول ﷺ .

وقد ألهم الله تعالى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مع صدق فراسته، أن يجعل الهجرة هي بداية التاريخ الإسلامي، وذلك بعد مشاورة الصحابة رضي الله عنهم، والمسلمون يعملون به حتى اليوم.

وقد شاء الله عز وجل أن تكون كتابة هذه الكلمات من السيرة النبوية في يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول، من عام ألف وأربعمائة وستة وثلاثين للهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فلله الحمد والشكر والمنة والفضل.

٤- دعاء الرسول ﷺ للمدينة

قالت عائشة رضي الله عنها : لمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ، وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلالٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

وقَالَ: اللهمَّ العَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الوَبَاءِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ»، قَالَتْ: وَقَدِمْنَا المَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ الله ، قَالَتْ: فَكَانَ بُطْحَانُ يَجْرِي نَجْلًا تَعْنِي مَاءً آجِنًا» أخرجه البخاري [1].

وقد اجتوى المهاجرون المدينة، ولم يوافق هواءها أبدانهم، وجهدوا من الحمى، حتى كانوا لا يصلون أحياناً إلا وهم قعود.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ اشْتَكَى أَصْحَابُهُ، وَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، وَبِلَالٌ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَائِشَةُ النَّبِيَّ ﷺ فِي عِيَادَتِهِمْ، فَأَذِنَ لَهَا» أخرجه أحمد[2].

ثم دعا ﷺ للمدينة بالبركة والصحة، ونقل حماها إلى الجحفة، والجحفة قرية مندثرة قرب رابغ، ولم تسكن حتى الآن لوبائها.

فقال ﷺ : «اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا، وَصَاعِهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا، فَاجْعَلْهَا فِي الجُحْفَةِ» أخرجه أحمد[3].

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اللهمَّ اجْعَلْ بِالمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ البَرَكَةِ» متفق عليه[4].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨٨٩).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٤٣٦٠).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٤٢٨٨).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨٨٥)، ومسلم برقم (١٣٦٩).

٥- زواج الرسول ﷺ بعائشة رضي الله عنها

في شهر شوال، من السنة الأولى للهجرة، بنى الرسول ﷺ بعائشة رضي الله عنها، وهي بنت تسع سنين.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي، فَوَفَى جُمَيْمَةً فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ، وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ، وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، لاَ أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهِجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي البَيْتِ، فَقُلْنَ عَلَى الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ الله ﷺ ضُحى، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ. متفق عليه[(١)].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ، وَزُفَّتْ إِلَيْهِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ، وَلُعَبُهَا مَعَهَا، وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانَ عَشْرَةَ». أخرجه مسلم[(٢)].

وكان ﷺ قد رأى عائشة رضي الله عنها في المنام قبل أن يخطبها.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: « رَأَيْتُكِ فِي المَنَامِ يَجِيءُ بِكِ المَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقَالَ لِي: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكِ الثَّوْبَ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَقُلْتُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ الله يُمْضِهِ» متفق عليه[(٣)].

وأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، هي البكر الوحيدة التي تزوجها رسول الله ﷺ.

عن ابْن أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَ مَوْتِهَا عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ، قَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ، فَقِيلَ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ وَمِنْ وُجُوهِ المُسْلِمِينَ، قَالَتْ: ائْذَنُوا لَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنِ اتَّقَيْتُ، قَالَ: فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ الله، زَوْجَةُ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلاَفَهُ، فَقَالَتْ:

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٩٤)، ومسلم برقم (١٤٢٢).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (١٤٢٢).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥١٢٥)، ومسلم برقم (٢٤٣٨).

دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا. أخرجه البخاري[1].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله ، أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: «فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا» أخرجه البخاري[2].

وكانت رضي الله عنها تكنى بأم عبد الله، ابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير، الذي سماه رسول الله ﷺ وكنى ﷺ عائشة رضي الله عنها بأم عبد الله، ولم تلد قط.

وكان ﷺ يلاطف عائشة رضي الله عنها، ويباسطها، ويراعي صغر سنها.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَلعَبُ بِالبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي. متفق عليه[3].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: « تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: « تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ» فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: « تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ» فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: « هَذِهِ بِتِلْكَ»أخرجه أحمد[4].

وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وُلدت في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة بنت محمد ﷺ بثمان سنين، وكانت امرأة بيضاء جميلة، تزوجها الرسول ﷺ ، ولم يتزوج بكراً غيرها، ولا أحب امرأة حبها إلا خديجة، ولا يُعلم في نساء العالمين امرأة أعلم منها، فقد روت عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيبا مباركاً، وروت عن الخلفاء الراشدين وعامة الصحابة علما كثيرا، وروت رضي الله عنها عن النبي ﷺ أكثر من ألفي حديث.

جمعت رضي الله عنها من العلم والفضل والبيان ما لم تجمعه امرأة مثلها، وكانت عالمة واسعة العلم، تُعلم العلماء، وتفتي المفتين، وتواسي المحتاجين، وكانت بليغة بارعة البيان، زعيمة في كل شيء في العلم والأدب والحفظ والبيان.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧٥٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٧٧).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٣٠)، ومسلم برقم (٢٤٤٠).

(٤) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٢٧٧).

عَنْ عَمْرو بْن العَاصِ ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ» فَعَدَّ رِجَالًا. متفق عليه[1].

وكانت مدة مقامه ﷺ مع عائشة رضي الله عنها تسع سنين، ومات عنها ﷺ ولها من العمر ثماني عشرة سنة، وعاشت رضي الله عنها بعد الرسول ﷺ قريباً من خمسين سنة، وتوفيت بالمدينة، سنة ثمان وخمسين للهجرة، ليلة الثلاثاء، لسبع عشرة خلت من رمضان، ودفنت رضي الله عنها بالبقيع.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦٦٢)، ومسلم برقم (٢٣٨٤).

٦- تشريع الأذان

لما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، واطمأن إلى الدار، والمسلمون من المهاجرين والأنصار حوله، بدأت تنزل شرائع الإسلام كالأذان للصلاة، والزكاة والصيام وغيرها.

وقد شُرع الأذان في السنة الأولى من الهجرة.

وكانت الصلاة في البداية بدون نداء، ثم كان النداء لها بلفظ (الصلاة جامعة)، ثم جاء تشريع الأذان بالكيفية المخصوصة في السنة الأولى من الهجرة.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: كَانَ المُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَوَاتِ، وَلَيْسَ يُنَادِي بِهَا أَحَدٌ، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَرْنًا مِثْلَ قَرْنِ اليَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا بِلَالُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ» متفق عليه[1].

وعن عَبْد الله بْن زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: لمَّا أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالنَّاقُوسِ يُعْمَلُ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ لِجَمْعِ الصَّلَاةِ طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ الله أَتَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ فَقُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى، قَالَ: فَقَالَ: تَقُولُ: الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، أَشْهَدُ أَنَّ محمَّدًا رَسُولُ الله ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ، الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله.

قَالَ: ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ قَالَ: وَتَقُولُ إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ: الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، أَشْهَدُ أَنَّ محمَّدًا رَسُولُ الله ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله.

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، فَأَخبَرْتُهُ، بِمَا رَأَيْتُ فَقَالَ: «إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ الله، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَالقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ، فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ» فَقُمْتُ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٤)، ومسلم برقم (٣٧٧).

مَعَ بِلَالٍ، فَجَعَلْتُ القِيهِ عَلَيْهِ، وَيُؤَذِّنُ بِهِ، قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ يجُرُّ رِدَاءَهُ، وَيَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ يَا رَسُولَ الله ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ مَا رَأَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهﷺ: «فَلِلَّهِ الحَمْدُ» أخرجه أحمد وأبو داود[1].

وفي النداء للصلاة بالأذان إظهار شعائر الإسلام، وإعلان شهادة التوحيد، وإثبات الرسالة لمحمد ﷺ ، ثم الدعاء إلى الطاعة عقب الشهادة بالرسالة، لأنها لا تُعرف إلا من جهة الرسول ﷺ ، ثم الدعاء إلى الفلاح، وهو إشارة إلى يوم القيامة، وكذا الإعلام بدخول وقت الصلاة، والدعوة إلى الجماعة.

فالأذان من أعظم العبادات الجامعة للمسلمين، وكثرة الأجور.

عن عبد الله المازني أن أبا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تحُبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلاَةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ، جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ. أخرجه البخاري[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ، وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لمَ ْيجَدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا». متفق عليه[3].

وكان لرسول الله ﷺ أربعة مؤذنين: بلال بن رباح، وعبد الله ابن أم مكتوم في مسجده ﷺ بالمدينة، وسعد القرظ في مسجد قباء، وأبو محذورة في مكة.

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٦٤٧٧)، وأخرجه أبو داود برقم (٤٩٩).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٠٩).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٥)، وأخرجه مسلم برقم (٤٣٧).

٧- إسلام عبد الله بن سلام

كان عبد الله بن سلام ﵁ حِبراً من أحبار يهود، وعالماً من علمائهم، فلما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، وتأكد أنه رسول الله آمن به، ودخل في الإسلام.

عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ الله بْنَ سَلاَمٍ مَقْدَمُ رَسُولِ الله ﷺ المَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الله: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا» قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلاَمِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ اليَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ الله البَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ الله بْنُ سَلاَمٍ» قَالُوا أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ الله» قَالُوا: أَعَاذَهُ الله مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ الله إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ محمَّدًا رَسُولُ الله، فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ. أخرجه البخاري [1].

وعن سعد ﵁ قال: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ لِحَيٍّ يَمْشِي: إِنَّهُ فِي الجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ. متفق عليه [2].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٩).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨١٢)، ومسلم برقم (٢٤٨٣).

٨- شراء عثمان بن عفان ﵁ لبئر رومة

عن عثمان ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ»، قال عثمان : فَحَفَرْتهَا . أخرجه البخاري [(١)].

وعن عثمان ﵁ قال : هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدِمَ المَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ فَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ المُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الجَنَّةِ »فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي. أخرجه الترمذي [(٢)].

٩- زيادة ركعات الصلاة

فرضت الصلوات الخمس ليلة الإسراء والمعراج، ركعتين ركعتين، إلا المغرب، ثم زيدت بعد الهجرة إلا الفجر، لطول القراءة فيها، وتركت المغرب لأنها وتر النهار.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ أَوَّلَ مَا افْتُرِضَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ الصَّلَاةُ رَكْعَتَانِ رَكْعَتَانِ، إِلَّا المَغْرِبَ، فَإِنَّهَا كَانَتْ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَمَّ اللهُ الظُّهْرَ وَالعَصْرَ وَالعِشَاءَ الآخِرَةَ أَرْبَعًا فِي الحَضَرِ، وَأَقَرَّ الصَّلَاةَ عَلَى فَرْضِهَا الأَوَّلِ فِي السَّفَر. أخرجه أحمد [(٣)].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: فرضت صلاة السفر والحضر ركعتين ، فلما أقام رسول الله ﷺ بالمدينة زِيدَ في صلاة الحضر ركعتان ركعتان ، وتُركت صلاة الفجر لطول القراءة ، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار. أخرجه ابن حبان [(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٧٨).
(٢) **حسن**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٧٠٣).
(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٣٣٨).
(٤) **حسن**/ أخرجه ابن حبان برقم (٢٧٣٨).

١٠- خوف الرسول ﷺ أن تعرى المدينة

لما استقر النبي ﷺ بالمدينة أراد بنو سلمة أن يقتربوا من المسجد؛ لأن ديارهم كانت في أطراف المدينة، فخشي رسول الله ﷺ أن تعرى المدينة فنهاهم، ورغبهم في الأجر.

عن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ الله قَالَ: كَانَتْ دِيَارُنَا نَائِيَةً عَنِ المَسْجِدِ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَبِيعَ بُيُوتَنَا، فَنَقْتَرِبَ مِنَ المَسْجِدِ، فَنَهَانَا رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةً» أخرجه مسلم [(١)].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: خَلَتِ البِقَاعُ حَوْلَ المَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ المَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذلِكَ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ لهُمْ: «إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ»، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ: «يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ» متفق عليه[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٦٤).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٦)، ومسلم برقم (٦٦٥).

١١ - أعداء الإسلام في المدينة

١ - عداوة يهود المدينة :

أعداء الإسلام في المدينة ثلاثة أصناف: اليهود، والكفار، والمنافقون.

ولما قدم الرسول ﷺ المدينة كان فيها ثلاث قبائل من اليهود:

بنو قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، وكانت ديارهم داخل المدينة.

وبنو النضير، وبنو قريظة، وكانوا حلفاء الأوس، وكانت ديارهم في عوالي المدينة.

وكانت هذه القبائل اليهودية هي التي تثير الحروب بين الأوس والخزرج: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ [المائدة/ ٦٤] .

وقد كان يهود المدينة يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، كما قال سبحانه عن اليهود : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [البقرة/ ٨٩] .

واستكبر اليهود عن قبول الحق الذي جاء به محمد ﷺ ، حسداً من عند أنفسهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ [البقرة/ ١٠١] .

وقد كفروا بكل ما جاء به الرسول ﷺ ، واستغنوا بما عندهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩١﴾ [البقرة/ ٩١] .

وقالت اليهود للمسلمين من الأوس والخزرج ما أنزل الله من كتاب بعد موسى، ولا هذا بالنبي الذي نذكره لكم، فأنزل الله : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [المائدة/ ١٩] .

وأشد اليهود عداوة للرسول ﷺ وأصحابه، وأعظمهم كيداً للإسلام والمسلمين هم: حيي بن أخطب، وأخوه أبو ياسر بن أخطب، وكنانة بن الربيع، وسلام بن مشكم، وكعب بن الأشرف، وكعب بن أسد، وعمرو بن جحاش، ورفاعة بن زيد، ورافع بن حرملة، وعبد الله بن صوريا، وغيرهم من أشرافهم.

وقد كلم ﷺ رؤساء وعلماء اليهود، فقال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به الحق، فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، فجحدوا ما عرفوا، وأصروا على كفرهم، فأنزل الله فيهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧) ﴾[النساء/ ٤٧] .

وقال فنحاص من علماء اليهود حينما دُعي إلى الإسلام فأبى وقال: والله ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا ليفتقر، وإنا عنه لأغنياء، فأنزل الله: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢) ﴾

[آل عمران/ ١٨١-١٨٢] .

وقال بعض علماء وأحبار يهود: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم، ونفتنهم ليرجعوا عنه، فأنزل الله فيهم: ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) ﴾

[آل عمران/ ٧٢-٧٣] .

وكان ﷺ يعاملهم بالحكمة والصبر والعفو : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) ﴾[المائدة/ ١٣] .

وقد أظهر بعض يهود الإسلام ونافقوا واستهزؤا، فكان رجال من المسلمين يوادونهم، فأنزل الله محذراً للمسلمين من مودتهم وموالاتهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١) ﴾

[المائدة/ ٥٧-٦١] .

وكان اليهود يسألون رسول الله ﷺ لا ليعرفوا الحق، وإنما تكبراً، واستهزاءً، وإحراجاً، كما سألوه عن الروح، فأنزل الله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٥].

واليهود بقبائلهم الثلاث أشد الناس عداوة لله ولرسوله، وقد عاهدهم ﷺ لما قدم إلى المدينة، ولكنهم لم يفوا بالعهد، بل حاربوه، وفتنوا المسلمين عن دينهم، فأخزاهم الله، وأجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة، وأظهر الله دينه، ونصر رسوله ﷺ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢].

وقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٣].

٢- عداوة كفار المدينة:

أقام بعض أهل المدينة على كفرهم وشركهم، وأبو الدخول في الإسلام، ولحق بعضهم بقريش، وراح يؤلب القبائل على الإسلام والمسلمين، ومن أشد هؤلاء:

أبو عامر الراهب، وعبد الله بن أبي بن سلول.

أما أبو عامر فهو عمرو بن صيفي من الأوس، وهو والد حنظلة غسيل الملائكة، وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان له شرف كبير في الخزرج.

فلما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجراً، واجتمع عليه المسلمون، وأظهر الله شأن الإسلام، شرق بذلك أبو عامر الراهب، وبارز بالعداوة، وخرج فاراً إلى كفار مكة، وألبهم على حرب رسول الله ﷺ وأصحابه، فجمعوا معهم بعض القبائل، وقدموا عام أحد، وكان أبو عامر قد حفر حفراً بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ ، وأصيب ﷺ في وجهه الشريف، وكسرت رباعيته اليمنى والسفلى، وشج رأسه، ومات هذا الفاسق على كفره وشركه.

ثم قامت قريش بصد المسلمين من المهاجرين والأنصار عن المسجد الحرام، وبدأت تمنعهم من الطواف بالبيت: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الصف/ ٨].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا، فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ لِأُمَيَّةَ: انْظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالبَيْتِ، فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ هَذَا سَعْدٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا، وَقَدْ أَوَيْتُمُ الصُّبَاةَ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ، أَمَا وَاللهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ: أَمَا وَاللهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ، طَرِيقَكَ عَلَى المَدِينَةِ.

فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الحَكَمِ، سَيِّدِ أَهْلِ الوَادِي، فَقَالَ سَعْدٌ: دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ، فَوَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ»، قَالَ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي، فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا، فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ، أَلَمْ تَرَيْ مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: بِمَكَّةَ، قَالَ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ أُمَيَّةُ: وَاللهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ، قَالَ: أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ؟ فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الوَادِي، تَخَلَّفُوا مَعَكَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ: أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي، فَوَاللهِ لَأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ، ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ جَهِّزِينِي، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ اليَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: لَا، مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلَّا قَرِيبًا، فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةُ أَخَذَ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا عَقَلَ بَعِيرَهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبَدْرٍ. أخرجه البخاري [1].

وأشد الناس عداوة للمؤمنين هم اليهود والذين أشركوا كما أخبر سبحانه: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة/ ٨٢].

ثم أحبط الله كيد هؤلاء، وهؤلاء، وخذلهم جميعاً، وأظهر دينه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٣].

٣- عداوة المنافقين في المدينة :

إذا كان الكفار واليهود يكيدون للإسلام ويواجهونه في الظاهر، فإن المنافقين محاربتهم للإسلام أشد وأخطر؛ لأنهم يحاربونه من الداخل: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ وَإِن

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩٥٠).

﴿ يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤ ﴾ [المنافقون/ ٤].

وكان عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في الإسلام، وهو من الخزرج، كان مطاعاً في قومه، ولم تجتمع الأوس والخزرج على رجل من أحد الفريقين غيره.

وكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه، ثم يُمَلِّكوه عليهم، فلما جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة وهم على ذلك انصرف قومه عنه إلى الإسلام، ضغن وحقد، ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكه، فأقام على كفره، وأخذ يكيد للإسلام.

فلما رأى قومه قد أبو إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مصراً على نفاق وضغن وكيد للإسلام والمسلمين، وذلك بعد غزوة بدر الكبرى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١ ﴾ [النساء/ ٦١].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، قَالَ: حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ، فَإِذَا فِي المَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ وَالمُسْلِمِينَ، وَفِي المَجْلِسِ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خمَّرَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا.

فَسَلَّمَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الله ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَيُّهَا المَرْءُ إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله فَاغْشَنَا بِهِ فِي مجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَاليَهُودُ، حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟ - يُرِيدُ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ - قَالَ: كَذَا وَكَذَا ، قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ الله ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ عَنْهُ، فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ لَقَدْ جَاءَ الله بِالحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، ولَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ البُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ بِالعِصَابَةِ، فَلَمَّا أَبَى الله ذَلِكَ بِالحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ الله شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْت، فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ الله ﷺ .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الكِتَابِ، كَمَا أَمَرَهُمُ الله، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى، قَالَ الله ﷻ: « وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا » الآيَةَ، وَقَالَ الله: « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » إِلَى آخِرِ الآيَةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَوَّلُ العَفْوَ مَا أَمَرَهُ الله بِهِ، حَتَّى أَذِنَ الله فِيهِمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ الله ﷺ بَدْرًا، فَقَتَلَ الله بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُشْرِكِينَ وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ عَلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمُوا. متفق عليه [1].

وقد كبر أمر ابن سلول، واجتمع حوله المنافقون، واستمروا يكيدون للإسلام وأهله، فاستغلت قريش هذا الأمر، ووجدوا ضالتهم في ابن سلول؛ لأنه على ملتهم، فكاتبوه ليكيد ويثير الفتنة بين المسلمين، ويقوم بالدور الذي كان يقوم به كفار مكة ضد الرسول ﷺ وأصحابه في مكة من الكفر والاستهزاء والكيد والمكر.

واستمر رأس المنافقين وأتباعه في عداء الرسول ﷺ وأصحابه، حتى مات كافراً، وخذل الله المنافقين، وأيد بنصره المؤمنين: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٦٧-٦٨].

واحترازاً من مكائد اليهود والكفار والمنافقين كان ﷺ لا يبيت إلا ساهراً أو في حراسة من أصحابه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَهِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ، قَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ »، إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلاَحٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟»، فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ، وَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ. متفق عليه [2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: « وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » فَأَخْرَجَ رَسُولُ الله ﷺ رَأْسَهُ مِنَ القُبَّةِ، فَقَالَ لهُمْ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا، فَقَدْ عَصَمَنِي الله» أخرجه الترمذي [3].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٥٦٦)، ومسلم برقم (١٧٩٨).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٥)، ومسلم برقم (٢٤١٠).
(٣) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٠٤٦).

١٢ - الإذن بقتال الكفار

مر تشريع الجهاد في سبيل الله بأربع مراحل، هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الصبر والعفو :

أمر الله ﷻ المؤمنين في بداية الإسلام في مكة بالصبر إلى حين، والعفو عن المشركين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وكانوا يتحرقون شوقا إلى قتال أعدائهم، ولكنهم كانوا قليلي العدد والعدة، وهم في البلد الحرام، وعدوهم كثير العدد والعدة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) ﴾ [النساء/ ٧٧] .

ومكث ﷺ ينذر بالدعوة إلى الله بغير قتال، صابراً هو وأصحابه على كيد المشركين وأذاهم، امتثالًا لأمر ربه: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) ﴾ [الحجر/ ٩٤] .

وأمره الله سبحانه بالعفو والصفح عن المشركين وأهل الكتاب بقوله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾ [البقرة/ ١٠٩] .

وكان ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ﷻ بالصبر والعفو، كما قال سبحانه : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦) ﴾ [آل عمران/ ١٨٦] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَأَصْحَابًا لَهُ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، كُنَّا فِي عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ، فَلَمَّا آمَنَّا صِرْنَا أَذِلَّةً. فَقَالَ: «إِنِّي أُمِرْتُ بِالعَفْوِ،فَلَا تُقَاتِلُوا القَوْمَ» فَلَمَّا حَوَّلَهُ إِلَى المَدِينَةِ أَمَرَهُ بِالقِتَالِ فَكَفُّوا،فَأَنْزَلَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ" . أخرجه الحاكم [(١)].

---

(١) **صحيح/** أخرجه الحاكم برقم (٢٣٧٧).

المرحلة الثانية : الإذن بالقتال :

كانت قريش قد اضطهدت من آمن بالنبي ﷺ من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم، ونفوهم من بلادهم، فهم بين مفتون في دينه، ومعذب في بدنه، وهارب في البلاد فراراً بدينه منهم، كما هاجر الصحابة رضي الله عنهم إلى الحبشة، ثم المدينة.

فلما عتت قريش عن أمر ربها، وأعرضوا عن دين الله، وصدوا عن سبيل الله، وكذبوا نبيه ﷺ ، وآذوا من اعتصم بدينه، أذن الله تعالى لرسوله ﷺ بقتالهم، والانتصار ممن ظلم المسلمين وبغى عليهم، فأنزل الله قوله سبحانه: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج/ ٣٩-٤١] .

فأذن الله تعالى بالجهاد في الوقت الأليق به، لإزالة الباطل، ودحر بغي وظلم قريش وغيرها عن المسلمين.

وهذه مرحلة الإذن بالقتال بعد الهجرة، دون أن يفرض عليهم.

المرحلة الثالثة : مرحلة فرض القتال لمن يقاتل المسلمين فقط، دون من لم يقاتلهم:

كما قال سبحانه ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٩٠] .

فلما اشتدت مرارة الظلم والأذى من الكفار والمشركين واليهود والمنافقين، وقاتلوا المسلمين، أمر الله بصد عدوان المعتدين.

المرحلة الرابعة : وهي مرحلة قتال المشركين كافة:

كما قال الله سبحانه: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٦] .

وهذه آخر مرحلة من مراحل تشريع القتال في سبيل الله.

فقد فرض الله على المسلمين قتال المشركين كافة، وكان من قبل محرماً، ثم مأذوناً به،

ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأموراً به لجميع المشركين، كما قال سبحانه : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة/ ٥] .

وغاية الجهاد في سبيل الله ألا تكون فتنة، وأن يكون الدين كله لله، وليست الغاية منه استعباد البشر، والعلو في الأرض، ونهب الأموال، وقهر الضعفاء: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٩٣] .

وأسمى غايات الجهاد في سبيل الله أن يتمكن من يريد الدخول في الإسلام من الدخول فيه، دون أن يجد عائقاً يمنعه من ذلك، ثم إذا دخل في الإسلام وجد فيه حماية ممن يريد صده عنه، أو منعه من الاستمرار فيه، أو إجباره على دين يكرهه، وتمكين الإنسان من حرية الاعتقاد: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٩] .

ومن أهداف الجهاد في سبيل الله إتاحة الفرصة لإبلاغ هذا الدين في أنحاء الأرض، وتيسير سبل إبلاغه للناس، ليسعدوا في الدنيا والآخرة: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

فشرع الله الجهاد لفتح أبواب حرية الاعتقاد، لا لإكراه الناس على الدخول فيه: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٦] .

إن الإسلام دين الرحمة والسماحة، ومن مراحل تشريع الجهاد يتبين لكل عاقل أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، فقد أمضى النبي ﷺ أربعة عشر عاما قبل فرض الجهاد، وهو يدعو إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، وقد دخل في الإسلام في تلك الفترة خيار الصحابة وكبارهم.

١٣ - السرايا في السنة الأولى من الهجرة

بعد تشريع الجهاد، والإذن بقتال الكفار كافة، كان من الحكمة لكسر قوة قريش، والقضاء على تمردها، أن يبسط المسلمون سيطرتهم على طريق قوافل قريش التجارية المتجهة من مكة إلى الشام.

وقد اختار الرسول ﷺ لبسط هذه السيطرة خطتين:

الأولى : إرسال البعوث والسرايا واحدة تلو الأخرى، لمهاجمة قوافل قريش التجارية، التي صد أصحابها عن سبيل الله، وأخرجوا المؤمنين من ديارهم، وفتنوهم في دينهم.

الثانية : السعي إلى عزل قريش التي فيها أئمة الكفر والضلال، وذلك بالدخول في معاهدات دفاعية وعدم اعتداء مع القبائل المحيطة بالمدينة، والتي تخترق قوافل قريش أراضيها، وهي في طريقها إلى الشام.

أما الغزوات التي غزاها رسول الله ﷺ مع أصحابه فهي تسع عشرة غزوة، وقاتل في تسع منهن وهن: (بدر، وأحد، والأحزاب، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف).

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ يَزِيدَ خَرَجَ يَسْتَسْقِي بِالنَّاسِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ اسْتَسْقَى، قَالَ: فَلَقِيتُ يَوْمَئِذٍ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، وَقَالَ: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ غَيْرُ رَجُلٍ - أَوْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ رَجُلٌ - قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: كَمْ غَزَا رَسُولُ الله ﷺ ؟ قَالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ، فَقُلْتُ: كَمْ غَزَوْتَ أَنْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَا أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا؟ قَالَ: ذَاتُ العُسَيْرِ أَوِ العُشَيْرِ. متفق عليه [(١)].

وجرح ﷺ من هذه الغزوات في غزوة أحد فقط، وقاتلت معه الملائكة منها في بدر، ونزلت الملائكة يوم الخندق، فزلزلوا المشركين وهزموهم، ورمى ﷺ بالحصى في وجوه المشركين فهربوا في بدر وحنين، وقاتل ﷺ بالمنجنيق في غزوة واحدة وهي الطائف، وتحصن بالخندق في غزوة واحدة وهي الأحزاب.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٩٤٩)، ومسلم برقم (١٢٥٤).

أما السرايا في السنة الأولى من الهجرة فهي:

١- سرية سِيْف البحر :

وكانت هذه السرية في رمضان من السنة الأولى للهجرة، على رأس سبعة أشهر من مهاجره ﷺ،وكانت بقيادة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، في ثلاثين راكباً من المهاجرين.

وعقد له ﷺ لواءً أبيض، وهو أول لواء عُقد في الإسلام، والهدف من هذه السرية اعتراض عير لقريش جاءت من الشام تريد مكة، وفيهم أبو جهل بن هشام، في ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فبلغوا سيف البحر من ناحية العِيص.

فالتقى هؤلاء وهؤلاء حتى اصطفوا للقتال، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان حليفا للفريقين، فلم يقتتلوا، وانصرف كل إلى بلده، بعد أن بثت سرية حمزة الرعب في نفوس المشركين.

٢- سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ :

ثم بعث رسول الله ﷺ ابن عمه عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب رضي الله عنه إلى بطن رابغ، في شوال، على رأس ثمانية أشهر من مهاجره ﷺ ، وعقد له راية بيضاء، في ستين رجلا من المهاجرين، فلقي أبا سفيان بن حرب، وكان حينذاك مشركا، في مائتين من أهل مكة، على ماء قرب الجحفة.

فترامى الفريقان بالنبل، ولم يسلوا السيوف، ولم يصطفوا للقتال، وإنما كانت بينهم مناوشة.

فرمى سعد بن أبي وقاص بسهم، فكان أول سهم رمي به في الإسلام، ثم انصرف الفريقان، وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو رضي الله عنه ، وعتبة بن غزوان رضي الله عنه، لأنهما كان مسلمين، ولكنهما خرجا مع الكفار ليتوصلا بهم إلى المسلمين.

٣- سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرّار :

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص إلى الخرار، في شهر ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من مهاجره ﷺ ، وعقد له لواءً أبيض، حمله المقداد بن عمرو رضي الله عنه ، في عشرين رجلا من المهاجرين، ليعترض عيراً لقريش، فخرجوا حتى صبحوا الخرار، موضع قرب الجحفة، فوجدوا العير قد مرت بالأمس، فرجعوا إلى المدينة، ولم يلقوا كيداً.

١٤- الوفيات في السنة الأولى من الهجرة

أول من توفي من الأنصار بعد الهجرة كلثوم بن الهدم ﵁ ، وكان شيخاً كبيراً في سنه، وكبيراً في قومه، أسلم قبل قدوم الرسول ﷺ إلى المدينة، ولما وصل ﷺ إلى قباء مهاجرا نزل في منزل كلثوم بن الهدم ﵁.

ثم توفي أسعد بن زرارة الأنصاري ﵁ ، على رأس تسعة أشهر من مهاجره ﷺ ، أخذه وجع في حلقه فمات ﵁.

وأسعد بن زرارة قديم الإسلام، شهد العقبتين، وكان نقيباً على قبيلته، وهو أصغر النقباء سناً، وهو أول من صلى الجمعة في المدينة قبل مقدم الرسول ﷺ .

وسبب قلة الوفيات في السنة الأولى من الهجرة قلة المسلمين بالنسبة إلى من أسلم بعدهم.



الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الثانية من الهجرة

السرايا والغزوات والأحداث الهامة في السنة الثانية من الهجرة وتشتمل على ما يلي :

١ – الغزوات والسرايا : وتشمل

١- غزوة الأبواء
٢- غزوة بواط
٣- غزوة سفوان
٤- غزوة العشيرة
٥- سرية نخلة
٦- المعاهدات مع القبائل

٢ – تحويل القبلة إلى الكعبة

٣- فرض صيام رمضان

٤ – غزوة بدر الكبرى

٥ – أهم الأحداث والوقائع بعد غزوة بدر : وتشمل:

١ – أول عيد فطر
٢ – غزوة بني سليم وغطفان
٣- فرض الزكاة
٤ – زواج علي من فاطمة رضي الله عنهما
٥ – غزوة بني قينقاع
٦ – غزوة السويق

٦ – وفيات السنة الثانية من الهجرة

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الثانية من الهجرة

السرايا والغزوات والأحداث الهامة في السنة الثانية من الهجرة

١-الغزوات والسرايا: وتشمل:

١- غزوة الأبواء أو (ودان)

غزوة الأبواء أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه، وكانت في صفر، على رأس اثني عشر شهرا من مقدم النبي ﷺ المدينة، وحمل لواءه ﷺ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وكان لواؤه أبيضاً، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه.

وخرج ﷺ في سبعين رجلا من المهاجرين، ليس فيهم أنصاري، يعترض عيرا لقريش، فلما بلغ الأبواء وهي شمال الجحفة، لم يلق كيداً؛ لأن القافلة أفلتت منه.

ثم وادع ﷺ سيد بني ضمرة في زمانه، مخشي بن عمرو الضمري، على أن لا يغزوا بني ضمرة ولا يغزوه، ولا يكثروا عليه جمعاً، ولا يعينوا عدواً، وكتب بينه وبينهم كتاباً ثم رجع إلى المدينة، وكانت غيبته ﷺ في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة.

٢- غزوة بواط

خرج النبي ﷺ في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من هجرته ﷺ في مائتين من أصحابه، يعترض عيراً لقريش، فيها أمية بن خلف الجمحي، ومائة رجل من قريش، وألفان وخمسمائة بعير.

فبلغ ﷺ بواط ، وهو جبل من جبال جهينة بقرب ينبع ، ناحية جبل رضوى ، ثم رجع ﷺ حين لم يعثر على القافلة، ولم يلق حرباً.

٣- غزوة سفوان (بدر الأولى)

أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة واستاقه، في شهر ربيع الأول للسنة الثانية من الهجرة، في ربيع الأول، على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة، فخرج

رسول الله ﷺ في طلبه، حتى بلغ واديا يقال له سفوان، من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر فلم يلحقه، فرجع ﷺ إلى المدينة.

وقد أسلم كرز بن جابر فيما بعد، واستشهد في فتح مكة رضي الله عنه.

٤ – غزوة العشيرة

خرج رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة، على رأس سبعة عشر شهراً من مهاجره ﷺ في السنة الثانية من الهجرة، في مائتين من المهاجرين، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وكان لواؤه أبيضاً.

وخرج ﷺ ومن معه من المهاجرين على ثلاثين بعيراً يعتقبونها، ليعترضوا عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام، وكان ﷺ قد جاءه الخبر بخروجها من مكة فيها أموال قريش.

فبلغ ﷺ ذا العشيرة، فوجد العير قد مضت قبل ذلك بأيام، وهذه العير هي التي خرج لها رسول الله ﷺ يريدها حين رجعت من الشام، فكانت سبباً لغزوة بدر الكبرى.

وفي هذه الغزوة وادع رسول الله ﷺ بني مدلج، وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم عاد إلى المدينة ولم يلق حربا.

٥– سرية نخلة

في رجب من السنة الثانية للهجرة، على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة، بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، وكان كل اثنين يعتقبان بعيراً، وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، إمعاناً في السِّرية، وحتى لا يعلم أحد أين الاتجاه، ثم ينظر فيه ويمضي في وجهته ، ولا يستكره أحداً من أصحابه.

فسار عبد الله ومن معه، ثم قرأ الكتاب بعد يومين، فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف، فترصَّد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم».

فقال عبد الله بن جحش رضي الله عنه: سمعاً وطاعة، ثم أخبر أصحابه بما في الكتاب، وأنه نهاه أن يستكره أحداً من أصحابه، فوافقوا ومضوا جميعاً إلى وجهته.

حتى إذا كان بمعدن من فوق الفرع يقال له بحران، أضل سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان، رضي الله عنهما ، بعيراً لهما كان يعتقبانه، فتخلفا عليه في طلبه.

وسار عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة، فمرت به عير قريش تحمل زبيباً وأدماً، وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن المغيرة، ونوفل بن المغيرة، والحكم بن كيسان.

فتشاور أصحاب السرية في أمر الاستيلاء على هذه العير؛ لأن ذلك كان في آخر يوم من رجب، وهو شهر حرام، وعندما وجدوا أنهم لو تركوهم هذه الليلة ليدخلن الحرم، وليمتنعن به منهم، فتشجعوا وأجمعوا أمرهم على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم من الأموال.

فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وأسروا عثمان بن المغيرة، والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين إلى رسول الله ﷺ بالمدينة.

فقال لهم رسول الله ﷺ : إنه لم يأمرهم بقتال في الشهر الحرام، وأبى أن يأخذ العير والأسيرين، فظن القوم أنهم قد هلكوا، وعنفهم المسلمون فيما فعلوا.

وقالت قريش: إن محمداً وأصحابه قد استحلوا الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدماء، وأخذوا الأموال، وأسروا فيه الرجال، ولما أكثر الناس من ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾[البقرة/ ٢١٧-٢١٨].

وبهذا فَرَّج الله على المسلمين ما كانوا فيه من الهم، وقبض الرسول ﷺ العير والأسيرين ثم قدم سعد وعتبة إلى المدينة، وأسلم الحكم بن كيسان، ولحق عثمان بن المغيرة بمكة فمات بها كافراً بعد دفع الفدية من قريش.

ولما وقع ما وقع في سرية نخلة خافت قريش، لأن تجارتها في الشمال إلى الشام، وفي الجنوب إلى اليمن، أصبحت في خطر، وأيقن كفار مكة أن المسلمين يرقبون حركتهم التجارية في كل جهة، وأنهم صاروا يهددونهم في كل وقت، لكنهم بدل أن يصطلحوا مع المسلمين ويوادعونهم أصروا على كفرهم، وصمموا على إبادة المسلمين في عقر دارهم: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الصف/ ٨].

٦- المعاهدات مع القبائل

عقد النبي ﷺ معاهدات دفاع مشترك وأمان مع غير من سبق من القبائل في وقت مبكر من حياته بالمدينة، ولم يرتبط ذلك بخروج المسلمين في غزوة أو سرية.

فقد كتب رسول الله ﷺ إلى بديل بن ورقاء، وبسر وسروات بني عمرو الخزاعيين، يفيدهم أنه لم يخنهم منذ سالمهم، وأكد لهم الأمان من جانبه، وكتب ﷺ إلى أسلم من خزاعة، وأقر لهم بالمناصرة.

وكتب ﷺ إلى قبيلة غفار، وفي كتابه اتفاقية دفاع مشترك ضد من يحاربهم، أو يحارب المسلمين.

وكتب ﷺ إلى نعيم بن مسعود الأشجعي، وفيه المحالفة على النصرة والنصيحة.

٢- تحويل القبلة إلى الكعبة

كان النبي ﷺ يصلي بمكة إلى بيت المقدس، والكعبة بين يديه، فلما هاجر إلى المدينة وُجِّه إلى بيت المقدس، واستمر على ذلك أكثر من ستة عشر شهرا، وكان ﷺ يكثر الدعاء والابتهال أن يُوجه إلى الكعبة التي هي قبلة أبيه إبراهيم ﷺ .

وفي النصف الثاني من رجب، من السنة الثانية للهجرة، أمر الله تعالى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفْنَا نَحْوَ الكَعْبَةِ. متفق عليه [(١)].

وكان ﷺ يحب أن يُوجه إلى الكعبة، وكان حين يصلي بمكة يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فيصيب القبلتين.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَالكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعْدَ مَا هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفَ إِلَى الكَعْبَةِ. أخرجه أحمد [(٢)].

فلما هاجر ﷺ إلى المدينة لم يمكنه الجمع بين القبلتين، فكان يكثر من الدعاء، ويرفع يديه وطرفه إلى السماء، سائلاً الله تعالى أن يوجهه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ ﴾[البقرة/ ١٤٤] .

فتوجه ﷺ نحو الكعبة، وكانت أول صلاة صلاها في مسجده هي العصر.

عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاةٍ صَلَّاهَا صَلاَةَ العَصْر. أخرجه البخاري [(٣)].

ووصل خبر تحويل القبلة إلى أهل قباء في صلاة الفجر من اليوم الثاني؛ لأنهم كانوا خارج المدينة، فاستداروا إلى جهة الكعبة.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠)، ومسلم برقم (٥٢٥).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٩٩١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٠).

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الكَعْبَةِ. متفق عليه [1].

وكانت بداية تحويل القبلة أنه ﷺ خرج زائراً أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة، فصنعت له طعاماً، وحانت صلاة الظهر، فصلى رسول الله ﷺ الظهر بأصحابه في مسجد هناك، فلما صلى ركعتين نزل جبريل، فأشار أن صلِّ إلى البيت، وصلى جبريل إلى البيت، فاستدار رسول الله ﷺ إلى الكعبة، واستقبل الميزاب، فتحولت النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين.

وبهذا نعلم أن أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ إلى الكعبة في بني سلمة هي صلاة الظهر، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي هي صلاة العصر.

ولما حصل تحويل القبلة إلى الكعبة، أخبر الله رسوله ﷺ أن الكفار والمنافقين واليهود سيقولون: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فقالوا كذلك، كما أخبر الله ﷻ عنهم بقوله: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾[البقرة/ ١٤٢].

أما المسلمون فقالوا لبعضهم: كيف حال صلاتنا إلى بيت المقدس؟ وكيف بمن مات منا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة/ ١٤٣].

وكان في جعل الله ﷻ القبلة إلى بيت المقدس أولا، ثم تحويلها إلى الكعبة ثانيا، حكم عظيمة، ومحنة للمسلمين والمشركين واليهود والمنافقين، امتحن الله عباده ليتبين الطيب من الخبيث، وليرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه.

فأما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا، وهم الذين هدى الله، وأما المشركون فقالوا: كما رجع من قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا، وما رجع إليها إلا أنها الحق.

وأما اليهود، فقالوا: خالف قبلة الأنبياء قبله، ولو كان نبياً صلى إلى قبلة الأنبياء.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠٣)، ومسلم برقم (٥٢٦).

وأما المنافقون فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه؟ إن كانت الأولى حقاً فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل، وكثرت أقاويل السفهاء، وكانت كما قال الله جل شأنه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

وهذه القبلة التي هدى الله هذه الأمة لها هي القبلة التي تليق بها، وهم أهلها، لأنها أوسط القِبل، لأفضل الأمم، وهم أمة الوسط، كما اختار لهم أفضل الكتب، وأفضل الرسل، وأفضل الشرائع: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

٣- فرض صيام رمضان

صيام يوم عاشوراء، وهو العاشر من شهر محرم، كانت تصومه قريش واليهود.

عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ. متفق عليه[١].

فلما قدم ﷺ المدينة مهاجراً، وجد الناس يصومونه فصامه، وأمر الناس بصيامه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ فَرَأَى اليَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»، قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى الله بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ»، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. متفق عليه[٢].

وصوم يوم عاشوراء يكفر ذنوب السنة الماضية.

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى الله أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَه» أخرجه مسلم[٣].

- **بدء فرض صيام رمضان :**

كان الصيام مفروضاً على المسلمين من الأمم السابقة، كما قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[البقرة/ ١٨٣] .

وصيام من قبلنا يختلف عن صيامنا من حيث المدة والوقت والكيفية.

وقد فرض الله صيام شهر رمضان في شعبان من السنة الثانية من الهجرة، بعد تحويل القبلة إلى الكعبة بشهر، فتوفي النبي ﷺ وقد صام تسع رمضانات.

وقد شرع الله عز وجل صيام رمضان على ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة التخيير بين صيامه، وبين أن يطعم عن كل يوم مسكيناً، كما قال سبحانه: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾[البقرة/ ١٨٤] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٠٠٢)، ومسلم برقم (١١٢٥).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٠٠٤)، ومسلم برقم (١١٣٠).
(٣) أخرجه مسلم برقم (١١٦٢).

وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا فِي رَمَضَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ فَافْتَدَى بِطَعَامِ مِسْكِينٍ، حَتَّى أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: "فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ". أخرجه مسلم[(١)].

الثانية: هي صيامه وجوباً، لكن إذا أفطر أحدهم حل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء، أو ينام قبل ذلك، فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة المقبلة، فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة بطول مدة الصيام.

الثالثة: إباحة الأكل والشرب والجماع في الليل إلى طلوع الفجر، فخفف الله تلك المشقة، وأنزل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة/ ١٨٧].

وصيام رمضان ركن من أركان الإسلام، وهو عبادة من العبادات التي فيها المنافع الجمة ، والأجور العظيمة ، وفيه تعويد للمسلم الرقابة على نفسه ، وتذكر أحوال الجائعين من الفقراء، وتزكية النفوس بالتقوى، وتطهير الأبدان من الأخلاط الرديئة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لي وَأَنا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْم أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَم الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا ، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ». متفق عليه[(٢)].

وفي تحديد وقت الصيام والإفطار تعويد للنفوس على النظام والانضباط في أمور الحياة الأخرى.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١١٤٥).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٩٠٤) واللفظ له، ومسلم برقم (١١٥١).

٤ - غزوة بدر الكبرى

- **مراحل مواجهة المشركين ثلاث وهي:**

المرحلة الأولى: مرحلة غزوة المشركين للمسلمين:

وقد استغرقت هذه المرحلة الخمس سنوات الأولى بعد الهجرة، وكانت قريش وحلفاؤها يزحفون بجيوشهم نحو المدينة، أملاً في القضاء على محمد ﷺ وأصحابه.

وقد خاض الطرفان خلال تلك المرحلة عدة غزوات، كان أكبرها شأناً، وأبعدها أثراً، غزوة بدر، وغزوة أحد، وغزوة الأحزاب.

المرحلة الثانية : مرحلة الصلح والهدنة :

حيث مكث المسلمون في المدينة ست سنوات منقطعين عن المسجد الحرام والطواف به، فخرج النبي ﷺ وأصحابه إلى مكة يريدون العمرة، فمنعتهم قريش، وتم الصلح بين الطرفين على إيقاف الحرب بينهم لمدة عشر سنوات، ابتداء من السنة السادسة للهجرة، وهو ما يسمى صلح الحديبية.

المرحلة الثالثة : مرحلة غزوة المسلمين للمشركين:

وسببها خرق قريش لمعاهدة صلح الحديبية، بإعانة قريش لحلفائهم بني بكر على خزاعة حلفاء الرسول ﷺ ، بعد اثنين وعشرين شهراً من الصلح.

ومن أهم هذه الغزوات غزوة فتح مكة، وغزوة حنين، وحصار الطائف.

غزوة بدر الكبرى

كانت هذه الغزوة في يوم الجمعة، السابع عشر من شهر رمضان، من السنة الثانية للهجرة.

وكان سبب هذه الغزوة العظيمة هو إقبال أبي سفيان بن حرب من الشام إلى مكة، في عير لقريش عظيمة، فيها أموال لهم وتجارة، وهي نفس العير التي أفلتت من الرسول ﷺ في غزوة العشيرة، حين ذهابها من مكة إلى الشام.

وكانت عيرهم ألف بعير، وكان المال خمسين ألف دينار، وكان فيها فقط ثلاثون أو أربعون رجلاً، منهم مخرمة بن نوفل، وعمرو بن العاص.

- **خروج المسلمين إلى بدر :**

فلما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام في تجارة لقريش، ندب المسلمين إليها، وقال لهم: «هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعل الله

ينفلكموها»، ولم يستنفر الرسول ﷺ كل الناس، بل طلب أن يخرج معه من كان ظهره حاضراً.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا» أخرجه مسلم[1].

فخفَّ بعض الصحابة، وثقل بعضهم، لأنهم ظنوا أن رسول الله ﷺ لا يلقى حرباً، إنما خرج للعير، ولذلك لم يعاتب ﷺ أحداً تخلف عن هذه الغزوة العظيمة.

عن كَعْب بْن مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ. متفق عليه[2].

فخرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم السبت الثاني عشر من شهر رمضان، من السنة الثانية للهجرة، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس، ثم رد أبا لبابة رضي الله عنه من الروحاء، واستعمله على المدينة.

وكان عدد من خرج مع الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، (٨٦) رجلاً من المهاجرين، ومن الأوس (٦١) رجلاً، ومن الخزرج (١٧٠) رجلاً.

عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَصْحَابَ بَدْرٍ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ، بِعِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ، الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ، وَمَا جَاوَزَ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ. أخرجه البخاري[3].

وعن عُمَر بْن الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: لمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ الفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا. أخرجه مسلم[4].

وكان الخزرج أكثر من الأوس؛ لأن منازل الأوس كانت بعيدة في عوالي المدينة، وجاء النفير بغتة، واستأذنه رجال ظهورهم في عوالي المدينة أن يستأني بهم حتى يذهبوا إلى ظهورهم، فأبى ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٠١).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤١٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٩).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٩٥٩).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٧٦٣).

وقد تخلف عن الخروج إلى بدر عدد من الصحابة بعذر، وقد ضرب لهم رسول الله ﷺ بسهامهم، وأجورهم.

ومن هؤلاء الصحابة الذين تخلفوا بعذر :

١- عثمان بن عفان رضي الله عنه: خلفه رسول الله ﷺ على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكانت مريضة، فأقام عليها حتى ماتت رضي الله عنها، والناس في بدر.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّمَا تَغَيَّبَ عُثْمَانُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ» أخرجه البخاري[1].

٢-٣ طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد، رضي الله عنهما، بعثهما رسول الله ﷺ يتحسسان عير أبي سفيان القادمة من الشام.

فقدم طلحة وسعيد المدينة ليخبرا رسول الله ﷺ خبر العير، فوجداه قد أُخبر بها وخرج، فلحقاه حتى لقياه بتربان منصرفاً من بدر.

٤- أبو لبابة الأنصاري رضي الله عنه، رده ﷺ من الروحاء، واستخلفه على المدينة.

٥- عاصم بن عدي العجلاني رضي الله عنه، خلَّفه رسول الله ﷺ على قباء، وأهل العالية، لشيء بلغه عنهم.

٦- أبوأمامة بن ثعلبة الأنصاري رضي الله عنه، أمره النبي ﷺ أن يبقى مع أمه، لأنها كانت مريضة، وقد ماتت وصلى عليها رسول الله ﷺ بعد قدومه من بدر.

٧- خوات بن جبير رضي الله عنه، خرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر، فأصاب ساقه بالصفراء حجر فكُسر فرجع، فضرب له النبي ﷺ بسهمه.

٨- حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، حيث أخبر رسول الله ﷺ أن قريشاً أخذوا عليه وعلى أبيه العهد ألا يقاتلا مع الرسول ﷺ ، فَقَالَ: «انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ الله عَلَيْهِمْ» أخرجه مسلم[2].

٩- الحارث بن الصمة رضي الله عنه، وقع فكسر بالروحاء، فرده ﷺ إلى المدينة.

١٠- جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٣٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٨٧).

عن أبي الزبير ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْد الله يَقُولُ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً ، قَالَ جَابِرٌ: لمَ أَشْهَدْ بَدْرًا وَلَا أُحُدًا مَنَعَنِي أَبِي، فَلمَّا قُتِلَ عَبْدُ الله يَوْمَ أُحُدٍ، لمَ أَتخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةٍ قَطُّ. أخرجه مسلم[1].

أما من حضر بدراً ولم يباشر القتال لصغره، فهم أنس بن مالك ﷺ، كان صبياً صغيراً يخدم النبي ﷺ ولم يباشر القتال.

وكذا حارثة بن سراقة، خرج ﷺ وهو غلام، لينظر أحداث القتال، فأصابه سهم فقتله.

وبهذا نعلم أنه ليس جميع من خرج إلى بدر شهد القتال، وإنما شهده منهم نحو ثلاثمائة وستة رجال رضي الله عنهم أجمعين.

وخرج المسلمون إلى بدر، وعامتهم مشاة على أقدامهم، وكان معهم فرسان فقط، ومعهم سبعون بعيراً يعتقبونها، كل ثلاثة على بعير، فكان رسول الله ﷺ ، وعلي بن أبي طالب، وأبو لبابة، يعتقبون بعيراً.

ولما كانت عقبة رسول الله ﷺ ، قالا: نحن نمشي عنك، فقال ﷺ :« مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا »أخرجه أحمد[2].

وكان أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم يعتقبون بعيراً واحدا، وهكذا بقية الصحابة رضي الله عنهم.

وأمر ﷺ بالأجراس أن تُقطع من أعناق الإبل.

ومع هذه القلة التي كانت في المسلمين في العدد والعدة، وشدة الحاجة، إلا أن الله سبحانه وتعالى نصرهم نصراً مؤزراً، لصدق إيمانهم، وكمال افتقارهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[آل عمران/ ١٢٣] .

ثم خرج رسول الله ﷺ وخَيَّم بعسكره عند بئر أبي عتبة في المدينة، فعرض أصحابه، ورد من استصغره، وكان ممن رده لصغره أسامة بن زيد، والبراء بن عازب، وعبد الله بن عمر، وزيد بن أرقم، ورافع بن خديج، وأسيد بن ظهير، وزيد بن ثابت، رضي الله عنهم أجمعين.

- **عقد الألوية :**

ثم وزع ﷺ القيادات، فدفع اللواء الأعظم، وكان أبيضاً إلى مصعب بن عمير ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨١٣).

(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٣٩٠١).

وقسم جيشه ﷺ إلى كتيبتين:
١- كتيبة المهاجرين: وأعطى علمها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.
٢- كتيبة الأنصار: وأعطى علمها لسعد بن معاذ رضي الله عنه.
وجعل رسول الله ﷺ على الميمنة الزبير بن العوام، وجعل على الميسرة المقداد بن عمرو، وجعل على الساقة الذين يسوقون الجيش قيس بن أبي صعصعة.
ولما رأى الرسول ﷺ فقر المسلمين، قال: «اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم».
وقد استجاب الله دعاء نبيه ﷺ، ففتح الله عليهم، ونصرهم في بدر، وما رجع منهم رجل إلا بجمل أو جملين، واكتسوا، وغنموا ، وشبعوا: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة/ ١٨٦] .
ثم إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه رضي الله عنهم بالإفطار، ليكون أقوى لهم على السير والقتال، وقد أفطر المسلمون في هذه الغزوة العظيمة.
وكان النبي ﷺ يرغِّب أصحابه في القتال بقوله: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ»، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ الله، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ.
فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. أخرجه مسلم[1].
ثم إن رسول الله ﷺ سار مع أصحابه رضي الله عنهم من المدينة ، فلما كان قرب الصفراء، بعث بسيسة بن عمرو الجهني، وعدي بن أبي الزغباء، رضي الله عنهما يتحسسان له أخبار عير أبي سفيان.
وفي الطريق، وعند حرة الوبرة، ناحية المدينة، أدرك النبي ﷺ رجل مشرك يريد اتباعه، فقال له النبي ﷺ: «تُؤْمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ ؟» قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «فَانْطَلِقْ» أخرجه مسلم[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٠١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨١٧).

• **خروج المشركين إلى بدر :**

كان أبو سفيان رئيس قافلة عيرقريش،شديد الحيطة والحذر، وكان يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان، حتى جاءه الخبر أن محمداً قد استنفر أصحابه للعير.

فعند ذلك استأجر أبو سفيان ضمضم بن عمرو الغفاري، وبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً، فيستنفرهم في أموالهم، ويخبرهم أن محمداً ﷺ قد عرض لها في أصحابه.

فخرج ضمضم سريعاً حتى أتى مكة، فصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، وقد جدع أنف بعيره، وحَوَّل رحله، وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش! اللطيمة، اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث، الغوث.

فتجهز الناس سراعاً، ونفروا على كل صعب وذلول، وخرجت قريش كلها، ولم يتخلف من أشرافها أحد إلا أبو لهب بن عبد المطلب، فبعث مكانه العاص بن هشام، في دين كان له عليه، وخرج الجميع لإنقاذ العير، والقضاء على محمد ﷺ وأصحابه، ولم تترك قريش أحداً إلا أخذوه معهم، ولو كان كارهاً، وكان ممن خرج مكرها من بني هاشم العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، ونوفل وعقيل ابنا أبي طالب.

وكان عدد المشركين ألف وثلاثمائة وتسعة عشر مقاتلاً في بداية مسيرهم، وكان معهم مائة فرس، وستمائة درع، وجمال كثيرة، بقيادة أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي.

وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب فيما يرى النائم، قبل مقدم ضمضم بن عمرو بخبر أبي سفيان بثلاث ليال.

فقالت: رأيت رجلاً أقبل على بعير له، فوقف بالأبطح، فقال: انفروا يا آل بدر لمصارعكم، في ثلاث، ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل، فأقبلت تهوي حتى ترضرضت، فما بقيت دار ولا بنية إلا ودخل فيها بعضها، فصدَّق الله رؤيا عاتكة، ونصر عبده على قريش.

ولما فرغت قريش من جهازها، وأجمعت على المسير، ذكرت ما كان بينها وبين بني بكر من العداوة والحرب، فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا،

فكاد ذلك أن يثنيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، وقد ذكر الله ذلك في القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنفال/ ٤٨] .

وحينئذ خرجوا بحدهم وحديدهم، يحادون الله ورسوله، ومعهم القيان، يضربن بالدفوف، ويغنين بهجاء المسلمين، وخرجوا وهم في غاية البطر والكبر والخيلاء، كما قال الله عنهم: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[الأنفال/ ٤٧] .

وكان المطعمون لجيش الكفار اثني عشر رجلاً وهم:

العباس بن عبد المطلب، وعتبة بن ربيعة، والحارث بن نوفل، وطعيمة بن عدي، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، والنضر بن الحارث، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وسهيل بن عمرو، ونبيه ومنبه ابني الحجاج بن عامر.

وكان كل واحد من هؤلاء السادة الأغنياء ينحر كل يوم تسعاً أو عشراً من الإبل، وكان أول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل عمرو بن هشام، وفيهم أنزل الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال/ ٣٦] .

وسار جيش المشركين باتجاه بدر، ولما وصلوا الجحفة نزلوا بها.

- **نجاة عير قريش :**

كان أبو سفيان يسير بالعير على الطريق الرئيسي الذي يمر على بدر، وكان حذراً متيقظاً، واستبطأ ضمضماً والنفير، فلما اقترب من ماء بدر لقي مجدي بن عمرو الجهني، فقال له: هل أحسست أحداً من عيون محمد؟ قال: والله ما رأيت أحداً أنكره، إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا في شن لهما، ثم انطلقا، وأشار إلى مناخ بسببه وعدي الذين بعثهما رسول الله ﷺ يتحسسان له أخبار العير.

فجاء أبو سفيان إلى مناخهما، فأخذ من أبعار بعيريهما ففته، فإذا فيه النوى.

فقال: هذه والله علائف يثرب، وهذه عيون محمد.

فرجع أبو سفيان إلى أصحابه سريعاً، فضرب وجوه العير، واتجه بها نحو ساحل البحر، وترك الطريق الرئيسي الذي يمر ببدر على اليسار، ثم أسرع السير، فنجا بالقافلة من المسلمين.

- **وصول المشركين إلى مصارعهم في بدر :**

لما رأى أبو سفيان أنه قد نجا بالعيرأرسل إلى قريش، قيس بن امرئ القيس برسالة يقول فيها: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله، فارجعوا.

فوصلهم الرسول وهم ما زالوا بالجحفة، وأخبرهم بالخبر، فهموا بالرجوع إلى مكة.

فقال طاغية قريش أبو جهل: والله لا نرجع حتى نَرِد بدراً، فنقيم بها ثلاثاً، فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، حتى تسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا.

ولكن على رغم أنف أبي جهل رجع الأخنس بن شريق، وكان حليفاً لبني زهرة، فأقنعهم بأنه خلص لهم صاحبهم مخرمة بن نوفل، ونجى لهم أموالهم، فرجعوا من الجحفة إلى مكة، ولم يشهد بدراً أزهري واحد، وكان عددهم حوالي ثلاثمائة رجل.

وأرادت بنو هاشم الرجوع فمنعهم أبو جهل.

ومضى المشركون نحو بدر، فنزلوا قريباً منها، وراء كثيب رمل، يقع بالعدوة القصوى على حدود وادي بدر، وجرهم قائدهم إلى مصارعهم في بدر، حيث يريد الله ﷻ : ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الأنفال/ ٨] .

- **مشاورة النبي ﷺ أصحابه في الأمر :**

بلغ خبر خروج قريش لمنع عيرهم رسول الله ﷺ ، وهو في الطريق بوادي ذفران، قرب وادي الصفراء، فجمع الصحابة وأخبرهم بالأمر، واستشارهم فيما يعمل، فكره بعضهم القتال، لأنهم لم يستعدوا له، إنما خرجوا للعير، فجادل بعضهم رسول الله ﷺ ليقنعوه بوجهة نظرهم، فنزل فيهم قول الله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأنفال/ ٥-٦] .

وعند ذلك تكلم قادة المهاجرين، وأيدوا الرأي القائل بالسير لملاقاة العدو.

فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال وأحسن، وتكلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال وأحسن، فقال رسول الله ﷺ : «أشيروا عليّ أيها الناس».

فقام المِقْدَادُ بن عمرو وقال: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: " فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ" وَلَكِنِ امْضِ وَنَحْنُ مَعَكَ، فَكَأَنَّهُ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ. أخرجه البخاري(١).

وفي رواية قال المقداد :لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: " اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ"، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ، وَخَلْفَكَ. أخرجه البخاري(٢).

فأشرق وجه رسول الله ﷺ ، وسره قول المقداد رضي الله عنه.

ثم قال رسول الله ﷺ : «أشيروا عليّ أيها الناس»، وإنما يريد الأنصار، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم.

فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه، سيد الأنصار، فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ فقال ﷺ : «أجل».

فقال سعد: قد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً.

إنا لصُبر في الحرب، صُدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

فُسر رسول الله ﷺ بقول سعد رضي الله عنه، ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا على اسم الله عز وجل ، وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»، ثم أخذ رسول الله ﷺ يخبرهم بمصارع القوم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَتَرَاءَيْنَا الهِلَالَ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَدِيدَ البَصَرِ، فَرَأَيْتُهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَآهُ غَيْرِي، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِعُمَرَ: أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لَا يَرَاهُ، قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالأَمْسِ، يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ الله» أخرجه مسلم (٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٠٩).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٩٥٢).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٣).

- **وصول النبي ﷺ وأصحابه إلى بدر :**

ثم ارتحل ﷺ من وادي ذفران حتى نزال بالعدوة الدنيا من وادي بدر، وقريش بالعدوة القصوى، كما أخبر الله في كتابه: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال/ ٤٢].

وفي مساء يوم الخميس بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، رضي الله عنهم، في نفر من الصحابة إلى ماء بدر، يلتمسون خبر قريش.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ ، قَالَ : فَتكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثُمَّ تكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، فَقَالَ : إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ الله ؟ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا البَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا ، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الغِمَادِ لَفَعَلْنَا، قَالَ : فَنَدَبَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الحَجَّاجِ ، فَأَخَذُوهُ فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ ، فَيَقُولُ : مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ ، وَعُتْبَةُ ، وَشَيْبَةُ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ : ضَرَبُوهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ أَنَا أُخْبِرُكُمْ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ ، فَقَالَ : مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ ، وَعُتْبَةُ ، وَشَيْبَةُ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ فِي النَّاسِ ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا : ضَرَبُوهُ ، وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ» أخرجه مسلم (١).

وقد نزل رسول الله ﷺ بعيداً عن الماء، فأصاب المسلمين عطش شديد، وضعف شديد، فأنزل الله عليهم مطراً خفيفاً، فطهرهم به، فشرب المسلمون منه، وتطهروا، ونشطوا، وأذهب عنهم رجس الشيطان، وثبت الأرض من تحت أقدامهم، ونزل المطر شديداً على المشركين، فكان بلاءً ونقمة عليهم، منعهم من التقدم، كما قال سبحانه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال/ ١١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٧٩).

ثم سار رسول الله ﷺ بجيشه نحو ماء بدر، فنزل على أفضل بئر من آبار بدر، وسبق المشركين إليها.

ولما استقر المسلمون على الماء، قال سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركابك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام، يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك، ويجاهدون معك.

فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرا، ودعا له بخير.

ثم بني العريش من الجريد فوق تل مشرف على ميدان المعركة، فدخله الرسول ﷺ، ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقام سعد بن معاذ رضي الله عنه متوشحاً سيفه في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ .

- **تعبئة الرسول ﷺ جيشه :**

ثم صف رسول الله ﷺ أصحابه، وعبأهم أحسن تعبئة، وذلك ليلة الجمعة، وجعل يمشي في موضع المعركة، ويشير بيده، ويقول: «هذا مصرع فلان غداً، وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، ويضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا».

قال أنس رضي الله عنه: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ الله ﷺ. أخرجه مسلم[1].

وأصاب المسلمين النعاس في تلك الليلة أمنة من الله، فناموا جميعاً، فاطمأنت قلوبهم، وأخذوا من الراحة قسطهم كما قال الله سبحانه: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنفال/ ١١] .

أما رسول الله ﷺ فقد بات تلك الليلة يصلي تحت شجرة، يتضرع إلى الله تعالى، ويبكي، ويكثر في سجوده من قول: (يا حي يا قيوم)، يكرر ذلك حتى أصبح.

ومن دعائه ﷺ تلك الليلة: «اللهمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٧٩).

فَالقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي ممِدُّكُمْ بِالفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ" فَأَمَدَّهُ الله بِالمَلَائِكَةِ» أخرجه مسلم[1].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ المِقْدَادِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلا نَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي وَيَبْكِي حَتَّى أَصْبَح. أخرجه أحمد[2].

ولما طلع فجر يوم الجمعة، السابع عشر من رمضان، من السنة الثانية للهجرة، نادى رسول الله ﷺ: (الصلاة جامعة).

فجاء الناس، فصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الفجر، وحرَّض على القتال، ثم قال ﷺ: «إِنَّ جَمْعَ قُرَيْشٍ تَحْتَ هَذِهِ الضِّلَعِ الحَمْرَاءِ مِنَ الجَبَلِ» أخرجه أحمد[3].

ثم صف رسول الله ﷺ أصحابه، وذلك قبل أن تنزل قريش إلى الوادي، وأخذ يعدل صفوف أصحابه حتى فرغ، ثم قال رسول الله ﷺ: (لا تبدؤا القتال حتى آذنكم).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي البَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا»، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا»، فَانْطَلَقَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا المُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ المُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» أخرجه مسلم[4].

ثم وجه ﷺ أصحابه إلى كيفية القتال، فلا يرموا المشركين إلا عن قرب.

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ ﷺقَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ» أخرجه البخاري[5].

- **اضطراب جيش قريش :**

أما قريش فقضت ليلة بدر في معسكرها بالعدوة القصوى.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٦٣).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٠٢٣).
(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٩٤٨).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٩٠١).
(٥) أخرجه البخاري برقم (٣٩٨٤).

فلما رآها رسول الله ﷺ تنحدر من الكثيب إلى وادي بدر، قال: «اللهم إن هذه قريش قد أقبلت بخيلها وخيلائها وفخرها، تحادك، وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة» [1].

فلما اطمأنت قريش، بعثت عمير بن وهب الجمحي طليعة، ليحرز جيش المسلمين بعدده وعدته، فاستجال بفرسه حول العسكر، ثم رجع إلى قريش فقال: ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر هل للقوم كمين أو مدد، فجال في الوادي، ثم قال لهم: ما وجدت شيئاً، ولكني يا معشر قريش رأيت البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل السم الناقع، أما ترونهم خرساً لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ الأفاعي، والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم، حتى يَقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك؟ فَرُوا رأيكم.

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة، فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش وسيدها المطاع فيها، هل لك إلى خير تُذكر به إلى آخر الدهر؟.

قال: ما ذلك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي، فإنكم لا تطلبون من محمد إلا دمه، فقال: قد فعلت، عليَّ عقله، وما أصيب من ماله.

ثم قال عتبة لحكيم: فائت ابن الحنظلية، يعني أبا جهل، فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره.

ثم قام عتبة خطيباً فقال: يا قوم! إني أرى قوماً مستميتين، لا تصلون إليهم وفيكم خير.

يا قوم! اعصبوها اليوم برأسي، وقولوا جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم.

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: ..فَلمَّا دَنَا القَوْمُ مِنَّا وَصَافَفْنَاهُمْ إِذَا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ يَسِيرُ فِي القَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « يَا عَلِيُّ نَادِ لِي حَمْزَةَ – وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ –: مَنْ صَاحِبُ الجَمَلِ الأَحْمَرِ، وَمَاذَا يَقُولُ لَهُمْ؟» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنْ يَكُنْ فِي القَوْمِ أَحَدٌ يَأْمُرُ بِخَيْرٍ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الجَمَلِ الأَحْمَرِ ». فَجَاءَ حَمْزَةُ فَقَالَ: هُوَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَهُوَ يَنْهَى عَنِ القِتَالِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: يَا قَوْمُ، إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِمْ وَفِيكُمْ خَيْرٌ، يَا قَوْمُ اعْصِبُوهَا اليَوْمَ بِرَأْسِي،

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٣).

وَقُولُوا: جَبُنَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبَنِكُمْ، قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: أَنْتَ تَقُولُ هَذَا؟ وَاللهِ لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا لَأَعْضَضْتُهُ، قَدْ مَلَأَتْ رِئَتُكَ جَوْفَكَ رُعْبًا، فَقَالَ عُتْبَةُ: إِيَّايَ تُعَيِّرُ يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ؟ سَتَعْلَمُ الْيَوْمَ أَيُّنَا الْجَبَانُ. أخرجه أحمد [1].

وأصرَّ أبو جهل على القتال، وتعجل الأمر، فبعث إلى عامر بن الحضرمي ينشده خفرته في مقتل أخيه عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش، فقام عامر يصرخ، واعمراه، واعمراه، فحمي القوم، واستوثقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة، وتغلب الطيش على الحكمة، ليتم أمر الله: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال/ ٤٢] .

- **بدء القتال بين المسلمين والمشركين :**

ثم بدأ القتال، فخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرساً سيء الخلق، فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه.

فلما خرج إلى المسلمين، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ﷺ، فلما التقيا ضربه حمزة، فأطنَّ قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، ثم زحف إلى الحوض يريد أن يبر بيمينه، فضربه حمزة ضربة أخرى فقتله داخل الحوض، فكان هذا الرجل أول قتيل في هذه المعركة.

ثم خرج بعد ذلك ثلاثة من خيرة فرسان قريش، يطلبون المبارزة، وهم:
عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة.

فلما انفصلوا من الصف طلبوا المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من أفضل شباب الأنصار، وهم: عوف ومعاذ ابنا عفراء، وعبد الله بن رواحة، رضي الله عنهم، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، قالوا: أكفاء كرام، ما لنا بكم من حاجة، وإنما نريد بني عمنا.

ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج لنا أكفاءنا من قومنا.

فقال رسول الله ﷺ : «قم يا عبيدة بن الحارث، ثم قم يا حمزة، قم يا علي».

فلما قاموا ودنوا منهم قالوا: من أنتم؟ فأخبروهم، فقالوا: نعم، أكفاء كرام.

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٩٤٨).

فبارز عبيدة عتبة بن ربيعة، وكان عبيدة أسن من شهد بدراً من المسلمين، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة.
فأما حمزة، وعلي، فقتل كل واحد منهما من بارزه، وأما عبيدة وعتبة فأثخن كل واحد منهما صاحبه، فكر حمزة وعلي على عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة إلى رسول الله ﷺ، وقد قطعت رجله، وهو ينزف دماً، فوضع ﷺ خد عبيدة ابن عمه على قدمه الشريفة.
فقال عبيدة رضي الله عنه: يا رسول الله! لو كان أبو طالب حياً لعلم أني أحق منه بقوله:

ونسلمه حتى نُصَرَّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم مات عبيدة شهيداً رضي الله عنه وأرضاه.
وفي هؤلاء الستة نزل قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحج/ ١٩].
وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: نَزَلَتْ: "هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا" فِي رَبِّهِمْ فِي سِتَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ: عَلِيٍّ، وَحَمْزَةَ، وَعُبَيْدَةَ بْنِ الحَارِثِ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ. متفق عليه[١].
وهذه أول وأعظم مبارزة في الإسلام.
وقد استشاط المشركون غضباً لما قتل ثلاثة من خيرة فرسانهم وقادتهم دفعة واحدة، وكروا على المسلمين كرة رجل واحد.
ثم تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض، وشد الكفار على المسلمين، ونشبت الحرب، فرُمي مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسهم فقتله، فكان أول قتيل من المسلمين.
ثم رُمي حارثة بن سراقة، وكان صغيراً في النظارة، ضُرب وهو يشرب من الحوض بسهم غرب في نحره فقتله، فكان أول قتيل من الأنصار.
عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ الله، أَلاَ تحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ،وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى» أخرجه البخاري[٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٩٦٦)، ومسلم برقم (٣٠٣٣).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٠٩).

ولما اشتد القتال استفتح أبو جهل فقال: اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحِنْه الغداة. أخرجه أحمد(1).

فأنزل الله ﷻ: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[الأنفال/ ١٩].

وقد استجاب الله تعالى، فدارت الدائرة على أضل الفريقين، وأقطعهم للرحم.

وكان النبي ﷺ في مقدمة المقاتلين في بدر، وقاتل قتالاشديداً، وكذلك أبو بكر الصديق ؓ، ولم يُمض النبي ﷺ جل وقته في العريش أو في الدعاء فقط.

بل كان ﷺ وأبوبكر ؓ يجاهدون في العريش بالدعاء والتضرع، ثم نزل ﷺ وصاحبه فحرضا وحثا على القتال، وقاتلا بأبدانهما، جمعاً بين المقامين الشريفين.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» أخرجه مسلم(2).

وعَنْ عَلِيٍّ ؓ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ الله ﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا. أخرجه أحمد(3).

- **نزول النصر المبين :**

ثم صمد المسلمون في ساحة المعركة بقوة إيمانية كبيرة، وشدوا على المشركين، وأخذوا في اقتطاف رؤوسهم، وأمدهم الله بالملائكة، وأيدهم بنصره، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾[آل عمران/ ١٢٣-١٢٦].

وقوله سبحانه: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنفال/ ٩-١٠].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٦٦١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٠١).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٦٥٣).

وقوله سبحانه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾[الأنفال/ ١٢] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ» أخرجه البخاري[1].

وعندما رأى إبليس، وكان في صورة سراقة بن مالك، ما تفعل الملائكة والمؤمنون بالمشركين، فر ناكصاً على عقبيه كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال/ ٤٨] .

وكان ﷺ في العريش يناشد ربه سبحانه ما وعده من النصر والظفر، ويجتهد في الدعاء، ويطلب النصر، ثم أغفى إغفاءة، ثم انتبه، فقال: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع».

وجاء نصر الله، وأنزل جنده من الملائكة، وأيد رسوله ﷺ والمؤمنين: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾[الأنفال/ ١٢] .

ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش، وهو يثب في الدرع، ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾[القمر/ ٤٥-٤٦] .

ثم قام ﷺ يحرض الصحابة رضي الله عنهم على القتال، ويبشرهم بالجنة، ويشجعهم ويبشرهم بنزول الملائكة معهم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي البَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ الله ﷺ ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا»، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا».

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩٩٥).

فَانْطَلَقَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ»، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الحُمَام الأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ الله، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟».

قَالَ: لَا وَالله يَارَسُولَ الله، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. أخرجه مسلم[1].

ونصر الله ﷻ ينزل على المؤمنين كما ينزل ماء السماء على الأرض، ولكنها بشارة الله لعباده، وطمأنة قلوبهم، وكان الله قد أمدهم بألف من الملائكة، ثم ثلاثة آلاف، ثم خمسة آلاف، وكان يكفي ملك واحد لتدمير الكفر وأهله، ولكن الله فرح بخروج المؤمنين في سبيل الله، ومواجهة عدوه بالقلب والقالب، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٦].

ثم إن النبي ﷺ أخذ حفنة من الحصباء، فاستقبل بها الكفار، وقال: (شاهت الوجوه)، ثم رمى بها في وجه القوم، فما بقي أحد منهم إلا امتلأت عينه من الحصباء، وفي ذلك نزل: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال/ ١٧].

وقاتل رسول الله ﷺ بنفسه الشريفة في هذه الغزوة العظيمة قتالاً شديداً، وكذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لَمَّا حَضَرَ الْبَأْسُ يَوْمَ بَدْرٍ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ، مَا كَانَ - أَوْ: لَمْ يَكُنْ - أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْهُ » أخرجه أحمد[2].

وقاتل الصحابة رضي الله عنهم في غزوة بدر قتالاً شديداً: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٠١).
(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٠٤٢).

عن عروة بن الزبير ﵁ قال : كَانَ فِي الزُّبَيْرِ ثَلَاثُ ضَرَبَاتٍ بِالسَّيْفِ إِحْدَاهُنَّ فِي عَاتِقِهِ. قَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأُدْخِلُ أَصَابِعِي فِيهَا. قَالَ: ضُرِبَ ثِنْتَيْنِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَوَاحِدَةً يَوْمَ الْيَرْمُوك. أخرجه البخاري [(١)].

وعن ابن مسعود ﵁ قال : لقد رأيت سعداً - يعني سعد بن أبي وقاص- يقاتل يوم بدر قتال الفارس والراجل. أخرجه أحمد في فضائل الصحابة [(٢)].

وعن عبد الرحمن بن عوف ﵁ قَالَ: قَالَ لِي أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ وَأَنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ عَلِيٍّ آخِذٌ بِأَيْدِيهِمَا: يَا عَبْدَ الإِلَهِ، مَنِ الرَّجُلُ مِنْكُمُ المُعَلَّمُ بِرِيشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: ذَاكَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ قَالَ: ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الأَفَاعِيلَ. أخرجه الحاكم [(٣)].

وشاركت الملائكة في قتل وأسر المشركين في بدر، ولم تباشر الملائكة القتال إلا في هذه الغزوة فقط، وفيما سواها يكونون عدداً ومدداً لا يضربون، وإنما لتأييد المؤمنين، وحمايتهم، وإرهاب الكفار: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال/ ٥٠-٥١] .

وعن علي بن أبي طالب ﵁ قَالَ: لمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ أَصَبْنَا مِنْ ثِمَارِهَا، فَاجْتَوَيْنَاهَا وَأَصَابَنَا بِهَا وَعْكٌ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْرٍ، فَلَمَّا بَلَغَنَا أَنَّ المُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا، سَارَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى بَدْرٍ، وَبَدْرٌ بِئْرٌ، فَسَبَقْنَا المُشْرِكِينَ إِلَيْهَا، فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ، رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَوْلًى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَمَّا القُرَشِيُّ فَانْفَلَتَ، وَأَمَّا مَوْلَى عُقْبَةَ فَأَخَذْنَاهُ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ لَهُ: كَمِ القَوْمُ؟

فَيَقُولُ: هُمْ وَالله كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ. فَجَعَلَ المُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «كَمِ القَوْمُ؟» قَالَ: هُمْ وَالله كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ، فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُخْبِرَهُ كَمْ هُمْ، فَأَبَى، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ: «كَمْ يَنْحَرُونَ مِنَ الجُزُرِ؟» فَقَالَ: عَشْرًا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «القَوْمُ أَلفٌ، كُلُّ جَزُورٍ لِمِائَةٍ وَتَبِعَهَا» ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ، فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالحَجَفِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ المَطَرِ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩٧٣).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد في فضائل الصحابة برقم (١٣١٩).

(٣) **صحيح**/ أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٢٥٤٨).

وَبَاتَ رَسُولُ الله ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَقُولُ: «اللهمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الفِئَةَ لَا تُعْبَدْ» قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ الفَجْرُ نَادَى: «الصَّلَاةَ عِبَادَ الله» ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ، وَالحَجَفِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ ، وَحَرَّضَ عَلَى القِتَالِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ جَمْعَ قُرَيْشٍ تَحْتَ هَذِهِ الضِّلَعِ الحَمْرَاءِ مِنَ الجَبَلِ» . فَلَمَّا دَنَا القَوْمُ مِنَّا وَصَافَفْنَاهُمْ إِذَا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ يَسِيرُ فِي القَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « يَا عَلِيُّ نَادِ لِي حَمْزَةَ - وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ -: مَنْ صَاحِبُ الجَمَلِ الأَحْمَرِ، وَمَاذَا يَقُولُ لَهُمْ؟ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنْ يَكُنْ فِي القَوْمِ أَحَدٌ يَأْمُرُ بِخَيْرٍ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الجَمَلِ الأَحْمَرِ».

فَجَاءَ حَمْزَةُ فَقَالَ: هُوَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَهُوَ يَنْهَى عَنِ القِتَالِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: يَا قَوْمُ، إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِمْ وَفِيكُمْ خَيْرٌ، يَا قَوْمُ اعْصِبُوهَا اليَوْمَ بِرَأْسِي، وَقُولُوا: جَبُنَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبَنِكُمْ، قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: أَنْتَ تَقُولُ هَذَا؟ وَالله لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا لَأَعْضَضْتُهُ، قَدْ مَلَأَتْ رِئَتُكَ جَوْفَكَ رُعْبًا، فَقَالَ عُتْبَةُ: إِيَّايَ تُعَيِّرُ يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ؟ سَتَعْلَمُ اليَوْمَ أَيُّنَا الجَبَانُ، قَالَ: فَبَرَزَ عُتْبَةُ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَابْنُهُ الوَلِيدُ حَمِيَّةً، فَقَالُوا: مَنْ يُبَارِزُ؟ فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ سِتَّةٌ، فَقَالَ عُتْبَةُ: لَا نُرِيدُ هَؤُلَاءِ، وَلَكِنْ يُبَارِزُنَا مِنْ بَنِي عَمِّنَا، مِنْ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قُمْ يَا عَلِيُّ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الحَارِثِ بْنِ المُطَّلِبِ» فَقَتَلَ الله تَعَالَى عُتْبَةَ، وَشَيْبَةَ، ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَجُرِحَ عُبَيْدَةُ، فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وَأَسَرْنَا سَبْعِينَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ أَسِيرًا، فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ هَذَا وَالله مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ، مَا أُرَاهُ فِي القَوْمِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: «اسْكُتْ، فَقَدْ أَيَّدَكَ الله تَعَالَى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ» أخرجه أحمد[1].

وعن رفاعة رضي الله عنه قال: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلَائِكَةِ. أخرجه البخاري[2].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٩٤٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٩٩٢).

- **هزيمة المشركين :**

ثم شد الصحابة الهجوم على المشركين، فجعلوا يمزقون الصفوف، ويقطعون الأعناق، فبدأت أمارات الفشل والهزيمة في صفوف المشركين، ودارت الدائرة على أعداء الله ورسوله ، ومضى المسلمون يقتلون ويأسرون، وقُتل من صناديد قريش وأشرافهم ما يربو على السبعين، وأسر مثلهم، وعامتهم من القادة والسادة والزعماء، ولحقت قريش خسائر فادحة في الأنفس والأموال، وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة.

عن البراء بن عازب ﵁ قال :جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرُّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَبْدَ الله بْنَ جُبَيْرٍ، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا» أخرجه البخاري[1].

وبطش الله في ذلك اليوم بأعداء الله ، وانتقم منهم كما أخبر سبحانه بقوله:﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الدخان/ ١٦] .

وقتل من زعماء قريش وصناديدها في غزوة بدر:

عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وأبو البختري بن هشام، وعبيدة بن سعيد بن العاص، والأسود بن عبد الأسد، وغيرهم.

وقد نهى رسول الله ﷺ المسلمين يومئذ عن قتل عدد من رجال قريش، فقال ﷺ : «إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ نَاسًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخرِجُوا كُرْهًا لا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ بْنَ هِشَامٍ فَلا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَلا يَقْتُلْهُ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا » أخرجه الحاكم والبيهقي في دلائل النبوة [2].

ثم فر المشركون وهربوا من ساحة بدر في صورة غير منظمة، وتبعثروا في الوديان والشعاب، واتجهوا صوب مكة مذعورين، لا يدرون كيف يدخلونها خجلاً:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾[الأنفال/ ١٣-١٤] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩٨٦).

(٢) حسن/ أخرجه الحاكم برقم (٥٠٤٢)، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٤٠).

ومع زوال الشمس من ذلك اليوم خلا ميدان بدر من كفار قريش، وهُزم المشركون هزيمة ساحقة، ونصر الله رسولهﷺ والمؤمنين، ورجع من لم يقتل أو يؤسر من المشركين إلى مكة في فلول منهزمين، منكسرين، خائبين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

وقد استشهد من المسلمين في غزوة بدر أربعة عشر رجلاً:

ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، وقد دفنوا في مصارعهم في ميدان بدر: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

[آل عمران/ ١٦٩-١٧٠].

ولما انتهت المعركة أمر رسول الله ﷺ بأربعة وعشرين رجلاً من القتلى من صناديد قريش، فنقلوا من مصارعهم، وقذفوا في طويٍّ من أطواء بدر إلا أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه، فذهبوا ليحركوه فتزايل، فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة في مكانه.

عن أبي طلحة ﵁ أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مخُبْثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالعَرْصَةِ ثَلاثَ لَيَالٍ، فَلمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، وَيَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ الله وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لاَ أَرْوَاحَ لهَا؟

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لمِاَ أَقُولُ مِنْهُمْ»، قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ الله حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا. متفق عليه (١).

وهكذا قصم الله الباطل، ودمر قادته، وأخزى أهله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [إبراهيم/ ٢٨-٣٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٩٧٦)، ومسلم برقم (٢٨٧٥).

وبعد انتهاء هذه المعركة بنصر المسلمين، وأخذ الغنائم والأسرى قيل للرسول ﷺ : عليك بالعير، ليس دونها شيء، فناداه العباس أن ذلك لا يصلح له، وكان في الأسرى. فقال ﷺ : « وَلِمَ؟» فقال العباس: إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَكَ، قَالَ: « وَلِمَ؟ » قَالَ: لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا وَعَدَكَ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَقَدْ أَعْطَاكَ مَا وَعَدَكَ. أخرجه أحمد[1].

- **مقتل أبي جهل رأس الكفر :**

وقد قتل الله رأس الكفر، وأكبر قادة قريش، أبا جهل بن هشام، بأصغر المسلمين سنا وخبرة، معاذ بن عفراء، ومعاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما.

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا.

قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ: مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟» فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُ، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ»، وَقَضَى بِسَلَبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ، وَالرَّجُلَانِ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ، ومعاذ بن عفراء. متفق عليه[2].

ولما انتهت المعركة طلب النبي ﷺ من الناس أن ينظروا ما صنع أبو جهل، فوجده عبد الله بن مسعود في القتلى، فاحتز رأسه، وجاء به إلى رسول الله ﷺ .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ». فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ، قَالَ: أَأَنْتَ، أَبُو جَهْلٍ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ، أَوْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُه. متفق عليه[3].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٠٢٢).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣١٤١)، ومسلم برقم (١٧٥٢) واللفظ له.
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٩٦٢)، ومسلم برقم (١٨٠٠).

• **بشائر النصر :**

لما تم النصر للمسلمين، أرسل رسول الله ﷺ مبشرين قبل مقدمه المدينة، عبد الله بن رواحة لأهل العالية، وزيد بن حارثة لأهل المدينة راكبا على ناقة رسول الله ﷺ ، فطافا بالمدينة يهللان ويكبران، ويبشران أهل المدينة بالنصر العظيم: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الروم/ ٤] .

وأقام رسول الله ﷺ ببدر بعد انتهاء المعركة ثلاثة أيام، وكانت هذه عادته ﷺ ، ثم قفل راجعاً إلى المدينة، ومعه سبعون أسيراً من المشركين، والغنائم التي أصابها من المشركين، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال/ ٢٦] .

• **غنائم بدر :**

قبل رحيل المسلمين من بدر وقع خلاف بينهم حول الغنائم؛ لأن حكمها لم يشرع يومئذ، واشتد الخلاف بينهم، حتى أنزل الله سورة الأنفال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال/ ١] .

وسبب الاختلاف في غنائم بدر بين الصحابة رضي الله عنهم ما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا، فَالتقَى النَّاسُ فَهَزَمَ الله العَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ، وَأَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَى العَسْكَرِ يَحْوُونَهُ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ الله ﷺ لَا يُصِيبُ العَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ، وَفَاءَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ الَّذِينَ جَمَعُوا الغَنَائِمَ: نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَجَمَعْنَاهَا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا نَصِيبٌ.

وَقَالَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ العَدُوِّ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ نَفَيْنَا عَنْهَا العَدُوَّ وَهَزَمْنَاهُمْ، وَقَالَ الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ الله ﷺ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ الله ﷺ ، وَخِفْنَا أَنْ يُصِيبَ العَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً وَاشْتَغَلْنَا بِهِ، فَنَزَلَتْ: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لله وَالرَّسُولِ، فَاتَّقُوا الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ". أخرجه أحمد[1] .

---

(١) حسن / أخرجه أحمد برقم (٢٢٧٦٢).

وقد قُسمت الغنائم، وخمست، ووزعت على المشاركين في غزوة بدر، كما قال الله سبحانه: ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١ ﴾[الأنفال/ ٤١].

وقد أسهم الرسول ﷺ لتسعة من الصحابة لم يشهدوا بدراً؛ لأعذار أو أعمال كلفوا بها، منهم عثمان بن عفان ﷺ، لأنه كان يمرض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وقد توفيت ودفنت يوم عودة الرسول ﷺ وأصحابه من بدر.

وكان تقسيم الغنائم في منطقة الصفراء، في طريق العودة إلى المدينة، فأخرج الخمس، وقسم الباقي بين المسلمين.

وكان من نصيب رسول الله ﷺ في غزوة بدر سيفه ذو الفقار، ثم صار هذا السيف بعد ذلك إلى علي بن أبي طالب ﷺ.

وكان من نصيبه ﷺ جمل أبي جهل، وقد جعله في هديه عام الحديبية ليغيظ به المشركين.

وقد اختصت هذه الأمة بحل الغنائم، وكان ابتداء ذلك في غزوة بدر، كما قال سبحانه: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩ ﴾[الأنفال/ ٦٩].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رَسُولُ الله ﷺ قال: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لاَ يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلماَّ يَبْنِ بِهَا، وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا، فَغَزَا فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلاَةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللهمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَجَاؤوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتِ النَّارُ، فَأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أَحَلَّ الله لَنَا الغَنَائِمَ، رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا» متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَمْ تَحِلَّ الغَنَائِمُ لِقَوْمٍ سُودِ الرُّؤوسِ قَبْلَكُمْ، كَانَتْ تَنْزِلُ النَّارُ مِنَ السَّمَاءِ فتَأْكُلُهَا » فَلمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أَسْرَعَ النَّاسُ فِي الغَنَائِمِ، فَأَنْزَلَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٢٤)، ومسلم برقم (١٧٤٧).

الله عَزَّ وَجَلَّ: " لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ الله سَبَقَ لمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا" » أخرجه أحمد [١].

- **أسرى بدر :**

أكمل الرسول ﷺ طريقه إلى المدينة، ومعه الغنائم الكثيرة، وسبعون أسيراً من المشركين.

فلما وصل إلى منطقة الصفراء أمر رسول الله ﷺ بقتل النضر بن الحارث، وكان حامل لواء المشركين يوم بدر، ومن أكابر مجرمي قريش، ومن أشد الناس كيداً للإسلام، ومن أشدهم إيذاءً للرسول ﷺ ، فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بضرب عنقه فقتله.

وعندما وصل رسول الله ﷺ إلى عرق الظبية أمر عاصم بن ثابت أن يضرب عنق عقبة بن أبي معيط، وكان من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ ، وهو الذي وضع سلا الجزور على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد عند الكعبة، ووضع رجله على عنق الرسول ﷺ وهو ساجد. متفق عليه[٢].

ولما قُدِّم لتضرب عنقه، قال :مَنْ لِلصِّبْيَةِ؟ قَالَ: «النَّارُ» أخرجه أبو داود[٣].

وقول عقبة: من للصبية؟ أي من يكفل الأطفال ويربيهم، يستعطف الرسول ﷺ عليه.

وهذان الرجلان(النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط)، كانا من شر عباد الله، وأعظمهم كفراً، وبغياً، وعناداً، وحسداً، وهجاءً، وإيذاءً للإسلام وأهله، لعنهما الله، وقد فعل: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأنفال/ ٢٢-٢٣] .

وقد فرَّق النبي ﷺ أسرى بدر بين أصحابه رضي الله عنهم، وأوصاهم بهم خيراً، وقد نفذ الصحابة رضي الله عنهم وصية رسول الله ﷺ ، فعاملوهم أحسن معاملة، وأطعموهم الخبز، فكان ذلك سبباً في إسلام بعضهم.

ثم استشار الرسول ﷺ أصحابه في شأن الأسرى.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَ: لمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى المُشْرِكِينَ وَهُمْ الفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ الله ﷺ القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي،

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٧٤٣٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٤٠)، ومسلم برقم (١٧٩٤).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٢٦٨٦).

اللهمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ.
فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَالقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي ممِدُّكُمْ بِالفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ" فَأَمَدَّهُ الله بِالمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ المُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى المُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ.
فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَحَدَّث بِذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الأُسَارَى؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ الله، هُمْ بَنُو العَمِّ وَالعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً، فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الكُفَّارِ، فَعَسَى الله أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلَامِ.
فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟» قُلْتُ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تمُكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتمُكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ الله ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لمَ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا.
فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِم الفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ »- شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ الله ﷺ – وَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسَرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ"إِلَى قَوْلِهِ "فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا"فَأَحَلَّ الله الغَنِيمَةَ لهُمْ. أخرجه مسلم(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٦٣).

وكلا الرأيين من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فيه خير ومصلحة، ولكن رأي أبي بكرﷺ أصوب وأحسن، لاستقرار الأمر عليه، وموافقته الكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم، ولحصول الخير العظيم بإسلام أكثر أولئك الأسرى، ولموافقة رسول الله ﷺ لرأي أبي بكر ﷺ.

وكان أخذ الفداء حلالاً في أول الإسلام، ثم جُعل فيما بعد الخيار للإمام بين القتل أو الفداء حلالاً، ثم جُعل فيما بعد الخيار للإمام بين القتل أو الفداء أو المن، أما الأطفال والنساء فلا يجوز قتلهم، ما داموا غير محاربين، كما قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾[محمد/ ٤].

وقد جعل رسول الله ﷺ فداء الأسرى كل على حسب ماله، ومن لم يكن عنده فداء ويحسن القراءة والكتابة، جعل فداءه أن يعلِّم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة، وبعض الأسرى ليس عنده مال ولا يحسن القراءة والكتابة، فمنَّ عليهم رسول الله ﷺ وأطلقهم بغير فداء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ نَاسٌ مِنَ الأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لمْ يَكُنْ لهُمْ فِدَاءٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الأَنْصَارِ الكِتَابَةَ. أخرجه أحمد[1].

وأول من افتدى من أسرى بدر أبو وداعة الحارث بن ضبيرة السهمي، فداه ابنه المطلب بأربعة آلاف درهم، ثم رجع إلى مكة.

وكان من بين الأسرى سهيل بن عمرو، فداه مكرز بن حفص، ثم أسلم سهيلﷺ فيما بعد .

ومن بين الأسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول ﷺ ، وكان ﷺ قد أخذ عليه عهداً أن يرسل إليه ابنته زينب، وكانت لا تزال في مكة رضي الله عنها، ثم أسلم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ فِي فِدَاءِ أَبِي العَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لهَا كَانَتْ لخَدِيجَةَ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي العَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا.

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٢١٦).

قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ الله ﷺ رَقَّ لهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لهَا، فَافْعَلُوا» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، فَأَطْلَقُوهُ، وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لهَا. أخرجه أحمد(1).

ومن بين الأسرى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، أسره أبو اليسر كعب بن عمرو الخزرجي، وكان العباس مسلماً، لكن أكرهته قريش على الخروج، وقد فدى العباس بن عبد المطلب نفسه بمائة أوقية، وفدى ابن أخيه عقيل بن أبي طالب بثمانين أوقية، ثم أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾[الأنفال/ ٧٠] .

وقدم جبير بن مطعم رضي الله عنه إلى المدينة ليفدي أسراه، فوافق رسول الله ﷺ في صلاة المغرب وهو يقرأ سورة الطور، فكان هذا أول وقوع الإسلام في قلبه.

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي . متفق عليه(2).

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ» متفق عليه(3).

وسبب ذلك أن المطعم بن عدي أجار رسول الله ﷺ حين رجع من الطائف، وكان أحد الذين قاموا بنقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم، ثم أسلم جبير بن مطعم رضي الله عنه قبل فتح مكة.

وخرج عمير بن وهب الجحمي من مكة لاغتيال الرسول ﷺ متستراً بفداء ابنه، فأخبره رسول الله ﷺ بما جاء من أجله، فشهد شهادة الحق، وأسلم، ففرح المسلمون بذلك.

فقال رسول الله ﷺ : «فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره»

ثم عاد داعياً إلى مكة، فأسلم على يديه من أهل مكة خلق كثير.

- **فضل شهداء بدر :**

١ - قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾[آل عمران/ ١٦٩-١٧٠] .

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٣٦٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٠٢٣)، ومسلم برقم (٤٦٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٠٢٤)، ومسلم برقم (٤٨٥٤).

٢- وعَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلَائِكَةِ. أخرجه البخاري[1].

٣- وعن علي بن أبي طالب ﷺ، في قصة حاطب بن أبي بلتعة ﷺ، عندما أرسل إلى أهل مكة كتاباً يخبرهم عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني لأضرب عنقه، فقال ﷺ : «أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟» فَقَالَ: لَعَلَّ الله اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» متفق عليه[2].

- **وصول النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة :**

لما وصل الرسول ﷺ إلى منطقة الروحاء لقيه رؤوس المسلمين، يهنؤنه بما فتح الله عليه، فقال أسيد بن حضير ﷺ : يا رسول الله! الحمد الله الذي أظفرك، وأقر عينك، والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر، وأنا أظن أنك تلقى عدواً، ولكن ظننت أنها عير، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت، فقال رسول الله ﷺ : (صدقت).

ثم مضى ﷺ حتى دخل المدينة النبوية، مؤيداً منصوراً مظفراً، قد خافه كل عدو له، داخل المدينة وخارجها، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أبي سلول وأصحابه في الإسلام نفاقاً.

وبهذه الغزوة العظيمة أظهر الله ﷻ عزة المؤمنين في الجزيرة والمدينة، وصارت لهم قيمة عند اليهود والمشركين والمنافقين، وانخذل اليهود، وجاهروا بالعداوة للمسلمين، فأحبط الله كيدهم ومكرهم، ونصر رسوله ﷺ عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩٩٢).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٩٨٣)، ومسلم برقم (٢٤٩٤).

٥- أهم الأحداث والوقائع بعد غزوة بدر

١- أول عيد فطر في الإسلام :

أول عيد فطر يمر على المسلمين هو العيد الذي وقع في أول شوال، من السنة الثانية للهجرة، بعد أن أكرمهم الله بالنصر والفتح المبين في غزوة بدر، فصلى بهم ﷺ صلاة العيد في أول شوال.

عن أنس رضي الله عنه قال: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: « إِنَّ الله قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الفِطْرِ، وَيَوْمَ النَّحْرِ» أخرجه أحمد[(١)].

٢- غزوة بني سليم وغطفان بالكدر :

لما قدم النبي ﷺ المدينة من بدر، أقام بها سبع ليال، ثم خرج بنفسه يريد بني سليم، وذلك في شوال من السنة الثانية للهجرة.

فبلغ ﷺ ماء من مياههم، يقال له الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق حرباً.

وكان سبب خروجه ﷺ ما بلغه أن بهذا المكان جمعاً من بني سليم وغطفان يخططون لحرب المسلمين.

٣- فرض الزكاة :

الزكاة عبادة معروفة في الرسالات السماوية السابقة، وقد ذكرها الله في القرآن الكريم حينما تحدث عن الأنبياء السابقين كما قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[الأنبياء/ ٧٣].

والزكاة في الإسلام مرت بمرحلتين :

الأولى : في العهد المكي، فقد ورد ذكر الزكاة والصدقة بصفتها تشريعاً عاماً، وإحساناً من الإنسان لغيره، دون أن ترد نصوص تبين فرضيتها، وتحديد ما تجب فيه، ومن يجب أن تدفع له كما قال سبحانه:﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾[المزمل/ ٢٠].

الثانية : في العهد المدني، فقد نزل فرض الزكاة في شهر شوال، من السنة الثانية للهجرة، وصار الحديث عنها بصفتها ركناً من أركان الإسلام كما قال سبحانه : ﴿ فَإِنْ تَابُوا

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٢٠٠٦).

﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [التوبة/ ١١] .

وبيَّن القرآن والسنة الأموال التي تجب فيها الزكاة، ومقدار الزكاة الواجبة، ومقادير النصاب، ومن تصرف له كما قال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[التوبة/ ٦٠] .

وقال الله ﷻ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[التوبة/ ١٠٣] .

٤- زواج علي بن أبي طالب رضي الله عنه من فاطمة رضي الله عنها:

تزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه من فاطمة بنت محمد ﷺ في السنة الأولى من الهجرة، وبنى بها في السنة الثانية من الهجرة، في شهر شوال، بعد وقعة بدر.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ المَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الخُمُسِ يَوْمَئِذٍ، فَلمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ ، وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ يَرْتَحِلُ مَعِيَ، فَنَأْتِي بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّاغِينَ فَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي. متفق عليه[1].

وكان عمر فاطمة رضي الله عنها يوم بنى بها علي رضي الله عنه ثمان عشرة سنة، وعمر علي رضي الله عنه يومئذ خمس وعشرون سنة.

وولدت فاطمة رضي الله عنها لابن عمها علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الذكور: الحسن والحسين، ومحسن، ومن الإناث أم كلثوم، وزينب.

٥- غزوة بني قينقاع :

حدثت غزوة بني قينقاع يوم السبت، للنصف من شوال، من السنة الثانية للهجرة.

وكان بنو قينقاع من أشجع يهود، وكانوا صاغة، وكانوا حلفاء عبد الله بن أبي سلول، وكان بينهم وبين الرسول ﷺ عهد كما سبق، وكانوا حلفاء الخزرج.

فلما كانت وقعة بدر، وظهر عز الإسلام ، أظهروا البغي والعدوان والحسد، ونقضوا العهد مع الرسول ﷺ.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٠٩١)، ومسلم برقم (١٩٧٩).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمَّا أَصَابَ رَسُولُ الله ﷺ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدِمَ المَدِينَةَ جَمَعَ اليَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا»، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا لَا يَعْرِفُونَ القِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ" . أخرجه أبوداود [(١)].

ولما رأى رسول الله ﷺ أن يهود بني قينقاع نقضوا العهد والميثاق، وتوسعوا في استفزازهم المسلمين، سار إليهم، واستخلف على المدينة أبا لبابة، ودفع اللواء إلى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

فلما رأى اليهود المسلمين تحصنوا في حصونهم، فحاصرهم رسول الله ﷺ حصاراً شديداً دام خمس عشرة ليلة، إلى هلال ذي القعدة، حتى قذف الله الرعب في قلوبهم، فنزلوا على حكم الرسول ﷺ ، فأمر بهم الرسول ﷺ فكتفوا.

وحينئذ قام عبد الله بن أبي سلول، رأس النفاق، فألح على رسول الله ﷺ أن يعفوا عنهم، فقال: يا محمد أحسِن إلى مواليّ، فأعرض عنه الرسول ﷺ ، ثم كرر الطلب ثانية، فأعرض عنه، ثم قال: أحسِن إلى مواليّ، أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة؟ إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال رسول الله ﷺ : «هم لك».

وأمر رسول الله ﷺ أن يُجلوا من المدينة بذراريهم ونسائهم، وأمهلهم ثلاثة أيام، ووكل بإخراجهم منها عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

فلما مضت الثلاثة أيام، خرج في آثارهم حتى سلكوا إلى أذرعات بالشام.

وتولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة، فقسمت بين الصحابة رضي الله عنهم، بعد إخراج الخمس للرسول ﷺ ، وهكذا غنم المسلمون أموال يهود بني قينقاع، ولم تكن لهم أرضون ولا مزارع، إنما كانوا صاغة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ حَارَبُوا رَسُولَ الله ﷺ ، فَأَجْلَى رَسُولُ الله ﷺ بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِرَسُولِ

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣٠٠١).

اللهِ ﷺ ، فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ، بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَهُمْ قَوْمُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِيٍّ كَانَ بِالمَدِينَةِ . متفق عليه[1] .

وكان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قد تبرأ من حلف يهود بني قينقاع عندما حاربوا رسول الله ﷺ .

وفيه وفي ابن سلول نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة/ ٥١-٥٢] .

٦- غزوة السويق :

في الخامس من ذي الحجة، من السنة الثانية للهجرة، حدثت غزوة السويق.

فحين وصل أبو سفيان بالعير إلى مكة، ورجعت فلول قريش المنهزمة إلى مكة، نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماءٌ من جنابة، حتى يغزو محمداً، ويثأر لأصحابه.

فخرج أبو سفيان في مائتي راكب من قريش ليبر بيمينه، فوصل إلى أطراف المدينة ليلاً، ولجأ إلى بني النضير، ونزل على سيد بني النضير سلّام بن مشكم اليهودي، فأخبره عن الرسول ﷺ وأصحابه.

فقام أبو سفيان بمهاجمة ناحية العريض، واد في طرف حرة واقم، فقتل رجلين، وأحرق نخلاً، وفر ومن معه إلى مكة.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج في إثرهم يطلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار، واستعمل على المدينة أبا لبابة، فجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جُرب السويق، وهي عامة أزوادهم، يتخففون منها للنجاة، فلحقهم ﷺ حتى بلغ قرقرة الكدر، ففاته أبو سفيان وأصحابه، فانصرف ﷺ راجعاً إلى المدينة.

وكانت غيبة رسول الله ﷺ في هذه الغزوة خمسة أيام.

فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : يا رسول الله أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: «نعم».

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٠٢٨)، ومسلم برقم (١٧٦٦).

٧- وفيات السنة الثانية من الهجرة

في شهر ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة، توفي عثمان بن مظعون ﵁.

وكان ﵁ من سادة المهاجرين، أسلم ﵁ أول الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، وكان ﵁ من أشد الناس اجتهاداً في العبادة، يصوم النهار، ويقوم الليل، وكان من الأغنياء المنفقين ﵁.

عَنْ أُمِّ العَلاَءِ رضي الله عنها قَالَتْ: طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي السُّكْنَى، حِينَ اقْتَرَعَتْ الأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى المُهَاجِرِينَ، فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ الله، قَالَ: «وَمَا يُدْرِيكِ» قُلْتُ: لاَ أَدْرِي وَالله، قَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ، إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ مِنَ الله، وَالله مَا أَدْرِي - وَأَنَا رَسُولُ الله - مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ» قَالَتْ أُمُّ العَلاَءِ: فَوَالله لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ، قَالَتْ: وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «ذَاكِ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ» أخرجه البخاري(١).

مات ﵁ بالمدينة، ودُفن بالبقيع، وهو أول من دفن من المهاجرين بالبقيع.

وتوفي في السنة الثانية من الهجرة شهداء بدر وهم أربعة عشر، ما بين مهاجري وأنصاري.

وتوفيت رقية بنت رسول الله ﷺ لما جاءت البشارة بنصر المؤمنين في بدر.

وقتل في هذه السنة من رؤساء المشركين في بدر سبعين رجلا:

منهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وغيرهم من صناديد قريش، وتوفي أبو لهب بمكة بعد غزوة بدر بقليل.



---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠١٨).

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الثالثة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة الثالثة من الهجرة

وتشتمل على ما يلي :

١- غزوة قرقرة الكدر

٢- غزوة غطفان

٣- مقتل كعب بن الأشرف

٤- زواج عثمان بن عفان رضي الله عنه من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

٥- سرية القردة

٦- زواج الرسول ﷺ من حفصة بنت عمر رضي الله عنهما

٧- زواج الرسول ﷺ من زينب بنت خزيمة رضي الله عنها

٨- غزوة أحد

٩- غزوة حمراء الأسد

١٠- وفيات السنة الثالثة من الهجرة

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الثالثة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة الثالثة من الهجرة

١- غزوة قرقرة الكدر

خرج رسول الله ﷺ في منتصف محرم، من السنة الثالثة للهجرة، في مائتين من أصحابه، عندما علم أن جمعاً من بني سليم وغطفان تجمعت بقرقرة الكدر، وهو ماء لبني سليم، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري رضي الله عنه ودفع لواءه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فسار إليهم رسول الله ﷺ حتى بلغ قرقرة الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال، فلم يلق أحداً من بني سليم وغطفان.

وأرسل ﷺ نفراً من أصحابه إلى أعلى الوادي، واستقبلهم ﷺ في بطن الوادي، فوجد رعاء فيهم غلام يقال له يسار، فسأله عن الناس، فقال الغلام: لا علم لي بهم.

فانصرف رسول الله ﷺ، وقد ظفر بالنعم، فانحدر به إلى المدينة، وكانت النعم خمسمائة بعير، فأخرج خمسها، وقسم أربعة أخماس بين الصحابة الذين معه، وصار يسار في سهم النبي ﷺ فأعتقه.

وغاب النبي ﷺ في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة.

٢- غزوة غطفان

جاء الخبر إلى رسول الله ﷺ من عيونه أن جمعاً من غطفان، من بني ثعلبة بن محارب تجمعوا على ماء يقال له ذو أمر، يريدون الإغارة على المدينة.

فخرج إليهم الرسول ﷺ في المحرم من السنة الثالثة للهجرة، في أربعمائة وخمسين رجلاً، في أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله ﷺ قبل غزوة أحد، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فلما سمعت غطفان بخروج النبي ﷺ، قذف الله في قلوبهم الرعب، فهربوا إلى رؤوس الجبال، وحفظ الله المسلمين من شر الكافرين، ونزل في هذه الغزوة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المائدة/ ١١].

٣- مقتل كعب بن الأشرف

كان كعب بن الأشرف من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وأصحابه، وكان أبوه عربياً من قبيلة طي، من بني نبهان، جاء إلى المدينة، وحالف بني النضير، وشرف فيهم، وتزوج منهم عقيلة بنت أبي الحقيق، فولدت له كعباً.

وكان كعب طويلاً جسيماً، وشاعراً مجيداً، ساد يهود الحجاز بكثرة ماله، وكان يعطي أحبار اليهود ويصلهم.

وكان حصنه جنوب شرق المدينة، خلف ديار بني النضير.

وكان من عداوة كعب بن الأشرف أنه لما بلغه خبر انتصار المسلمين في بدر، وعلم بمقتل صناديد قريش، قال: أحق هذا؟

هؤلاء أشراف العرب، وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير لي من ظهرها.

فلما تأكد عنده الخبر انطلق عدو الله يهجو رسول الله ﷺ والمسلمين، ويمدح عدوهم، ويحرض عليهم.

ولم يرض عدو الله بهذا القدر حتى ركب إلى قريش، فبكى بشعره قتلاهم في بدر، وحرضهم على قتال المسلمين.

ونزل بمكة على المطلب بن أبي وداعة السهمي، فاستقبله وأكرمه، وجعل كعب ينشد الأشعار،ويحرض قريشاً على رسول الله ﷺ والمسلمين، ليأخذوا ثأرهم منهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ مَكَّةَ أَتَوْهُ، فَقَالُوا: نَحْنُ أَهْلُ السِّقَايَةِ وَالسِّدَانَةِ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ يَثْرِبَ، فَنَحْنُ خَيْرٌ أَمْ هَذَا الصُّنَيْبِيرُ الْمُنْبَتِرُ مِنْ قَوْمِهِ، يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا.

فَقَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، فَنزَلَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ "إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ"، وَنَزَلَتْ:"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا".أخرجه ابن حبان (١).

ولما عاد إلى المدينة أخذ يقرض الشعر متشبباً بنساء المسلمين، فأهدر رسول الله ﷺ دمه.

عن جابر رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ»، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: يَا رَسُولَ الله، أَتحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: ائْذَنْ لِي، فَلأَقُلْ، قَالَ: «قُلْ»، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً، وَقَدْ عَنَّانَا، فَلَمَّا سَمِعَهُ قَالَ: وَأَيْضًا وَالله، لَتمَلُّنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ الآنَ، وَنَكْرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ، قَالَ: وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسْلِفَنِي سَلَفًا، قَالَ: فَمَا تَرْهَنُنِي؟ قَالَ: مَا تُرِيدُ؟.

قَالَ: تَرْهَنُنِي نِسَاءَكُمْ، قَالَ: أَنْتَ أَجْمَلُ العَرَبِ، أَنَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا؟ قَالَ لَهُ: تَرْهَنُونِي أَوْلَادَكُمْ، قَالَ: يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا، فَيُقَالُ: رُهِنَ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تمَرٍ، وَلَكِنْ نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ - يَعْنِي السِّلَاحَ -، قَالَ: فنَعَمْ، وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالحَارِثِ، وَأَبِي عَبْسِ بْنِ جَبْرٍ، وَعَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ، قَالَ: فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلًا فنَزَلَ إِلَيْهِمْ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ.

قَالَ: إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَرَضِيعُهُ، وَأَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَيْلًا لَأَجَابَ، قَالَ محَمَّدٌ: إِنِّي إِذَا جَاءَ، فَسَوْفَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا اسْتَمْكَنْتُ

---

(١) **صحيح/** أخرجه ابن حبان برقم (٦٥٧٢).

مِنْهُ فَدُونَكُمْ، قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ نَزَلَ وَهُوَ مُتَوَشِّحٌ، فَقَالُوا: نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطِّيبِ، قَالَ: نَعَمْ تحَتِي فُلاَنَةُ هِيَ أَعْطَرُ نِسَاءِ العَرَبِ، قَالَ: فَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ مِنْهُ، قَالَ: نَعَمْ فَشُمَّ، فتَنَاوَلَ فَشَمَّ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لي أَنْ أَعُودَ، قَالَ: فَاسْتَمْكَنَ مِنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: دُونَكُمْ، قَالَ فَقَتَلُوهُ» متفق عليه [1].

وكان مصرع كعب بن الأشرف لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، من السنة الثالثة للهجرة.

ولما علمت يهود بمصرع طاغيتها كعب بن الأشرف، دب الرعب في قلوبهم، وعلموا أن الرسول ﷺ لن يتوانى في استخدام القوة حين لا يجدي النصح مع كل من يريد العبث بالأمن وإشعال الفتن، فلزموا الصمت والهدوء، وتظاهروا بالوفاء بالعهود، وأسرعت الأفاعي إلى جحورها تختبئ فيها، لتخرج حين تحين الفرصة.

٤- زواج عثمان من أم كلثوم بنت الرسول ﷺ

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه قد تزوج من قبل رقية بنت رسول الله ﷺ، فمرضت قبل غزوة بدر، فأمره النبي ﷺ أن يبقى عندها، فماتت رضي الله عنها عندما جاء بشير رسول الله ﷺ لأهل المدينة بالفتح والنصر يوم بدر.

فلما ماتت رقية رضي الله عنها زوجه الرسول ﷺ أختها أم كلثوم رضي الله عنها.

وقد تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه أم كلثوم بنت الرسول ﷺ في شهر ربيع الأول، من السنة الثالثة للهجرة، وكانت بكراً ولم تلد لعثمان رضي الله عنه .

ولم يُعرف لأحد تزوج ابنتي نبي غير عثمان بن عفان رضي الله عنه .

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: إِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لله وَلِرَسُولِهِ، وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ، وَهَاجَرْتُ الهِجْرَتَيْنِ كَمَا قُلْتَ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَبَايَعْتُهُ، فَوَالله مَا عَصَيْتُهُ وَلاَ غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ الله عز وجل. أخرجه البخاري[2].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٠٣٧)، ومسلم برقم (١٨٠١).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٦٩٦).

٥- سرية القردة

بعد غزوة بدر خافت قريش أن تسلك طريقها الذي كانت تسلكه إلى الشام.

فقالوا: حين اقترب موسم رحلتهم في الصيف إلى الشام: إن محمداً قد عوَّر عليها متجرنا، وهو على طريقنا، فما ندري أين نسلك؟.

فقال صفوان بن أمية: إن أقمنا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا، فلم يكن لها من بقاء.

فتشاورت قريش في هذا الأمر، فاختاروا أن يسلكوا طريق العراق، الذي يخترق نجدا إلى الشام، وهي طريق طويلة جداً، تمر شرقي المدينة على بعد كبير منها، واستأجروا دليلا يدلهم على الطريق، هو فرات بن حيان، من بني بكر بن وائل، فخرج صفوان بن أمية، وقيل أبو سفيان بن حرب، يقود هذه القافلة في جمع من تجار مكة، في مائة رجل، ومعهم فضة كثيرة تقدر بثلاثين ألف درهم.

فسلك بهم فرات بن حيان على ذات عرق، طريق العراق، فبلغت رسول الله ﷺ أنباء هذه العير، فبعث إليها زيد بن حارثة رضي الله عنه، في مائة راكب، ليعترض عير قريش، فلقيهم على ماء من مياه نجد يقال له: القردة، فاستولى عليها كلها، ولم يكن من صفوان بن أمية ومن معه من حرس القافلة إلا الفرار بدون مقاومة، وأسر المسلمون دليل القافلة فرات بن حيان، ثم أسلم وحسن إسلامه، وفقه في الدين، ولم يزل يغزو مع رسول الله ﷺ إلى أن مات، فانتقل فرات إلى مكة، فنزل بها.

ثم إن رسول الله ﷺ قسم غنائم هذه السرية على أهلها، بعد أن أخرج الخمس.

وكان ذلك في شهر جمادي الآخرة، من السنة الثالثة للهجرة، وهذه السرية هي آخر وأنجح سرية قام بها المسلمون قبل غزوة أحد.

وكانت هذه الهزيمة صاعقة كبيرة، ونكبة شديدة، أصابت قريشاً بعد بدر، ازداد بعدها همهم وحزنهم، وقلقهم وخوفهم .

وعندما فشلت خطة قريش في الخروج من الحصار الاقتصادي الذي ضربه عليها المسلمون، رأت أن تعجل بعمل عسكري ضد المسلمين في عقر دارهم، لعلها تفك هذا الحصار، وتأخذ بثأرها، وتعيد الأمن إلى طريق تجارتها، وتعيد سمعتها التي انحطت بهزيمتها في بدر، فكانت غزوة أحد.

٦- زواج الرسول ﷺ من حفصة بنت عمر رضي الله عنها

تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، في شعبان من السنة الثالثة للهجرة،بعد أن انقضت عدتها من زوجها خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه، الذي قد توفي عنها بعد بدر.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَتُوُفِّيَ بِالمَدِينَةِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا.

قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ الله ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟.

قَالَ عُمَرُ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ الله ﷺ ، وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ الله ﷺ قَبِلْتُهَا. أخرجه البخاري [(١)].

وكان رسول الله ﷺ قد طلق حفصة ثم راجعها رضي الله عنها.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَن رَسُولَ الله ﷺ طَلَّقَ حَفْصَة ثُمَّ رَاجَعَهَا. أخرجه ابن حبان[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥١٢٢).

(٢) **صحيح**/ أخرجه ابن حبان برقم (٤٢٧٥).

٧- زواج الرسول ﷺ من زينب بنت خزيمة رضي الله عنها

تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية في شهر رمضان، من السنة الثالثة للهجرة.
وكانت تسمى رضي الله عنها أم المساكين، لكثرة إطعامها المساكين، وصدقتها عليهم، وإحسانها إليهم.
خطبها رسول الله ﷺ بعد أن استشهد زوجها عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه في بدر، فجعلت أمرها إليه، فتزوجها ﷺ، فلم تلبث عنده إلا يسيراً، بضعة أشهر لا تزيد، ثم توفيت في آخر شهر ربيع الآخر من السنة الرابعة للهجرة.
وكانت وفاة زينب بن خزيمة رضي الله عنها، في حياته ﷺ، وكان عمرها حين توفيت رضي الله عنها ثلاثين سنة أو نحوها، فصلى عليها رسول الله ﷺ، ودفنها بالبقيع رضي الله عنها.

٨- غزوة أحد

حدثت غزوة أحد نهار يوم السبت، للنصف من شوال، من السنة الثالثة للهجرة. وأحد جبل شمال شرق المدينة، سمي أحداً لتوحده عن الجبال التي حوله.

وسبب هذه الغزوة أن قريشاً أرادت أن تنتقم لقتلاها في بدر، وتشفي غيظها من المسلمين، وتروي غلة حقدها عليهم، وتستعيد مكانتها التي تزعزعت بين العرب بعد هزيمتها في بدر، وأن تضع حداً لتهديد المسلمين قبل أن يصبحوا قوة تهدد وجودهم.

وكان أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن أبي ربيعة، أكثر زعماء قريش نشاطاً وتحمساً لخوض هذه المعركة.

وعجل في تحركهم ما فعلته سرية زيد بن حارثة ﵁ من استيلائها على أموالهم التي كانت متجهة إلى الشام عن طريق نجد.

وأول ما فعلوه لهذه الغزوة أنهم احتجزوا العير التي نجا بها أبو سفيان، والتي كانت سببا لغزوة بدر فقالوا للذين كانت لهم أموال فيها: إن محمداً قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا ندرك فيه ثأرنا بمن أصاب منا، فأجابوا لذلك، وكانت ألف بعير، والمال خمسون ألف دينار.

وتجهزت قريش لحرب رسول الله ﷺ، وبعثت رجالاً يسيرون في العرب، ويدعونهم إلى نصرهم، ويحرضونهم على قتال محمد ﷺ، فاستنفروا بني كنانة، وأهل تهامة، بأشعارهم.

وجمعت قريش الجموع من حلفائها، والأحابيش، والأعراب من كنانة وتهامة، واجتمع إليهم أبو عامر الفاسق، والد حنظلة غسيل الملائكة ﵁، في خمسين رجلاً من قومه.

فتجمع لقريش ثلاثة آلاف مقاتل، فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مئتا فرس، وثلاثة آلاف بعير.

ورأى قادة قريش أن يستصحبوا معهم النساء، حتى يكون ذلك أبلغ في استماتة الرجال، وحتى لا يفروا، وبلغ عددهن خمس عشرة امرأة من أشراف قريش.

فخرج أبو سفيان بزوجته هند بنت عتبة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، وخرج صفوان بن أمية بزوجته برزة بنت مسعود،

وخرج طلحة بن أبي طلحة بزوجته سلافة بنت سعد، وخرج عمرو بن العاص بزوجته ريطة بنت منبه بن الحجاج.
فخرجن معهن الدفوف والخمور، فكن يبكين قتلى بدر، ويحرضن الرجال على القتال والصمود، وعدم الهزيمة والفرار.
وكان قائد الجيش أبا سفيان بن حرب، وقيادة الفرسان إلى خالد بن الوليد، يعاونه عكرمة بن أبي جهل، أما اللواء فكان إلى بني عبد الدار.
فلما خرجت قريش بجموعها من مكة بعث العباس بن عبد المطلب ﵁ برسالة مستعجلة إلى الرسول ﷺ، ضمنها جميع تفاصيل جيش قريش، ودفع بالكتاب إلى رجل من بني غفار كان قد استأجره، وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام ففعل، وسلم الرسالة إلى الرسول ﷺ وهو بمسجد قباء، فقرأ الرسالة على الرسول ﷺ أبي بن كعب ﵁ ، فأمره ﷺ بالكتمان، وكان العباس ﵁ يكتب بأخبار المشركين إلى الرسول ﷺ، ثم إن الرسول ﷺ عاد مسرعاً إلى المدينة، وأخذ يستشير أصحابه رضي الله عنهم فيما بلغه.
وحينئذ أمر رسول الله ﷺ بحراسة المدينة خوفاً من أن يؤخذ المسلمون على غرة.
فقام نفر من كبار الأنصار فيهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وسعد بن عبادة رضي الله عنهم، ومعهم بعض المسلمين بحراسة الرسول ﷺ فباتوا ليلة الجمعة على بابه، وعليهم السلاح حتى أصبحوا، وقام البعض الآخر بحراسة المدينة.

- **وصول جيش قريش إلى المدينة :**

شاع خبر مسير قريش في الناس، وأرجف اليهود والمنافقون، ووصل المشركون ظاهر المدينة، ونزلوا قريبا من جبل أحد، على شفير الوادي، مقابل المدينة، وعسكروا هناك.
فلما تأكد للرسول ﷺ خبر قريش استشار أصحابه، وأخبرهم برؤياه التي رآها ليلة الجمعة، فقال ﷺ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ وَأَوَّلْتُهَا خَيْرًا، وَرَأَيْتُ في ذؤابة سَيْفِي ثَلْمًا، وَرَأَيْتُ أَنِّيَ أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوَّلْتُهَا المَدِينَةَ» أخرجه البيهقي في دلائل النبوة [1].
وعن أبي موسى ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ ،

(١) **صحيح/** أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٠٧).

فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ بِهِ الله مِنَ الفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ المُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا، وَالله خَيْرٌ، فَإِذَا هُمُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ» متفق عليه [1].

ثم استشار النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم، فقال: «إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة، ونجعل النساء والذرية في الآطام، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم في الأزقة، فنحن أعلم بها منهم، ورُموا من فوق الصياصي والآطام».

وكان هذا الرأي هو رأي الأكابر من المهاجرين والأنصار، وكان عبد الله بن أبي سلول يرى رأي رسول الله ﷺ، لا نصحاً للمسلمين، ولكن خوفاً من القتل، وحضر الشورى بصفته أحد زعماء الخزرج.

لكن كان رأي الأغلبية من الصحابة الخروج إلى العدو، خاصة الأحداث، والذين لم يشهدوا بدراً من الصحابة رضي الله عنهم.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَالله مَا دُخِلَ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْخَلُ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ: « شَأْنَكُمْ إِذًا » ، قَالَ: فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ، قَالَ: فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: رَدَدْنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ رَأْيَهُ. أخرجه أحمد[2].

فقال رأس المنافقين عبد الله بن أبي سلول: يا رسول الله أقم بالمدينة، ولا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه.

فلما رأى رسول الله ﷺ أن أكثر الناس أبى إلا الخروج إلى العدو، ولم يتناهوا إلى رأيه، قال: «شَأْنُكُم إِذًا» أخرجه أحمد[3].

ثم صلى الرسول ﷺ الجمعة بالناس، فوعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبرهم أن لهم النصر إذا صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، ففرح الناس بذلك.

ثم صلى النبي ﷺ بالناس العصر، وقد حُشدوا، وحضر أهل العوالي.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠٨١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٧٢).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٤٧٨٧).
(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٤٧٨٧).

ثم دخل رسول الله ﷺ بيته، وكان الناس ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير رضي الله عنهما؛ استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج، وهو أعلم بالله، وبما يريد، والوحي ينزل عليه من السماء، فردوا الأمر إليه، فندموا جميعا على ما صنعوا.

فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته، وظاهر بين درعين، وتقلد السيف.

فلما رآه الناس قاموا فاعتذروا إليه، وقالوا: يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك، ولا نستكرهك على الخروج، فاصنع ما بدا لك، فاعتذر لهم بأنه لبس لأمة الحرب .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ » أخرجه أحمد [(١)].

ثم أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بالخروج إلى العدو.

- **خروج المسلمين إلى أحد :**

ثم عقد الرسول ﷺ الألوية.

لواء الأوس؛ دفعه ﷺ إلى أسيد بن حضير رضي الله عنه ، ولواء الخزرج: دفعه إلى الحباب بن المنذر رضي الله عنه ، ولواء المهاجرين: دفعه إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه ، واستعمل ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، ليصلي بمن بقي في المدينة.

ثم خرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه، وخرج السعدان أمام الرسول ﷺ، سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، رضي الله عنهما، يعدوان، وكانا دارعين، وخرج حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حاسراً.

ثم سار رسول الله ﷺ ومعه جيشه، ومعهم فرسان، ومائة دارع، حتى وصل إلى مكان جهة أحد، يقال له (الشيخين)، فعسكر فيه، ثم أخذ يستعرض جيشه، فرد من كان منهم دون البلوغ، ومنهم عبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدري، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

وفي منطقة (الشيخين) أدركهم المساء، فصلى الرسول ﷺ بأصحابه المغرب، ثم صلى العشاء، وبات هناك، واختار خمسين رجلاً لحراسة المعسكر، يتجولون حوله، وكان قائدهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه .

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٤٧٨٧)

ونام رسول الله ﷺ، وتولى حراسته ذكوان بن عبد القيس، فلزمه ولم يفارقه.
وقبل طلوع الفجر أدلج رسول الله ﷺ في السحر، وانتهى إلى مكان يقال له (الشوط) بين المدينة وأحد، فحانت صلاة الفجر، فأمر ﷺ بلالاً فأذن وأقام، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه الفجر.
وفي هذه الفترة، وفي ذلك المكان أنخزل عبد الله بن أبي بن سلول، ومعه ثلاثمائة من المنافقين، ثلث الجيش، وهو يقول عن الرسول ﷺ: عصاني وأطاع الولدان، ومن لا رأي له، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا؟ ارجعوا أيها الناس، فرجع ومن معه من المنافقين، وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة من أصحابه.
ثم تبع عبد الله بن حرام - والد جابر المنافقين- وذكَّرهم بالله ليرجعوا، فلما استعصوا عليه، وأبوا إلا الانصراف، قال لهم: أبعدكم الله، أعداء الله، فسيغني الله عز وجل نبيه عنكم.
وفي هؤلاء المنافقين نزل قول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾ [آل عمران/ ١٦٦-١٦٧].
وميز الله المؤمنين من المنافقين قبل لقاء العدو في أحد: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩﴾ [آل عمران/ ١٧٩].
ولما انخزل ابن سلول وأصحابه قالت طائفة من المؤمنين نقاتلهم، وطائفة قالت: لا نقاتلهم، فأنزل الله سبحانه: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨﴾ [النساء/ ٨٨].
ولما رجع ابن سلول وأصحابه بثلث الجيش همت بنو سلمة وبنو حارثة بالرجوع، فعصمهما الله سبحانه وثبتهما، ولحقتا بالرسول ﷺ، وفيهما أنزل الله تعالى ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢٢﴾ [آل عمران/ ١٢٢].
ثم واصل الرسول ﷺ سيره نحو قريش، وكان معسكر المشركين يحول بينه وبين أحد، فقال ﷺ: « من رجل يخرج بنا على القوم من كثب، من طريق لا يمر بنا عليهم؟».

فقام أبو خيثمة الحارثي ﷺ فقال: أنا يا رسول الله. ثم اختار طريقاً قصيراً إلى أحد، يمر بحرة بني حارثة ومزارعهم، فسار حتى نزل الشعب من أحد، في عدوة الوادي إلى الجبل، فعسكر بجيشه مستقبلاً المدينة، جاعلاً ظهره إلى جبل أحد، وجعل عينين جبل الرماة عن يساره.

• **تعبئة الرسول ﷺ جيشه :**

في صباح يوم السبت، الخامس عشر من شهر شوال، عبأ رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم للقتال، فجعل على ميمنة الجيش المنذر بن عمرو ﷺ ، وعلى الميسرة الزبير بن العوام ﷺ، يسانده المقداد بن عمرو ﷺ.

وأمَّر رسول الله ﷺ عبد الله بن جبير الأنصاري الأوسي البدري ﷺ على خمسين رام، وأمرهم بالتمركز على جبل صغير، يقع على الضفة الجنوبية من وادي قناة، سمي فيما بعد بجبل الرماة.

وقال رسول الله ﷺ لأميرهم: « انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك، لا نُؤتين من قبلك »[1].

ثم قال ﷺ للرماة: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ،وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُم»أخرجه البخاري[2].

وفي هذه التعبئة نزل قوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾[آل عمران/ ١٢١].

وبهذا احتل رسول الله ﷺ أفضل مكان في ميدان القتال، مع أنه نزل فيه بعد العدو.

ثم أخذ رسول الله ﷺ يبث روح الحماسة والبسالة في أصحابه، ويحرضهم على الصبر والثبات عند اللقاء، ثم أخذ سيفاً فقال: «من يأخذ مني هذا ؟» فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول أنا أنا قال: «فمن يأخذه بحقه؟» قال فأحجم القوم. فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه قال: فأخذه ففلق به هام المشركين. أخرجه مسلم[3].

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٧٤).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٠٣٩).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٤٧٠).

• **تعبئة قريش جيشها :**

تشاور زعماء قريش في تعبئة الجيش، فعبأت قريش جيشها حسب نظام الصفوف. فكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان بن حرب، وجعلوا على الميمنة خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، وجعلوا على المشاة صفوان بن أمية، أو عمرو بن العاص، وجعلوا على الرماة وكانوا مائة عبد الله بن أبي ربيعة، ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار.

وجاء أبو سفيان إلى بني عبد الدار حملة اللواء ليحرضهم على القتال، ويحثهم على حماية اللواء، فقال لهم: إنكم وليتم لواءنا يوم بدر، وأصابنا ما قد رأيتم، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلوا بيننا وبينه، فغضبوا، وقالوا له: ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع، وقد ثبتوا عند احتدام المعركة، حتى أبيدوا عن بكرة أبيهم، ونجح أبو سفيان في إثارة حميتهم لحماية اللواء.

وقبل نشوب المعركة حاولت قريش إيقاع الفرقة والنزاع في صفوف المسلمين، حيث أرسل أبو سفيان رسولاً إلى الأنصار يقول لهم: يا معشر الأوس والخزرج، خلوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم، فإنه لا حاجة لنا بقتالكم، فرد عليه الأنصار رداً عنيفاً، وأسمعوه ما يكره.

وخرج إلى الأنصار أبو عامر الفاسق، الذي ألب قريشاً على أخذ ثأرهم من المسلمين، وكان يعدهم أن قومه إذا دعاهم لم يتخلفوا.

فنادى قومه من الأوس: أنا أبو عامر الراهب، فقالوا: لا أنعم الله بك يا فاسق، فرموه بالحجارة ومن معه حتى فر منهم، وبذلك باءت محاولات الكفار بالفشل في تفريق صفوف المسلمين.

وقبل بدء المعركة قامت نساء قريش يحرضن على القتال، فقامت هند بنت عتبة، زوجة أبي سفيان، في نساء من قريش، يتجولن بين الصفوف، ويضربن بالدفوف، ويحرضن على القتال، وينشدن :

ويهاً بني عبد الدار .. ويهاً حماة الأديار .. ضرباً بكل بتار .

ويقلن أيضا : إن تُقبلـوا نعـانق ونفـرش النمـارق

أو تدبروا نفـارق فـراق غير وامـق

● **بدء القتال بين المسلمين والمشركين :**

التحم الجيشان، واقتتل الناس يومئذ قتالاً شديداً، في كل مكان من ميدان المعركة، وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين، فقد تعاقب بنو عبد الدار على حمل اللواء بعد قتل قائدهم طلحة بن أبي طلحة، ثم أخواه عثمان وأبو سعد ابنا أبي طلحة، قتلا واحداً تلو الآخر، ثم تعاقب على اللواء أبناء طلحة بن أبي طلحة، مسافع، ثم الحارث، ثم كلاب، فقتلوا في المبارزة واحداً بعد الآخر.

وهكذا حتى قُتل في المبارزة أحد عشر رجلاً من حملة لواء المشركين من بني عبد الدار، ولم يبق منهم أحد يحمله، وشارك في المبارزة وقَتَل هؤلاء من المسلمين: علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وسعد بن أبي وقاص، وعاصم بن ثابت، وقزمان، والزبير بن العوام، رضي الله عنهم أجمعين.

وبعد هذا القتل الكبير أصبح لواء المشركين شؤماً عليهم، ما يدنو منه أحد إلا قتل، فتركوه ملقي على الأرض.

ثم اشتد القتال، وحمي الوطيس، وتعانقت السيوف، وحملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات، فنضحهم الرماة بالنبال فينتكصون على أعقابهم.

وأبلى كثير من المسلمين في هذا اليوم بلاء حسناً، وأظهروا من البطولات ما أعجز المشركين.

وقاتل قتالاً شديداً علي، وطلحة، والزبير، وأبو طلحة، وسعد بن أبي وقاص، رضي الله عنهم، وأبطال غيرهم كثير.

وأظهر الصحابة رضي الله عنهم بطولات عظيمة في ساحة القتال، فكان أبو دجانة لا يلقى أحداً من المشركين إلا قتله.

وقاتل أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب ﷺ قتال الأبطال، فقتل نفراً من حملة لواء المشركين، وبينما هو يبارز أحد المشركين فقتله، وكمن له وحشي حتى تمكن منه، ثم رماه بحربته، فأصابت منه مقتلاً.

قال وحشي رضي الله عنه: إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلاَيَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ، وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ، خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى القِتَالِ، فَلَمَّا أَنِ اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ، خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟.

قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ، أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ؟ قَالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ، فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ، قَالَ: وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ، قَالَ: فَكَانَ ذَاكَ العَهْدَ بِهِ. أخرجه البخاري[1].

وأسلم وحشي فيما بعد، وشارك في معركة اليمامة، وفي مقتل مسيلمة الكذاب، فقتله بتلك الحربة.

ومن الذين أبلوا بلاء حسنا يوم أحد، وقتل عبد الله بن عمرو بن حرام، والد جابر، رضي الله عنهما.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه لمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، جِيءَ بِأَبِي مُسَجًّى، وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، قَالَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ فَنَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ فَنَهَانِي قَوْمِي، فَرَفَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، أَوْ أَمَرَ بِهِ فَرُفِعَ فَسَمِعَ صَوْتَ بَاكِيَةٍ أَوْ صَائِحَةٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» فَقَالُوا بِنْتُ عَمْرٍو، أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو، فَقَالَ: «وَلِمَ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ» متفق عليه[2].

وحنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه أبلى بلاء حسناً في قتال المشركين، وكاد يقتل أبا سفيان بن حرب، لكن شداد بن الأسود قتله قبل أن يصل إلى أبي سفيان، فقال النبي ﷺ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ حَنْظَلَةَ تُغَسِّلُهُ المَلاَئِكَةُ، فَسَلُوا صَاحِبَتَهُ» فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ لمَّا سَمِعَ الهَائِعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَذَاكَ قَدْ غَسَّلَتْهُ المَلاَئِكَةُ» أخرجه ابن حبان والحاكم[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠٧٢).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٩٣)، ومسلم برقم (٢٤٧١) واللفظ له.

(٣) **صحيح**/ أخرجه ابن حبان برقم (٧٠٢٥)، وأخرجه الحاكم برقم (٤٩٧٠).

وكان عمرو بن الجموح ﵁ أعرجاً شديد العرج، وكان له أربعة أبناء شباب، فلما كان يوم أحد قال له أبناؤه: إن الله ﷻ قد عذرك، فأتى رسول الله ﷺ فأذن له، وكان سيد بني سلمة، فقاتل ﵁ حتى استشهد.

عن أبي قتادة ﵁ أَنَّهُ حَضَرَ ذَلِكَ قَالَ: أَتَى عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الجَنَّةِ؟، وَكَانَتْ رِجْلُهُ عرْجَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « نَعَمْ ». فَقَتَلُوهُ يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلًى لهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الجَنَّةِ» أخرجه أحمد [(١)].

وكان عمرو بن ثابت المعروف بالأصيرم ﵁ من بني عبد الأشهل يأبى الإسلام، فلما كان يوم أحد قذف الله الإسلام في قلبه، للحسنى التي سبقت له من ربه، فأسلم، وأخذ سيفه، ولحق بالرسول ﷺ، فقاتل حتى قتل، ولم يعلم أحد بأمره، ومات في وقته، فذكره الصحابة لرسول الله ﷺ، فقال: «إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». قال أبو هريرة: ولم يصل لله صلاة قط. أخرجه أحمد [(٢)].

وقاتل عبد الله بن جحش ﵁ حتى قُتل، وكان قد دعا ربه أن يرزقه الشهادة في سبيل الله.

وسعد بن الربيع ﵁ ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ﵁، وكان من أغنياء الأنصار، وقد أبلى بلاءً حسناً في القتال، حتى استشهد.

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﵁ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ لِطَلَبِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَقَالَ لِي : إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ ، وَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ رَسُولُ الله : كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ : فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ القَتْلَى فَأَصَبْتُهُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ، وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْم ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا سَعْدُ ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : «خَبِّرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ ؟» قَالَ : عَلَى رَسُولِ الله السَّلامُ ، وَعَلَيْكَ السَّلامُ ، قُلْ لَهُ : يَا رَسُولَ الله ، أَجِدُنِي أَجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ ، وَقُلْ لِقَوْمِي الأَنْصَارِ : لا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ الله أَنْ يَخْلُصَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَفِيكُمْ شُفْرٌ يَطْرِفُ ، قَالَ : وَفَاضَتْ نَفْسُهُ رَحِمَهُ الله. أخرجه مالك والحاكم [(٣)].

---

(١) **حسن/** أخرجه أحمد برقم (٢٢٥٥٣).

(٢) **حسن/** أخرجه أحمد برقم (٢٣٦٣٤).

(٣) **صحيح/** أخرجه مالك برقم (٤١)، وأخرجه الحاكم برقم (٤٩٥٨).

وكان ممن قاتل يوم أحد حمية، وليس بنية الجهاد في سبيل الله، فكان من أهل النار، رجل يقال له قزمان، وكان رسول الله ﷺ إذا ذُكر له قزمان، يقول: «إنه لمن أهل النار».

فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً، فقتل وحده سبعة أو ثمانية من المشركين، وكان ذا بأس، فأثخنته الجراح. فقال له رجال من المسلمين: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر. فقال: بماذا أبشر، فو الله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت، فلما اشتدت عليه جراحه أخذ سهماً من كنانته فقتل نفسه.

وقاتل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قتالاً شديداً في هذه الغزوة العظيمة، حتى أن الرسول ﷺ من شدة إعجابه به يوم أحد فداه بأبيه وأمه وحده.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: مَا جَمَعَ رَسُولُ الله ﷺ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ غَيْرِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» متفق عليه[(١)].

وأبلى طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يوم أحد بلاءً عظيما، ووقى رسول الله ﷺ بنفسه، واتقى عنه النبل بيده حتى شلت.

وقاتل أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه قتالاً عظيماً يوم أحد، وكان من أشهر الرماة.

عن أنس رضي الله عنه قَالَ: لمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انهَزَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا، شَدِيدَ النَّزْعِ، وَكَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. متفق عليه[(٢)].

وكان ﷺ يعجب بشجاعة أبي طلحة رضي الله عنه حتى أنه قال ﷺ: «لَصَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الجَيْشِ أَشَدُّ عَلَى المشْرِكِينَ مِنْ فِئَةٍ» أخرجه أحمد[(٣)].

وكان رضي الله عنه يجثو بين يدي النبي ﷺ في الحرب، ثم ينثر كنانته، ويقول: وجهي لوجهك الوقاء، ونفسي لنفسك الفداء.

ومخيريق من علماء اليهود، وقد قال لقومه اليهود: إنَّ نَصْر محمد عليكم حق، فقالوا: إن اليوم يوم سبت، فقال: لا سبت لكم، فأخذ سيفه وعدته، وقال: إن أُصبت

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠٥٩)، ،مسلم برقم (٢٤١١).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠٦٤)، ومسلم برقم (١٨١١).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٣١٠٥).

فمالي لمحمد، يصنع فيه ما يشاء، ثم قاتل مع رسول الله ﷺ حتى قتل، فقال رسول الله ﷺ: « مخيريق خير يهود»[1].

● النصر المبين :

لقد دارت رحا الحرب على المشركين، وأنزل الله نصره يوم أحد على المسلمين، وصدقهم وعده، فحسُّوهم بالسيوف، وولت نساء الكفار لا يلوون على شيء، وسيطر المسلمون على أرض المعركة سيطرة تامة، كما بين الله ذلك النصر بقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٢] .

وبعد هذا النصر العظيم بدأ الصحابة رضي الله عنهم يتبعون المشركين ويلاحقونهم ويجمعون الغنائم، وكان للرماة دور عظيم في هذا النصر المؤزر، فقد حملت خيل المشركين ثلاث مرات على المسلمين، ففشلوا ورجعوا، بسبب نضح الرماة لهم بالنبل.

● شؤم المعصية :

وبينما المسلمون يتبعون المشركين، يقتلون ويأسرون، ويجمعون الغنائم من الميدان، وإذا بالرماة الذين وضعهم رسول الله ﷺ على الجبل ينزلون، ليجمعوا مع الناس الغنائم، فقال لهم أميرهم عبد الله بن جبير ﷺ : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ فلم يطيعوه، لما يرون من هزيمة المشركين.

عن البراء بن عازب ﷺ قال: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ الله بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تخَطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ»، فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَالله رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ، قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ، رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ الله بْنِ جُبَيْرٍ: الغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ، الغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٩٩).

تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ الله ﷺ؟ قَالُوا: وَالله لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الغَنِيمَةِ. أخرجه البخاري [1].

وترك أغلب الرماة الخمسين أماكنهم في الجبل، وتركوا ظهور المسلمين للعدو، وثبت عبد الله بن جبير في مكانه، وثبت معه نفر ما يبلغون العشرة، وفي هذه المخالفة العظيمة لأمر رسول الله ﷺ نزل قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٢].

وبهذا وضع الله قلوبهم أمامهم مكشوفة بما فيها، وعرَّفهم من أين جاءتهم المصيبة ليتقوها.

ولما رأى خالد بن الوليد قائد فرسان المشركين نزول الرماة من الجبل، استدار بسرعة خاطفة، حتى وصل إلى مؤخرة جيش المسلمين، ثم أباد بمن معه عبد الله بن جبير ومن معه رضي الله عنهم، ثم انقض على المسلمين من خلفهم، وصاح فرسانه بالمشركين فرجعوا، وأحاطوا بالمسلمين من الأمام والخلف، وأسرعت امرأة من المشركين هي عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعت لواء المشركين الذي كان مطروحا على الأرض، فاجتمع حوله المشركون.

فأحاط المشركون بالمسلمين من الأمام والخلف، فحدثت فوضى عارمة في صفوفهم، وانفلت الزمام، وضاع النظام، وحوَّل الرماة بمخالفتهم أمر الرسول ﷺ صفوف المسلمين المنظمة التي كانت تقاتل كبنيان مرصوص إلى فوضى عارمة، فضرب بعضهم بعضاً، والتبس الأمر، وقُتل من المسلمين ناس كثير.

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: لمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ المُشْرِكُونَ، فَصَرَخَ إِبْلِيسُ لَعْنَةُ الله عَلَيْهِ: أَيْ عِبَادَ الله أُخْرَاكُمْ، فَرَجَعَتْ أُولاَهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُم. أخرجه البخاري [2].

وقتل المسلمون في هذه الاضطرابات اليمان، والد حذيفة خطأً، لأنهم لم يعرفوه، فقد بصر حذيفة رضي الله عنه، فإذا هو بأبيه اليمان رضي الله عنه، فقال: أي عباد الله أبي، أبي.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٣٩).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٠٦٥).

قال: فو الله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم.أخرجه البخاري[1].

فأراد رسول الله ﷺ أن يفديه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً ومنزلة.

وخسر المسلمون بسبب الضعف الإنساني لفريق من الجنود كل ما ربحوه في أول هذه الغزوة: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور/ ٦٣].

ثم تراجع المسلمون، وترك بعضهم ساحة القتال، وثبت مصعب بن عمير ﵁ حامل لواء المسلمين، وأخذ يقاتل دون رسول الله ﷺ، فأقبل عليه ابن قمئة، فارس من المشركين، فقتل مصعب بن عمير، فسقط اللواء، فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﵁ أن يرفع اللواء فرفعه.

- **إشاعة مقتل الرسول ﷺ :**

كان مصعب بن عمير ﵁ يشبه الرسول ﷺ إذا لبس لأمته، فظن ابن قميئة أنه قتل رسول الله ﷺ، فرجع إلى المشركين وهو يقول: قتلت محمداً.

وصرخ الشيطان بصوت عالٍ: ألا إن محمداً قد قتل، فلما سمع المسلمون ذلك عظم الأمر عليهم، وطاشت أحلامهم، وأصبحوا حيارى، لا يدرون ما يصنعون، فانقسموا بعد هذه الإشاعة إلى ثلاث فرق:

الفرقة الأولى : لاذت بالفرار، وتركت ساحة المعركة، لا عن نية سيئة، ولا إصرار على الخطيئة، بل عن ضعف بشري قادهم إلى الفرار بعد رؤية الهلاك، وهؤلاء قليلون كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[آل عمران/ ١٥٣] .

ومن هؤلاء: عثمان بن عفان، وخارجة بن عمرو، والحارث بن حاطب، وغيرهم رضي الله عنهم، وقد عفا الله عنهم بفضله ورحمته، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠٦٥).

﴿مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٥] .

الفرقة الثانية: الذين أصابتهم الحيرة، فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه، أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل، وهم أكثر الصحابة، ثم تراجع هؤلاء إلى الرسول ﷺ لما عرفوا أنه حي.

وكان ممن تصدى للمشركين وحرَّض المؤمنين على القتال بعد هذه الشائعة أنس بن النضر، الذي كان يتشوق إلى الجنة، وتعويض ما فاته يوم بدر، فقال عندما رأى بعض المسلمين قعوداً: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي أَصْحَابَهُ ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، فَقَالَ : يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ ، قَالَ سَعْدٌ : فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ.

قَالَ أَنَسٌ : فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ ، قَالَ أَنَسٌ : كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ متفق عليه[1].

الفرقة الثالثة : الذين ثبتوا مع الرسول ﷺ.

فقد ثبت رسول الله ﷺ في ساحة المعركة ثبوت الجبال الراسيات، ولم يفارق مكانه، وثبت في وجه العدو.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْهُ. أخرجه أحمد[2].

فلما انكشف المسلمون أخذ رسول الله ﷺ يناديهم: « إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله، أنا رسول الله».

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٨٠٥)، ومسلم برقم (١٩٠٣)
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٣٤٧).

فعرف المشركون صوته، فكروا عليه وهاجموه، ولم يكن مع الرسول ﷺ إلا عصابة من أصحابه، سبعة من المهاجرين، فيهم : طلحة بين عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وسبعة من الأنصار رضي الله عنهم أجمعين.[1].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ ، قَالَ : «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ» ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا ، فَقَالَ : «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِصَاحِبَيْهِ : « مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا »أخرجه مسلم [2].

● ما أصاب رسول الله ﷺ من الجراح :

بعد مقتل هؤلاء الأنصار شد المشركون على رسول الله ﷺ، لأنهم يريدون قتله.

فرماه عتبة بن أبي وقاص بالحجارة فوقع ﷺ لشقه، وأصيبت شفته السفلى وجُرحت، وكُسرت رباعيته اليمنى السفلى، وكُسرت البيضة على رأسه ﷺ.

وتقدم عبد الله بن شهاب الزهري فشجه في جبهته ﷺ، وأتى ابن قمئة فعلا رسول الله ﷺ بالسيف، وضربه على منكبه الأيمن ضربة شديدة، شكا الرسول ﷺ لأجلها أكثر من شهر، ثم ضربه على وجنتيه، وقال: خذها وأنا ابن قمئة، فدخلت حلق المغفر في وجنته ﷺ، فقال ﷺ: « أقمأك الله ﷻ » [3].

وأخذ ﷺ يدافع هؤلاء المشركين، فسقط في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق، فجحشت ركبتاه ﷺ، فأخذ علي بن أبي طالب ﵁ بيده، ورفعه حتى استوى قائماً.

وشرّ الناس من قتل نبياً ، أو آذى نبياً ، أو قتله نبي.

عن أبي هريرة ﵁ قال :اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ، يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِه. متفق عليه [4].

ودافع طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أيما دفاع، وقاتلا دفاعاً عنه ببسالة منقطعة النظير، وهما اثنان فلم يخلص إليه أحد من المشركين.

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٨٩).

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٨٩).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠٧٣)، ومسلم برقم (١٧٩٣).

عن قيس رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَّاءَ وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُد. أخرجه البخاري [1].
وعن سعد رضي الله عنه قال: نَثَلَ لِي النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ:«ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» متفق عليه[2].
ونزلت الملائكة لحماية الرسول ﷺ، ولم تقاتل إلا في غزوة بدر الكبرى، والذي نزل لحمايته ﷺ جبريل وميكائيل عليهما السلام.
عن سعد رضي الله عنه قال : رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلاَنِ يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ القِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ. متفق عليه[3].
واستمر الصحابة يقاتلون المشركين، فلما سمعوا صوت رسول الله ﷺ يناديهم بقوله: « إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله »، أقبلوا إليه، وقد كثرت فيهم الجراحات، فاجتمع إليه عصابة من أصحابه رضي الله عنهم، أربعة عشر رجلاً: سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار.
منهم من المهاجرين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف.
ومن الأنصار: أبو طلحة الأنصاري، والحارث بن الصمة، ومالك بن سنان، وأبو دجانة، وأم عمارة، رضي الله عنهم أجمعين.
وأخذ هؤلاء يدافعون عن الرسول ﷺ بكل ما أوتوا من قوة، مع كثرة جراحاتهم.

• جهاد النساء في غزوة أحد :

ضرب نساء الصحابة رضي الله عنهن أروع الأمثلة في غزوة أحد العظيمة، فكن يسقين العطشى، ويداوين الجرحى.
عن أنس رضي الله عنه قال : لمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انهَزَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ»، قَالَ: «وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا، شَدِيدَ النَّزْعِ، وَكَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»، قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: « انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ »، قَالَ: « وَيُشْرِفُ نَبِيُّ الله ﷺ يَنْظُرُ إِلَى القَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ الله، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ، لَا يُصِبْكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ القَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ ».

---
(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠٦٣).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠٥٥)، ومسلم برقم (٢٤١٢).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠٥٤)، ومسلم برقم (٢٣٠٦).

قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا، تَنْقُلَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ. متفق عليه(1).

وعن أنس رضي الله عنه قال :كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا، فَيَسْقِينَ المَاءَ، وَيُدَاوِينَ الجَرْحَى. أخرجه مسلم(2).

وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب، حتى جرحت اثني عشر رجلاً من المشركين، ثم ضربها ابن قمئة على عاتقها، وكانت تسقي الناس في شن لها.

وخرجت مع المسلمين أم سليط، والدة أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، وكانت تسقي المسلمين في أحد بقربة لها.

● **انحياز النبي ﷺ بأصحابه إلى أحد :**

مشى النبي ﷺ مع من التف حوله إلى جهة جبل أحد، فرآه بعض المسلمين، وكان أول من عرفه بعد انتشار شائعة قتله كعب بن مالك رضي الله عنه ، فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه الرسول ﷺ أن اصمت، فبلغ صوته المسلمين، فاجتمع حوله ثلاثون من الصحابة تقريبا، فلما رأوه حياً فرحوا، حتى كأنه لم يصيبهم ما أصابهم.

فطلب رسول الله ﷺ ممن معه أن ينحازوا نحو جبل أحد، وأراد ﷺ أن يعلو الصخرة التي في الشعب فلم يستطع، لما أصابه من الضعف، لكثرة الدم الذي نزف من جراحه، فبرك طلحة بن عبيد الله تحته، فصعد رسول الله ﷺ على ظهره، حتى جلس على الصخرة، فقال ﷺ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ» أخرجه أحمد(3).

فلما أُسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف، وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: « دعوه»، فخلوا سبيله، فلما دنا من رسول الله ﷺ طعنه الرسول ﷺ في ترقوته، فتدهده من الطعنة عن فرسه مراراً، فمات عدو الله بسَرِف، وهم راجعون إلى مكة. أخرجه الحاكم(4).

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٠)، ومسلم برقم (١٨١١).
(2) أخرجه مسلم برقم (١٨١٠).
(3) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (١٤١٧).
(4) **صحيح** / أخرجه الحاكم برقم (٣٣١٦).

وكان آخر هجوم قام به المشركون أن النبي ﷺ لما استقر في الشعب، أن علت عالية من خيل المشركين للجبل، يقودهم أبو سفيان، وخالد بن الوليد، يريدون النيل من المسلمين، فقال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا» أخرجه أحمد[1].

وقال ﷺ: «اللهُمَّ، إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» أخرجه مسلم[2].

ثم ندب ﷺ أصحابه رضي الله عنهم فتصدوا للمشركين، وقاتلوهم، ورموهم بالحجارة، حتى أهبطوهم من الجبل.

ثم أنزل الله النعاس أمنة منه على المسلمين، حين اشتد عليهم الخوف، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران/ ١٥٤].

عن أبي طلحة ﵁ قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا يَسْقُطُ وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ. أخرجه البخاري[3].

أما المنافقون فلم يكن لهم همٌّ إلا أنفسهم، فأنزل الله فيهم: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٤].

ولما هدأ الأمر وانصرف المشركون يوم أحد، أخذ الصحابة رضي الله عنهم يداوون جراح الرسول ﷺ، وخرج النساء من المدينة إلى الصحابة يعينونهم، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فيمن خرج، فلما رأت النبي ﷺ اعتنقته، وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم.

عن سهل بن سعد ﵁ قال: جُرِحَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتِ البَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ تَغْسِلُ الدَّمَ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ المَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةَ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا، ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِالجُرْحِ، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ. متفق عليه[4].

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٠٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٤٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٠٦٨).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٠٧٥)، ومسلم برقم (١٧٩٠).

وعن أنس ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ،وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله؟»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ" » أخرجه مسلم [1].

ولما رأى المشركون أنهم لن يصلوا إلى الرسول ﷺ، وأصحابه آثروا الانسحاب، ولا يعرفون هل قتل الرسول ﷺ أم لا، فأخذوا يتهيؤون للرجوع إلى مكة، وأخذ بعضهم من الرجال والنساء يمثلون بقتلى المسلمين، يقطعون الآذان، والأنوف، والفروج، ويبقرون البطون، كما بقرت هند بنت عتبة عن كبد حمزة، فلاكتها ثم ألقتها، وجدعوا أنف وأذني عبد الله بن عمرو، والد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقطعوا أنف وأذني عبد الله بن جحش ﷺ .

ولم يترك المشركون قتيلا من المسلمين إلا مثلوا به، إلا حنظلة بن أبي عامر ﷺ ، فتركوه بسبب أن والده مع المشركين.

• شماتة أبي سفيان بالمسلمين قبل الانصراف :

لما أراد المشركون الانصراف إلى مكة أشرف أبو سفيان على الجبل، فنادى المسلمين: أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلاَءِ، فَقَدْ قُتِلُوا.

فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَالله يَا عَدُوَّ الله، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ، قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي القَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: « قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ »، قَالَ: إِنَّ لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ؟»، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ» أخرجه البخاري [2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩١).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٠٣٩) .

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه، نادى المسلمين: إن موعدكم بدر على رأس الحول، حيث قتلتم أصحابنا، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: « قل نعم إن شاء الله، هو بيننا وبينك موعد». فافترق الناس على ذلك. أخرجه النسائي في الكبرى[1].

فلما ذهب المشركون بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال له: «اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون، وماذا يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل، وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل، وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم».

ثم قال علي رضي الله عنه : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ورجعوا إلى مكة.

فجاء علي رضي الله عنه ، فأخبر الرسول ﷺ بانصرافهم إلى مكة.[2].

ولما انصرف المشركون إلى مكة فرح المسلمون بذهابهم، وانتشروا يتفقدون جرحاهم وقتلاهم، وذهب رسول الله ﷺ يلتمس عمه حمزة رضي الله عنه ، فرآه وقد مثل فيه، فجدع أنفه وأذناه، فقال ﷺ: « لَوْلا أَنْ تجْزَعَ صَفِيَّةُ لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَحْشُرَهُ الله مِنْ بُطُونِ الطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ» أخرجه أحمد والطحاوي [3].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: لمَّا قُتِلَ حَمْزَةُ أَقْبَلَتْ صَفِيَّةُ تَطْلُبُهُ لَا تَدْرِي مَا صَنَعَ، فَلَقِيتْ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ، فَقَالَ عَلِيٌّ لِلزُّبَيْرِ: اذْكُرْ لِأُمِّكَ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ لِعَلِيٍّ: لَا، اذْكُرْ أَنْتَ لِعَمَّتِكَ، قَالَتْ: مَا فَعَلَ حَمْزَةُ؟ فَأَرَيَاهَا أَنَّهُمَا لَا يَدْرِيَانِ، فَجَاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي أَخَافُ عَلَى عَقْلِهَا» ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهَا، وَدَعَا فَاسْتَرْجَعَتْ وَبَكَتْ. أخرجه الحاكم[4].

ولما رأى المسلمون تمثيل المشركين بقتلاهم غضبوا، وقالوا: لئن أظفرنا الله عليهم لنمثلن بهم، ولنُرْبِيَنَّ عليهم، فأنزل الله سبحانه: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ ﴾ [النحل/ ١٢٦] .

فقال ﷺ: «نَصْبِرُ وَلَا نُعَاقِبُ» أخرجه أحمد [5].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٠١٧).
(٢) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٠٥).
(٣) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (١٢٣٠٠) ، وأخرجه الطحاوي برقم (٤٩١٣) وهذا لفظه.
(٤) **صحيح**/ أخرجه الحاكم برقم (٤٩٤٧).
(٥) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (٢١٢٢٩).

• **جمع شهداء أحد ودفنهم :**

لما كان يوم أحد استشهد من المهاجرين والأنصار سبعون رجلاً.

من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة رجال منهم: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وقتل من الكفار ثلاثة وعشرون رجلاً.

ثم أشرف الرسول ﷺ على الشهداء في ميدان أحد، وأمر أن يدفنوا في مصارعهم، وقال ﷺ : «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ يَوْمَ القِيَامَةِ» أخرجه البخاري(١).

ثم أمر ﷺ بقتلى أحد أن ينزع عنهم الحديد، والجلود، وأن يدفنوهم حيث صرعوا بدمائهم، وثيابهم ولا يغسلوا.

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ» فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدٍ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ يَوْمَ القِيَامَةِ» وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ بِدِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُغَسَّلُوا» أخرجه البخاري (٢).

وصلى النبي ﷺ على حمزة رضي الله عنه فقط.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِحَمْزَةَ، وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ غَيْرِهِ. أخرجه أبو داود (٣).

فالشهيد المقتول في معركة مع الكفار لا يُغسل، وللإمام أن يصلي عليه، أو يترك الصلاة عليه.

ثم أمر ﷺ بدفن شهداء أحد في مصارعهم، فكان يوضع الرجل أو الرجلان أو الثلاثة في قبر واحد، لما بالمسلمين من الجراح التي يشق معها الحفر في قبر واحد، وكان يكفن الرجلان والثلاثة في الثوب الواحد، لقلة الثياب، فدفن حمزة بن عبد المطلب مع ابن أخته أميمة عبد الله بن جحش رضي الله عنهما في قبر واحد.

ودفن عبد الله بن حرام مع عمرو بن الجموح رضي الله عنهما في قبر واحد، لما كان بينهما من الصفاء والمحبة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠٧٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٠٧٩).

(٣) **حسن**/ أخرجه أبو داود برقم (٣١٣٧).

عن هشام بن عامر الأنصاري ﷺ قَالَ: لمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَصَابَ النَّاسَ قَرْحٌ، وَجَهْدٌ شَدِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « احْفِرُوا وَأَوْسِعُوا وَادْفِنُوا الِاثْنَيْنِ، وَالثَّلَاثَةَ فِي القَبْرِ » قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَنْ نُقَدِّمُ؟ قَالَ: « أَكْثَرَهُمْ جمْعًا وَأَخْذًا لِلْقُرْآنِ» أخرجه أحمد [1].

وعن جابر رَضِيَ اَلله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ» فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدٍ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ. أخرجه البخاري [2].

وكان مصعب بن عمير ﷺ فتى مكة شباباً، وجمالاً، وثياباً، وكان أعطر أهل مكة، ثم إنه أسلم وترك كل هذا النعيم، واستشهد في أحد، وكفن بما لم يستره كله.

عن خباب بن الأرت ﷺ قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي سَبِيلِ الله، نَبْتَغِي وَجْهَ الله، فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى الله، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لمَ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ شَيْءٌ يُكَفَّنُ فِيهِ إِلَّا نَمِرَةٌ، فَكُنَّا إِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رَأْسِهِ، خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رِجْلَيْهِ، خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ضَعُوهَا مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الإِذْخِر» متفق عليه[3].

• **رجوع الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة:**

لما أراد الرسول ﷺ الرجوع إلى المدينة ومعه أصحابه رضي الله عنهم، وقف على جبل أحد، فأثنى على ربه، وتضرع إليه داعياً وحامداً.

عن عبيد بن رفاعة ﷺ قَالَ: لمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَفَأَ المُشْرِكُونَ، قَالَ: رَسُولُ الله ﷺ: «اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي» فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لمَا قَرَّبْتَ.

اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ المُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ العَيْلَةِ وَالأَمْنَ يَوْمَ

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٦٢٥١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٠٧٩).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٩٧)، ومسلم برقم (٩٤٠).

الخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ، وَالفُسُوقَ، وَالعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ. اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَالحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَهَ الحَقِّ» أخرجه أحمد [(1)].

ثم انصرف رسول الله ﷺ مساء السبت، راجعاً مع أصحابه إلى المدينة، فصلى بها المغرب.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدِمَ يَوْمَ أُحُدٍ فَسَمِعَ نِسَاءً مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ يَبْكِينَ عَلَى هَلْكَاهُنَّ، فَقَالَ: «لَكِنْ حَمْزَةُ لَا بَوَاكِيَ لَهُ»، فَجِئْنَ نِسَاءُ الأَنْصَارِ يَبْكِينَ عَلَى حَمْزَةَ عِنْدَهُ، فَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُنَّ يَبْكِينَ، فَقَالَ: «يَا وَيْحَهُنَّ، أَنْتُنَّ هَاهُنَا تَبْكِينَ حَتَّى الآنَ، مُرُوهُنَّ فَلْيَرْجِعْنَ وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ اليَوْمِ». أخرجه أحمد وابن ماجه [(2)].

وخرجت امرأة من بني دينار، واسمها السميراء بنت قيس، وقد أصيب زوجها وأبوها وأخوها بأحد، فلما نعوا لها قالت: مَا فَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ؟ قَالُوا: خَيْرًا، يَا أُمَّ فُلَانٍ، فَقَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَشَارُوا لَهَا إِلَيْهِ، حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ. أخرجه البيهقي في الدلائل [(3)].

وبات المسلمون ليلة الأحد في المدينة، يحرسون أنقاب المدينة ومداخلها، وقد أنهكهم التعب، وبات الأنصار على باب الرسول ﷺ بالمسجد يحرسونه، خوفاً من هجوم العدو على المدينة.

وقد أنزل الله في غزوة أحد من القرآن ستين آية من سورة آل عمران، بيَّن الله فيها أحداث هذه الغزوة العظيمة، وتبدأ هذه الآيات من قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران/ ١٢١].

● **الحكم والغايات المحمودة التي أرادها الله في غزوة أحد:**

منها تعريف المسلمين بسوء عاقبة الفشل، والتنازع، وإرادة الدنيا، ومعصية الرسول ﷺ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٥٤٩٢).
(٢) **حسن/** أخرجه أحمد برقم (٥٥٦٣)، وأخرجه ابن ماجه برقم (١٥٩١).
(٣) **حسن/** أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٣٠٢).

﴿ ... ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢ ﴾ [آل عمران/ ١٥٢].

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ﷺ ، وتنازعهم، وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذراً ويقظة من أسباب الخذلان.

ومنها: أن حكمة الله وسنته في رسله واتباعهم أن يُدالوا مرة، ويُدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة، فلو انتصر المؤمنون دائماً دخل معهم غيرهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انتصر عليهم عدوهم دائماً، لم يحصل المقصود من الرسالة.

و منها: أن يتميز المؤمن الصادق، من المنافق الكاذب، فإن الله لما نصر المؤمنين في بدر، وطار صيتهم، دخل معهم في الإسلام منافقون، يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، فاقتضت حكمة الله أنْ سَبَّب للمؤمنين محنة بهذه الغزوة، ميزت بين المؤمن، والكافر، والمنافق، فعرف المؤمنون أن لهم أعداء في نفس دورهم، يعيشون بينهم، فاستعدوا لهم، وتحرزوا منهم : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩ ﴾[آل عمران/ ١٧٩].

ومنها: أن الله سبحانه لو نصر المؤمنين دائماً في كل موطن، لطغت نفوسهم، وشمخت أنوفهم، لكن الله يربيهم بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، ليتضرعوا إليه ويشكروه، ويذلوا وينكسروا بين يديه .

ومنها:استخراج عبودية أوليائه في حال السراء والضراء، وفيما يحبون وما يكرهون، لينالوا أجر الصابرين، وحمد الشاكرين.

ومنها: أن الله هيأ لعباده المؤمنين به منازل عالية في دار كرامته، لم تبلغها أعمالهم، فقيض الله لهم أسباب البلاء والمحن التي توصلهم إليها .

ومنها : أن نفوس البشر ضعيفة تجرها العافية والغنى والنصر إلى الطغيان والركون إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن السير إلى الله، ومن رحمة الله أن قيض لها من البلاء ما يكون دواءً لذلك المرض.

ومنها: أن الله ﷻ يحب أن يتخذ من عباده شهداء، والشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، لما فيها من إراقة دمائهم في سبيل مرضاته ومحبته، وإيثار محبته ورضاه على نفوسهم، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتقدير تسليط العدو عليهم .

ومنها: أن الله ﷻ إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم، قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم، ومن أعظمها بعد كفرهم ظلمهم وطغيانهم، فيسوقهم إلى مصارعهم، ويمحص أولياءه، ويطهرهم من ذنوبهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٩-١٤٠].

ومنها: أن الرسول ﷺ أخبرهم بما فعل الله بشهداء بدر من الكرامة، فرغبوا في الشهادة، فهيأ لهم الأسباب، ولما حصل من بعضهم المخالفة رفع الله عنهم النصر، واستشهد منهم سبعون رجلاً: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٣].

ومنها: أن غزوة أحد كانت مقدمة وتهيئة للنفوس لتحمُّل موت رسول الله ﷺ، وأن يصبروا ويثبتوا على دينه إذا مات أو قتل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٤].

ومنها: تمحيص ما في صدور المؤمنين، وهو اختبار ما فيها من الإيمان والنفاق، وتمحيص ما في قلوب المؤمنين، وتخليصها وتنقيتها من الشبهات والغفلة والهوى، فقيض لها من المحن والبلاء ما يطهرها من تلك الأدواء: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٤].

ثم عزى الله نبيه ﷺ وأولياءه بمن قتل منهم في سبيل الله أحسن تعزية وألطفها، وأدعاها إلى الرضا بما قدره الله لها فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٩-١٧٠].

ومنها: أن الله أظهر في بدر قوة لا إله إلا الله، فنصرهم وحده مع قلة الأسباب، وأظهر في أحد قوة محمد رسول الله، فلما خالف الرماة أمره، حصلت المصيبة على المسلمين.

٩- غزوة حمراء الأسد

كانت هذه الغزوة بعد غزوة أحد بيوم، فكانت غزوة أحد يوم السبت، الخامس من عشر من شوال، وكانت غزوة حمراء الأسد يوم الأحد السادس عشر من شهر شوال، من السنة الثالثة للهجرة.

وكان سببها أنه بلغ رسول الله ﷺ أن أبا سفيان بن حرب يريد الرجوع بقريش إلى المدينة، ليستأصلوا من بقي من أصحاب الرسول ﷺ.

عن ابن عباس رضي الله عنهماقال: لَمَّا انْصَرَفَ المُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ، قَالُوا: لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمُوهُ، وَلَا الكَوَاعِبَ أَرْدَفْتُمْ، وَبِئْسَ مَا صَنَعْتُمُ، ارْجِعُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَنَدَبَ النَّاسَ فَانْتَدَبُوا حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الأَسْد. أخرجه النسائي في الكبرى [(١)].

فلما صلىَ ﷺ الصبح، أمر بلالاً رضي الله عنه أن ينادي أن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب العدو، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس.

واستأذن جابر رضي الله عنه رسول الله ﷺ أن يخرج معه، لأن أباه خلفه على إخوته، فلم يحضر أحد، فأذن له ﷺ.

واستأذن ﷺ عبد الله بن أبي سلول بأن يذهب معه، فأبى عليه ورده.

وحمل لواء المسلمين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وخرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، وهو مجروح الوجه، مشجوج الجبهة، وقد كسرت رباعيته، متوهن المنكب الأيمن من ضربة ابن قمئة، مجحوش الركبتين من الحفرة التي سقط فيها، والتي حفرها أبو عامر الفاسق في ميدان أحد.

وخرج معه ﷺ جميع من حضر القتال بأحد، على ما بهم من الجراح والقرح كما وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ الْكَٰفِرِينَ (١٤١) ﴾ [آل عمران/ ١٤٠-١٤١].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه النسائي في الكبرى برقم (١١٠١٧).

فسار ﷺ بعد صلاة الصبح، ودليله في السير ثابت بن الضحاك الخزرجي، ومضى حتى عسكر بحمراء الأسد، وبقي هناك ثلاث ليال، وكان الصحابة رضي الله عنهم يوقدون النيران كل ليلة، حتى كانت تُرى من مكان بعيد.

ولقي رسول الله ﷺ بحمراء الأسد معبد بن أبي معبد الخزاعي، وهو مشرك، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم، هواهم مع رسول الله ﷺ.

فقال معبد: يا محمد، والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك منهم.

فأمره ﷺ أن يلحق بأبي سفيان فيخذله، فأدرك أبا سفيان ومن معه بالروحاء، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه.

فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟

فقال: محمد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم حرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم.

فقال أبو سفيان: ويحك ما تقول؟

فقال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل، قال: فو الله لقد أجمعنا عليهم لنستأصل بقيتهم، قال: فإني أنهاك عن ذلك.

فخاف أبو سفيان ومن معه، فأسرعوا إلى مكة، وعند انصرافهم مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة، فحملهم رسالة إلى محمد، وقال لهم: إذا وافيتموه فأخبروه أنَّا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم.

فمر الركب برسول الله ﷺ، وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قاله أبو سفيان، فقال ﷺ: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

وفي هذا الموقف وهذه الاستجابة والطاعة لرسول الله ﷺ من أصحابه، أنزل الله قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٧٢-١٧٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما "حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ" قَالهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ القِيَ فِي النَّارِ، وَقَالهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: "إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ" .أخرجه البخاري[1].

ثم رجع ﷺ ومن معه إلى المدينة يوم الأربعاء، بعد أن أقام بحمراء الأسد ثلاث ليال، وقد استرد المسلمون هيبتهم بعد ما أصابهم في أحد.

وقبل عودته ﷺ إلى المدينة أسر الصحابة رضي الله عنهم أبا عزة الجمحي، الذي مَنَّ عليه رسول الله ﷺ في بدر لفقره، وكثرة بناته، على أن لا يقاتل ولا يظاهر عليه، فلما جيء به، قال: يا محمد أقلني، وامنن عليَّ، فإن لي بنات، وأعطيك عهداً ألا أعود لمثل ما فعلت.

فقال ﷺ: « والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها، وتقول خدعت محمداً مرتين، اضرب عنقه يا زبير».

فضرب الزبير عنقه، بأمر الرسول ﷺ. [2].

١٠ - وفيات السنة الثالثة من الهجرة

وفي هذه السنة توفي شهيداً أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، عم الرسول ﷺ، وأخوه من الرضاعة، وذلك في غزوة أحد.

وتوفي في غزوة أحد من المسلمين سبعون شهيداً، من المهاجرين ستة شهداء، منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه، ومن الأنصار أربعة وستون شهيداً، منهم عبد الله بن حرام رضي الله عنه، وعمرو بن الجموح رضي الله عنه.



(١) أخرجه البخاري برقم (٤٥٦٣).
(٢) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ١١٦).

البــاب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الرابعة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة الرابعة من الهجرة

وتشتمل على ما يلي :

١ – سرية أبي سلمة رضي الله عنه إلى بني أسد

٢ – سرية عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه

٣ – سرية الرجيع

٤ – سرية بئر معونة

٥ – غزوة بني النضير

٦ – غزوة بدر الآخرة

٧ – زواج الرسول ﷺ من أم سلمة رضي الله عنها

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الرابعة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة الرابعة من الهجرة

١- سرية أبي سلمة ﷺ إلى بني أسد

بعد المصيبة التي أصيب بها المسلمون في أحد زالت هيبة المسلمين من النفوس، وطمعت بهم القبائل، وكاشفهم اليهود والمنافقون بما كانوا يضمرونه من العداوة والبغضاء.

فلم يمض على غزوة أحد إلا شهرين حتى تهيأت قبائل بني أسد للإغارة على المدينة، طمعاً في خيراتها، ومظاهرة للمشركين في عداوتها.

حيث سار طليحة بن خويلد الأسدي، وأخوه سلمة، في قومهما بني أسد ومن أطاعهما إلى حرب رسول الله ﷺ.

فلما بلغ الخبر رسول الله ﷺ بعث إليهم أبا سلمة بن عبد الأسد ﷺ، وكان قد جرح في عضده في أحد، وعقد له لواءً، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار، وأوصاه ومن معه بتقوى الله ﷻ.

فخرج أبو سلمة ﷺ في أصحابه، وذلك في أول محرم، من السنة الرابعة للهجرة، ومضى حتى انتهى إلى ماء لبني أسد بجبل يسمى قَطَن، فأغار على سرح لهم فأخذه، وأخذ ثلاثة رعاة، وأفلت الباقون، فجاؤا قومهم فأخبروهم الخبر، وحذَّروهم، فتفرق جمعهم في كل وجه.

فلما ورد أبو سلمة ماءهم وجد جمعهم قد تفرق، فعسكر على الماء، وفرق أصحابه ثلاث فرق:

فرقة قامت معه، وفرقتان أغارتا في ناحيتين مختلفتين، فرجعتا إليه سالمتين، وقد أصابتا نعماً كثيرة، ثم عاد الجميع إلى المدينة سالمين غانمين.

فلما دخل أبو سلمة رضي الله عنه المدينة انتفض به جرحه، فلم يلبث حتى مات في جمادى الآخرة.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ.

ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» أخرجه مسلم [1].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا »، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولَ اللهِ ﷺ أخرجه مسلم[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٢٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩١٨).

٢- سرية عبد الله بن أنيس ﵁

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس، لقتل خالد بن سفيان الهذلي، في الخامس من شهر محرم، من السنة الرابعة للهجرة.

عن عبد الله بن أنيس ﵁ أنه قال: دَعَانِي رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ الهُذَلِيَّ يَجْمَعُ لِي النَّاسَ لِيَغْزُونِي، وَهُوَ بِعُرَنَةَ، فَأْتِهِ فَاقْتُلْهُ» ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ إِقْشَعْرِيرَةً» قَالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي حَتَّى وَقَعْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ بِعُرَنَةَ مَعَ ظُعُنٍ يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلًا، وَحِينَ كَانَ وَقْتُ العَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الإِقْشَعْرِيرَةِ فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ محَاوَلَةٌ تَشْغَلُنِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ أُومِئُ بِرَأْسِي الرُّكُوعَ، وَالسُّجُودَ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ قَالَ: مَنِ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِنَ العَرَبِ سَمِعَ بِكَ، وَبِجَمْعِكَ لِهَذَا الرَّجُلِ فَجَاءَكَ لِهَذَا، قَالَ: أَجَلْ أَنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ حَتَّى قَتَلْتُهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ، وَتَرَكْتُ ظَعَائِنَهُ مُكِبَّاتٍ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَرَآنِي فَقَالَ: «أَفْلَحَ الوَجْهُ» قَالَ: قُلْتُ: قَتَلْتُهُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «صَدَقْتَ» قَالَ: ثُمَّ قَامَ مَعِي رَسُولُ الله ﷺ فَدَخَلَ بِي بَيْتَهُ فَأَعْطَانِي عَصًا، فَقَالَ: «أَمْسِكْ هَذِهِ عِنْدَكَ يَا عَبْدَ الله بْنَ أُنَيْسٍ» أخرجه أحمد وأبو داود[1].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٦٠٤٧)، وأخرجه أبو داود برقم (١٢٤٩).

٣- سرية الرجيع

كانت هذه السرية في صفر من السنة الرابعة للهجرة.

عن أبي هريرة ﵁ قال: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ المَدِينَةِ.

فَقَالُوا: هَذَا تمر يَثْرِبَ، فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لجئُوا إِلَى فَدْفَدٍ، وَجَاءَ القَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ، فَقَالُوا: لَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا، أَنْ لاَ نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا، فَقَالَ عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَأَعْطَوْهُمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِي مَعَهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَالجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَتَلُوهُ.

وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ، اسْتَعَارَ مُوسًى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، قَالَتْ: فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَ ذَاكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ المُوسَى، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَاكِ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَكَانَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الحَدِيدِ، وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ.

فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: لَوْلاَ أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ المَوْتِ لَزِدْتُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ هُوَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، ثُمَّ قَالَ:

مَا أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا   عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ للهِ مَصْرَعِي

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقبَةُ بْنُ الحَارِثِ فَقَتَلَهُ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ الله عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ. أخرجه البخاري [1].

وأما زيد بن الدَّثنة فابتاعه صفوان بن أمية، ليقتله بأبيه أمية بن خلف.

وعندما أخرجوه من الحرم ليقتلوه، اجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان، فقال أبو سفيان حين قُدِّم للقتل: أنشدك الله يا زيد! أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك فتضرب عنقه، وأنت في أهلك؟

فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه، تصيبه شوكة تؤذيه، وأنا جالس في أهلي.

فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

ثم قتل نسطاس مولى صفوان زيداً ﷺ وأرضاه.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠٨٦).

٤- سرية بئر معونة

كانت هذه السرية في صفر من السنة الرابعة للهجرة، وتسمى هذه السرية سرية القراء.
ولهذه السرية ثلاثة أسباب:
عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَبَنِي لحْيَانَ، اسْتَمَدُّوا رَسُولَ الله ﷺ عَلَى عَدُوٍّ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ، كُنَّا نُسَمِّيهِمْ القُرَّاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى كَانُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ وَغَدَرُوا بِهِمْ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَبَنِي لَحْيَانَ» قَالَ أَنَسٌ: فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ: " بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا ". أخرجه البخاري[1].
و عَنْ أَنَسٍ ﷺ قالَ: إِنَّمَا قَنَتَ رَسُولُ الله ﷺ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى أُنَاسٍ قَتَلُوا أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، يُقَالُ لَهُمُ القُرَّاءُ. أخرجه مسلم[2].
وكان عامر بن مالك، المعروف بمُلاعب الأسنة، قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه الإسلام، ودعاه إليه، فلم يسلم، ولم يبعد عن الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك.
فقال رسول الله ﷺ: « إني أخشى عليهم أهل نجد ».
فقال عامر: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك، فبعث رسول الله ﷺ سبعين رجلاً من أصحابه. [3].
فمضى الصحابة رضي الله عنهم حتى وصلوا إلى بئر معونة، فنزلوا بها، وبعثوا حران بن ملحان ﷺ بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر عدو الله عامر بن الطفيل في كتاب النبي ﷺ، وأومأ إلى رجل من قومه، فطعن حرام من خلفه حتى أنفذه بالرمح.
فقال حرام: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَة. أخرجه البخاري[4].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠٩٠).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٦٧٧).
(٣) انظرسيرة ابن هشام (٣/ ٢٠٤).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٠٩٢).

ثم استنفر عامر بن الطفيل قبحه الله بني عامر إلى قتال الباقين من الصحابة، فأبوا أن يجيبوه، وقالوا: لن نخفر جوار أبي براء.
فاستنفر عليهم قبائل من بني سليم، رعلاً وذكوان، وعصية، فأجابوه وخرجوا حتى غشوا القوم، وأحاطوا بهم في رحالهم، فقال لهم المسلمون: والله ما إياكم أردنا، وإنما نحن قوم مجتازون في حاجة للنبي ﷺ، فأبوا عليهم، فأخذ الصحابة سيوفهم فقاتلوهم، فقتل كل هؤلاء الصحابة السبعين رضي الله عنهم إلا كعب بن زيد الذي تُرك وبه رمق، فعاش حتى استشهد في غزوة الخندق رضي الله عنه.
وكان عمرو بن أمية الضمري، والمنذر بن عقبة الأنصاري في سرح المسلمين، ولم يعلما بمصاب أصحابهم، فلما رأوا الطير تحوم على موضع الوقعة، قالا: والله إن لهذه الطير لشأناً، فأقبلا ينظران، فإذا أصحابهم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة على بئر معونة، بين بني عامر، وحرة بني سليم.
فقال المنذر بن عقبة لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرى أن تلحق برسول الله ﷺ فتخبره الخبر، فقال المنذر: لا أرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مضر، أخذه عامر بن الطفيل وجزَّ ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه، ورجع عمرو بن أمية رضي الله عنه إلى المدينة، وأخبر الرسول ﷺ بما حصل.[1].
وكان من بين القتلى في بئر معونة عامر بن فهيرة رضي الله عنه، وقد ظهرت له في هذه المعركة كرامة من الله عز وجل.
وَعَنْ أَبِي أُسَامَةَ ، قَالَ : قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ : فَأَخْبَرَنِي أَبِي ، قَالَ : لمَّا قُتِلَ الَّذِينَ بِبِئْرِ مَعُونَةَ وَأُسِرَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ قَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ : مَنْ هَذَا ؟ فَأَشَارَ إِلَى قَتِيلٍ، فَقَالَ لَهُ : عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ هَذَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ ، فَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ مَا قُتِلَ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ ، حَتَّى إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَرْضِ ، ثُمَّ وُضِعَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ خَبَرُهُمْ فَنَعَاهُمْ ، فَقَالَ : «إِنَّ أَصْحَابَكُمْ قَدْ أُصِيبُوا وَإِنَّهُمْ قَدْ سَأَلُوا رَبَّهُمْ ، فَقَالُوا: رَبَّنَا أَخْبِرْ عَنَّا إِخْوَانَنَا بِمَا رَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا » أخرجه البخاري[2].

---

(١) انظرسيرة ابن هشام (٣/ ٢٠٥).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٠٩٣).

وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ﵁، وكان مملوكاً فأسلم فاشتراه أبو بكر ﵁ فأعتقه، وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكان رفيق رسول الله ﷺ وأبي بكر ﵁ ، في هجرتهما إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً، ثم قتل يوم بئر معونة، وهو ابن أربعين سنة ﵁.

وقد جاء خبر فاجعة بئر معونة، وخبر مقتل عاصم بن ثابت، وخبيب بن عدي، وأصحابهم رضي الله عنهم يوم الرجيع، إلى رسول الله ﷺ في يوم واحد، فحزن الرسول ﷺ والمسلمون عليهم حزناً شديداً.

ولقد بلغ حزن الرسول ﷺ أنه مكث شهراً يدعو في كل صلاة على رعل وذكوان وعصية، الذين غدروا بالقراء، وأنزل الله ﷻ فيهم قرآناً يُتلى، ثم نسخ بعد.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ أَنَّ رِعْلًا ، وَذَكْوَانَ ، وَعُصَيَّةَ ، وَبَنِي لِحْيَانَ اسْتَمَدُّوا رَسُولَ الله ﷺ عَلَى عَدُوٍّ ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنْ الأَنْصَارِ كُنَّا نُسَمِّيهِمُ القُرَّاءَ فِي زَمَانِهِمْ ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ ، حَتَّى كَانُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ وَغَدَرُوا بِهِمْ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ عَلَى رِعْلٍ ، وَذَكْوَانَ ، وَعُصَيَّةَ ، وَبَنِي لِحْيَانَ . قَالَ أَنَسٌ : فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ " بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا ". متفق عليه[١].

أما أبو براء عامر بن مالك، سيد بني عامر، المعروف بملاعب الأسنة، الذي أعطى الجوار للمسلمين، فإنه لما بلغه مقتلهم شق عليه ذلك، فمات عقب ذلك من شدة الهم.

ولما توجه عمرو بن أمية الضمري إلى المدينة لقي في طريقه رجلين من بني عامر، فنزلا معه في ظل كان هو فيه، وقد سألهما عمرو ممن أنتما؟ فقالا: من بني عامر، حتى إذا ناما قتلهما، ثأراً لأصحابه، وهو لا يعلم أن معهما عقد وجوار من رسول الله ﷺ.

ولما قدم عمرو بن أمية المدينة أخبر رسول الله ﷺ بمقتل أصحابه ببئر معونة، ثم أخبره بمقتل العامريين، فقال له ﷺ: « بئس ما صنعت! لقد كان لهم مني أمان وجوار، لأَدِيَنَّهما» فبعث بديتهما إلى قومهما. [٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٠٩٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٦٧٧).

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٤٠).

٥- غزوة بني النضير

كانت غزوة بني النضير في شهر ربيع الأول، من السنة الرابعة للهجرة.

ولهذه الغزوة ثلاثة أسباب:

الأول : أن قريشاً أرسلت إلى اليهود، وهددتهم بالحرب إن لم يقاتلوا الرسول ﷺ، فاستجاب بنو النضير لذلك، ووضعوا خطة يقتلون بها النبي ﷺ غدراً.

فطلبوا من النبي ﷺ أن يخرج إليهم في ثلاثين رجلا من أصحابه، ليلتقي بثلاثين من أحبارهم في موضع وسط، فإن صدقوه آمنت يهود.

فاستكثروا العدد وخافوا، فاقترحوا أن يأتي وثلاثة من أصحابه، ويجتمع مع ثلاثة من أحبارهم، وقد حمل الأحبار خناجرهم، ولكن امرأة منهم أفشت سرهم لأخ مسلم لها، فأخبر النبي ﷺ فرجع عنهم، ثم استعد وحاصرهم بجنوده، حتى نزلوا على الجلاء، ولهم ما حملت الإبل إلا السلاح، وكانت منازلهم غرب مسجد قباء.

الثاني : أن رسول الله ﷺ خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية الرجلين الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه، لأن رسول الله ﷺ قد أخذ العهد على اليهود أن يعاونوه في الديات، فأتى ﷺ مسجد قباء فصلى فيه ركعتين، ومعه نفر من أصحابه، ثم أتى بني النضير فكلمهم، فقالوا له: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت.

فجلس رسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا، وجلس معه أبو بكر وعمر وعلي وطائفة من أصحابه رضي الله عنهم.

فلما خلا اليهود ببعضهم، قالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فمن رجل يعلوا هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه؟.

فانتدب لذلك رجل منهم هو عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي على رسول الله ﷺ صخرة، فأتى رسول الله ﷺ جبريلُ عليه السلام، وأخبره بما أراد القوم، فقام ﷺ مظهراً أنه يريد أن يقضي حاجته، وترك أصحابه في مجلسهم، ورجع سريعاً إلى المدينة، فلما أبطأ على أصحابه قاموا في طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه، فقال: رأيته داخلاً المدينة.

فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما أرادت يهود من الغدر، وأمر رسول الله ﷺ بحربهم والسير إليهم، ونزل في ذلك : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المائدة/ ١١].

الثالث : أن بني النضير قد دسوا إلى قريش، وحضوهم على قتال رسول الله ﷺ، ودلوهم على العورة عندما نزلوا بأحد لقتال رسول الله ﷺ، وحرضوا المشركين على قتال المسلمين، فكانت غزوة أحد.

فلهذه الأسباب أجلى رسول الله ﷺ بني النضير عن المدينة، لأنهم غدروا، ونقضوا العهد. فبعث إليهم رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة رضي الله عنه، وأمرهم: « أن اخرجوا من المدينة فلا تشاركوني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، فمن رُئي بعد ذلك ضربت عنقه».

فمكثوا على ذلك أياماً يتجهزون للجلاء، فلما سمع بهم المنافقون، أرسل إليهم ابن سلول: أن لا تخرجوا من دياركم، إنَّا معكم، فقويت عند ذلك نفوس يهود بني النضير، فأرسل سيد بني النضير حيي بن أخطب إلى رسول الله ﷺ: إنا لن نخرج من ديارنا، ونابذوه بنقض العهود، وفيهم نزل قول الله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحشر/ ١١-١٣].

فسار إليهم رسول الله ﷺ في أصحابه، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فلما رأوا رسول الله ﷺ التجؤا إلى حصونهم، فقاموا عليها يرمون بالنبل والحجارة، فحاصرهم ﷺ، ثم أمر بقطع نخيلهم وتحريقها، وفي ذلك نزل قول الله سبحانه : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الحشر/ ٥].

فاستنزلهم المسلمون من حصونهم، وأمروهم بقطع نخيلهم، إهانة لهم، وإرعابا لقلوبهم. وتخلى المنافقون عن نصرة يهود، وكان مثلهم ومثل المنافقون: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحشر/ ١٦-١٧].

وقذف الله في قلوب يهود بني النضير الرعب، واشتد الحصار عليهم، وأيقنوا أن حصونهم لن تمنعهم من الله، فعند ذلك صالحوا رسول الله ﷺ على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلَّت الإبل من الأمتعة والأموال إلا السلاح، وفيهم نزل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ

ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ (٢) وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ (٣)﴾ [الحشر/ ٢-٣].

فحملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، وكانت ستمائة بعير، وكانوا يهدمون بيوتهم بأيديهم، ليحملوا ما استحسنوه من الأبواب والنوافذ وغيرها، حتى لا ينتفع بها المسلمون من بعدهم، وسار أكثرهم وأشرافهم كسلَّام بن أبي الحُقيق، وكنانة بن الربيع، وحيي بن أخطب، وغيرهم، إلى خيبر، وسارت جماعة منهم إلى الشام.

وقبض رسول الله ﷺ ما تركوه من الأموال والسلاح، وكانت أموال بني النضير وأرضهم وديارهم خالصة لرسول الله ﷺ يضعها حيث يشاء، ولم يخمسها، لأن الله أفاءها عليه، ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٦)﴾ [الحشر/ ٦].

وأعطى الرسول ﷺ أكثرها للمهاجرين، وقسمها بينهم خاصة، لفقرهم، وبذلك أغنى الله المهاجرين وأزال فاقتهم، وكان ﷺ ينفق مما بقي منها على أهله نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي في السلاح، والكراع عدة في سبيل الله.

عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ النَّخَلاَتِ، حَتَّى افْتَتَحَ قُرَيْظَةَ، وَالنَّضِيرَ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ. متفق عليه [(١)].

ونزلت سورة الحشر كلها في بني النضير.

وبإجلاء بني النضير أراح الله المسلمين من شرهم وكيدهم.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَقُرَيْظَةُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. أخرجه البخاري [(٢)].

ولم يتوقف زعماء يهود بني النضير عن مكائدهم بعد كل هذا، فقد حرض زعماؤهم الأحزاب، فكانت غزوة الخندق كما سيأتي في موضعه.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠٣٠)، ومسلم برقم (١٧٧١).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٠٢٨).

٦- غزوة بدر الآخرة

كانت هذه الغزوة في شعبان، من السنة الرابعة للهجرة، وتسمى هذه الغزوة بدر الصغرى، لأنه لم يقع فيها حرب، وتسمى بدر الموعد، للمواعدة التي كانت بين أبي سفيان والمسلمين يوم أحد.

وقد خرج إليها الرسول ﷺ ومعه ألف وخمسمائة من الصحابة، ومعهم عشرة أفراس.

وكانت بدر سوقاً من أسواق العرب.

وخرج أبو سفيان من مكة في ألفي رجل من قريش، ومعهم خمسون فرساً، وكان كارهاً للخروج، فلما انتهى إلى مر الظهران أو عسفان، ألقى الله تعالى في قلبه الرعب، فرأى أن يرجع.

فقال لمن معه: يا معشر قريش، إن هذا العام عام جدب، ولا يصلحكم إلا عام خصب، ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإني راجع فارجعوا، فرجع الناس.

وأرسل أبو سفيان نعيم بن مسعود الأشجعي، ليعتذر لمحمد أن هذا عام جدب، وليخذل المسلمين عن الخروج، وذلك لئلا يجترئ محمد وأصحابه عليه إذا خرج ولم يجده، ففعل، ولكن لم يستجب له أحد.

فخرج رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر، وأقام بها ثمانية أيام، ينتظر أبا سفيان لميعاده، ولكنه لم يجده، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقد سمع الناس بمسيره، وبلغ قريشاً أمره، وكان لخروجه ﷺ إلى بدر أثر كبير في استعادة هيبة المسلمين بعد غزوة أحد التي أصيب فيها المسلمون.

٧- زواج الرسول ﷺ من أم سلمة رضي الله عنها

أم سلمة هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، وزوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، وهو ابن عمها، ولدت منه سلمة وعمر وزينب ودرة.

وكانت أم سلمة رضي الله عنها موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأي الصائب، وكانت من أجمل النساء، وأشرفها نسباً.

فلما انقضت عدتها من زوجها أبي سلمة الذي توفي عنها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا».

قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ الله ﷺ. أخرجه مسلم[1].

فتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة رضي الله عنها في شهر شوال، من السنة الرابعة للهجرة، وتولى تزويجها ابنها سلمة.

عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ، فَلْيَقُلْ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأْجُرْنِي فِيهَا، وَأَبْدِلْنِي مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا».

فَلَمَّا احْتُضِرَ أَبُو سَلَمَةَ، قَالَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْنِي فِي أَهْلِي بِخَيْرٍ، فَلَمَّا قُبِضَ، قُلْتُ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي، فَأْجُرْنِي فِيهَا.

قَالَتْ: وَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: وَأَبْدِلْنِي خَيْرًا مِنْهَا، فَقُلْتُ: وَمَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، فَمَا زِلْتُ حَتَّى قُلْتُهَا، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا خَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَرَدَّتْهُ، ثُمَّ خَطَبَهَا عُمَرُ فَرَدَّتْهُ.

فَبَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَتْ: مَرْحَبًا بِرَسُولِ الله ﷺ، وَبِرَسُولِهِ، أَخْبِرْ رَسُولَ الله ﷺ أَنِّي امْرَأَةٌ غَيْرَى، وَأَنِّي مُصْبِيَةٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدًا.

فَبَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَّا قَوْلُكِ: إِنِّي مُصْبِيَةٌ، فَإِنَّ الله سَيَكْفِيكِ صِبْيَانَكِ، وَأَمَّا قَوْلُكِ: إِنِّي غَيْرَى، فَسَأَدْعُو الله أَنْ يُذْهِبَ غَيْرَتَكِ، وَأَمَّا الأَوْلِيَاءُ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَاهِدٌ وَلَا غَائِبٌ إِلَّا سَيَرْضَانِي»، قُلْتُ: يَا عُمَرُ، قُمْ فَزَوِّجْ رَسُولَ الله ﷺ. أخرجه أحمد[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١٨).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٦٩).

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لمَّا تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا، وَقَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِكِ عَلَى أَهْلِكِ هَوَانٌ، إِنْ شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ، وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ، سَبَّعْتُ لِنِسَائِي» أخرجه مسلم(١).

وقد عُمِّرت أم سلمة رضي الله عنها، حتى ماتت عن تسعين سنة، وكانت وفاتها سنة إحدى وستين للهجرة، في خلافة يزيد بن معاوية، وكانت رضي الله عنها آخر أمهات المؤمنين وفاة، ودفنت في المدينة بالبقيع.



(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٦٠).

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الخامسة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة الخامسة من الهجرة وتشتمل على ما يلي :

١- غزوة دومة الجندل

٢- قدوم وفد مزينة

٣- زواج رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها

٤- غزوة بني المصطلق

٥- زواج الرسول ﷺ من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

٦- غزوة الخندق

٧- غزوة بني قريظة

٨- قدوم وفد أشجع

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الخامسة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة الخامسة من الهجرة

١- غزوة دومة الجندل

كانت هذه الغزوة في شهر ربيع الأول، من السنة الخامسة للهجرة، ودومة الجندل موضع على طرف الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة.

وسبب هذه الغزوة أنه بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً من القبائل، وأنهم يظلمون من مرَّ بهم، وينهبون ما معهم، وأنهم يريدون مهاجمة المدينة.

فندب الرسول ﷺ الناس، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري، وخرج النبي ﷺ إليهم في ألف من المسلمين، فكانوا يسيرون بالليل، ويكمنون في النهار، وكان دليله في الطريق رجل من بني عذرة، اسمه مذكور.

فلما دنوا من دومة الجندل هجموا على ماشيتهم، ورعاتهم، فأصابوا منهم ما أصابوا، وهرب منهم من هرب.

فلما علم أهل دومة الجندل تفرقوا خوفاً منهم، ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم، فلم يجد فيها أحداً، فأقام بها أياماً، وبث السرايا وفرقها، فرجعت ولم تصب منهم أحداً.

ثم رجع الرسول ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيداً.

وهذه تعتبر أول غزوة بعيدة عن المدينة من جهة الشام، وكانت بمثابة إعلان عن دعوة الإسلام بين سكان البوادي الشمالية الغارقة في الجهل، وإرهاباً لقيصر وجنده بالشام، وتدريباً للمسلمين على قطع المسافات الطويلة في سبيل الله، ومقدمة للفتوحات العظيمة في المناطق البعيدة.

٢- قدوم وفد مزينة

في رجب من السنة الخامسة للهجرة قدم وفد مزينة في أربعمائة رجل على رسول الله ﷺ.

وفي هذا الوفد: النعمان بن مقرِّن، وقرة بن إياس، وبلال بن الحارث، فبايعهم رسول الله ﷺ على الإسلام، وجعل لهم الهجرة في دارهم، وقال: « أنتم مهاجرون حيث كنتم، فارجعوا إلى أموالكم » فرجعوا إلى بلادهم.[١].

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ ﵁ قَالَ: قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَرْبَع مِائَةٍ مِنْ مُزَيْنَةَ، فَأَمَرَنا رَسُولُ الله ﷺ بِأَمْرِهِ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: يَا رَسُولَ الله مَا لَنَا طَعَامٌ نَتَزَوَّدُهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعُمَرَ: «زَوِّدْهُمْ » فَقَالَ: مَا عِنْدِي إِلَّا فَاضِلَةٌ مِنْ تمَرٍ، وَمَا أُرَاهَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ: «انْطَلِقْ فَزَوِّدْهُمْ »فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى عُلِّيَّةٍ لَهُ، فَإِذَا فِيهَا تمَرٌ مِثْلُ البَكْرِ الأَوْرَقِ فقَالَ: خُذُوا. فَأَخَذَ القَوْمُ حَاجَتَهُمْ.

قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا فِي آخِرِ القَوْمِ، قَالَ: فَالتَفَتُّ وَمَا أَفْقِدُ مَوْضِعَ تمَرْةٍ وَقَدْ احْتَمَلَ مِنْهُ أَرْبَعُ مِائَةِ رَجُلٍ.أخرجه أحمد [٢].

وأثنى رسول الله ﷺ على قبيلة مزينة خيراً، ثم رجعوا إلى بلادهم.

عن أبي هريرة ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « أَسْلَمُ، وَغِفَارُ، وَمُزَيْنَةُ، وَمَنْ كَانَ مِنْ جُهَيْنَةَ، أَوْ جُهَيْنَةُ، خَيْرٌ مِنْ بَنِي تمَيمٍ، وَبَنِي عَامِرٍ، وَالحَلِيفَيْنِ أَسَدٍ، وَغَطَفَانَ». متفق عليه[٣].

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ١٤١).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٧٤٦).
(٣) **متفق عليه**/ أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٦)، ومسلم برقم (٢٥٢١).

٣- زواج رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها

زينب بنت جحش رضي الله عنها هي أم المؤمنين، وأمها أميمة بنت عبد المطلب، عمة النبي ﷺ، أسلمت زينب رضي الله عنها بمكة، وهاجرت إلى المدينة، وتزوجها رسول الله ﷺ بعد أن طلقها زوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه، مولى رسول الله ﷺ.

وكانت حكمة هذا الزواج إبطال حرمة زوجة الابن المتبنى، والقضاء على عادات الجاهلية بالاعتزاز بالأنساب والأحساب.

وكان الرسول ﷺ قد زوجها من حِبِّه ومولاه زيد بن حارثه رضي الله عنه، الذي كان يُدعى قبل إبطال التبني بزيد بن محمد.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ القُرْآنُ « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ الله ». متفق عليه [1].

ولما خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها لمولاه زيد بن حارثه رضي الله عنه، استنكفت منه، وقالت: أنا خير منه حسباً، وكانت امرأة فيها حدة، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٦].

فلما نزلت هذه الآية قالت رضي الله عنها: قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً؟.

قال: (نعم)، قالت: إذاً لا أعصي رسول الله ﷺ، قد أنكحته نفسي، فتزوجته، ومكثت عنده قريباً من سنة.

ثم جاء زيد يشكوها إلى رسول الله ﷺ، لأنها كانت تؤذيه بلسانها، وتتعاظم عليه بشرفها.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقِ الله، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» أخرجه البخاري [2].

فكان ﷺ يوصي زيداً رضي الله عنه بإمساكها، ولكن الله شاء أن يُحَمِّل رسوله ﷺ مؤونة إزالة آثار نظام التبني، فيتزوج ﷺ من مطلقة متبناه زيد بن حارثة، ليوجه المجتمع عملياً بإبطال عادة التبني الذي كان سائداً في الجاهلية.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٧٨٢)، ومسلم برقم (٢٤٢٥).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٠).

فكان ﷺ يستحي أن يأمر زيداً بطلاقها، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه، ويقولوا: تزوج امرأة ابنه بالتبني، فأنزل الله في هذا الشأن: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب/ ٣٧] .

وكان هذا الأمر شديداً عليه ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ، لَكَتَمَ هَذِهِ الآيَةَ " وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ واللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاه". أخرجه مسلم[١].

فطلقها زيد ﷺ ، ولما انقضت عدة زينب من زيد رضي الله عنهما تزوجها رسول الله ﷺ.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: لمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِزَيْدٍ: «فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ»، قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي، حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي، وَنَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي، فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ: أَرْسَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَذْكُرُكِ.

قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ. أخرجه مسلم[٢].

فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، تقول: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي الله تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ. أخرجه البخاري[٣].

● **وليمة الزواج .**

وأولم رسول الله ﷺ، عندما بنى بزينب بنت جحش رضي الله عنها بخبز ولحم، وأشبع الناس خبزاً ولحماً.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: أَوْلَمَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ بَنَى بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلحْمًا. أخرجه البخاري[٤].

وعن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قال: مَا أَوْلَمَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ أَكْثَرَ - أَوْ أَفْضَلَ - مِمَّا أَوْلَمَ عَلَى زَيْنَبَ. أخرجه مسلم[٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٤٢٨).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٠).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٧٩٤).
(٥) أخرجه مسلم برقم (١٤٢٨) (٩١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ : تَزَوَّجَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَدَخَلَ بِأَهْلِهِ ، قَالَ : فَصَنَعَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا فَجعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ ، فقَالَت : يَا أَنَسُ ، اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقُلْ: بَعَثَتْ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي وَهِيَ تُقْرِئُكَ السَّلَامَ ، وَتَقُولُ : إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : فَذَهَبْتُ بِهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقُلْتُ : إِنَّ أُمِّي تُقْرِئُكَ السَّلَامَ ، وَتَقُولُ : إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ الله ، فقَالَ : « ضَعْهُ » ، ثُمَّ قَالَ : «اذْهَبْ ، فَادْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا وَمَنْ لَقِيتَ » وَسَمَّى رِجَالًا، قَالَ : فَدَعَوْتُ مَنْ سَمَّى وَمَنْ لَقِيتُ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَنَسٍ : عَدَدَ كَمْ كَانُوا ؟ قَالَ : زُهَاءَ ثَلَاثِ مِائَةٍ ، وَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ : « يَا أَنَسُ ، هَاتِ التَّوْرَ» ، قَالَ : فَدَخَلُوا حَتَّى امْتَلَأَتِ الصُّفَّةُ وَالحُجْرَةُ ، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لِيَتَحَلَّقْ عَشَرَةٌ عَشَرَةٌ ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ » ، قَالَ : فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، قَالَ : فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ ، فقَالَ لِي : « يَا أَنَسُ ، ارْفَعْ » ، قَالَ : فَرَفَعْتُ، فَمَا أَدْرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رَفَعْتُ !. أخرجه مسلم[1].

فلما طعم الناس، جلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ جالس، وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله ﷺ، فجعل النبي ﷺ يخرج، ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله في هذا الشأن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٥٣].

وكان عمر بن الخطاب ﵁ يقترح على النبي ﷺ الحجاب، ويتمناه على ربه، حتى نزل بذلك القرآن موافقاً لرأيه ﵁.

عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: قَالَ عُمَرُ ﵁: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله يَدْخُلُ عَلَيْكَ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بِالحِجَابِ، فَأَنْزَلَ الله آيَةَ الحِجَابِ. أخرجه البخاري [2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٢٨) (٩٤).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧٩٠).

وكانت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها من سادة النساء ديناً، وورعاً، وجوداً، ومعروفاً، رضي الله عنها.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا» قَالَتْ: فَكُنَّ يَتطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ. أخرجه مسلم(١).

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي، فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْالنَكَ العَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ، قَالَتْ: فَقَالَ لهَا رَسُولُ الله ﷺ: «أَيْ بُنَيَّةُ، أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟».

فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ: «فَأَحِبِّي هَذِهِ» قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ، وَبِالَّذِي قَالَ لهَا رَسُولُ الله ﷺ. فَقُلْنَ لهَا: مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ العَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَالله لا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي المَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لله وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي العَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الله تَعَالَى، مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا، تُسْرِعُ مِنْهَا الفَيْئَةَ. أخرجه مسلم(٢).

وقد توفيت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها سنة عشرين للهجرة، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعمرها ثلاث وخمسون سنة.

وكانت أول نساء النبي ﷺ موتاً بعده، وقد صلى عليها عمر رضي الله عنه، ودفنت رضي الله عنها بالبقيع.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤٥٢).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٤٤٢).

٤ - غزوة بني المصطلق

بنو المصطلق بطن من خزاعة، وتسمى هذه الغزوة غزوة المريسيع، وهو ماء لبني خزاعة. وكانت هذه الغزوة في شعبان، من السنة الخامسة للهجرة.

وسبب هذه الغزوة أنه عندما أصابت قريش ما أصابت من المسلمين في أحد، تجرأ من الأعراب على المسلمين بنو المصطلق، حيث أخذ سيدهم الحارث بن أبي ضرار في جمع الرجال والسلاح، وتأليب القبائل المجاورة للقيام معه بهجوم على المدينة، وكانوا ممن بلغتهم رسالة الإسلام، واشتركوا مع المشركين في غزوة أحد.

ولما بلغ رسول الله ﷺ هذا الأمر بعث إليه بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، ليعلم حقيقة الخبر، فأتاهم ولقي الحارث زعيمهم، وكلمه، فوجدهم قد جمعوا الجموع.

فسأل القوم: من الرجل؟ فقال بريدة: منكم، قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل، فأسير في قومي، ومن أطاعني، فنكون يداً واحدة حتى نستأصله.

فقال الحارث: فنحن على ذلك، فعجِّل علينا، فقال بريدة رضي الله عنه: أركب الآن، وآتيكم بجمع من قومي، فسروا بذلك منه، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم.

فندب رسول الله ﷺ الناس إليهم، فأسرعوا الخروج، وكان عددهم سبعمائة مقاتل، ومعهم ثلاثون فرساً، وخرج معهم كثير من المنافقين، على رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول.

وكان خروجهم في شعبان لليلتين خلتا منه، سنة خمس للهجرة، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنه.

وكان الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق قد وجه عيناً له ليأتيه بخبر رسول الله ﷺ، فأصابه النبي ﷺ في طريقه، فسأله عنهم، فلم يذكر من شأنهم شيئاً، فعرض عليه الإسلام فأبى، فأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضرب عنقه.

فلما بلغ الحارث مسير رسول الله ﷺ، وأنه قتل عينه، سيء بذلك ومن معه، وخافوا خوفاً شديداً، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب.

ولما وصل الرسول ﷺ وأصحابه إلى المريسيع، أغار على بني المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تُسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية رضي الله عنها.

عَنِ ابْنِ عَوْنٍ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى نَافِعٍ أَسْأَلُهُ عَنِ الدُّعَاءِ قَبْلَ القِتَالِ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيَّ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الإِسْلَامِ، قَدْ أَغَارَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى بَنِي المُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ، وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى المَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى سَبْيَهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ ابْنَةَ الحَارِثِ. متفق عليه[1].

ثم أمر الرسول ﷺ بالأسارى فكتفوا، واستعمل عليهم بريدة بن الحصيب ﵁، وأمر بالغنائم فجمعت من متاع وسلاح، ونعم وشياه، واستعمل عليها شقران مولاه ﷺ، وجمع الذرية في ناحية.

فكانت الإبل ألفي بعير، والشاء خمسة آلاف شاة، وكان السبي مائة أهل بيت.

ثم قسم رسول الله ﷺ ذلك كله في الموضع الذي غنمه فيه، بعد أن أخرج الخمس، وفرق السبي فصار في أيدي الرجال، وقسم النعم والشاء على الغزاة.

وقد قتل من المسلمين في هذه الغزوة هشام بن صبابة، أصابه رجل من الأنصار، وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأً، فوداه النبي ﷺ.

- **ما جرى من المنافقين في غزوة بني المصطلق:**

خرج مع الرسول ﷺ في هذه الغزوة عدد كبير من المنافقين، فيهم عبد الله بن أبي بن سلول، رأس المنافقين، ولم يكن خروجهم رغبة في الجهاد، وإنما خرجوا لإثارة الفتنة بين المسلمين.

وقد حدثت في هذه الغزوة بسبب المنافقين حادثتان عظيمتان:

الحادث الأول: إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار.

عن زيد بن أرقم ﵁ قال: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ يَقُولُ: لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ الله حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ الله ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَقَتَكَ؟ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: "إِذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ" فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «إِنَّ الله قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ» متفق عليه[2].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٥٤١)، ومسلم برقم (١٧٣٠).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٩٠٠)، ومسلم برقم (٢٧٧٢).

وعن جابربن عبد الله ﵁ قال: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ المُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنْ المُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ . وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ: « فَقَالَ مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ » ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟» فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ المُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ ».

وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. فَقَالَ عُمَرُ أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ الله هَذَا الخَبِيثَ - لِعَبْدِ الله - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» متفق عليه[1].

وأراد رسول الله ﷺ أن يصرف الناس عن هذا الأمر، ويعالج هذا الموقف علاجاً عملياً، فأمر ﷺ بالرحيل فوراً، وسار بهم بقية يومهم ذلك، والليل كله، ثم نهار اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس، ثم نزلوا وناموا من فورهم من شدة الإجهاد، فعل ﷺ ذلك ليشغل الناس عن الخوض في حديث يمكن أن يؤدي إلى فتنة فتمزق وحدة المسلمين من المهاجرين والأنصار، وليصرفهم عن الفتنة التي أطلقها المنافق ابن سلول، لتخرق ما بين المسلمين من مودة وأخوة.

وعندما بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول ﵁ ما قاله والده، أتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي بن سلول، أبي، فيما بلغك عنه، فإن كنت لابد فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار.

فقال رسول الله ﷺ: « بل نترفق به، ونحسن صحبته، ما بقي معنا ».[2].

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق تقدم عبد الله ﵁، حتى وقف لأبيه على باب المدينة، فلما رآه أناخ به، وقال له: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فإنه العزيز، وأنت الذليل.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥١٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٤).
(٢) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣٢٠).

فلما جاء النبي ﷺ أذن له، وقال: «دعه، فلعمري لنحسنن صحبته ما دام بين أظهرنا» فخلى سبيله فدخل المدينة.

ويؤخذ من تصرف النبي ﷺ لعلاج هذه الفتنة عدم مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات، لئلا ينفر أتباعهم، والاقتصار على معاتبتهم، وقبول أعذارهم، وتصديق أيمانهم، لما في ذلك من التأنيس والتأليف.

وقد أنزل الله ﷻ في شأن هذه الفتنة سورة المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢﴾ [المنافقون/ ١-٢].

الحادث الثاني: حديث الإفك :

حاك المنافقون في هذه الغزوة حادثة الإفك، بعد أن فشل كيدهم في المحاولة الأولى لإثارة النعرة الجاهلية بين المسلمين، واستباح رأس النفاق ابن سلول لنفسه أن يرمي بالفحشاء سيدة من خيرة النساء، زوجة سيد الرسل، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وقد روت الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها حديث الإفك كاملا، فقالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بَعْدَمَا نَزَلَ الحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَالتَمَسْتُ عِقْدِي وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ.

وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُثْقِلْهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا تَأْكُلُ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ، وَلاَ مُجِيبٌ فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَدْلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً، وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ. أخرجه البخاري[1].

وأنزل الله ﷻ في براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ست عشرة آية من سورة النور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٢٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥ ٱلۡخَبِيثَٰتُ

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧٥٠).

﴿لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)﴾ [النور/ ١١-٢٦].

- **إقامة حد القذف على من أشاع حديث الإفك :**

لما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها، خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد، فخطب الناس، وتلا عليهم ما أنزل الله من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضُربوا حد القذف ثمانين جلدة.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لمَّا نَزَلَ عُذْرِي، قَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ، وَتَلَا القُرْآنَ، فَلَمَّا نَزَلَ أَمَرَ بِرَجُلَيْنِ وَامْرَأَةٍ، فَضُرِبُوا حَدَّهُم. أخرجه أحمد وأبو داود[1].

وترك رسول الله ﷺ إقامة الحد على ابن سلول، مع أنه رأس أهل الإفك، لأنه كان يستوشي الحديث، ويجمعه ويحكيه، ويخرجه في قوالب من لا يُنسب إليه، فلم يثبت أنه قذف.

- **انتهاء المحنة والفتنة :**

بعد شهر تقشعت سحابة الشك والريب والاضطراب عن جو المدينة، وافتضح رأس المنافقين افتضاحاً لم يستطع أن يرفع رأسه بعد ذلك.

وجعل ابن سلول بعد ذلك إذا حَّدث الحديث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ: « كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله، لأرعدت له أنف، ولو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ».

فقال عمر رضي الله عنه: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري.

وكانت حادثة الإفك، وإثارة النعرة الجاهلية من سلسلة فنون الإيذاء والفتن والمحن التي لقيها رسول الله ﷺ من أعداء الدين من المنافقين المندسين، ثم كشف الله زيفها، وبطلانها بوحي أنزله، وبرزت فيها شخصية الرسول ﷺ، وحكمته في معالجة الأمور، وخضوعه للوحي من ربه في كل حال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف/ ١١٠].

وكانت غيبته ﷺ في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوما، ودخل المدينة لهلال شهر رمضان.

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٤٠٦٦)، وأخرجه أبو داود برقم (٤٧٤٤).

٥- زواج الرسول ﷺ من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:لمَّا قَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ سَبَايَا بَنِي المُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ، وَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَاحَةً، لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ الله ﷺ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا، قَالَتْ: فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي فَكَرِهْتُهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنْ البَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي، قَالَ: «فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟» قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: « أَقْضِي كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ» قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»، قَالَتْ: وَخَرَجَ الخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الحَارِثِ فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ، قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي المُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا. أخرجه أحمد[(١)].

وكانت جويرية بنت الحارث رضي الله عنها حين تزوجها رسول الله ﷺ بنت عشرين سنة، وكانت رضي الله عنها من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

عن جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «ما زِلْتِ عَلى الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْها؟» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَومِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».أخرجه مسلم[(٢)].

وقد توفيت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها سنة خمسين من الهجرة، في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وكان عمرها حين توفيت خمساً وستين سنة.

وبسبب زواج الرسول ﷺ من جويرية رضي الله عنها، هدى الله أكثر بني المصطلق إلى الإسلام، فقد أسلم أبوها الحارث، فخرج داعياً لقومه إلى الإسلام فأسلموا.

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٣٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

٦- غزوة الخندق

كانت هذه الغزوة في شوال، من السنة الخامسة للهجرة.
سميت غزوة الخندق لأجل الخندق الذي حُفر بأمر النبي ﷺ حول المدينة.
وسميت غزوة الأحزاب لاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين، وهم: قريش، وغطفان، واليهود، ومن تبعهم.

● **سبب هذه الغزوة:**

سببها أن نفراً من أشراف يهود بني النضير الذين أجلاهم الرسول ﷺ من المدينة إلى خيبر، منهم سلام بن مشكم، وسلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، خرجوا إلى مكة، واجتمعوا بأشراف قريش، وحرضوهم على حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله.
فأجابتهم قريش إلى ذلك، وقالت لهم: إنكم أهل الكتاب الأول، فأخبرونا فيما نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟
فقال اليهود: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه.
فأنزل الله فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [النساء/ ٥١-٥٢].
فلما قالوا ذلك لقريش سرهم، ونشطهم لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ.
وكان هدف يهود بني النضير الذين أخرجوا إلى خيبر، أن يتصلوا بقريش والقبائل الأخرى، للثأر لأنفسهم، والطمع في العودة إلى ديارهم وأملاكهم في المدينة، واستئصال محمد ﷺ وأصحابه.
ولما أجابتهم قريش اتجهوا بعد ذلك إلى قبيلة غطفان النجدية الكبرى، وأغروها بالتحالف معهم ومع قريش على حرب المسلمين، على أن يكون لغطفان نصف ثمر خيبر إن اشتركت معهم في الحرب، فأجابهم إلى ذلك عيينة بن حصن الفزاري.

● **خروج الأحزاب إلى المدينة:**

خرجت قريش في أحابيشها، ومن تبعهم من العرب، من كنانة وأهل تهامة، في أربعة آلاف مقاتل، معهم ثلاثمائة فرس، وعقدوا اللواء في دار الندوة، وحمله عثمان بن أبي طلحة.

وخرجوا من مكة يقودهم أبو سفيان بن حرب.
ووافقهم بنو سليم بمر الظهران، واد بين مكة وعسفان، في سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس.
وخرجت معهم بنو أسد، يقودهم طليحة بن خويلد.
وخرجت قبائل غطفان: بنو فزارة في ألف يقودهم عيينة بن حصن الفزاري، وبنو مرة في أربعمائة، يقودهم الحارث بن عوف، وبنو أشجع في أربعمائة، يقودهم مسعر بن زخيلة، وخرج معهم قوم آخرون.
فكان جميع الذين وافوا الخندق من قريش وقبائل العرب، والأحابيش، واليهود، عشرة آلاف، وهم الأحزاب الذين سماهم الله ﷻ، واتجه الجميع إلى المدينة، على ميعاد كانوا قد تعاهدوا عليه.
وقد أرادت قريش في هذه المرة أن تحسم الصراع مع المسلمين، فحشدت له أكبر قوة ممكنة، حيث لجأت إلى التحالف مع كل من له مصلحة في القضاء على المسلمين، ووجدوا أكبر ضالة لهم في يهود بني النضير، الذي أُجلوا من المدينة، ووجد اليهود ضالتهم في قريش التي ترى في وجود محمد وأصحابه خطراً عليها، وعلى تجارتها، والتقى هذا الجيش العرمرم على هدف واحد، هو القضاء على المسلمين.
ووصلت جموع الأحزاب إلى المدينة، وهم بين مبتور، وطامع، وحاسد، فنزلت قريش ومن سار معها بمجتمع الأسيال من رومة، بين الجرف ورغابة.
ونزلت غطفان بقبائلها إلى جانب أحد، ونزل معهم بنو أسد.

- **حفر الخندق:**

لما سمع الرسول ﷺ بأمر الأحزاب، وما أجمعوا عليه من الشر دعا الناس، وأخبرهم خبرهم، وشاورهم في أمرهم، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق، وكان أول مشهد شهده مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حر.
فقال: يا رسول الله، إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ، وكانت خطة حكيمة لا تعرفها العرب قبل ذلك.
فأمر ﷺ بحفر الخندق من جهة الشمال، وهي عورة المدينة، بين حرة واقم والوبرة، لأن المدينة كانت مشتبكة بالبنيان، ومحاطة بالحرث وبساتين النخيل من كل جانب، سوى الشمال، فحفر الخندق هناك لأن المدينة مكشوفة من تلك الجهة.

وقطع رسول الله ﷺ لكل عشرة رجال أربعين ذراعاً، وشرع المسلمون في حفر الخندق في جو بارد، ورسول الله ﷺ يحفر معهم بنفسه.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا يَقُولُونَ يَوْمَ الخَنْدَقِ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الإِسْلَامِ مَا بَقِينَا أَبَدَا. متفق عليه[1].

وعن البراء رضي الله عنه قَالَ: لمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ وَخَنْدَقَ رَسُولُ الله ﷺ رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ حَتَّى وَارَى عَنِّي الْغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعْرِ فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ ، يَقُولُ :

«اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا»

قَالَ : ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا. متفق عليه[2].

واجتهد الصحابة رضي الله عنهم في حفر الخندق، يبادرون قدوم العدو، فكانوا يعملون في الحفر طوال النهار، ويرجعون إلى أهلهم في المساء، وكانوا يقاسون وهم يحفرون من شدة البرد، ومن شدة الجوع والجهد الشديد، حتى ربطوا على بطونهم الحجارة من شدة الجوع.

أما المنافقون فقد كانوا يتأخرون في العمل، ويثبطون عزائم المسلمين، ويتسللون من العمل، ويذهبون إلى أهليهم بغير علم الرسول ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور/ ٦٣] .

وقد واصل المسلمون عملهم في حفر الخندق، حتى اكتمل الحفر قبل أن يصل جيش الكفار العرمرم إلى أسوار المدينة، واكتمل حفر الخندق في قرابة شهر.

وما أن فرغ المسلمون من حفر الخندق حتى أقبلت قريش ومن تبعهم في أربعة آلاف، فنزلت في أعالي المدينة، بمجتمع الأسيال، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠٩٦)، ومسلم برقم (١٨٠٥).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤١٠٦) واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٠٣).

في ستة آلاف، ونزلوا إلى جانب أحد، وأخبر الله عن مجيئهم بقوله سبحانه: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ١٠- ١١].

- **خروج المسلمين إلى الأحزاب :**

خرج رسول الله ﷺ وأصحابه لملاقاة المشركين، فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع، ووجوههم إلى نحو العدو، وجعلوا الخندق بينهم وبين العدو، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل، وأمر رسول الله ﷺ بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام.

واستخلف ﷺ على المدينة عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه يؤم الناس في الصلاة.

وأعطى لواء المهاجرين لزيد بن حارثة رضي الله عنه، ولواء الأنصار لسعد بن عبادة رضي الله عنه، وأوصاهم إذا بيتهم العدو أن يكون شعارهم (حَم لا ينصرون).

وضربت للنبي ﷺ قبة من أدم، وجُعل على حراستها طائفة من الأنصار، فيهم عبَّاد بن بشر رضي الله عنه، فكانوا يحرسونه كل ليلة.

وقدم المشركون بجيش عظيم جداً: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢٢].

وعندما وصلت الأحزاب المدينة فوجئوا بوجود الخندق، فقاموا بعدة محاولات لاقتحامه، ولكنهم فشلوا، لأن المسلمين كانوا يمطرونهم بوابل من النبل كلما هموا بذلك، وأقاموا على ذلك بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار.

- **نقض بنو قريظة العهد :**

كلم أبو سفيان بن حرب حيي بن أخطب أن يذهب إلى بني قريظة، ويسألهم أن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، ويكونوا معهم عليه.

فخرج حيي بن أخطب إلى بني قريظة، وأتى كعب بن أسد القرظي، سيد بني قريظة، فرفض الخروج إليه، فألح عليه حيي بن أخطب بعدة محاولات حتى فتح له.

فقال حيي: ويحك يا كعب، جئتك بعز الدهر، وببحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها، وبغطفان على قادتها وسادتها، وقد عاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه.

فقال كعب بن أسد: جئتني والله بذل الدهر، فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمداً إلا الصدق والوفاء، والله ما أكرهنا على دينه، ولا غصبنا مالاً، ولا ننقم من محمد وعمله شيئاً، وأنت تدعو إلى الهلكة، وتكلم عمرو بن سعدي القرظي، وأكد على أهمية البقاء على العهد، وعدم خيانة الرسول ﷺ، ولكن حيياً ما زال بكعب حتى خدعه وأغراه فوافق على نقض العهد، واشترط على حيي أن يعطيه عهداً وميثاقاً، لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن يدخل معه في حصنه، يصيبه ما يصيب بني قريظة، فوافق على ذلك.

فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ، وكانت قريظة في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة، ثم قامت بنو قريظة، ومزقت الصحيفة التي كان فيها العقد.

ودخلت بنو قريظة مع قريش وغطفان في محاربة المسلمين، لأنهم رأوا المسلمين أحيط بهم من كل جانب، وأنهم اقتربوا من النهاية، فلن تؤاخذ قريظة على خيانتها، وأمدوا الأحزاب بالمال والسلاح.

ولما انتهى خبر نقض بني قريظة العهد مع الرسول ﷺ بعث إليهم الزبير بن العوام رضي الله عنه، ليتأكد من صحة الخبر المفاجئ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «مَنْ يأتينا بخبرِ القوم؟» فقال الزبير: أَنا، ثم قال: «مَنْ يأتينا بخبرِ القوم؟» قال الزبير: أنا، ثم قال: «مَنْ يأتينا بخبرِ القوم؟»، فقال الزبير: أنا،ثم قَالَ:«إن لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وإن حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ» متفق عليه[1].

وليتأكد الرسول ﷺ من خبر خيانة بني قريظة العهد أرسل إليهم السعدان: سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، رضي الله عنهما، وبعث معهما عبد الله بن رواحة، وخوات بن جبير، رضي الله عنهما، وقال لهم: (انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتوا في أعضاء الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤١١٣)، ومسلم برقم (٢٤١٥).

فخرجوا إليهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: لا عهد بيننا وبين محمد، ولا عقد، فدعوهم إلى الموادعة، وتجديد الحلف، فقالت قريظة: الآن وقد كسر جناحنا. يريدون بالجناح المكسورة بني النضير.

ولما أصرت قريظة على الخيانة رجع السعدان، ومن معهما إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة، أي كغدر قبيلة عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب بن عدي وأصحابه.

فقال رسول الله ﷺ: « الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين»، ثم تقنع ﷺ بثوبه فاضطجع، ومكث طويلاً، فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوا رسول الله ﷺ اضطجع، وعرفوا أنه لم يأت من بني قريظة خير.

ثم إنه ﷺ رفع رأسه فقال: « أبشروا بفتح الله ونصره ».[1].

وظل ﷺ يدعو على الأحزاب بقوله: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ» متفق عليه [2].

وعظم عند ذلك البلاء على المسلمين، واشتد خوفهم، وضاق الأمر، وخيف على النساء والذراري، وأتاهم الأحزاب من فوقهم، ومن أسفل منهم، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، حتى ظن المؤمنون كل ظن، وكانوا كما قال الله لهم وعنهم وعن عدوهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٩-١١].

إن الله ﷻ يربي هذه الأمة بالمواقف العظيمة، والأحداث الكبيرة، والأهوال الحرجة، والامتحانات العسيرة، ليعلموا أن الأمور كلها بيد الله، وأن النصر منه وحده لا شريك له: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة/ ٢١].

- **ظهور النفاق :**

إضافة إلى ما أصاب المسلمين من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد، وخيانة بني قريظة، فقد نجم النفاق، وظهر المنافقون، وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٤٤).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤١١٥)، ومسلم برقم (١٧٤٢).

نفوسهم، حتى قال بعضهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى قضاء حاجته: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ١٣].

وقال أوس بن قيضي أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة من العدو، وهي خارج المدينة، فأذن لنا نخرج إلى دارنا، فإننا نخشى عليها السرقة.

فجعل رسول الله ﷺ لا يستأذنه أحد مهم إلا أذن له، وفي هؤلاء المنافقين نزل قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحزاب/ ١٢-١٥].

ولما رأى الرسول ﷺ ما في الناس من البلاء والكرب، والخوف، قال لهم: « والذي نفسي بيده، ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة، وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمنا، وأن يدفع الله إلي مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله ﷻ ».[1].

وبعث ﷺ فرسان المسلمين يحرسون المدينة، ويظهروا التكبير، تخوفاً على النساء والذراري من بني قريظة أن يغيروا عليهم.

- **الصلح مع غطفان :**

لما نقضت بنو قريظة العهد، وبدأ المنافقون يُرجفون ويتسللون إلى ديارهم، وأحاطت الأحزاب بالمدينة، واشتد على الناس البلاء، وطوَّل الحصار، بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن الفزاري، وإلى الحارث بن عوف المري، وهما قائدا غطفان، ليصالحهم على إعطائهم ثلث ثمار المدينة، على أن يرجعوا بمن معهم عنه وعن أصحابه، فقبلوا ذلك.

فلما أراد الرسول ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلى السعدين:

سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، رضي الله عنهما، فاستشارهما في ذلك.

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٠٢).

فقالا: يا رسول الله، أمراً تحبه فنصنعه؟ أم شيئاً أمرك الله به لابد من العمل به؟ أم شيئاً تصنعه لنا؟ فقال ﷺ: « بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنعُ ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة، وكالَبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما » فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله، وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

فقال رسول الله ﷺ: «فأنت وذاك »[1].

ثم قطع رسول الله ﷺ المفاوضة مع غطفان، وواجه النبي ﷺ وأصحابه المشركين في الخندق، وتراشقوا معهم بالنبل طول مدة الحصار، حتى أنهم شغلوا الرسول ﷺ والمسلمين يوماً عن أداء صلاة العصر، فصلوها بعد غروب الشمس، لأن صلاة الخوف لم تشرع إلا في غزوة ذات الرقاع، وهي بعد الأحزاب.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ جَاءَ يَوْمَ الخَنْدَقِ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَجَعَلَ يَسُبُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا كِدْتُ أُصَلِّي العَصْرَ، حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالله مَا صَلَّيْتُهَا» فَقُمْنَا إِلَى بُطْحَانَ، فَتَوَضَّأَ لِلصَّلاَةِ وَتَوَضَّأْنَا لهَا، فَصَلَّى العَصْرَ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا المَغْرِب. متفق عليه[2].

وفشلت محاولات المشركين في اقتحام الخندق، وخرجت فوارس من قريش على خيلهم منهم عمرو بن عبد ود، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله المخزومي، وضرار بن الخطاب، فوجدوا مكانا ضيقا فاقتحموا منه، فقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عمرو بن ود، وقتل الزبير بن العوام رضي الله عنه نوفل بن عبد الله المخزومي، ضربه بالسيف فشقه نصفين، فكبر ذلك على المشركين، فأرسلوا إلى النبي ﷺ أن ابعث إلينا بجسد عمرو بن ود، ونعطيك عشرة آلاف درهم.

فقال رسول الله ﷺ: « لا حاجة لنا بجسده ولا بثمنه » وقال لأصحابه رضي الله عنهم: « ادفعوا إليهم جيفتهم، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدية، ولا نأكل ثمن الموتى» فخلى بينهم وبينه.

---

(١) انظر زاد المعاد (٣/ ٢٤٤).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٦)، ومسلم برقم (٦٣٣).

ولما قُتل هؤلاء فرَّ بقية من اقتحم الخندق إلى معسكرهم، وقتل في هذه الغزوة ثلاثة من المشركين، واستشهد ستة من المسلمين، منهم سعد بن معاذ ﵁، الذي أصيب في أكحله، رماه حبان بن العرقة، وقد نصبت له خيمة في المسجد ليعوده الرسول ﷺ من قريب، ثم مات بعد غزوة بني قريظة، حين انتفض جرحه، وشفا الله صدره من بني قريظة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، يُقَالُ لَهُ حِبَّانُ بْنُ العَرِقَةِ وَهُوَ حِبَّانُ بْنُ قَيْسٍ، مِنْ بَنِي مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ رَمَاهُ فِي الأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي المَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ. متفق عليه [1].

• **نزول النصر** :

لما اشتد الكرب على المسلمين، فصبروا وتضرعوا وثبتوا، جاءهم نصر الله، وكفاهم الله القتال.

وهزم الله الأحزاب في هذه الغزوة بثلاث وسائل:

الوسيلة الأولى : جهود نعيم بن مسعود الغطفاني :

بينما المسلمون في تلك الشدة، وذلك الخوف، من كثرة أعدائهم، واجتماعهم على حربهم، إذ يحدث الله سبحانه وتعالى من أمره خيراً، وهو إسلام نعيم بن مسعود الأشجعي الغطفاني.

قال نعيم بن مسعود ﵁: لما سارت الأحزاب إلى رسول الله ﷺ سرت مع قومي، وأنا على ديني ذلك، وكان رسول الله ﷺ بي عارفاً، فقذف الله في قلبي الإسلام، فكتمت ذلك قومي، وخرجت حتى أتيت رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء، فوجدته يصلي، فلما رآني جلس، ثم قال: « ما جاء بك يا نعيم؟ ».

قلت: إني جئت أصدقك، وأشهد أن ما جئت به حق، فمرني بما شئت يا رسول الله.

فقال النبي ﷺ: « إنما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة ».

فخرج نعيم بن مسعود ﵁ حتى أتى بني قريظة، فقال لهم: تعلمون ودي إياكم؟ قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم، وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه،

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤١٢٢)، ومسلم برقم (١٧٦٩) .

وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساءهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم، لكيلا يولوكم الأدبار، ويتركوكم لمحمد تواجهونه وحدكم، ولستم بقادرين عليه.

فقالوا: لقد أشرت بالرأي.

ثم خرج نعيم بن مسعود ﷺ حتى أتى قريشاً، فقال: لأبي سفيان بن حرب، ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم، وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقا أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموا عني، فقالوا: نفعل.

فقال نعيم: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: أنّا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من أشراف القبيلتين قريش وغطفان رجالا فنعطيهم لك، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم، حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم محمد: أن نعم.

فإن بعث إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم رجلا واحدا.

ثم خرج نعيم ﷺ حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أهلي، وعشيرتي، وأحب الناس إليّ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم.

وبذلك زرع الله بذور الشك بين المشركين واليهود، وأخذ كل فريق يتهم الآخر بالخيانة، فتمزق شملهم.

الوسيلة الثانية : هبوب الرياح :

فقد بعث الله ﷻ على الأحزاب ريحاً شديدة، في ليلة ظلماء شاتية باردة، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطفئ نيرانهم، وتهدم خيامهم، وتدفن رحالهم، حتى إن الرجل منهم لا يكاد يهتدي إلى رحله.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ» متفق عليه[1].

وكانت هذه الريح جندي من جنود الله الذين أرسلهم الله على المشركين.

الوسيلة الثالثة : الملائكة :

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٠٣٥)، ومسلم برقم (٩٠٠).

فقد أرسل الله على الأحزاب مع الريح الشديدة جنداً من الملائكة تزلزلهم، وتلقي الرعب في قلونهم، حتى امتلأت قلوب الأحزاب رعباً وخوفاً وهلعاً، وأنزل الله في شأن الريح والملائكة يذكر عبادة بنعمه قوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٩].

- **هزيمة الأحزاب :**

في ليلة من ليالي الحصار أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفرين من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه.

فقالت بنو قريظة: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنا من رجالكم، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب أن تشمروا إلى بلادكم، وتتركونا مع الرجل، ولا طاقة لنا به.

فلما رجعت الرسل إلى قريش وغطفان بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع لكم رجلاً واحداً من رجالنا، فقالت بنو قريظة: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق.

فخذل الله بينهم، وتفرق أمرهم، ويئس هؤلاء من نصر هؤلاء، وهؤلاء من نصر هؤلاء، وكفى الله المؤمنين القتال: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢٥].

وفي هذه الفترة من الشدائد والمخاوف كان رسول الله ﷺ وأصحابه لا ينفكون عن دعاء الله رب العالمين، يستغيثون به، ويستنزلون نصره.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ: دَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الأَحْزَابِ، فَقَالَ: «اللهُمَّ، مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَهُمَّ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ» متفق عليه[1].

وقد استجاب الله دعاء الرسول ﷺ، والمؤمنين فهزم، وضرب وجوه أعدائه بالريح والملائكة، وكفى الله المؤمنين القتال، ونصر عبده، وأعز جنده.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤١١٥)، ومسلم برقم (١٧٤٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ» متفق عليه(1).

ولما أرسل الله تعالى الريح على الأحزاب أراد رسول الله ﷺ أن يبعث من أصحابه ليلا من يأتيه بخبر الأحزاب، فأرسل إليهم حذيفة بن اليمان ﷺ.

قال حذيفة ﷺ: وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالخَنْدَقِ، وَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ هَوِيًّا، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ القَوْمُ يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ يَرْجِعُ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ» ، فَمَا قَامَ رَجُلٌ، ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ القَوْمُ، ثُمَّ يَرْجِعُ يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجْعَةَ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ» ، فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ مَعَ شِدَّةِ الخَوْفِ، وَشِدَّةِ الجُوعِ، وَشِدَّةِ البَرْدِ.

فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ القِيَامِ حِينَ دَعَانِي، فَقَالَ: « يَا حُذَيْفَةُ، فَاذْهَبْ فَادْخُلْ فِي القَوْمِ فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ، وَلَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا»، قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي القَوْمِ، وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللهِ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ لَا تَقِرُّ لَهُمْ قِدْرًا، وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً.

فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرْ امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ وَاللهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الكُرَاعُ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، وَبَلَغَنَا عَنْهُمُ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، وَاللهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ، ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ فَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ عَلَى ثَلَاثٍ، فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ، وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي، ثُمَّ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ.

قَالَ حُذَيْفَةُ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَائِهِ مُرَحَّلٍ، فَلَمَّا رَآنِي أَدْخَلَنِي إِلَى رَحْلِهِ، وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ المِرْطِ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنَّهُ لَفِيهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الخَبَرَ، وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ، فَانْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ» أخرجه أحمد(2).

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤١١٤)، ومسلم برقم (٢٧٢٤).

(2) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٣٣٤)، وأصله في مسلم برقم (١٧٨٨).

فلما أصبح رسول الله ﷺ والمسلون، وقد فتح الله عليهم، وأقر أعينهم بجلاء الأحزاب، قال رسول الله ﷺ: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ» أخرجه البخاري[1].

وقد وقع الأمركما قال ﷺ، فلم يغزوهم أحد بعد ذلك، وهذا علم من أعلام نبوته ﷺ.

ثم أذن الرسول ﷺ للناس في الانصراف إلى منازلهم، وهم يقولون: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ» متفق عليه[2].

وكان المسلمون قد أقاموا بالخندق محاصرين في شتاء بارد، وجوع شديد، وحصار طويل، فرجعوا إلى المدينة مجهودين ووضعوا السلاح.

وكان انصرافهم من الخندق يوم الأربعاء، لسبع ليال بقين من ذي القعدة، من السنة الخامسة للهجرة.

- **ظهور المعجزات :**

ظهرت في هذه الغزوة العظيمة آيات ومعجزات للرسول ﷺ منها:

الأولى : تكثير الطعام القليل :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِرَسُولِ الله ﷺ خمَصًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ لهَا: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ الله ﷺ خمَصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ لِي جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ، قَالَ: فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، فَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ.

قَالَ: فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا قَدْ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَتْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ فِي نَفَرٍ مَعَكَ، فَصَاحَ رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ: «يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ لَكُمْ سُورًا فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ»، وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَتَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ»، فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْدَمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ لِي، فَأَخْرَجْتُ لَهُ عَجِينَتَنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعِي خَابِزَةً

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤١٠٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤١١٤)، ومسلم برقم (٢٧٢٤).

فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا» وَهُمْ الفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَتَنَا لَتُخْبَزُ كَمَا هُو. متفق عليه[1].

الثانية : تحول الحجر إلى رمل :

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ، فقَالُوا : هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ ، فقَالَ : « أَنَا نَازِلٌ » ، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ . أخرجه البخاري[2].

الثالثة : البشارة بالفتوحات :

عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ، قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الخَنْدَقِ، لَا تَأْخُذُ فِيهَا المَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ عَوْفٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَخَذَ المِعْوَلَ فَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ» فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الحَجَرِ، وَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا».

ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ» وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الحَجَرِ فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ المَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا».

ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ» وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الحَجَرِ فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ اليَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» أخرجه أحمد[3].

وقد صدق رسول الله ﷺ فيما قال، ولم يمض على هذه الغزوة إلا ربع قرن، حتى فتحت هذه البلاد كلها وحُكمت بالإسلام: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١ ﴾ [الحج/ ٤٠-٤١] .

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤١٠٢)، ومسلم برقم (٢٠٣٩).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤١٠١) .
(٣) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (١٨٦٩٤).

٧- غزوة بني قريظة

كانت هذه الغزوة بعد غزوة الأحزاب مباشرة، في آخر ذي القعدة، وأول ذي الحجة، من السنة الخامسة للهجرة.

وسبب هذه الغزوة أن يهود بني قريظة نقضوا العهد مع المسلمين، بتحريض من حيي بن أخطب، سيد بني النضير، وتآمروا مع الأحزاب على حرب المسلمين.

ولأن هذا النقض، وهذا الغدر، وهذه الخيانة، جاءت في وقت عصيب، كان لابد من تأديب عاجل لبني قريظة على هذا الغدر المؤلم.

لهذا أمر الله رسوله ﷺ بقتالهم بعد عودته من الخندق، ووضعه السلاح، وامتثالا لأمر الله ﷻ أمر رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم أن يتوجهوا إلى بني قريظة، وتوكيدا لطلب السرعة أمرهم ألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ العَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لمَ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ. متفق عليه[1].

ففي اليوم الذي رجع فيه الرسول ﷺ من الخندق هو وأصحابه، ووضعوا السلاح، أتاه جبريل عليه السلام، في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه، يأمره بقتال بني قريظة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: لمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَالله مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ: «فَإِلَى أَيْنَ؟» قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ. أخرجه البخاري[2].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. أخرجه البخاري[3].

وخرج الرسول ﷺ وأصحابه إلى بني قريظة في ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم ستة وثلاثون فرساً،

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٩٤٦)، ومسلم برقم (١٧٧٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤١١٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤١١٨).

وضرب ﷺ الحصار على بني قريظة خمساً وعشرين ليلة، ورد الله حيي بن أخطب حتى جاء ودخل الحصن معهم.

وقذف الله في قلوبهم الرعب، واشتد عليهم الحصار، وضيق عليهم الخناق، حتى عظم عليهم البلاء، فرغبوا في الاستسلام، وقبول حكم الرسول ﷺ فيهم، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يتصلوا ببعض حلفائهم من الأوس، لعلهم يعرفون ماذا سيحل بهم إذا نزلوا على حكمه ﷺ.

فأرسلوا إلى النبي ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا، وكان حليفاً لهم، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم، فلما رأوه، قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرَقّ لهم، وقالوا له: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟

قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، يعني الذبح.

قال أبو لبابة: فو الله ما زلت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ﷺ، فقلت: والله لا أنظر في وجه رسول الله ﷺ حتى أحدث لله ﷻ توبة نصوحاً، يعلمها الله من نفسي.

ثم انطلق أبو لبابة إلى المسجد النبوي، فربط نفسه إلى سارية من سواري المسجد النبوي، وكانت من جذوع النخل، ولم يأت رسول الله ﷺ، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليَّ مما صنعت، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ ﴾ [الأنفال/ ٢٧].

فلما علم رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه، قال: « أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه».

وأقام أبو لبابة رضي الله عنه مربوطاً بالجذع ست ليال أو أكثر، تأتيه امرأته وقت كل صلاة فتحله للصلاة، ثم يعود فيربط بالجذع، حتى نزلت توبته من الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢ ﴾ [التوبة/ ١٠٢].

- **نزول بني قريظة على حكم رسول الله ﷺ:**

لما اشتد الحصار على بني قريظة أذعنوا ورضوا أن ينزلوا على حكم الرسول ﷺ، بالرغم مما أخبرهم به أبو لبابة أنه الذبح، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وبلغ أشده

عندما اقترب علي بن أبي طالب ﷺ من حصنهم وصاح: يا كتيبة الإيمان، ثم تقدم هو والزبير بن العوام رضي الله عنهما وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة، أو لأقتحمن حصنهم ، فأذعنوا حينئذ، ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ.

فتواثبت الأوس إلى رسول الله ﷺ يلتمسون منه الإحسان إلى حلفائهم بني قريظة، كما أحسن إلى يهود بني قينقاع حلفاء الخزرج، الذين شفع فيهم عبد الله بن أبي بن سلول.

فقال ﷺ للأوس: « ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم »؟ قالوا: بلى.

قال: (فذاك إلى سعد بن معاذ)، قالوا: قد رضينا.

عن أبي سعيد ﷺ قال : نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ المَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، أَوْ خَيْرِكُمْ». فَقَالَ: «هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ». فَقَالَ: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَتَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ، قَالَ: «قَضَيْتَ بِحُكْمِ الله» وَرُبَّمَا قَالَ: «بِحُكْمِ المَلِكِ» متفق عليه[1].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ، وَقُرَيْظَةَ، حَارَبُوا رَسُولَ الله ﷺ، فَأَجْلَى رَسُولُ الله ﷺ بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ لحِقُوا بِرَسُولِ الله ﷺ، فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا.

وَأَجْلَى رَسُولُ الله ﷺ يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ، بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَهُمْ قَوْمُ عَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِيٍّ كَانَ بِالمَدِينَةِ. متفق عليه[2].

- **تنفيذ الحكم في بني قريظة :**

بعد أن حكم سعد بن معاذ ﷺ على بني قريظة أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتقسم أموالهم، أمر رسول الله ﷺ بالأسرى، فجمعوا في دار رملة بنت الحارث، ودار أسامة بن زيد.

ثم أمر رسول الله ﷺ أن تحفر لهم الخنادق في سوق المدينة، ثم بعث إليهم فجيء بهم أرسالاً، فتضرب أعناقهم الواحد تلو الآخر، ثم يلقون في تلك الخنادق، وكانوا قريباً من أربعمائة رجل.

وكان من جملة من قتل مع بني قريظة حيي بن أخطب، فدخل مع بني قريظة في حصنهم،

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤١٢١) ، ومسلم برقم (١٧٧٠).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠٢٨)، ومسلم برقم (١٧٦٦).

بعد أن رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه.
فلما أتي به قال له رسول الله ﷺ: « هل أخزاك الله؟ » فقال حيي: لقد ظهرت عليّ، أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكن من يَخذل الله يُخذل.
ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه، ورمي في الخندق.
ولم يقتل من نساء بني قريظة إلا واحدة، وهي التي طرحت على رأس سويد بن الصامت رحىً فقتلته.
وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت من الأسارى، وترك من لم ينبت، فكان عطية القرظي ممن لم ينبت، فخلي سبيله، وألحق بالسبي.
وكان عمرو بن سعدي القرظي لم يدخل مع قريظة في غدرهم بالرسول ﷺ، فخرج حتى بات بمسجد رسول الله ﷺ بالمدينة في تلك الليلة، ثم ذهب فلم يعلم أين توجه من الأرض إلى يومنا هذا، فذُكر لرسول الله ﷺ شأنه فقال: « ذاك رجل نجاه الله بوفائه».

- **تقسيم غنائم قريظة :**

ثم أمر الرسول ﷺ بتوزيع غنائم بني قريظة، وقد أمر أن يجمع ما وجد في حصونهم من الأموال، فوجد في حصونهم ألف وخمسمائة سيف، وثلاثمائة درع، وألف وخمسمائة ترس، ووجدوا جمالا نواضح، وماشية كثيرة.
فأخرج ﷺ الخمس، ثم قسم الباقي على القائمين، وكانت قريظة أشد اليهود عداوة لرسول الله ﷺ، وأغلظهم كفراً، فأحل الله بهم من البأس الشديد، مع ما أعد الله لهم يوم القيامة من العذاب الأليم، وذلك لكفرهم، ونقضهم العهد، وموالاتهم الأحزاب على المسلمين، فباؤا بغضب من الله ورسوله ﷺ، والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة:
﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢٥-٢٧] .
واستشهد من المسلمين في غزوة بني قريظة رجلان:
وهم خلاد بن سويد، الذي طرحت عليه اليهودية الرحى فمات، والآخر أبو سنان بن محصن،

مات ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة.
واصطفى رسول الله ﷺ من نسائهم (ريحانة بنت زيد القرظي)، ولما وقعت في السبي خيرها رسول الله ﷺ، فاختارت الإسلام، وقد توفي عنها ﷺ وهي في ملك يمينه، وكان ذلك باختيارها.
وبعد هزيمة بني قريظة ذلت يهود، وضعفت حركة النفاق في المدينة، وطأطأ المنافقون رؤوسهم، وجبنوا عن كثير مما كانوا يأتون، وتبع هذا وذاك أن المشركين لم يعودوا يفكرون في غزو المسلمين، بل أصبح المسلمون هم الذين يغزونهم.
وبالقضاء على يهود بني قريظة تخلص المسلمون من آخر شوكة في ظهورهم، وأصبحت المدينة كلها ما عدا المنافقين على قلب رجل واحد، موئل الإسلام، وحصنه الحصين، ودرعه المتين.

- **وفاة سعد بن معاذ ﷛ سيد الأوس :**

لما حكم سعد بن معاذ ﷛ في بني قريظة بالقتل والسبي، وأقر الله عينه، وشفى صدره منهم، انفجر جرحه ﷛ فمات، وقبل وفاته دخل عليه الرسول ﷺ، وهو يكيد بنفسه ﷛، فقال له: « جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد صدقت الله ما وعدته، والله صادقك ما وعدك».
وكان سعد ﷛ قد دعا الله ﷻ أن لا يميته حتى تقر عينه من بني قريظة، فقال: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ. أخرجه أحمد[1].
ولما مات ﷛ نزل جبريل عليه السلام، فأخبر الرسول ﷺ بما حصل عند وفاته.
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ، فقال: من هذا العبد الصالح الذي مات، فتحت له أبواب السماء، وتحرك له العرش؟ قال: فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ ﷛.[2].
ولما دخل عليه ﷺ جعل رأس سعد بن معاذ في حجره، وقال: «اللَّهم إن سعداً قد جاهدَ في سبيلِك، وصدَّق رسُلَك ، وقضَى الذي عليه، فاقبَل روحَه بخيرِ ما تقَبَّلتَ به الأرواح» أخرجه أحمد في فضائل الصحابة[3].
وقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ﷛.

---

(١) **حسن/** أخرجه أحمد برقم (٢٥٠٩٧).
(٢) **صحيح/** أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار برقم (٤١٧٣).
(٣) **صحيح/** أخرجه أحمد في فضائل الصحابة برقم (١٤٩٩).

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» متفق عليه[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ العَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ الفًا مِنْ المَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ» أخرجه النسائي في الكبرى[2].

وقد حزن المسلمون لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه حزناً شديداً.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان أحدٌ أشدَّ فقداً على المسلمين بعد رسول الله ﷺ وصاحبيه أو أحدهما من سعد. أخرجه أحمد في فضائل الصحابة[3].

وعاش سعد رضي الله عنه سبعاً وثلاثين سنة، وتوفي بعد انصراف الأحزاب بخمس وعشرين ليلة، بعد حياة حافلة بالخير والعطاء والفداء، ودفن في المدينة.

عن البَرَاءَ رضي الله عنه قال: أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَمَسُّونهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟ لمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ خَيْرٌ مِنْهَا، أَوْ الَيَن» متفق عليه[4].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٠٣)، ومسلم برقم (٢٤٦٦).
(٢) **صحيح**/ أخرجه النسائي في الكبرى برقم (٢١٩٣).
(٣) **حسن**/ أخرجه أحمد في فضائل الصحابة برقم (١٤٩٣).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٠٢)، ومسلم برقم (٢٤٦٨).

٨- قدوم وفد أشجع

في نهاية السنة الخامسة للهجرة قدم على رسول الله ﷺ وفد من أشجع، وكانوا مائة، على رأسهم مسعود بن رُخيلة، فنزلوا شعب سلع.

فخرج إليهم رسول الله ﷺ، وأمر لهم بأحمال التمر، فقالوا: يا محمد، قد ضقنا بحربك، وحرب قومك، فجئنا نوادعك، فوادعهم رسول الله ﷺ، وكتب لهم بذلك كتاباً، ثم إنهم أسلموا بعد ذلك، وبايعوا رسول الله ﷺ.

عن عَوْف بْن مَالِكٍ الأَشْجَعِيّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ الله، ثُمَّ قَالَ: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ الله، ثُمَّ قَالَ: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ الله، فَعَلامَ نُبَايِعُكَ؟.

قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، وَتُطِيعُوا - وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاه. أخرجه مسلم[1].



(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٤٣).

البـــاب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة السادسة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة السادسة من الهجرة وتشتمل على ما يلي :

١- سرية محمد بن مسلمة إلى القُرطاء

٢- غزوة بني لحيان

٣- سرية عكاشة بن محصن إلى الغَمر

٤- سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصبة

٥- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة

٦- سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم

٧- سرية زيد بن حارثة إلى العيص

٨- سرية زيد بن حارثة إلى الطرف

٩- سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

١٠- سرية علي بن أبي طالب إلى فدك

١١- سرية عبد الله بن عتيك لقتل سلام بن أبي الحقيق

١٢- سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام

١٣- سرية الخبط

١٤- سرية كرز بن جابر الفهري

١٥- صلح الحديبية

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة السادسة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة السادسة من الهجرة

١ - سرية محمد بن مسلمة إلى القُرَطاء

في شهر محرم، من السنة السادسة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة رضي الله عنه في ثلاثين راكبا إلى القُرَطاء، وهم بطن من بني بكر.

فخرج إليهم في العاشر من المحرم، فسار بالليل، وكمن في النهار، فلما أغار عليهم هرب سائرهم بعد أن قتل نفراً منهم، واستاق نعما وشاء، ولم يعرض للنساء، ثم رجع إلى المدينة، فقدمها لليلة بقيت من محرم.

فخمس ﷺ ما جاء به، وقسم ما بقي على أصحاب السرية، وكانت الإبل مائة وخمسين بعيرا، والغنم ثلاثة آلاف شاة.

وسبب هذه السرية أن الرسول ﷺ لما فرغ من الأحزاب وقريظة، وكسرت شوكة قريش، وهدأ وضع المدينة، أخذ رسول الله ﷺ يوجه حملات تأديبية إلى الأعراب والقبائل الذين كان يبلغه عنهم عزمهم على الإغارة على المدينة.

٢- غزوة بني لحيان

كانت هذه الغزوة في ربيع الأول، أو جمادى الأولى، من السنة السادسة للهجرة.
وبنو لحيان هم الذين غدروا بأصحاب الرجيع، خبيب بن عدي وأصحابه.
ولما كانت ديارهم متوغلة في بلاد الحجاز إلى حدود مكة، ولوجود ثارات بين المسلمين من جهة، وقريش والأعراب من جهة أخرى، فقد رأى رسول الله ﷺ ألا يتوغل في البلاد القريبة من العدو الأكبر قريش.
فلما خذل الله الأحزاب، وانكسرت شوكة قريش، رأى ﷺ أن الوقت قد حان لغزو بني لحيان، وأخذ الثأر لأصحاب الرجيع.
فخرج ﷺ إلى بني لحيان يطالب بدماء أصحابه، في مائتين من الصحابة، ومعهم عشرون فرساً، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وأظهر الرسول ﷺ أنه يريد الشام، ليصيب بني لحيان غرة، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى وادي غُران، وادٍ قريب من الحديبية، بين مكة والمدينة، وهي منازل بني لحيان، وفيها كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم.
ولما سمعت به بنو لحيان هربوا واحتموا في رؤوس الجبال، فلم يقدر المسلمون على أحد منهم.
فأقام رسول الله ﷺ بأرضهم يوماً أو يومين، وبعث السرايا في كل ناحية، فلم يقدروا على أحد، ثم سار رسول الله ﷺ بأصحابه رضي الله عنهم إلى عسفان، لتسمع به قريش، فيداخلهم الرعب، وليريهم من نفسه قوة.
فبعث ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه في عشرة فوارس إلى كراع الغميم قرب مكة، ثم رجع أبو بكر رضي الله عنه ولم يلق أحداً.

٣- سرية عكاشة بن محصن إلى الغَمْر

في شهر ربيع الأول، من السنة السادسة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن الأسدي رضي الله عنه إلى الغمر، وهو ماء لبني أسد، قرب فيد، ومعه أربعون رجلا، فخرج إليهم مسرعاً.

فلما علم به القوم هربوا، فنزل على بلادهم فوجدها خُلوفاً بلا رجال، فبعث شجاع بن وهب الأسدي طليعة، فرأى أثر الغنم فقصدها المسلمون، وأغاروا عليها، وغنموا ما ئتي بعير، ثم رجعوا إلى المدينة ولم يلقوا كيدا.

٤- سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة

في شهر ربيع الآخر، من السنة السادسة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة رضي الله عنه ، ومعه عشرة نفر إلى بني ثعلبة من غطفان، وهم بذي القصة، موضع قريب من المدينة جهة الربذة، فوردوا عليهم ليلا، فأحدق بهم بنو ثعلبة، وهم مائة رجل، فتراموا ساعة من الليل.

ثم حملت عليهم الأعراب بالرماح فقتلوا المسلمين جميعا، ووقع محمد بن مسلمة رضي الله عنه جريحا، فضُرب كعبه فلم يتحرك، ثم جردوهم من الثياب، ومر بمحمد بن مسلمة رجل من المسلمين فحمله حتى رجع به إلى المدينة.

٥- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة

في شهر بيع الآخر، سنة ست من الهجرة، أرسل رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى ذي القصة، على أثر مقتل أصحاب محمد بن مسلمة رضي الله عنه ، في أربعين رجلا من المسلمين حين صلوا المغرب.

فسار إليهم المسلمون مشاة، حتى وافوا ذي القصة مع عماية الصبح، فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هربا في الجبال.

وأصاب المسلمون منهم رجلا فأسلم فتركوه، وغنموا نَعَماً من نَعَمهم، فاستاقوه، ورَثَّة من متاعهم، وقدموا بذلك المدينة، فخَمَّسه رسول الله ﷺ، وقسم ما بقي عليهم.

٦- سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم

في شهر ربيع الآخر، من السنة السادسة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى بني سليم، فسار حتى ورد الجموم، ناحية بطن نحل عن يسارها، فأصابوا عليه امرأة من مزينة يقال لها: حليمة، فدلتهم هذه المرأة على محل من محال بني سليم، فأصابوا في تلك المحلة نَعَماً وشاء وأسرى، فكان فيهم زوج حليمة.

فلما قفل زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى المدينة وهب رسول الله ﷺ للمزنية نفسها وزوجها.

٧- سرية زيد بن حارثة إلى العيص

العيص بينها وبين المدينة أربع ليال جهة الشام.

وكانت هذه السرية في شهر جمادى الأولى، من السنة السادسة للهجرة.

حيث بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه في مائة وسبعين راكباً إلى العيص، لاعتراض عير لقريش قادمة من الشام، بقيادة أبي العاص بن الربيع، فأدركوها وأخذوها بما فيها.

وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا ناساً ممن كانوا في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، وقدموا بهم إلى المدينة.

وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين تجارة ومالا وأمانة، وهو زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، وأمه هالة بنت خويلد، أخت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

فأتى أبو العاص زينب رضي الله عنها في الليل، وكانت زينب قد هاجرت قبله، وتركته على شركه، فاستجار بها فأجارته.

وطلب أبو العاص من زينب أن تطلب من رسول الله ﷺ رد أموال العير عليه.

فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح فكبر وكبر الناس صرخت زينب رضي الله عنها من صُفّة النساء : أيها الناس، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع.

فلما سلم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس، فقال: أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟، قالوا: نعم، قال: « أما والذي نفس محمد بيده، ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم ».

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف فدخل على ابنته زينب، فقالت له: إن أبا العاص بن الربيع إن قرب فابن عم، وإن بعد فأبو ولد، وإني قد أجرته، فأجاز رسول الله ﷺ جوارها، وسألته أن يرد عليه ما أخذ منه فقبل ﷺ.

ثم بعث رسول الله ﷺ إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: « إن هذا الرجل منا حيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به ».

فقالوا: يا رسول الله بل نرده عليه، فردوه عليه كله، لا يفقد منه شيئا.

ثم رجع أبو العاص بن الربيع إلى مكة، فأدى الأموال التي معه إلى أهلها، ثم قال: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم مال عندي لم يأخذه؟ قالوا: لا ، فجزاك الله خيرا، فقد وجدناك وفياً كريماً.

فقال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم، وفرغت منها، أسلمت.

ثم خرج رضي الله عنه إلى النبي ﷺ مهاجراً في المحرم، سنة سبع من الهجرة، فرد عليه النبي ﷺ ابنته زينب رضي الله عنها على النكاح الأول، ولم يحدث شهادة ولا صداقا، لأن آية تحريم المسلمات على الكفار لم تنزل بعد.

عن ابن عباس رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَدَّ ابْنَتَهُ زَيْنَبَ عَلَى أَبِي العَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ إِسْلامُهَا قَبْلَ إِسْلامِهِ بِسِتِّ سِنِينَ عَلَى النِّكَاحِ الأَوَّلِ، وَلَمْ يُحْدِثْ شَهَادَةً وَلا صَدَاقًا. أخرجه أحمد[1].

وكان أبو العاص بن الربيع قد أسر ببدر، فأرسلت زينب رضي الله عنها فداءه من مكة، وهي قلادة أمها خديجة، فرق لها رسول الله رقة شديدة ، فأطلق لها أسيرها بغير فداء، وشرط عليه الرسول ﷺ أن يرسل له زينب، فوفى له بذلك، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً.

عن المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، قَالَ: إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ فَأَتَتْ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لاَ تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ، يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، أَنْكَحْتُ أَبَا العَاصِ بْنَ

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٦٦).

الرَّبِيعِ، فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، والله لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ الله عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ» فَتَرَكَ عَلِيٌّ الخِطْبَةَ. متفق عليه(١).

وقد ولد لأبي العاص بن الربيع من زينب رضي الله عنها علي وأمامة، فأما علي فقد مات حين ناهز الاحتلام في حياة النبي ﷺ.

وأما أمامة رضي الله عنها فهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها أحياناً أثناء الصلاة، وكان يحبها حباً شديدا.

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ، وَلِأَبِي العَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا. متفق عليه(٢).

وعاشت أمامة رضي الله عنها، ومرضت في حياة أبيها ﷺ حتى كادت أن تموت، لكن الله تعالى عافاها.

عن أسامة ﷺ قال: أَرْسَلَت ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ، فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ لله مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ - قَالَ: حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَنٌّ - فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.

فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ الله ، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: « هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا الله فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ الله مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» متفق عليه(٣).

وعاشت أمامة رضي الله عنها حتى تزوجها علي بن أبي طالب ﷺ بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، ثم عاشت عند علي حتى قتل عنها ﷺ.

وأما زينب رضي الله عنها فتوفيت أوائل السنة الثامنة للهجرة.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٧٢٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٤٤٩).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥١٦)، ومسلم برقم (٥٤٣).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٨٤)، ومسلم برقم (٩٢٣).

٨- سرية زيد بن حارثة إلى الطرف

الطرف: ماء يبعد عن المدينة ستة وثلاثين ميلاً.

في جمادى الآخرة، من السنة السادسة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى الطرف، في خمسة عشر رجلاً، فخرج بهم رضي الله عنه إلى بني ثعلبة، فهربت عنهم الأعراب، وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ سار إليهم، وأن هؤلاء مقدمة لهم .

فأصاب من نَعَمهم عشرين بعيراً، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وغاب أربع ليال.

٩- سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

دومة الجندل: موضع على أطراف الشام.

في شهر شعبان، من السنة السادسة للهجرة، دعا رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فقال له: « تجهز، فإني باعثك في سرية من يومك هذا أو من الغد إن شاء الله تعالى » .

فلما أصبح عبد الرحمن غدا إلى رسول الله ﷺ فأقعده بين يديه، وعممه بيده، ثم عقد له اللواء بيده، أو أمر بلالا يدفعه إليه، ثم قال له: « خذه بسم الله وبركته»، ثم حمد الله تعالى، ثم قال ﷺ: « اغز بسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، ولا تغل ولا تغدر، ولا تقتل وليدا» ، ثم أمره رسول الله ﷺ أن يسير إلى كلب بدومة الجندل فيدعوهم إلى الإسلام.

وقال له: « إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم» ، فسار عبد الرحمن رضي الله عنه بأصحابه، وكانوا سبعمائة رجل، حتى قدم دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فلما كان اليوم الثالث أسلم ملكهم الأصبع بن عمرو الكلبي، وكان نصرانيا، وأسلم معه ناس كثير من قومه.

فبعث عبد الرحمن رضي الله عنه رافع بن مكيث بشيراً إلى النبي ﷺ يخبره بما فتح الله عليه، وكتب له بذلك.

وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبع، وقدم بها إلى المدينة، فولدت له أبا سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنهما.

١٠- سرية علي بن أبي طالب ﵁ إلى فدك

فدك: قرية شمال المدينة، بينها وبين المدينة يومان.

بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﵁ في مائة رجل إلى بني سعد بن بكر في فدك، وذلك في شهر شعبان، من السنة السادسة للهجرة.

وقد بعث رسول الله ﷺ هذه السرية عندما بلغه أن بني سعد بن بكر قد اجتمعوا يريدون أن يُمدوا يهود خيبر.

فسار ﵁ في الليل، وكمن في النهار، حتى انتهى إلى الهمج، وهو ماء وعيون من جهة وادي القرى، فأصابوا عيناً لهم، فسألوه، وشدوا عليه فأقر أنه عين لبني سعد، وأنهم بعثوه إلى خيبر، ليعرض على يهودها نصرهم، على أن يجعلوا لهم من ثمرها نصيباً.

فقالوا له: فأين القوم؟قال: تركتهم وقد اجتمع منهم مئتا رجل، ورأسهم وبر بن عليم.قالوا: فسر بنا حتى تدلنا، قال: على أن تؤمنوني، فأمنوه، فدلهم، فأغاروا عليهم، وغنم المسلمون منهم خمسمائة بعير، وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن.

ثم أخرج علي ﵁ الخمس، وقسم سائر الغنائم على أصحابه رضي الله عنهم، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً.

١١- سرية عبد الله بن عتيك لقتل سلام بن أبي الحقيق

كانت هذه السرية التي بعثها رسول الله ﷺ إلى خيبر لقتل سلام بن أبي الحقيق، في شهر رمضان، من السنة السادسة للهجرة.

وكان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ممن ألَّب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وأعانهم بالمؤنة والمال الكثير، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ.

فلما انقضى شأن الأحزاب، وأمْر بني قريظة، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق، ورغبت في ذلك مساواة للأوس في قتل كعب بن الأشرف، فأذن لهم، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة.

فخرج ستة رجال من الخزرج لقتل سلام بن أبي الحقيق، وهم.

عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن عتبة، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، وخزاعي بن أسود، رضي الله عنهم أجمعين.

وقد أَمَّر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك رضي الله عنه، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا حصن أبي رافع، فقتله الله على يد عبد الله بن عتيك رضي الله عنه.

عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ اليَهُودِيِّ رِجَالًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الله بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ الله ﷺ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ، وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ الله لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ، وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ، لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ البَابِ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ.

فَهَتَفَ بِهِ البَوَّابُ، يَا عَبْدَ الله: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ البَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ البَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا، فَفَتَحْتُ البَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنِ القَوْمُ نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ، لاَ أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ البَيْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ، فَخَرَجْتُ مِنَ البَيْتِ، فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ: لِأُمِّكَ الوَيْلُ، إِنَّ رَجُلًا فِي البَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الأَبْوَابَ بَابًا بَابًا، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي، وَأَنَا أُرَى أَنِّي قَدِ انْتَهَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى البَابِ، فَقُلْتُ: لاَ أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ: أَقَتَلْتُهُ؟ فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ، فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَقُلْتُ: النَّجَاءَ، فَقَدْ قَتَلَ الله أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «ابْسُطْ رِجْلَكَ» فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ. أخرجه البخاري[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠٣٩).

١٢- سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام

كانت هذه السرية في شوال، سنة ست من الهجرة.

وكان سبب هذه السرية أنه لما قُتل سلام بن أبي الحقيق في خيبر، أمَّرت يهود خيبر عليهم يسير بن رزام اليهودي، فسار هذا الرجل إلى غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فبعث إليه عبد الله بن رواحة، في ثلاثين رجلاً، فيهم عبد الله بن أنيس، وأَمَّر عليهم عبد الله بن رواحة ﵁.

فخرجوا إلى خيبر، ولما دخلوا على يسير بن رزام، قالوا له: نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له، قال: نعم، ولي منكم مثل ذلك، فقالوا: نعم.

قالوا: إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه، فيستعملك على خيبر، ويحسن إليك، فطمع في ذلك وخرج، وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود، كل واحد منهم رديف لواحد من المسلمين، وكان يسير بن رزان رديف عبد الله بن أنيس على بعيره.

فساروا إلى المدينة، حتى إذا كانوا بقرقرة ثبار، على ستة أميال من خيبر، ندم يسير على مسيره إلى رسول الله ﷺ، فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أنيس، ففطن له عبد الله، فدفع بعيره، وقال له: غدراً أي عدو الله، فضربه بالسيف، فقطع عامة فخذه وساقه، وسقط يسير عن بعيره، وضرب عبدَ الله فجرحه في رأسه.

ومال كل رجل من أصحاب الرسول ﷺ على صاحبه فقتله إلا رجلا واحداً أفلت على رجليه، قد أعجزهم شدا، ولم يُقتل من المسلمين أحد، ثم أجهزوا على يسير بن رزام فقتلوه، ثم رجعوا إلى المدينة، ولما أقبلوا على رسول الله ﷺ، قال لهم: « قد نَجَّاكم اللهُ من القَومِ الظالِمِيْن ».

ودعا رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس، فتفل على شجته، فلم تقح ولم تؤذه.

١٣- سرية الخَبَط

كانت هذه السرية قبل صلح الحديبية، سنة ست من الهجرة.

حيث بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار، فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ليرصدوا عيراً لقريش مما يلي ساحل البحر، وقد زودهم رسول الله ﷺ جراباً من تمر، لم يجد لهم غيره، حتى إذا كانوا ببعض الطريق فني زادهم، فأمر أبوعبيدة بأزواد الجيش فجُمع فكان مزودي تمر، فكان يقوتهم كل يوم قليلا قليلا حتى فني، فكان يعطي كل رجل منهم تمرة واحدة، فكانوا يمصونها كما يمص الصبي، ثم يشربون عليها الماء، فكانت تكفيهم يومهم إلى الليل.

فلما فنيت تلك التمرات التي كانت معهم، وهو زادهم الوحيد، لجؤا إلى أكل الخبط - وهو ورق السمر - فكانوا يضربون الخبط بعصيهم، ثم يبلونه بالماء، فيأكلونه حتى تقرحت أشداقهم، ثم بعث الله لهم عنبراً وجدوه على ساحل البحر.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ ثَلاثَ مِائَةِ رَاكِبٍ أَمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ نَرْصُدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، فَأَقَمْنَا بِالسَّاحِلِ نِصْفَ شَهْرٍ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى أَكَلْنَا الخَبَطَ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الجَيْشُ جَيْشَ الخَبَطِ، فَالقَى لَنَا البَحْرُ دَابَّةً يُقَالُ لهَا العَنْبَرُ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ، وَادَّهَنَّا مِنْ وَدَكِهِ حَتَّى ثَابَتْ إِلَيْنَا أَجْسَامُنَا، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلاَعِهِ، فَنَصَبَهُ فَعَمَدَ إِلَى أَطْوَلِ رَجُلٍ مَعَهُ، قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً ضِلَعًا مِنْ أَضْلاَعِهِ فَنَصَبَهُ وَأَخَذَ رَجُلًا وَبَعِيرًا فَمَرَّ تَحْتَهُ.

قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ نَحَرَ ثَلاَثَ جَزَائِرَ، ثُمَّ نَحَرَ ثَلاَثَ جَزَائِرَ ثُمَّ نَحَرَ ثَلاَثَ جَزَائِرَ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ نَهَاهُ، وَكَانَ عَمْرٌو يَقُولُ: أَخْبَرَنَا أَبُو صَالِحٍ، أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ قَالَ لِأَبِيهِ: كُنْتُ فِي الجَيْشِ فَجَاعُوا، قَالَ انْحَرْ، قَالَ: نَحَرْتُ، قَالَ: ثُمَّ جَاعُوا، قَالَ: انْحَرْ، قَالَ: نَحَرْتُ، قَالَ: ثُمَّ جَاعُوا، قَالَ انْحَرْ قَالَ: نَحَرْتُ، ثُمَّ جَاعُوا، قَالَ: انْحَرْ، قَالَ: نُهِيتُ. متفق عليه[1].

ثم انصرف أهل السرية إلى المدينة، فلما أتوا رسول الله ﷺ، ذكروا ذلك له.

فقال ﷺ: « كُلُوا، رِزْقًا أَخْرَجَهُ اللهُ، أَطْعِمُونَا إِنْ كَانَ مَعَكُمْ » فَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ فَأَكَلَهُ. متفق عليه[2].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٦١)، ومسلم برقم (١٩٣٥).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٦٢)، ومسلم برقم (١٩٣٥).

١٤- سرية كرز بن جابر الفهري

في شهر شوال، من السنة السادسة للهجرة، قدم ثمانية نفر من عكل وعرينة المدينة على رسول الله ﷺ، فأظهروا الإسلام، وبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، فاجتووا المدينة، وسقمت أجسادهم، فعظمت بطونهم، وهزلت أبدانهم.

فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف، فرخص لهم رسول الله ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة، فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فصحوا، وغدروا، وقتلوا الرعاة بعد أن سملوا أعينهم.

ولما فعل العرنيون ما فعلوا، وجاء خبرهم إلى رسول الله ﷺ، بعث في آثارهم عشرين فارسا، بقيادة كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه، وأرسل معهم قائفاً.

ثم دعا رسول الله ﷺ على العرنين، فقال: «اللهم اعم عليهم الطريق، واجعله عليهم أضيق من مسك جمل».

فعمى الله عليهم السبيل، فما ارتفع النهار حتى أدركوهم، فأحاطوا بهم، وأسروهم، وقدموا بهم إلى المدينة على النبي ﷺ.

فأمر بهم ﷺ، فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسملت أعينهم، وأُلقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَهْطًا مِنْ عُكْلٍ ثَمَانِيَةً، قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَاجْتَوَوْا المَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، ابْغِنَا رِسْلًا، قَالَ: «مَا أَجِدُ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَلْحَقُوا بِالذَّوْدِ»، فَانْطَلَقُوا، فَشَرِبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَالبَانِهَا، حَتَّى صَحُّوا وَسَمِنُوا، وَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ، فَأَتَى الصَّرِيخُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَبَعَثَ الطَّلَبَ، فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ حَتَّى أُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، ثُمَّ أَمَرَ بِمَسَامِيرَ فَأُحْمِيَتْ فَكَحَلَهُمْ بِهَا، وَطَرَحَهُمْ بِالحَرَّةِ، يَسْتَسْقُونَ فَمَا يُسْقَوْنَ، حَتَّى مَاتُوا. متفق عليه[1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ المَدِينَةَ، فَاجْتَوَوْهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَتَشْرَبُوا مِنْ البَانِهَا وَأَبْوَالِهَا»، فَفَعَلُوا، فَصَحُّوا، ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرِّعَاءِ» أخرجه مسلم[2].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٠١٨)، ومسلم برقم (١٦٧١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٦٧١).

ونزل على رسول الله ﷺ في هؤلاء العرنين قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة/ ٣٣] .

إن هذه السرايا والغزوات بعد غزوة الأحزاب وقريظة لم يحصل في واحدة منها قتال مرير، وإنما كانت دوريات استطلاعية لإرهاب الأعراب والأعداء الذين لم يستكينوا بعد.

وبعد غزوة الأحزاب وقريظة انكسرت شوكة اليهود، والمشركين، فلم يعد لهم أمل في مواجهة المسلمين حربياً، وظهر ذلك جليا في عقد صلح الحديبية، فإن هذا الصلح اعتراف بقوة الإسلام، والموافقة على بقائه في الجزيرة العربية: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

وفي بدر وأحد والأحزاب كان الهجوم من الكفار على المسلمين، وهذه مرحلة للقضاء على الإسلام.

ثم بدأت مرحلة جديدة هي هجوم المسلمين على الكفار في عقر دارهم، بدءاً بالدوريات الاستطلاعية، ثم الصلح والهدنة، كما في صلح الحديبية، ثم بالهجوم المسلح لمن بارز بالعداوة كما في خيبر، وفتح مكة وحنين وتبوك.

وتمت كلمة ربك في نصر أوليائه، وخذلان أعدائه: ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ١١٥] .

١٥- صلح الحديبية

الحديبية : اسم بئر يقع على بعد اثنين وعشرين كيلاً شمال غرب مكة، وتُعرف اليوم الحديبية باسم الشميسي.

ففي أول شهر ذي القعدة، من السنة السادسة للهجرة، أخبر الرسول ﷺ أصحابه أنه يريد العمرة، وأنه رأى في منامه ﷺ أنه دخل البيت هو وأصحابه آمنين، محلقين رؤسهم ومقصرين، كما قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح/ ٢٧].

ولما سمع الصحابة رضي الله عنهم بذلك بادروا وتهيؤا للخروج معه ﷺ، وفرحوا واستبشروا.

وكان ﷺ يخشى أن تعرض له قريش بحرب، أو يصدوه عن البيت الحرام، لذلك استنفر العرب المسلمين، ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب، ليخرجوا معه، فأبطأ عليه كثير من الأعراب.

وقد كشف الله ﷻ حقيقة هذا التوجس والخوف الذي في قلوب أولئك الأعراب بقوله سبحانه: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح/ ١١-١٢].

ولما أبطأ عليه ﷺ أولئك الأعراب، خرج ﷺ من المدينة متوجهاً إلى مكة لأداء العمرة، يوم الاثنين، هلال ذي القعدة، من السنة السادسة للهجرة، وخرج معه ﷺ ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار، ومن لحق بهم من الأعراب، وخرجت معه زوجه أم سلمة رضي الله عنها، ولم يأخذ معه من السلاح إلا سلاح الراكب، وهي السيوف في القرب.

وساق معه ﷺ سبعين بدنة، فيها جمل لأبي جهل أخزاه الله، في أنفه برة من فضة، ليغيظ بذلك المشركين، وبعثها مع ناجية بن جندب الأسلمي رضي الله عنه.

فلما وصل ﷺ ومعه المسلمون ذا الحليفة، صلى بهم الظهر، ثم دعا بالهدي فقلده، ثم أشعره، وأحرم بالعمرة ولبى، ليأمن الناس من حربه، وليعلموا أنه إنما خرج زائراً للبيت معظماً له.

عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ﷺ وَمَرْوَانَ قَالاَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ مِنَ المَدِينَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِذِي الحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ النَّبِيُّ ﷺ الهَدْيَ، وَأَشْعَرَ وَأَحْرَمَ بِالعُمْرَةِ. أخرجه البخاري [1].

وبعث الرسول ﷺ بين يديه بسر بن سفيان الخزاعي الكلبي، وكان مشركاً، عيناً له إلى قريش ليأتيه بخبرهم، لأن المشرك أقرب إلى الاختلاط بالعدو وأخذ أخباره.

ولما وصل رسول الله ﷺ الروحاء، موضع بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلاً، جاءه خبر أن عدواً يريد أن يغزو المدينة، فوجه إليه أبا قتادة في نفر من الصحابة.

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ: انْطَلَقْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ، فَأَحْرَمَ أَصْحَابُهُ وَلَمْ أُحْرِمْ، فَأُنْبِئْنَا بِعَدُوٍّ بِغَيْقَةَ، فَتَوَجَّهْنَا نَحْوَهُمْ، فَبَصُرَ أَصْحَابِي بِحِمَارِ وَحْشٍ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَضْحَكُ إِلَى بَعْضٍ، فَنَظَرْتُ فَرَأَيْتُهُ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ الفَرَسَ فَطَعَنْتُهُ فَأَثْبَتُّهُ، فَاسْتَعَنْتُهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُعِينُونِي، فَأَكَلْنَا مِنْهُ، ثُمَّ لَحِقْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَخَشِينَا أَنْ نُقْتَطَعَ، أَرْفَعُ فَرَسِي شَأْوًا وَأَسِيرُ عَلَيْهِ شَأْوًا، فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ بَنِي غِفَارٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: أَيْنَ تَرَكْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ؟ فَقَالَ: تَرَكْتُهُ بِتَعْهِنَ، وَهُوَ قَائِلٌ السُّقْيَا.

فَلَحِقْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَصْحَابَكَ أَرْسَلُوا يَقْرَؤُنَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ وَرَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ، وَإِنَّهُمْ قَدْ خَشُوا أَنْ يَقْتَطِعَهُمُ العَدُوُّ دُونَكَ فَانْظُرْهُمْ، فَفَعَلَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا اصَّدْنَا حِمَارَ وَحْشٍ، وَإِنَّ عِنْدَنَا فَاضِلَةً؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: « كُلُوا » وَهُمْ مُحْرِمُونَ. متفق عليه[2].

ثم واصل رسول الله ﷺ سيره إلى مكة، حتى إذا كان قريباً من عُسفان وعسفان بينه وبين مكة ثمانون كيلاً.. أتاه عيينة، فقال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم أحياء انضموا إلى بعض، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، وما نعوك.

فقال رسول الله ﷺ: « يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ، لَقَدْ أَكَلَتْهُمُ الحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ النَّاسِ، فَإِنْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ وَهُمْ وَافِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا، قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ، فَمَاذَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ، وَاللهِ إِنِّي لَا أَزَالُ أُجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللهُ لَهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ لَهُ أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ» أخرجه أحمد[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٦٩٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٨٢٢)، ومسلم برقم (١١٩٦).

(٣) حسن/ أخرجه أحمد برقم (١٨٩١٠) .

فاستشار النبي ﷺ أصحابه في هذا الأمر الذي حدث.

عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مخرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ - يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ- قَالاَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا أَتَى ذَا الحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ الهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ، وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ البَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ المُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا البَيْتِ، لاَ تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلاَ حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: «امْضُوا عَلَى اسْمِ اللهِ» أخرجه البخاري[(١)].

- **نزول صفة صلاة الخوف:**

ولما وصل رسول الله ﷺ إلى عسفان، اقترب منه خالد بن الوليد، في مائتي فارس، فيهم عكرمة بن أبي جهل، وصفَّ خالد خيله بين المسلمين وبين القبلة، وهنا نزل الوحي بصفة صلاة الخوف.

عَنْ أَبِي عَيَّاشٍ الزُّرَقِيِّ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعُسْفَانَ، فَاسْتَقْبَلَنَا المُشْرِكُونَ عَلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، وَهُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ القِبْلَةِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ ، فَقَالُوا: قَدْ كَانُوا عَلَى حَالٍ لَوْ أَصَبْنَا غِرَّتَهُمْ.

ثُمَّ قَالُوا: تَأْتِي عَلَيْهِمُ الآنَ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، قَالَ: فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الآيَاتِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، قَالَ: فَحَضَرَتْ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخَذُوا السِّلَاحَ، قَالَ: فَصَفَفْنَا خَلْفَهُ صَفَّيْنِ.

قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ فَرَكَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ رَفَعَ فَرَفَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّفِّ الَّذِي يَلِيهِ، وَالآخَرُونَ قِيَامٌ يَحْرُسُونَهُمْ، فَلَمَّا سَجَدُوا وَقَامُوا جَلَسَ الآخَرُونَ فَسَجَدُوا فِي مَكَانِهِمْ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤١٧٨).

ثُمَّ تَقَدَّمَ هَؤُلَاءِ إِلَى مَصَافِّ هَؤُلَاءِ، وَجَاءَ هَؤُلَاءِ إِلَى مَصَافِّ هَؤُلَاءِ، قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ فَرَكَعُوا جَمِيعًا، ثُمَّ رَفَعَ فَرَفَعُوا جَمِيعًا، ثُمَّ سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ، وَالآخَرُونَ قِيَامٌ يَحْرُسُونَهُمْ، فَلَمَّا جَلَسَ جَلَسَ الآخَرُونَ، فَسَجَدُوا ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفَ. أخرجه أحمد وأبوداود(١).

فهذه أول صلاة خوف صلاها المسلمون في الحديبية، وهي صلاة تدل على يسر الإسلام، وسماحته، وصلاحيته لكل زمان ومكان، ثم جاءت صفات أخرى لصلاة الخوف كما سيأتي في غزوة ذات الرقاع إن شاء الله تعالى.

- **مواصلة السير إلى مكة:**

ثم إن النبي ﷺ تفادى المواجهة والاصطدام مع خيل المشركين، فقال لأصحابه: « من يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟».

فقال رجل من أسلم: أنا يا رسول الله، فسلك بهم طريقاً وعراً بين شعاب، فلما خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين، وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله ﷺ للناس: «قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه»، فقالوا ذلك، فقال ﷺ: «والله إنها للحطة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها، وهي: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾ [البقرة/ ٥٨].

ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين، فقال: « اسلكوا ذات اليمين»، في طريق تُخرجهم على ثنية المُرار، مهبط الحديبية من أسفل مكة، فسلك الجيش ذلك الطريق.

فلما رأت خيل قريش كثرة الجيش قد خالفوا عن طريقهم نكصوا راجعين إلى قريش.

وسار رسول الله ﷺ حتى إذا وصل إلى ثنية المرار قال لأصحابه: «مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ، ثَنِيَّةَ المُرَارِ، فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ».

قَالَ جابر: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنَا، خَيْلُ بَنِي الخَزْرَجِ، ثُمَّ تَتَامَّ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ، إِلَّا صَاحِبَ الجَمَلِ الأَحْمَرِ» فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَقَالَ: وَالله لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ، قَالَ وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ. أخرجه مسلم(٢).

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٦٥٨٠)، وأخرجه أبو داود برقم (١٢٣٦).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٨٠).

• **بروك ناقة الرسول ﷺ :**

في ثنية المرار التي يُهبط منها على قريش بالقرب من الحديبية بركت القصواء، ناقة الرسول ﷺ، فقال الناس: حَلْ، حَلْ، فألحت، فقال الصحابة رضي الله عنهم: خلأت القصواء.

فقال رسول الله ﷺ: « ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل ».

ثم جاءت الرسل من قريش وغيرها تسأل وتفاوض الرسول ﷺ في مجيئه، ثم تمت كتابة الصلح بين المسلمين وقريش، كما ورد ذلك في صحيح البخاري رحمه الله.

عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالاَ: «خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ بِالغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ» فَوَالله مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، خَلَأَتْ القَصْوَاءُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ الله إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا».

ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ المَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ العَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَالله مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ العُوذُ المَطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ،

فَإِنْ أَظْهَرْ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ الله أَمْرَهُ».

فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لاَ حَاجَةَ لَنَا أَنْ تخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، أَلَسْتُمْ بِالوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ، فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا: ائْتِهِ، فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فَإِنِّي وَالله لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ، قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ المِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ الله ﷺ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ المُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا الإِسْلاَمَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا المَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَالله مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ الله ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ

النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْم، وَالله لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَالله إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَالله إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَذَا فُلاَنٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ» فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ الله، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلاَءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ البُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَالله مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ المُسْلِمُونَ: وَالله لاَ نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله »، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَالله لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ الله مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ البَيْتِ، وَلاَ قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالله إِنِّي لَرَسُولُ الله، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله » - قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ الله إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا» - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَيْتِ» أخرجه البخاري[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٣١).

وعطش الناس يوم الحديبية، ولم يجدوا ماء للوضوء لصلاة العصر، فخرج لهم الماء من بين أصابعه ﷺ، فشربوا وتوضؤا.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَرَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا لَكُمْ؟» قَالُوا يَا رَسُولَ الله: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلاَ نَشْرَبُ، إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ، قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ العُيُونِ.

قَالَ: فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ الفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً. أخرجه البخاري[1].

● **بيعة الرضوان:**

أراد رسول الله ﷺ أن يؤكد لقريش هدفه من هذه الزيارة، وأنه جاء للعمرة، وأن يشهد على ذلك كل العرب قبل وصول سفراء قريش إليه، فبَعَثَ خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الخُزَاعِيَّ إِلَى مَكَّةَ، وَحمَلَهُ عَلَى جمَلٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ: الثَّعْلَبُ، فَلَمَّا دَخلَ مَكَّةَ عَقَرتْ بِهِ قُرَيْشٌ، وَأَرَادُوا قَتْلَ خِرَاشٍ، فَمَنَعَهُمُ الأَحَابِشُ، حَتَّى أَتَى رَسُولَ الله ﷺ، فَدَعَا عُمَرَ لِيَبْعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي، وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا، وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ هُوَ أَعَزُّ مِنِّي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ.

قَالَ: فَدَعَاهُ رَسُولُ الله ﷺ، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ، وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا البَيْتِ، مُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ، فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، وَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ، فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَحمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَرَدِفَ خَلْفَهُ، وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ الله ﷺ، فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ، فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالبَيْتِ، فَطُفْ بِهِ. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ. قَالَ: فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ وَالمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ. أخرجه أحمد[2].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤١٥٢).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٨٩١٠).

ثم إن قريشاً احتبست عثمان بن عفان ﵁ عندها، ولعلهم أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم في الأمر الذي دهمهم، ويروا أمرهم، ثم يردوا عثمان بجواب إلى الرسول ﷺ، ولما طال الاحتباس شاع بين المسلمين أن عثمان قد قتل.

فقال رسول الله ﷺ لما بلغته الإشاعة: «لا نبرح حتى نناجز القوم».

ثم دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، فتواثب الصحابة إلى الرسول ﷺ فبايعوه، وكان أول من بايع من الصحابة رضي الله عنهم، أبو سنان عبد الله بن وهب الأسدي، ثم تتابع الصحابة رضي الله عنهم يبايعون رسول الله ﷺ تحت الشجرة كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح/١٨].

ثم بايع رسول الله ﷺ عن عثمان بن عفان ﵁.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: لمَّا أُمِرَ رَسُولُ الله ﷺ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَسُولَ رَسُولِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ قَالَ: فَبَايَعَ النَّاسَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ الله، وَحَاجَةِ رَسُولِهِ» فَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى، فَكَانَتْ يَدُ رَسُولِ الله ﷺ لِعُثْمَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْدِيهِمْ لأَنْفُسِهِمْ. أخرجه الترمذي[1].

وقد بايع الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ بيعة الرضوان على أن لا يفروا من الموت، ولم يتخلف عن البيعة إلا الجد بن قيس، وكان منافقاً وكان له جمل أحمر، فكان يختبئ خلفه خشية أن يُدعى للبيعة.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ، ثَنِيَّةَ المُرَارِ، فَإِنَّهُ يحُطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنَا، خَيْلُ بَنِي الخَزْرَجِ، ثُمَّ تَتَامَّ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ، إِلَّا صَاحِبَ الجَمَلِ الأَحْمَرِ» أخرجه مسلم[2].

وقال النبي ﷺ في فضل من شهد بيعة الرضوان: «أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ» متفق عليه[3].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٤٠٣٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٨٠).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤١٥٤)، ومسلم برقم (١٨٥٦).

وعن أُمُّ مُبَشِّرٍ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» أخرجه مسلم[1].

والشجرة التي تمت تحتها البيعة أخفاها الله تعالى عن الناس، لئلا يحصل بها فتنة بسبب ما وقع تحتها من الخير، ولئلا يتعلق بها العوام والجهال من دون الله ﷻ.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رجعنا من العام المقبل ، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله. أخرجه البخاري [2].

ولما بلغ عمر بن الخطاب أن الناس يصلون تحت شجرة توهموا أنها الشجرة التي تمت تحتها البيعة نهاهم عن ذلك، وأمر بقطعها فقُطعت.

ولما تمت البيعة رجع عثمان بن عفان رضي الله عنه من مكة إلى المسلمين.

ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا، ورغب أهل الرأي منهم بالصلح، بينما رأى بعضهم اللجوء إلى الحرب، فقرروا أن يتسللوا ليلاً إلى معسكر المسلمين، ويحدثوا أحداثاً تشعل الحرب، فهبط من المشركين ثمانون رجلاً من جهة جبل التنعيم، لعلهم يجدون من المسلمين غرة، لكن قائد حرس المسلمين محمد بن مسلمة رضي الله عنه كان متيقظاً، فأسروا المشركين جميعاً، وأتوا بهم إلى رسول الله ﷺ.

فقال لهم رسول الله ﷺ: « هل جئتم في عهد أحد؟ أو هل جعل لكم أحد أماناً؟»، قالوا : لا.

فخلى رسول الله ﷺ سبيلهم، وعفا عنهم جميعاً، رغبة منه ﷺ في الصلح، وأنه لم يأت لقتال، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح/ ٢٤] .

وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ، يُرِيدُونَ غِرَّة النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَأَخَذَهُمْ سِلْمًا فَاسْتَحْيَاهُمْ، فَأَنْزَلَ الله ﷻ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾.أخرجه مسلم[3].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤٩٦).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٩٥٨).
(٣) أخرجه مسلم برقم (١٨٠٨).

- **بداية صلح الحديبية :**

لما رأت قريش ما حصل من رسول الله ﷺ وأصحابه بعثت إلى رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو، ومعه حويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص، وقالوا له: ائت محمداً فصالحه، ولا يكون في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فو الله لا تتحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً.

فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ، قال لأصحابه: « قد سهل لكم أمركم، أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل».

فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ جلس بين يديه، وتكلما وأطالا الكلام، ثم اتفقا على شروط الصلح بين المسلمين وقريش.

- **شروط صلح الحديبية :**

اتفق الرسول ﷺ مع سهيل بن عمرو على الشروط التالية:

الأول: أن يرجع محمد ﷺ وأصحابه عامه هذا، فلا يدخل مكة، وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون، فأقاموا بها ثلاثاً، معهم سلاح الراكب، وهي السيوف في القرب، ولا تتعرض لهم قريش بأي أذى.

الثاني: وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

الثالث: أن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءاً من ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدواناً على ذلك الفريق.

فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن مع عقد رسول الله ﷺ، وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش، وعهدها.

الرابع: أن من أتى محمداً ﷺ مسلماً بغير إذن وليه رده عليهم، ومن أتى قريشاً ممن مع محمد ﷺ لم يرده عليهم، وكان هذا أشد شرط على المسلمين.

الخامس: أن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا أسلال ولا أغلال.

وكان الذي يكتب شروط الصلح علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولما فرغ من الكتابة أشهد رسول الله ﷺ على الكتاب رجالاً من المسلمين، وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان،

وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم أجمعين.

وشهد من المشركين حويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الكتاب، قال لأصحابه: « قُومُوا فانحروا واحلقوا »، فلم يقم أحد، حتى نحر النبي ﷺ وحلق كما سبق، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غما كما سبق.

ثم دعا رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثاً، وللمقصرين مرة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: حَلَقَ رِجَالٌ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَقَصَّرَ آخَرُونَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « يَرْحَمُ اللهُ المُحَلِّقِينَ » قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَالمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: « يَرْحَمُ اللهُ المُحَلِّقِينَ » قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَالمُقَصِّرِينَ قَالَ: « يَرْحَمُ اللهُ المُحَلِّقِينَ » قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَالمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: « وَالمُقَصِّرِينَ »، قَالُوا: فَمَا بَالُ المُحَلِّقِينَ يَا رَسُولَ الله ظَاهَرْتَ لَهُمُ الرَّحْمَةَ؟ قَالَ: « لَمْ يَشُكُّوا » أخرجه أحمد [(١)].

وفي غزوة الحديبية أنزل الله تعالى آية الفدية، في شأن كعب بن عجرة رضي الله عنه، وذلك بسبب هوام رأسه، فحلق وفدى.

عن عبد الله بن معقل قال : جَلَسْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه فَسَالتُهُ عَنِ الفِدْيَةِ، فَقَالَ: نَزَلَتْ فِيَّ خَاصَّةً، وَهِيَ لَكُمْ عَامَّةً، حُمِلْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَالقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلى وَجْهِي، فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أُرَى الوَجَعَ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى - أَوْ مَا كُنْتُ أُرَى الجَهْدَ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى - تَجِدُ شَاةً؟» فَقُلْتُ: لاَ، فَقَالَ: «فَصُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفَ صَاعٍ» متفق عليه [(٢)].

- **رجوع الرسول ﷺ إلى المدينة :**

ثم رجع النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة بعد أن غابوا عنها شهراً ونصف الشهر، منها عشرون يوما مكثوها في الحديبية، فلما وصل ﷺ إلى كراع الغميم، بين مكة والمدينة، نزلت عليه سورة الفتح: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (٣٣١١)، وأصله في الصحيحين.
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨١٦)، ومسلم برقم (١٢٠١).

ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ [الفتح/ ١-٥].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه :"إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا" قَالَ: الحُدَيْبِيَةُ، قَالَ أَصْحَابُهُ : هَنِيئًا مَرِيئًا فَمَا لَنَا، فَأَنْزَلَ الله : "لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ". متفق عليه [(١)].

- **أعظم الفتوح في الإسلام :**

أعظم فتح في الإسلام هو صلح الحديبية، فقد حصل بسببه خير كثير، وفتح كبير، وأمن الناس، واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وزالت الوحشة بين الناس، وانتشر العلم النافع، ودخل الناس في الإسلام، فقد كانوا في الحديبية ألفاً وأربعمائة رجل، ثم زادوا عام فتح مكة بعد سنتين إلى عشرة آلاف رجل، ودخل في فترة الصلح عمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وخالد بن الوليد، وغيرهم، وسماه الله فتحاً مبيناً كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفتح/ ١-٣].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا" قَالَ : الحُدَيْبِيَةُ. متفق عليه [(٢)].

وعن شقيق بن سلمة قَالَ: قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يَوْمَ صِفِّينَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وَبَيْنَ المُشْرِكِينَ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَأَتَى رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: « بَلَى»، قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: « بَلَى»، قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ.

فَقَالَ: « يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ الله، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا »، قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلامَ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤١٧٢) واللفظ له، ومسلم برقم (١٧٨٦).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤١٧٢) واللفظ له، ومسلم برقم (١٧٨٦).

نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلمَّا يحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الخطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا، قَالَ: فَنَزَلَ القُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْ فَتْحٌ هُو؟ قَالَ: « نَعَمْ »، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ. متفق عليه[1].

أما قوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح/١٨-١٩] فالمراد بهذا الفتح فتح خيبر، لأنها هي التي وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين.

وأما قوله سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر/١] فالمراد بهذا الفتح فتح مكة سنة ثمان من الهجرة في رمضان.

فهذه ثلاثة فتوح أكرم الله بها رسوله والمؤمنين.

- **حكم المهاجرات بعد الصلح :**

لما وصل النبي ﷺ إلى المدينة، واستقر بها، جاء إليه نسوة مؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أول من خرج إليه في تلك المدة، وهي أول من هاجر من النساء بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وكانت عاتقاً، فخرج في إثرها أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة، فقالا: يا محمد، أوف لنا بما عاهدتنا عليه، فأبى رسول الله ﷺ ذلك، ولم يُدخل النساء في ذلك الشرط، فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الممتحنة/ ١٠].

ثم بعد نزول هذه الآية طلق الصحابة رضي الله عنهم زوجاتهم الكافرات.

- **فقه غزوة الحديبية :**

صلح الحديبية هو في الصورة الظاهرة ضيم للمسلمين، وفي الصورة الباطنة عزٌّ لهم، وفيه ظهرت عزة المسلمين، وذهاب هيبة قريش، واعتراف قريش بكيان المسلمين،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٨٢)، ومسلم برقم (١٧٨٥).

واختلط المسلمون بالمشركين، وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وظهر من كان يخفي إسلامه، وذلت قريش من حيث أرادت العزة، وأن إشاعة قتل عثمان بن عفان ﷺ، لتفت في عضد المسلمين، وتدخل الفرقة بينهم، فحصل بعدها عكس ما تريد قريش، وهو الدعوة إلى بيعة الرضوان، واتهام العقل أمام النصوص الشرعية كما حصل من عمر بن الخطاب ﷺ، وأن الناس يتأثرون بالأفعال أكثر من الأقوال كما في نحر النبي ﷺ وحَلْقه أمام الصحابة رضي الله عنهم.

وبعد هذا الصلح أسكت الرسول ﷺ أكبر أعدائه، وهم قريش، وتفرغ بعد ذلك للتوجه إلى العدو الثاني في عقر داره، وهم اليهود، حيث غزاهم في خيبر، وهزمهم شر هزيمة.

وكذلك كاتب رسول الله ﷺ ملوك الأرض، وأمراء العالم، وأرسل إليهم الرسل، ودعاهم إلى الإسلام.

وغزوة الحديبية أعظم فتح، لهذا استحقت أن تقرن بغزوة بدر في الفضيلة، لما ترتب عليها من عز وانتصار للإسلام والمسلمين ، وذل وانكسار للكفار والمنافقين.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

البــاب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة السابعة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة السابعة من الهجرة وتشتمل على ما يلي :

١- كتب الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء

١- كتاب الرسول ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة

٢- كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل ملك الروم

٣- كتاب الرسول ﷺ إلى كسرى ملك الفرس

٤- كتاب الرسول ﷺ إلى المقوقس ملك الاسكندرية

٥- كتاب الرسول ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر صاحب دمشق

٦- كتاب الرسول ﷺ إلى هوذة بن علي ملك اليمامة

٢- إصابة الرسول ﷺ بسحر يهود

٣- قدوم أم أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها

٤- غزوة ذي قَرَد

٥- غزوة خيبر

٦- قصة الحجاج بن عِلاَط السلمي مع قريش

٧- دخول النبي ﷺ بأم حبيبة رضي الله عنها

٨- غزوة ذات الرقاع

٩- سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة

١٠- سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني فزارة

١١- سرية بشير بن سعد رضي الله عنه إلى مرة

١٢- سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه إلى الميفعة

١٣- سرية بشير بن سعد رضي الله عنه إلى يمن وجُبار

١٤- أسر ثمامة بن أثال الحنفي وإسلامه

١٥- عمرة القضاء

١٦- زواج الرسول ﷺ من ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

١٧- سرية الأخرم بن أبي العوجاء رضي الله عنه إلى بني سليم

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة السابعة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة السابعة من الهجرة

١ - كتب الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء

تهيأت الفرصة للرسول ﷺ بعد صلح الحديبية لتوسيع دائرة الدعوة إلى الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها، لأن الإسلام رسالة عالمية، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فأرسل ﷺ الرسل إلى ملوك وأمراء العرب والعجم، وكتب معهم كتباً إلى الملوك والأمراء، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وكان وقت تلك الكتب والرسائل من بعد صلح الحديبية إلى وفاته ﷺ.

عن أنس رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله تَعَالَى. أخرجه مسلم [(١)].

وحين أراد ﷺ أن يكتب إلى الملوك قيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا وعليه خاتم، فاتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اتَّخَذَ خَاتمًا مِنْ فِضَّةٍ، وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، وَقَالَ لِلنَّاسِ: «إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتمًا مِنْ فِضَّةٍ، وَنَقَشْتُ فِيهِ محَمَّدٌ رَسُولُ الله، فَلَا يَنْقُشْ أَحَدٌ عَلَى نَقْشِهِ» متفق عليه[(٢)].

وكان الخاتم في يد رسول الله ﷺ ، ثم في يد أبي بكر، ثم في يد عمر، ثم في يد عثمان رضي الله عنهم، فلما كانت الست الباقية من خلافة عثمان رضي الله عنه كان معه على

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٧٤).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٨٧٢)، ومسلم برقم (٢٠٩٢).

بئر أريس، فحرك عثمان خاتم رسول الله ﷺ في يده فوقع في البئر، فطلبوه ثلاثة أيام فلم يقدروا عليه.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ اتخَّذَ خَاتمًا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، وَجَعَلَ فَصَّهُ مِمَّا يَلِي كَفَّهُ، وَنَقَشَ فِيهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، فَاتخَّذَ النَّاسُ مِثْلَهُ، فَلَمَّا رَآهُمْ قَدِ اتخَذُوهَا رَمَى بِهِ وَقَالَ: «لاَ البَسُهُ أَبَدًا».

ثُمَّ اتخَّذَ خَاتمًا مِنْ فِضَّةٍ، فَاتخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ الفِضَّةِ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَلَبِسَ الخَاتَمَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، حَتَّى وَقَعَ مِنْ عُثْمَانَ فِي بِئْرِ أَرِيسَ. متفق عليه[1].

ولما عزم الرسول ﷺ على إرسال الكتب إلى الملوك والأمراء اختار لحملها رسلاً من أصحابه رضي الله عنهم.

وقد أرسل ﷺ كتباً إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام، فخرج في يوم واحد ستة نفر، وذلك في المحرم من سنة سبع من الهجرة.

وفيما يلي الكتب التي أرسلها رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء:

١ – كتاب الرسول ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة

النجاشي: لقب لكل من ملك الحبشة، وهذا النجاشي اسمه أصحمة، بعث رسول الله ﷺ إليه عمرو بن أمية الضمري، وكان أول رسول بعثه، وكتب معه إليه كتابين يأمره في أحدهما أن يزوجه أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وأن يبعث إليه من عنده من المسلمين.

وفي الكتاب الآخر يدعوه إلى الإسلام.

عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا كَانَتْ تحَتَ عُبَيْدِ الله بْنِ جَحْشٍ، وَكَانَ أَتَى النَّجَاشِيَّ فَمَاتَ، وَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ تَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ وَإِنَّهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ، زَوَّجَهَا إِيَّاهُ النَّجَاشِيُّ، وَمَهَرَهَا أَرْبَعَةَ آلاَفٍ، ثُمَّ جَهَّزَهَا مِنْ عِنْدِهِ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مَعَ شُرَحْبِيلَ ابْنِ حَسَنَةَ، وَجِهَازُهَا كُلُّهُ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ، وَلَمْ يُرْسِلْ إِلَيْهَا رَسُولُ الله ﷺ بِشَيْءٍ. أخرجه أحمد[2].

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦٦)، ومسلم برقم (٢٠٩٢).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٧٤٠٨).

- **نص كتاب الرسول ﷺ إلى النجاشي :**

« بسم الله الرحمن الرحيم هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله إِلَى النَّجَاشِيِّ الأَصْحَم عَظِيمِ الحَبَشَةِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى ، وَآمَنَ بِالله وَرَسُولِهِ ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لمَ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الله ، فَإِنِّي أَنَا رَسُولُهُ ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا الله وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ النَّصَارَى مِنْ قَوْمِك» أخرجه البيهقي في دلائل النبوة والحاكم(١).

ولما وصل كتاب الرسول ﷺ إلى النجاشي، وقرئ عليه، أخذه فوضعه في عينيه، ثم أسلم، وشهد شهادة الحق، ثم كتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ بإجابته وتصديقه وإسلامه.

ثم إن هذا النجاشي أصحمة رضي الله عنه، توفي في رجب من السنة التاسعة للهجرة، فنعاه الرسول ﷺ إلى أصحابه يوم وفاته فقال: « مَاتَ اليَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ» أخرجه البخاري(٢).

ثم صلى عليه رسول الله ﷺ وأصحابه صلاة الغائب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي اليَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، خَرَجَ إِلَى المُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا. أخرجه البخاري(٣).

ولما مات النجاشي أصحمة رضي الله عنه خلفه نجاشي آخر، وقد كتب إليه رسول الله ﷺ كتاباً يدعوه إلى الإسلام.

عن أنس رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله تَعَالَى وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ. أخرجه مسلم(٤).

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة برقم(٢٣٠٨)، وأخرجه الحاكم برقم(٤٣٠٣).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٨٧٧).
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٢٤٥).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٧٧٤).

٢- كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل ملك الروم

بعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه إلى هرقل ملك الروم يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً وأمره أن يدفعه إلى عظيم بُصرى، وهو الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان، ليدفعه إلى هرقل.

• **نص كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل ملك الروم :**

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ محمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ، وَيَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » متفق عليه[1].

وكان هرقل قد نَذر إن ظهرت الروم على الفرس أن يمشي حافياً من القسطنطينية إلى بيت المقدس، فلما انتصرت الروم على فارس خرج هرقل من بلاده يمشي على قدميه شكراً لله تعالى على هذا النصر، ليصلي في بيت المقدس.

ولم يلبث هرقل أن أتاه رسول عظيم بصرى، فدفع إليه كتاب النبي ﷺ ، فقرئ عليه.

فقال هرقل لصاحب شرطته: انظر لنا من قومه من نسأله عنه، وكان أبو سفيان بن حرب بالشام مع رجال من قريش قدموا تجاراً في المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش قال أبوسفيان فوجدنا رسول قيصر ببعض الشأم فانطلق بي وبأصحابي حتى قدمنا إيلياء فأدخلنا عليه فإذا هو جالس في مجلس ملكه وعليه التاج وإذا حوله عظماء الروم فَقَالَ : لِتَرْجُمَانِهِ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟ ، قَالَ : أَبُو سُفْيَانَ ، فَقُلْتُ : أَنَا أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَبًا ، قَالَ : مَا قَرَابَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ؟، فَقُلْتُ : هُوَ ابْنُ عَمِّي وَلَيْسَ فِي الرَّكْبِ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ غَيْرِي ، فَقَالَ : قَيْصَرُ أَدْنُوهُ، وَأَمَرَ بِأَصْحَابِي فَجُعِلُوا خَلْفَ ظَهْرِي عِنْدَ كَتِفِي ، ثُمَّ قَالَ: لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لِأَصْحَابِهِ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا الرَّجُلَ عَنِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَإِنْ كَذَبَ فَكَذِّبُوهُ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : وَاللهِ لَوْلَا الحَيَاءُ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَنْ يَأْثُرَ أَصْحَابِي عَنِّي

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩٤١)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

الكَذِبَ لَكَذَبْتُهُ حِينَ سَأَلَنِي عَنْهُ وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْثُرُوا الكَذِبَ عَنِّي فَصَدَقْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ كَيْفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجُلِ فِيكُمْ؟، قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ ، قَالَ : هَذَا القَوْلَ أَحَدٌ مِنكُمْ قَبْلَهُ؟، قُلْتُ : لَا ، فَقَالَ : كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ عَلَى الكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟، قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟، قُلْتُ : بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ ، قَالَ : فَيَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟، قُلْتُ : بَلْ يَزِيدُونَ ، قَالَ : فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟، قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ يَغْدِرُ؟ ، قُلْتُ : لَا وَنَحْنُ الآنَ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ نَحْنُ نَخَافُ أَنْ يَغْدِرَ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : وَلَمْ يُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا أَنْتَقِصُهُ بِهِ لَا أَخَافُ أَنْ تُؤْثَرَ عَنِّي غَيْرُهَا ، قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ أَوْ قَاتَلَكُمْ؟، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكَيْفَ كَانَتْ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ؟، قُلْتُ : كَانَتْ دُوَلًا وَسِجَالًا يُدَالُ عَلَيْنَا المَرَّةَ وَنُدَالُ عَلَيْهِ الأُخْرَى ، قَالَ : فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟، قَالَ : يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ ، وَالصَّدَقَةِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ ، فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ لَهُ: قُلْ لَهُ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فِيكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ذُو نَسَبٍ وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ ، هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا القَوْلَ قَبْلَهُ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا ، فَقُلْتُ : لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنكُمْ قَالَ هَذَا القَوْلَ قَبْلَهُ، قُلْتُ : رَجُلٌ يَأْتَمُّ بِقَوْلٍ قَدْ قِيلَ قَبْلَهُ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا ، فَقُلْتُ : لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ، وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ ، أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا ، فَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تَخَلَطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا يَغْدِرُونَ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمْ فَزَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُوَلًا وَيُدَالُ عَلَيْكُمُ المَرَّةَ وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الأُخْرَى ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهَا

العَاقِبَةُ ، وَسَأَلْتُكَ بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا الله ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالعَفَافِ ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ ، قَالَ : وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ، قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ ، وَلَكِنْ لَمْ أَظُنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَلَوْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ . متفق عليه[1].

ولما قرئ كتاب رسول الله ﷺ على هرقل اهتز وتأثر، وكثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، وأُخرج أبو سفيان وأصحابه، فقال أبو سفيان لأصحابه: لقد أَمِرَ أَمْر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقنا أنه سيظهر، حتى أدخل الله عليّ الإسلام.

ثم إن هرقل أكرم دحية الكلبي، وكاد هرقل أن يسلم، لكنه آثر ملكه على الإيمان، ثم حارب المسلمين في غزوة مؤتة.

٣- كتاب الرسول ﷺ إلى كسرى ملك الفرس

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه بكتاب إلى كسرى بن هرمز ملك الفرس، يدعوه فيه إلى الإسلام، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين المنذر بن ساوي، ليدفعه إلى كسرى بن هرمز.

- **نص كتاب الرسول ﷺ الى كسرى ملك الفرس:**

«بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدى، وَآمَنَ بِالله وَرَسُولِهِ، وَشَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله، وَأَنِّي رَسُولُ الله إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ المَجُوسِ» أخرجه ابن جرير الطبري[2].

فلما قرئ الكتاب على كسرى، أخذه فمزقه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى مَعَ عَبْدِ الله بْنِ حُذَافَةَ السَّهمِيِّ فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّق. أخرجه البخاري[3].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩٤١)، ومسلم برقم (١٧٧٣).
(٢) **حسن**/ أخرجه ابن جرير الطبري (٢/ ١٣٣).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٤٢٤).

ثم كتب كسرى إلى باذان عامله باليمن أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز، فليأتياني به.

فبعث باذان قهرمانه ورجلاً آخر، وكتب معهما كتاباً، فقدما المدينة، فدفعا كتاب باذان إلى النبي ﷺ ، فتبسم رسول الله ﷺ ، ودعاهما إلى الإسلام، ثم قال ﷺ : « ارجعا عني يومكما هذا، حتى تأتياني الغد فأخبركم بما أريد».

فجاءاه من الغد، فقال لهما رسول الله ﷺ : « أَبْلِغَا صَاحِبَكُمَا أَنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ رَبَّهُ كِسْرَى فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ» أخرجه أحمد (١).

لسبع ساعات مضت منها، وهي ليلة الثلاثاء، لعشر ليال مضت من جمادى الأولى سنة سبع، وأن الله تعالى سلط عليه ابنه شيرويه فقتله، فرجعا إلى باذان بذلك فأسلم باذان، وأسلم الأبناء معه، وهم أولاد الفرس الذين تزوجوا من اليمن.

وقد استجاب الله ﷻ دعوة نبيه ﷺ فمزق الله تعالى ملك فارس، وسقطت دولتهم في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وملكها المسلمون هي ومملكة الروم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ الله» متفق عليه(٢).

٤ - كتاب الرسول ﷺ إلى المقوقس ملك الاسكندرية

بعث الرسول ﷺ حاطب بن أبي بلتعة ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط، صاحب الإسكندرية، واسمه جريج بن ميناء، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً، وهذا نصه:

- **نص كتاب الرسول ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط :**

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ٦٤] .

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٠٤٣٨).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦١٨)، ومسلم برقم (٢٩١٨).

فلما وصل الكتاب المقوقس أخذه فقبَّله ثم قرأه وأكرم حاطباً، وأحسن نزله، ثم سرحه إلى رسول الله ﷺ بكتاب، وأهدى للرسول ﷺ كسوة، وبغلة شهباء، وجاريتين إحداهما مارية القبطية أم إبراهيم، وأختها سيرين أعطاها الرسول ﷺ لحسان بن ثابت رضي الله عنه، فرجع حاطب رضي الله عنه إلى المدينة بالكتاب والهدايا، وأخبر النبي ﷺ بما جرى، ولم يسلم المقوقس ضناً بملكه، فقال الرسول ﷺ : (ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه)، وقبل رسول الله ﷺ هديته، وأخذ الجاريتين، وهما مارية وأختها سيرين.

وقد بشر الرسول ﷺ بفتح مصر، وأوصى بأهلها خيراً.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :«إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا» أَوْ قَالَ «ذِمَّةً وَصِهْرًا» أخرجه مسلم(١).

أما الذمة فهي الحرمة والحق، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم ابن الرسول ﷺ منهم.

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « اللهَ اللهَ فِي قِبْطِ مِصْرَ، فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عِدَّةً، وَأَعْوَانًا فِي سَبِيلِ اللهِ» أخرجه الطبراني في الكبير(٢).

٥- كتاب الرسول ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر صاحب دمشق

بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب الأسدي رضي الله عنه بكتاب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، صاحب دمشق يدعوه إلى الإسلام.

- **نص كتاب الرسول ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر صاحب دمشق:**

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدَّق، إني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك».

فلما قرأ الحارث بن أبي شمر الكتاب رمى به، وقال: من ينتزع مني ملكي، وبدأ يحشد جيشه للهجوم على المدينة، ولكن هرقل تدخل، ودعاه إلى إيلياء بيت المقدس.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٤٣).

(٢) **صحيح**/ أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٥٦١).

ورجع شجاع ﷺ إلى المدينة، وأخبر الرسول ﷺ بما قال الحارث، فقال ﷺ : (باد ملكه)، ثم مات الحارث الغساني عام الفتح.
وكان هذا التوتر والإعداد للهجوم على المدينة بداية أمر معركة مؤتة العظيمة.

٦- كتاب الرسول ﷺ إلى هوذة بن علي ملك اليمامة

بعث رسول الله ﷺ سليط بن عمرو العامري بكتاب إلى هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة، يدعوه إلى الإسلام.

- **نص كتاب الرسول ﷺ إلى هوذة بن علي ملك اليمامة:**

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك».

فلما قدم سليط بن عمرو ﷺ على هوذة بن علي بكتاب رسول الله ﷺ ، أنزله وحياه، فلما قرأ عليه كتاب رسول الله ﷺ لم يرده، وكتب إلى رسول الله ﷺ كتاباً قال فيه: ما أحسن ما تدعو إليه، وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك.

ثم إن هوذة أجاز سليطاً ﷺ بجائزة، وكساه أثواباً من نسج هجر (الأحساء).

ولما قدم سليط ﷺ على الرسول ﷺ ، وقرئ كتاب هوذة على رسول الله ﷺ قال ﷺ : «لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يديه».

فمات هوذة عندما رجع رسول الله ﷺ من فتح مكة.

وهذه هي الكتب الستة التي بعث بها الرسول ﷺ رسله في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع من الهجرة.

وقد كتب الرسول ﷺ كتباً أخرى تزيد على المائتين، بعث بها إلى ملوك وأمراء وزعماء وأشخاص، يدعوهم فيها إلى الإسلام، منهم ملوك عمان والبحرين واليمن، وغيرهم مما سيأتي في حينه إن شاء الله تعالى.

٢- إصابة الرسول ﷺ بسحر يهود

لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة ودخل شهر محرم من السنة السابعة للهجرة، جاء رؤساء من اليهود الذين بقوا بالمدينة ممن يظهر الإسلام وهو منافق، إلى لبيد بن الأعصم من بني زريق، وكان منافقاً، وهو أعلم يهود بالسحر، فقالوا له: أنت أسحر منا، وقد سحر منا محمد الرجال والنساء، فلم نصنع شيئاً، وأنت ترى أثره فينا، وخلافه ديننا، ومن قتل منا وأجلى، ونحن نجعل لك على ذلك جُعلاً على أن تسحره لنا سحراً ينكؤه.

فقام لبيد بن الأعصم بسحر النبي ﷺ ، ومرض رسول الله ﷺ منه مرضاً شديداً، وأُخذ عن النساء وعن الطعام والشراب، ولبث على ذلك مدة حتى دله الله عليه.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ الله ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي، لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ الله أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلاَنِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ » فَأَتَاهَا رَسُولُ الله ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُؤوسَ نَخْلِهَا رُؤوسُ الشَّيَاطِينِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله: أَفَلاَ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «قَدْ عَافَانِي الله، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا» فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ. أخرجه البخاري[١].

ونزلت على رسول الله ﷺ المعوذتان، سورة الفلق، وسورة الناس، وشُفي رسول الله ﷺ بإذن الله تعالى من سحر لبيد بن الأعصم اليهودي.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : سَحَر النبيَّ ﷺ رجل من اليهود، فاشتكى، فأتاه جبريل صلوات الله عليه بالمعوذتين. أخرجه الطحاوي[٢].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٣).

(٢) **صحيح**/ أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار برقم (٥٩٣٥).

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « أُنْزِلَتْ عَليَّ سُورَتَانِ، فَتَعَوَّذُوا بِهِنَّ، فَإِنَّهُ لَمْ يُتَعَوَّذْ بِمِثْلِهِنَّ» يَعْنِي المُعَوِّذَتَيْنِ. أخرجه أحمد(1).

ولم يقتل النبي ﷺ لبيد بن الأعصم، لأنه ﷺ كان لا ينتقم لنفسه، ولأنه خشي إذا قتله أن تثور بذلك فتنة بين المسلمين، وبين حلفائه من الأنصار: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

٣- قدوم أم أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها

في فترة هدنة الحديبية قدمت قتيلة بنت عبد العزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، فاستفتت رسول الله ﷺ في صلة أمها، وهي مشركة، فأمرها بصلتها.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَليَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قَدِمَتْ عَليَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ» متفق عليه(2)

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٧٢٩٩) .

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦١٠)، ومسلم برقم (١٠٠٣).

٤- غزوة ذي قَرَد

ذو قرد: ماء على نحو ميلين من المدينة، مما يلي بلاد غطفان.

وكانت هذه الغزوة بعد الحديبية، قبل غزوة خيبر بثلاثه أيام، وتسمى غزوة الغابة، لأن الإبل التي أغار عليها المسلمون كانت بتلك الغابة .

وهذه الغزوة أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ بعد الحديبية، وكان أعظم من أبلى فيها سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

وسبب هذه الغزوة أنه كان لرسول الله ﷺ عشرون لقحة ترعى بالغابة، وكان عليها رجل من غفار مع امرأته، فأغار عليهم عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الغفاري، فقتلوا الرجل، وأسروا امرأته، واستاقوا اللقاح.

عَنْ سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْتُ مِنَ المَدِينَةِ ذَاهِبًا نَحْوَ الغَابَةِ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةِ الغَابَةِ، لَقِيَنِي غُلاَمٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قُلْتُ: وَيحَكَ مَا بِكَ؟ قَالَ: أُخِذَتْ لِقَاحُ النَّبِيِّ ﷺ، قُلْتُ: مَنْ أَخذَهَا؟ قَالَ: غَطَفَانُ، وَفَزَارَةُ فَصَرَخْتُ ثَلاَثَ صَرَخَاتٍ أَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا: يَا صَبَاحَاهْ يَا صَبَاحَاهْ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ حَتَّى القَاهُمْ، وَقَدْ أَخَذُوهَا، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ، وَأَقُولُ: أَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ وَاليَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ .

فَاسْتَنْقَذْتُهَا مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَشْرَبُوا، فَأَقْبَلْتُ بِهَا أَسُوقُهَا، فَلَقِيَنِي النَّبِيُّ ﷺ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ القَوْمَ عِطَاشٌ، وَإِنِّي أَعْجَلْتُهُمْ أَنْ يَشْرَبُوا سِقْيَهُمْ، فَابْعَثْ فِي إِثْرِهِمْ، فَقَالَ: يَا ابْنَ الأَكْوَعِ، مَلَكْتَ، فَأَسْجِحْ، إِنَّ القَوْمَ يُقْرَوْنَ فِي قَوْمِهِم» متفق عليه[1].

وكان رسول الله ﷺ لما بلغه صياح سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، صرخ بالمدينة: «الفزع الفزع»، فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ ، وكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو، ثم عباد بن بشر، وسعد بن زيد، وأسيد بن ظهير، وعكاشة بن محصن الأسدي، ومحرز بن نضلة، وأبوقتادة الحارث بن ربعي فارس الرسول ﷺ، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

فلما اجتمعوا أمَّر عليهم سعد بن زيد الأشهلي، ثم قال له: (الحق في طلب القوم حتى ألحقك في الناس).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٠٤١)، ومسلم برقم (١٨٠٦).

فأقبل فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر، فولى المشركون مدبرين، ولحق محرز بن نضلة، ويعرف بالأخرم الأسدي بعبد الرحمن بن عيينة بن حصن، فاختلفا طعنتين، فعقر الأخرم فرس عبد الرحمن، وطعنه عبد الرحمن فقتله، فتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم.

فلحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فطعنه فقتله، وغشاه برده، ثم تحول أبو قتادة على فرس الأخرم، ثم لحق القوم.

فلما رأى القتيل مسجى، قالوا: قُتل أبو قتادة، فقال رسول الله ﷺ قبل أن يراه: «لا، ليس بأبي قتادة، ولكنه قتيل لأبي قتادة، وضع عليه برده، لتعرفوا أنه صاحبه».

وقال سلمة رضي الله عنه بعد جهاد ومطاردة للمشركين: أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي خلأت المشركين عنه بذي قرد، وإذ بنبي الله ﷺ في خمسمائة من أصحابه، وإذا بلالاً قد نحر لهم جزوراً مما خلَّفت وأحرزت من المشركين، فهو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها.

وفي هذه الغزوة صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف بذي قرد.

وأقام رسول الله ﷺ بذي قرد يوما وليلة يتحسس الخبر.

قال سلمة: فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ : «خير فرساننا اليوم: أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة »، ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين: سهم الفارس، وسهم الراجل جميعاً.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقد أردف خلفه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

أما المرأة التي أسرت فقد استطاعت أن تفلت من وثاقها، وانتهت إلى العضباء ناقة الرسول ﷺ ، ثم ركبتها ووجهتها إلى المدينة، ونذرت إن نجاها الله لتنحرنها.

فَلَمَّا قَدِمَتِ المَدِينَةَ رَآهَا النَّاسُ، فَقَالُوا: العَضْبَاءُ نَاقَةُ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّهَا نَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، فَأَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ الله، بِئْسَمَا جَزَتْهَا، نَذَرَتْ لله إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ العَبْدُ»أخرجه مسلم[1].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٤١).

٥ - غزوة خيبر

خيبر مدينة كبيرة ذات حصون، ومزارع، ونخل كثير، وتقع شمال المدينة، بينها وبين المدينة ثمانية برد، وسكانها يهود.

وقد أقام رسول الله ﷺ بعد أن قدم من غزوة ذي قَرَد بالمدينة ثلاث ليال، ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم، من السنة السابعة للهجرة.

وسبب هذه الغزوة العظيمة أن يهود خيبر لم يظهروا عداءً سافراً للمسلمين حتى لحق بهم زعماء يهود بني النضير، عندما أُجْلوا عن المدينة.

وكان أعظم زعماء بني النضير الذين نزلوا خيبر: سلاَّم بن أبي الحُقيق، وكنانة بن الربيع، وحيي بن أخطب، ولما نزلوها دان لهم أهلها.

لقد نزلوها بأحقادهم ضد المسلمين، فكانوا كلما وجدوا فرصة للانتقام من المسلمين انتهزوها، ووجدوا في قوة قريش وبعض قبائل العرب الوسيلة التي سيدخلون بها إلى المدينة مرة أخرى، فألَّبوهم ضد المسلمين، ثم جروهم إلى غزوة الخندق، وسعوا في إقناع قريظة للانضمام إليهم، والغدر بالمسلمين.

فكانت خيبر مركزاً لليهود من قبل، ثم انضم إليهم يهود بني النضير، وبني قينقاع بعد إجلائهم من المدينة.

فكانت خيبر مركز الدسائس والتآمر، ومركز إثارة الفتن والحروب ضد المسلمين.

وكانت هدنة الحديبية فرصة أمام المسلمين لتصفية هذا الجيب الذي يشكل خطورة على أمن الإسلام والمسلمين.

فلما انتهى رسول الله ﷺ من أمر قريش بهدنة الحديبية، تفرغ الآن ليهود خيبر، لتأديبهم على ما فعلوه بالمسلمين.

وقد وعد الله المسلمين بعد الحديبية بمغانم كثيرة يأخذونها إذا هزموا يهود خيبر، كما أشارت إلى ذلك سورة الفتح التي نزلت في طريق العودة من الحديبية: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفتح/ ١٨-٢١].

- **خروج الرسول ﷺ إلى خيبر :**

تجهز الرسول ﷺ لغزو خيبر وفتحها، وكان الله قد وعده بفتحها، وتجهز أصحابه للخروج معه من الذين خرجوا معه للحديبية.

ولما تجهز رسول الله ﷺ جاء المخلفون عنه في غزوة الحديبية يريدون الخروج معه للغنيمة، فلم يأذن لأحد منهم، ونزل فيهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح/ ١٥].

ثم أمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: أن لا يخرج معنا إلا راغب في الجهاد، فلم يخرج معه إلا أصحاب الشجرة، وهم ألف وأربعمائة.

ولما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى خيبر أمر أبا طلحة الأنصاري أن يلتمس له غلاماً يخدمه، وهو ذاهب إلى خيبر.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ: «التَمِسْ غُلاَمًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ» متفق عليه[1].

واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري رضي الله عنه.

عن خُثَيْمٌ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَدِمَ المَدِينَةَ فِي رَهْطٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِخَيْبَرَ، وَقَدِ اسْتَخْلَفَ سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ عَلَى المَدِينَةِ. أخرجه أحمد[2].

وقدم أبو ثعلبة الخشني المدينة ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح خيبر فخرج معه وشهد خيبر.

وكان رسول الله ﷺ من عادته إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها إلا في غزوة خيبر، وغزوة تبوك.

أما غزوة خيبر فإن الله قد وعده بفتحها، وأما غزوة تبوك فلأن المسافة بعيدة جداً، ولأنها كانت مع أعظم دولة في وقتها وهي الروم، فلابد من الاستعداد الكامل لها.

وخرج رسول الله ﷺ ومن معه إلى خيبر بروح إيمانية عالية، على الرغم من علمهم بمنعة حصون خيبر، وشدة بأس رجالها، وعتادهم الحربي، وسلكوا طريقاً بين خيبر وغطفان، ليَحُوْلوا بين غطفان أن يمدوا أهل خيبر، لأنهم كانوا أعداء للمسلمين.

وكان ﷺ يصلي النافلة على حماره وهو متوجه إلى خيبر، وكان المسلمون يرفعون أصواتهم

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٨٩٣)، ومسلم برقم (١٣٦٥).

(٢) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (٨٥٥٢).

بالتهليل والتكبير، فأمرهم النبي ﷺ أن يرفقوا بأنفسهم.

عنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزَاةٍ ، فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شَرَفًا ، وَلَا نَعْلُو شَرَفًا ، وَلَا نَهْبِطُ فِي وَادٍ ، إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ، قَالَ : فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ الله ﷺ ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا ، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا ، ثُمَّ قَالَ : « يَا عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بالله» . متفق عليه[1].

- **وصول المسلمين إلى خيبر :**

لما قرب النبي ﷺ وأصحابه من خيبر ليلاً، بات هو وأصحابه قريباً منها، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى قوماً بليل لم يُغِر عليهم حتى يصبح، فلما أصبح صلى الفجر بغلس، ثم ركب هو وأصحابه رضي الله عنهم حتى أتوا خيبر.

ولما أشرف ﷺ على خيبر قال لأصحابه: « قفوا » ليدعو دعاء دخول القرية.

عن صهيب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يَكُنْ يَرَى قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا إِلَّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ القَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا» أخرجه الحاكم وابن حبان[2].

فأتى رسول الله ﷺ خيبر حين بزغت الشمس، وقد خرج يهود خيبر إلى مزارعهم بمساحيهم ومكاتلهم، وأخرجوا مواشيهم، ولما رأوا المسلمين فزعوا وفروا إلى حصونهم.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلًا، وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بِلَيْلٍ لَمْ يُغِرْ بِهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتِ اليَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ، وَمَكَاتِلِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالله، مُحَمَّدٌ وَالخَمِيسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ» أخرجه البخاري[3].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: صَبَّحْنَا خَيْبَرَ بُكْرَةً، فَخَرَجَ أَهْلُهَا بِالمَسَاحِي، فَلَمَّا بَصُرُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالله ، مُحَمَّدٌ وَالخَمِيسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « الله أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ،

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٠٤).
(٢) **صحيح**/ أخرجه الحاكم برقم (١٦٧٦)، وأخرجه ابن حبان برقم (٢٧٠٩).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤١٩٧).

إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ المنْذَرِينَ» فَأَصَبْنَا مِنْ لُحُومِ الحُمُرِ، فَنَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ، فَإِنَّهَا رِجْسٌ» أخرجه البخاري[1].

ولما هرب اليهود إلى حصونهم حاصرهم المسلمون فيها، وأخذ المسلمون في افتتاح حصونهم، فسقطت الواحد تلو الآخر.

وخيبر بلد كبير ينقسم إلى شطرين:

شطر فيه خمسة حصون، هي: حصن ناعم، وحصن الصعب بن معاذ، وحصن قلعة الزبير، وحصن أُبي، وحصن النزار.

وتقع الحصون الثلاثة الأولى في منطقة النطاة، ويقع الأخيران في منطقة الشق، ويقع الكل في الشمال الشرقي من خيبر.

وأما الشطر الثاني من خيبر فيعرف بالكتيبة، وفيه ثلاثة حصون، هي:

حصن القموص، وحصن الوطيح، وحصن السلالم.

فهذه الحصون الثمانية هي أمنع حصون خيبر وأقواها، وأكبرها.

وقد واجه المسلمون مقاومة شديدة، وصعوبة كبيرة، عند فتح بعض هذه الحصون.

- **فتح حصن ناعم :**

كان أول حصن هاجمه المسلمون هو حصن ناعم، فخرج منه مرحب اليهودي، ينادي بالبِراز، فخرج له عامر بن الأكوع رضي الله عنه، فاختلفا ضربتين مات على إثرهما عامر بن الأكوع.

ثم خرج مرحب اليهودي يطلب البراز مرة أخرى بعدما قتل عامر بن الأكوع، فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه ففلق رأس مرحب فقتله، فكان فتح الحصن على يديه.

قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: قَدِمْنَا الحُدَيْبِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً- وفيه- فوالله مَا لَبِثْنَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَجَعَلَ عَمِّي عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالقَوْمِ.

تَــاللهِ لَــوْلَا اللهُ مَــا اهْتَدَيْنَــا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا فَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤١٩٨).

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: أَنَا عَامِرٌ، قَالَ: «غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ»، قَالَ: وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ الله ﷺ لِإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ، قَالَ: فَنَادَى عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ: يَا نَبِيَّ الله، لَوْلَا مَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ، قَالَ: خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ، وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ

شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرُ .. شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ

قَالَ: فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ، وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ، فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ، قَالَ سَلَمَةُ: فَخَرَجْتُ، فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، يَقُولُونَ: بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ، قَتَلَ نَفْسَهُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، قَالَ: «كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ» أخرجه مسلم[1].

وظل حصن ناعم منيعاً أمام المسلمين، فقد أعطى ﷺ الراية لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فنهض بها، وقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع ولم يُفتح له، ثم أعطى الرسول ﷺ في اليوم الثاني الراية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع ولم يُفتح له.

وظل المسلمون تسعة أيام يحاولون فتح حصن ناعم، لكن ما استطاعوا، وفي اليوم العاشر أعطى رسول الله ﷺ الراية لعلي بن أبي طالب، ففتح الله الحصن على يديه.

عَنْ سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ ، فَقَالَ : أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا الله فِي صَبَاحِهَا ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ » ، أَوْ قَالَ : « يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ الله عَلَيْهِ » ، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ ، فَقَالُوا : هَذَا عَلِيٌّ. فَأَعْطَاهُ رَسُولُ الله ﷺ الرَّايَةَ فَفَتَحَ الله عَلَيْهِ ». متفق عليه[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٠٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٧٥)، ومسلم برقم (٢٤٠٥).

ولما أرسل رسول الله ﷺ علياً إليهم أمره أولاً بدعوتهم إلى الله تعالى.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟».

فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ الله يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ». فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ الله ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ الله، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: « انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله فِيهِ، فَوَالله لَأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» متفق عليه[1].

ولما خرج مرحب يطلب البراز مرة أخرى خرج له علي رضي الله عنه فقتله.

عن سلمة رضي الله عنه قال: .. ثُمَّ أَرْسَلَنِي النبي ﷺ إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدُ، فَقَالَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ» - أَوْ «يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» -، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلِيًّا، فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ الله ﷺ، فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ
شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ
كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ المَنْظَرَهْ
أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ. أخرجه مسلم[2].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢١٠)، ومسلم برقم (٢٤٠٦).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٠٧).

ثم خرج بعد قتل مرحب أخوه ياسر، فقال: من يبارز؟، فخرج له الزبير بن العوام ﷺ، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب، عمة الرسول ﷺ : ابني يا رسول الله فقال ﷺ : « بل ابنك يقتله إن شاء الله تعالى»، فقتله الزبير ﷺ.

ثم خرج رجل من المسلمين، وقاتل قتالاً شديداً، فأُعجب به الصحابة رضي الله عنهم، فأخبرهم رسول الله ﷺ أنه في النار.

عن أبي هريرة ﷺ شَهِدْنَا خَيْبَرَ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُ يَدَّعِي الإِسْلَامَ : «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَلَمَّا حَضَرَ القِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ أَشَدَّ القِتَالِ حَتَّى كَثُرَتْ بِهِ الجِرَاحَةُ، فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ يَرْتَابُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ أَلَمَ الجِرَاحَةِ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى كِنَانَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا أَسْهُمًا فَنَحَرَ بِهَا نَفْسَهُ، فَاشْتَدَّ رِجَالٌ مِنْ المُسْلِمِينَ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ الله، صَدَّقَ الله حَدِيثَكَ، انْتَحَرَ فُلَانٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ: «قُمْ يَا فُلَانُ فَأَذِّنْ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، إِنَّ الله يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ» .متفق عليه[1].

وقد لاقى الصحابة رضي الله عنهم حول حصن ناعم مقاومة شديدة، وثبتوا حتى انهارت مقاومة اليهود بعد مقتل رئيسهم مرحب وإخوانه، ولما يئسوا من مقاومة المسلمين تسللوا من هذا الحصن إلى حصن الصعب، واقتحم المسلمون حصن ناعم ففتحوه، واستولوا على مافيه .

- **فتح حصن الصعب بن معاذ :**

حصن الصعب بن معاذ اليهودي هو الحصن الثاني من حيث القوة والمناعة بعد حصن ناعم، وقد تسلل إليه من فر من اليهود من حصن ناعم، فبدأ الحصار عليه، ودفع رسول الله ﷺ اللواء إلى الحباب بن المنذر، فأقام المسلمون عليه ثلاثة أيام، ثم فتحوه، وما بخيبر حصن أكثر طعاماً منه.

وكان قد أصاب المسلمين في خيبر مجاعة شديدة، فذبحوا حمراً من حمر الإنس، فنهاهم رسول الله ﷺ عن أكلها.

عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال : أَصَابَتْنَا مجاعَةٌ يَوْمَ خَيْبَرَ فَإِنَّ القُدُورَ لَتَغْلِي، قَالَ: وَبَعْضُهَا نَضِجَتْ،فَجَاءَ مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ:«لاَ تَأْكُلُوا مِنْ لحُومِ الحُمُرِ شَيْئًا» متفق عليه[2].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢٠٤)، ومسلم برقم (١١١).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢٢٠)، ومسلم برقم (١٩٣٧).

ونهى الرسول ﷺ أصحابه وهو في خيبر عن أكل البصل والكراث إذا أرادوا الذهاب إلى المسجد.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نهَى زَمَنَ خَيْبَرَ عَنِ البَصَلِ، وَالكُرَّاثِ فَأَكَلَهُمَا قَوْمٌ، ثُمَّ جَاؤا إِلَى المَسْجِدِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَلَمْ أَنْهَ عَنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ المُنْتِنَتَيْنِ؟ » قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، وَلَكِنْ أَجْهَدَنَا الجُوعُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « مَنْ أَكَلَهُمَا فَلَا يَحْضُرْ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ» أخرجه أحمد[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يَعْنِي الثُّومَ - فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا» أخرجه البخاري[2].

- **فتح حصن قلعة الزبير :**

لما فتح الصحابة رضي الله عنهم حصن الصعب بن معاذ تحول اليهود الذين سلموا من القتل إلى حصن قلعة الزبير، وهو حصن منيع في رأس جبل.

وقد أقام المسلمون على محاصرته ثلاثة أيام، فجاء رجل من اليهود يقال له غزال، فقال: يا أبا القاسم، تُؤَمِّنِّي على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة، وتخرج إلى الشق؟

فأمنه رسول الله ﷺ على أهله وماله، فأخبره غزال بدبول خارج الحصن تحت الأرض يشرب منه أهل الحصن، فسار ﷺ إلى دبولهم فقطعها، فلما اشتد بهم العطش خرجوا فقاتلوا أشد القتال، وقتل وجرح رجال من الطرفين، ثم افتتحه رسول الله ﷺ ، وكان هذا آخر حصون النطاة.

- **فتح حصن أُبي :**

حصن أُبي أحد حصون الشق، فلما فرغ رسول الله ﷺ من النطاة تحول إلى الشق، فبدأ بحصن أُبي، فقاتل أهله قتالاً شديداً، فخرج رجل منهم يدعو إلى البراز، فخرج له الحباب بن المنذر رضي الله عنه فقتله الحباب، ثم خرج آخر، فخرج له أبو دجانة فقتله.

ثم أحجمت اليهود عن البراز، ثم أسرع أبو دجانة فاقتحم الحصن ومعه المسلمون، وجرى قتال مرير داخل الحصن، ثم انهزم اليهود، وتسلل من بقي منهم وتحولوا إلى الحصن الثاني والأخير من حصون الشق.

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٥١٥٩). وأصله في الصحيحين .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٨٥٣).

• **فتح حصن النزار :**

وكان هذا الحصن أمنع حصون هذا الشطر، وكان اليهود على يقين أن المسلمين لا يستطيعون اقتحامه، فبدأ اليهود يرمون المسلمين بالنبال والحجارة، حتى أصاب النبل ثياب رسول الله ﷺ ، وعلقت به، فأمر رسول الله ﷺ بنصب المنجنيق الذي وجدوه في حصن الصعب، فأوقعوا الخلل في جدران الحصن، ثم اقتحمه المسلمون، وانهزم اليهود هزيمة منكرة، وفروا، وتركوا نساءهم وذراريهم، فأخذها المسلمون، وبفتح هذه الحصون الخمسة تم فتح الشطر الأول من خيبر وهي النطاة والشق.

• **فتح الشطر الثاني من خيبر :**

تحول رسول الله ﷺ بعد هزيمة اليهود وفتح الحصون الخمسة السابقة، إلى الشطر الثاني من خيبر، وهي حصون الكتيبة، وهي ثلاثة :

حصن القموص، وحصن الوطيح، وحصن السلالم.

ولما أتى ﷺ إلى تلك الحصون فرض على أهلها أشد الحصار، ودام الحصار أربعة عشر يوما، واليهود لا يخرجون من حصونهم، حتى هَمّ رسول الله ﷺ أن ينصب عليهم المنجنيق، فلما اشتدت عليهم الحال، وأيقنوا بالهلكة، سألوا رسول الله ﷺ الصلح.

وقد سبيت صفية بنت حيي بن أخطب من حصن القموص.

وبهذا ثم بفضل الله فتح تلك الحصون الثمانية، وألقى الله الرعب في قلوب يهود خيبر، فطلبوا المفاوضة والصلح مع المسلمين .

• **الصلح مع يهود خيبر :**

لما ظهر رسول الله ﷺ على أهل خيبر، فقتل المقاتلة، وسبى الذراري، وغنم الأموال، أرسل كنانة بن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ : انزل فأكلمك؟.

قال النبي ﷺ : «نعم»، فنزل ابن أبي الحقيق، فصالح رسول الله ﷺ على ما يلي:

حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة.. وترك الذرية لهم .. وأن يخرج اليهود من خيبر بذراريهم.. وأن يتركوا لرسول الله ﷺ ما كان لهم من أرض ومال مهما كان نوعه .. وأن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئا من هذه الأموال.

ثم قال ﷺ : «وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتموني شيئاً» أخرجه ابن حبان(١).
فصالحوه على ذلك، وتم تسليم الحصون إلى المسلمين.
فلما أراد الرسول ﷺ أن يُخرج أهل خيبر من أرضهم كما صالحوه، سألوه أن يقرهم فيها على أن يعملوا على نصف ما خرج منها من الثمر والزرع، فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، على أن يَكْفوا المسلمين العمل، ولهم نصف الثمر، لأن المسلمين لا يفرغون للقيام عليها.
ثم قال لهم رسول الله ﷺ : «نتركهم على ذلك ما شئنا»، فأقروه، فأقرهم رسول الله ﷺ ، حتى أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إمارته تيماء وأريحا.
وعلى الرغم من هذه المعاهدة فقد غيب ابنا أبي الحقيق مَسكاً فيه مال وحلي لحيي بن أخطب، فلما سأل عنه رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق، قالا: أذهبته الحروب والنفقات، فلما عثر عليه ﷺ قتلهما، وأحدهما كنانة بن الربيع أبي الحقيق زوج صفية بنت حيي بن أخطب، وسبب قتلهما أنهما نقضا العهد، وكتما المال.

- **قسمة غنائم خيبر :**

ثم إن رسول الله ﷺ قسم غنائم خيبر بين أهل الحديبية، لأن الله عز وجل قد وعدهم إياها، ولم يغب منهم إلا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها لأنه معذور .
ولأن خيبر فُتح شطرها عنوة، وشطرها صلحاً، قسم ﷺ ما فتح عنوة بين أهل الخمس والغانمين، وعزل ما فتح صلحاً لنوائبه وما يحتاج إليه من أمور المسلمين.
وقسم رسول الله ﷺ للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان، وللفارس سهم، وللراجل سهم.
عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ خَيْبَرَ نِصْفَيْنِ نِصْفًا لِنَوَائِبِهِ وَحَاجَتِهِ، وَنِصْفًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أخرجه أبو داود(٢).
وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ، وَلِلرَّاجِلِ سَهْمًا.

---

(١) **صحيح**/ أخرجه ابن حبان برقم (٥٩٩).
(٢) **حسن صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٣٠١٠).

قَالَ: فَسَّرَهُ نَافِعٌ فَقَالَ: إِذَا كَانَ مَعَ الرَّجُلِ فَرَسٌ فَلَهُ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَسٌ فَلَهُ سَهْمٌ. أخرجه البخاري[1].

وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء فرضخ لهم رسول الله ﷺ شيئا من الغنيمة ولم يسهم لهم.

ثم إن المهاجرين لما استغنوا، ورجع المسلمون من خيبر إلى المدينة، ردوا إلى الأنصار منائحهم التي منحوها إياهم لما قدموا عليهم المدينة.

ولقد استغنى المسلمون بفتح خيبر، لبركة غنائمها التي وعدهم الله إياها.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: مَا شَبِعْنَا حَتَّى فَتَحْنَا خَيْبَرَ. أخرجه البخاري [2].

وكان الصحابة رضي الله عنهم في خيبر وغيرها يأخذون من الطعام حاجتهم فيأكلوه قبل أن يقسم.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ قَالَ: أَصَبْنَا طَعَامًا يَوْمَ خَيْبَرَ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ فَيَأْخُذُ مِنْهُ مِقْدَارَ مَا يَكْفِيهِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ. أخرجه أبو داود[3].

- **قدوم مهاجري الحبشة :**

قدم على الرسول ﷺ وهو بخيبر بعدما فتحها ابن عمه جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة.

فلما رأى رسول الله ﷺ جعفر وأصحابه رضي الله عنهم فرح فرحاً عظيماً، وقَبَّل جعفر بين عينيه، ثم قال ﷺ : (ما أدري بأيهما أنا أُسَر، بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر) أخرجه أبوداود و الحاكم[4].

وقدم مع مهاجري الحبشة الأشعريون، وكانوا ثلاثة وخمسين رجلا، فيهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِاليَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ، وَالآخَرُ أَبُو رُهْم - إِمَّا قَالَ: فِي بِضْعٍ، وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلَاثَةٍ وَخَمْسِينَ، أَوِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي -، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالحَبَشَةِ، وَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢٢٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٢٤٣).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٢٧٠٤).

(٤) **حسن**/ أخرجه أبو داود برقم (٥٢٢٠)، وأخرجه الحاكم برقم (٤٣٠٨).

عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا، أَوْ قَالَ: فَأَعْطَانَا مِنْهَا، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ، إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ. متفق عليه[1].

وفي فضل الأشعريين وهم أهل اليمن، قال النبي ﷺ : «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ» متفق عليه[2].

وفي فضل أصحاب السفينة الذين جاؤوا مهاجرين من الحبشة أخبر النبي ﷺ أن لهم هجرتين:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال - في حديث الهجرة إلى الحبشة -: فَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً ، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ ، وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا ، فَقَالَ عُمَرُ : حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَتْ : أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ ؟ قَالَ عُمَرُ : الحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ البَحْرِيَّةُ هَذِهِ ؟.

فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : نَعَمْ ، فَقَالَ عُمَرُ : سَبَقْنَاكُمْ بِالهِجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكُمْ ، فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ كَلِمَةً : كَذَبْتَ يَا عُمَرُ، كَلَّا وَاللهِ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ أَوْ فِي أَرْضِ البُعَدَاءِ البُغَضَاءِ فِي الحَبَشَةِ ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ وَايْمُ اللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَوَاللهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ : فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ ، قَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ»متفق عليه[3].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣١٣٦)، ومسلم برقم (٢٥٠٢).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٤٨٦)، ومسلم برقم (٢٥٠٠).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢٣٠)، ومسلم برقم (٢٥٣٠) واللفظ له.

- **قدوم وفد دوس :**

جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله ﷺ وهو في مكة، فأسلم على يديه، ثم رجع إلى قومه دوساً، ودعاهم إلى الإسلام، ثم قدم على النبي ﷺ بمن أسلم معه من قومه، وهو في خيبر، فجاء بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، فيهم أبو هريرة رضي الله عنه.

عن ابْن عِرَاكٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَدِمَ الـمَدِينَةَ فِي رَهْطٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِخَيْبَرَ، وَقَدِ اسْتَخْلَفَ سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ عَلَى الـمَدِينَةِ، قَالَ: فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى بـ: (كهيعص)، وَفِي الثَّانِيَةِ:(وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ)، قَالَ: فَقُلْتُ لِنَفْسِي: وَيْلٌ لِفُلَانٍ، إِذَا اكْتَالَ اكْتَالَ بِالوَافِي، وَإِذَا كَالَ كَالَ بِالنَّاقِصِ ، قَالَ: فَلَمَّا صَلَّى زَوَّدَنَا شَيْئًا حَتَّى أَتَيْنَا خَيْبَرَ، وَقَدِ افْتَتَحَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ ، قَالَ: فَكَلَّمَ الـمُسْلِمِينَ فَأَشْرَكُونَا فِي سِهَامِهِمْ. أخرجه أحمد[1].

- **زواج الرسول ﷺ من صفية بنت حيي رضي الله عنها:**

صفية بنت حيي رضي الله عنها سبيت من حصن القموص بخيبر، قبل أن تنزل يهود على الصلح، وكانت زوجة كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وقد قتله الرسول ﷺ بعد الصلح لغدره، وقد عرض عليها رسول الله ﷺ الإسلام فأسلمت، فأعتقها وتزوجها، وجعل عتقها صداقها.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمْنَا خَيْبَرَ فَلَمَّا فَتَحَ الله عَلَيْهِ الحِصْنَ، ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا النَّبِيُّ ﷺ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ، فَبَنَى بِهَا رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطَعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ لِي: «آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ». فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَتَهُ عَلَى صَفِيَّةَ.

ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الـمَدِينَةِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، وَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ» متفق عليه[2].

ورأى رسول الله ﷺ في وجه صفية خُضرة، فقال: « يَا صَفِيَّةُ مَا هَذِهِ الخُضْرَةُ؟ » فَقَالَتْ: كَانَ رَأْسِي فِي حِجْرِ بْنِ أَبِي حَقِيقٍ وَأَنَا نَائِمَةٌ، فَرَأَيْتُ كَأَنَّ قَمَرًا وَقَعَ فِي حِجْرِي، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَلَطَمَنِي، وَقَالَ: تَمَنَّيْنَ مَلِكَ يَثْرِبَ؟ قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ الله

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (٨٥٥٢).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢١١)، ومسلم برقم (١٣٦٥).

ﷺ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ، قَتَلَ زَوْجِي وَأَبِي وَأَخِي، فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ، وَيَقُولُ: « إِنَّ أَبَاكِ أَلَّبَ عَلَيَّ العَرَبَ، وَفَعَلَ وَفَعَلَ » حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي. أخرجه ابن حبان [(١)].

وكانت صفية رضي الله عنها امرأة شريفة عاقلة، ذات حسب وجمال، وذات دين وحلم ووقار، حتى أن أزواج رسول الله ﷺ أخذتهن الغيرة منها.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: بَعَثَتْ صَفِيَّةُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ بِطَعَامٍ قَدْ صَنَعَتْهُ لَهُ وَهُوَ عِنْدِي، فَلَمَّا رَأَيْتُ الجَارِيَةَ، أَخَذَتْنِي رِعْدَةٌ حَتَّى اسْتَقَلَّنِي أَفْكَلُ، فَضَرَبْتُ القَصْعَةَ، فَرَمَيْتُ بِهَا. قَالَتْ: فَنَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ، فَعَرَفْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِرَسُولِ الله أَنْ يَلْعَنَنِي اليَوْمَ. قَالَتْ: قَالَ: « أَوْلَى ». قَالَتْ: قُلْتُ: وَمَا كَفَّارَتُهُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: « طَعَامٌ كَطَعَامِهَا، وَإِنَاءٌ كَإِنَائِهَا » أخرجه أحمد[(٢)].

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ: إِنِّي ابْنَةُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ:«مَا شَأْنُكِ؟» فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي ابْنَةُ يَهُودِيٍّ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنَّكِ ابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ »، فَقَالَ: « اتَّقِي اللهَ يَا حَفْصَةُ» أخرجه أحمد[(٣)].

وكان عمر صفية رضي الله عنها حين تزوجها الرسول ﷺ سبع عشرة سنة.

وقد توفيت رضي الله عنها سنة خمسين من الهجرة في خلافة معاوية ﷺ، ودفنت بالبقيع.

- **غدر اليهود :**

لما انتهى رسول الله ﷺ من خيبر، أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، وأخت مرحب اليهودي، شاة مصلية، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى محمد؟ فقيل لها الذراع، فأكثرت فيها السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها.

فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول منها الذراع، فلاك منها مضغة، فلم يسغها، وبسط أصحابه أيديهم، وفيهم بشر بن البراء معرور فأساغها.

وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال لأصحابه: «إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم».

---

(١) **صحيح**/ أخرجه ابن حبان برقم (٥١٩٩).

(٢) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (٢٥١٥٥).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٢٣٩٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: لمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ، أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ اليَهُودِ» فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لهُمْ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ». فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِمِ، فَقَالَ لهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أَبُوكُمْ» قَالُوا: أَبُونَا فُلاَنٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلاَنٌ» فَقَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرِرْتَ، فَقَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَالتُكُمْ عَنْهُ» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، قَالَ لهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟».

فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا، فَقَالَ لهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «اخْسَئُوا فِيهَا، وَالله لاَ نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا». ثُمَّ قَالَ لهُمْ: «فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَالتُكُمْ عَنْهُ» قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا؟» فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ» فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لمْ يَضُرَّكَ» أخرجه البخاري[1].

وترك رسول الله ﷺ تلك المرأة وعفا عنها، فلما مات بِشر بن البراء، قتلت قصاصا بقتلها بِشر ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ يأتيه الألم من هذا السم بين فترة وأخرى.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ احْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ، مِنْ أَكْلَةٍ أَكَلَهَا مِنْ شَاةٍ مَسْمُومَةٍ، سَمَّتْهَا امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ. أخرجه أحمد[2].

وقد بلغ أثر هذا السم برسول الله ﷺ إلى انقطاع الأبهر منه ﷺ .

عن عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا قالت : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ» أخرجه البخاري[3].

وبهذا أكمل الله ﷻ لنبيه مراتب الفضل كلها، فاتخذه نبياً ورسولاً، وجعله داعياً ومعلماً، وجعله مجاهداً وشهيداً، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٧٧).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٣٥٤٧).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٤٢٨).

- **قتلى الفريقين في غزوة خيبر :**

بلغ عدد من استشهد من المسلمين في غزوة خيبر بضعة عشر رجلاً.

وبلغ عدد قتلى اليهود في غزوة خيبر ثلاثة وتسعين رجلاً.

- **الصلح مع يهود فدك :**

فدك موضع يقع شمال خيبر.

ولما وصل رسول الله ﷺ إلى خيبر بعث محيصة بن مسعود في رجال معه إلى يهود فدك، يدعوهم إلى الإسلام، فأبطؤا عليه.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوبهم، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، بمثل ما صالح عليه أهل خيبر، فقبل رسول الله ﷺ ذلك منهم.

فكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ ، لأنه لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، فكان ﷺ ينفق منها على أهله، وعلى الصغير والمحتاج من بني هاشم.

- **حصار وادي القرى :**

وادي القرى: واد يقع بين المدينة والشام، كثير القرى.

بعد الصلح مع أهل فدك سار رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى وادي القرى، وكان بها جماعة من اليهود، فعبأ ﷺ أصحابه للقتال، وصفهم، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه، ثم دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم، وحقنوا دماءهم، وحسابهم على الله، فرفضوا ذلك، وأبوا إلا القتال.

فبرز رجل منهم فخرج له الزبير بن العوام رضي الله عنه فقتله، ثم برز آخر فبرز له علي رضي الله عنه فقتله، وهكذا، حتى برز منهم أحد عشر رجلا كلهم قُتلوا، ثم جالدهم الرسول ﷺ وأصحابه، فما ارتفعت الشمس لمغيبها حتى أعطوا ما بأيديهم، وفتحها رسول الله ﷺ عنوة، وغنمه الله تعالى أموالهم، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً.

وكان مع رسول الله ﷺ غلام له يدعى مدعماً، أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي، فقاتل مع المسلمين حتى قتل، وأخبرهم الرسول ﷺ عن حاله بعد موته.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا، فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا وَرِقًا، غَنِمْنَا المتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الوَادِي، وَمَعَ رَسُولِ الله ﷺ

عَبْدٌ لَهُ، وَهَبَهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ يُدْعَى رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الوَادِيَ، قَامَ عَبْدُ رَسُولِ الله ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ، فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ، فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الشِّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا أَخَذَهَا مِنَ الغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ»، قَالَ: فَفَزِعَ النَّاسُ، فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ، أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ» متفق عليه[1].

وأقام ﷺ بوادي القرى أربعة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه هناك، وترك الأرض والنخل بيد اليهود، وعاملهم مثل أهل خيبر، وولى عليهم عمرو بن سعيد بن العاص رضي الله عنه.

- **أمر يهود تيماء :**

لما بلغ يهود تيماء ما فعل رسول الله ﷺ بأهل خيبر وفدك ووادي القرى صالحوه على الجزية، وأقاموا ببلادهم، وأرضهم في أيديهم.

- **عودة المسلمين إلى المدينة :**

ثم انصرف الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة، قد نصرهم الله على يهود خيبر وما حولها، وأعطاه من المغانم خيراً كثيراً، فكانت مدة غيبته نحواً من شهر.

وفي طريق عودته ﷺ إلى المدينة حدثت أحداث منها:

الأول : رفع الصحابة الصوت بذكر الله تعالى، فأمرهم ﷺ بخفض الصوت، وعدم إجهاد أنفسهم.

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ» قَالَ وَأَنَا خَلْفَهُ، وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، فَقَالَ: « يَا عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ، فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ الله قَالَ: « قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله» متفق عليه[2].

الثاني : فوات صلاة الفجر :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ قَفَلَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ سَارَ لَيْلَهُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الكَرَى عَرَّسَ، وَقَالَ لِبِلَالٍ: «اكْلَأْ لَنَا اللَّيْلَ»، فَصَلَّى بِلَالٌ مَا قُدِّرَ لَهُ، وَنَامَ رَسُولُ الله

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢٣٤)، ومسلم برقم (١١٥).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢٠٢)، ومسلم برقم (٢٧٠٤).

ﷺ وأَصْحابُهُ، فَلَمَّا تَقارَبَ الفَجْرُ اسْتَنَدَ بِلالٌ إلى راحِلَتِهِ مُواجِهَ الفَجْرِ، فغَلَبَتْ بِلالًا عَيْناهُ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إلى راحِلَتِهِ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ رَسُولُ الله ﷺ، وَلا بِلالٌ، وَلا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ.

فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَوَّلَهُمُ اسْتِيقاظًا، ففَزِعَ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «أَيْ بِلالُ» فَقالَ بِلالُ: أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله - بِنَفْسِكَ، قَالَ: «اقْتَادُوا»، فَاقْتَادُوا رَوَاحِلَهُمْ شَيْئًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ الله ﷺ، وَأَمَرَ بِلالًا فَأَقَامَ الصَّلاةَ، فَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاةَ قَالَ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلاةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا»، فَإِنَّ اللهَ قَالَ: "أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي. متفق عليه[1].

الثالث : سقوط الرسول ﷺ من الناقة :

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : أَقْبَلْنَا مِنْ خَيْبَرَ أَنَا وأَبُو طَلْحَةَ وَرَسُولُ الله ﷺ ، وَصَفِيَّةُ رَدِيفَتُهُ ، قَالَ : فَعَثَرَتْ نَاقَةُ رَسُولِ الله ﷺ ، فَصُرِعَ رَسُولُ الله ﷺ وَصُرِعَتْ صَفِيَّةُ . قَالَ : فَاقْتَحَمَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، جَعَلَنِي الله فِدَاكَ أَضُرِرْتَ ؟ قَالَ : « لاَ ، عَلَيْكَ المَرْأَةَ» قَالَ : فَالقَى أَبُو طَلْحَةَ عَلَى وَجْهِهِ الثَّوْبَ ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَمَدَّ ثَوْبَهُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ أَصْلَحَ لهَا رَحْلَهَا ، فَرَكِبْنَا ، ثُمَّ اكْتَنَفْنَاهُ ، أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ. أخرجه أحمد[2].

- **وصول الرسول ﷺ إلى المدينة :**

واصل الرسول ﷺ سيره إلى المدينة، حتى إذ بدا له جبل أحد قال: «هذا جبل يحبنا ونحبه».

فلما أشرف ﷺ على المدينة، قال: « اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا، مِثْلَ مَا حَرَّمَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لهَمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ» متفق عليه[3].

ثم قال ﷺ : « آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُهَا حَتَّى دَخَلَ المَدِينَةَ. متفق عليه [4].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥)، ومسلم برقم (٦٨٠).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٢٩٤٧) وأصله في البخاري برقم(٥٩٦٨).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٤٢٥)، ومسلم برقم (١٣٦٥).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٠٨٦)، ومسلم برقم (١٣٤٥).

٦- قصة الحجاج بن علاط السلمي مع قريش

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ قَالَ الحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي بِمَكَّةَ مَالًا، وَإِنَّ لِي بِهَا أَهْلًا، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيَهُمْ، فَأَنَا فِي حِلٍّ إِنْ أَنَا نِلْتُ مِنْكَ، أَوْ قُلْتُ شَيْئًا؟ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ مَا شَاءَ.

فَأَتَى امْرَأَتَهُ حِينَ قَدِمَ فَقَالَ: اجْمَعِي لِي مَا كَانَ عِنْدَكِ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ مِنْ غَنَائِمِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَإِنَّهُمْ قَدِ اسْتُبِيحُوا وَأُصِيبَتْ أَمْوَالُهُمْ، قَالَ: فَفَشَا ذَلِكَ فِي مَكَّةَ، وَانْقَمَعَ المسْلِمُونَ، وَأَظْهَرَ المشْرِكُونَ فَرَحًا وَسُرُورًا قَالَ: وَبَلَغَ الخَبَرُ العَبَّاسَ فَعَقِرَ، وَجَعَلَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ، قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي عُثْمَانُ الجَزَرِيُّ، عَنْ مِقْسَمٍ قَالَ: فَأَخَذَ ابْنًا لَهُ يُقَالُ لَهُ: قُثَمُ، فَاسْتَلْقَى فَوَضَعَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

حَيَّ قُثَمْ حَيَّ قُثَمْ .. شَبِيهَ ذِي الأَنْفِ الأَشَمْ.. بَنِي ذِي النَّعَمْ .. يَرْغَمْ مَنْ رَغَمْ.

قَالَ ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ: ثُمَّ أَرْسَلَ غُلَامًا إِلَى الحَجَّاجِ بْنِ عِلَاطٍ، وَيْلَكَ مَا جِئْتَ بِهِ، وَمَاذَا تَقُولُ؟ فَمَا وَعَدَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتَ بِهِ. قَالَ الحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ لِغُلَامِهِ: اقْرَأْ عَلَى أَبِي الفَضْلِ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: فَلْيَخْلُ لِي فِي بَعْضِ بُيُوتِهِ لِآتِيَهُ، فَإِنَّ الخَبَرَ عَلَى مَا يَسُرُّهُ، فَجَاءَ غُلَامُهُ فَلَمَّا بَلَغَ بَابَ الدَّارِ، قَالَ: أَبْشِرْ يَا أَبَا الفَضْلِ. قَالَ: فَوَثَبَ العَبَّاسُ فَرَحًا حَتَّى قَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَأَخْبَرَهُ مَا قَالَ الحَجَّاجُ، فَأَعْتَقَهُ.

ثُمَّ جَاءَهُ الحَجَّاجُ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ، وَجَرَتْ سِهَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَاصْطَفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ فَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ، وَخَيَّرَهَا أَنْ يُعْتِقَهَا، وَتَكُونَ زَوْجَتَهُ، أَوْ تَلْحَقَ بِأَهْلِهَا، فَاخْتَارَتْ أَنْ يُعْتِقَهَا، وَتَكُونَ زَوْجَتَهُ، وَلَكِنِّي جِئْتُ لِمَالٍ كَانَ لِي هَاهُنَا، أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَهُ فَأَذْهَبَ بِهِ، فَاسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَذِنَ لِي أَنْ أَقُولَ مَا شِئْتُ ،فَأَخْفِ عَنِّي ثَلَاثًا، ثُمَّ اذْكُرْ مَا بَدَا لَكَ.

قَالَ: فَجَمَعَتْ امْرَأَتُهُ مَا كَانَ عِنْدَهَا مِنْ حُلِيٍّ وَمَتَاعٍ، فَجَمَعَتْهُ فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِهِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثٍ أَتَى العَبَّاسُ امْرَأَةَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ زَوْجُكِ؟ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَتْ: لَا يُخْزِيكَ اللهُ يَا أَبَا الفَضْلِ، لَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا الَّذِي بَلَغَكَ. قَالَ: أَجَلْ لَا يحْزُنِّي اللهُ، وَلَمْ يَكُنْ بِحَمْدِ اللهِ إِلَّا مَا أَحْبَبْنَا: فَتَحَ اللهُ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِهِ

ﷺ وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ الله، وَاصْطَفَى رَسُولُ الله ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ لِنَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَتْ لَكِ حَاجَةٌ فِي زَوْجِكِ فَالحَقِي بِهِ.

قَالَتْ: أَظُنُّكَ وَالله صَادِقًا. قَالَ: فَإِنِّي صَادِقٌ، الأَمْرُ عَلَى مَا أَخْبَرْتُكِ.

فَذَهَبَ حَتَّى أَتَى مجَالِسَ قُرَيْشٍ وَهُمْ يَقُولُونَ إِذَا مَرَّ بِهِمْ: لَا يُصِيبُكَ إِلَّا خَيْرٌ يَا أَبَا الفَضْلِ. قَالَ لهُمْ: لمْ يُصِبْنِي إِلَّا خَيْرٌ بِحَمْدِ الله، قَدْ أَخْبَرَنِي الحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ أَنَّ خَيْبَرَ قَدْ فَتَحَهَا الله عَلَى رَسُولِهِ، وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ الله، وَاصْطَفَى صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ، وَقَدْ سَأَلَنِي أَنْ أُخْفِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، وَإِنَّمَا جَاءَ لِيَأْخُذَ مَالَهُ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ هَاهُنَا، ثُمَّ يَذْهَبَ.

قَالَ: فَرَدَّ الله الكَآبَةَ الَّتِي كَانَتْ بِالمُسْلِمِينَ عَلَى المشْرِكِينَ، وَخَرَجَ المُسْلِمُونَ، وَمَنْ كَانَ دَخَلَ بَيْتَهُ مُكْتَئِبًا حَتَّى أَتَوُا العَبَّاسَ، فَأَخْبَرَهُمُ الخَبَرَ، فَسُرَّ المسْلِمُونَ وَرَدَّ الله - يَعْنِي مَا كَانَ مِنْ كَآبَةٍ - أَوْ غَيْظٍ، أَوْ حُزْنٍ عَلَى المُشْرِكِينَ. أخرجه أحمد[1].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٢٤٠٩).

٧- دخول الرسول ﷺ بأم حبيبة رضي الله عنها

لما رجع رسول الله ﷺ من خيبر إلى المدينة، وجد في انتظاره زوجته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، بعد أن رجعت من الحبشة مع جعفر رضي الله عنه وأصحابه، ولم تذهب معهم إلى خيبر، بل جلست في المدينة.

وكان رسول الله ﷺ قد بعث إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ليزوجه أم حبيبة، ويبعث بها إليه مع جعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم.

وكانت أم حبيبة رضي الله عنها من بنات عم الرسول ﷺ ، فليس في أزواجه من هي أقرب إليه نسباً منها، ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها.

وقد هاجرت رضي الله عنها إلى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش، فمات عنها وهم بالحبشة.

وكان عمر أم حبيبة رضي الله عنها حين دخل بها رسول الله ﷺ بضعاً وثلاثين سنة، وتوفيت رضي الله عنها سنة أربع وأربعين من الهجرة، في خلافة أخيها معاوية رضي الله عنهما.

عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تحتَ عُبَيْدِ الله بْنِ جَحْشٍ، وَكَانَ أَتَى النَّجَاشِيَّ فَمَاتَ، وَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ تَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَإِنَّهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ، زَوَّجَهَا إِيَّاهُ النَّجَاشِيُّ، وَمَهَرَهَا أَرْبَعَةَ آلَافٍ. أخرجه أحمد(١).

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٧٤٠٨).

٨- غزوة ذات الرقاع

سميت هذه الغزوة بذات الرقاع لأن الصحابة رضي الله عنهم لفوا على أرجلهم الخرق بعد أن تنقبت خفافهم.

عَنْ أَبِي مُوسَى ﵁ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا، وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ، لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الخِرَقِ عَلَى أَرْجُلِنَا. متفق عليه[١].

وغزوة ذات الرقاع كانت بعد غزوة خيبر، في السنة السابعة من الهجرة؛ لأن أبا هريرة وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما شهدا غزوة ذات الرقاع، فلزم أنها كانت بعد خيبر، لأن أبا موسى وأبا هريرة رضي الله عنهما قدما على الرسول ﷺ وهو في خيبر.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ فِي الخَوْفِ فِي غَزْوَةِ السَّابِعَةِ، غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ. أخرجه البخاري[٢].

وسبب هذه الغزوة أنه بلغ رسول الله ﷺ أن جموعاً من بني محارب، أو من أنمار، وبني ثعلبة من غطفان، قد أجمعوا على حربه ﷺ.

فخرج إليهم الرسول ﷺ في أربعمائة أو سبعمائة من أصحابه، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ﵁، وقيل أبا ذر الغفاري ﵁.

ومضى رسول الله ﷺ حتى أتى محالهم بنخلة قرب مكة، موضع بين مكة والمدينة، فلم يجد في محالهم أحداً إلا نسوة، فأخذهن وفيهن جارية وضيئة، وهربت الأعراب إلى رؤوس الجبال، ثم لقي جمعاً منهم فتقارب الناس، ولم يكن بينهم قتال، وقد أخاف الناس بعضهم بعضاً، وحضرت صلاة العصر، فخاف المسلمون أن يُغِير المشركون عليهم، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخوف، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة وقد غاب خمس عشرة ليلة.

وبعث ﷺ جعال بن سراقة ﵁ بشيراً إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين.

عن جابر ﵁ قال: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، فَلَقِيَ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ، فَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ، وَأَخَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ رَكْعَتَيِ الخَوْفِ. أخرجه البخاري[٣].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤١٢٨)، ومسلم برقم (١٨١٦).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤١٢٥).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤١٢٧).

وعَنْ جَابِرٍ ﷛ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِذَاتِ الرِّقَاعِ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَسَيْفُ النَّبِيِّ ﷺ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ، فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ: تخَافُنِي؟ قَالَ: «لاَ»، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللهُ» فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الأُخْرَى رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعٌ، وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ. أخرجه البخاري[1].

• **الأحداث التي وقعت أثناء رجوع النبي ﷺ إلى المدينة :**

الحادث الأول : قصة غورث بن الحارث :

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَخبَرَ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ الله ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ تحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: الله، - ثَلاَثًا - » وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ. متفق عليه[2].

الحادث الثاني : قصة جمل جابر ﷛ :

في طريق العودة من ذات الرقاع ابتاع رسول الله ﷺ من جابر بن عبد الله رضي الله عنهما جمله، وشرط له ظهره إلى المدينة، وسأله رسول الله ﷺ عن دين أبيه، فأخبره به، واستغفر له رسول الله ﷺ .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَتَلَاحَقَ بِي وَتحْتِي نَاضِحٌ لِي قَدْ أَعْيَا، وَلَا يَكَادُ يَسِيرُ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «مَا لِبَعِيرِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: عَلِيلٌ، قَالَ: فَتَخَلَّفَ رَسُولُ الله ﷺ، فَزَجَرَهُ وَدَعَا لَهُ، فَمَا زَالَ بَيْنَ يَدَيِ الإِبِلِ قُدَّامَهَا يَسِيرُ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: بِخَيْرٍ قَدْ أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ، قَالَ: «أَفَتَبِيعُنِيهِ؟» فَاسْتَحْيَيْتُ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَاضِحٌ غَيْرُهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَبِعْتُهُ إِيَّاهُ عَلَى أَنَّ لِي فَقَارَ ظَهْرِهِ حَتَّى أَبْلُغَ المَدِينَةَ.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي عَرُوسٌ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ، فَأَذِنَ لِي، فَتَقَدَّمْتُ النَّاسَ إِلَى المَدِينَةِ حَتَّى انْتَهَيْتُ، فَلَقِيَنِي خَالِي، فَسَأَلَنِي عَنِ البَعِيرِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا صَنَعْتُ فِيهِ، فَلَامَنِي فِيهِ، قَالَ: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ لِي حِينَ اسْتَأْذَنْتُهُ: «مَا تَزَوَّجتَ؟ أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟»، فَقُلْتُ

(١) أخرجه البخاري برقم (٤١٣٦).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩١٠)، ومسلم برقم (٨٤٣).

لَهُ: تَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا، قَالَ: «أَفَلا تَزَوَّجْتَ بِكْرًا تُلاعِبُكَ وَتُلاعِبُهَا؟»، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، تُوُفِّيَ وَالِدِي - أَوِ اسْتُشْهِدَ - وَلِي أَخَوَاتٌ صِغَارٌ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ إِلَيْهِنَّ مِثْلَهُنَّ فَلا تُؤَدِّبُهُنَّ، وَلَا تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا لِتَقُومَ عَلَيْهِنَّ وَتُؤَدِّبَهُنَّ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ غَدَوْتُ إِلَيْهِ بِالبَعِيرِ، فَأَعْطَانِي ثَمَنَهُ وَرَدَّهُ عَلَيَّ. متفق عليه [1].

الحادث الثالث : أفراخ الحُمَّرة :

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سفر، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمْرَةً مَعَهَا فَرْخَان، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الحُمَّرَةُ فجعلت تَفْرُشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا ؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا» أخرجه أحمد وأبوداود [2].

الحادث الرابع : قصة عبَّاد بن بشر وعمار بن ياسر رضي الله عنهما :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، فَأُصِيبَتْ امْرَأَةٌ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَافِلًا، وَجَاءَ زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِبًا، فَحَلَفَ أَنْ لا يَنْتَهِيَ حَتَّى يُهْرِيقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْزِلًا، فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟» فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَا: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَكُونُوا بِفَمِ الشِّعْبِ» ، قَالَ: وَكَانُوا نَزَلُوا إِلَى شِعْبٍ مِنَ الوَادِي.

فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ قَالَ الأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ: أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيكَهُ؟ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ؟ قَالَ: اكْفِنِي أَوَّلَهُ، فَاضْطَجَعَ المُهَاجِرِيُّ فَنَامَ، وَقَامَ الأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي، وَأَتَى الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ القَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ، فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ، فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ عَادَ لَهُ بِثَالِثٍ، فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ، فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أُوتِيتَ، فَوَثَبَ، فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذَرُوا بِهِ فَهَرَبَ، فَلَمَّا رَأَى المُهَاجِرِيُّ مَا بِالأَنْصَارِيِّ مِنَ الدِّمَاءِ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، أَلَا أَهْبَبْتَنِي قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا، فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِذَهَا، فَلَمَّا تَابَعَ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَأُرِيتُكَ، وَايْمُ اللهِ، لَوْلَا أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِهِ، لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا، أَوْ أُنْفِذَهَا. أخرجه أحمد [3].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩٦٧)، ومسلم برقم (٧١٥).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٣٨٣٥)، وأخرجه أبوداود برقم (٢٦٧٥).
(٣) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (١٤٧٠٤).

٩- سرية عمر بن الخطاب ﵁ إلى تربة

في شهر شعبان من السنة السابعة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ﵁، في ثلاثين راكباً إلى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، وبني جشم بن بكر بن هوازن، بتربة، وادٍ قرب مكة.

فخرج عمر ﵁ بمن معه إليهم، يسيرون بالليل، ويكمنون في النهار، فأتى الخبر هوازن فهربوا، وجاء عمر إلى محالهم فلم يلق أحداً، فانصرف راجعاً إلى المدينة، فلما كان بالجدد من ديار هذيل قال له دليله من بني هلال: هل لك في جمع آخر من خثعم جاؤا سائرين، قد أجدبت بلادهم؟ فقال له عمر ﵁: ما أمرني رسول الله ﷺ بهم، إنما أمرني أن أقاتل هوازن تربة، فانصرف عمر ﵁ راجعاً إلى المدينة.

١٠- سرية أبي بكر الصديق ﵁ إلى بني فزارة

في شعبان، من السنة السابعة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ﵁ إلى بني فزارة في نجد.

عن سلمة بن الأكوع ﵁ قَالَ: غَزَوْنَا فَزَارَةَ وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ، أَمَّرَهُ رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْنَا، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الماءِ سَاعَةٌ أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ فَعَرَّسْنَا، ثُمَّ شَنَّ الغَارَةَ، فَوَرَدَ المَاءَ، فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ عَلَيْهِ، وَسَبَى، وَأَنْظُرُ إِلَى عُنُقٍ مِنَ النَّاسِ فِيهِمُ الذَّرَارِيُّ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُونِي إِلَى الجَبَلِ، فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الجَبَلِ، فَلَمَّا رَأَوُا السَّهْمَ وَقَفُوا، فَجِئْتُ بِهِمْ أَسُوقُهُمْ وَفِيهِم امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ عَلَيْهَا قَشْعٌ مِنْ أَدَمٍ - قَالَ: القَشْعُ: النِّطْعُ - مَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا مِنْ أَحْسَنِ العَرَبِ، فَسُقْتُهُمْ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ، فَنَفَّلَنِي أَبُو بَكْرٍ ابْنَتَهَا، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، فَلَقِيَنِي رَسُولُ الله ﷺ فِي السُّوقِ، فَقَالَ: «يَا سَلَمَةُ، هَبْ لِي المَرْأَةَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَالله لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي، وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، ثُمَّ لَقِيَنِي رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الغَدِ فِي السُّوقِ، فَقَالَ لِي: «يَا سَلَمَةُ، هَبْ لِي المَرْأَةَ لله أَبوكَ»، فَقُلْتُ: هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ الله، فَوَالله مَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَفَدَى بِهَا نَاسًا مِنَ المُسْلِمِينَ كَانُوا أُسِرُوا بِمَكَّةَ. أخرجه مسلم[1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٥٥).

١١- سرية بشير بن سعد ﵁ إلى بني مرة

في شهر شعبان، سنة سبع من الهجرة، بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد ﵁، في ثلاثين راكباً إلى بني مرة، وكانوا شمال المدينة قرب فدك.

فلما وصل بشير ﵁ إلى ديارهم لم يجد أحداً، فاستاق النعم والشاة، ثم انحدر إلى المدينة، فلما علم بنو مرة بالخبر لحقوهم فأدركوهم فتراموا بالنبل، حتى فنيت نبل المسملين، ثم حمل بنو مرة على بشير وأصحابه، فقتلوا من قتلوا من أصحاب بشير رضي الله عنهم، وفر من فر منهم، وقاتل بشير ﵁ حتى ارتث وسقط، فظنوه قد مات، ورجعوا بأنعامهم وشائهم.

ثم في المساء تحامل بشير ﵁ حتى انتهى إلى فدك، وأقام عند يهودي أياماً حتى ضمدت جراحه، ثم رجع إلى المدينة.

وقد نقل خبر مصاب هذه السرية إلى رسول الله ﷺ علبة بن زيد الحارثي.

١٢- سرية غالب بن عبد الله الليثي ﵁ إلى الميفعة

كانت هذه السرية في شهر رمضان، من السنة السابعة للهجرة، وقد بعثها رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة، بينها وبين المدينة ثمانية برد، من ناحية نجد.

وقد بعث رسول الله ﷺ إليهم غالب بن عبد الله الليثي ﵁، في مائة وثلاثين رجلا، ودليلهم يسار مولى رسول الله ﷺ.

ولما وصلوا إلى ديارهم هجموا عليهم، فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعماً وشاء، ورجعوا إلى المدينة، ولم يأسروا أحداً.

عن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما قال: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله » قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تمَنَّيْتُ أَنِّي لمَ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ. أخرجه البخاري[1].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٨٧٢).

١٣- سرية بشير بن سعد ﵁ إلى يمن وجُبار

في شهر شوال، من السنة السابعة للهجرة، بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان واعدهم عيينة بن حصن الفزاري للإغارة على المدينة أو أطرافها.

فدعا رسول الله ﷺ بشير بن سعد ﵁ فعقد له لواءً، وبعث معه ثلاثمائة رجل، وأمرهم أن يسيروا بالليل، ويكمنوا بالنهار، وخرج معهم حسين بن نويرة الأشجعي دليلاً، وهو الذي قدم بخبر تجمع غطفان.

فسارت السرية حتى أتوا يمن وجبار، فنزلوا بسلاح أسفل خيبر، ثم خرجوا إلى القوم فأصابوا لهم نعما كثيراً، وتفرق الرعاء، وذهبوا إلى القوم فأخبروهم، فتفرقوا ولحقوا بعلياء بلادهم، فلحقهم بشير وأصحابه حتى أتوا محالهم، فلم يظفر بأحد منهم إلا رجلين أسرهما، فرجع بالنعم والرجلين إلى المدينة فأسلما، فأرسلهما رسول الله ﷺ .

ولما فر عيينة بن حصن منهزماً لقيه الحارث بن عوف المري، وكان حليفاً له، فاستوقفه الحارث، فقال عيينة: لا، ما أقدر، خلفي الطلب، أصحاب محمد وهو يركض.

فقال له الحارث: قد آن لك يا عيينة أن تقصر عما ترى، إن محمداً وطئ البلاد، وأنت موضع في غير شيء.

فكان هذا الأمر سبباً في جعل عيينة يفكر في الإسلام.

١٤- أسر ثمامة بن أُثال الحنفي وإسلامه

عن أبي هريرة ﵁ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟».

فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ

قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، يَا مُحَمَّدُ، وَالله مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَض إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَالله مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَض إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَالله مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله ﷺ، وَلاَ وَالله، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ. متفق عليه [(١)].

ثم خرج ثمامة إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، حتى أضر بقريش الجوع، وأكلوا العلهز.

فأرسلت قريش وفداً بقيادة أبي سفيان إلى رسول الله ﷺ في المدينة، فقال له: أنشدكم الله والرحم، إنك تزعم أنك بُعثت رحمة للعالمين، فقال رسول الله ﷺ: «بلى»، فقال أبو سفيان: قد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع.

فكتب رسول الله ﷺ إلى ثمامة بن أثال رضي الله عنه أن يخلي بينهم وبين الحمل إلى مكة، ففعل رضي الله عنه، وأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٧٦].

وقد ظل ثمامة رضي الله عنه على إسلامه، ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة، حين تنبأ مسيلمة الكذاب.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٧٢)، ومسلم برقم (١٧٦٤).

١٥- عمرة القضاء

لما دخل هلال شهر ذي القعدة، من السنة السابعة للهجرة، أمر الرسول ﷺ أصحابه بالعمرة، تنفيذاً لما تم الاتفاق عليه مع قريش في صلح الحديبية، بأن يعتمر المسلمون في العام القادم في شهر ذي القعدة.

فخرج رسول الله ﷺ للعمرة، ولم يتخلف عنه أحد ممن شهد الحديبية خلا من مات في خيبر أو غيرها.

فكان مجموع من خرج مع رسول الله ﷺ من المسلمين ألفين، سوى النساء والصبيان، من أهل الحديبية وغيرهم.

واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة عويف بن الأضبط الديلي رضي الله عنه، وساق رسول الله ﷺ ستين بدنة، وجعل عليها ناجية بن جندب الأسلمي، يسير بها أمامه، ومعه أربعة فتيان من أسلم.

وقد حمل الرسول ﷺ معه السلاح والدروع والرماح خوفاً من غدر أهل مكة.

وقاد معه مائة فارس، احتياطاً من غدر المشركين.

فلما انتهى ﷺ إلى ذي الحليفة، قدَّم الخيل أمامه، عليها محمد بن مسلمة رضي الله عنه، وقدَّم السلاح، واستعمل عليه بشير بن سعد رضي الله عنه.

وأحرم رسول الله ﷺ وأصحابه من مسجد ذي الحليفة، ولبى، والمسلمون معه يلبون.

ومضى محمد بن مسلمة رضي الله عنه في الخيل، فلما كان بمر الظهران، واد بين مكة وعسفان، وجد بها نفراً من قريش، فسألوه عن سبب مجيئه بالخيل، فقال: هذا رسول الله ﷺ يصبِّح هذا المنزل غداً إن شاء الله، ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد رضي الله عنه.

فخرجوا سراعاً حتى أتوا مكة، فأخبروا قريشاً بما رأوا وسمعوا، ففزعت قريش، وقالوا: والله ما أحدثنا حدثا، وإنا على كتابنا وهدنتنا، ففيم يغزونا محمد في أصحابه؟

ولما وصل الرسول ﷺ إلى مر الظهران نزل به، فبلغ رسول الله ﷺ أن قريشاً تقول عنهم: ما يتباعثون من العجف، فقال الصحابة رضي الله عنهم: يا رسول الله لو أكلنا من ظهرنا، فأكلنا من شحومها، وحسونا من المرق، فأصبحنا غداً حتى ندخل على القوم وبنا جمام.

فقال رسول الله ﷺ : « لا، ولكن ائتوني بفضل أزوادكم».

فبسطوا أنطاعهم، ثم جمعوا عليها من أطعماتهم كلها، فدعا لهم فيها بالبركة، فأكلوا حتى تضلعوا شبعاً، فأكفتوا في جربهم فضل ما فضل منها.

ثم قدَّم رسول الله ﷺ السلاح إلى بطن يأجج، واد قريب من مكة، حيث ينظر إلى أنصاب الحرم.

- **فزع قريش :**

لما وصل ﷺ وأصحابه إلى بطن يأجج خافت قريش، فبعثت مكرز بن حفص في نفر من قريش حتى لقوا رسول الله ﷺ ببطن يأجج، وهو في أصحابه والهدي والسلاح، فقالوا: يا محمد، ما عُرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك، وقد شرطت لهم ألا تدخل إلا بسلاح المسافر، السيوف في القِرَب.

فقال رسول الله ﷺ : « إني لا أُدخل عليهم السلاح ».

فقال مكرز: هذا الذي يُعرف به البر والوفاء، ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة، فقال: إن محمداً لا يدخل بسلاح، وهو على الشرط الذي شرط لكم.

وقد أشيعت في مكة إشاعة، وهي أن المسلمين القادمين للعمرة قد أصابتهم الحمى، فخرج أكثر أهل مكة إلى الجبال المحيطة بها خشية العدوى.

- **دخول الرسول ﷺ مكة :**

ثم خرج رسول الله ﷺ من يأجج، بعد أن وضع الأداة كلها الحجف والمجان والرماح والنبل، وخلف عليها أوس بن خولي الأنصاري، في مائتي راجل، وقدم الهدي أمامه، فحبس بذي طُوى، موضع عند باب مكة جهة المدينة.

ودخل الرسول ﷺ مكة بعد أن غاب عنها سبع سنين، وكان دخوله من الثنية التي تطلعه على الحجون، وأصحابه رضي الله عنهم محدقون به، قد توشحوا السيوف يلبون وهم يخافون عليه من أهل مكة أن يرميه أحد.

عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال : لمَّا اعْتَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ سَتَرْنَاهُ مِنْ غِلْمَانِ المُشْرِكِينَ وَمِنْهُمْ، أَنْ يُؤْذُوا رَسُولَ الله ﷺ. أخرجه البخاري [1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢٥٥).

ولم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى دخل المسجد الحرام من باب بني شيبة، وقد صفت له قريش عند دار الندوة، أو مما يلي الحجر.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لمَّا دَخَلَ مَكَّةَ، قَامَ أَهْلُ مَكَّةَ سِمَاطَيْن. أخرجه ابن حبان[1].

وَعَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنه آخذ بزمام راحلة الرسول ﷺ يَمْشِي ﷺ وَيَقُولُ:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضر بكم على تنزيله

ضربـا يزيل الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِـلُ الخَلِيـلَ عَنْ خَلِيلِهِ

يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عمر: يا ابن رَوَاحَةَ، أَتَقُولُ الشِّعْرَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ؟ فقَالَ ﷺ: «مَهْ يَا عُمَرُ، لهَذَا أَشَدُّ عليهم من وَقْع النَّبل» أخرجه ابن حبان [2].

● **أداء العمرة، وإظهار القوة :**

لما وصل الرسول ﷺ عند الكعبة استلم الركن بمحجنه، لأنه كان راكباً، واضطبع بثوبه، ثم شرع في الطواف.

ولما كان أشراف قريش لما سمعوا بقدوم الرسول ﷺ وأصحابه خرجوا من مكة إلى رؤوس الجبال غيظاً، وحسداً، وخوفاً من الحمى التي أشيع أن المسلمين قد وهنتهم حمى يثرب أن تصيبهم، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالرمل، وإظهار القوة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ، وَقَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ، قَالَ المُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدًا قَوْمٌ قَدْ وَهَنَتْهُمُ الحُمَّى، وَلَقُوا مِنْهَا شِدَّةً، فَجَلَسُوا ممَّا يَلِي الحِجْرَ، وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ، وَيَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، لِيَرَى المُشْرِكُونَ جَلَدَهُمْ.

فَقَالَ المُشْرِكُونَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الحُمَّى قَدْ وَهَنَتْهُمْ، هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ. متفق عليه [3].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه ابن حبان برقم (٣٨١٢).
(٢) **صحيح**/ أخرجه ابن حبان برقم (٥٧٨٨).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٦٠٢)، ومسلم برقم (١٢٦٦).

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الطواف بالبيت، صلى خلف المقام ركعتين، ومعه من يستره من أصحابه، ثم سعى بين الصفا والمروة على راحلته، وأصحابه معه يسعون، ثم دعا فقال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، هَازِمَ الأَحْزَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ» أخرجه أحمد(١).

وعن عَبْدِ الله بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ: اعْتَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ، وَاعْتَمَرْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ طَافَ وَطُفْنَا مَعَهُ، وَأَتَى الصَّفَا وَالمَرْوَةَ وَأَتَيْنَاهَا مَعَهُ وَكُنَّا نَسْتُرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يَرْمِيَهُ أَحَدٌ. أخرجه البخاري(٢).

- **ذبح الهدي :**

لما طاف رسول الله ﷺ ، وسعى بين الصفا والمروة، دعا بالهدي، وكان عدده ستين بدنة، وكان قد أمر بإحضاره من ذي طوى، فنحر هديه عند المروة، وحلق هناك، حلقه معمر بن عبد الله العدوي رضي الله عنه، وكذلك فعل أصحَابه رضي الله عنهم.

- **خروج النبي ﷺ من مكة :**

أقام رسول الله ﷺ وأصحابه بمكة ثلاثة أيام كما اشترطت عليه قريش في صلح الحديبية، ولم يدخل ﷺ الكعبة لوجود الأصنام والصور فيها.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ: اعْتَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ فَطَافَ بِالبَيْتِ، وَصَلَّى خَلْفَ المَقَامِ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَهُ مَنْ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ الكَعْبَةَ؟ قَالَ: لاَ. أخرجه البخاري(٣).

فلما انقضت الأيام الثلاثة المقررة للعمرة حسب شروط صلح الحديبية، أمرت قريش الرسول ﷺ بالخروج من مكة، فخرج راجعاً إلى المدينة .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِرًا، فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَنَحَرَ هَدْيَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالحُدَيْبِيَةِ، وَقَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ الْعَامَ المُقْبِلَ، وَلَا يَحْمِلَ سِلَاحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا سُيُوفًا، وَلَا يُقِيمَ بِهَا إِلَّا مَا أَحَبُّوا ، فَاعْتَمَرَ مِنَ الْعَامِ المُقْبِلِ فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالَحَهُمْ ، فَلَمَّا أَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ. أخرجه البخاري(٤).

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٩٤٠٧).
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٧٩١).
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٦٠٠).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٧٠١).

• **سؤال الرسول ﷺ عن خالد بن الوليد :**

قال خالد بن الوليد رضي الله عنه : كان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي ﷺ في عمرة القضية، فطلبني فلم يجدني ، فكتب إلي كتابا ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك! ومثل الإسلام جَهله أحد! وقد سألني رسول الله ﷺ عنك ، وقال: « أين خالد؟ » فقلت: يأتي الله به . فقالَ : « ما مثله جهل الإسلام ، ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين كان خيرا له ، ولقدمناه على غيره » . فاستدرك يا أخي ما قد فاتك ، فقد فاتك مواطن صالحة . قال : فلما جاءني كتابه نشطت للخروج ، وزادني رغبة في الإسلام [(١)].

• **قضاء الرسول ﷺ في عمارة ابنة حمزة رضي الله عنهما :**

عَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: لمَّا اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِي القَعْدَةِ، فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدَعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ، حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَتَبُوا الكِتَابَ، كَتَبُوا: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، قَالُوا: لاَ نُقِرُّ لَكَ بِهَذَا، لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ الله مَا مَنَعْنَاكَ شَيْئًا، وَلَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، فَقَالَ «أَنَا رَسُولُ الله، وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله»، ثُمَّ قَالَ: لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «امْحُ رَسُولَ الله»، قَالَ عَلِيٌّ: لاَ وَالله لاَ أَمْحُوكَ أَبَدًا، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ الكِتَابَ، وَلَيْسَ يُحْسِنُ يَكْتُبُ، فَكَتَبَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، لا يُدْخِلُ مَكَّةَ السِّلاَحَ إِلَّا السَّيْفَ فِي القِرَابِ، وَأَنْ لاَ يَخْرُجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتْبَعَهُ، وَأَنْ لاَ يَمْنَعَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا. فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَى الأَجَلُ أَتَوْا عَلِيًّا، فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ: اخْرُجْ عَنَّا، فَقَدْ مَضَى الأَجَلُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَتَبِعَتْهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ، تُنَادِي: يَا عَمِّ يَا عَمِّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ حَمَلَتْهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ، قَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَخَذْتُهَا، وَهِيَ بِنْتُ عَمِّي، وَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي، وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي. فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا، وَقَالَ: «الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ» وَقَالَ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ» وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»، وَقَالَ لِزَيْدٍ: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا»، وَقَالَ عَلِيٌّ: أَلاَ تَتَزَوَّجُ بِنْتَ حَمْزَةَ؟ قَالَ: «إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ». أخرجه البخاري [(٢)].

---

(١) انظر البداية والنهاية (٦/ ٤٠٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٢٥١).

١٦- زواج الرسول ﷺ من ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

في هذه العمرة - عمرة القضاء - تزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها، وكان اسمها برة، فسماها رسول الله ﷺ ميمونة.

وميمونة أخت أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وأخت عصماء، لبابة الصغرى، أم خالد بن الوليد، وأخت أسماء بنت عميس من الرضاعة.

وكانت ميمونة رضي الله عنها قد تزوجت في الجاهلية مسعود بن عروة الثقفي ففارقها، ثم تزوجها في الإسلام أبو رهم بن عبد العزى فمات عنها، ثم تزوجها رسول الله ﷺ بعد فراغه من عمرة القضاء، وبنى بها بسَرِف على عشرة أميال من مكة.

عَنْ مَيْمُونَةَ بنت الحارث رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ تَزَوَّجَهَا وهو حَلَالٌ. أخرجه مسلم[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ذَهَبَتْ والله مَيْمُونَةُ .. أَمَا أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتْقَانَا لله عَزَّ وَجَلَّ، وَأَوْصَلَنَا لِلرَّحِمِ. أخرجه الحاكم[(٢)].

وقد توفيت ميمونة رضي الله عنها سنة إحدى وخمسين بسرف في نفس المكان الذي تزوجها رسول الله ﷺ فيه.

عَنْ يَزِيد بْنِ الأَصَمِّ عَنْ مَيْمُونَةَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ تَزَوَّجَهَا حَلَالًا، وَبَنَى بِهَا حَلَالًا، وَمَاتَتْ بِسَرِفَ، فَدَفَنَّاهَا فِي الظُّلَّةِ الَّتِي بَنَى بِهَا فِيهَا، فَنَزَلْتُ فِي قَبْرِهَا أَنَا وَابْنُ عَبَّاسٍ. أخرجه ابن حبان[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤١١).
(٢) **صحيح**/ أخرجه الحاكم برقم (٦٧٧٨).
(٣) **صحيح**/ أخرجه ابن حبان برقم (٤١٣٤).

١٧- سرية الأخرم بن أبي العوجاء إلى بني سليم

لما رجع الرسول ﷺ من عمرة القضاء بعث الأخرم بن أبي العوجاء رضي الله عنه، في شهر ذي الحجة، سنة سبع للهجرة، في خمسين رجلا إلى بني سليم، ليدعوهم إلى الإسلام.

فخرج إليهم الأخرم، ودعاهم إلى الإسلام فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا إليه، وقد جمعوا له جمعاً كثيراً؛ لأنهم علموا بقدومه فاستعدوا له.

فتراموا بالنبل مع المسلمين، وأحاطوا بالمسلمين من كل ناحية، وقاتل القوم قتالاً شديداً، وأصيب الأخرم رضي الله عنه، وقُتل عامة المسلمين، ثم تحامل الأخرم بن أبي العوجاء على نفسه على ما به من جراح، حتى بلغ المدينة، وأخبر رسول الله ﷺ بما جرى، وذلك في أول يوم من صفر سنة ثمان من الهجرة.



الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الثامنة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة الثامنة من الهجرة وتشتمل على ما يلي :

١- وفاة زينب بنت رسول الله ﷺ
٢- تحريم الخمر
٣- إسلام بعض سادة قريش
٤- سرية غالب بن عبد الله إلى بني الملوح
٥- سرية غالب بن عبد الله إلى مصاب
٦- سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر
٧- سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح
٨- غزوة مؤتة
٩- سرية ذات السلاسل
١٠- سرية أبي قتادة إلى خضيرة
١١- سرية أبي قتادة إلى إضم
١٢- غزوة فتح مكة
١٣- غزوة حنين
١٤- غزوة الطائف
١٥- كتاب رسول الله ﷺ إلى ملك عُمان
١٦- كتاب الرسول ﷺ إلى ملك البحرين
١٧- زواج الرسول ﷺ من الجونية
١٨- ولادة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الثامنة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة الثامنة من الهجرة

١ - وفاة زينب بنت رسول الله ﷺ

في بداية العام الثامن الهجري توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ ، وزوجة أبي العاص بن الربيع رضي الله عنه، وزينب أكبر بنات النبي ﷺ ، وعدد بنات النبي ﷺ أربع: زينب ورقية، وأم كلثوم وفاطمة.

وكان رسول الله ﷺ يحب زينب رضي الله عنها حباً شديداً، ويثني عليها.

عاشت رضي الله عنها نحو ثلاثين سنة، وبقيت مع زوجها في المدينة نحو سنة، ثم توفيت رضي الله عنها.

وقد ولدت زينب رضي الله عنها من أبي العاص بن الربيع أمامة، وهي التي كان النبي ﷺ يحملها أحياناً في الصلاة، وقد تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

وولدت لأبي العاص أيضاً علياً، وكان رسول الله ﷺ أردفه على راحلته يوم الفتح، وتوفي وقد ناهز الحلم في حياة الرسول ﷺ .

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رسول الله ﷺ حِينَ تُوُفِّيَتِ ابْنَتُهُ، فَقَالَ: «اغْسِلْنَهَا ثَلاثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ، بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كَافُورًا - أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ - فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي»، فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ، فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ، فَقَالَ: «أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ» متفق عليه[1].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٥٣)، ومسلم برقم (٩٣٩).

٢- تحريم الخمر

في السنة الثامنة للهجرة حرم الله الخمر تحريماً نهائياً بقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٠].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: تَعَالَ نُطْعِمْكَ وَنَسْقِكَ خمْرًا، وَذلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الخمْرُ، قَالَ فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ - وَالحَشُّ البُسْتَانُ - فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٌّ عِنْدَهُمْ، وَزِقٌّ مِنْ خَمْرٍ. قَالَ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ، قَالَ فَذَكَرْتُ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ. فَقُلْتُ: المُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الأَنْصَارِ. قَالَ فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيِ الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي، بِهِ فَجَرَحَ بِأَنْفِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ - يَعْنِي نَفْسَهُ - شَأْنَ الخَمْرِ: " إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ". أخرجه مسلم[(١)].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ صَدِيقٌ مِنْ ثَقِيفٍ وَدَوْسٍ فَلَقِيَهُ يَوْمَ الفَتْحِ بِرَاحِلَةٍ أَوْ رَاوِيَةٍ مِنْ خَمْرٍ يُهْدِيهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : « يَا فُلَانُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَهَا ؟ » فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ عَلَى غُلَامِهِ فَقَالَ : اذْهَبْ فَبِعْهَا ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا » فَأَمَرَ بِهَا فَأُفْرِغَتْ فِي البَطْحَاءِ. أخرجه أحمد ومسلم[(٢)].

ولما نزل تحريم الخمر استجاب الصحابة رضي الله عنهم لأمر رسول الله ﷺ ، وسكبوا الخمور التي كانت عندهم فوراً.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، فَنَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَانْظُرْ مَا هَذَا الصَّوْتُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ: هَذَا مُنَادٍ يُنَادِي: أَلاَ إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ لِي: اذْهَبْ فَأَهْرِقْهَا، قَالَ: فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ، قَالَ: وَكَانَتْ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الفَضِيخَ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ:قُتِلَ قَوْمٌ وَهْيَ فِي بُطُونِهِمْ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾. متفق عليه [(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤١٢).
(٢) أخرجه أحمد برقم(٢٠٤١)، وأخرجه مسلم برقم (١٥٧٩).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٤٦٢٠)، ومسلم برقم (١٩٨٠).

ولما نزل تحريم الخمر سأل الصحابة رضي الله عنهم عمن مات وهو يشربها قبل تحريمها، فجاء الوحي أنه لا جناح عليهم إذا ما اتقوا وآمنوا، كما قال سبحانه: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٣].

٣- إسلام بعض سادة قريش

في شهر صفر، من السنة الثامنة للهجرة، قدم إلى المدينة كل من: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة، ليسلموا، فأسلموا وحسن إسلامهم.
فلما رآهم رسول الله ﷺ قال لأصحابه رضي الله عنهم: « رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها».

١- قصة إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه:

عن عَمْرو بْن العَاصِ رضي الله عنه ، قَالَ: لمَّا انْصَرَفْنَا مِنَ الأَحْزَابِ عَنِ الخَنْدَقِ، جَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا يَرَوْنَ مَكَانِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّد يَعْلُو الأُمُورَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا، فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ؟ قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ أَنْ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونَ عِنْدَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّد عَلَى قَوْمِنَا كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عُرِفُوا، فَلَنْ يَأْتِيَنَا مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرٌ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّأْيُ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: فَاجْمَعُوا لَهُ مَا نُهْدِي لَهُ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الأَدَمُ، فَجَمَعْنَا لَهُ أُدْمًا كَثِيرًا، فَخَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ، فَوَاللهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ، فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ.
قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ لِي مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ أَيُّهَا المَلِكُ، قَدْ أَهْدَيْتُ لَكَ أُدْمًا كَثِيرًا، قَالَ: ثُمَّ قَدَّمْتُهُ إِلَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا المَلِكُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ

عِنْدِكَ، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا، فَأَعْطِنِيهِ لِأَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا، قَالَ: فَغَضِبَ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنْ قَدْ كَسَرَهُ، فَلَوِ انْشَقَّتْ لِي الأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ، ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا المَلِكُ، وَاللهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَالتُكَهُ، فَقَالَ: أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَيُّهَا المَلِكُ أَكَذَاكَ هُوَ؟ فَقَالَ: وَيحَكَ يَا عَمْرُو، أَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ وَاللهِ لَعَلَى الحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ، قَالَ: قُلْتُ: فَبَايِعْنِي لَهُ عَلَى الإِسْلَامِ، قَالَ: نَعَمْ، فَبَسَطَ يَدَهُ وَبَايَعْتُهُ عَلَى الإِسْلَامِ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلَامِي، ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لِأُسْلِمَ، فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ الفَتْحِ، وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ، فَقُلْتُ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ؟ قَالَ: وَاللهِ لَقَدِ اسْتَقَامَ المَنْسِمُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، أَذْهَبُ وَاللهِ أُسْلِمُ، فَحَتَّى مَتَى؟ قَالَ: قُلْتُ: وَاللهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِأُسْلِمَ، قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدِمَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلَا أَذْكُرُ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَمْرُو، بَايِعْ، فَإِنَّ الإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا »، قَالَ: فَبَايَعْتُهُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ كَانَ مَعَهُمَا أَسْلَمَ حِينَ أَسْلَمَا. أخرجه أحمد[1].

وعند ذلك أثنى رسول الله ﷺ على إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: «أَسْلَمَ النَّاسُ، وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ» أخرجه أحمد[2].

ولما أسلم عمرو بن العاص كان النبي ﷺ يقربه ويدنيه، لمعرفته ومكانته وشجاعته، وكان رضي الله عنه من أعظم رجال قريش رأياً ودهاءً، وحزماً وكفاءة، وبصراً بأمور الحرب.

وكان من أشراف ملوك العرب، ومن أعيان المهاجرين، وكان ممن يُضرب به المثل في الدهاء والفطنة.

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (١٧٧٧٧).

(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم(١٧٤١٣).

له مواقف كبيرة ضد المسلمين، فلما أسلم آلمه ماضيه ضد رسول الله ﷺ ، فلم يستطع أن يملأ عينيه منه حياءً وإجلالاً.

وتوفي عمرو بن العاص رضي الله عنه سنة ثلاث وأربعين للهجرة، وعمره بضع وثمانون سنة، وتولى إمارة مصر، وخلف عبيداً وعقاراً.

عَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ المَهْرِيِّ قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ العَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ المَوْتِ، يَبَكِي طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ الله ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ الله ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مَحَمَّدًا رَسُولُ الله، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ الله ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟».

وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ.

ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي. أخرجه مسلم(١).

٢- قصة إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه :

قال خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو يتحدث عن قصة إسلامه: لَمَّا أَرَادَ اللهُ بِي مَا أَرَادَ مِنَ الخَيْرِ قَذَفَ فِي قَلْبِي الإِسْلَامَ ، وَحَضَرَنِي رُشْدِي ، فَقُلْتُ : قَدْ شَهِدْتُ هَذِهِ المَوَاطِنَ كُلَّهَا عَلَى محَمَّدٍ ﷺ ، فَلَيْسَ فِي مَوْطِنٍ أَشْهَدُهُ إِلَّا أَنْصَرِفُ وَأَنَا أَرَى فِي نَفْسِي أَنِّي مُوْضِعٌ فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، وَأَنَّ محَمَّدًا سَيَظْهَرُ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الحُدَيْبِيَةِخَرَجْتُ فِي

---

(١) أخرجه مسلم برقم(١٢١).

خَيلٍ مِنَ المُشْرِكِينَ ، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ بِعُسْفَانَ ، فَقُمْتُ بِإِزَائِهِ وَتَعَرَّضْتُ لَهُ ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ الظُّهْرَ أَمَامَنَا ، فَهَمَمْنَا أَنْ نُغِيرَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ لَمْ يُعْزَمْ لَنَا – وَكَانَتْ فِيهِ خِيَرَةٌ – فَاطَّلَعَ عَلَى مَا فِي أَنْفُسِنَا مِنَ الهَمِّ بِهِ ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ صَلاةَ العَصْرِ صَلاةَ الخَوْفِ ، فَوَقَعَ ذَلِكَ مِنَّا مَوْقِعًا ، وَقُلْتُ : الرَّجُلُ مَمْنُوعٌ فَاعْتَزَلَنَا وَعَدَلَ عَنْ سَنَنِ خَيْلِنَا ، وَأَخَذَ ذَاتَ اليَمِينِ ، فَلَمَّا صَالَحَ قُرَيْشًا بِالحُدَيْبِيَةِ ، وَدَافَعَتْهُ قُرَيْشٌ بِالرَّاحِ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي : أَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ؟ أَيْنَ المَذْهَبُ؟ إِلَى النَّجَاشِيِّ ؟ فَقَدِ اتَّبَعَ مُحَمَّدًا ، وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ آمِنُونَ ، فَأَخْرُجُ إِلَى هِرَقْلَ ؟ فَأَخْرُجُ مِنْ دِينِي إِلَى نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ ، فَأُقِيمُ فِي عَجَمٍ تَابِعًا ، فَأُقِيمُ فِي دَارِي فِيمَنْ بَقِيَ ؟ فَأَنَا فِي ذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ القَضِيَّةِ ، فَتَغَيَّبْتُ وَلَمْ أَشْهَدْ دُخُولَهُ ، وَكَانَ أَخِي الوَلِيدُ بْنُ الوَلِيدِ قَدْ دَخَلَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي عُمْرَةِ القَضِيَّةِ ، فَطَلَبَنِي فَلَمْ يَجِدْنِي ، فَكَتَبَ إِلَيَّ كِتَابًا ، فَإِذَا فِيهِ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْ ذَهَابِ رَأْيِكَ عَنِ الإِسْلَامِ وَعَقْلُكَ عَقْلُكَ! وَمِثْلُ الإِسْلَامِ جَهِلَهُ أَحَدٌ! وَقَدْ سَأَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْكَ، وَقَالَ: « أَيْنَ خَالِدٌ؟ » فَقُلْتُ : يَأْتِي اللهُ بِهِ . فَقَالَ : « مَا مِثْلُهُ جَهِلَ الإِسْلَامَ ، وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نِكَايَتَهُ وَحَدَّهُ مَعَ المُسْلِمِينَ كَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ » . فَاسْتَدْرِكْ يَا أَخِي مَا قَدْ فَاتَكَ ، فَقَدْ فَاتَكَ مَوَاطِنُ صَالِحَةٌ. قَالَ : فَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُهُ نَشِطْتُ لِلْخُرُوجِ ، وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الإِسْلَامِ ، وَسَرَّنِي سُؤَالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنِّي ، وَأَرَى فِي النَّوْمِ كَأَنِّي فِي بِلَادٍ ضَيِّقَةٍ مُجْدِبَةٍ ، فَخَرَجْتُ إِلَى بِلَادٍ خَضْرَاءَ وَاسِعَةٍ ، فَقُلْتُ : إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا، فَلَمَّا أَنْ قَدِمْتُ المَدِينَةَ قُلْتُ: لَأَذْكُرَنَّهَا لِأَبِي بَكْرٍ . فَقَالَ: مَخْرَجُكَ الذى هَدَاكَ اللهُ لِلْإِسْلَامِ، وَالضِّيقُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ .

قَالَ : فَلَمَّا أَجْمَعْتُ الخروجَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْتُ : مَنْ أُصَاحِبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَلَقِيتُ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا وَهْبٍ، أَمَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، إِنَّمَا نَحْنُ أَكَلَةُ رَأْسٍ ، وَقَدْظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى العَرَبِ وَالعَجَمِ، فَلَوْ قَدِمْنَا عَلَى مُحَمَّدٍ وَاتَّبَعْنَاهُ ، فَإِنَّ شَرَفَ مُحَمَّدٍ لَنَا شَرَفٌ . فَأَبَى أَشَدَّ الإِبَاءِ ، فَقَالَ : لَوْ لَمْ يَبْقَ غَيْرِي مَا اتَّبَعْتُهُ أَبَدًا . فَافْتَرَقْنَا ، وَقُلْتُ : هَذَا رَجُلٌ قُتِلَ أَخُوهُ وَأَبُوهُ بِبَدْرٍ . فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ ، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَال لَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، قُلْتُ : فَاكْتُمْ عَلَيَّ . قَالَ : لَا أَذْكُرُهُ . فَخَرَجْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، فَأَمَرْتُ بِرَاحِلَتِي ، فَخَرَجْتُ بِهَا إِلَى أَنْ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا لِي صَدِيقٌ ، فَلَوْ ذَكَرْتُ لَهُ مَا أَرْجُو . ثُمَّ ذَكَرْتُ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِ ،

فكَرِهْتُ أَنْ أُذَكِّرَهُ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَمَا عَلَيَّ وَأَنَا رَاحِلٌ مِنْ سَاعَتِي . فَذَكَرْتُ لَهُ مَا صَارَ الأَمْرُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : إِنَّمَا نَحْنُ بِمَنْزِلَةِ ثَعْلَبٍ فِي جُحْرٍ ، لَوْ صُبَّ فِيهِ ذَنُوبٌ مِنْ مَاءٍ لخرجَ . وَقُلْتُ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قُلْتُ لِصَاحِبِي ، فَأَسْرَعَ الإِجَابَةَ ، وَقَالَ : إِنِّي غَدَوْتُ اليَوْمَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْدُوَ ، وَهَذِهِ رَاحِلَتِي بِفَخٍّ مُنَاخَةٍ . قَالَ : فَاتَّعَدْتُ أَنَا وَهُوَ يَأْجَجَ ، إِنْ سَبَقَنِي أَقَامَ ، وَإِنْ سَبَقْتُهُ أَقَمْتُ عَلَيْهِ . قَالَ : فَأَدْلَجْنَا سَحَرًا ، فَلَمْ يَطْلُعِ الفَجْرُ حَتَّى التَقَيْنَا بِيَأْجَجَ ، فَغَدَوْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الهَدَةِ ، فَنَجِدُ عَمْرَو بْنَ العَاصِ بِهَا فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالقَوْمِ ، فَقُلْنَا : وَبِكَ . فَقَالَ : إِلَى أَيْنَ مَسِيرُكُمْ ؟ فَقُلْنَا : وَمَا أَخْرَجَكَ . فَقَالَ : وَمَا أَخْرَجَكُمْ ؟ قُلْنَا : الدُّخُولُ فِي الإِسْلَامِ وَاتِّبَاعُ مُحَمَّدٍ ﷺ . قَالَ : وَذَاكَ الَّذِي أَقْدَمَنِي . فَاصْطَحَبْنَا جَمِيعًا حَتَّى دَخَلْنَا المَدِينَةَ ، فَأَنَخْنَا بِظَهْرِ الحَرَّةِ رِكَابَنَا ، فَأُخْبِرَ بِنَا رَسُولُ الله ﷺ فَسُرَّ بِنَا ، فَلَبِسْتُ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِي ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَلَقِيَنِي أَخِي ، فَقَالَ : أَسْرِعْ ، فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أُخْبِرَ بِكَ ، فَسُرَّ بِقُدُومِكَ ، وَهُوَ يَنْتَظِرُكُمْ . فَأَسْرَعْنَا المَشْيَ ، فَاطَّلَعْتُ عَلَيْهِ ، فَمَا زَالَ يَتَبَسَّمُ إِلَيَّ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ، فَقُلْتُ : إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ الله . فَقَالَ : « تَعَالَ » . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «الحَمْدُ لله الَّذِي هَدَاكَ ، قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ عَقْلًا رَجَوْتُ أَنْ لَا يُسْلِمَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، قَدْ رَأَيْتَ مَا كُنْتُ أَشْهَدُ مِنْ تِلْكَ المَوَاطِنِ عَلَيْكَ مُعَانِدًا لِلْحَقِّ ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَغْفِرَهَا لِي.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «الإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ» . قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، عَلَى ذَلِكَ. قَالَ : «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِخَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ كُلَّ مَا أَوْضَعَ فِيهِ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِكَ »

قَالَ خَالِدٌ : وَتَقَدَّمَ عُثْمَانُ وَعَمْرٌو فَبَايَعَا رَسُولَ الله ﷺ . قَالَ : وَكَانَ قُدُومُنَا فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَمَانٍ . قَالَ : فَوَالله مَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْدِلُ بِي أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِيمَا حَزَبَهُ (١).

- **مناقب خالد بن الوليد :**

ومناقب خالد بن الوليد رضي الله عنه كثيرة وعظيمة، فقد شهد فتح مكة وحنيناً مع المسلمين، وتأمَّر في أيام رسول الله ﷺ ، واحتبس أدرعه ولأمته في سبيل الله، وحارب أهل الردة، ومسيلمة الكذاب، وغزا العراق، وشهد حروب الشام، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهداء.

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٣٤٩)، والبداية والنهاية (٦/ ٤٠٥).

وعاش ﵁ ستين سنة ، وقتل جماعة من الأبطال ، ومات على فراشه ، فلا قرت أعين الجبناء.
عن عبد الله بن أبي أوفى ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : « لاتؤذُوا خالداً ، فإنهُ سيفٌ من سيوفِ الله صَبَّهُ اللهُ علىَ الكفار». أخرجه ابن حبان[1].

- **وفاة خالد بن الوليد ﵁ :**

توفي خالد بن الوليد ﵁ على فراشه، فقد طلب القتل من مظانه، لكن قدر الله له أن يموت على فراشه.

وكانت وفاة خالد بن الوليد ﵁ بعد هذا الجهاد الطويل في المدينة، سنة إحدى وعشرين من الهجرة.

عن أبي وائل قال: لما حضرت خالدا الوفاة قال: لقد طلبت القتل مظانّه، فلم يقدّر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتّها وأنا متترّس والسماء تهلّني تمطر إلى صبح، حتى نغير على الكفّار، ثم قال: إذا أنا متّ فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عدّة في سبيل الله.

فلما توفي خرج عمر إلى جنازته فقال: ما على نساء آل الوليد أن يسفحن على خالد دموعهنّ ما لم يكن نقعاً أو لقلقة.

وعن محمد بن عَبْدِ الله بْنِ نُمَيْرٍ قَالَ: خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ بْنِ المُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَأُمُّهُ: لُبَابَةُ بِنْتُ الحَارِثِ بْنِ حَزْنٍ الهِلَالِيَّةُ أُخْتُ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الحَارِثِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ خَالِدٌ يُكَنَّى أَبَا سُلَيْمَانَ، اسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﵁ عَلَى الرُّهَا، وَحُرَّانَ، وَالرَّبَّةَ وآمَدَ فَمَكَثَ سَنَةً، وَاسْتَعْفَى، فَأَعْفَاهُ، فَقَدِمَ المَدِينَةَ فأقام بها في منزله حتى مات في المدينة.أخرجه الحاكم [2].

٣- شأن عثمان بن طلحة ﵁ :

عثمان بن طلحة ﵁ حاجب الكعبة، من بني عبد الدار، قُتل أبوه طلحه وعمه عثمان بن أبي طلحة جميعاً يوم أحد كافرين.

ولما أسلم عثمان بن طلحة ﵁ أقام بالمدينة حتى توفي رسول الله ﷺ ، ثم انتقل إلى مكة، فأقام بها حتى مات سنة اثنين وأربعين للهجرة.

---

(١) **صحيح**/ أخرجه ابن حبان (٧٠٩١).
(٢) **صحيح**/ أخرجه الحاكم برقم (٥٣٣٩).

٤- سرية غالب بن عبد الله إلى بني الملوح

في شهر صفر، سنة ثمان من الهجرة، بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثي، في بضعة عشر رجلا إلى بني الملوح، وهم من بني ليث، بالكديد، والكدِيد موضع بين مكة والمدينة.

فخرج المسلمون، حتى إذا كانوا بقُديد لقوا الحارث بن مالك الليثي فأسروه، فقال: إنما خرجت إلى رسول الله ﷺ أريد الإسلام.

فقالوا له: إن تك مسلماً فلن يضرك رباط يوم وليلة، وإن تكن غير ذلك استوثقنا منك، فأوثقوه رباطاً.

ثم مضوا حتى أتوا بطن الكديد بعد العصر، فلما ذهب بعض الليل شن المسلمون عليهم الغارة، وقتلوا من قتلوا منهم، واستاقوا النعم، ثم قفلوا راجعين إلى المدينة، فلحق بهم القوم، وقربوا منهم، حتى إذا لم يكن بينهم وبين العدو إلا بطن الوادي، أقبل سيل حال بينهم وبين عدوهم بعثه الله تعالى من حيث شاء.

قال جندب الجهني رضي الله عنه: فأسرعنا حتى فُتْناهم، فقدمنا بالنعم على رسول الله ﷺ بالمدينة.

٥- سرية غالب بن عبد الله إلى مُصاب

لما رجع غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه من الكَدِيد مؤيداً بنصر الله له، بعثه الرسول ﷺ في شهر صفر، من السنة الثامنة للهجرة، إلى حيث أصيب أصحاب بشير بن سعد رضي الله عنه، وذلك في بني مرة، ناحية فدك، وبعث معه مائتي رجل، منهم كعب بن عجرة، وأبو سعيد الخدري، وعلبة بن زيد وغيرهم.

ولما وصل المسلمون إليهم، أغاروا عليهم مع الصبح، فقتلوا منهم قتلى، وأصابوا منهم نعماً، ثم رجعوا إلى المدينة.

٦- سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر

في شهر ربيع الأول، من السنة الثامنة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب الأسدي، في أربعة وعشرين رجلاً، إلى جمع من هوازن، يقال لهم: بنو عامر بالسي، ماء على ثلاث مراحل من مكة، جهة ذات عرق، وأمره أن يغير عليهم.

فخرج شجاع وأصحابه رضي الله عنهم، فكان يسير الليل، ويكمن بالنهار، حتى صبحهم وهم غافلون، فأصابوا نعماً كثيرة، وشاء، فاستاقوا ذلك كله حتى قدموا المدينة.

وكان في السبي جارية وضيئة، فأخذها شجاع بن وهب لنفسه بثمن فأصابها، فلما قدموا المدينة خيرها، فاختارت المقام عنده.

وكانت غيبة هذه السرية خمس عشرة ليلة، وكانت سهامهم بضعة عشر بعيراً لكل رجل منهم، وعدلوا البعير بعشر من الغنم.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً فِيهَا عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَغَنِمُوا إِبِلًا كَثِيرَةً، فَكَانَتْ سِهَامُهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ بَعِيرًا، أَوْ أَحَدَ عَشَرَ بَعِيرًا وَنُفِّلُوا بَعِيرًا بَعِيرًا. متفق عليه [١].

٧- سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح

في شهر ربيع الأول من السنة الثامنة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري رضي الله عنه، في خمسة عشر رجلاً، إلى ذات أطلاح، من ناحية الشام، وراء وادي القرى.

فسار كعب بأصحابه رضي الله عنهم، يسير بالليل، ويكمن بالنهار، حتى إذا دنا منهم رآه عين لهم، فأخبر قومه بقلة عددهم.

فلما وصل المسلمون إلى ذات أطلاح، وجدوا جمعاً كثيرا، فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبل، فلما رأى المسلمون ذلك قاتلوهم أشد القتال، حتى قُتل المسلمون عن آخرهم إلا رجلاً واحداً استطاع أن يفلت حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما حصل فشق ذلك على رسول الله ﷺ .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣١٣٤)، ومسلم برقم (١٧٤٩).

٨- غزوة مؤتة

كانت هذه الغزوة العظيمة في شهر جمادى الأولى، من السنة الثامنة للهجرة.

وسميت غزوة مع أن الرسول ﷺ لم يشهدها لكثرة جيش المسلمين فيها، ويسمى جيشها جيش الأمراء.

ومؤتة قرية تقع شرق الأردن، على مسيرة أحد عشر كيلاً جنوب الكرك.

- **سبب الغزوة:**

سبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ كان قد بعث الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه بكتابه إلى ملك بصرى بالشام، فعرض له في الطريق شرحبيل بن عمرو الغساني، أمير البلقاء من أرض الشام من قِبَل قيصر، فقال للحارث: أين تريد؟

فقال الحارث بن عمير رضي الله عنه: الشام، قال: فلعلك من رسل محمد؟ فقال: نعم، فأمر به فأوثق رباطاً، ثم قدمه فضرب عنقه صبراً، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره.

وكان قتل السفراء والرسل من أشنع الجرائم، فكانت هذه الحادثة بمثابة إعلان حالة الحرب على المسلمين، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ حين بلغه مقتل رسوله.

فعند ذلك ندب رسول الله ﷺ الناس لقتال الغساسنة، فخرجوا في جيش كبير قوامه ثلاثة آلاف مقاتل.

- **خروج الجيش إلى مؤتة:**

أَمَّر رسول الله ﷺ على هذا الجيش العظيم مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: أَمَّرَ رسول الله ﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ» قَالَ عَبْدُ الله: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، فَالتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدْنَاهُ فِي القَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ، مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ. أخرجه البخاري[1].

وعقد رسول الله ﷺ لواءً أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة رضي الله عنه، وأوصاه ومن معه أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير رضي الله عنه، وأن يدعو من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٢٦١).

استعانوا بالله عليهم وقاتلوهم.
فأسرع الناس بالتجهز والخروج، فخرجوا وعسكروا بالجرف، موضع قريب من المدينة جهة الشام.
ولما تهيأ الجيش الإسلامي للخروج ودَّع الناس أمراء رسول الله ﷺ ، وسلموا عليهم،فعندها بكى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فقالوا له: ما يبكيك يا ابن رواحة؟.
قال:أما والله ما بي حب الدنيا، ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله تعالى، يذكر فيها النار: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾

[مريم/ ٧١].
فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود.
فقال المسلمون: صحبكم الله، ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين.
فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

لكنني أسـأل الرحمن مغفـرة   وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدَي حـران مجهزة   بحربة تنفذ الأحشـاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جسدي   أرشده الله من غـاز وقد رشدا

وخرج رسول الله ﷺ مشيعاً للجيش وأمرائه، حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف وودعهم.
ثم سار جيش المسلمين من المدينة بالشام، ومضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام، فلما سمع الأعداء بقدومهم، جمع لهم شرحبيل بن عمرو الغساني مائة الف مقاتل، من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلى، وخرج هرقل ملك الروم، ونزل في مآب من أرض البلقاء في مائة الف من الروم.
فكان قوام جيش الغساسنة والروم مائتي ألف مقاتل، وفوجئ المسلمون بهذا الجيش العظيم في عدده وعتاده.
فأقاموا في معان ليلتين يفكرون في أمرهم، ويتشاورون فيما يفعلون، هل يكتبون لرسول الله ﷺ يخبرونه بعدد عدوهم، فإما أن يمدهم بالرجال، أو يأمرهم بأمره فيمضوا عليه، ولم يكن هناك رأي بالانسحاب.
وعند ذلك قام عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وعارض هذا الرأي، وشجع الناس قائلا: يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد

ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور، وإما شهادة.

فقال الناس: قد صدق والله ابن رواحة، واستقر الأمر على مقاتلة العدو بيقين وتوكل على الله، ورغبة جازمة في الشهادة في سبيل الله.

• **بداية القتال بين الطرفين :**

بعد أن قضى المسلمون ليلتين في معان، توجهوا إلى أرض العدو، فلما وصلوا إلى تخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم ونصارى العرب بقرية يقال لها مشارف، ثم دنا العدو فانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة، وعسكروا هناك، وتمت تعبئة الجيش الإسلامي البالغ عدده ثلاثة آلاف مقاتل، وتهيأت جنود الله للقتال، ثم بدأ القتال المرير بين الفريقين، ثلاثة آلاف مقاتل يواجهون مائتي الف مقاتل من الكفار.

وبدأ القتال، فأخذ الراية زيد بن حارثة حِبُّ رسول الله ﷺ، وجعل يقاتل بضراوة بالغة، وبسالة نادرة، والمسلمون معه يقاتلون، وثبت زيد ﵁ حتى قُتل طعناً بالرماح، وخر شهيداً ﵁.

ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب ﵁ ، وطفق يقاتل قتالاً ليس له مثيل، حتى إذا ألحمه القتال نزل عن فرسه الشقراء فعقرها، فكان أول فرس يعقر في الإسلام، ثم أخذ يقاتل على رجليه وهو يقول :

يا حبذ الجنة واقترابها   طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها   كافرة بعيدة أنسابها

عليَّ إن لاقيتها ضرابها

فقطعت يمينه ﵁ ، فأخذ الراية بشماله، فقطعت شماله، فحضن الراية بعضديه حتى استشهد ﵁.

فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة، يطير بهما حيث شاء، ولذلك سمي بجعفر الطيَّار.

عن ابْن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا كَانَ إِذَا سَلَّمَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الجَنَاحَيْن . أخرجه البخاري [(١)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٧٠٩).

وكان جعفر ﷺ شجاعاً مقداماً، أصابه في مؤته ما يزيد عن تسعين إصابة، ليس منها شيء في دبره.

عن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: أَمَّرَ رسول الله ﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ» قَالَ عَبْدُ الله: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، فَالتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدْنَاهُ فِي القَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ، مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ. أخرجه البخاري [1].

وبعد سقوط جعفر ﷺ شهيداً أخذ الراية عبد الله بن رواحة ﷺ، وتقدم بها وهو على فرسه، متردد ﷺ بعض التردد من شدة أمر المعركة، ثم أخذ يقول:

يا نفس إن لم تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلاهما هديت

ثم نزل ﷺ ، فأتاه ابن عم له بعرق من لحم، فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده، ثم انتهش منه نهشة، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس، فألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم وقاتل حتى قتل ﷺ ولقي ما تمناه.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ عَنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ»، وَقَالَ: «مَا يَسُرُّنَا أَنَّهُمْ عِنْدَنَا»قَالَ أَيُّوبُ أَوْ قَالَ: «مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا » وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ . أخرجه البخاري [2].

ولما وقعت الراية باستشهاد عبد الله بن رواحة ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ لم يكلف أحداً بحملها بعده، تقدم ثابت بن أقرم ﷺ ، وحمل الراية، وقال يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم، فقالوا: أنت، فقال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ﷺ فأخذها.

فلما أخذ خالد الراية، واجتمع المسلمون إليه، قاتل الكفار قتالاً شديداً، وهزمهم الله أسوأ هزيمة، وقتل المسلمون من الكفار خلقاً كثيراً، وهذه أول غزوة يشارك فيها خالد بن الوليد ﷺ بعد إسلامه.

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٨).

قَالَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ ﷺ: لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ. أخرجه البخاري[1].

وقد استطاع خالد بن الوليد وجيشه رضي الله عنهم أن يثبتوا أمام هذا الطوفان من العدو طول النهار.

فلما أصبح خالد ﷺ غيَّر هيئة الجيش، فجعل مقدمة الجيش ساقه، وساقته مقدمته، وميمنة الجيش ميسرة، وميسرته ميمنة.

فلما لقوا العدو في اليوم الثاني أنكر عدوهم حالهم، وقالوا: جاءهم مدد، فلما حمل عليهم خالد بن الوليد ﷺ هزمهم الله أسوأ هزيمة، وقتل منهم المسلمون أعداداً كبيرة.

ثم انحاز خالد ﷺ ، وانسحب بجيشه شيئاً فشيئاً، حتى انصرف بمن معه إلى المدينة، ولم يُصب في جيشه أحد خلال هذا الانسحاب.

وقد مَنَّ الله على خالد ﷺ فهداه إلى الإسلام، ووفقه للحكمة الصائبة في تدبير الأمور، وجعله سبباً لإنقاذ هذه القبضة من الرجال من بين مائتي ألف من الكفار، واستطاع بتوفيق الله وعونه أن ينقذ المسلمين من وسط هذا اللج المهلك، وأن يخرجهم من لجة البحر من غير أن يبتل أحد، وأن ينسحب بهم من وسط اللهب من غير أن يحترق أحد، وأن يسجل التاريخ للذكاء العربي الذي هذبه الإسلام هذه المنقبة التي لا يُعرف لها مثيل في تاريخ الحروب.

وقد فتح الله سبحانه وتعالى على خالد ﷺ بأمرين:

الأول: أنه قاتل المشركين حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، فولوا إلى بلادهم ولم يتبعهم.

والثاني: أنه انحاز بالمسلمين شيئاً فشيئاً، ورأى أن الرجوع بالمسلمين سالمين هو الغنيمة الكبرى.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْداً، وَجَعْفَراً، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: «حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله، حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِمْ» أخرجه البخاري[2].

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٤٢٦٢).

وقد أطلع الله سبحانه رسوله ﷺ على ما حدث في غزوة مؤتة وهو في المدينة، فنعى لأهل المدينة أمراء الجيش الثلاثة قبل أن يأتيهم خبرهم.

عن خَالِدِ بْنِ سُمَيْرٍ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَبَاحٍ فَوَجَدْتُهُ قَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشَ الأُمَرَاءِ وَقَالَ: «عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ، فجَعْفَرٌ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ الأَنْصَارِيُّ » فَوَثَبَ جَعْفَرٌ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللهِ وَأُمِّي، مَا كُنْتُ أَرْهَبُ أَنْ تَسْتَعْمِلَ عَلَيَّ زَيْدًا قَالَ: « امْضُوا، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ ».

قَالَ: فَانْطَلَقَ الجَيْشُ فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَعِدَ المِنْبَرَ، وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « نَابَ خَبرٌ، أَوْ ثَابَ خَبَرٌ - شَكَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ - أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الغَازِي؟ إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا حَتَّى لَقُوا العَدُوَّ، فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ». فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ، « ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَشَدَّ عَلَى القَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى أُصِيبَ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الأُمَرَاءِ هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ ». فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ: « اللهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ فَانْصُرْهُ» أخرجه أحمد[1].

وقد استشهد من المسلمين في هذه الغزوة العظيمة اثنا عشر رجلا، أما الكفار فقتل منهم خلق كثير لا يُعرف عددهم.

ثم رجع المسلمون منتصرين، ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ وأصحابه بالتكريم والتعظيم والترحيب، فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

- **مواساة الرسول ﷺ لآل جعفر رضي الله عنه:**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشًا، اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ « فَإِنْ قُتِلَ زَيْدٌ - أَوِ اسْتُشْهِدَ - فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرٌ، فَإِنْ قُتِلَ - أَوِ اسْتُشْهِدَ - فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللهِ

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم(٢٢٥٥١).

بْنُ رَوَاحَةَ فَلَقُوا العَدُوَّ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ»، وَأَتَى خَبَرُهُم النَّبِيَّ ﷺ، فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: « إِنَّ إِخْوَانَكُمْ لَقُوا العَدُوَّ، وَإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّايَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ - أَوِ اسْتُشْهِدَ - ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ بَعْدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ - أَوِ اسْتُشْهِدَ -، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ - أَوِ اسْتُشْهِدَ - ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ » فَأَمْهَلَ، ثُمَّ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ - ثَلاثًا - أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ: « لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ اليَوْمِ ادْعُوا إِلَيِ ابْنَيِ أَخِي " قَالَ: فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: « ادْعُوا إِلَيَّ الحَلاقَ » فَجِيءَ بِالحَلاقِ فَحَلَقَ رؤوسَنَا، ثُمَّ قَالَ: « أَمَّا مُحَمَّدفَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي » ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا، فَقَالَ: « اللهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ » ، قَالَهَا ثَلاثَ مِرَارٍ، قَالَ: فَجَاءَتِ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: « العَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟!» أخرجه أحمد[1].

وعن جَابِر بْن عَبْدِ الله رضي الله عنهما قال: رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ لِآلِ حَزْمٍ فِي رُقْيَةِ الحَيَّةِ، وَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: «مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً تُصِيبُهُمُ الحَاجَةُ» قَالَتْ: لَا، وَلَكِنِ العَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، قَالَ: «ارْقِيهِمْ» قَالَتْ: فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ» أخرجه مسلم[2].

٩- سرية ذات السلاسل

كانت هذه السرية في شهر جمادى الآخرة، من السنة الثامنة للهجرة.

وسبب هذه السرية أنه بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من قضاعة، وهم: بلي، وعذرة، وبنو القين، قد تجمعوا يريدون الإغارة على أطراف المدينة.

فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ؓ فبعثه إليهم.

عن عَمْرو بْن العَاصِ ؓ قال: بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: « خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ، ثُمَّ ائْتِنِي » فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ ثُمَّ طَأْطَأَهُ، فَقَالَ: « إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ اللهُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَزْعَبُ لَكَ مِنَ المَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً ». قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم(١٧٥٠).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٨).

أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ المَالِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الإِسْلَامِ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ: «يَا عَمْرُو، نِعْمًا بِالمَالِ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ» أخرجه أحمد(١).

ثم عقد رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه لواءً أبيض، وبعثه في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرساً.

فخرج عمرو وأصحابه إلى ذات السلاسل، وهي ماء لجذام، يسيرون بالليل، ويكمنون بالنهار، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في مائتين من المهاجرين الأولين، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا، فساروا حتى لحقوا بهم.

وسار عمرو رضي الله عنه بالمسلمين حتى وطئ بلاد بَلي، ودوَّخها، حتى أتى أقصى بلادهم، وأتى بلاد عذرة وبني القين، وبعد أن اقتتلوا ساعة وتراموا بالنبل حمل المسلمون عليهم فهربوا وتفرقوا في البلاد.

وأقام عمرو بن العاص رضي الله عنه أياماً، وكان يبعث الخيل فيأتون بالشاء والنعم، فينحرون ويأكلون.

وفي هذه السرية أمر عمرو بن العاص رضي الله عنه الناس ألا يوقدوا ناراً فغضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهم أن ينال منه، فنهاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقال له: إن رسول الله ﷺ لم يستعمله علينا إلا لعلمه بالحرب، فهدأ عنه، ثم إنهم لقوا العدو فهزموهم، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم.

- **الرجوع إلى المدينة :**

لما قفل عمرو بن العاص رضي الله عنه بالجيش إلى المدينة احتلم عمرو بن العاص رضي الله عنه في الطريق، في ليلة باردة كأشد ما تكون من البرد، فخرج لصلاة الصبح، وقال لأصحابه: والله لقد احتلمت البارحة، فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة، ثم صلى بهم.

ثم بعث عمرو رضي الله عنه عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ يبشره بانتصاره، وأنه عزز نفوذ المسلمين على تخوم الشام، ويخبره برجوع الجيش وسلامته.

ولما قدم عمرو بن العاص ومن معه رضي الله عنهم، سألهم عنه فقال: « كيف وجدتم عمراً وأصحابه؟ ».

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٧٧٦٣).

فأثنوا عليه خيرا، ثم ذكروا لرسول الله ﷺ منع عمرو لهم من إيقاد النيران، ومن اتباع العدو، ومن صلاته بهم وهو جنب، فسأله رسول الله ﷺ عن ذلك.

فقال عمرو: يا رسول الله إني كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفوا عليهم، وإني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، وذكرت قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩﴾ [النساء/ ٢٩].

فضحك رسول الله ﷺ إلى عمرو، ولم يقل شيئاً.

فلما عرف عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قد رضي عن كل ما فعل، ظن أنه صارت له مكانة عند رسول الله ﷺ أعظم من مكانة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فسأل رسول الله ﷺ من أحب الناس إليك؟، ليعرف منزلته عند الرسول ﷺ.

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ أَنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ عَمْرَو بْنَ العَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، قَالَ: «فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ فقَالَ: «عَائِشَةُ» قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ» فَعَدَّ رِجَالًا، فَسَكَتُّ مخَافَةَ أَنْ يجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ. متفق عليه[1].

١٠- سرية أبي قتادة إلى خُضيرة

كانت هذه السرية في شهر شعبان، من السنة الثامنة للهجرة، حيث بعث رسول الله ﷺ أبا قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه، في خمسة عشر رجلا إلى خضيرة، وهي أرض محارب بنجد، لأن غطفان كانوا يحتشدون هناك، وأمره ﷺ أن يشن عليهم الغارة، فسار أبو قتادة رضي الله عنه بالليل، وكمن بالنهار، ولما وصل هجم على حاضر منهم عظيم، فأحاط بهم، وقتل أشرافهم ورجالهم، وفر من بقي منهم.

واستاق المسلمون النعم والشاء، فكانت الإبل مائتي بعير، وكانت الغنم ألفي شاة، وسبوا سبياً كثيراً، فنفلهم أميرهم بعيراً بعيراً لكل رجل.

ثم قدموا على رسول الله ﷺ فقسم بينهم غنيمتهم، بعد أن أخرج الخمس، فأصاب كل رجل منهم اثنا عشر بعيراً، وعُدل البعير بعشر من الغنم.

وكان في السبي جارية وضيئة وقعت في سهم أبي قتادة، فجاء محمية بن جزء رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، إن أبا قتادة قد أصاب في وجهه هذا جارية، وقد كنت وعدتني جارية من أول فيء يفيء الله عليك .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٣٥٨)، ومسلم برقم (٢٣٨٤).

فأرسل رسول الله ﷺ الى أبي قتادة فاستوهبه الجارية فوهبها له، فدفعها رسول الله ﷺ الى محمية بن جزء رضي الله عنه.
وكانت غيبة هذه السرية خمس عشرة ليلة.

١١- سرية أبي قتادة إلى إضم

كانت هذه السرية في أول شهر رمضان، من السنة الثامنة للهجرة.
فقد بعث الرسول ﷺ أبا قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه في سرية إلى إضم، ومعه نفر من المسلمين، فيهم عبد الله بن أبي حدرد، ومحلم بن جثامة، رضي الله عنهما.
عَنِ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ إِلَى إِضَمٍ نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ أَبُو قَتَادَةَ: الحَارِثُ بْنُ ربعيّ، ومحلّم ابن جثّامَة بن قيس، فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ إِضَمٍ مَرَّ بِنَا عَامِرُ بْنُ الأَضْبَطِ الأَشْجَعِيُّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ، مَعَهُ مُتَيِّعٌ لَهُ، وَوَطْبٌ مِنْ لَبَنٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا بِتَحِيَّةِ الإِسْلَامِ، فَأَمْسَكْنَا عَنْهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ فَقَتَلَهُ لِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَمُتَيِّعَهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَخْبَرَنَاهُ الخَبَرَ، فَنَزَلَ فِينَا القُرْآنُ:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ الله فَتَبَيَّنُواَ وَلا تَقُولُوا لمِنْ أَلقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً".أخرجه البيهقي(١).
ولم يلبث محلِّم إلا سبعاً حتى مات، فلما دفنوه لفظته الأرض ثلاثاً، كلما دفنوه لفظته؛ موعظة للمؤمنين، لئلا يتسرعوا في قتل من قال: إني مسلم.
ووقعت مثل هذه القصة لرجل آخر لفظته الأرض.
عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِي فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدإِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ فَأَمَاتَهُ الله فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدوَأَصْحَابِهِ لمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَألقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدوَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَالقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَألقَوْهُ.متفق عليه (٢).

---

(١) أخرجه البيهقي (٤/ ٣٠٩).
(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٣٦١٧)، ومسلم برقم (٢٧٨١).

١٢- غزوة فتح مكة

سبب غزوة فتح مكة: هو نقض قريش العهد الذي تم الاتفاق عليه مع الرسول ﷺ في صلح الحديبية.

فقد كان من ضمن شروط الصلح أن من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فدخلت خزاعة في عقد محمد ﷺ وعهده، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ومكث الجميع في تلك الهدنة سبعة عشر شهراً.

ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً، ليثأروا منهم، وهم على ماء يقال له الوتير، يقع بأسفل مكة في ديار خزاعة.

فقد خرج نوفل بن معاوية الديلي في جماعة من بني بكر، حتى بيتوا خزاعة ليلاً، وهم آمنون بالوتير، منهم المصلي، ومنهم النائم، فأصابوا منهم رجالاً.

وقالت قريش: ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل، وما يرانا أحد، فأعانوا بني بكر على خزاعة بالكراع والسلاح والرجال، وقاتلوا معهم للظغن على رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان ذلك في شعبان، من السنة الثامنة للهجرة.

فاستنجدت خزاعة بالمسلمين، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي إلى المدينة مسرعاً، يستنصر رسول الله ﷺ، وأخبره بما حدث، وأنشد بين يديه أبياتا، منها:

يا رب إني ناشدٌ محمداً ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
فانصر هداك الله نصراً أعتدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... أبيض مثل البدر يسمو صعدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيَّتونا بالوتير هجدا ... وقتَّلونا ركعاً وسجداً
وزعموا أن لستُ أدعوا أحداً ... وهم أذل وأقل عددا

فقال رسول الله ﷺ: « نُصرت يا عمرو بن سالم »، فما برح حتى مرت بهم سحابة، فقال رسول الله ﷺ: « إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب ».

ثم خرج بُديل بن ورقاء، سيد خزاعة، في نفر من أصحابه، حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة، فأخبروه بتفاصيل ما حصل، وأن قريشاً ساعدت بني بكر على خزاعة، ثم عاد الوفد إلى مكة.

- **ندم قريش :**

ندمت قريش على ما صنعت من مساعدة بني بكر في قتل خزاعة، وعلموا أن هذا نقض صريح لما جاء في صلح الحديبية الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ.

فجاء الحارث بن هشام إلى أبي سفيان بن حرب، وأخبره بما فعل القوم.

فقال أبو سفيان: هذا أمر لم أشهده، ولم أغب عنه، وإنه لشر، ووالله ليغزونا محمد.

ولما ندمت قريش على نقضهم العهد، وتخوفوا من سوء صنيعهم، تشاور زعماؤهم فيما بينهم، وقرروا أن يبعثوا قائد قريش أبا سفيان بن حرب ممثلا لهم إلى رسول الله ﷺ، ليقوم بتجديد الصلح.

فخرج أبو سفيان حتى قدم المدينة، فدخل على ابنته رملة أم حبيبة رضي الله عنها، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه.

فقال: يا بنية، أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجس.

فقال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر.

ثم خرج أبو سفيان حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال: اشدد العقد، وزدنا في المدة.

فقال رسول الله ﷺ: « ولذلك قدمت؟، هل كان من حدث قبلكم؟ ».

فقال أبو سفيان: معاذ الله، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية، لا نغير ولا نبدل، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ.

فذهب أبو سفيان إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ، فقال له: ما أنا بفاعل، ثم ذهب إلى عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم فاطمة، فردوه جميعاً.

وأغلظ عليه عمر بن الخطاب، فقال لأبي سفيان: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به.

فعاد أبو سفيان إلى مكة خائباً، فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد؟

قال: لا والله، لقد أبى عليَّ وتتبعت أصحابه فلم يجبني أحد، فأصاب الذعر والخوف والهم قريشاً مما فعلوا، ومما أخبر به أبو سفيان.

- **خروج الرسول ﷺ من المدينة :**

أمر رسول الله ﷺ أهله بالخروج، ولم يسم لهم الجهة التي يقصدها، وأمر الناس بالجهاد، ثم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، ودعا ﷺ بقوله: « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ».

فتجهز الناس من المهاجرين والأنصار، وأرسل رسول الله ﷺ إلى أهل البادية ومن حوله من المسلمين في كل ناحية بأن يتجهزوا معه.

فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه بالطريق كبني سليم، ومن القبائل التي قدمت على رسول الله ﷺ بالمدينة أسلم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع.

فاجتمع معه ﷺ من المدينة وخارجها عشرة آلاف رجل، ولم يتخلف عنه أحد من المهاجرين والأنصار إلا أهل الأعذار.

ولما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتابا إلى قريش يخبرهم فيه بمسير رسول الله ﷺ إليهم، ثم أعطاه امرأة من مزينة، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً، فعلم ﷺ بذلك.

عن علي رضي الله عنه قال: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ، فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوا مِنْهَا» قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ الله ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ المُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ الله ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟» قَالَ: يَا رَسُولَ الله، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلاَ رِضًا

بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ: « إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ». فَأَنْزَلَ اللهُ السُّورَةَ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ" - إِلَى قَوْلِهِ - "فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ"» أخرجه البخاري [(١)].

ثم خرج رسول الله ﷺ وأصحابه من المدينة إلى مكة، ومعه عشرة آلاف من المسلمين، وكان خروجه ﷺ من المدينة في العاشر من شهر رمضان، من السنة الثامنة للهجرة، ودخل مكة لتسع عشرة ليلة خلت من رمضان.

واستخلف الرسول ﷺ على المدينة أبارِهم كلثوم بن الحصين الغفاري ﷺ.

- **زيارة الرسول ﷺ قبر أمه :**

لما توجه الرسول ﷺ من المدينة إلى مكة عام الفتح، مر في الطريق بالأبواء ، فنزل وزار قبر أمه.

عن بريدة ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنزَلَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَهُ قَرِيبٌ مِنْ أَلْفِ رَاكِبٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَفَدَاهُ بِالأَبِ وَالأُمِّ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَكَ؟ قَالَ: « إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي فِي اسْتِغْفَارٍ لِأُمِّي، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، فَدَمَعَتْ عَيْنَايَ رَحْمَةً لَهَا مِنَ النَّارِ» أخرجه أحمد [(٢)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا القُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ المَوْتَ» أخرجه مسلم [(٣)].

- **إسلام أبي سفيان بن الحارث، وعبد الله بن أبي أمية :**

أكمل الرسول ﷺ طريقه إلى مكة، فلما وصل إلى الأبواء جاءه ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأخو الرسول ﷺ من الرضاعة من حليمة السعدية.

ولما كان ﷺ بين السقيا والعرج جاءه ابن عمته عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، ابن عمة الرسول ﷺ، وأخو أم سلمة زوج الرسول ﷺ لأبيها.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢٧٤).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم(٢٣٠٠٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٩٧٦).

وكان الاثنان من ألد خصوم الإسلام.
أما أبو سفيان بن الحارث فقد كان يألف الرسول ﷺ ولا يفارقه قبل النبوة، فلما بُعث عاداه، وهجاه، وهجا أصحابه بقصائد كثيرة، وظل أبو سفيان بن الحارث على مدى عشرين سنة يهجو المسلمين، ويقاتلهم في كافة الحروب.
ولما هداه الله للإسلام كانت له مواقف نادرة في الدفاع عن الرسول ﷺ، لا سيما موقفه يوم حنين، حين فر الناس، فصمد مع الرسول ﷺ صموداً مشهوداً.
أما عبد الله بن أبي أمية، فقد دافع عن الإسلام بقوة، وشهد مع المسلمين غزوة الفتح وحنين، واستشهد في حصار الطائف رضي الله عنه، وكان قبل ذلك من أشد الناس إيذاءً للرسول ﷺ.
فلما لقيا رسول الله ﷺ أعرض عنهما، لما كان يلقى منهما من شدة الأذى، فالتمسا الدخول عليه فلم يستطيعا، فكلمته أم سلمة رضي الله عنها فيهما.
فقالت: يا رسول الله، لا يكن ابن عمك، وابن عمتك، أشقى الناس بك.
فقال رسول الله ﷺ: « لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال فيَّ بمكة ما قال».
فلما بلغ الخبر إليهما قال أبو سفيان ومعه ابنه جعفر: والله ليأذنن لي، أو لآخذن بيد ابني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً أو جوعاً.
فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما، ثم أذن لهما.
وقال علي رضي الله عنه لأبي سفيان: ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف عليه السلام: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ فإنه ﷺ لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولاً منه، ففعل ذلك أبو سفيان، فقال له رسول الله ﷺ: « لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ »أخرجه الحاكم[1].
فأسلم أبو سفيان وعبد الله بن أبي أمية، وقبل رسول الله ﷺ منهما إسلامهما، وحسن إسلامهما رضي الله عنهما.

---
(١) **صحيح**/ أخرجه الحاكم في المستدرك (٥١٥٧).

ولقيه ﷺ عمه العباس بن عبد المطلب بالجُحفة، وهو مهاجر بعياله إلى المدينة، ففرح به رسول الله ﷺ فرحاً عظيماً.

وكان قد أسلم قبل خيبر، وكان يكتم إسلامه، بأمر الرسول ﷺ لمصلحة الدعوة، وخاصة تزويد الرسول ﷺ بأخبار قريش بعد الهجرة، وهو آخر من هاجر إلى المدينة، لأن بعده تم فتح مكة، ولا هجرة بعد الفتح.

- **وصول النبي ﷺ مر الظهران :**

واصل رسول الله ﷺ سيره إلى مكة وهو صائم، والناس صيام معه، فلما انتهى إلى الكديد، بين عسفان وقديد، وهو اسم واد شمال مكة، أفطر ﷺ، وأفطر الناس معه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي رَمَضَانَ مِنَ المَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلافٍ، وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ المَدِينَةَ، فَسَارَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ، يَصُومُ وَيَصُومُونَ، حَتَّى بَلَغَ الكَدِيدَ، وَهُوَ مَاءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ، أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا. أخرجه البخاري [1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ، قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَالفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ » فَكَانَتْ رُخْصَةً، فَمِنَّا مَنْ صَامَ، وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ، فَقَالَ: « إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ، وَالفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ، فَأَفْطِرُوا » وَكَانَتْ عَزْمَةً. أخرجه مسلم [2].

- **جني الكباث :**

الكباث هو النضيج من ثمر الأراك.

لما نزل رسول الله ﷺ وأصحابه في عسفان بمر الظهران أخذوا يجنون ثمر الكباث.

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ رسول الله ﷺ نَجْنِي الكَبَاثَ، وَإِنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ » قَالُوا: أَكُنْتَ تَرْعَى الغَنَمَ؟ قَالَ: « وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا »متفق عليه[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٢٧٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١١٢٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٠٦)، ومسلم برقم (٢٠٥٠).

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ » قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ» أخرجه أحمد[1].

- **إيقاد النيران :**

لما تجمعت جيوش المسلمين بمر الظهران عِشاءً أمر رسول الله ﷺ أصحابه بإيقاد النيران، فأوقدوا نيراناً كثيرة ملأت الأرض، فكان منظراً مهيباً، واستعمل رسول الله ﷺ على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكان الله سبحانه وتعالى قد أخذ العيون عن قريش، فلم يأتهم خبر عن رسول الله ﷺ، ولا يدرون ما هو فاعل، فبعثوا أبا سفيان بن حرب يتحسس الأخبار، فقالوا له: إن لقيت محمداً فخذ لنا منه أماناً.

فخرج من مكة أبو سفيان ومعه حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، يلتمسون الأخبار عن رسول الله ﷺ، فلما وصلوا إلى مر الظهران فإذا هم بنيران كثيرة، ففزعوا وخافوا، فالتقى بهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وهو راكب على بغلة رسول الله ﷺ، وكان العباس يريد أن يرسل إلى قريش رسولاً يطلب منهم أن يخرجوا لمصالحة الرسول ﷺ قبل أن يدخل عليهم مكة.

وكان الثلاثة يتحدثون في أمر الجيش الذي ملأ مر الظهران، وكثرة نيرانه، وقد ظن بديل بن ورقاء أنها خزاعة، فقال له أبو سفيان: خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

فسمعهم العباس رضي الله عنه، وأخبرهم بأنه جيش المسلمين.

فقال أبو سفيان: فما الحيلة يا أبا الفضل؟

فقال العباس: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة، بغلة رسول الله ﷺ، حتى آتي بك رسول الله ﷺ، فاستأمنه لك.

فركب أبو سفيان خلف العباس على بغلة رسول الله ﷺ، ورجع صاحباه.

قال العباس: فجئت به، وكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا البغلة، قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته.

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (٣٩٩١).

قال العباس ﵁: فلما مررت بنار عمر بن الخطاب ﵁، قال: من هذا؟ فلما رأى أبو سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم أخذ يشتد نحو رسول الله ﷺ، وأسرع العباس فدخل على رسول الله ﷺ قبل عمر.
فقال عمر: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني لأضرب عنقه.
فقلت: يا رسول الله، إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ، فدعا الرسول ﷺ أبا سفيان إلى الإسلام في تلك الليلة، فألان القول وتردد.
فطلب الرسول ﷺ من العباس أن يأخذه معه إلى خيمته، ويأتي به في الصباح، وفي الصباح جاء به فقبل الإسلام، وأسلم، وطلب العباس ﵁ من الرسول ﷺ أن يجعل له شيئاً، لأنه زعيم يحب الفخر، فهو سيد قريش، فوافق رسول الله ﷺ، فقال: « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ».
وغادر رسول الله ﷺ مر الظهران إلى مكة.
وأمر الرسول ﷺ العباس أن يحبس أبا سفيان عند مضيق الجبل، حتى تمر به جنود الله فيراها، ففعل العباس.
وعندما رأى أبو سفيان ما رأى، جاء إلى قومه، وصرخ فيهم محذراً لهم، بأنه لا قبل لهم بما جاء به محمد، وأبلغهم بأماكن الأمان في المسجد الحرام، ودار أبي سفيان، ومن دخل داره فأغلق عليه بابه فهو آمن.
عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لمَّا سَارَ رَسُولُ الله ﷺ عَامَ الفَتْحِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، يَلْتَمِسُونَ الخَبَرَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ، فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا هَذِهِ، لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ: نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ الله ﷺ فَأَدْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ، فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ الله ﷺ فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ.
فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: «احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الخَيْلِ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى المُسْلِمِينَ». فَحَبَسَهُ العَبَّاسُ، فَجَعَلَتِ القَبَائِلُ تمرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَمَرَّتْ

كَتِيبَةٌ، قَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ غِفَارُ، قَالَ: مَا لِي وَلِغِفَارَ، ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُذَيْمٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمَرَّتْ سُلَيْمُ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا، قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الأَنْصَارُ، عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، اليَوْمَ يَوْمُ المَلْحَمَةِ، اليَوْمَ تُسْتَحَلُّ الكَعْبَةُ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ.

ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ، وَهِيَ أَقَلُّ الكَتَائِبِ، فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟ قَالَ: «مَا قَالَ؟» قَالَ: كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: «كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الكَعْبَةُ» قَالَ: وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُرْكَزَ رَايَتُهُ بِالحَجُونِ. أخرجه البخاري [1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ قَالَ العَبَّاسُ: قُلْتُ وَاللهِ، لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً، قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهَلَاكُ قُرَيْشٍ، فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقُلْتُ لَعَلِّي: أَجِدُ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي أَهْلَ مَكَّةَ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ، فَيَسْتَأْمِنُوهُ فَإِنِّي لَأَسِيرُ إِذْ سَمِعْتُ كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ، وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ، فَعَرَفَ صَوْتِي، فَقَالَ: أَبُو الفَضْلِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَا لَكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟ قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَالنَّاسُ، قَالَ: فَمَا الحِيلَةُ؟ قَالَ: فَرَكِبَ خَلْفِي، وَرَجَعَ صَاحِبُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَسْلَمَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ» قَالَ: فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى المَسْجِدِ . أخرجه أبو داود [2].

- **مسير النبي ﷺ من مر الظهران :**

مضى الرسول ﷺ في سيره إلى مكة حتى انتهى إلى ذي طوى، موضع عند باب مكة من الشمال، وهناك أعاد الرسول ﷺ تنظيم الجيش وترتيبه.

فجعل ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه على المجنبة اليمنى من الجيش، ومعه أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة، وأمره أن يدخل مكة من أسفلها من كُدي.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢٨٠).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٣٠٢٢).

وجعل الزبير بن العوام ﷺ على المجنبة اليسرى، ومعه المهاجرون، وكانت معه راية الرسول ﷺ، وأمره أن يدخل مكة من أعلاها من كداء، من الثنية العليا عند مقبرة الحجون، وأمره أن يغرز رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأذنه.
وجعل ﷺ على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة، ومعه الأنصار، وجعل أبا عبيدة بن الجراح على الرجالة وهم المشاة.
وأوصى النبي ﷺ أمراءه وعهد إليهم بقوله: « لا تقاتلوا إلا من قاتلكم ».
ونهاهم عن قتل النساء والصبيان، وأن لا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبراً.

- **الذين لا عهد لهم ولا أمان :**

استثنى الرسول ﷺ عشرة من المشركين من الأمان، وأمر بقتلهم وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة، وهم:
١- عكرمة بن أبي جهل، لشدة عداوته للمسلمين.
٢- عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وكان قد أسلم، وكتب الوحي، ثم ارتد ولحق بالكفار بمكة.
٣- مقيس بن صبابة، وكان أخوه قُتل خطأ، فأخذ ديته، ثم عدا على الأنصاري الذي قتله فقتله، وهرب إلى مكة مرتداً.
٤- عبد الله بن خطل، وكان مسلماً، أرسله رسول الله ﷺ مع أحد الأنصار لأخذ الصدقة، ومعهما مولى له مسلم، فعدا على المولى فقتله، ثم ارتد وهجا رسول الله ﷺ بشعره.
٥- هبار بن الأسود، الذي اعترض زينب بنت رسول الله ﷺ عندما هاجرت إلى المدينة، وكانت حاملاً، فضرب بعيرها فهاج، وسقطت زينب على صخرة، وسقط حملها.
٦- الحويرث بن نُقيذ، وكان من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ، وأقواهم هجاء له.
٧- كعب بن زهير بن أبي سلمى.
٨- وحشي بن حرب، الذي قتل حمزة عم رسول الله ﷺ في غزوة أحد.
٩- هند بنت عتبة، زوجة أبي سفيان، التي بقرت بطن حمزة ﷺ يوم أحد، ومثلت به.
١٠- قينتان لابن خطل، كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ.
وسيأتي تفصيل ما آل إليه أمر هؤلاء فيما بعد إن شاء الله تعالى.

- **أوباش قريش :**

لما علمت قريش بقدوم النبي ﷺ إلى مكة وبَّشت أوباشاً، وجمعت جموعاً من قبائل شتى لمواجهة المسلمين، فلم علم رسول الله ﷺ بذلك أمر جيوشه بحصدهم حتى يوافوه على الصفا، ففعلوا، لا يقاتلهم أحد إلا حصدوه.

عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الفَتْحِ، فَجَعَلَ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ عَلَى المُجَنِّبَةِ اليُمْنَى، وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ عَلَى المُجَنِّبَةِ اليُسْرَى، وَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى البَيَاذِقَةِ، وَبَطْنِ الوَادِي، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، ادْعُ لِي الأَنْصَارَ»، فَدَعَوْتُهُمْ، فَجَاءُوا يُهَرْوِلُونَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «انْظُرُوا، إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا»، وَأَخْفَى بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ، وَقَالَ: «مَوْعِدُكُمُ الصَّفَا».

قَالَ: فَمَا أَشْرَفَ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَامُوهُ، قَالَ: وَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّفَا، وَجَاءَتِ الأَنْصَارُ فَأَطَافُوا بِالصَّفَا، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ اليَوْمِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَسلقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابهُ فَهُوَ آمِنٌ»، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: أَمَّا الرَّجُلُ فَقَدْ أَخَذَتْهُ رَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ، وَرَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، وَنَزَلَ الوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: " قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَقَدْ أَخَذَتْهُ رَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ، وَرَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، أَلَا فَمَا اسْمِي إِذًا؟ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ، فَالمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ » قَالُوا: وَاللهِ مَا قُلْنَا إِلَّا ضَنًّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: «فَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ» أخرجه مسلم [(١)].

ودخلت كل كتيبة من الجيش الإسلامي من الجهة التي أُمرت بالدخول منها، ولم تلق أية مقاومة تذكر، إلا خالد بن الوليد ﷺ، فقد مضى حتى دخل من أسفل مكة، فلقيه صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، بالخندمة، في جمع من أوباش قريش وأتباعها، فمنعوه من الدخول، وشهروا السلاح في وجهه، ورموه بالنبل، فقاتلهم خالد ﷺ فقتل منهم قريباً من عشرين رجلاً، وانهزموا، واستمر خالد ﷺ يدافعهم حتى انتهى بهم القتل إلى باب المسجد الحرام، فصاح بهم أبو سفيان: من دخل داره، وأغلق عليه بابه، وكف يده، فهو آمن، فدخلوا دورهم، وأغلقوا عليهم أبوابهم.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨٠).

وقُتل من كتيبة خالد ﵁ رجلان شذا عنه، فسلكا طريقاً غير طريقه، فقتلا جميعاً، وهما: كرز بن جابر الفهري، وجيش بن الأشعر التعخزاعي.
واستمر القتل في المشركين، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم.
فقال رسول الله ﷺ: « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن» .أخرجه مسلم[1].
ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى خالد ﵁ يأمره أن يرفع يده عن القتل.
ثم قال ﷺ: «كُفُّوا السِّلَاحَ إِلَّا خُزَاعَةَ عَنْ بَنِي بَكْرٍ » فَأَذِنَ لَهُمْ، حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ قَالَ: « كُفُّوا السِّلَاحَ» أخرجه أحمد[2].

- **اجتماع الصحابة في الخيف :**

كان رسول الله ﷺ قد أمر الصحابة بعد دخول مكة بالتجمع بالخيف، وهو المحصب، حيث تقاسم أهل مكة على الكفر.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ أَرَادَ حُنَيْنًا « مَنْزِلُنَا غَدًا إِنْ شَاءَ الله بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ».متفق عليه[3].
وكان أول من وصل إلى الخيف هو الزبير بن العوام ﵁، ونصب راية النبي ﷺ هناك، وضرب لرسول الله ﷺ قبة من أدم، ثم تجمع بقية الجيش هناك.

- **دخول الرسول ﷺ مكة :**

ثم دخل رسول الله ﷺ مكة من أعلاها من كَدا، في كتيبته الخضراء، وبين يديه المهاجرون والأنصار، رضي الله عنهم، وذلك بكرة يوم الجمعة لعشر ليال بقين من رمضان، وهو راكب ناقته القصواء، مردفاً أسامة بن زيد ﵁ خلفه، وواضعاً رأسه الشريف على راحلته تواضعاً لله رب العالمين، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن لحيته لتكاد تمس وسط رحله ﷺ، وهو يقرأ سورة الفتح، يردد بها صوته.
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لمَّا جَاءَ إِلَى مَكَّةَ دَخَلَ مِنْ أَعْلاَهَا، وَخَرَجَ مِنْ أَسْفَلِهَا» أخرجه البخاري[4].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨٠).
(٢) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (٦٦٨١).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢٨٢)، ومسلم برقم (١٣١٤).
(٤) أخرجه البخاري برقم (١٥٧٧).

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ مُغَفَّلٍ يَقُولُ: رَأَيْتُ رسول الله ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ يُرَجِّعُ.أخرجه البخاري [1].

ولما ارتفع النهار من يوم الفتح أتى رسول الله ﷺ دار أم هاني بنت أبي طالب رضي الله عنها، فاغتسل ثم صلى ثماني ركعات في بيتها، وذلك ضحى.

عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: مَا أَخْبَرَنَا أَحَدٌ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الضُّحَى غَيْرُ أُمِّ هَانِئٍ ذَكَرَتْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ اغْتَسَلَ فِي بَيْتِهَا، فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، فَمَا رَأَيْتُهُ صَلَّى صَلاَةً أَخَفَّ مِنْهَا غَيْرَ أَنَّهُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ» متفق عليه [2].

وأجارت أم هاني رضي الله عنها رجلين من أقاربها، كانا قد فرا إليها، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتبعهما.

عن أم هاني بنت أبي طالب رضي الله عنها، قالت: أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ»، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ ابْنُ أُمِّي أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلًا قَدْ أَجَرْتُهُ، فُلاَنَ ابْنَ هُبَيْرَةَ، فَقَالَ رسول الله ﷺ : «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ» قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ: وَذَاكَ ضُحًى» أخرجه البخاري [3].

- **طواف رسول الله ﷺ بالبيت وتطهيره من الأصنام:**

ثم أتى رسول الله ﷺ المسجد الحرام، والمهاجرون والأنصار بين يديه، وخلفه وحوله، يهللون ويكبرون.

فأقبل ﷺ إلى الحجر الأسود، فاستلمه بمحجن في يده، ثم طاف بالبيت سبعاً على راحلته، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، مشدودة بالحديد، فجعل كلما دنا من صنم يطعنها بمحجنه، فما يشير على صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا يشير إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي فيها صنم إلا وقع.

ثم دعا رسول الله ﷺ عثمان بن طلحة رضي الله عنه، حاجب الكعبة، فقال له: « ائتني بالمفتاح »، فجاء به إلى النبي ﷺ فدفعه إليه، ففتح باب الكعبة، وأمر عمر بن الخطاب أن يدخل فيمحو كل صورة فيها، فلم يدخل رسول الله ﷺ الكعبة حتى محيت كل صورة فيها.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢٨١).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١١٠٣)، ومسلم برقم (٣٣٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٥٧).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ يَوْمَ الفَتْحِ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، مُرْدِفًا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَمَعَهُ بِلاَلٌ، وَمَعَهُ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ مِنَ الحَجَبَةِ، حَتَّى أَنَاخَ فِي المَسْجِدِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِفْتَاحِ البَيْتِ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَبِلاَلٌ، وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ، فَمَكَثَ فِيهِ نَهَارًا طَوِيلًا، ثُمَّ خَرَجَ فَاسْتَبَقَ النَّاسُ، فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ، فَوَجَدَ بِلاَلًا وَرَاءَ البَابِ قَائِمًا، فَسَأَلَهُ: أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ فَأَشَارَ لَهُ إِلَى المَكَانِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَهُ كَمْ صَلَّى مِنْ سَجْدَةٍ. أخرجه البخاري[1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لمَّا رَأَى الصُّوَرَ فِي البَيْتِ لَمْ يَدْخُلْ حَتَّى أَمَرَ بِهَا فَمُحِيَتْ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ بِأَيْدِيهِمَا الأَزْلاَمُ، فَقَالَ «قَاتَلَهُمُ اللهُ، وَاللهِ إِنِ اسْتَقْسَمَا بِالأَزْلاَمِ قَطُّ» أخرجه البخاري[2].

- **خطبة الرسول ﷺ في أهل مكة :**

ثم خرج رسول الله ﷺ من الكعبة، فوقف على باب الكعبة، وقد استكف له الناس، ينتظرون ماذا يصنع؟

فأخذ رسول الله ﷺ بعضادي الباب، وهم تحته، فَكَبَّرَ ثَلاثًا ثُمَّ قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ، وَحْدَهُ أَلَا إِنَّ كُلَّ مَأْثَرَةٍ كَانَتْ فِي الجَاهِلِيَّةِ تُذْكَرُ وَتُدَّعَى مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ تَحْتَ قَدَمَيَّ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ سِقَايَةِ الحَاجِّ وَسِدَانَةِ البَيْتِ » .

ثُمَّ قَالَ : « أَلَا إِنَّ دِيَةَ الخَطَإِ شِبْهِ العَمْدِ مَا كَانَ بِالسَّوْطِ وَالعَصَا مِائَةٌ مِنَ الإِبِلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا» أخرجه أبوداود وابن ماجه[3].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلاَنِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ اللهُ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ".» أخرجه الترمذي[4].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢٨٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٣٥٢).

(٣) **حسن**/ أخرجه أبو داود (٤٥٤٧)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٢٦٢٨).

(٤) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٢٧٠).

«أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ مَا كَانَ مِنْ حِلْفٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّ الإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً ، وَلَا حِلْفَ فِي الإِسْلَامِ» أخرجه البخاري في الأدب المفرد والطحاوي[1].

فقال رسول الله ﷺ: (أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : « لا تثريب عليكم اليوم»، اذهبوا فأنتم الطلقاء).

فعفى رسول الله ﷺ عنهم جميعاً، فدخلوا في الإسلام، وهم مسلمة الفتح.

وهذه ثمرة حسن الخلق، والرحمة الصادقة منه ﷺ .

ثم نزل رسول الله ﷺ من باب الكعبة، وجلس في المسجد، ومفتاح الكعبة بيده، ثم قال: « أين عثمان بن طلحة؟»، فدعي له، فقال رسول الله ﷺ: (هاك مفتاح الكعبة يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء).

وقال: « خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم».

ونزر في هذا الموقف: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء/ ٥٨] .

ولا يزال بفضل الله مفتاح الكعبة في بني شيبة إلى يومنا هذا، وإلى يوم القيامة بأمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ.

- **أذان بلال فوق الكعبة :**

حانت صلاة الظهر يوم الفتح، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يصعد فيؤذن فوق الكعبة.

وكان أبو سفيان بن حرب، وعتاب بن أسيد، والحارث بن هشام، جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب: لقد أكرم الله أبي أسيد أن لا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه.

وقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته.

وقال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى.

فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال لهم: « قد علمت الذي قلتم »، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله.

وقد صلى رسول الله ﷺ جميع الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد، خلاف عادته ﷺ في الوضوء عند كل صلاة، لبيان الجواز.

---

(١) حسن/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٥٨٢)، وأخرجه الطحاوي برقم (١٦١٨).

عن بريدة ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الصَّلَوَاتِ يَوْمَ الفَتْحِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ صَنَعْتَ اليَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ، قَالَ: «عَمْدًا صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ» أخرجه مسلم(١).

- **إسلام والد أبي بكر الصديق :**

لما جلس رسول الله ﷺ في المسجد خرج أبو بكر ﵁، وجاء بأبيه يقوده، وكان قد عمي، فلما رآه رسول الله ﷺ قال لأبي بكر ﵁: « هلا تركت الشيخ في بيته، حتى أكون أنا آتيه »، وذلك إكراما لأبي بكر الصديق ﵁، فقال أبو بكر ﵁: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت.

فأجلسه ﷺ بين يديه، ثم مسح صدره، وقال له: (أسلم تسلم)، فأسلم أبو قحافة والد أبي بكر الصديق ﵁.

- **مصير الذين أهدر النبي ﷺ دماءهم :**

١- أما عكرمة بن أبي جهل، فقد فر يوم الفتح بعد الهزيمة، وذهب إلى جدة، وركب البحر، فأصابتهم عاصف، فعاهد الله إن أنجاه الله مما هو فيه أن يضع يده في يد محمد. فجاء عكرمة إلى رسول الله ﷺ فأسلم، وحسن إسلامه، وقد استشهد في أجنادين في خلافة أبي بكر الصديق ﵁.

٢- وأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح، فذهب يوم الفتح إلى عثمان بن عفان ﵁، وكان أخاه من الرضاعة، فاستأمن له رسول الله ﷺ، ثم قال: يا رسول الله بايع عبد الله، فأبى، ثم بايعه بعد ثلاث مرات، فأسلم عبد الله، وحسن إسلامه، وكانت له مواقف محمودة في فتوحات أفريقية، وتوفي ﵁ سنة ست وثلاثين للهجرة.

٣- وأما عبد الله بن خطل، فقتله أبو برزة الأسلمي ﵁، وهو متعلق بأستار الكعبة.

٤- وأما مقيس بن صبابة، فأدركه الناس في السوق، فقتلوه.

٥- وأما هبار بن الأسود، فهرب يوم الفتح، ولم يقدر عليه أحد، ثم قدم المدينة على رسول الله ﷺ فأسلم، وحسن إسلامه.

٦- وأما هند بنت عتبة، زوجة أبي سفيان، فإنها اختفت يوم الفتح، ثم أسلمت وبايعت.

٧- وأما وحشي بن حرب، وكعب بن زهير، فإنهما أسلما، وحسن إسلامهما.

٨- وأما قينتا ابن خطل، فأسلمت إحداهما، وقتلت الأخرى.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٧).

- **بيعة أهل مكة لرسول الله ﷺ :**

١ - بيعة الرجال:

اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ، فجلس لهم على الصفا، فجاءه الرجال والنساء، والكبار والصغار، فبدأ بمبايعة الرجال، فبايعوه على الإسلام، والسمع والطاعة فيما استطاعوا.

عن مجاشع رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أُبَايِعُهُ عَلَى الهِجْرَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ الهِجْرَةَ قَدْ مَضَتْ لِأَهْلِهَا، وَلَكِنْ عَلَى الإِسْلَامِ وَالجِهَادِ وَالخَيْرِ» متفق عليه[1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الفَتْحِ - فَتْحِ مَكَّةَ -: «لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا »متفق عليه[2].

٢ - بيعة النساء :

لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال بايع النساء من غير مصافحة، فقد كان ﷺ لا يصافح النساء، ولا يمس يد امرأة إلا امرأة أحلها الله له، أو ذات محرم منه.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ مِنَ المُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ الآيَةِ ، يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ : « يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ » الآية فَمَنْ أَقَرَّتْ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ المُؤْمِنَاتِ ، قَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ : « قَدْ بَايَعْتُكِ » كَلامًا ، وَالله ! مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي المُبَايَعَةِ ، مَا يُبَايِعُهُنَّ إِلا بِقَوْلِهِ . متفق عليه[3].

فكان ﷺ يمتحن النساء يوم الفتح بهذه الآية، فمن أقرت بذلك قال لها: قد بايعتك.

فاجتمع إليه على الصفاء نساء قريش، فَقَالَتْ هِنْدٌ مِنْ بَيْنِهِنَّ:

يَا رَسُولَ الله نُمَاسِحُكَ؟ فَقَالَ: « إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّ قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ مِثْلُ قَوْلِي لامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ » . قَالَ مُحَمَّد بْنُ عُمَرَ: لمَّا أَسْلَمَتْ هِنْدٌ جَعَلَتْ تَضْرِبُ صَنَمًا فِي بَيْتِهَا بِالقَدُومِ حَتَّى فَلَّذَتْهُ فَلْذَةً فَلْذَةً وَهِيَ تَقُولُ: كُنَّا مِنْكَ فِي غُرُورٍ[4].

- **إسلام صفوان بن أمية :**

صفوان بن أمية بن خلف، زعيم من زعماء قريش، فخاف على نفسه القتل يوم الفتح، فهرب خارج مكة، فاستأمن له الرسول ﷺ ابن عمه عمير بن وهب، فأمنه، فخرج في طلبه حتى أدرك صفوان بجدة، يريد أن يركب البحر، فكلمه وأعلمه بأمان رسول الله ﷺ.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٠٥)، ومسلم برقم (١٨٦٣).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٥)، ومسلم برقم (١٣٥٣).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٧١٣)، ومسلم برقم (١٨٦٦).
(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٣٦٨).

فقال صفوان: إني أخافه على نفسي، فقال عمير: هو أحلم من ذلك وأكرم، فرجع صفوان حتى دخل مكة، وكلمه رسول الله ﷺ عن الإسلام، فطلب إمهاله فأمهله.
ثم خرج صفوان مع رسول الله ﷺ إلى حنين والطائف، وهو مشرك، ثم أسلم بعد ذلك.

- **تخوف الأنصار من بقاء الرسول ﷺ بمكة :**

لما أكرم الله رسوله ﷺ بفتح مكة، وهي بلده وموطنه، ومولده، قالت الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفته بعشيرته، أترون إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟

فنزل الوحي على رسول الله ﷺ بما ذكره الأنصار، فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ» قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: « قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ؟ » قَالُوا: قَدْ كَانَ ذَاكَ، قَالَ: « كَلَّا، إِنِّي عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى الله وَإِلَيْكُمْ، وَالمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ»، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: وَالله، مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضِّنَّ بِالله وَبِرَسُولِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ، وَيَعْذِرَانِكُمْ» أخرجه مسلم[1].

- **خطبة الرسول ﷺ في حرمة مكة :**

أذن رسول الله ﷺ للمسلمين يوم الفتح بقتال المشركين حتى فرغوا، وأذن لخزاعة أن يأخذوا بثأرهم من بني بكر إلى المساء، ثم أمر برفع السيف، ثم قتل رهط من خزاعة رجلاً من هذيل في الحرم يؤم رسول الله ﷺ، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فلما كان غداة يوم الفتح، قام، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:
«إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا الله، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلاَ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رسول الله ﷺ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ الله قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ» متفق عليه[2].

«يا معشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثر أن يقع ، لئن قتلتم قتيلاً لأدينَّه، فمن قُتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين، إن شاؤا فدم قاتله، وإن شاؤا فعقله»
ثم ودى رسول الله الرجل الهذلي الذي قتلته خزاعة.أخرجه أحمد[3].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨٠).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٠٤)، ومسلم برقم (١٣٥٥).
(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٦٣٧٦)

وقد أقام الرسول ﷺ بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة، ويرسخ عقيدة التوحيد، ويفقه الناس في دينهم.

وبعث ﷺ تميم بن أسيد الخزاعي ليجدد أنصاب الحرم، وبعث سراياه للدعوة إلى الإسلام، وكسر الأوثان التي كانت حول الكعبة، فكسرت كلها.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. أخرجه البخاري[1].

- **بعث السرايا إلى هدم الأصنام :**

بعث رسول الله ﷺ أثناء وجوده بمكة عام الفتح بعض السرايا لهدم الأصنام، وإزالة مراكز الوثنية من جزيرة العرب.

١- سرية سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه إلى مناة:

بعثه رسول الله ﷺ في عشرين فارساً إلى مناة ليهدمها، وكانت بالمشلل، وذلك لست ليال بقين من رمضان، من السنة الثامنة للهجرة، فهدمها، وقتل المرأة التي فيها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ.

٢- سرية خالد بن الوليد إلى العزى:

بعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين فارساً من الصحابة لهدم العزى بنخلة، وهي أعظم أصنامهم، وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات، وهدم البيت، ومثل المرأة العريانة التي كانت فيها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ.

٣- سرية عمرو بن العاص إلى سواع:

بعثه رسول الله ﷺ إلى سواع ليهدمه، وكان برهاط، موضع بينبع، على ثلاث ليال من مكة، فجاءه عمرو فكسره، وأمر أصحابه فهدموا بقيته، ثم أسلم سادنه.

٤- سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة:

وكانوا بأسفل مكة، على بُعد ليلة من ناحية يلملم، وذلك في شوال، من السنة الثامنة للهجرة، والنبي ﷺ مقيم بمكة عام الفتح.

فخرج خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة، ومعه ثلاثمائة وخمسون رجلاً، فلما وصل إليهم دعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فجعل خالد رضي الله عنه يقتل منهم ويأسر، ثم ودى رسول الله ﷺ قتلى بني جذيمة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢٩٨).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ ، فَقُلْتُ: وَالله لاَ أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلاَ يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ » مَرَّتَيْنِ. أخرجه البخاري(١).

- **بعض الأمور التي حكم بها الرسول ﷺ في مكة :**

أفتى الرسول ﷺ مدة إقامته عام الفتح بمكة في بعض الأمور منها:

١- حكمه ﷺ في المرأة التي سرقت.

عن عُرْوَة بْن الزُّبَيْرِ أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةِ الفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا، تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ: «أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله »، قَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ الله، فَلَمَّا كَانَ العَشِيُّ قَامَ رَسُولُ الله خَطِيبًا، فَأَثْنَى عَلَى الله بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: « أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍبِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍسَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِتِلْكَ المَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا، فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا. متفق عليه(٢).

٢- تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ عَامَ الفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: «إِنَّ الله وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ، وَالمَيْتَةِ وَالخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ، فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ: «لاَ، هُوَ حَرَامٌ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «قَاتَلَ الله اليَهُودَ، إِنَّ الله لمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ» متفق عليه(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣٣٩).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٠٤)، ومسلم برقم (١٦٨٨).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٢٣٦)، ومسلم برقم (١٥٨١).

٣- تحريمه ﷺ نكاح المتعة نهائياً:

عن الربيع بن سيرة الجهني أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» أخرجه مسلم(1).

- **دخول الناس في دين الله أفواجاً :**

لما انتصر رسول الله ﷺ على قريش، دخل الناس في دين الله أفواجاً، لأن قريشاً كانوا أئمة الناس وهداتهم، وأهل البيت الحرام، وصريح ولد إسماعيل.

فلما فتح رسول الله ﷺ مكة، ودانت له قريش، ودوخها الإسلام، وعرفت العرب أنه لا طاقة لها بحرب رسول الله ﷺ، ولا عداوته، فدخلوا في دين الله أفواجاً، يضربون إليه من كل وجه كما قال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر/ ١-٣].

وعن عمرو بن سلمة الجرمي قَالَ: قَالَ لِي أَبُو قِلاَبَةَ: أَلاَ تَلْقَاهُ فَتَسْأَلَهُ؟ قَالَ فَلَقِيتُهُ فَسَألتُهُ فَقَالَ: كُنَّا بِمَاءٍ ممَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ فَنَسْأَلُهُمْ: مَا لِلنَّاسِ، مَا لِلنَّاسِ؟ مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ الله أَرْسَلَهُ، أَوْحَى إِلَيْهِ، أَوْ: أَوْحَى الله بِكَذَا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الكَلاَمَ، وَكَأَنَّمَا يُقَرُّ فِي صَدْرِي، وَكَانَتِ العَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلاَمِهِمُ الفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلاَمِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلاَمِهِم. أخرجه البخاري(2).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٠٦).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٣٠٢).

١٣ - غزوة حنين

حنين مكان يبعد عن مكة ستة وعشرين كيلاً من جهة الشرق، جهة عرفات، ويعرف الآن بالشرائع.

وتسمى هذه الغزوة غزوة أوطاس، وغزوة هوازن، وغزوة حنين.

وتُعد غزوة حنين امتداداً لفتح مكة، لأنها ناشئة عنه، ومتممة له، فقد أقام ﷺ بمكة تسعة عشر يوما، ثم خرج إلى حنين، وكان خروجه ﷺ من مكة إلى حنين في السادس من شهر شوال، من السنة الثامنة للهجرة.

- **سبب هذه الغزوة :**

سببها أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة، وخضعت له قريش، خاف أشراف هوازن وثقيف أن يغزوهم رسول الله ﷺ، فحشدوا له الجموع والقبائل، ونزلوا بحنين، يريدون قتال النبي ﷺ.

وكانوا قد جمعوا له قبل ذلك، لما سمعوا بخروجه ﷺ من المدينة، وهم يظنون أنه يريدهم، فلما أتاهم أنه قد نزل مكة أخذوا في الاستعداد وحشد القوات والقبائل لمواجهته قبل أن يهاجمهم.

ولما علم رسول الله ﷺ بما تقوم به ثقيف وهوازن ومن معهم خرج إليهم في حنين.

- **خروج جموع هوازن وثقيف إلى حنين :**

اجتمعت إلى هوازن وثقيف جموع كثيرة من القبائل وهم:

غطفان، وبنو نصر، وبنو سعد بن بكر، وبنو جشم، وناس من بني عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، وبنو مالك، وتخلف عنهم من هوازن كعب وكلاب.

وكان على رأس بني جشم دريد بن الصمة، وهو شيخ كبير جداً، خرجوا به للتيمن برأيه، وكان شجاعاً مجرباً، ذو رأي في الحروب.

وقد بلغ جيش الكفار عشرين ألفاً، وكان جماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة.

وكانوا يريدونها موقعة حاسمة، ولذا حشدوا الأموال والنساء والأبناء، حتى لا يفر أحد ويترك أهله وماله.

فلما أجمع مالك بن عوف النصري السير إلى رسول الله ﷺ أمر الناس أن يسوقوا معهم أموالهم ونساءهم، وأبناءهم، فسار بهم حتى نزلوا بأوطاس، واد في ديار هوازن.

ولما نزل مالك بن عوف بأوطاس اجتمع إليه الناس، وفيهم دريد بن الصمة، فقال دريد للناس: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، فقال: نعم مجال الخيل، لا حزن ضرس، ولا سهل دهس، مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء!

قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم.

فقال دريد: فأين مالك؟ فدُعي إليه، فقال له: إنك يا مالك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟

فقال مالك: سقت مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم.

قال: ولم ذلك؟ قال مالك: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم.

فقال له دريد: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء؟

إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك.

ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ وهما بطنان من هوازن، قالوا: لم يشهدها منهم أحد.

فقال دريد: غاب الحِدُّ والجِدُّ، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنك كعب ولا كلاب، ولودت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب.

ثم قال: يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم، ثم ألق الصباة على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك، وقد أحرزت أهلك ومالك.

فقال مالك بن عوف: لا والله، لا أفعل ذلك، إنك كبرت، وكبر عقلك، والله لتطيعنني يا معشر هوازن، أو لأتكئنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري.

قالوا: أطعناك، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده، ولم يفتني، ثم أمر مالك بن عوف بالخيل فصفت، ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك، ثم صفت النعم.

ثم قال للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا عليهم شدة رجل واحد.

• **خروج رسول الله ﷺ وأصحابه إلى حنين :**

لما سمع رسول الله ﷺ باجتماع هوازن وثقيف ومن معهم، بعث عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنه ليأتيه بخبرهم، فانطلق فدخل في هوازن، فعلم ورأى ما أجمعوا عليه من حرب رسول الله ﷺ، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ بأمرهم.

فاستعد رسول الله ﷺ لمواجهتهم، فاستعار من صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً، وكان صفوان ما زال مشركاً، فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟

فقال رسول الله ﷺ: « بل عارية مضمونة ».

فأعار صفوان رسول الله ﷺ مائة درع.

واستلف رسول الله ﷺ من عبد الله بن أبي ربيعة ثلاثين أو أربعين ألفا.

ثم خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى حنين، يوم السبت، لست ليال خلون من شوال، سنة ثمان للهجرة، ومعه ﷺ اثنا عشر ألفاً من المسلمين.

عشرة آلاف، وهم الذين جاؤا معه من المدينة لفتح مكة، وألفان من مسلمة الفتح من أهل مكة، وهم الطلقاء، وأكثرهم حديث عهد بالإسلام.

وخرج معه ﷺ كثير من المشركين أمثال صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وغيرهم.

ويعتبر هذا الجيش أكبر جيش إسلامي يخرج في حياة الرسول ﷺ إلى ذلك الحين، ولكثرته اعتقد بعض الناس أنهم لن يغلبوا من قلة، فأنزل الله تعالى في هذا الشأن: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة/ ٢٥].

وقبل أن يخرج الرسول ﷺ من مكة، استعمل عتاب بن أسيد رضي الله عنه أميراً على مكة، وهو أول أمير في الإسلام على مكة.

وسار النبي ﷺ إلى حنين، وفي الطريق رأى الناس شجرة خضراء عظيمة يقال لها: ذات أنواط، يعكف الناس ويذبحون عندها، فقال بعض الطلقاء من أهل مكة: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: " اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةً قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" إِنَّهَا السُّنَنُ،

لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً» أخرجه أحمد[1].

ولما اقترب رسول الله ﷺ من حنين عشية، وحضرت الصلاة، جاءه رجل فارس بخبر هوازن.

عن سَهْل بن الحَنْظَلِيَّةِ رضي الله عنه أَنَّهُمْ سَارُوا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَأَطْنَبُوا السَّيْرَ، حَتَّى كَانَتْ عَشِيَّةً، فَحَضَرْتُ الصَّلَاةَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَارِسٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي انْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَلَى بَكْرَةِ آبَائِهِمْ بِظُعُنِهِمْ، وَنَعَمِهِمْ، وَشَائِهِمْ، اجْتَمَعُوا إِلَى حُنَيْنٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ: «تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ الله »، ثُمَّ، قَالَ: «مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ؟»، قَالَ أَنَسُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الغَنَوِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَارْكَبْ». أخرجه أبو داود[2].

فركب أنس بن أبي مرثد الغنوي، واستقبل الشعب، وبات ليلته ينظر، فلم ير أحداً من هوازن، فلم أصبح جاء وأخبر رسول الله ﷺ بما رأى.

ثم أكمل رسول الله ﷺ بجيشه حتى وصل إلى حنين، مساء ليلة الثلاثاء، لعشر ليال خلون من شوال.

- **تعبئة الجيوش :**

لما كان من الليل عبأ مالك بن عوف أصحابه في وادي حنين، وكان قد سبق المسلمين إليه، وفرق الناس فيه، وأوعز إليهم أن يرشقوا المسلمين بالنبل أول ما يطلعون، ثم يحملوا عليهم حملة رجل واحد، وفرق كمناءهم في الطريق والمداخل والشعاب، والمضائق.

وعبأ رسول الله ﷺ جيشه، وعقد الألوية والرايات، ورتب جيشه في صفوف منظمة، وركب ﷺ بغلته البيضاء، ولبس درعين والمغفر والبيضة، واستقبل الصفوف، وطاف عليهم، وحضهم على القتال، وبشرهم بالفتح إن صبروا وصدقوا.

واستعمل رسول الله ﷺ على بني سليم خالد بن الوليد رضي الله عنه، ولم يزل في خيله في المقدمة حتى ورد الجعرانة.

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢١٨٩٧).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٢٥٠١).

- **بداية القتال :**

انحدر المسلمون في وادي حنين، وكان منحدراً شديداً، في عماية الصبح، وهم لا يعلمون بوجود كمناء العدو في مضايق الوادي، فما راعهم وهم ينحدرون إلا الكتائب قد شدت عليهم شدة رجل واحد، وبدأ الضرب بخالد بن الوليد ﷺ حتى سقط، وانكشفت خيل بني سليم مولية، وتبعهم أهل مكة من الطلقاء، وبدأ الفرار من كل مكان إلى كل مكان.

وثبت رسول الله ﷺ، وثبت معه نفر قليل من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، فيهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس، وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وغيرهم رضي الله عنهم.

عن البراء بن عازب ﷺ أنه سئل: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يَفِرَّ ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ، فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ المُسْلِمُونَ عَلَى الغَنَائِمِ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ الله ﷺ فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ البَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ» أخرجه البخاري[١].

فلما رأى أبو سفيان بن حرب هزيمة المسلمين قال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وكان أبو سفيان قد اعتزل هو، وصفوان بن أمية، وحكيم بن حزام، ورجال من أهل مكة، وراء تل ينظرون لمن يكون النصر، وكانوا حديثي عهد بالإسلام.

وأخذ العباس ﷺ بلجام بغلة رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابها يكفها عن الإسراع نحو العدو، وهو ﷺ لا يألو يسرع نحو المشركين.

ثم نزل رسول الله ﷺ عن بغلته، فاستنصر ربه، ودعا قائلا: « اللهم نزِّل نصرك، اللهم إنْ تشأ أن لا تُعبد بعد اليوم» أخرجه أحمد[٢].

وقال ﷺ: «اللهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ» أخرجه أحمد[٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٦٤).
(٢) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٢٢٢٠).
(٣) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٨٩٣٣).

ثم أخذ رسول الله ﷺ يقاتل العدو، والصحابة الذين معه يقاتلون معه، ويتقون به لشجاعته كعادتهم.

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا إِذَا احمَرَّ البَأْسُ، وَلَقِيَ القَوْمُ القَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ الله ﷺ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى مِنَ القَوْمِ مِنْهُ. أخرجه أحمد[1].

- **رجوع المسلمين إلى ميدان المعركة:**

ثم قال رسول الله ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه، وكان رجلاً صيتاً: « يا عباس ناد أصحاب السمرة »، فأقبلوا سراعاً.

قَالَ عَبَّاسٌ رضي الله عنه: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَسُولَ الله ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ الله ﷺ على بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الجُذَامِيُّ، فَلَمَّا التقى المُسْلِمُونَ وَالكُفَّارُ وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ الله ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ الله ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ».

فَقَالَ عَبَّاسٌ - وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا - : فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَالله، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ يَا بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ.

فَنَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ» قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا القِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَالله، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا. أخرجه مسلم[2].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: لمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ أَقْبَلَتْ هَوَازِنُ وَغَطَفَانُ، وَغَيْرُهُمْ بِذَرَارِيِّهِمْ وَنَعَمِهِمْ، وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَئِذٍ عَشَرَةُ آلَافٍ، وَمَعَهُ الطُّلَقَاءُ، فَأَدْبَرُوا عَنْهُ، حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ،

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٣٤٧).

(٢)أخرجه مسلم (١٧٧٥).

قَالَ: فَنَادَى يَوْمَئِذٍ نِدَاءَيْنِ، لَمْ يَخْلِطْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، قَالَ: فَالتَفَتَ عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ» فَقَالُوا: لَبَّيْكَ، يَا رَسُولَ الله، أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ، قَالَ: ثُمَّ التَفَتَ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ» قَالُوا: لَبَّيْكَ، يَا رَسُولَ الله، أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ، قَالَ: وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ، فَنَزَلَ فَقَالَ: « أَنَا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ » فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ. أخرجه مسلم[1].

فلما سمع المسلمونَ نداء العباس رضي الله عنه، أقبلوا وهم يقولون: لبيك، لبيك، وتجالد الفريقان مجالدة شديدة، فانهزم المشركون وفروا، فقال رسول الله ﷺ: «انهَزَمُوا وَرَبِّ الكَعْبَةِ، انهَزَمُوا وَرَبِّ الكَعْبَةِ» أخرجه ابن حبان[2].

- **نزول الملائكة :**

ثم إن الله تعالى أيد رسوله ﷺ والمؤمنين بأن أنزل الملائكة لإرهاب الكفار كما قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٧].

ولم تقاتل الملائكة في غزوة قط إلا في غزوة بدر الكبرى، وإنما نزلت في حنين لتخويف الكفار، وعدداً ومدداً لا يضربون.

وقال ﷺ يوم حنين: «مَنْ قَتَلَ كَافِرًا فَلَهُ سَلَبُهُ» أخرجه ابن حبان[3].

فقتل أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه عشرين رجلا، وأخذ أسلابهم، واتخذت أم سليم زوج أبي طلحة وأم أنس بن مالك خنجراً، لتقتل بها من قرب إليها من المشركين.

ونفل رسول الله ﷺ يوم حنين أبا قتاده سلب رجل قتله، وكان درعاً باعه أبو قتادة، واشترى به مخرفاً في بني سلمة بالمدينة.

وقتل سلمة بن الأكوع رجلا من المشركين، فجاء بجمله يقوده، عليه رحله وسلاحه، فقال النبي ﷺ: «مَنْ قَتَلَ الرَّجُلَ؟» قَالُوا: ابْنُ الأَكْوَعِ، قَالَ: «لَهُ سَلَبُهُ أَجْمَعُ» أخرجه مسلم[4].

---

(١) أخرجه مسلم برقم(١٠٥٩).
(٢) **صحيح/** أخرجه ابن حبان برقم (٧٠٤٩).
(٣) **صحيح/** أخرجه ابن حبان برقم (٤٨٣٦).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٧٥٤).

وظل المسلمون يتبعون الكفار حتى تفرقوا في كل وجه، لا يلوي أحد على أحد، ونزل نصر الله للمؤمنين، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة من الطلقاء، لما رأوا من نصر الله ﷻ، ولم يعنف رسول الله ﷺ أحداً ممن فر منه، بل لما قالت له أم سليم أن يقتل الطلقاء لفرارهم قال: «إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ» أخرجه مسلم[1].

وهكذا انهزم الكفار هزيمة منكرة، وفروا في كل واد، وغنم المسلمون نساءهم وذراريهم وأموالهم، وأنعامهم.

- **سرية أوطاس** :

لما انهزمت هوازن تفرقوا في البلاد، فذهبت طائفة منهم فيهم رئيسهم مالك بن عوف النصري، فلجؤا إلى الطائف، وتحصنوا بها، وانحاز بنو عميرة إلى نخلة.

وسارت فرقة من هوازن فعسكروا بأوطاس، واد من أودية حنين.

فبعث إليهم رسول الله ﷺ سرية من أصحابه بقيادة أبي عامر الأشعري ﷺ، وهو عم أبو موسى الأشعري ﷺ، وفيهم أبو موسى الأشعري، والزبير بن العوام الذي قتل دريد بن الصمة.

وكان رسول الله ﷺ قد أمر بتعقب الفارين من المشركين، وجزهم، لكسر شوكتهم، حتى لا يجتمعوا للحرب مرة أخرى.

فسارت هذه السرية إلى أوطاس، لتعقب المشركين الذين فيهم دريد بن الصمة، فجالدهم أبو عامر الأشعري حتى استشهد ﷺ، وخلَّف قبل موته أبا موسى الأشعري على قيادة من معه، وأوصاه أن يبلغ سلامه إلى رسول الله ﷺ، وأن يطلب منه أن يستغفر له، فأكمل أبو موسى ﷺ المهمة، وهزم الله على يديه الأعداء، وبلغ رسالة أبي عامر وسلامه إلى رسول الله ﷺ، فدعا له الرسول ﷺ واستغفر له.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قَالَ: لمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ، وَهَزَمَ الله أَصْحَابَهُ، قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمِّ مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي، فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى، فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلاَ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٠٩).

تَسْتَحْيِي، أَلاَ تَثْبُتُ، فَكَفَّ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللهُ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ المَاءُ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَقْرِئِ النَّبِيَّ ﷺ السَّلاَمَ، وَقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي.

وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكُثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ». وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ». فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا» أخرجه البخاري[1].

ثم رجعت السرية إلى رسول الله ﷺ منصورة.

- **الشهداء والقتلى في حنين :**

١- استشهد من المسلمين في غزوة حنين أربعة نفر :

أيمن بن عبيد، ويزيد بن زمعة الأسدي، وسراقة بن الحارث الأنصاري، وأبو عامر الأشعري، رضي الله عنهم.

وجرح من المسلمين خالد بن الوليد، وعبد الله بن أبي أوفى، وكذلك أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم أجمعين.

٢- وقُتل من الكفار وجرح خلق كثير من هوازن، وثقيف:

فقد قتل من بني مالك من ثقيف سبعين قتيلاً، وقتل بأوطاس من بني مالك ثلاثمائة قتيل، منهم دريد بن الصمة.

وقتل خلق كثير من بني نصر بن معاوية ثم من بني رئاب، حيث استحر بهم القتل.

وقتل أبو عامر الأشعري رضي الله عنه وحده في أوطاس تسعة إخوة، وقتل أبو طلحة رضي الله عنه في حنين عشرين رجلاً وحده.

- **جمع غنائم حنين:**

أمر الرسول ﷺ بعد هزيمة هوازن وثقيف في حنين بجمع الغنائم، فجمعت، فكان السبي نحو ستة آلاف من النساء والأطفال، والإبل أربعة وعشرون ألفاً، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣٢٣).

وقد جعل رسول الله ﷺ على هذه الغنائم مسعود بن عمرو الغفاري، في نفر من المسلمين، ثم أمر ﷺ بهذه الغنائم فحبست في الجعرانة، ولم يقسمها حتى انصرف من غزوة الطائف، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

- **الحكم والغايات التي أرادها الله من غزوة فتح مكة وغزوة حنين:**

فتح مكة: هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله، وجنوده المؤمنين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين،وخلصه من أيدي الكفار والمشركين، واستبشر به أهل السماء والأرض، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر/ ١-٣].

ولما تم الفتح المبين، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ودانت له ﷺ العرب بأسرها، ومنَّ على أهل مكة فلم يسترقهم، ولم يأخذ شيئاً من أموالهم، كان من حكمة الله أن أمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الإسلام، وأن يجتمعوا بأنفسهم وأموالهم لحرب رسول الله ﷺ وأصحابه، ليظهر أمر الله، وإعزازه لرسوله ودينه وأوليائه، ولتكون غنائمهم شكراناً لأهل الفتح، وليظهر الله ﷻ عزة رسوله والمؤمنين، وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون مثلها، فلا يقاومهم بعدها أحد من العرب، وهذا ما حصل .

واقتضت حكمة الله أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة، مع كثرة عددهم وعدتهم، وقوة شوكتهم، ليطامن رؤوساً رفعت بالفتح وشمخت، ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسوله ﷺ متواضعاً لربه، خاضعاً لعظمته، مستكيناً لعزته أن فتح له بلده، وأحل له حرمه، ولم يحله لأحد قبله ولا بعده، وليبين للناس أن النصر من عنده وحده، فلما انكسرت قلوبهم، وزال عنهم العجب، أرسل الله إليهم خِلَع الحبر، مع بريد النصر: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ

بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٨].

وكان من حكمة الله ﷻ أن افتتح غزو العرب بغزوة بدر، وكان فيها النصر الكامل والغنائم، وختم غزوهم بغزوة حنين التي كان فيها النصر الكامل والغنائم العظيمة، وكان بينهما ست سنين، وبهاتين الغزوتين أطفأ الله جمرة العرب عن غزو المسلمين، فبدر خوفهم، وكُسرت شوكتهم، وحنين استفرغت قواهم، وأذلت جمعهم، حتى لم يجدوا بُداً من الدخول في الإسلام، فسبحان من هيأ القلوب لقبول الحق.

وجبر الله ﷻ بنصر حنين وغنائمهم قلوب أهل مكة وأشرافهم، فكان ذلك كالدواء لما نالهم من الذلة والكسر بعد الفتح .

وهذه سنة الله في أوليائه وأعدائه : ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص/ ٤-٦].

١٤ - غزوة الطائف

كانت غزوة حنين امتداداً لغزوة فتح مكة، وكذا كانت غزوة الطائف امتداداً لغزوة حنين. فبعد أن تعقب المسلمون فلول الهاربين من هوازن في أوطاس ونخلة، توجهوا للقضاء على فلول ثقيف التي فرت من حنين وأوطاس، وتحصنت بحصونها المنيعة في الطائف. وذلك أن معظم فلول هوازن وثقيف فروا ودخلوا الطائف مع قائدهم مالك بن عوف النصري، وتحصنوا بها من المسلمين.

فسار إليهم رسول الله ﷺ بعد فراغه من حنين، بعد منتصف شهر شوال، سنة ثمان للهجرة.

وتحرك رسول الله ﷺ بجيشه إلى الطائف، وجعل على مقدمته خالد بن الوليد، بمن معه من الفرسان.

ومر ﷺ وهو في طريقه إلى الطائف بقبر أبي رغال، وهو أبو ثقيف، وكان من ثمود، وكان حين نزول العذاب على ثمود في حرم الله، فمنعه حرم الله من عذاب الله، فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه في هذا المكان وهو المغمس، فدفن فيه، والناس يرجمون قبره.

- **حصار الطائف :**

ثم أكمل رسول الله ﷺ سيره إلى الطائف، حتى نزل قريباً من حصن الطائف، فضرب عسكره هناك، وفرض على أهلها الحصار، فرمت ثقيف المسلمين بالنبال والحجارة رمياً شديداً، حتى استشهد من المسلمين اثنا عشر رجلاً، وجُرح ناس آخرون.

فاضطر رسول الله ﷺ أن يرتفع بعسكره قليلا، حتى يسلم جيشه من رمي سهام ثقيف، فنزل في مكان مسجد ابن عباس بالطائف، وكانت الطائف آنذاك جنوب غربي المسجد، ولما كان القتال تراشقاً بالسهام على بعد، استخدم المسلمون الدبابة، ليحتموا بها من السهام، حتى يصلوا إلى الحصن فينقبوه.

والدبابة : آلة من خشب مركب على عجلات، يدخل فيها الرجال، ويدبون بها إلى عدوهم.

وعندما رأتهم ثقيف ألقت عليهم قطعاً من الحديد محماة، فأحرقت الدبابة، فخرج أصحابها من تحتها، فأصابوهم بالسهام، فقتلوا منهم رجالاً.

ونصب رسول الله ﷺ المنجنيق على أهل الطائف في حصنهم، وقذف به القذائف من الحجارة، وهذا أول منجنيق يرمى به في الإسلام.

وبذل المسلمون الوسع في الرمي بالمنجنيق، خاصة بعد أن حثهم الرسول ﷺ على الرمي به، ووعدهم على ذلك درجة في الجنة.

عن أبي نجيح السلمي ﷺ قَالَ: حَاصَرْنَا مَعَ نَبِيِّ الله ﷺ حِصْنَ الطَّائِفِ، فَسَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فَلَهُ دَرَجَةٌ فِي الجَنَّةِ» قَالَ: فَبَلَغْتُ يَوْمَئِذٍ سِتَّةَ عَشَرَ سَهْمًا. أخرجه أحمد والترمذي[1].

ولإضعاف معنويات ثقيف، وإجبارهم على الاستسلام، أمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف وتحريقها، فقطعها المسلمون قطعاً ذريعاً.

فسألت ثقيف رسول الله ﷺ أن يدعها لله والرحم، وقالوا له: لم تقطع أموالنا؟ إما أن تأخذها إن ظهرت علينا، وإما أن تدعها لله والرحم.

فقال رسول الله ﷺ: « فإني أدعها لله والرحم ».

ثم نادى منادي رسول الله ﷺ: أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، فنزل إليه من الحصن ثلاثة وعشرون رجلاً، فيهم نفيع بن مسروح، تسور الحصن، وتدلى إلى الأرض ببكرة يسقى عليها، فكناه رسول الله ﷺ أبا بكرة.

وأسلم هؤلاء العبيد كلهم، فأعتقهم رسول الله ﷺ.

ولما طال حصار الطائف، واستعصى على المسلمين الأمر، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ بفتح الطائف، قال لعمر بن الخطاب ﷺ: «ناد في الناس: إنا قافلون إن شاء الله »، فثقل ذلك على المسلمين، وقالوا: نذهب ولا نفتحه!

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: لمَّا حَاصَرَ رَسُولُ الله ﷺ الطَّائِفَ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، قَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ الله». فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلاَ نَفْتَحُهُ، وَقَالَ مَرَّةً: «نَقْفُلُ». فَقَالَ: «اغْدُوا عَلَى القِتَالِ». فَغَدَوْا فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ، فَقَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ الله». فَأَعْجَبَهُمْ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ. متفق عليه[2].

ولما اشتدت نبال ثقيف على المسلمين، قالوا: يا رسول الله، أحرقتنا نبال ثقيف، فادع الله

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٧٠٢٢)، وأخرجه الترمذي برقم (١٧٣٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٢٥)، ومسلم برقم (١٧٧٨).

عليهم، فقال رسول الله ﷺ: « اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا » أخرجه أحمد والترمذي[1].

وقد استجاب الله دعاء رسوله ﷺ، فأتى بثقيف مسلمين قبل أن يرتحل رسول الله ﷺ من الجعرانة، حين قسم غنائم حنين، ولبث ﷺ في حصار أهل الطائف بضع عشرة ليلة.

- **عودة النبي ﷺ من الطائف :**

غادر الرسول ﷺ الطائف متوجهاً إلى الجعرانة التي ترك فيها غنائم حنين، وفي الطريق لقيه سراقة بن مالك الجشعمي، فدنا من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، والناس يقرعونه، ويقولون له: إليك إليك ماذا تريد؟

فلما اقترب من الرسول ﷺ رفع يده بالكتاب، ثم قال: يا رسول الله هذا كتابك لي، أنا سراقة بن مالك بن جشعم، فقال رسول الله ﷺ: « يوم وفاء وبر، ادنه ».

قال سراقة: فدنوت منه فأسلمت، ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله ﷺ فما أذكره، إلا أني قلت: يا رسول الله الضالة من الإبل تغشى حياضي، وقد ملأتها لإبلي، هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال ﷺ: «نَعَمْ، مِنْ كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ» أخرجه أحمد[2].

- **قسمة غنائم حنين :**

قدم النبي ﷺ من الطائف إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة، من السنة الثامنة للهجرة، فأقام في الجعرانة ثلاث عشرة ليلة لم يقسم الغنائم، يبتغي أن يقدم عليه وفد هوازن مسلمين، فيحرزوا ما أصيب منهم من السبي والغنائم.

فلما لم يأته أحد منهم، أمر بقسمة الغنائم.

فبدأ ﷺ بالمؤلفة قلوبهم، من سادات العرب، يتألفهم على الإسلام، لضعف إيمانهم.

فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة من الإبل.

وأعطى أبا سفيان بن الحارث، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وعلقمة بن علاثة، والعباس بن مرداس، كل واحد من هؤلاء أعطاه مائة من الإبل.

عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: أَعْطَى رَسُولُ الله ﷺ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ، وَالأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عَبَّاسَ بْنَ مِرْدَاسٍ دُونَ ذَلِكَ، فَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ:

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٤٧٠٢)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٩٤٢).
(٢) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٧٥٨١).

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ العُبَيْدِ بَيْنَ عُيَيْنَــةَ وَالأَقْــــرَعِ
فَمَـا كَانَ بَدْرٌ وَلَا حَــابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي المَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تخْفِضِ اليَـوْمَ لَا يُرْفَعِ

قَالَ: فَأَتَمَّ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ مِائَةً. أخرجه مسلم[1].

وأعطى رسول الله ﷺ حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها، ثم سأله فأعطاه.

عَنْ حَكِيم بْن حِزَام رضي الله عنه قَالَ: سَألتُ رَسُولَ الله ﷺ فَأَعْطَاني، ثُمَّ سَألْتُهُ، فَأَعْطَاني، ثُمَّ سَألتُهُ، فَأَعْطَاني، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لمَ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى».

قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا . متفق عليه[2].

وأعطى ﷺ صفوان بن أمية مائة من الإبل، وكان صفوان لا يزال مشركاً، ثم أعطاه مائة ثانية، ثم مائة ثالثة.

قال صفوان: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين، وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما زال يعطيني حتى صار أحب الناس إليّ.

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: غَزَا رَسُولُ الله ﷺ غَزْوَةَ الفَتْحِ، فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالمُسْلِمِينَ، وَأَعْطَى رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ، ثُمَّ مِائَةً، ثُمَّ مِائَةً. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: وَالله لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ الله ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ. أخرجه مسلم[3].

وأعطى ﷺ حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل،

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٦٠).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٤٧٢)، ومسلم برقم (١٠٣٧).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٣).

وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل.

وأعطى رسول الله ﷺ آخرين من المؤلفة قلوبهم خمسين خمسين، وأربعين أربعين، حتى شاع في الناس أن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، فازدحمت عليه الأعراب، يطلبون المال، حتى اضطروه إلى سمرة خطفت رداءه.

عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﵁ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلاَ كَذُوبًا، وَلاَ جَبَانًا» أخرجه البخاري [1].

وعن ابن مسعود ﵁ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ بِالجِعِرَّانَةِ، قَالَ: فَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ الله بَعَثَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَى قَوْمِهِ، فَكَذَّبُوهُ وَشَجُّوهُ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ جَبِينِهِ، وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» أخرجه أحمد [2].

وجاء إلى الرسول ﷺ هناك رجل، فأعطاه غنماً بين جبلين.

عَنْ أَنَسٍ ﵁ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَالله إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الفَقْرَ فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا. أخرجه مسلم [3].

ولما انتهت هذه الغزوة العظيمة نادى رسول الله ﷺ صفوان بن أمية، وقال له: «إِنَّا قَدْ فَقَدْنَا مِنْ أَدْرَاعِكَ أَدْرَاعًا، فَهَلْ نَغْرَمُ لَكَ؟» قَالَ: لَا، يَا رَسُولَ الله، لِأَنَّ فِي قَلْبِي اليَوْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ. أخرجه أبو داود [4].

ولما فرق النبي ﷺ السبايا نادى مناديه: «لَا تُوطَأُ الحُبْلَى حَتَّى تَضَعَ، وَلَا غَيْرُ ذَاتِ حَمْلٍ حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً» أخرجه أحمد [5].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٢١).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٤٠٥٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٢).

(٤) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٣٥٦٣).

(٥) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١١٨٢٣).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسَ، فَلَقُوا عَدُوًّا، فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ، وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا، فَكَأَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تحَرَّجُوا مِنْ غِشْيَانِهِنَّ مِنْ أَجْلِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: "وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ." أخرجه مسلم(١).

وبعد قسمة الغنائم أتى رسول الله ﷺ رجل، هو ذو الخويصرة، واسمه حرقوص بن زهير، يعترض على قسمة رسول الله ﷺ لغنائم حنين.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵁ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، قَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لمَ أَكُنْ أَعْدِلُ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﵁: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ فَأَقْتُلَ هَذَا المُنَافِقَ، فَقَالَ: «مَعَاذَ اللهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، لَا يجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» أخرجه مسلم(٢).

- **موقف الأنصار من توزيع الغنائم :**

أعطى رسول الله ﷺ من غنائم حنين كل الناس إلا الأنصار رضي الله عنهم، فوجدوا على رسول الله في أنفسهم، فقال أحداثهم: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ. أخرجه البخاري (٣).

وقالوا : إِذَا كَانَتْ شَدِيدَةٌ فَنَحْنُ نُدْعَى، وَيُعْطَى الغَنِيمَةَ غَيْرُنَا. أخرجه البخاري(٤).

ولما كثرت القالة في الأنصار، انطلق سعد بن عبادة ﵁ سيد الأنصار، فأخبر النبي ﷺ بما في نفوس الأنصار.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﵁ قَالَ: لمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ العَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ العَرَبِ، وَلمَ يَكُنْ فِي الأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الحَيُّ مِنَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ القَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لمِا صَنَعْتَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٥٦).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٠٦٣).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٣٣١).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٣٣٧).

فِي هَذَا الفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ العَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الحَيِّ مِنَ الأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟ قَالَ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الحَظِيرَةِ» ، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الحَظِيرَةِ. أخرجه أحمد[1].

فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثم قال: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ». قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: « لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ» متفق عليه[2].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، أَلَمْ آتِكُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي، أَلَمْ آتِكُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بِي؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَفَلَا تَقُولُونَ: جِئْتَنَا خَائِفًا فَآمَنَّاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ؟ » فَقَالُوا: بَلْ للهِ المَنُّ بِهِ عَلَيْنَا وَلِرَسُولِهِ. أخرجه أحمد[3].

فبكى الأنصار رضي الله عنهم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً.

- **حكمة إعطاء المؤلفة قلوبهم :**

أعطى رسول الله ﷺ من غنائم حنين أموالاً عظيمة جزلة لسادات قريش، وسادات العرب، وأشرافهم من زعماء غطفان، وتميم، وفزارة، وغيرهم، ومنع الأنصار منها، لأن في الدنيا أقواماً كثيرين يقادون إلى الحق من بطونهم، لا من عقولهم، فكما تهدى الدواب إلى طريقها بحزمة علف، تمُد إليها حتى تدخل حظيرتها آمنة، فكذلك هناك خلق كثير من البشر يحتاج إلى عطاء كبير، حتى تستأنس نفوسهم بالإيمان، وتحبه وتهش له.

---

(١) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (١١٧٣٠).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٣٠)، ومسلم برقم (١٠٦١).
(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٢٠٢١).

وقد خفيت هذه الحكمة على كثير من الصحابة أول الأمر، حتى بينها لهم الرسول ﷺ بقوله : «إِنِّي أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلَعَهُمْ وَجَزَعَهُمْ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الخَيْرِ وَالغِنَى، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ» فَقَالَ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رسول الله ﷺ حُمْرَ النَّعَم. أخرجه البخاري[1].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أُعْطِي قُرَيْشًا أَتَأَلَّفُهُمْ، لِأَنَّهُمْ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ» أخرجه البخاري[2].

ولما قال بعض الأنصار: يغفر الله لرسول الله ﷺ، يعطي قريشاً، ويترك الأنصار، وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله ﷺ: « إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ وَتَرْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ الله ﷺ، فَوَاللهِ مَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ» ، قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ الله قَدْ رَضِينَا ، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْا اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَى الحَوْضِ » أخرجه البخاري[3].

- **قدوم وفد هوازن :**

بعد أن قسمت غنائم حنين، قدم وفد هوازن على رسول الله ﷺ، وكانوا أربعة عشر رجلاً، ورأسهم زهير بن صُرد، فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام.

ثم قالوا: يا رسول الله إنا أصل وعشيرة، فمُنَّ علينا، منَّ الله عليك، فإنه قد نزل بنا من البلاء ما لا يخفى عليك.

وقال زهير بن صرد، أحد بني سعد بن بكر، قوم حليمة السعدية: يا رسول الله إنما في الحضائر عماتك وخالاتك، وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ثم سألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فخيرهم رسول الله ﷺ بين الأموال أو السبي.

عن مَرْوَان بْن الحَكَم وَالمِسْوَر بْن مخْرَمَة أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رسول الله ﷺ :« أَحَبُّ الحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا المَالَ، وَقَدْ كُنْتُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٤٥).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣١٤٦).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٣١٤٧).

اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ »، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ انْتَظَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاؤنَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ».

فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُمْ، فَقَالَ رسول الله ﷺ : «إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ» فَرَجَعَ النَّاسُ، فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رسول الله ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا. أخرجه البخاري[1].

ولما خير ﷺ وفد هوازن بين أموالهم وسبيهم فاختاروا السبي من النساء والأولاد، فقال ﷺ: «أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ» ، وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَالَ عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ: أَمَّا مَا كَانَ لِي ولِبَنِي فَزَارَةَ فَلَا، وَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو تَمِيمٍ فَلَا، وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو سُلَيْمٍ فَلَا، فَقَالَتِ الْحَيَّانِ: كَذَبْتَ، بَلْ هُوَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، رُدُّوا عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِشَيْءٍ مِنَ الْفَيْءِ فَلَهُ عَلَيْنَا سِتَّةُ فَرَائِضَ مِنْ أَوَّلِ شَيْءٍ يُفِيئُهُ اللهُ عَلَيْنَا» أخرجه أحمد[2].

فرد الناس على هوازن جميع السبي، فلله در هذه النفوس الزكية، التي قاتلت، ثم ملكت، ثم آثرت، ثم رضيت : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

وقدم بعد ذلك مالك بن عوف النصري، رئيس هوازن فأسلم.

وكان رسول الله ﷺ سأل وفد هوازن عن مالك ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف، فقال لهم ﷺ: « أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل».

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٣٠٧).

(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٦٧٢٩).

فلما أخبروه جاء إلى الجعرانة، فأدرك رسول الله ﷺ فأسلم، وحسن إسلامه، ورد عليه أهله وماله ومائة من الإبل، ثم استعمله على من أسلم من قومه.

- **اعتمار الرسول ﷺ من الجعرانة :**

لما فرغ رسول الله ﷺ من قسمة الغنائم في الجعرانة أهلَّ بالعمرة، ومعه بعض أصحابه رضي الله عنهم.

عَنْ مُحَرِّشٍ الكَعْبِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ مِنَ الجِعْرَانَةِ مُعْتَمِرًا، فَدَخَلَ مَكَّةَ لَيْلًا، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ تحْتِ لَيْلَتِهِ، فَأَصْبَحَ بِالجِعْرَانَةِ كَبَائِتٍ، فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ أَخَذَ فِي بَطْنِ سَرِفَ حَتَّى جَاءَ الطَّرِيقُ طَرِيقَ المَدِينَةِ. قَالَ: فَلِذَلِكَ خَفِيَتْ عُمْرَتُهُ. أخرجه أحمد[1].

وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ كُلُّهُنَّ فِي ذِي القَعْدَةِ إِلَّا الَّتِي مَعَ حَجَّتِهِ: عُمْرَةً مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، أَوْ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مِنَ العَامِ المُقْبِلِ فِي ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مِنْ جِعْرَانَةَ حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ فِي ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مَعَ حَجَّتِهِ. متفق عليه[2].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ وَأَصْحَابَهُ اعْتَمَرُوا مِنَ الجِعْرَانَةِ، فَرَمَلُوا بِالبَيْتِ، وَجَعَلُوا أَرْدِيَتَهُمْ تحْتَ آبَاطِهِمْ قَدْ قَذَفُوهَا عَلَى عَوَاتِقِهِمُ اليُسْرَى. أخرجه أبو داود[3].

- **رجوع الرسول ﷺ إلى المدينة :**

قبل أن يرجع الرسول ﷺ إلى المدينة استخلف عتاب بن أسيد رضي الله عنه أميراً على مكة، وعمره إحدى وعشرون سنة، وهو أول أمير في الإسلام على مكة.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وفي الطريق لقيه أبو محذورة رضي الله عنه فأسلم، ولما سمع مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة، فصرخ به يحكيه، فأُعجب ﷺ بصوته، فأمره بالأذان، وألقى ﷺ الأذان على أبي محذورة بنفسه.

فلما أذَّن به، قال: يا رسول الله مرني بالتأذين بمكة، فأمره به، فقدم على عتاب بن أسيد بمكة، فأذن بالمسجد الحرام بمكة عن أمر رسول الله ﷺ، وعمره ست عشرة سنة، وأذن بمكة حتى مات، وتوارث الأذان من بعده أولاده.

---

(١) **حسن/** أخرجه أحمد برقم (١٥٥١٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٧٧٨)، ومسلم برقم (١٢٥٣).

(٣) **صحيح/** أخرجه أبو داود برقم (١٨٨٤).

ثم واصل ﷺ سيره إلى المدينة، فقدمها لست ليال بقين من ذي القعدة، سنة ثمان من الهجرة، بعد أن توج الله هامته بالانتصارات العظيمة، والفتح المبين.

فقد جاء ﷺ قبل ثمانية أعوام إلى المدينة وهو مطارد يبغي الأمان، فأكرمه أهلها، وآووه ونصروه، وها هو اليوم يدخل المدينة التي استقبلته مهاجراً خائفاً، لتستقبله مرة أخرى، وقد دانت له مكة، وألقى أهلها كبرياءهم وجاهليتهم تحت قدميه، فأكرمهم وعفا عنهم، وأعزهم بالإسلام ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف/ ٩٠].

وخضعت له ﷺ القبائل المحيطة بمكة، وأذعنت له الرؤوس المستكبرة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾[النصر/ ١-٣].

١٥- كتاب رسول الله ﷺ إلى ملك عُمان

في ذي القعدة، من السنة الثامنة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، وهما من الأزد بعُمان، يدعوهما إلى الإسلام، والملك منها جيفر، وكتب ﷺ معه إليهما كتاباً هذا نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما ».

وكتب الكتاب أبي بن كعب رضي الله عنه، وختمه رسول الله ﷺ، فخرج عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى عُمان، فلما قدمها دعاهما إلى الإسلام، وبين لهما فضائله ومحاسنه، وبعد أيام ومحاورات أجابا إلى الإسلام، وصدقا برسول الله ﷺ، وخليا بين عمرو والصدقة، فأخذ عمرو رضي الله عنه الصدقة من أغنيائهم، وردها على فقرائهم.

ولم يزل عمرو بن العاص رضي الله عنه بعمان عندهم حتى توفي رسول الله ﷺ.
وقد أثنى ﷺ على أهل عمان ومدحهم بحسن خلقهم.
عن أبي برزة رضي الله عنه قال: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلًا إِلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَسَبُّوهُ وَضَرَبُوهُ، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ عُمَانَ أَتَيْتَ، مَا سَبُّوكَ وَلَا ضَرَبُوكَ» أخرجه مسلم[1].

١٦- كتاب الرسول ﷺ إلى ملك البحرين

بعث الرسول ﷺ منصرفه من الجعرانة، في شهر ذي القعدة، من السنة الثامنة للهجرة، العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، إلى المنذر بن ساوى العبدي، ملك البحرين، وكتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، وبعث معه نفر فيهم أبو هريرة رضي الله عنه.
فلما قدم العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه على المنذر بن ساوى دعاه إلى الإسلام، وبين له أن العقول الراجحة تهتدي إلى الحق بفطرتها، وكشف له عن محاسن الإسلام، وما فيه من الفضائل، وصلاح أمور الدنيا والدين، فنظر المنذر في أمره، ثم أسلم، وكتب إلى رسول الله ﷺ كتاباً، هذا نصه:
(أما بعد، يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إلي في ذلك أمرك).
فكتب إليه الرسول ﷺ: « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وأنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وأن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية».

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٤٤).

ولم يزل العلاء بن الحضرمي ﷺ عامل رسول الله ﷺ على البحرين حتى توفي رسول الله ﷺ، وكان يبعث بجزيتها إلى رسول الله ﷺ بالمدينة.

عن عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ إِلَى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ البَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ العَلاَءَ بْنَ الحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ، فَوَافَتْهُ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَالله مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُم» متفق عليه.[1].

١٧ - زواج الرسول ﷺ من الجونية

في شهر ذي القعدة، من السنة الثامنة للهجرة، تزوج رسول الله ﷺ أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ ابْنَةَ الجَوْنِ لمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَدَنَا مِنْهَا، قَالَتْ: أَعُوذُ بِالله مِنْكَ، فَقَالَ لهَا: «لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، الحَقِي بِأَهْلِكِ» أخرجه البخاري[2].

وعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ يُقَالُ: لَهُ الشَّوْطُ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَائِطَيْنِ، فَجَلَسْنَا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْلِسُوا هَا هُنَا» وَدَخَلَ، وَقَدْ أُتِيَ بِالجَوْنِيَّةِ، فَأُنْزِلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَخْلٍ فِي بَيْتِ أُمَيْمَةَ بِنْتِ النُّعْمَانِ بْنِ شَرَاحِيلَ، وَمَعَهَا دَايَتُهَا حَاضِنَةٌ لهَا.

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «هَبِي نَفْسَكِ لِي» قَالَتْ: وَهَلْ تَهَبُ المَلِكَةُ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ؟ قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ، فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِالله مِنْكَ، فَقَالَ: «قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ» ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «يَا أَبَا أُسَيْدٍ، اكْسُهَا رَازِقِيَّتَيْنِ، وَأَلحِقْهَا بِأَهْلِهَا» أخرجه البخاري[3].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٢٥)، وأخرجه مسلم برقم(٢٩٦١).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٢٥٤).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٢٥٥).

١٨- ولادة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ

في شهر ذي القعدة، من السنة الثامنة للهجرة، ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ بالعالية حيث أنزل رسول الله ﷺ أمه مارية القبطية.

وكان ﷺ يختلف إلى مارية القبطية هناك، ويطؤها بملك اليمين، ومع ذلك ضرب عليها الحجاب.

ولما وُلد إبراهيم جاء أبو رافع إلى رسول الله ﷺ، وبشره به، فوهب له رسول الله ﷺ عبداً.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وُلد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم». أخرجه مسلم [١].

وتنافست نساء الأنصار في إبراهيم أيتهن ترضعه، وكانت أمه مارية قليلة اللبن، فدفعه ﷺ إلى أم سيف، فكانت ترضعه.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» متفق عليه [٢].

وكان ﷺ أرحم الناس بالعيال من كل أحد.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالعِيَالِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي المَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ البَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ.

قَالَ عَمْرٌو: فَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلَانِ رَضَاعَهُ فِي الجَنَّةِ» أخرجه مسلم [٣].

* * * * *

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٥).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٠٣)، ومسلم برقم (٢٣١٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٦).

البــاب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة التاسعة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة التاسعة من الهجرة

وتشتمل على ما يلي :

١- بعث الرسول ﷺ عماله على الصدقات

٢-السرايا التي بعثها الرسول ﷺ في السنة التاسعة: وتشمل:

١- سرية عيينة بن حصين إلى بني العنبر

٢- سرية الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب

٣- سرية علقمة بن مجزِّز

٤- سرية علي بن أبي طالب إلى الفُلس

٣- وفود السنة التاسعة : وتشمل:

١ - الوفود القادمة للإسلام قبل غزوة تبوك: وتشمل:

١ - قدوم وفد باهلة

٢- قدوم وفد بني تميم

٣- قدوم وفد بني أسد بن خزيمة

٤- قدوم وفد طيء

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة التاسعة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة التاسعة من الهجرة

١ - بعث الرسول ﷺ عماله على الصدقات

لما استهل هلال المحرم، من السنة التاسعة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ عماله على الصدقات لجباية الزكاة، وتفريقها على المسلمين، وأوصاهم بتقوى الله، وحسن معاملة الناس، وأرسلهم إلى المناطق المختلفة، في أوقات مختلفة.

فبعث ﷺ بريدة بن الحصيب رضي الله عنه إلى أسلم وغفار.

وبعث المهاجر بن أبي أمية رضي الله عنه إلى صنعاء باليمن.

وبعث زياد بن لبيد البياضي رضي الله عنه إلى حضرموت.

وبعث ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط رضي الله عنه إلى بني المصطلق.

وبعث مالك بن نويرة رضي الله عنه إلى بني حنظلة.

وبعث الزبرقان بن بدر رضي الله عنه على ناحية من ديار بني سعد.

وبعث قيس بن عاصم رضي الله عنه على ناحية أخرى من بني سعد.

وبعث ﷺ عبد الله بن اللتبية إلى بني ذبيان.

وبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بني فزارة.

وبعث رافع بن مكيث رضي الله عنه إلى جهينة.

وبعث الضحاك بن سفيان رضي الله عنه إلى بني كلاب.

وبعث ﷺ عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه إلى هوازن.

وبعث ﷺ بسر بن سفيان رضي الله عنه إلى بني كعب.

وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أهل نجران، ليجمع صدقاتهم، ويقدم عليه بجزيتهم.

وبعث عدي بن حاتم الطائي ﷺ إلى طيء وأسد.

وبعث عبَّاد بن بشر ﷺ إلى سُليم ومزينة.

وبعث ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ﷺ من قبل ليأتيه بجزية البحرين.

وبعث ﷺ نفراً من أصحابه إلى العلاء بن الحضرمي عامله على البحرين، ليقبضوا ما اجتمع عنده من صدقة.

فهذه البعوث التي تقارب العشرين، تدل على اتساع رقعة الإسلام، وكثرة الداخلين فيه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

- **وصايا الرسول ﷺ عند جمع الصدقات:**

كان رسول الله ﷺ إذا بعث أصحابه رضي الله عنهم ليأخذوا صدقات أهل القبائل، يأمرهم أن يأخذوا صدقاتهم من حواشي أموالهم، ويتوقوا كرائمها، وأن يأخذوها من أغنيائهم، ويردوها على فقرائهم، وأن يجعلوا الصدقات في ذوي القربى من أحد منهم، الأول فالأول، فإن لم يكن للغني قرابة فلأولي العشيرة، ثم لذوي الحاجة من الجيران وغيرهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة/ ٦٠].

وكان ﷺ يُرغب عماله في العفاف، وأداء الأمانة، ويحذرهم من الغلول من الصدقات، ويأمرهم بتقوى الله ﷻ.

عن أبي حميد الساعدي ﷺ قال: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسْدٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الأُتْبِيَّةِ عَلَى صَدَقَةٍ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: « مَا بَالُ العَامِلِ نَبْعَثُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ: هَذَا لَكَ وَهَذَا لِي، فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَنْظُرُ أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ »، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ «أَلا هَلْ بَلَّغْتُ» ثَلاثًا. متفق عليه[1].

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١٧٤)، ومسلم برقم (١٨٣٢).

ولما بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق، قوم جويرية بنت الحارث، زوجة رسول الله ﷺ ليأخذ صدقاتهم، وكانوا قد أسلموا، فلما كان ببعض الطريق متوجهاً إليهم فرق وخافهم، فرجع إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي، فبعث ﷺ إلى الحارث بعثاً، فلقيهم الحارث بأصحابه ومعهم الزكاة، قادماً بها إلى رسول الله ﷺ، فسألوه: هل منعت الزكاة، وأردت قتل رسول رسول الله ﷺ؟.

فقال: والذي بعث محمداً بالحق، ما رأيته بتة، ولا أتاني.

فَلَمَّا دَخَلَ الحَارِثُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «مَنَعْتَ الزَّكَاةَ، وَأَرَدْتَ قَتْلَ رَسُولِي؟» قَالَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ، وَلَا أَتَانِي، وَمَا أَقْبَلْتُ إِلَّا حِينَ احْتَبَسَ عَلَيَّ رَسُولُ رَسُولِ الله ﷺ، خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ كَانَتْ سَخْطَةً مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ. قَالَ: فَنَزَلَتِ الحُجُرَاتُ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ، فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» إِلَى هَذَا المَكَانِ: «فَضْلًا مِنَ الله وَنِعْمَةً وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ» . أخرجه أحمد[1].

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (١٨٤٥٩).

٢- السرايا التي بعثها الرسول ﷺ في السنة التاسعة

١- سرية عيينة بن حصن إلى بني العنبر

في شهر محرم، من السنة التاسعة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزاري، إلى بني العنبر، وكانوا فيما بين السقيا وأرض بني تميم، والسقيا على يومين من المدينة من جهة مكة.

وسبب هذه السرية أن رسول الله ﷺ بعث بشر بن سفيان الكعبي ﷺ إلى بني كعب من خزاعة، لأخذ صدقاتهم، فجاء وقد حل بنواحيهم بنو عمر بن جندب بن العنبر التميميون، فجمعت خزاعة مواشيها للصدقة، فاستكثر ذلك بنو تميم، وشهروا السيوف، ومنعوا بشراً ﷺ من أخذ الصدقة.

فقدم بشر ﷺ إلى رسول الله ﷺ فأخبره.

فقال الرسول ﷺ: (من لهؤلاء القوم؟)، فانتدب عيينة بن حصن ﷺ، فبعثه ﷺ في خمسين فارساً من العرب، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري، فكان يسير الليل، ويكمن بالنهار، فلما وصل إليهم هجم عليهم، فلما رأوا الجمع هربوا وولوا، فأسر عيينة منهم أحد عشر رجلاً، وأخذ إحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبياً، ثم ذهب إلى المدينة، فأمر بهم رسول الله ﷺ فحبسوا في دار رملة بنت الحارث.

٢- سرية الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب

في شهر ربيع الأول، من السنة التاسعة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ الضحاك بن سفيان الكلابي ﷺ، في سرية القُرَطاء، بطن من بني بكر، ليدعوهم إلى الإسلام، ومعه الأصيد بن سلمة بن قرط.

فلقوا القرطاء بالزجلاوة، موضع بنجد، فقاتلوهم فهزموهم، ولحق الأصيد أباه سلمة، وسلمة على فرس له بالزج، فدعاه إلى الإسلام، وأعطاه الأمان، فسبه وسب دينه، فضرب الأصيد عرقوبي فرس أبيه فوقع، فأمسك أباه إلى أن جاءه أحد المسلمين فقتله، ولم يقتله ابنه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ

مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[المجادلة/ ٢٢] .

٣- سرية علقمة بن مجزِّز

بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من الحبشة قد اجتمعوا بالقرب من سواحل جدة، فبعث ﷺ إليهم علقمة بن مجزز المدلجي ﵁ وذلك في ربيع الأول من السنة التاسعة للهجرة، في ثلاثمائة رجل.

فلما سمع أولئك بمسير المسلمين إليهم،وخاضوا إليهم البحر، هربوا، فلم يلق علقمة وأصحابه رضي الله عنهم كيداً.

ثم رجعوا إلى المدينة، واستأذنت طائفة من أصحابه بالتعجل إلى أهليهم، فأذن لهم علقمة، وأمَّر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي ﵁ وكانت فيه دعابة.

فنزلوا ببعض الطريق، وأوقدوا ناراً يصطلون عليها، ويصنعون طعامهم، فقال لهم عبد الله بن حذافة: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟

قالوا: بلى. قال: أفما أنا أمرتكم بشيء إلا فعلتموه؟ قالوا: بلى.

قال: فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا تواثبتم في هذه النار.

عَنْ عَلِيٍّ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ» أخرجه البخاري[1].

ونزل في هذه الحادثة قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء/ ٥٩].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٥٧).

٤- سرية علي بن أبي طالب إلى الفُلس

في شهر ربيع الآخر، سنة تسع للهجرة، بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه لهدم الفُلس، وهو صنم لقبيلة طيء، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً، على مائة بعير، وخمسين فرساً، فشنوا الغارة على قبيلة طيء مع الفجر، فهدموا الفُلس، وخربوه، وملؤا أيديهم من السبي والنعم.

وكان في السبي سفَّانة، أخت عدي بن حاتم الطائي، وهرب عدي إلى الشام، فلما قدم علي وأصحابه رضي الله عنهم المدينة، مَنَّ رسول الله ﷺ على أخت عدي بن حاتم فأطلقها، فكان ذلك سبباً في إسلام أخيها عدي بن حاتم رضي الله عنه.

- **قصة إسلام عدي بن حاتم** رضي الله عنه :

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لمَّا بَلَغَنِي خُرُوجُ رَسُولِ الله ﷺ، فَكَرِهْتُ خُرُوجَهُ كَرَاهَةً شَدِيدَةً، خَرَجْتُ حَتَّى وَقَعْتُ نَاحِيَةَ الرُّومِ، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى قَيْصَرَ، قَالَ: فَكَرِهْتُ مَكَانِي ذَلِكَ أَشَدَّ مِنْ كَرَاهِيَتِي لِخُرُوجِهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالله، لَوْلَا أَتَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا لَمْ يَضُرَّنِي، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا عَلِمْتُ، قَالَ: فَقَدِمْتُ فَأَتَيْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْتُ قَالَ النَّاسُ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لِي: «يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ » ثَلَاثًا، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي عَلَى دِينٍ، قَالَ: «أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ» فَقُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَلَسْتَ مِنَ الرَّكُوسِيَّةِ، وَأَنْتَ تَأْكُلُ مِرْبَاعَ قَوْمِكَ؟ » قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ»، قَالَ: فَلَمْ يَعْدُ أَنْ قَالَهَا، فَتَوَاضَعْتُ لَهَا، فَقَالَ: «أَمَا إِنِّي أَعْلَمُ مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنَ الإِسْلَامِ، تَقُولُ: إِنَّمَا اتَّبَعَهُ ضَعَفَةُ النَّاسِ، وَمَنْ لَا قُوَّةَ لَهُ، وَقَدْ رَمَتْهُمُ العَرَبُ. أَتَعْرِفُ الحِيرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا. قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارِ أَحَدٍ، وَلَيَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ» قَالَ: قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ، وَلَيُبْذَلَنَّ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ » قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنَ الحِيرَةِ، فَتَطُوفُ بِالبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارٍ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ، لِأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ قَالَهَا. أخرجه أحمد[1] .

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (١٨٢٦٠).

وعن عدي بن حاتم ﷺ قال: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ :«فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهَ» قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلاَدَ، «وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى»، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: « كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ» قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ إِلَّا اللهَ ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ ﷺ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ. أخرجه البخاري[1].

ثم إن عدي بن حاتم ﷺ سأل رسول الله ﷺ عن أبيه حاتم الطائي المعروف بالكرم، فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبِي كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «إِنَّ أَبَاكَ أَرَادَ أَمْرًا فَأَدْرَكَهُ» يَعْنِي الذِّكْرَ. أخرجه أحمد[2].

ولما أسلم عدي بن حاتم ﷺ حسن إسلامه، وعطاؤه.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: أَتَيْنَا عُمَرَ فِي وَفْدٍ، فَجَعَلَ يَدْعُو رَجُلًا رَجُلًا وَيُسَمِّيهِمْ، فَقُلْتُ: أَمَا تَعْرِفُنِي يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: بَلَى أَسْلَمْتَ إِذْ كَفَرُوا، وَأَقْبَلْتَ إِذْ أَدْبَرُوا، وَوَفَيْتَ إِذْ غَدَرُوا، وَعَرَفْتَ إِذْ أَنْكَرُوا. فَقَالَ عَدِيٌّ: فَلاَ أُبَالِي إِذًا. أخرجه البخاري[3].

و عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، فَقَالَ لِي: إِنَّ أَوَّلَ صَدَقَةٍ بَيَّضَتْ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَوُجُوهَ أَصْحَابِهِ صَدَقَةُ طَيِّءٍ، جِئْتَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.أخرجه مسلم[4].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٩٥).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٨٢٦٢).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٣٩٤).
(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٥٢٣).

٣- وفود السنة التاسعة

١ - الوفود القادمة للإسلام قبل غزوة تبوك

السنة التاسعة للهجرة تسمى سنة الوفود، ولكثرة الوفود والبعوث أقام الرسول ﷺ طيلة السنة التاسعة بالمدينة، يستقبل الوفود التي تريد الإسلام، ويبعث العمال على الصدقات، ويرسل الدعاة إلى الله في كل جهة، ويرسل السرايا عند الحاجة، ولم يخرج ﷺ من المدينة في تلك السنة إلا لغزوة تبوك فقط.

وقد بلغ مجموع وفود القبائل التي جاءت إلى المدينة تريد الإسلام ما يزيد على ستين وفداً، يتلو بعضها بعضاً، وفد يدخل المدينة، وآخر يخرج منها.

ذلك أن فَتْح مكة، فَتَح الله به قلوب الناس للإسلام، وأظهر الله دينه على الدين كله، وتغير موقف العرب فيه، فسارعوا إلى الدخول في الإسلام، ودخلوا في دين الله أفواجاً كما قال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر/ ١-٣].

وعن عمرو بن سلمة الجرمي رضي الله عنه قال: كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ فَنَسْأَلُهُمْ: مَا لِلنَّاسِ، مَا لِلنَّاسِ؟ مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ الله أَرْسَلَهُ، أَوْحَى إِلَيْهِ، أَوْ: أَوْحَى الله بِكَذَا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الكَلامَ، وَكَأَنَّمَا يُقَرُّ فِي صَدْرِي، وَكَانَتِ العَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلامِهِمُ الفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الفَتْحِ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلامِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: جِئْتُكُمْ وَالله مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا، فَقَالَ: «صَلُّوا صَلاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا». فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآنًا مِنِّي، لمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبَانِ، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِين. أخرجه البخاري[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣٠٢).

فالحمد لله رب العالمين وحده، ولا إله إلا الله وحده وصدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وأظهر دينه على الدين كله وحده، ولو كره المشركون: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف/ ٨-٩].

وسنذكر إن شا ءالله تعالى أهم هذه الوفود التي جاءت إلى المدينة في السنة التاسعة للهجرة، لتعلن إسلامها، وتبشر رسول الله ﷺ بإسلام قومها، وتأخذ عنه شرائع الإسلام، وتطلب منه الأمان لقومها.

١ – قدوم وفد باهلة

قدم على الرسول ﷺ بعد الفتح مطرف بن الكاهن الباهلي، وافداً لقومه بإسلامهم.

وكان ﷺ قد بعث إلى باهلة أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي يدعوهم إلى الله تعالى، ويعرض عليهم شرائع الإسلام، فأبوا عليه، ثم إنهم بعد الفتح أسلموا عن آخرهم.

فلما قدم مطرف رضي الله عنه إلى المدينة، أخذ لقومه أماناً من رسول الله ﷺ، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً فيه فرائض الصدقات.

ثم قدم نهشل بن مالك الوائلي من باهلة وافداً لقومه، فأسلم، فكتب له رسول الله ﷺ ولمن أسلم من قومه كتاباً فيه شرائع الإسلام، وأعطاهم الأمان.

٢ – قدوم وفد بني تميم

لما جاءت سرية عيينة بن حصن بسبايا بني تميم إلى رسول الله ﷺ، ركب وفد عظيم من بني تميم، عددهم تسعون أو ثمانون رجلا، فقدموا على رسول الله ﷺ، وفيهم عدة من رؤسائهم، منهم عُطارد بن حاجب، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس، وقيس بن عاصم، وعمرو بن الأهتم، وغيرهم من سادة تميم.

وكان الأقرع بن حابس قد شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنيناً والطائف.

فلما قدم وفد بني تميم إلى المدينة رآهم سباياهم، فأخذ النساء والأطفال يبكون، فعجل الوفد، ودخلوا المسجد النبوي، وقد أذن بلال رضي الله عنه لصلاة الظهر، والناس

ينتظرون خروج رسول الله ﷺ للصلاة، فاستبطأ الوفد خروج رسول الله ﷺ، فجاؤا إلى بابه، وأخذوا ينادون رسول الله ﷺ من وراء الحجرات أن اخرج إلينا يا محمد، فآذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم، فخرج إليهم، فتعلقوا به يكلمونه في سبيهم، فوقف معهم، ثم مضى رسول الله ﷺ فصلى الظهر، ثم جلس في صحن المسجد.

ثم أذن ﷺ لخطيب تميم عُطارد بن حاجب فخطب، ثم أمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس، خطيب رسول الله ﷺ أن يقوم فيجيب الرجل في خطبته، فخطب وأحسن، ثم أذن ﷺ لشاعر تميم الزبرقان بن بدر أن يقول، فقال، وافتخر بقومه، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يجيب شاعرهم، فقال وأحسن.

ثم قال الأقرع بن حابس: وأبي، إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، وشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا.

فلما فرغ القوم أسلموا، وجوزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم، ورد عليهم سباياهم، وقد أثنى الرسول ﷺ على بني تميم بخصال حسنة فيهم.

عن أبي هريرة ﷺ قال: مَا زِلْتُ أُحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مُنْذُ ثَلاَثٍ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ يَقُولُ فِيهِمْ: «هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَى الدَّجَّالِ»، قَالَ: وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا»، وَكَانَتْ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَ : «أَعْتِقِيهَا ، فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ » متفق عليه(١).

ولما أسلم وفد بني تميم سألوا رسول الله ﷺ أن يؤمر عليهم أحدهم، فاستشار ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِّرِ القَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ، قَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلاَفِي، قَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ، فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا" حَتَّى انْقَضَتْ.أخرجه البخاري(٢).

فأنزل الله في شأن وفد بني تميم، وشأن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أول سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥٤٣)، ومسلم برقم (٢٥٢٥).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٣٦٧).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾﴾ [الحجرات/ ١-٥].

قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَكَانَ عُمَرُ بَعْدُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ، إِذَا حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ. أخرجه البخاري(١).

٣- قدوم وفد بني أسد بن خزيمة

في أول سنة تسع من الهجرة، قدم على رسول الله ﷺ عشرة رهط من بني أسد بن خزيمة، فيهم حضرمي بن عامر، وضرار بن الأزور، ووابصة بن معبد، ونقادة بن عبد الله، وطليحة بن خويلد الأسدي.

فدخلوا المسجد، ورسول الله جالس في المسجد مع أصحابه رضي الله عنهم، فسلموا عليه، وتكلموا.

فقال حضرمي بن عامر: يا رسول الله، إنا شهدنا أن الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث لنا بعثاً، ولم نقاتلك كما قاتلتك العرب، ونحن على من وراءنا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/ ١٧].

وعن ابن عباس قال: قَدِمَ وَفْدُ بَنِي أَسَدٍ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فتكَلَّمُوا، فَقَالُوا: قَاتَلَتْكَ مُضَرُ، وَلَسْنَا بَأَقَلِّهِمْ عَدَدًا، وَلَا أَكَلَّهُمْ شَوْكَةً، وَصَلْنَا رَحِمَكَ، فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «تَكَلَّمُوا هَكَذَا»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «إِنَّ فِقْهَ هَؤُلَاءِ قَلِيلٌ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْطِقُ عَلَى السِنَتِهِمْ»، قَالَ عَطَاءٌ فِي حَدِيثِهِ: فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ " يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ " أخرجه النسائي في السنن الكبرى(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣٠٢).

(٢) حسن/ أخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٥٥).

وبنو أسد كانوا فيمن ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، وتبعوا طليحة بن خويلد الأسدي، لما ادعى النبوة.
ثم قاتلهم خالد بن الوليد رضي الله عنه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكسرهم، ورجع بقيتهم إلى الإسلام، وتاب طليحة، وحسن إسلامه رضي الله عنه.

٤- قدوم وفد طيء

قدم وفد طيء على رسول الله ﷺ في السنة التاسعة للهجرة، وكانوا خمسة عشر رجلاً، فيهم قبيصة بن الأسود، وقعين بن خُليف، وزيد الخيل بن مهلهل من بني نبهان، وهو رئيسهم وسيدهم، وكان شاعراً وخطيباً وبليغاً وجواداً.
فدخلوا المدينة ورسول الله ﷺ في المسجد، فأناخوا رواحلهم في فناء المسجد، ثم دخلوا ودنوا من رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا، وحسن إسلامهم، ثم قال رسول الله ﷺ لزيد الخيل: (من أنت؟)، قال: أنا زيد الخيل بن مهلهل.
فقال له رسول الله ﷺ: «ما ذُكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه».
ثم سماه رسول الله ﷺ زيد الخير، ثم أجاز كل رجل من الوفد بخمس أواق فضة، ثم انصرفوا إلى بلادهم طيء.

٥- قدوم وفد بجيلة وأحمس

قدم جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه على رسول الله ﷺ في المدينة، ومعه من قومه مائة وخمسون رجلاً من اليمن، فلما دنا من المدينة عرض له رسول الله ﷺ في خطبته.
قَالَ جَرِيرٌ: لمَّا دَنَوْتُ مِنَ المَدِينَةِ أَنَخْتُ رَاحِلَتِي، ثُمَّ حَلَلْتُ عَيْبَتِي، ثُمَّ لَبِسْتُ حُلَّتِي، ثُمَّ دَخَلْتُ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ يخْطُبُ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالحَدَقِ، فَقُلْتُ لجَلِيسِي: يَا عَبْدَ الله، ذَكَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، ذَكَرَكَ آنِفًا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ وَقَالَ: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا البَابِ، أَوْ مِنْ هَذَا الفَجِّ، مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، إِلَّا أَنَّ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةَ مَلَكٍ» قَالَ جَرِيرٌ: فَحَمِدْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا أَبْلَانِي. أخرجه أحمد[1].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٩١٨٠).

ثم جاء جرير رضي الله عنه إلى النبي ﷺ، فسلم عليه، فبسط ﷺ له رداءه، وقال: «على هذا يا جرير فاقعد».

ثم التفت ﷺ إلى أصحابه، فقال: «إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ» أخرجه ابن ماجه[1].

ثم أسلم جرير وقومه، وبايعوا رسول الله ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة، والنصح لكل مسلم.

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. متفق عليه[2].

و عَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي. متفق عليه[3].

٦- قدوم وفد الأحمسيين

قدم قيس بن عزوة الأحمسي في مائتين وخمسين رجلاً من أحمس، والأحمس المتشدد في دينه.

فقال لهم رسول الله ﷺ: (من أنتم؟).

فقالوا: نحن أحمس الله، وكان يقال لهم ذلك في الجاهلية.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «وأنتم اليوم لله».

فقال رسول الله ﷺ لبلال: «أعط ركب بجيلة، وابدأ بالأحمسيين»، ففعل.

عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: قَدِمَ وَفْدُ بَجِيلَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اكْسُوا البَجَلِيِّينَ، وَابْدَؤا بِالأَحْمَسِيِّينَ » قَالَ: فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ قَالَ: حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَقُولُ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ: فَدَعَا لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَمْسَ مَرَّاتٍ: «اللهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ، أَوِ اللهُمَّ بَارِكْ فِيهِمْ» أخرجه أحمد[4].

- **هدم ذي الخلصة :**

ذو الخلصة بيت فيه صنم باليمن لدوس، وخثعم، وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب، وكان يسمى الكعبة اليمانية، والكعبة الشامية.

---

(١) **حسن/** أخرجه ابن ماجه برقم (٣٧١٢).

(٢) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٥٧)، ومسلم برقم (٥٦).

(٣) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٣٠٣٥)، ومسلم برقم (٢٤٧٥).

(٤) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٨٨٣٣).

عن جرير ﷺ قال: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَةِ» وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمَ يُسَمَّى كَعْبَةَ اليَمَانِيَةِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، قَالَ: وَكُنْتُ لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يُخْبِرُهُ، فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْوَفُ أَوْ أَجْرَبُ، قَالَ: فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ، وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ. متفق عليه[1].

٧- قدوم وفد خثعم

بعد أن هدم جرير بن عبد الله البجلي ﷺ صنم ذي الخَلَصة، وقتل من قتل من خثعم، قدم وفد منهم على رسول الله ﷺ في المدينة، فيهم: أنس بن مُدرك، وحصين بن مشمِّت، فقالوا: آمنا بالله ورسوله، وما جاء من عند الله، وبايعوه بيعة الإسلام، ثم قالوا لرسول الله ﷺ: اكتب لنا كتاباً نتبع ما فيه، فكتب لهم كتاباً، شهد عليه جرير ﷺ، ومن حضر من الصحابة رضي الله عنهم.

٨- قدوم وفد عبد القيس

عبد القيس قبيلة من قبائل العرب الكبيرة، ينتمون إلى ربيعة، وكانوا يسكنون البحرين، وكانت لهذه القبيلة وفادتان :

الوفادة الأولى : كانت سنة أربع أو خمس من الهجرة، وكان عدد الوفد ثلاثة عشر رجلاً، وكان فيهم المنذر بن عائذ، وهو أشج عبد القيس.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ جُمُعَةٍ جُمِّعَتْ بَعْدَ جُمُعَةٍ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ، فِي مَسْجِدِ عَبْدِ القَيْسِ بِجُوَاثَى مِنَ البَحْرَيْنِ. أخرجه البخاري[2].

عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لما أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟ - أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ -» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى».

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٠٢٠)، ومسلم برقم (٢٤٧٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٨٩٢).

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِالله وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِالله وَحْدَهُ» قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ» وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ: «المُقَيَّرِ» وَقَالَ: «احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ» أخرجه البخاري [1].

أما الوفادة الثانية : فكانت في عام الوفود، في السنة التاسعة من الهجرة، حيث قدم على رسول الله ﷺ أربعون أو عشرون رجلاً من بني عبد القيس، منهم الجارود بن عمرو العبدي، والمنذر بن عائذ، أشج عبد القيس، ويسمى الأشج العصري.

عَنِ الأَشَجِّ العَصَرِيِّ ﵁ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فِي رُفْقَةٍ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ لِيَزُورَهُ فَأَقْبَلُوا، فَلَمَّا قَدِمُوا رَفَعَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَنَاخُوا رِكَابَهُمْ، فَابْتَدَرَ القَوْمُ، وَلَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا ثِيَابَ سَفَرِهِمْ، وَأَقَامَ العَصَرِيُّ فَعَقَلَ رَكَائِبَ أَصْحَابِهِ وَبَعِيرَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَ ثِيَابَهُ مِنْ عَيْبَتِهِ وَذَلِكَ بِعَيْنِ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله وَرَسُولُهُ»، قَالَ: مَا هُمَا؟ قَالَ: «الأَنَاةُ وَالحِلْمُ»، قَالَ: شَيْءٌ جُبِلْتُ عَلَيْهِ أَوْ شَيْءٌ أَتَخَلَّقُهُ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ جُبِلْتَ عَلَيْهِ»، قَالَ: الحَمْدُ لله. أخرجه ابن حبان [2].

وأسلم الجارود العبدي، ثم إن رسول الله ﷺ استقبل القبلة، ودعا لقبيلة عبد القيس، فقال ﷺ: «اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير كارهين، غير خزايا ولا موتورين، إذ بعض قومنا لا يسلموا حتى يخزوا ويوتروا» أخرجه أحمد [3].

وقد انشغل رسول الله ﷺ بوفد عبد القيس، حتى فاتته راتبة الظهر، فما صلاها إلا بعد العصر.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْهَا، ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حِينَ صَلَّى العَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ وَعِنْدِي نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي حَرَامٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَرْسَلْتُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٣).
(٢) **صحيح**/ أخرجه ابن حبان برقم (٧٢٠٣) وأصله في مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما برقم (١٧) .
(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد (١٧٨٢٩).

إِلَيْهِ الجَارِيَةَ، فَقُلْتُ: قُومِي بِجَنْبِهِ فَقُولِي لَهُ: تَقُولُ لَكَ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ، وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا، فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ، فَاسْتَأْخِرِي عَنْهُ، فَفَعَلَتِ الجَارِيَةُ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ، فَاسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ، سَالتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ العَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ، فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَهُمَا هَاتَانِ» متفق عليه[1].

وقد أقام وفد عبد القيس عند رسول الله ﷺ عشرة أيام، فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم، سألوا رسول الله ﷺ الحملان، فقال رسول الله ﷺ: «وَاللهِ مَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ» ، فَقَالَ الجارود : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بِلادِنَا ضَوَالَّ مِنْ ضَوَالِّ النَّاسِ ، فَنَتَبَلَّغُ عَلَيْهَا ، قَالَ : «لا ، تِلْكَ حَرَقُ النَّارِ» [2].

ثم رجع وفد عبد القيس إلى بلادهم، وقد أمر لهم رسول الله ﷺ بالجوائز.

٩- قدوم وفد بني سعد بن بكر

بعث بنو سعد بن بكر، وهم بطن من هوازن، ضمام بن ثعلبة، وافداً إلى رسول الله ﷺ، وذلك في السنة التاسعة للهجرة.

وكان الرسول ﷺ قد أرسل إليهم من يدعوهم إلى الإسلام، غير أن القوم لم يطمئنوا، فأرسلوا ضمام بن ثعلبة، فجاء ضمام وافداً لهم إلى رسول الله ﷺ.

عن أنس بن مالك قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي المَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ فِي المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ المُتَّكِئُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ أَجَبْتُكَ». فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي المَسْأَلَةِ، فَلاَ تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ» فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، الله أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أَنْشُدُكَ باللهِ، الله أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٣٣)، ومسلم برقم (٨٣٤).
(٢) انظر الطبقات لابن سعد (١/ ١٥٢).

نَعَمْ». فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ. أخرجه البخاري[1].

ثم قال ضمام: سأؤدي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص. فقال رسول الله ﷺ: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ» أخرجه مسلم[2].

فَأَتَى إِلَى بَعِيرِهِ، فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: بِئْسَتِ اللاتُ وَالعُزَّى، قَالُوا: مَهْ يَا ضِمَامُ، اتَّقِ البَرَصَ وَالجُذَامَ، اتَّقِ الجُنُونَ، قَالَ: وَيْلَكُمْ، إِنَّهُمَا وَاللهِ لَا يَضُرَّانِ وَلا يَنْفَعَانِ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ اليَوْمِ وَفِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلا امْرَأَةٌ إِلا مُسْلِمًا قَالَ: يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا سَمِعْنَا بِوَافِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. أخرجه أحمد[3].

وفاة النجاشي

في رجب من السنة التاسعة للهجرة، توفي ملك الحبشة أصحمة النجاشي رحمه الله، فنعاه رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وخرج بهم، فصلى عليه صلاة الغائب.

ولم يثبت أنه ﷺ صلى على غائب سواه، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى، ولم يكن عنده من المسلمين من يصلي عليه، لأن الصحابة الذين عنده خرجوا مهاجرين إلى المدينة عام خيبر.

عن أبي هريرة ﭬ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَعَى لَهُمُ النَّجَاشِيَّ، صَاحِبَ الحَبَشَةِ، فِي اليَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ» متفق عليه[4].

وعَنْ جَابِرٍ ﭬ أن النبي ﷺ قال حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ: «مَاتَ اليَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ» متفق عليه[5].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ صَلَّى عَلَى أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيِّ فَصَفَّنَا وَرَاءَهُ، فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الثَّانِي أَوِ الثَّالِثِ. متفق عليه[6].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٢).

(٣) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٨٠).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٠)، ومسلم برقم (٩٥١).

(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٧٧)، ومسلم برقم (٩٥٢).

(٦) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٧٨)، ومسلم برقم (٩٥٢).

هجر الرسول ﷺ أزواجه

في السنة التاسعة للهجرة، وقبل غزوة تبوك، هجر رسول الله ﷺ أزواجه، وآلى منهن شهراً، واعتزل عنهن في مشربة له، والمشربة الغرفة.

• **سبب هجر الرسول ﷺ أزواجه :**

تكررت من أزواج النبي ﷺ أمور كان مجموعها سبباً لهجر النبي ﷺ أزواجه.

وهذا هو اللائق بمكارم أخلاقه ﷺ، وسعة صدره، وكمال صبره، وكثرة صفحه، وأن ذلك لم يقع منه حتى تكرر موجبه منهن رضي الله عنهن.

وهذه هي الأسباب :

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَواصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ: أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «لاَ، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ» فَنَزَلَتْ: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ" - إِلَى - "إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ" لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: "وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ" لِقَوْلِهِ: «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا» أخرجه البخاري[1].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ يَطَؤُهَا ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ حَتَّى حَرَّمَهَا على نفسه ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ أخرجه الحاكم[2].

• **أحداث قصة هجر الرسول ﷺ أزواجه :**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، عَنِ المَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، اللَّتَيْنِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: "إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا" حَتَّى حَجَّ وَحَجَجْتُ مَعَهُ، وَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِإِدَاوَةٍ فَتَبَرَّزَ، ثُمَّ جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَا فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مَنِ المَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، اللَّتَانِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: "إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا" ؟ قَالَ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، هُمَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الحَدِيثَ يَسُوقُهُ قَالَ: كُنْتُ أَنَا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢٦٧).

(٢)**صحيح**/ أخرجه الحاكم برقم (٣٨٧٧).

وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهُمْ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِمَا حَدَثَ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ أَوْ غَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الأَنْصَارِ إِذَا قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الأَنْصَارِ، فَصَخِبْتُ عَلَى امْرَأَتِي فَرَاجَعَتْنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، قَالَتْ: وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَأَفْزَعَنِي ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهَا: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكِ مِنْهُنَّ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَنَزَلْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا: أَيْ حَفْصَةُ، أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ النَّبِيَّ ﷺ اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: قَدْ خِبْتِ وَخَسِرْتِ، أَفَتَأْمَنِينَ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ فَتَهْلِكِي؟ لاَ تَسْتَكْثِرِي النَّبِيَّ ﷺ وَلاَ تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ وَلاَ تَهْجُرِيهِ، وَسَلِينِي مَا بَدَا لَكِ، وَلاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - يُرِيدُ عَائِشَةَ - .

قَالَ عُمَرُ: وَكُنَّا قَدْ تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ الخَيْلَ لِغَزْوِنَا، فَنَزَلَ صَاحِبِي الأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْنَا عِشَاءً فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أَثَمَّ هُوَ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَدْ حَدَثَ اليَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هُوَ، أَجَاءَ غَسَّانُ؟ قَالَ: لاَ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَهْوَلُ، طَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ نِسَاءَهُ، - فَقُلْتُ: خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ، قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ، فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَصَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَشْرُبَةً لَهُ فَاعْتَزَلَ فِيهَا، وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكِ أَلَمْ أَكُنْ حَذَّرْتُكِ هَذَا، أَطَلَّقَكُنَّ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَتْ: لاَ أَدْرِي، هَا هُوَ ذَا مُعْتَزِلٌ فِي المَشْرُبَةِ، فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ إِلَى المِنْبَرِ، فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ المَشْرُبَةَ الَّتِي فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ لِغُلاَمٍ لَهُ أَسْوَدَ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ الغُلاَمُ فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: كَلَّمْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَانْصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَجِئْتُ فَقُلْتُ لِلْغُلاَمِ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَرَجَعْتُ فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الغُلاَمَ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا، قَالَ: إِذَا الغُلاَمُ يَدْعُونِي، فَقَالَ: قَدْ أَذِنَ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا

هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَّكِئًا عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: يَا رَسُولَ الله، أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ إِلَيَّ بَصَرَهُ فَقَالَ: «لاَ» فَقُلْتُ: الله أَكْبَرُ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ: يَا رَسُولَ الله، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ إِذَا قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا: لاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ أَوْضَأَ مِنْكِ، وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - يُرِيدُ عَائِشَةَ - فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ تَبَسُّمَةً أُخْرَى.

فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ، فَوَالله مَا رَأَيْتُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا يَرُدُّ البَصَرَ، غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاَثَةٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ادْعُ اللهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ قَدْ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا، وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ الله، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: «أَوَفِي هَذَا أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنَّ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله اسْتَغْفِرْ لِي، فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ نِسَاءَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ قَالَ: «مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا» مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ الله، فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَبَدَأَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّكَ كُنْتَ قَدْ أَقْسَمْتَ أَنْ لاَ تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا، وَإِنَّمَا أَصْبَحْتَ مِنْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعُدُّهَا عَدًّا، فَقَالَ: «الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً» فَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ أَنْزَلَ الله تَعَالَى آيَةَ التَّخَيُّرِ، فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ فَاخْتَرْتُهُ، ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ كُلَّهُنَّ فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ. أخرجه البخاري[1].

(١) أخرجه البخاري برقم (٥١٩١).

٤- غزوة تبوك

كانت غزوة تبوك في شهر رجب، من السنة التاسعة للهجرة، وتسمى غزوة العسرة، لما فيها من العسر الشديد.

فقد كانت في وقت حار جداً، وكانت في ضيق شديد في النفقة والظهر والطعام والماء، وطول الطريق، وبُعد الدار، كما قال سبحانه: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة/ ١١٧].

وعن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال: «..إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ» أخرجه مسلم[(١)].

وغزوة تبوك آخر غزوات رسول الله ﷺ.

عن كعب بن مالك ﷺ قال: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ إِلَّا بَدْرًا، وَلَمْ يُعَاتِبْ النَّبِيُّ ﷺ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ، إِنَّمَا خَرَجَ يُرِيدُ العِيرَ فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ مُغَوِّثِينَ لِعِيرِهِمْ، فَالتَقَوْا عَنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَعَمْرِي إِنَّ أَشْرَفَ مَشَاهِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ لَبَدْرٌ، وَمَا أُحِبُّ أَنِّي كُنْتُ شَهِدْتُهَا مَكَانَ بَيْعَتِي لَيْلَةَ العَقَبَةِ حَيْثُ تَوَافَقْنَا عَلَى الإِسْلَامِ، وَلَمْ أَتَخَلَّفْ بَعْدُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، وَهِيَ آخِرُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا. متفق عليه[(٢)].

- **سبب غزوة تبوك :**

بلغ رسول الله ﷺ أن هرقل ملك الروم جمع جموعاً كثيرة من الروم، والغساسنة، وقبائل العرب الموالية له، وأن الغساسنة تنعل الخيل لغزو المسلمين.

ولتأديب الروم، وأخذ الثأر منهم، لما فعلوه من قتل جعفر بن أبي طالب وأصحابه في غزوة مؤتة.

ولأنه ﷺ بعد أن فرغ من أمر جزيرة العرب، والروم أقرب الناس إليه، وهم أولى الناس بالدعوة إلى الحق، لقربهم إلى الإسلام وأهله، فبدأ بدعوتهم امتثالاً لأمر ربه

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٠٧).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤١٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٩).

بقوله: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

فلهذه الأسباب عزم رسول الله ﷺ على غزو الروم، وإبلاغهم الإسلام الذي أمره بإبلاغه للناس كافة، وقتال من قاتله منهم كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٣] .

- **استنفار المسلمين لهذه الغزوة :**

أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، فأسرع المسلمون يتجهزون للخروج، وأخذت القبائل تقدم المدينة من كل جهة، منها غفار، وأسلم، وأشجع، وجهينة، وبنو كعب من خزاعة، وغيرهم.

وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج إلى غزوة إلا ورَّى بغيرها إلا ما كان من غزوة خيبر، وغزوة تبوك.

أما غزوة خيبر فلأن الله ﷻ وعد رسوله ﷺ بفتحها كما سبق.

وأما غزوة تبوك فلبعد الشقة، وشدة الزمان، إذ كان ذلك في شدة حر، حين طابت الظلال، وأينعت الثمار، وحُبب إلى الناس المقام، ولكثرة العدو، وبعد المسافة، وقلة الظهر والمال.

فكان لهذه الأسباب أثرها في تثاقل بعض الناس عن النفرة والخروج مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة.

فرغَّب الرسول ﷺ المسلمين في النفرة معه، وبين لهم ثواب الجهاد في سبيل الله، ونزل القرآن يعاتب المتخلفين، ويهدد بسوء عاقبة القاعدين، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٨-٣٩].

ثم ذكَّرهم الله بما كان من نصر الله تعالى لرسوله ﷺ قبل أن يكون معه منهم أحد فقال سبحانه: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ

سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة/ ٤٠].

ثم بيَّن الله للمسلمين أن سبيل العزة والفلاح والخير هو الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس في كل حال، وأمرهم بذلك بقوله: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة/ ٤١].

فتسابق الناس إلى الخروج في هذه الغزوة مع رسول الله ﷺ، حتى لا يحصيهم كتاب حافظ من كثرتهم، حتى بلغ عددهم ما يزيد على ثلاثين ألف رجل.

- **حض الرسول ﷺ على الإنفاق على جيش العسرة :**

حث الرسول ﷺ الصحابة رضي الله عنهم على الإنفاق على جيش العسرة، لبعدها، وكثرة الخارجين إليها، وقلة الزاد والمال، والظهر، وشدة الحال.

ووعد المنفقين بالأجر العظيم، وبين ﷺ أن من جهز جيش العسرة فله الجنة.

فتسابق الصحابة رضي الله عنهم إلى التنافس في الإنفاق في سبيل الله، كل أحد حسب مقدرته، فمنهم من جاء بكل ماله، ومنهم من جاء بنصف ماله، ومنهم من جاء بثلث ماله، ومنهم من ساهم بالكثير أو القليل، حسب قدرته.

وكان أول من جاء بصدقته أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

عن عُمَرَ بْن الخَطَّابِ رضي الله عنه قال : أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ الله وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا. أخرجه أبو داود والترمذي [(١)].

وجاء عثمان بن عفان بنفقات عظيمة، وكان أكثر المنفقين في هذه الغزوة، ولم ينفق أحد أعظم من نفقته.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِألفِ دِينَارٍ فِي ثَوْبِهِ، حِينَ جَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشَ العُسْرَةِ، قَالَ: فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ، يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: «مَا ضَرَّ ابْنُ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ» يرَدِّدُهَا مِرَارًا. أخرجه أحمد [(٢)].

---

(١) حسن/ أخرجه أبو داود برقم (١٦٧٨)، والترمذي برقم (٤٠٠٦).
(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٠٦٣٠).

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عُثْمَانَ ﵁ حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَنْشُدُكُمُ الله، وَلاَ أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ»؟ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ»؟ فَجَهَّزْتُهُمْ، قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ. أخرجه البخاري معلقاً[1].

وجهز عثمان ﵁ جيش العسرة بعدد كبير من الإبل كما أقر له الصحابة بتجهيز جيش العسرة، وأنفق عبد الرحمن بن عوف ﵁ لتجهيز جيش العسرة ثمانية آلاف درهم.

وتصدق كثير من الصحابة في تجهيز هذا الجيش العظيم، الغني منهم والفقير، والرجال والنساء.

عن أبي مسعود ﵁ قال: لمَّا أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ، فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرَ مِنْهُ، فَقَالَ المُنَافِقُونَ: إِنَّ الله لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الآخَرُ إِلَّا رِئَاءً، فَنَزَلَتْ: "الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ، وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ". أخرجه البخاري[2].

ولما أنفق عبد الرحمن بن عوف ﵁ قال المنافقون: ما فعل هذا إلا رياء، ولما أنفق أبو عقيل قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فأنزل الله في هؤلاء المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة/ ٧٩].

- **أمر البكَّائين :**

جاء جماعة من فقراء الصحابة إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يحملهم، وكانوا سبعة، منهم: سالم بن عمير، وعلبة بن زيد، وعبد الله بن المغفل، والعرباض بن سارية، وكانوا كلهم معسرين، وذوي حاجة، ولا يحبون التخلف عن هذه الغزوة.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «لا أجد ما أحملكم عليه»، فدمعت أعينهم وحزنوا، لكونهم لم يجدوا ما ينفقون، وقد عذرهم الله سبحانه بقوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ

(١) أخرجه البخاري معلقاً برقم (٢٧٧٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٦٦٨).

﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ٩٢﴾ [التوبة/ ٩١-٩٢].

ثم أعطى أحد الصحابة اثنين منهم ناضحاً، وزودهما شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ، وأما علبة بن زيد رضي الله عنه فإنه قام فصلى من ليلته ما شاء الله، ثم بكى، وقال: اللهم إنك أمرت بالجهاد، ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسول الله ﷺ، ولم تجعل في يد رسول الله ﷺ ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في مال أو جسد أو عرض.

فلما أصبح مع الناس، قال رسول الله ﷺ: «أين المتصدق هذه الليلة؟»، فلم يقم أحد، ثم قال رسول الله ﷺ: (أين المتصدق؟ فليقم).

فقام إليه علبة فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «أبشر، فو الذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة».

- **شأن الأشعريين :**

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ أَسْأَلُهُ الحُمْلاَنَ لَهُمْ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ العُسْرَةِ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ الله، إِنَّ أَصْحَابِي أَرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ، فَقَالَ: «وَالله لاَ أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ»، وَوَافَقْتُهُ، وَهُوَ غَضْبَانُ وَلاَ أَشْعُرُ، وَرَجَعْتُ حَزِينًا مِنْ مَنْعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ مَخَافَةِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَخْبَرْتُهُمُ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوَيْعَةً، إِذْ سَمِعْتُ بِلاَلًا يُنَادِي: أَيْ عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ، فَأَجَبْتُهُ.

فَقَالَ: أَجِبْ رَسُولَ الله ﷺ يَدْعُوكَ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ قَالَ: «خُذْ هَذَيْنِ القَرِينَيْنِ، وَهَذَيْنِ القَرِينَيْنِ - لِسِتَّةِ أَبْعِرَةٍ ابْتَاعَهُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ -، فَانْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ، فَقُلْ: إِنَّ الله، أَوْ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلاَءِ فَارْكَبُوهُنَّ» متفق عليه[1].

- **تخلف الأعراب والمنافقين :**

جاء المعذرون من الأعراب إلى رسول الله ﷺ، ليأذن لهم في التخلف عن الخروج معه، وتعللوا بالجهد، وكثرة العيال، فأذن لهم، ولكنه لم يعذرهم، لكذبهم، وكانوا اثنين وثمانين رجلاً، فأنزل الله في شأنهم: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤١٥)، ومسلم برقم (١٦٤٩).

لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

[التوبة/ ٤٣-٤٥].

وقد كره الله ﷻ خروج المنافقين مع المؤمنين إلى تبوك فثبطهم؛ حماية للمؤمنين من شرهم وفتنتهم، وسوء طويتهم كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٤٦ -٤٨].

ولما أمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، ودعاهم إلى النفير، أخذ المنافقون في تثبيط الناس عن الخروج والإنفاق في غزوة تبوك.

وقال المنافقون: إن رسول الله ﷺ لا طاقة له بالروم، والسفر بعيد، فكشف الله لرسوله ﷺ عما في قلوبهم بقوله: ﴿ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٤٢].

وقال بعض المنافقين لبعضهم: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكاً في الحق، وإرجافاً برسول الله ﷺ، ليقعدعن الخروج ومن معه، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٨١-٨٢].

وقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو يتجهز لغزوة تبوك، للجد بن قيس، سيد بني سلمة: «يا جد، هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟».

فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني؟ فو الله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر.

فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال له: (قد أذنت لك)، فنزل قوله تعالى في الجد بن قيس: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة/ ٤٩].

وكان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت، ومحشي بن حمير، رجل من أشجع، ومعهم غيرهم، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً، والله لكأني بكم غدا مقرنين في الحبال، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين.

فقال مخشي: وددت أن يجلد كل واحد منا مائة جلدة، وأن نفلت من أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه.

وأثناء هذه الفترة قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: «أدرك القوم، فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا» فانطلق إليهم عمار رضي الله عنه، فقال لهم ذلك، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت: يا رسول الله إنا كنا نخوض ونلعب.

فأنزل الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة/ ٦٤-٦٦].

وقال كعب بن مالك: لمَّا نَزَلَ القُرْآنُ فِيهِ ذَكَرُ المُنَافِقِينَ وَمَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ الجُلاسُ: وَالله لَئِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَادِقًا لَنَحْنُ أَشَرُّ مِنَ الحَمِيرِ، قَالَ: فَسَمِعَهَا عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ، فَقَالَ: وَالله يَا جِلاسُ، إِنَّكَ لأُحِبُّ النَّاسَ إِلَيَّ، أَحْسَنُهُمْ عِنْدِي أَثرًا أَوْ أَعَزَّهُمْ عَلَيَّ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، وَلَقَدْ قُلْتَ مَقَالَةً لَئِنْ ذَكَرْتُهَا لَتَفْضَحَنَّكَ، وَلَئِنْ سَكَتُّ عَنْهَا لَتُهْلِكَنِّي، وَلأَحَدُهُمَا أَشَرُّ عَلَيَّ مِنَ الأُخْرَى، فَمَشَى إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَ الجُلاسُ، فَحَلَفَ بِالله مَا قَالَ عُمَيْرُ، وَلَقَدْ كَذَبَ عَلَيَّ، فَأَنْزَلَ الله: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة/ ٧٤][1].

---

(١) انظر سيرة ابن إسحاق (٢/ ١٣٣).

وخرج بعض المنافقين مع الرسول ﷺ إلى تبوك، لعلهم يتحينون الفرص للتخذيل والإرجاف والغدر، وأقسموا بالله أنهم مع المؤمنين لإخفاء مكرهم وكذبهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة/ ٥٦-٥٧].

- **بناء المنافقين مسجد الضرار:**

فكر المنافقون في مكيدة يكيدون بها الإسلام والمسلمين تحت شعار الدين، ووصلت بهم الجرأة على الله ورسوله أن يبنوا مسجداً قبيل غزوة تبوك، ليجتمعوا فيه، ويديروا حلقات تآمرهم على المسلمين.

وزعم المنافقون أنهم بنو المسجد للمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة، ومن عجز عن المسير إلى مسجد رسول الله ﷺ.

وكان الذي أمرهم ببنائه أبو عامر الفاسق، الذي وعدهم أن يعينهم بالمال والسلاح، وأن يأتيهم بقوة من الروم، لإخراج الرسول ﷺ من المدينة.

فلما بنى المنافقون مسجدهم، طلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي فيه قبل أن يخرج إلى تبوك، ليأخذ الصفة الشرعية، ويكون ظاهره لخدمة الإسلام، وباطنه لسحق الإسلام.

فامتنع الرسول ﷺ من الصلاة فيه، وقال: «إني على جناح سفر، وحال شغل، ولو قدمنا إن شاء الله لآتيناكم فصلينا لكم فيه».

وعندما رجع رسول الله ﷺ من تبوك فضح الله حقيقة نوايا المنافقين، وكشف لرسوله ﷺ عن مدى خبثهم ومكرهم، فأنزل الله على رسوله ﷺ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة/ ١٠٧-١٠٨].

فلما نزلت هذه الآيات أمر ﷺ بإحراق هذا المسجد.

ولا يزال مسجد الضرار يتكرر بصور شتى في كل مكان وزمان لتشويه الإسلام باسم الإسلام، من قِبل أعداء الإسلام: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف/ ٨].

- **تخلف عدد من المسلمين الصادقين :**

أبطأت النية بعدد من المسلمين عن الخروج مع رسول الله ﷺ، حتى تخلفوا عنه من غير عذر، ومن غير شك ولا ارتياب منهم، مثل كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وأبو ذر، وأبو لبابة، وأبو خيثمة، وكانوا نفر صدق لا يُتهمون في إسلامهم، ثم لحق أبو ذر وأبو خيثمة بالجيش بعد ما سار إلى تبوك.

- **خروج الرسول ﷺ إلى تبوك :**

لما تجهز رسول الله ﷺ، وجمع النفقات، وامتلأت المدينة بالقادمين للخروج معه، خرج ﷺ بهذا الجيش العظيم، وكان عدده يزيد على ثلاثين ألفاً من الرجال، وأعلم ﷺ الناس أنه يريد غزو الروم في تبوك.

واستعمل ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه ، واستخلف ابن أم مكتوم ليؤم الناس في الصلاة، وخلَّف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أهله، وأمره بالإقامة فيهم في المدينة.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: «أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي» متفق عليه[1].

فتخلف علي رضي الله عنه في المدينة، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه رسول الله ﷺ إلا استثقالاً له، وتخففاً منه.

فأخذ علي رضي الله عنه سلاحه، ثم أتى رسول الله ﷺ، وهو نازل بالجرف، موضع قريب شمال المدينة، أو في ثنية الوداع، فلما رآه رسول الله ﷺ، قال: «ما جاء بك يا علي؟» فقال: يا رسول الله: زعم الناس أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني؟ فقال رسول الله ﷺ: «كذبوا، ولكنني لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي».

قال: بلى يا رسول الله،قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه راوي الحديث: فأدبر علي رضي الله عنه مسرعاً، كأني أنظر إلى غبار قدميه يسطع.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤١٦)، ومسلم برقم (٢٤٠٤).

وكان ﷺ لما ضرب عسكره في ثنية الوداع ضرب عبد الله بن أبي بن سلول ومعه المنافقون عسكرهم على حدة أسفل منه، جهة جبل ذباب، فتخلف هو وأصحابه عن رسول الله ﷺ، وقال: يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال، والحر، والبلد البعيد، إلى ما لا طاقة له به، يحسب أن قتالهم معه اللعب، والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرنين بالحبال، إرجافاً برسول الله ﷺ وأصحابه، ثم عاد رأس النفاق والمنافقون معه إلى المدينة، وطهر الله جيش المؤمنين من المنافقين كما قال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [التوبة/ ٤٦ – ٤٧].

- **توزيع الألوية والرايات :**

قبل أن يرتحل رسول الله ﷺ وجيشه عن ثنية الوداع، عقد الألوية والرايات لمن اختار من أصحابه رضي الله عنهم .

فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر الصديق ﷺ، وفي هذا إشارة إلى أن الصديق ﷺ أحق الصحابة بالخلافة.

وأعطى ﷺ أسيد بن حضير راية الأوس، وأعطى الحباب بن المنذر راية الخزرج.

وكان دليل الرسول ﷺ إلى تبوك علقمة الخزاعي ﷺ، فسار به متوجهاً إلى تبوك.

وبهذا يتبين أن المتخلفين عن غزوة تبوك أربعة أصناف:

الأول : مأمورون مأجورون، وهم: علي بن أبي طالب، ومحمد بن مسلمة، وابن أم مكتوم رضي الله عنهم.

الثاني : معذورون، وهم الضعفاء والمرضى، والفقراء كالبكائين وأمثالهم.

الثالث : عصاة مذنبون، وهم الثلاثة الذين خُلِّفوا: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وأمثالهم.

الرابع : ملومون مذمومون، وهم الأعراب، والمنافقون.

- **مرور رسول الله ﷺ بالحِجر :**

لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك مر في طريقه بالحجر، ديار ثمود، فاستحث رسول الله ﷺ راحلته، ونزل قريباً من ديار ثمود، فاستقى الناس من بئر كان بالحجر، واعتجنوا به.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: لمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالحِجْرِ قَالَ: «لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ» ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الوَادِيَ. أخرجه البخاري(١).

ثم أمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا الماء، ويطرحوا العجين للإبل، وأن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة.

عن عَبْد الله بْن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ أَرْضَ ثَمُودَ، الحِجْرَ، فَاسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا الإِبِلَ العَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ البِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ. أخرجه البخاري(٢).

ثم خطب رسول الله ﷺ في أصحابه، وقص عليهم خبر ثمود، وما عاقبهم الله به.

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: لمَّا مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِالحِجْرِ، قَالَ: «لَا تَسْأَلُوا الآيَاتِ، وَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ، فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الفَجِّ، وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَعَقَرُوهَا، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا، وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا، فَعَقَرُوهَا، فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْمَدَ اللهُ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ الله»، قِيلَ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «هُوَ أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ» أخرجه أحمد(٣).

- **مواصلة السير إلى تبوك :**

ثم أكمل رسول الله ﷺ سيره إلى تبوك، ومر بامرأة في حديقة لها.

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِيَ القُرَى إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «اخْرُصُوا»، وَخَرَصَ رَسُولُ الله ﷺ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، فَقَالَ لهَا: «أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا» فَلَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ قَالَ: «أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلاَ يَقُومَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ» فَعَقَلْنَاهَا، وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَالقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، بَغْلَةً

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٤١٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٩).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٤١٦٠).

بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ، فَلَمَّا أَتَى وَادِيَ القُرَى قَالَ لِلْمَرْأَةِ: «كَمْ جَاءَ حَدِيقَتُكِ» قَالَتْ: عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، خَرْصَ رَسُولِ الله ﷺ. أخرجه البخاري[1].

وكان ﷺ يجمع بين الصلوات في هذه الغزوة ويقصر.

عن معاذ بن جبل ؓ قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَكَانَ يُصَلِّي الظُّهْرَ وَالعَصْرَ جَمِيعًا، وَالمَغْرِبَ وَالعِشَاءَ جَمِيعًا. أخرجه مسلم[2].

وصام رجل من أصحابه ﷺ في الطريق إلى تبوك، فجهده الصوم، فقال ﷺ: «لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ» متفق عليه[3].

وأصاب الناس مجاعة شديدة، حتى استأذنوا رسول الله ﷺ في نحر نواضحهم ليأكلوا منها.

عن أبي سعيد ؓ قال: لمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مجاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «افْعَلُوا»، قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَفِّ تمْرٍ، قَالَ: وَيجِيءُ الآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِ بِالبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ»، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي العَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ الله، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ» أخرجه مسلم[4].

واشتدت في الطريق حاجة الناس إلى الماء، وأصابهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم، حتى حملهم ذلك على نحر إبلهم، ليشُقُّوا أكراشها، ويشربوا ماءها، من شدة العطش.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ: حَدِّثْنَا مِنْ شَأْنِ العُسْرَةِ، قَالَ: خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، أَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٨١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٠٦).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٩٤٦)، ومسلم برقم (١١١٥).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٧).

سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَذْهَبُ يَلْتَمِسُ المَاءَ، فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى نَظُنَّ أَنَّ رَقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَوَّدَكَ اللهُ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا، فَادْعُ لَنَا، فَقَالَ: «أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَفَعَ يَدَيْهِ ﷺ، فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى أَظَلَّتْ سَحَابَةٌ، فَسَكَبَتْ، فَمَلَؤُوا مَا مَعَهُمْ، ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ، فَلَمْ نَجِدْهَا جَاوَزَتِ العَسْكَرَ. أخرجه ابن حبان(١).

- **فقدان ناقة الرسول ﷺ :**

أكمل رسول الله ﷺ طريقه إلى تبوك، فلما كان ببعض الطريق ضلت ناقته، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ اللُّصَيْتِ، وَهُوَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَعُمَارَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعُمَارَةُ عِنْدَهُ: «إِنَّ رَجُلًا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللهُ وَقَدْ دَلَّنِي اللهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الوَادِي، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا» فَذَهَبُوا، فَجَاؤوا بِهَا. (٢).

- **صلاة الرسول ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف :**

واصل رسول الله ﷺ سيره إلى تبوك، وبعد نزول الجيش في الليل، وعند الفجر ذهب رسول الله ﷺ لقضاء حاجته، وكان معه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فتأخر، فقَّدم المسلمون عبد الرحمن بن عوف، وصلى بهم الفجر، وفي الركعة الثانية جاء النبي ﷺ فأدرك ركعة، وأتم ركعة.

عن المُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَبُوكَ.

قَالَ المُغِيرَةُ: فَتَبَرَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِبَلَ الغَائِطِ فَحَمَلْتُ مَعَهُ إِدَاوَةً قَبْلَ صَلَاةِ الفَجْرِ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيَّ أَخَذْتُ أُهَرِيقُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الإِدَاوَةِ وَغَسَلَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يُخْرِجُ جُبَّتَهُ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، فَضَاقَ كُمَّا جُبَّتِهِ فَأَدْخَلَ يَدَيْهِ فِي الجُبَّةِ، حَتَّى أَخْرَجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْ أَسْفَلِ الجُبَّةِ، وَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ عَلَى خُفَّيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ، قَالَ المُغِيرَةُ: فَأَقْبَلْتُ مَعَهُ حَتَّى نَجِدُ النَّاسَ قَدْ قَدَّمُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ

---

(١) **صحيح/** أخرجه ابن حبان برقم (١٣٨٣).
(٢) انظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٧٧).

بْنَ عَوْفٍ فَصَلَّى لَهُمْ، فَأَدْرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ فَصَلَّى مَعَ النَّاسِ الرَّكْعَةَ الآخِرَةَ، فَلَمَّا سَلَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُتِمُّ صَلَاتَهُ فَأَفْزَعَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ فَأَكْثَرُوا التَّسْبِيحَ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ» أَوْ قَالَ: «قَدْ أَصَبْتُمْ» يَغْبِطُهُمْ أَنْ صَلَّوُا الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا. أخرجه مسلم [1].

- **فوات صلاة الفجر :**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا كُنَّا بِدَهَاسٍ مِنَ الأَرْضِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ يَكْلَؤُنَا اللَّيْلَةَ " قَالَ بِلَالٌ: أَنَا، قَالَ: «إِذًا تَنَامُ» فَنَامَ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَاسْتَيْقَظَ فُلَانٌ، وَفُلَانٌ، وَفُلَانٌ، فَقُلْنَا: تَكَلَّمُوا حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، فَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «افْعَلُوا مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ مَنْ نَامَ أَوْ نَسِيَ» أخرجه الطحاوي [2].

وفوات صلاة الفجر حتى ترتفع الشمس، حدث لرسول الله ﷺ أكثر من مرة، في غزوة الحديبية، وغزوة خيبر، وغزوة تبوك.

- **وصول جيش المسلمين إلى تبوك :**

قبل أن يصل الرسول ﷺ إلى تبوك بيوم واحد قال لأصحابه: «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ» فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ، وَالعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ «هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟» قَالَا: نَعَمْ، فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ.

قَالَ: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ العَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا، حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، قَالَ وَغَسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتِ العَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ أَوْ قَالَ: غَزِيرٍ - شَكَّ أَبُو عَلِيٍّ أَيُّهُمَا قَالَ - حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ: «يُوشِكُ، يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا» أخرجه مسلم [3].

ولما وصل الرسول ﷺ إلى تبوك ضربت له قبة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤).
(٢) **صحيح**/ أخرجه الطحاوي برقم (٣٩٨٥)، وأصله عند أبي داود برقم (٣٧٦).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٧٠٦).

عن عوف بن مالك ﵁ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ. أخرجه البخاري(١).

ولما استقر رسول الله ﷺ في تبوك خطب في أصحابه، فقال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ وَشَرِّ النَّاسِ، إِنَّ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ: رَجُلًا عَمِلَ فِي سَبِيلِ الله عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ - أَوْ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ، أَوْ عَلَى قَدَمَيْهِ - حَتَّى يَأْتِيَهُ المَوْتُ، وَإِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ: رَجُلًا فَاجِرًا جَرِيئًا، يَقْرَأُ كِتَابَ الله وَلَا يَرْعَوِي إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ» أخرجه أحمد (٢).

وأقام الرسول ﷺ في تبوك عشرين يوما، لم يلق كيداً، ولم يواجه عدواً، وكان يرسل السرايا إلى القبائل على أطراف الشام، وأرسل رسالة إلى هرقل عظيم الروم.

وكان رسول الله ﷺ يُحرس في كل ليلة حين إقامته بتبوك، وإذا قام يصلي من الليل اجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه.

وأخبر ﷺ أصحابه رضي الله عنهم أنها ستهب عليهم وهم في تبوك ريح شديدة، فهبت كما أخبر.

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﵁ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِيَ القُرَى إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «اخْرُصُوا»، وَخَرَصَ رَسُولُ الله ﷺ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، فَقَالَ لهَا: «أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا» فَلَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ قَالَ: «أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلاَ يَقُومَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ» فَعَقَلْنَاهَا، وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَأَلقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّء. أخرجه البخاري(٣).

وأخبر ﷺ وهو في تبوك عن بعض أشراط الساعة.

وعن عوف بن مالك الأشجعي ﵁ قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم فقال: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تحَتْ ثَمَانِينَ غَايَةً، تحَتْ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ الفًا» أخرجه البخاري(٤).

وسئل ﷺ وهو في غزوة تبوك عن سترة المصلي.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٧٦).
(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم (١١٣١٩).
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٤٨١).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٣١٧٦).

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ عَنْ سُتْرَةِ المُصَلِّي؟ فَقَالَ: «كَمُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ» أخرجه مسلم[1].

والمؤخرة: هي العود القائم في آخر الرحل.

وفي غزوة تبوك أخبر الرسول ﷺ أصحابه ما يفعل الإنسان إذا وقع الطاعون في مكان فقال: «إِذَا وَقَعَ الطَّاعُونُ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَلَسْتُمْ بِهَا فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ» أخرجه أحمد[2].

- **إعطاء النبي ﷺ خمساً لم يعطهن نبي قبله:**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَاجْتَمَعَ وَرَاءَهُ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَحْرُسُونَهُ، حَتَّى إِذَا صَلَّى وَانْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «لَقَدْ أُعْطِيتُ اللَّيْلَةَ خَمْسًا، مَا أُعْطِيَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: أَمَّا أَنَا فَأُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ عَامَّةً، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي إِنَّمَا يُرْسَلُ إِلَى قَوْمِهِ، وَنُصِرْتُ عَلَى العَدُوِّ بِالرُّعْبِ، وَلَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ لمُلِئَ مِنْهُ رُعْبًا، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ آكُلُهَا، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظِّمُونَ أَكْلَهَا، كَانُوا يُحْرِقُونَهَا، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسَاجِدَ وَطَهُورًا، أَيْنَمَا أَدْرَكَتْنِي الصَّلَاةُ تَمَسَّحْتُ وَصَلَّيْتُ، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظِّمُونَ ذَلِكَ، إِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ فِي كَنَائِسِهِمْ وَبِيَعِهِمْ، وَالخَامِسَةُ هِيَ مَا هِيَ، قِيلَ لِي: سَلْ فَإِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ قَدْ سَأَلَ، فَأَخَّرْتُ مَسْأَلَتِي إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَهِيَ لَكُمْ وَلِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أخرجه أحمد[3].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» متفق عليه.[4].

- **مصالحة أهل أيلة:**

جاء إلى النبي ﷺ وهو بتبوك يحنة بن روبة، صاحب أيلة، فصالح النبي ﷺ، وأعطاه الجزية ثلاثمائة دينار كل سنة، وكان معه ثلاثمائة رجل، وأهدى للرسول ﷺ بغلة بيضاء، فكساه رسول الله ﷺ برداً، وكتب له ولأهل أيلة كتاباً.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٩٩).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٥٤٣٥).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٧٠٦٨).

(٤) **متفق عليه**/ أخرجه البخاري برقم (٣٣٥)، ومسلم برقم (٥٢٣).

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِيَ القُرَى إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «اخْرُصُوا»، وَخَرَصَ رَسُولُ الله ﷺ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، فَقَالَ لهَا: «أَحْصِي مَا يخْرُجُ مِنْهَا» فَلَمَّا أَتَيْنَا تبُوكَ قَالَ: «أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلاَ يَقُومَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ» فَعَقَلْنَاهَا، وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَالقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ. أخرجه البخاري(١).

- **مصالحة أهل جرباء وأدرح :**

أتى إلى رسول الله ﷺ وهو بتبوك يهود جرباء وأدرح، فأعطوه الجزية مائة دينار في كل رجب، وكتب لهم ﷺ كتاباً، أنهم آمنون بأمان الله، وأمان محمد ﷺ.

- **بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل :**

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ﷺ في أربعمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك، بدومة الجندل.

وقال له رسول الله ﷺ: «إنك ستجده يصيد البقر»، فخرج أكيدر يصيد البقر مع أخيه حسان، فتلقتهم خيل خالد ﷺ، وأسر أكيدر وقتل أخوه حسان.

وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله ﷺ، على أن يفتح له دومة الجندل ففعل.

وصالحه على ألفي بعير، وثمانمائة رأس، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح، فعزل خالد ﷺ صفي رسول الله ﷺ، ثم قسم ما بقي بين أصحابه، فصار لكل رجل منهم خمس فرائض، ثم قدم خالد بأكيدر على رسول الله ﷺ، فصالحه على الجزية، ولم يسلم، وأهدى أكيدر إلى رسول الله ﷺ بغلة بيضاء، وجبة من سندس، منسوج فيها الذهب، فعجب الناس منها.

عن البَرَاء ﷺ قال : أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَلْمِسُونهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟ لمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنْهَا وَأَلْيَنُ» متفق عليه(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٨١).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦١٥)، ومسلم برقم (٢٤٦٨).

وأكيدر دومة الجندل كان نصرانياً، ولم يسلم، وقد قتله خالد بن الوليد ﵁ في الجهاد في خلافة أبي بكر الصديق ﵁ .

- **وفاة ذو البجادين :**

توفي في تبوك عبد الله ذو البجادين المزني ﵁ .

قال عبد الله بن مسعود ﵁: قمت في جوف الليل، وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، فاتبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرته، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما يدليانه إليه، وهو يقول ﷺ: «اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه».

فقلت: يا ليتني كنت صاحب الحفرة .

- **رجوع النبي ﷺ إلى المدينة :**

أقام النبي ﷺ في تبوك عشرين يوماً، ولم يلق كيداً من أي عدو، ثم رجع ﷺ إلى المدينة منتصراً، وكفى الله المؤمنين القتال.

وفي طريقه ﷺ إلى المدينة حصلت أمور منها :

إخباره ﷺ بالعمل الذي يدخل الجنة، ويباعد من النار:

عنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﵁ قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّارِ؟ قَالَ : «لَقَدْ سَأَلتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ تَعْبُدُ الله وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتحُجُّ البَيْتَ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ» قَالَ ثُمَّ تَلَا "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ المَضَاجِعِ " حَتَّى بَلَغَ "يَعْمَلُونَ" .

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ : «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ الله فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله وَإِنَّا لمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ» أخرجه الترمذي وابن ماجه [1].

---

(١) **صحيح/** أخرجه الترمذي برقم (٢٦١٦)، وأخرجه ابن ماجه (٣٩٧٣).

٢- في طريق عودة النبي ﷺ من تبوك، تآمر بضعة عشر رجلاً من المنافقين على الغدر برسول الله ﷺ، ومزاحمته على العقبة، ليطرحوه من راحلته على الأرض، ولكن الله عصمه منهم.

عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ﷺ قَالَ: لمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: إِنَّ رَسُولَ الله أَخَذَ العَقَبَةَ، فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ الله ﷺ يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ، غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ الله ﷺ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِحُذَيْفَةَ: « قَدْ، قَدْ» حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ الله ﷺ، فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ الله ﷺ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ، فَقَالَ: « يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ القَوْمَ؟ » فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ وَالقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ قَالَ: « هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟ » قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ الله ﷺ فَيَطْرَحُوهُ» أخرجه أحمد[(١)].

وأنزل الله في شأن المنافقين : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٤].

ثم أكمل رسول الله ﷺ سيره إلى المدينة، فلما وصل ﷺ وأصحابه إلى وادي القرى قال لأصحابه: «إِنِّي مُتَعَجِّلٌ إِلَى المَدِينَةِ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَعَجَّلَ مَعِي فَلْيَتَعَجَّلْ» فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى المَدِينَةِ قَالَ: «هَذِهِ طَابَةُ» فَلَمَّا رَأَى أُحُدًا قَالَ: «هَذَا جُبَيْلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الأَنْصَارِ» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «دُورُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي سَاعِدَةَ - أَوْ دُورُ بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ - وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ - يَعْنِي - خَيْرًا» أخرجه البخاري[(٢)].

● **هدم مسجد الضرار :**

لما وصل رسول الله ﷺ إلى ذي أوان، بلد قريب من المدينة، جاءه جماعة من المنافقين، وسألوه أن يأتي مسجدهم بقباء، ليصلي فيه، وهو مسجد الضرار، الذي اتخذه المنافقون مكاناً للكيد للإسلام والمسلمين تحت ستار الدين.

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (٢٣٧٩٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٤٨١).

فأنزل الله تعالى في هذا الشأن: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ۝١٠٨﴾ [التوبة/١٠٧-١٠٨].

فلما نزلت هذه الآيات دعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخشم، ومعن بن عدي، فقال لهما: «انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرقاه».

فخرجا سريعين حتى أتياه، فأشعلا فيه النيران وهدماه.

ثم إن رسول الله ﷺ أخبر أصحابه الذين معه في غزوة تبوك بأن بالمدينة ناساً أخذوا أجر الغزو معهم كاملاً، حبسهم العذر.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إِنَّ أَقْوَامًا بِالمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا ، وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ حَبَسَهُمُ العُذْرُ» أخرجه البخاري(١).

- **استقبال النبي ﷺ وأصحابه :**

تسامع الناس في المدينة بمقدم رسول الله ﷺ من تبوك، فخرجوا إلى ثنية الوداع يتلقونه بحفاوة، وفرح وسرور بالغ، وجعل النساء والصبيان والولائد يقولون:

طلع البدر علينـــا — من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا — ما دعـــا لله داع

عَنِ السَّائِبِ رضي الله عنه قال : أَذْكُرُ أَنِّي خَرَجْتُ مَعَ الصِّبْيَانِ نَتَلَقَّى النَّبِيَّ ﷺ إِلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ مَقْدَمَهُ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ. أخرجه البخاري(٢).

وكان خروج النبي ﷺ إلى تبوك في رجب، وعودته من تبوك إلى المدينة في رمضان ضحى، من السنة التاسعة للهجرة.

وكان ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فصلى فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فجاء المنافقون والأعراب الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وكان عددهم بضعة وثمانين رجلاً فاعتذروا بشتى الأعذار.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٣٩).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٤٢٧).

فقبل النبي ﷺ منهم علانيتهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فعاتبه ربه وعفا عنه بقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة/ ٤٣].

ونزلت سورة التوبة في شأن غزوة تبوك، نزل بعضها قبل الخروج إليها، ونزل بعضها بعد الخروج وهو مسافر، ونزل بعضها بعد الرجوع إلى المدينة.

وقد اشتملت سورة التوبة على ذكر ظروف غزوة تبوك، وفضح جمهور المنافقين، وذكل فضل المجاهدين المخلصين، وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين، الخارجين منهم في هذه الغزوة والمتخلفين.

وتعتبر سورة التوبة آخر إنذار للبشرية، بيَّن الله فيها ثواب المؤمنين الصادقين، كما بيَّن سوء عاقبة الكفر والنفاق، وعقوبة القعود عن الدعوة والجهاد في سبيل الله.

- **أمر المتخلفين عن غزوة تبوك :**

١ – أمر أبي لبابة وأصحابه رضي الله عنهم:

عَنِ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما في قَوْله تعالى: " وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا " قَالَ : كَانُوا عَشَرَةَ رَهْطٍ تخَلَّفُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا حَضَرَ رُجُوعُ النَّبِيِّ ﷺ أَوْثَقَ سَبعَةٌ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي المَسْجِدِ ، فَكَانَ مَمَرُّ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَجَعَ فِي المَسْجِدِ عَلَيْهِمْ فَلَمَّا رَآهُمْ قَالَ : « مَنْ هَؤُلَاءِ المُوثِقُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي ؟» قَالُوا : هَذَا أَبُو لُبَابَةَ وَأَصْحَابٌ لَهُ تخَلَّفُوا عَنْكَ يَا رَسُولَ الله ، وَحَلَفُوا لَا يُطْلِقُهُمْ أَحَدٌ حَتَّى تُطْلِقَهُمْ وَتَعْذُرَهُمْ .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنَا أُقْسِمُ بِالله لَا أُطْلِقُهُمْ وَلَا أَعْذُرُهُمْ حَتَّى يَكُونَ الله هُوَ الَّذِي يُطْلِقُهُمْ ، رَغِبُوا عَنِّي وَتخَلَّفُوا عَنِ الغَزْوِ مَعَ المُسْلِمِينَ ». فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ قَالُوا : وَنَحْنُ لَا نُطْلِقُ أَنْفُسَنَا حَتَّى يَكُونَ الله الَّذِي يُطْلِقُنَا . فَأَنْزَلَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى الله أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ" وَعَسَى مِنَ الله وَاجِبٌ .

فَلَمَّا نَزَلَتْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَطْلَقَهُمْ وَعَذَرَهُمْ. أخرجه الطبري في جامع البيان [1].

---

(١) حسن/ أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٦٠).

٢- أمر كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم:

عن كعب بن مالك ﷺ قال: لَمْ أَتخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غيْرَ أَنِّي كُنْتُ تخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ الله بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا.

كَانَ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ حِينَ تخَلَّفْتُ عَنْهُ، فِي تِلْكَ الغَزَاةِ، وَالله مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ الله ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيوَانَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ الله، وَغَزَا رَسُولُ الله ﷺ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، وَتجَهَّزَ رَسُولُ الله ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ الحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ الله ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ الله مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ.

فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبٌ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَالله يَا رَسُولَ الله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ

سَخَطِهِ غدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ الله ﷺ عَلانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى الله.

فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ». فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَالله لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَالله، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيث كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ الله، لاَ وَالله، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَالله مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تخَلَّفْتُ عَنْكَ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ الله فِيكَ». فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَالله مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لاَ تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ المُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ الله ﷺ لَكَ، فَوَالله مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلاَنِ، قَالاَ مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ، وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهمُا لِي، وَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ المُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ.

فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ الله ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مجْلِسِهِ بَعْدَ

الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ لمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاَءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لاَ، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الأَمْرِ.

قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لاَ، وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبْكِ». قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلاَمِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ.

قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ الله ﷺ بِتَوْبَةِ الله عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَالله مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ الله عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَالله مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ الله، أَمْ مِنْ عِنْدِ الله؟ قَالَ: «لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ الله». وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى الله وَإِلَى رَسُولِ الله، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ».

قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ الله إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ. فَوَالله مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ الله فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي الله فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ الله عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: " لَقَدْ تَابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ" إِلَى قَوْلِهِ " وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" فَوَالله مَا أَنْعَمَ الله عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلاَمِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ الله ﷺ، أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ الله قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ - شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: " سَيَحْلِفُونَ بِالله لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ" إِلَى قَوْلِهِ " فَإِنَّ الله لاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ".

قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ حَلفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ الله ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى الله فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ الله: " وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا". وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ الله مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْه. متفق عليه[1].

لقد تاب الله على هؤلاء المؤمنين الصادقين توبة كريمة، شرف فيها قدرهم، وغسل عنهم عارهم، وبيض وجوههم، ورد لهم اعتبارهم، وشرفهم بأن ذكرهم بعد النبي ﷺ وأصحابه الذين خرجوا معه في غزوة تبوك، كما قال سبحانه: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة/ ١١٧-١١٩].

- **آخر الغزوات :**

انتهت غزوات الرسول ﷺ بغزوة تبوك، وقد بلغ عدد غزواته ﷺ سبعاً وعشرين غزوة، قاتل فيها ﷺ في تسع غزوات هي: بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، وبني المصطلق، وخيبر، وفتح مكة، والطائف، وحنين.

وبلغت بعوثه ﷺ وسراياه أكثر من ثمانين، ما بين بعث وسرية.

- **فقه السرايا والبعوث والغزوات :**

رغَّب الرسول ﷺ في الخروج في الغزوات والسرايا والبعوث، وبيَّن فضل ذلك لأصحابه رضي الله عنهم ولمن بعدهم.

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالًا مِنَ المُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، مَا تخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ الله، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ» متفق عليه[2].

وكان ﷺ إذا بعث بعثاً بعثه أول النهار.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤١٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٩).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٧)، ومسلم برقم (١٨٧٦).

عَنْ صَخْرٍ الغَامِدِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اللهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهِمْ» قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً بَعَثَهَا أَوَّلَ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا، وَكَانَ لَا يَبْعَثُ غِلْمَانَهُ إِلَّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ. أخرجه أحمد(1).

إن الإنسان إذا نظر بثاقب بصره إلى غزوات الرسول ﷺ وسراياه وبعوثه، علم أن رسول الله ﷺ أعظم قائد للحروب في الدنيا، وأحسن القادة فراسة، وأسدَّهم رأياً، وأشجعهم قلباً، وأبصرهم بأمور الحروب.

كما أنه ﷺ سيد الرسل، وأعظمهم في صفة النبوة والرسالة.

ولم يفشل ﷺ أو يهزم في غزوة واحدة من الغزوات التي خاضها، وما وقع في غزوة أحد من رفع النصرة، فسببه معصية الرماة لأمره.

وما وقع في حنين فسببه الإعجاب من بعض المسلمين بالقوة والكثرة.

واستطاع ﷺ بحكمته الفذة، أن يخيب المشركين في أهدافهم، كما فعل في أحد، وأن يغير مجرى القتال، حتى بدل الهزيمة انتصاراً بحكمته.

هذا من ناحية القيادة الحربية،أما من النواحي الأخرى، فقد استطاع ﷺ بهذه الغزوات والسرايا،فرض الأمن،وبسط السلام، وكسر شوكة الأعداء، وإلجاءهم إلى المصالحة، وإطفاء نار الفتنة والسلب والنهب بين الناس.

واستطاع ﷺ أن يخلي السبيل لنشر الدعوة إلى الله، وفتح الأبواب للدخول في الإسلام أمام كل الناس حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً.

وقد أريق في جميع هذه الغزوات والسرايا، في عشر سنوات أقل دم عرف في تاريخ الحروب، حيث استغرقت مدة القتال الفعلي بين المسلمين والكفار أياماً معدودة .

واستطاع الرسول ﷺ من خلال تلك الغزوات أن يتعرف على المخلصين من أصحابه،ومن يبطن النفاق ويظهر الإسلام، ومن يضمر نوازع الغدر والخيانة والطمع.

وربى ﷺ من خلال تلك الغزوات والسرايا طائفة كبيرة من القواد والفرسان، الذين واجهوا الفرس والروم وغيرهم في ميادين القتال في العراق والشام، وغيرها، ففاقوهم في تخطيط وإدارة دفة الحروب، حتى أجلوهم من أرضهم وديارهم وأموالهم، وملكوا بلادهم.

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٥٤٣٨).

واستطاع ﷺ من خلال هذه الغزوات أن يوفر للناس الأمن، والسكن، والأرض، والحرف، حتى قضى على كثير من مشاكل الفقراء الذين لم يكن لهم أهل ولا مال، ولا دار، وهيأ للمجاهدين السلاح والخيل والعدة والأموال.

وحصل على ذلك كله من غير أن يقوم بمثقال ذرة من الظلم والطغيان، والبغي والعدوان، على أحد من الناس: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة/ ١٢٨].

وغيَّر ﷺ بفضل الله ثم بهذه الغزوات أغراض الحروب وأهدافها، التي كانت تشتعل نارها لأجلها، فقد كانت الحروب في الجاهلية عبارة عن تسلط القوي على الضعيف بالسلب والنهب، والبغي والقتل، والظلم والعدوان، وأخذ الثأر وتخريب العمران، وهتك الأعراض، والقسوة على الضعاف والصغار، وإهلاك الحرث والنسل، والفساد في الأرض وغير ذلك مما يفعله الناس في الجاهلية.

ولما جاء الإسلام صار للحرب أهداف نبيلة، وأغراض سامية، حيث صارت الحرب في الإسلام جهادا لإنقاذ الناس من نظام الظلم والعدوان، إلى نظام العدل والإحسان، ومن نظام يأكل فيه القوي الضعيف، إلى نظام يواسي القوي فيه الضعيف.

ومن نظام الكفر والشرك والفجور إلى لباس التوحيد والإيمان والتقوى، وصار الجهاد في تلك الغزوات جهاداً لتحرير الناس من مذلة العبودية للبشر، إلى عزة العبودة لخالق البشر.

وصار جهاداً لتطهير أرض الله من الغدر والخيانة والإثم، والعدوان، إلى بسط الأمن والسلامة والرحمة والرافة: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران/ ١٠٣].

والجهاد في سبيل الله عبادة من أعظم العبادات، وقد شرع الرسول ﷺ أحكاماً تدار بها تلك الحروب، وألزم المجاهدين من قواد وجنود بالتقيد بها، وعدم مخالفتها.

عن بريدة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى الله، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: « اغْزُوا بِاسْمِ الله فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا.

وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ.
وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا» أخرجه مسلم(1).
وكان ﷺ يأمر بالتيسير فيقول: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا» أخرجه مسلم(2).
وكان ﷺ إذا جاء قوماً بليل لم يغر عليهم حتى يصبح، ونهى أشد النهي عن التحريق بالنار لآدمي، أو حيوان، ونهى عن قتل النساء وشدد في النهي عن قتل المعاهدين، وشدد في النهي عن قتل السفراء، ونهى عن قطع الأشجار وتحريقها إلا لحاجة، وغير ذلك من الأحكام والأصول والقواعد المتعلقة بالجهاد في سبيل الله، فليطلبها من يريدها في كتب الفقه.
ولا يملك المسلم بعد معرفة هذه الجهود العظيمة من الرسول ﷺ وأصحابه في ميادين الدعوة إلى الله، وميادين الجهاد في سبيل الله، إلا أن يستغفر الله ويتوب إليه من قلة الحمد، وقلة الاستغفار، وقلة العمل، وقلة الصبر: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٣١).
(٢)أخرجه مسلم برقم (١٧٣٢).

٢- بقية وفود السنة التاسعة بعد تبوك

هذه أهم الوفود التي قدمت إلى المدينة تريد الإسلام بعد غزوة تبوك

١ - قدوم وفد ثقيف

قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ في رمضان، من السنة التاسعة للهجرة، بعد عودة الرسول ﷺ من تبوك.

وكان رئيسهم وسيدهم عروة بن مسعود الثقفي قد تبع الرسول ﷺ لما انصرف من الطائف، فأدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم رضي الله عنه.

ثم سأل رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام.

فقال له رسول الله ﷺ: « إني أخاف أن يقتلوك».

فقال عروة رضي الله عنه: يا رسول الله، أنا أحب إليهم من أبكارهم أو من أبصارهم، ولو وجدوني نائما ما أيقظوني، فأذن له النبي ﷺ، فخرج عروة رضي الله عنه يدعو قومه إلى الإسلام، فلما أشرف لهم على عليَّة له، وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل جانب، فأصابه سهم فقتله.

فلما بلغ رسول الله ﷺ مقتله قال: « مَثَل عروة، مَثَل صاحب ياسين، دعا قومه إلى الإسلام فقتلوه».

ثم إن ثقيفاً أقامت بعد قتل عروة أشهر اً، ثم تشاوروا فيما بينهم، فرأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، وقد بايعوا وأسلموا، فأجمعوا أمرهم أن يرسلوا الى رسول الله ﷺ رجلاً منهم، فأرسلوا عبد يا ليل، ومعه خمسة من أشرافهم، فيهم عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، وكان أصغرهم.

فخرج عبد يا ليل، وهو رئيس القوم، بهذا الوفد الى المدينة، فلما دنوا منها، رآهم المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وكان يرعى ركاب أصحاب رسول الله ﷺ، فترك الركاب، وذهب يشتد ليبشر رسول رسول الله ﷺ بقدومهم عليه، فلقيه أبو بكر رضي الله عنه فأخبره، فقال له أبو بكر رضي الله عنه : أقسمت عليك بأن لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ ، حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل .

فدخل أبو بكر ﵁ على رسول الله ﷺ فأخبره بقدوم وفد ثقيف عليه، فسر رسول الله ﷺ بقدومهم .

ثم عاد المغيرة ﵁ إليهم ، وعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ ، فلما دخلوا عليه أمر رسول الله ﷺ بإنزالهم في المسجد ، ليكون أرق لقلوبهم ، فضرب لهم قبة في ناحية المسجد ، حيث يسمعون القرآن .

ومكثوا مدة يختلفون إلى رسول الله ﷺ ، وهو يدعوهم إلى الإسلام ، فسأله رئيسهم أن يأذن لهم بالربا والزنا وشرب الخمر ، وأن يعفيهم من الصلاة ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبل شيئاً من ذلك .

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي العَاصِ ﵁ أَنَّ وَفْدَ ثَقِيفٍ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَنْزَلَهُمُ المَسْجِدَ لِيَكُونَ أَرَقَّ لِقُلُوبِهِمْ، فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَا يُحْشَرُوا، وَلَا يُعْشَرُوا، وَلَا يُجَبُّوا - أي: لا يصلوا -، وَلَا يُسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ، قَالَ: فَقَالَ: « إِنَّ لَكُمْ أَنْ لَا تُحْشَرُوا، وَلَا تُعْشَرُوا، وَلَا يُسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ غَيْرُكُمْ، لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا رُكُوعَ فِيهِ ». أخرجه أحمد (١).

وعن وهب بن منبه قال: سَألتُ جَابِرًا عَنْ شَأْنِ ثَقِيفٍ إِذْ بَايَعَتْ؟ قَالَ: اشْتَرَطَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، أَنْ لَا صَدَقَةَ عَلَيْهَا، وَلَا جِهَادَ، وَأَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: «سَيَتَصَدَّقُونَ، وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا » أخرجه أبو داود (٢).

ثم إن وفد ثقيف وافقوا على شروط رسول الله ﷺ ، وأسلموا ، واشترطوا أن يتولى رسول الله ﷺ هدم اللات ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقبل رسول الله ﷺ منهم ذلك ، فلما أسلموا صاموا مع رسول الله ﷺ ما بقي من رمضان ، وكان بلال ﵁ يأتيهم بفطورهم وسحورهم من عند رسول الله ﷺ .

ولما أراد وفد ثقيف الإنصراف إلى بلادهم ، سألوا رسول الله ﷺ أن يؤمر عليهم رجلاً منهم يؤمهم للصلاة ، فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص ﵁ ، لما رأى من حرصه على الإسلام ، وقراءة القرآن، وكان قد أسلم قبلهم سراً ، وكتمهم ذلك ، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ يقرئه القرآن ، ويعلمه الدين ، حتى فقه في الدين ، فأُعجب به رسول الله ﷺ وأحبه .

---

(١) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (١٧٩١٣).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٣٠٢٥).

عن عثمان بن أبي العاص ﵁ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، اجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي، فَقَالَ: «أَنْتَ إِمَامُهُمْ، وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ، وَاتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا » أخرجه أحمد [(١)].

وعن عُثْمَان بْن أَبِي العَاصِ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «أُمَّ قَوْمَكَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَجِدُ فِي نَفْسِي شَيْئًا قَالَ: «ادْنُهْ» فَجَلَّسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِي صَدْرِي بَيْنَ ثَدْيَيَّ. ثُمَّ قَالَ: «تحَوَّلْ» فَوَضَعَهَا فِي ظَهْرِي بَيْنَ كَتِفَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «أُمَّ قَوْمَكَ. فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ، فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاء » أخرجه مسلم [(٢)].

وفي هذه الوصية لعثمان بتخفيف الصلاة تنبيه على الرفق بحديث العهد بالإسلام، حتى لا ينفر منه ولا يسأم من تكاليفه .

وجاء عثمان بن أبي العاص يوماً إلى رسول الله ﷺ بعد أن استعمله يشكو إليه ، فقال يا رسول الله : إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي ، يلبسها علي .

فقال رسول الله ﷺ: « ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِالله مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا» قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي. أخرجه مسلم [(٣)].

وشكا عثمان بن أبي العاص ﵁ إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال رسول الله ﷺ « ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ الله ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِالله وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِر» أخرجه مسلم[(٤)].

ثم إن وفد ثقيف انصرفوا إلى بلادهم ، بعد أن أقاموا نصف شهر عند رسول الله ﷺ ، وقد أكرمهم وحباهم وعلمهم .

فلما أتى الوفد الطائف ، وجاءتهم ثقيف ، كتموهم الحقيقة ، وأظهروا الحزن والكآبة، وخوفوهم بالحرب والقتال، وقالوا لهم: أتينا رجلاً غليظاً قد ظهر بالسيف ، ودان له الناس ، فعرض علينا أموراً شداداً أبيناها عليه ، سألنا أن نهدم اللات ، ونبطل أموالنا في الربا ، ونحرم الخمر والزنا، فأخذت ثقيف نخوة الجاهلية ، وقالوا : والله لا نقبل هذا أبداً .

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٦٢٧٠)

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٦٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٢).

فقالوا لهم : أصلحوا السلاح ، وتهيؤا للقتال ، فأقامت ثقيف تستعد يومين أو ثلاثه ، ثم ألقى الله ﷻ في قلوبهم الرعب ، فقالوا للوفد : والله ما لنا به من طاقة ، وقد دوَّخ محمد العرب كلها ، فارجعوا إليه ، وأعطوه ما سأل ، وصالحوه عليه .

فعند ذلك أبدى الوفد لهم حقيقة الأمر ، وقالوا : قد قاضيناه وأسلمنا ، ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم ، وأرحمهم وأصدقهم ، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه ، وفيما قاضيناه عليه، فقالت ثقيف : لم كتمتونا هذا الحديث ، وغممتمونا أشد الغم ؟ فقالوا : أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان ، فأسلموا واستجاب الله دعاء الرسول ﷺ لثقيف بالهداية إلى الإسلام.

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « اللهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا » أخرجه أحمد [1].

● **هدم اللات :**

اللات صنم بالطائف تعبده ثقيف ، مكثت ثقيف بعد إسلامها أياماً ، ثم قدم عليهم رسل رسول الله ﷺ ، قد أمَّر عليهم خالداً بن الوليد رضي الله عنه ، لهدم الطاغية اللات ، وكانت في بيت ، فتوجهوا إلى اللات ليهدموها ، واجتمعت ثقيف كلها الرجال والنساء والأطفال ، لينظروا إليهم ، ولا يرون أنها ستهدم ، ويظنون أنها ستمنعهم .

فقام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، وكان مع خالد رضي الله عنه ، فأخذ الفأس وقال: يا معشر ثقيف إنما هي لكاع ، حجارة و مدر ، فاقبلوا عافية الله واعبدوه ، ثم ضرب الباب فكسره ، ثم علا سورها مع أصحابه ، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً ، حتى سووها بالأرض ، وأخذوا حليها من تحت أساسها ، فبهتت ثقيف .

ثم رجع خالد وأصحابه رضي الله عنهم إلى رسول الله ﷺ ، ومعهم حلي اللات وكسوتها ، فقسمه بينهم من يومه ، وحمدوا الله ﷻ على إزالة طاغوت من طواغيت الأرض ، وإعلان شعائر الإسلام في تلك الجهة : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾ [الإسراء/ ٨١].

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٤٧٠٢).

٢ - قدوم وفد الداريين

قدم وفد الداريين على رسول الله ﷺ منصرفة من تبوك ، سنة تسع من الهجرة ، وكانوا عشرة نفر ، فيهم تميم بن أوس الداري ، وأخوه نعيم ، وكانوا على دين النصرانية ، فأسلموا وحسن إسلامهم ، وكانوا من بني لخم في فلسطين .

ومن فضائل تميم الداري رضي الله عنه أنه ذكر لرسول الله ﷺ قصة الجساسة والدجال ، فحدث بها الرسول ﷺ أصحابه ، وهو على المنبر .

عن فَاطِمَةَ بِنْت قَيْسٍ رضي الله عنها قالت : سَمِعْتُ نِدَاءَ المُنَادِي ، مُنَادِى رَسُولِ الله ﷺ ، يُنَادِي الصَّلاَةَ جَامِعَةً . فَخَرَجْتُ إِلَى المَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِى تَلِى ظُهُورَ القَوْمِ ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ صَلاَتَهُ جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ: « لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاَّهُ » . ثُمَّ قَالَ « أَتَدْرُونَ لمَا جَمَعْتُكُمْ » ؟ قَالُوا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : « إِنِّى وَالله مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيماً الدَّارِىَّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ ، وَحَدَّثَنِى حَدِيثاً وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ ، حَدَّثَنِى أَنَّهُ رَكِبَ فِى سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاثِينَ رَجُلاً مِنْ لخْمٍ وَجُذَامَ ، فَلَعِبَ بِهِمُ المَوْجُ شَهْراً فِى البَحْرِ ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِى البَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، فَجَلَسُوا فِى أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ ، لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقَالُوا : وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الجَسَّاسَةُ، قَالُوا : وَمَا الجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتْ : أَيُّهَا القَوْمُ ! انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِى الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ . قَالَ لمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، قَالَ فَانْطَلَقْنَا سِرَاعاً حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً ، وَأَشَدُّهُ وِثَاقاً ، مجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالحَدِيدِ ، قُلْنَا : وَيْلَكَ مَا أَنْتَ ؟

قَالَ : قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي ، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ العَرَبِ ، رَكِبْنَا فِى سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ ، فَصَادَفْنَا البَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ ، فَلَعِبَ بِنَا المَوْجُ شَهْراً ، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ ، فَجَلَسْنَا فِى أَقْرُبِهَا ، فَدَخَلْنَا الجَزِيرَةَ ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقُلْنَا : وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الجَسَّاسَةُ .

قُلْنَا : وَمَا الجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتِ : اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ . فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعاً ، وَفَزِعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً.
فَقَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ . قُلْنَا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ . قَالَ : أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لاَ تُثْمِرَ . قَالَ : أَخْبِرُونِى عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ ؟ قُلْنَا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : هَلْ فِيهَا مَاءٌ ؟ قَالُوا : هِيَ كَثِيرَةُ المَاءِ . قَالَ : أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ . قَالَ : أَخْبِرُونِى عَنْ عَيْنِ زُغَرَ ؟ قَالُوا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : هَلْ فِي العَيْنِ مَاءٌ ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ العَيْنِ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ ، هِيَ كَثِيرَةُ المَاءِ ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا.
قَالَ : أَخْبِرُونِى عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ ؟ قَالُوا : قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ . قَالَ : أَقَاتَلَهُ العَرَبُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ العَرَبِ وَأَطَاعُوهُ ، قَالَ لَهُمْ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ؟ قُلْنَا نَعَمْ . قَالَ : أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَإِنِّى مخبِرُكُمْ عَنِّي ، إِنِّى أَنَا المَسِيحُ ، وَإِنِّى أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الخُرُوجِ ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلاَ أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا محرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا ، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِداً مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِى مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتاً يَصُدُّنِى عَنْهَا ، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلاَئِكَةً يَحْرُسُونَهَا . قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ – وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي المِنْبَرِ– : «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ». يَعْنِى المَدِينَةَ « أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ ؟ » . فَقَالَ النَّاسُ :نَعَمْ.
« فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِى حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ المَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، أَلاَ إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّام، أَوْ بَحْرِ اليَمَنِ ، لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ ما هُوَ ، مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ مَا هُوَ ، مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ مَا هُوَ » وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى المَشْرِقِ . قَالَتْ فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. أخرجه مسلم [١].

وروى تميم رضي الله عنه حديث البشارة بانتشار الإسلام.
عن تميم الداري رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الكُفْرَ» أخرجه أحمد [٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٤٢).
(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم (١٦٩٥٧).

٣- قدوم وفد بني عامر بن صعصعة

قدم على الرسول ﷺ وفد بني عامر بن صعصعة ، فيهم عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس ، وكانا رؤساء القوم .

وكان الرجلان لا يريدان الإسلام ، لكن لأن الناس أسلموا ، وانتشر الإسلام في غطفان وغيرها ، أجبرهما قومهما على الذهاب إلى المدينة لملاقاة الرسول ﷺ ، فوافقا على ذلك ، وأضمرا في أنفسهما خطة لاغتيال الرسول ﷺ .

فقال عامر بن الطفيل لأربد بن قيس إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاقتله بالسيف .

فلما قدموا المدينة ، قال عامر بن الطفيل لرسول الله ﷺ : يا محمد خالني ، أي اتخذني خليلاً لك .فقال رسول الله ﷺ « لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له».

وجعل عامر يكلم رسول الله ﷺ في ذلك ، وينتظر أربد بن قيس ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يفعل .

فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم ».

فقال عامر : أتجعل لي الأمر من بعدك إن أسلمت ؟

فقال رسول الله ﷺ : « ليس ذلك لك ولا لقومك ».

فقال عامر : أتجعل لي الوبر ، ولك المدر ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : « لا » .

فقام عامر بن الطفيل عن رسول الله ﷺ وقال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً ، فلما ولى عن رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : « اللهم اكفني عامر بن الطفيل، واهد بني عامر، وأغن الإسلام عن بني عامر ».

ثم خرجوا من عند رسول الله ﷺ ، فقال عامر لأربد : أين ما كنت أمرتك به ؟

فقال أربد : لا تعجل علي ، والله ما هممت بالذي أمرتني به ، إلا دخلت بيني وبين الرجل ، حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف ؟ ، فتعجب عامر بن الطفيل من ذلك.

ثم رجع الوفد إلى بلادهم ، وفي الطريق بعث الله ﷻ على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فآوى إلى بيت امرأة من بني سلول ، فتأسف وتشاءم من بيتها ، وركب فرسه فمات على ظهرها .

عن أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: بَعَثَ خَالَهُ، أَخٌ لِأُمِّ سُلَيْم، فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا، وَكَانَ رَئِيسَ المُشْرِكِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، خَيَّرَ بَيْنَ ثَلاثِ خِصَالٍ، فَقَالَ: يَكُونُ لَكَ أَهْلُ السَّهْلِ وَلِي أَهْلُ المَدَرِ، أَوْ أَكُونُ خَلِيفَتَكَ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَهْلِ غَطَفَانَ بِالفٍ وَالفٍ؟ فَطُعِنَ عَامِرٌ فِي بَيْتِ أُمِّ فُلاَنٍ، فَقَالَ: غُدَّةٌ كَغُدَّةِ البَكْرِ، فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ آلِ فُلاَنٍ، ائْتُونِي بِفَرَسِي، فَمَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِه. أخرجه البخاري(١).

وأما أربد بن قيس فقدم على قومه ، ثم قال : لقد دعانا محمد إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن ، فأرميه بالنبل حتى أقتله . ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين ومعه جمله ، فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما .

وأنزل الله في عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد/ ٨-١٣].

● **قدوم وفد بني عامر:**

لما رأى بنو عامر بن صعصعة ما حل بعامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس ، أرسلوا وفداً إلى رسول الله ﷺ ، وأعلنوا إسلامهم .

عن مطرف بن عبد الله أَنَّهُ وَفَدَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ قَالَ: فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا: أَنْتَ وَلِيُّنَا، وَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَأَنْتَ أَطْوَلُ عَلَيْنَا، وَأَنْتَ أَفْضَلُنَا عَلَيْنَا فَضْلًا، وَأَنْتَ الجَفْنَةُ الغَرَّاءُ، فَقَالَ: «قُولُوا قَوْلَكُمْ ، وَلَا يَسْتَجِرَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» أخرجه أحمد (٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠٩١).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٦٣١١)

٤- قدوم وفد بني حنيفة

وفد على رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة، سنة تسع من الهجرة، وكانوا يسكنون اليمامة، شرق الحجاز .

وكان الوفد بضعة عشر رجلاً ، فيهم رجال بن عنفوة ، ومجاعة بن مرارة ، وكان معهم مسيلمة بن حبيب الكذاب، ولما وصلوا إلى المدينة ، أنزلهم رسول الله ﷺ دار رملة بنت الحارث ، وكانت دارها دار الوفود ، وأجريت عليهم ضيافة .

ثم جاء الوفد إلى رسول الله ﷺ في المسجد فأسلموا وبايعوا إلا مسيلمة الكذاب .

عن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ المَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، فَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدَةٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، قَالَ: «لَوْ سَالتَنِي هَذِهِ القِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ أَتَعَدَّى أَمْرَ الله فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ الله، وَإِنِّي لَأُرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي» ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ. متفق عليه.[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي المَنَامِ أَنِ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا ، فَطَارَا ، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي ، أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ » متفق عليه.[2].

٥- قدوم وفد نجران

قدم على رسول الله ﷺ وفدنصارى نجران في السنة التاسعة للهجرة .

وكان رسول الله ﷺ قد كتب إليهم كتاباً يدعوهم فيه إلى الإسلام، أو الجزية، وإلا آذنهم بحرب ، فذعر أهل نجران ذعراً شديداً .

فبعثوا إلى رسول الله ﷺ وفدهم ، وكانوا ستين رجلاً ، فيهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم ، منهم ثلاثة نفر يؤل أمرهم إليهم ، منهم العاقب ، واسمه عبد المسيح ، وهو أمير القوم ، والسيد ، واسمه الأيهم ، وهو صاحب رحلهم ، والأسقف ، واسمه أبو حارثة بن علقمة ، وهو حبرهم وإمامهم .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٣٧٣)، ومسلم برقم (٢٢٧٣).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٣٧٤)، ومسلم برقم (٢٢٧٤)

فلما وصل وفد نجران إلى المدينة ، والتقوا برسول الله ﷺ، أكرمهم ودعاهم إلى الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فامتنعوا ، وطال الجدال بين رسول الله ﷺ وبين وفد نجران ، ورسول الله ﷺ يتلو عليهم القرآن ، ويقرع باطلهم بالحجة .

فلما لم تُجْد معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة ، طلبوا من رسول الله ﷺ أن يباهلهم ، فوافق رسول الله ﷺ ، ونزل في شأنهم قول الله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران/ ٥٨ – ٦١] .

فخاف رؤساء الوفد من المباهلة ورفضوها ، فقبل رسول الله ﷺ منهم ذلك ، ثم صالحهم على الجزية ، ألفي حلة ، يدفعون للمسلمين، نصفها في صفر ، والنصف الآخر في رجب ، على أن لا تهدم لهم بِيَعة ، ولا يُخرج لهم قس ، ولا يفتنوا عن دينهم ، مالم يحدثوا حدثاً ، أو يأكلوا ربا ، وكتب لهم ذلك في كتاب أخذوه معهم .

فلما أراد وفد نجران الانصراف إلى بلادهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يبعث معهم رجلاً أميناً ، ليقبض مال الصلح ، ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه من أموالهم ، فبعث ﷺ معهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاَعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لاَ تَفْعَلْ، فَوَالله لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّا لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالاَ: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَالتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلاَ تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا، فَقَالَ: «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ» أخرجه البخاري [1].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ أَهْلَ اليَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمْنَا السُّنَّةَ وَالإِسْلاَمَ. قَالَ فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ». أخرجه مسلم [2].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣٨٠).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٤١٩).

٦- قدوم وفد حِمْير

قدم رسول ملوك حمير بكتابهم إلى رسول الله ﷺ ، وفيه إعلان إسلامهم ، عند مقدم الرسول ﷺ من تبوك، في رمضان، سنة تسع من الهجرة ، وهم الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال ، ومالك بن مرة ، وكتب لكل وفد كتاباً، بيَّن فيه ما لهم وما عليهم.

فهؤلاء خمسة عشر وفداً ، من أكثر من ستين وفداً ، كلهم قدموا على الرسول ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة ، يريدون الإسلام ، أو يعلنون إسلامهم أمام رسول الله ﷺ ، واكتفينا بمن ذكرنا من الوفود خشية الإطالة .

وهناك وفود جاءت إلى رسول الله ﷺ قبل السنة التاسعة من الهجرة ، وبعد السنة التاسعة ، وكلهم جاؤا ليعلنوا إسلامهم ، ويبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام .

وقد بلغت الوفود أوجها في السنة التاسعة للهجرة ، بعد مقدم رسول الله ﷺ من تبوك، حتى سميت تلك السنة سنة الوفود ، ثم تتابعت الوفود في السنة العاشرة والحادية عشرة للهجرة، تريد الدخول في الإسلام : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦ – ٣٧] .

- **فقه تدفق الوفود إلى المدينة :**

في أخبار وفود القبائل على رسول الله ﷺ دليل واضح على مدى انتشار الإسلام في جزيرة العرب في حياة الرسول ﷺ،وبرهان على اهتمام الناس بهذا الأمر،وعلامة على توحيد جزيرة العرب تحت راية الإسلام، والتسليم لدولة الإسلام في المدينة النبوية .

وفي تدفق هذه الوفود من جهات الأرض على المدينة، وإعلان إسلامها وإستسلامها، دليل قاطع على وفاء الله بوعده النصر الذي وعد به نبيه ﷺ : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج/ ٤٠-٤١] .

وفي استقبال هذه الوفود وإكرامها وضيافتها وإعطائها العطايا ، دليل على سماحة الإسلام، وعنايته بممثلي الشعوب والقبائل الذين وفدوا إلى دار الإسلام، واستقبالهم في بيوت الله ، إكراماً لهم ، ورجاء هدايتهم، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

٥- وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

توفيت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ،وزوج عثمان رضي الله عنه،في أواخر السنة التاسعة للهجرة.

عن أُمِّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَنَحْنُ نَغْسِلُ ابْنَتَهُ، فَقَالَ: «اغْسِلْنَهَا ثَلاثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ، بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي» فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ فَالقَى إِلَيْنَا حَقْوَهُ، فَقَالَ: «أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ». متفق عليه [(١)].

وحزن رسول الله ﷺ على ابنته أم كلثوم رضي الله عنها ، حتى تحدر الدمع من عينيه ، لكمال رحمته ، وشدة شفقته ﷺ .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ الله ﷺ، قَالَ وَرَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ عَلَى القَبْرِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ، قَالَ: فَقَالَ: «هَلْ مِنْكُمْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ؟» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا، قَالَ: «فَانْزِلْ» قَالَ: فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا. أخرجه البخاري[(٢)].

وبموت أم كلثوم رضي الله عنها، لم يبق من بنات الرسول ﷺ إلا فاطمة رضي الله عنها.

٦- وفاة عبد الله بن أبي بن سلول

في شهر ذي القعدة ، من السنة التاسعة للهجرة ، توفي عبد الله بن أبي بن سلول، رأس المنافقين، ورأس أعداء الدين، بعد أن مرض عشرين ليلة.

فلما مات عبد الله بن أبي بن سلول جاء إبنه عبد الله رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فأخبره بوفاة أبيه ، وسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ، فأعطاه إياه.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: لمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ الله بْنُ عَبْدِ الله إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَتُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّمَا خَيَّرَنِي الله فَقَالَ: " اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً " وَسَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ » قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: " وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ". متفق عليه [(٣)].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٥٣)، ومسلم برقم (٩٣٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٢٨٥).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٦٩)، ومسلم برقم (٢٧٧٤).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لمَّا مَاتَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ الله ﷺ وَثَبْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ، وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ: «أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ» فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ: «إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُّ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرْ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا» قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةَ: " وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا " إِلَى قَوْلِهِ " وَهُمْ فَاسِقُونَ " قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَالله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. أخرجه البخاري[1].

● **لماذا صلى الرسول ﷺ على عبد الله بن أُبي ؟**

لاتجوز الصلاة على مشرك أو منافق ، إنما صلى رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي إجراء له على ظاهر حكم الإسلام، ولأنه لم يُنه عن الصلاة عليه ، بل خيَّره ربه ، ولما في ذلك من إكرام ولده الذي تحققت صلاحيته ، ومصلحة الاستئلاف لقومه ، ودفع المفسدة التي قد تحصل من بعض قبيلته ، خاصة أن ذلك حصل قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين الذي نزل بعد الصلاة عليه كما قال سبحانه :

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة/ ٨٤].

٧- حج أبي بكر الصديق بالناس

في آخر شهر ذي القعدة ، من السنة التاسعة للهجرة ، بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ أميراً على الحج ، ليقيم للمسلمين حجهم .

وبقى الرسول ﷺ في المدينة يتابع الدعوة ، ويُعلِّم المسلمين دينهم ، ويستقبل الوفود التي جاءت لتعلن إسلامها أمام الرسول ﷺ في المدينة .

ولم يرغب الرسول ﷺ بالخروج إلى الحج في تلك السنة ، لكراهته الإختلاط بأهل الشرك الذين ينسكون بغير التوحيد ، وربما طاف بعضهم بالبيت عراة ، ولم يكن لرسول الله ﷺ أن يصدهم عن البيت ، للعقود التي بينه وبينهم .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٧١).

فخرج أبو بكر الصديق ﷺ في ثلاثمائة رجل من المدينة ، وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة ، قلدها وأشعرها بيده الشريفة ، واستعمل عليها ناجية بن جندب الأسلمي ﷺ ، وساق أبو بكر ﷺ خمس بدنات.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أَنَا فَتَلْتُ قَلائِدَ هَدْيِ رَسُولِ الله ﷺ بِيَدَيَّ، ثُمَّ قَلَّدَهَا رَسُولُ الله ﷺ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ بَعَثَ بِهَا مَعَ أَبِي، فَلَمْ يَحْرُمْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ شَيْءٌ أَحَلَّهُ الله لَهُ حَتَّى نُحِرَ الهَدْيُ. متفق عليه [(1)].

فلما خرج أبو بكر ﷺ من المدينة ، نزل الوحي على رسول الله ﷺ بسورة براءة ، فبعث ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ ليعلنها على الناس في الحج ، لأن عادة العرب جرت أنه لا ينقض العهد إلا من عقده ، أو مَنْ هو مِنْ أهل بيته ، فبعث علياً لكونه ابن عمه من عصبته، فلما كان أبو بكر ﷺ في الطريق إلى مكة ، سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ القصواء ، فظن أبو بكر أنه رسول الله ﷺ ، فإذا هو علي ﷺ.

فقال له أبو بكر ﷺ : أمير أنت أم رسول ؟فقال علي ﷺ : لا ، بل رسول ، ثم دفع إلى أبي بكر كتاب رسول الله ﷺ ، فأمَّره على الموسم ، وأمَّر علياً ﷺ أن ينادي في الحج ببعض الأمور .

ثم مضى أبو بكر ﷺ فأقام للناس الحج ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي ﷺ ، فأذن بالذي أمره رسول الله ﷺ وهو :

لا يحجن بعد هذا العام مشرك .. ولا يطوف بالبيت عريان .. ولا يدخل الجنة إلا مؤمن .. ومن كان له عهد فعهده إلى مدته .. ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ، فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله كما قال سبحانه :

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ (٢) وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٤) ﴾ [التوبة/ ١ – ٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٧٠٠)، ومسلم برقم (١٣٢١)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَتِ المَرْأَةُ تَطُوفُ بِالبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ، فَتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا؟ تجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا، وَتَقُولُ:

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ " خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ". أخرجه مسلم [1].

وبعث أبو بكر ﷺ أبا هريرة ﷺ في ناس معه، فأذّنوا مع علي ﷺ في الناس بما أمره به ﷺ.

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ بَعَثَهُمْ يَوْمَ النَّحْرِ يُؤَذِّنُونَ بِمِنًى، أَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفَ بِالبَيْتِ عُرْيَانٌ، ثم أَرْدَفَ رَسُولُ الله ﷺ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ يَوْمَ النَّحْرِ فِي أَهْلِ مِنًى بِبَرَاءَةَ، وَأَنْ لاَ يحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفَ بِالبَيْتِ عُرْيَانٌ. أخرجه البخاري [2].

عَنْ مُحَرَّرِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ أَبِيهِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِبَرَاءَةٌ. فَقَالَ: مَا كُنْتُمْ تُنَادُونَ؟ قَالَ: كُنَّا نُنَادِي: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ عَهْدٌ، فَإِنَّ أَجَلَهُ أَوْ أَمَدَهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا مَضَتِ الأَرْبَعَةُ الأَشْهُرِ فَإِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، وَلَا يحُجُّ هَذَا البَيْتَ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ. قَالَ: فَكُنْتُ أُنَادِي حَتَّى صَحِلَ صَوْتِي. أخرجه أحمد [3].

- **فقه حجة أبي بكر ﷺ :**

كانت حجة أبي بكر الصديق ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة بأمر الرسول ﷺ، بمثابة التوطئة للحجة الكبرى ، وهي حجة الوداع التي حجها النبي ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة ، بعد أن قضى الإسلام على معالم الشرك في مكة نهائياً ، وطهر الله بيته من الأصنام ، وحفظ للبيت قدسيته وحرمته ، فحج رسول الله ﷺ ومن آمن به، ولم يحج معه أحد من المشركين في حجة الوداع : ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴿١١٥﴾ ﴾[الأنعام/ ١١٥].

* * * * *

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٠٢٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٦٥٥).
(٣) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٧٩٧٧).

البــاب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة العاشرة من الهجرة

الغزوات والسرايا والأحداث الهامة في السنة العاشرة من الهجرة

وتشتمل على ما يلي :

١- بعث معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري إلى اليمن

٢- وفاة إبراهيم ابن الرسول ﷺ

٣- وفود السنة العاشرة للهجرة : وتشمل:

١- وفد كندة

٢- وفد حضرموت

٣- وفد مذحج

٤- بعث علي بن أبي طالب إلى اليمن

٥- حجة الوداع

٦- ظهور مدعي النبوة: ويشمل:

١- تنبؤ مسيلمة الكذاب

٢- تنبؤ الأسود العنسي

٣- تنبؤ طليحة بن خويلد الأسدي

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السرايا والغزوات والأحداث الهامة في السنة العاشرة من الهجرة

السنة العاشرة من الهجرة

١ - بعث معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري إلى اليمن

دخلت السنة العاشرة للهجرة والرسول ﷺ يستقبل الوفود، ويبعث البعوث ، ويرسل السرايا ، ويبعث الدعاة إلى قبائل العرب يدعونهم إلى الإسلام، ويفقهونهم في الدين. فقد بعث رسول الله ﷺ سنة عشر من الهجرة قبل حجة الوداع ، معاذ بن جبل ، وأبا موسى الأشعري ، رضي الله عنهما، إلى اليمن، وأمرهما أن يعلما الناس القرآن ، وأمور دينهم .

واستعمل ﷺ كل واحد منهم على مخلاف من أقاليم اليمن ، واليمن مخلافان: فكانت جهة معاذ رضي الله عنه العليا إلى جهة عدن ، وكانت جهة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه السفلى .

ولما بعثهما ﷺ أوصاهما فقال لهما: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا» متفق عليه[(١)].

وعن أبي بردة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إلى اليَمَنِ، فَأَمَرَهُمَا أَنْ يُعَلِّمَا النَّاسَ القُرْآنَ. أخرجه أحمد[(٢)].

ثم سأل أبو موسى رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن شراب يفعله أهل اليمن ، فأفتاه بحكمه .

عن أبي بردة قال: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ جَدَّهُ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذًا إلى اليَمَنِ، فَقَالَ: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا»، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: يَا نَبِيَّ الله إِنَّ أَرْضَنَا بِهَا شَرَابٌ مِنَ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٠٣٨)، ومسلم برقم (١٧٣٣).
(٢) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (١٩٥٤٤).

الشَّعِيرِ المِزْرُ، وَشَرَابٌ مِنَ العَسَلِ البِتْعُ، فَقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ». فَانْطَلَقَا، فَقَالَ مُعَاذٌ لِأَبِي مُوسَى: كَيْفَ تَقْرَأُ القُرْآنَ؟ قَالَ: قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى رَاحِلَتِي، وَأَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا، قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي، وَضَرَبَ فُسْطَاطًا، فَجَعَلاَ يَتَزَاوَرَانِ، فَزَارَ مُعَاذٌ أَبَا مُوسَى فَإِذَا رَجُلٌ مُوثَقٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو مُوسَى: يَهُودِيٌّ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ، فَقَالَ مُعَاذٌ: لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ . أخرجه البخاري[1].

- **وصية الرسول ﷺ لمعاذ ﷺ:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إلى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله حِجَابٌ» متفق عليه[2].

- **توديع الرسول ﷺ لمعاذ ﷺ:**

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ لمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ الله ﷺ إلى اليَمَنِ خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ الله ﷺ يُوصِيهِ وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ الله ﷺ يَمْشِي تحْتَ رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: « يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أنَ تمَرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا، وَقَبْرِي ». فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ الله ﷺ ، ثُمَّ التَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ المَدِينَةِ فَقَالَ: « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي المُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا» أخرجه أحمد[3].

ولم يزل معاذ ﷺ والياً على اليمن إلى أن قدم في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ بعد وفاة الرسول ﷺ ، ووافي السنة التي حج فيها عمر بن الخطاب ﷺ ، وقد استعمله أبو بكر الصديق ﷺ على الحج .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣٤٤).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم(١٤٩٦)، ومسلم برقم (١٩).
(٣) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (٢٢٠٥٢).

٢- وفاة إبراهيم ابن الرسول ﷺ

توفي إبراهيم ابن الرسول ﷺ لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول ، من السنة العاشرة للهجرة ، عند مرضعته أم سيف ، وكان عمره ستة عشر شهراً .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ : «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لمَحْزُونُونَ» متفق عليه [(١)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي المَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ البَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ.

قَالَ عَمْرٌو: فَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلَانِ رَضَاعَهُ فِي الجَنَّةِ» أخرجه مسلم [(٢)].

ولما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، أمر ﷺ أن يدفن بالبقيع في المدينة.

عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَهُوَ ابْنُ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُدْفَنَ فِي البَقِيعِ وَقَالَ: « إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا يُرْضِعُهُ فِي الجَنَّةِ». أخرجه أحمد [(٣)].

وكان ﷺ أرضى الخلق عن الله في قضائه ،وأقواهم صبراً ، وأعظمهم حمداً له عند المصيبة ، وبكى مع ذلك يوم موت ابنه إبراهيم ، رأفة منه ، ورحمة للولد ، ورقة عليه، وقلبه ﷺ ممتلئ بالرضا عن الله ﷻ وشكره، واللسان مشتغل بذكر الله وحمده.

ولما توفي ابنه إبراهيم لم يصل عليه الرسول ﷺ ، وقد انكسفت الشمس يوم موت إبراهيم ﷺ ، فاشتغل بصلاة الكسوف عن الصلاة عليه، أو أنه استغنى ببنوة رسول الله

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم(١٣٠٣)، ومسلم برقم (٢٣١٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٦).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٨٥٥٠).

ﷺ عن قربة الصلاة التي هي شفاعة له، كما استغنى الشهيد بشهادته عن الصلاة عليه، والله أعلم.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَقَدْ تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ رَسُولِ الله وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ. أخرجه أحمد[1].

- **كسوف الشمس يوم موت إبراهيم:**

عن المغيرة بن شعبة قال: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله، لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا، فَادْعُوا الله وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ» متفق عليه[2].

---

(١) **حسن**/ أحمد برقم (٢٦٣٠٥).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٠٦٠)، ومسلم برقم (٩١٥).

٣-وفود السنة العاشرة للهجرة

١-وفد كندة

قدم على الرسول ﷺ في المدينة ثمانون رجلاً من قبيلة كندة، وكانت منازلهم باليمن،وكان على رأسهم الأشعث بن قيس، وكان ذلك في السنة العاشرة من الهجرة.
عن الأَشْعَث بْن قَيْسٍ ﷺ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فِي وَفْدِ كِنْدَةَ، فَقَالَ لِي: «هَلْ لَكَ مِنْ وَلَدٍ؟ » قُلْتُ: غُلَامٌ وُلِدَ لِي فِي مخرَجِي إِلَيْكَ مِنَ ابْنَةِ جَمْدٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ مَكَانَهُ شَبعَ القَوْمُ، قَالَ: « لَا تَقُولَنَّ ذَلِكَ، فَإِنَّ فِيهِمْ قُرَّةَ عَيْنٍ وَأَجْرًا إِذَا قُبِضُوا، ثُمَّ لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ، إِنَّهُمْ لمَجْبَنَةٌ محَزْنَةٌ، إِنَّهُمْ لمَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ» أخرجه أحمد[١].
وكان الأشعث بن قيس سيداً مطاعاً في الجاهلية ، وجيهاً في الإسلام ، وقد ارتد عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ ، وشهد بعد ذلك مع سعد بن أبي الوقاص ﷺ القادسية ، والمدائن ، وجلولاء ، ومات بالكوفة ﷺ سنة أربعين أو اثنتين وأربعين.

٢- وفد حضرموت

قدم وفد حضرموت على رسول الله ﷺ مع وفد كندة، وكان فيهم وائل بن حُجْر ﷺ، وكان أحد الأشراف من أبناء الملوك.
وفي طريق الوفد إلى المدينة أخذ عدو لهم وائل بن حجر ، فحلف أحدهم ، وهو سويد بن الحنظلية أنه أخوه ، فخلى سبيله.
عن سُوَيْدِ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ: خَرَجْنَا نُرِيدُ رَسُولَ الله ﷺ ، وَمَعَنَا وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ، فَأَخَذَهُ عَدُوٌّ لَهُ، فَتَحَرَّجَ النَّاسُ أَنْ يَحْلِفُوا، وَحَلَفْتُ أَنَّهُ أَخِي، فَخَلَّى عَنْهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ الله ﷺ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: « أَنْتَ كُنْتَ أَبَرَّهُمْ وَأَصْدَقَهُمْ، صَدَقْتَ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ» أخرجه أحمد[٢].

ولما وصل الوفد إلى المدينة، رحب بهم رسول الله ﷺ، وأقطع وائل بن حجر ﷺ أرضاً.
عن وائل بن حجر ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَقْطَعَهُ أَرْضًا، قَالَ: فَأَرْسَلَ مَعِي مُعَاوِيَةَ أَنْ أَعْطِهَا إِيَّاهُ. أَوْ قَالَ: أَعْلِمْهَا إِيَّاهُ. قَالَ: فَقَالَ لِي مُعَاوِيَةُ: أَرْدِفْنِي خَلْفَكَ، فَقُلْتُ: لَا تَكُونُ

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢١٨٤٠).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٦٧٢٦).

مِنْ أَرْدَافِ المُلُوكِ، قَالَ: فَقَالَ: أَعْطِنِي نَعْلَكَ، فَقُلْتُ: انْتَعِلْ ظِلَّ النَّاقَةِ، قَالَ: فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ مُعَاوِيَةُ أَتَيْتُهُ، فَأَقْعَدَني مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَذَكَّرَنِي الحَدِيثَ فَقَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ حَمَلْتُهُ بَيْنَ يَدَيَّ. أخرجه أحمد(١).

وكان وائل بن حجر ﷺ حين قدم على رسول الله ﷺ حريصاً على تعلم الدين.

عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ الحَضْرَمِيِّ ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: لَأَنْظُرَنَّ كَيْفَ يُصَلِّي، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، فَكَبَّرَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى كَانَتَا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ شِمَالَهُ بِيَمِينِهِ ، قَالَ: فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى كَانَتَا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، فَلَمَّا رَكَعَ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى كَانَتَا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، فَلَمَّا سَجَدَ وَضَعَ يَدَيْهِ مِنْ وَجْهِهِ، بِذَلِكَ المَوْضِعِ، فَلَمَّا قَعَدَ افْتَرَشَ رِجْلَهُ اليُسْرَى، وَوَضَعَ يَدَهُ اليُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ اليُسْرَى، وَوَضَعَ حَدَّ مِرْفَقِهِ عَلَى فَخِذِهِ اليُمْنَى، وَعَقَدَ ثَلَاثِينَ، وَحَلَّقَ وَاحِدَةً، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ. أخرجه أحمد(٢).

٣- وفد مذحج

قدم وفد مذحج على الرسول ﷺ في المدينة وكان فيهم هاني بن يزيد ﷺ.

عَنِ ابْنِ هَانِئٍ أَنَّ هَانِئًا لمَّا وَفَدَ إلى رَسُولِ الله ﷺ مَعَ قَوْمِهِ فَسَمِعَهُمْ يُكَنُّونَ هَانِئًا أَبَا الحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ الله ﷺ ، فقَالَ: «إِنَّ الله هُوَ الحَكَمُ وَإِلَيْهِ الحُكْمُ، فَلِمَ تُكَنَّى أَبَا الحَكَمِ»؟قَالَ: قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ رَضُوا بِي حَكَمًا فَأَحْكُمُ بَيْنَهُمْ، فقَالَ: «إِنَّ ذَلِكَ لحَسَنٌ، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ»؟، قَالَ شُرَيْحٌ، وَعَبْدُ الله، وَمُسْلِمٌ، قَالَ: «فَأَيُّهُمْ أَكْبَرُ»؟ قَالَ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ» فَدَعَا لَهُ وَلِوَلَدِهِ، فَلَمَّا أَرَادَ القَوْمُ الرُّجُوعَ إِلى بِلَادِهِمْ، أَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَرْضًا حَيْثُ أَحَبَّ فِي بِلَادِهِ، قَالَ أَبُو شُرَيْحٍ: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ يُوجِبُ لِيَ الجَنَّةَ، قَالَ: «طِيبُ الكَلَامِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطعَامِ» أخرجه ابن حبان والحاكم(٣).

(١) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (٢٧٢٣٩).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٨٨٥٠).
(٣) **صحيح**/ أخرجه ابن حبان برقم (٥٠٤)، وأخرجه الحاكم برقم (٧٠).

٤ - بعث علي بن أبي طالب إلى اليمن

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ﵁ إلى اليمن في شهر ربيع الأول، من السنة العاشرة للهجرة ثم في شهر رمضان ، من السنة العاشرة للهجرة ، بعث رسول الله ﷺ إلى اليمن علي بن أبي طالب ﵁ مكانه.

وأمر رسول الله ﷺ علياً ﵁ أن يقبض الخمس من خالد ﵁، ويعلمهم القرآن والإسلام، ويقضي بينهم، ويدعو أهل اليمن إلى الإسلام.

فقال علي ﵁ : يا رسول الله ، تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم ، ولا أدري ما القضاء ؟

فضرب رسول الله ﷺ بيده في صدر علي ﵁ ، ثم قال: «اللهم اهدِ قلبَه، وثبت لسانَه» أخرجه أحمد[١].

ثم أوصاه رسول الله ﷺ فقال له: « يا علي، إِذَا جلس إِلَيْكَ الخَصْمَانِ، فَلا تقضِ بينهما حتى تسمع من الآخَرِ ما سمعت من الأَوَّلِ ، فإنك إذا فعلتَ ذلك تبيَّن لكَ القضَاء» فَقَالَ عَلِيٌّ: فَمَا اختلف عليَّ قضاءٌ بعد. أخرجه أحمد[٢].

ثم قال الرسول ﷺ لعلي ﵁: «مُرْ أَصْحَابَ خَالِدٍ، مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَكَ فَلْيُعَقِّبْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُقْبِلْ» قال البراء: فَكُنْتُ فِيمَنْ عَقَّبَ مَعَهُ، قَالَ: فَغَنِمْتُ أَوَاقٍ ذَوَاتِ عَدَدٍ. أخرجه البخاري [٣].

فخرج علي ﵁ حتى أتى اليمن ، ليقبض خمس الغنائم التي غنمها خالد بن الوليد ﵁، فأتوا بغنائم وأطفال ونساء وغير ذلك ، فجعل علي ﵁ على الغنائم بريدة بن الحصيب ﵁، ثم بعث علي ﵁ بشيء من هذه الغنائم إلى رسول الله ﷺ في المدينة.

عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﵁ إلى رَسُولِ الله ﷺ مِنَ اليَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ، لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنِ حابسٍ، وَزَيْدِ الخَيْلِ، وَالرَّابِعُ: إِمَّا عَلْقَمَةُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلاَءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»أخرجه البخاري[٤].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٦٣٦).
(٢) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (٦٩٠).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٣٤٩).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٣٥١).

وظل علي ﷺ في اليمن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويدعوهم إليه ، وكتب إلى رسول الله ﷺ بذلك ، فأمره رسول الله ﷺ أن يوافيه بالموسم ، موسم الحج.

فرجع علي ﷺ فوافى رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع.

وقد نجح علي ﷺ في المهمة التي لم ينجح فيها خالد ﷺ ، فقد أقام خالد ﷺ ستة أشهر يدعو الناس إلى الإسلام فلم يجيبوه.

وعندما قدم علي إلى اليمن، ودعا همدان إلى الإسلام أجابوه جميعاً ، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فسجد، ثم رفع رأسه وقال: « السلام على همدان، السلام على همدان ».

٥- حجة الوداع

- **فقه تأخير فريضة الحج:**

لما تم ما أراده الله سبحانه من تطهير نفوس الأمة من شوائب الوثنية ، وعادات الجاهلية، ونوَّر قلوبها بنور التوحيد والإيمان ، وزين قلوبها وقوالبها بمحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق ، وملأ قلوبها بحب الله ورسوله ودينه.

وحصل ما أراده الله ﷻ من تطهير بيته الحرام من الرجس والأصنام والأوثان ، وتاقت نفوس المسلمين إلى حج بيت الله الحرام ، الذي منعهم المشركون من الطواف به ، ودنت ساعة الفراق ، وحان وقت وداع الأمة ، بعد أن أكمل الله لهم الدين ، وتهيأ البلد الحرام لاستقبال أهل التوحيد والإيمان،بعدجهاد طويل مرير مع أهل الكفر والأوثان، كانت ثمرته دخول الناس في دين الله أفواجاً، وزوال آثار الجاهلية والظلم والطغيان.

فأمر الله جل جلاله رسوله ﷺ أن يحج البيت ، بالجموع التي آمنت بالله ورسوله، ليلقى المسلمين ، ويعلمهم دينهم ومناسكهم ، ويؤدي الشهادة ، ويبلغ الأمانة، ويوصي الوصايا الكبرى ، ويأخذ من المسلمين العهد بالثبات والاستقامة والبلاغ، ويمحو آثار الجاهلية كلها ، ويطمسها، ويضعها تحت قدميه ، ويعلن ذلك كله في هذا الجمع العظيم ، في البلد الأمين : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة/ ٣].

فحج النبي ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة ، بعد أن بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وودع الأمة في هذه الحجة العظيمة.

وكانت حجته ﷺ مدرسة متنقلة، ومسجداً سياراً،وروضة مباركة، يتعلم فيها الجاهل، ويُعلِّم فيها العالم ، وينتبه فيها الغافل ، ويقوى فيها الضعيف ، وينشط الكسلان ، ويتنافس فيها المتنافسون .

وكانت صحبته ﷺ سحابة رحمة ، تغشى من معه في الحل والترحال : ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾[التوبة/ ١٢٨].

حجة الوداع من البداية إلى النهاية

في شهر ذي القعدة ، من السنة العاشرة للهجرة ، أُذن في الناس أن رسول الله ﷺ حاج هذا العام ، فقدم المدينة بشر كثير ، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ، ويعمل مثل عمله، فلم يبق أحد يقدر على أن يأتي راكباً أو راجلاً إلا قدم ، ليؤدي فريضة الحج مع رسول الله ﷺ .

وقد اشتملت حجته ﷺ من خروجه من المدينة إلى عودته إليها ، على أكثر من ألف مسألة شرعية ، سجلها أصحابه رضي الله عنهم تسجيلاً دقيقاً ، لا يوجد له نظير في رحلات الملوك والعظماء ، والعلماء والكبراء : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢] .

- **أسماء هذه الحجة المباركة :**

تسمى هذه الحجة المباركة حجة الإسلام؛ لأنه ﷺ لم يحج بعد فرض الحج غيرها .

وتسمى حجة البلاغ؛ لأن رسول الله ﷺ بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً ، وبلَّغهم فيها أصول الإسلام وقواعده ، وحملهم أمانة إبلاغ هذا الدين لغيرهم .

فلما بيَّن ذلك كله أنزل الله على رسوله ﷺ ، وهو واقف بعرفة : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[المائدة/ ٣] .

وتسمى حجة الوداع لأن الرسول ﷺ ودع الناس فيها ، ولم يحج بعدها .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِمِنًى: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْم هَذَا؟»، قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: «فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَلَدٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » أخرجه البخاري [(١)].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قال: وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الجَمَرَاتِ فِي الحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَذَا، وَقَالَ: «هَذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ» فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» وَوَدَّعَ النَّاسَ، فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الوَدَاعِ. أخرجه البخاري [(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم(١٧٤٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم(١٧٤٢).

- **خروج الرسول ﷺ للحج:**

خرج رسول الله ﷺ من المدينة للحج يوم السبت ، لخمس ليال بقين من ذي القعدة ، من السنة العاشرة للهجرة ، بعد أن ترجل - أي سرح شعره ، وادَّهن -، وبعد أن صلى الظهر بالمدينة أربعاً.

واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة أبا دجانة الساعدي رضي الله عنه ، ويقال سباع بن عرفطة الغفاري رضي الله عنه.

وقد خرج معه ﷺ من المدينة أكثر من مائة ألف حاج ، بالإضافة إلى من حج معه من مكة وما حولها ، والقادمين من اليمن مع علي رضي الله عنه ، حتى وصل عدد من حج معه من المدينة وغيرها أكثر من مائة وأربعة وعشرين ألف حاج.

وكانت نساؤه ﷺ كلهن معه في حجته.

- **خروجه ﷺ من المدينة إلى ذي الحليفة:**

خرج ﷺ من المدينة بعد أن صلى الظهر ، فوصل إلى ذي الحليفة ، وهي وادي العقيق ، قبل أن يصلي العصر ، فصلى فيها العصر ركعتين ، وصلى بها المغرب والعشاء ، ثم بات هناك حتى أصبح ، فصلى الصبح.

وطاف رسول الله ﷺ في تلك الليلة على نسائه التسع رضي الله عنهن.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ الله ﷺ فَيَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ، ثُمَّ يُصْبِحُ محْرِمًا يَنْضَخُ طِيبًا. متفق عليه(1).

فلما أصبح ﷺ قال لأصحابه: «أَتَاني اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المبُارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ» أخرجه البخاري(2).

- **بدء الإحرام:**

ثم اغتسل ﷺ لإحرامه ، وهذا الغسل غير غسل الجماع الأول ، ثم طيبته عائشة رضي الله عنها بيدها بذريرة ، وطيب فيه مسك ، في بدنه ورأسه ، حتى كان وبيص الطيب يرى في مفرق رأسه ولحيته وهو محرم.

ثم لبد ﷺ شعر رأسه حتى لا يشعث ، ثم تجرد في إزاره وردائه.

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم(٢٦٧)، ومسلم برقم (١١٩٢).
(2) أخرجه البخاري برقم (١٥٣٤).

ثم دعا ﷺ بهديه فأشعره وقلده ، وكان على هديه ناجية بن جندب الأسلمي رضي الله عنه.
ثم صلى النبي ﷺ الظهر في مسجد ذي الحليفة ، ثم أهل بالحج والعمرة في مصلاه ، وقرن بينهما.
عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يهل ملبدا يقول: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ ، لَا شَرِيكَ لَكَ» لا يزيد على هؤلاء الكلمات وإن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يقول : كان رسول الله ﷺ يركع بذي الحليفة ركعتين ثم إذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل بهؤلاء الكلمات. متفق عليه[١].
فيكون ﷺ قد صلى بذي الحليفة خمس صلوات، العصر والمغرب والعشاء والفجر والظهر ، وصلى التهجد وأوتر ، وصلى نافلة الفجر ، فكان إحرامه ﷺ بعد فريضة ونافلة ، وهذا أكمل أنواع الإحرام.
ثم خرج ﷺ فركب ناقته القصواء ، فأهل أيضاً.
عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: أَهَلَّ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ اسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ قَائِمَةً. أخرجه البخاري[٢].
ثم أهل لما استقلت به ناقته على ظهر البيداء.
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ بِالمَدِينَةِ أَرْبَعًا، وَبِذِي الحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ بَاتَ حَتَّى أَصْبَحَ بِذِي الحُلَيْفَةِ، فَلَمَّا رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَاسْتَوَتْ بِهِ أَهَلَّ. أخرجه البخاري [٣]..
فيكون ﷺ قد أهل في ثلاثة مواطن ، ليسمعه الناس ، فأهل في مصلاه ، وأهل حين ركب ناقته ، وأهل حين استقلت به في البيداء ، وكل واحد من الصحابة نقل ماسمع.
وفي ذي الحليفة ولدت أسماء بنت عميس رضي الله عنها، زوج أبي بكر الصديق رضي الله عنه، محمد بن أبي بكر.
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: نُفِسَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ بِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بِالشَّجَرَةِ، فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ أَبَا بَكْرٍ، «يَأْمُرُهَا أَنْ تَغْتَسِلَ وَتُهِلَّ» أخرجه مسلم[٤].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم(١٥٤٠)، ومسلم برقم (١١٨٤) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٥٥٢).
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٥٤٦).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٢٠٩).

- **تلبية رسول الله ﷺ:**

ولما أهل ﷺ بنسكه ، لبى بقوله: « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك »

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قال: إِنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ الله ﷺ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ. متفق عليه[1].

ويلبي كذلك بقوله: «لَبَّيْكَ إِلَهَ الحَقِّ» أخرجه أحمد[2].

فلبى ﷺ بذلك ، والناس يلبون معه بما قال ، ويزيدون ، لبيك ذا المعارج ، والنبي ﷺ يسمع ولم يقل شيئاً.

وجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وأمره أن يأمر أصحابه رضي الله عنهم برفع أصواتهم بالتلبية ، فإنها من شعائر الحج ، فأمرهم ﷺ ، فكانوا يرفعون أصواتهم بالتلبية ، حتى تبح أصواتهم.

- **مسير الرسول ﷺ إلى مكة:**

سار النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم من ذي الحليفة إلى مكة ، وفي الطريق حصلت بعض الأمور ، ومن ذلك:

١- شأن الماشي على قدميه:

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النبي ﷺ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ، قَالَ : «مَا بَالُ هَذَا؟»، قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ، قَالَ : «إِنَّ الله عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ»، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ. متفق عليه[3].

٢- حكم حج الصبي:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أن النَّبِيِّ ﷺ لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ، فَقَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟» قَالُوا: المُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «رَسُولُ الله»، فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا، فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ» أخرجه مسلم[4].

٣- شأن الصيد:

وعن عُمَير بْن سَلَمَةَ الضَّمْرِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَهْزٍ، أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يُرِيدُ مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي بَعْضِ وَادِي الرَّوْحَاءِ، وَجَدَ النَّاسُ حِمَارَ وَحْشٍ عَقِيرًا، فَذَكَرُوهُ لِلنَّبِيِّ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥٤٩)، ومسلم برقم (١١٨٤).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٨٤٩٧).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم(١٨٦٥)، ومسلم برقم (١٦٤٢).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٣٣٦).

ﷺ فَقَالَ: « أَقِرُّوهُ حَتَّى يَأْتِيَ صَاحِبُهُ » فَأَتَى الْبَهْزِيُّ، وَكَانَ صَاحِبَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَأْنُكُمْ بِهَذَا الْحِمَارِ؟ فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ فَقَسَمَهُ فِي الرِّفَاقِ، وَهُمْ مُحْرِمُونَ، قَالَ: ثُمَّ مَرَرْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالأُثَايَةِ إِذَا نَحْنُ بِظَبْيٍ حَاقِفٍ فِي ظِلٍّ فِيهِ سَهْمٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ حَتَّى يُجِيزَ النَّاسُ عَنْهُ. أخرجه أحمد(١).

وفي قصة الحمار الوحشي دليل على جواز أكل المحرم من صيد الحلال إذا لم يصده لأجله، وفي قصة الظبي دليل على منع المحرم من أكل صيد لم يُعلم أن من صاده حلال.

٤ - هدية الصعب بن جثامة:

واصل الرسول ﷺ طريقه إلى مكة ، فلما وصل إلى الأبواء أو ودَّان، أهدى له الصعب بن جثامة حماراً وحشياً فرده عليه.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا، وَهُوَ بِالأَبْوَاءِ، أَوْ بِوَدَّانَ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: «إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ» متفق عليه(٢).

- **نزول الرسول ﷺ بسَرِف:**

ثم وصل الرسول ﷺ إلى سرف ، وهي على عشره أميال من مكة ، ثم نزل بها ، ثم أذن لمن لم يسق الهدي ، ممن أحرم بالحج أن يجعلها عمرة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، وَلَيَالِي الْحَجِّ، وَحُرُمِ الْحَجِّ، فَنَزَلْنَا بِسَرِفَ، قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَعَهُ هَدْيٌ، فَأَحَبَّ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ فَلاَ» أخرجه البخاري(٣).

وفي سرف حاضت عائشة رضي الله عنها في اليوم الذي ندب رسول الله ﷺ أصحابه إلى فسخ الحج إلى العمرة لمن لم يكن معه هدي.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نَذْكُرُ إِلَّا الْحَجَّ، فَلَمَّا جِئْنَا سَرِفَ طَمِثْتُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟» قُلْتُ: لَوَدِدْتُ وَاللهِ أَنِّي لَمْ أَحُجَّ الْعَامَ، قَالَ: «لَعَلَّكِ نُفِسْتِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ ذَلِكِ شَيْءٌ كَتَبَهُ

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٥٧٤٤).
(٢) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (١٨٢٥)، ومسلم برقم (١١٩٣).
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٥٦٠).

اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَافْعَلِي مَا يَفْعَلُ الحَاجُّ، غَيْرَ أَنْ لاَ تَطُوفِي بِالبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي» أخرجه البخاري [١].

ولما وصلت عائشة رضي الله عنها إلى مكة ، وضاق عليها الوقت ، أمرها النبي ﷺ أن تُدخل الحج على العمرة ففعلت، فصارت قارنة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ فَأَهْلَلْنَا بِعُمْرَةٍ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيُهِلَّ بِالحَجِّ مَعَ العُمْرَةِ، ثُمَّ لاَ يَحِلَّ حَتَّى يَحِلَّ مِنْهُمَا جَمِيعًا » فَقَدِمْتُ مَكَّةَ وَأَنَا حَائِضٌ، وَلَمْ أَطُفْ بِالبَيْتِ، وَلاَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إلى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: « انْقُضِي رَأْسَكِ وَامْتَشِطِي وَأَهِلِّي بِالحَجِّ، وَدَعِي العُمْرَةَ »، فَفَعَلْتُ، فَلَمَّا قَضَيْنَا الحَجَّ أَرْسَلَنِي النَّبِيُّ ﷺ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ إلى التَّنْعِيمِ فَاعْتَمَرْتُ، فَقَالَ: «هَذِهِ مَكَانَ عُمْرَتِكِ» متفق عليه[٢].

- **مبيت رسول الله ﷺ بذي طوى:**

أكمل رسول الله ﷺ طريقه إلى مكة ، حتى نزل بذي طوى ، موضع عند باب مكة من جهة المدينة ، فلما وصل إلى ذي طوى قطع التلبية ، وبات بها ليلة الأحد ، لأربع ليال خلون من ذي الحجة، ثم أصبح فاغتسل وصلى بها الفجر، ثم نهض إلى مكة، فدخلها نهاراً من أعلاها، من كدا من الثنية العليا ، صباح يوم الأحد ، ونزل بالمسلمين بظاهر مكة عند الحجون.

- **دخول الرسول ﷺ المسجد الحرام:**

ثم أتى الرسول ﷺ المسجد الحرام ضحىً ، فدخله من جهة باب الكعبة.

ثم بدأ رسول الله ﷺ طوافه بالبيت بالحجر الأسود.

عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ جَاءَ إلى الحَجَرِ الأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ. متفق عليه [٣].

ثم طاف ﷺ بالبيت ماشياً ، فرمل ثلاثاً ، ومشى أربعاً ، يستلم الحجر الأسود والركن اليماني في كل طوافه ، وقد اضطبع بردائه ، فجعل وسطه تحت إبطه الأيمن ، وجعل طرفيه على كتفه الأيسر ، وأبدى كتفه الأيمن.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٥).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥٥٦)، ومسلم برقم (١٢١١).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥٩٧)، ومسلم برقم (١٢٧٠).

وكان ﷺ كلما حاذى الحجر الأسود ، وازدحم عليه الناس استلمه بيده ثم قبلها وكبر، أو استلمه بمحجنه وقبل المحجن وكبر.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ المُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ وَقَدْ وَهَنَهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ الثَّلاَثَةَ، وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ. أخرجه البخاري [(١)].

وكان ﷺ يدعو بين الركنين ، الأسود واليماني فيقول: « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ».

ولم يرد عن النبي ﷺ أنه قبل الركن اليماني، أو قبل يده عند استلامه، أواستلم غيرالركنين.

عَنْ ابن عمر رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ أَرَ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَلِمُ مِنَ البَيْتِ إِلَّا الرُّكْنَيْنِ اليَمَانِيَيْنِ. أخرجه البخاري[(٢)].

ولما فرغ رسول الله ﷺ من طوافه ، وطاف بالبيت سبعة أشواط ، جاء إلى خلف مقام إبراهيم ﷺ فقرأ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[البقرة/ ١٢٥] .

فصلى ركعتين ، والمقام بينه وبين الكعبة.

ولما فرغ من صلاته عاد إلى الحجر الأسود فاستلمه .

- **سعي الرسول ﷺ بين الصفا والمروة :**

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الصفا من الباب الذي يقابل الحجر الأسود ، فلما دنا من الصفا قرأ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة/ ١٥٨] .

ثم قال: أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره، وقال: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ».

ثم دعا رسول الله ﷺ بين ذلك ، فقال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل يمشي إلى المروة، حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي رمل ، وهو الآن مضاء بالنور الأخضر ، وقال لأصحابه: « لا يُقطع الوادي إلا سعياً ».

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٦٠٢).
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٦٠٩).

وقال ﷺ أيضاً: «اسْعَوْا فَإِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ» أخرجه أحمد(١).

حتى إذا جاوز الوادي ، مشى حتى أتى المروة ، فرقى عليها، واستقبل البيت ، فقال عليها ما قال على الصفا من الذكر والدعاء.

فطاف ﷺ في طواف القدوم ماشياً ، وسعى بين الصفا والمروة ماشياً ، وكان ﷺ لا يُضرب الناس بين يديه ، فلما كثر الناس بين يديه ركب.

- **فسخ الحج إلى العمرة:**

لما أكمل رسول الله ﷺ طوافه بالصفا والمروة سبعة أشواط ، وكان على المروة ، أمر من لم يكن معه هدي من أصحابه قارناً كان أو مفرداً ، أن يجعلها عمرة ، ويتحلل من إحرامه.

فقالوا: كيف نجعلها متعة، وقد سمينا الحج؟

فقال رسول الله ﷺ: «افْعَلُوا مَا أَمَرْتُكُمْ».

عن جَابِرُ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ حَجَّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ سَاقَ الْبُدْنَ مَعَهُ، وَقَدْ أَهَلُّوا بِالحَجِّ مُفْرَدًا، فَقَالَ لَهُمْ: «أَحِلُّوا مِنْ إِحْرَامِكُمْ بِطَوَافِ البَيْتِ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَقَصِّرُوا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَلاَلًا، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ فَأَهِلُّوا بِالحَجِّ، وَاجْعَلُوا الَّتِي قَدِمْتُمْ بِهَا مُتْعَةً»، فَقَالُوا: كَيْفَ نَجْعَلُهَا مُتْعَةً، وَقَدْ سَمَّيْنَا الحَجَّ؟

فَقَالَ: «افْعَلُوا مَا أَمَرْتُكُمْ، فَلَوْلاَ أَنِّي سُقْتُ الهَدْيَ لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي أَمَرْتُكُمْ، وَلَكِنْ لاَ يَحِلُّ مِنِّي حَرَامٌ حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ» فَفَعَلُوا. أخرجه البخاري(٢).

وقد ضاقت بذلك صدور الصحابة رضي الله عنهم ، وكبر عليهم فسخ الحج إلى العمرة؛ لأن المشركين كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور.

فأراد رسول الله ﷺ أن يبطل ما كانت تزعمه الجاهلية ، ولذلك شدد عليهم ، وغضب لما تلكأ بعض الصحابة رضي الله عنهم عن امتثال أمره ، وشدد عليهم ، لإزالة التحرج من نفوسهم عن فعل مشروع.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ العُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الحَجِّ مِنْ أَفْجَرِ الفُجُورِ فِي الأَرْضِ، وَيجْعَلُونَ المُحَرَّمَ صَفَرًا، وَيَقُولُونَ: إِذَا بَرَا الدَّبَرْ، وَعَفَا الأَثَرْ، وَانْسَلَخَ صَفَرْ، حَلَّتِ العُمْرَةُ لمَنِ اعْتَمَرْ، قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ صَبِيحَةَ رَابِعَةٍ مُهِلِّينَ

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٧٣٦٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٥٦٨).

بِالحَجِّ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهَا عُمْرَةً، فَتَعَاظَمَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الحِلِّ؟ قَالَ: حِلٌّ كُلُّهُ. أخرجه البخاري[1].

- **خطبة الرسول ﷺ في أصحابه:**

ثم قال رسول الله ﷺ للناس: «قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتْقَاكُمْ لله وَأَصْدَقُكُمْ وَأَبَرُّكُمْ، وَلَوْلَا هَدْيِي لَحَلَلْتُ كَمَا تَحِلُّونَ، وَلَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الهَدْيَ، فَحِلُّوا» فَحَلَلْنَا وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. متفق عليه[2].

فحل الناس كلهم إلا الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر وطلحة والزبير رضي الله عنهم ، وأهل اليسار ممن ساق الهدي ، وحل نساؤه ﷺ بعمرة إلا عائشة رضي الله عنها لم تحل من أجل حيضها.

ثم بعد أمره ﷺ أصحابه بفسخ الحج إلى العمرة سأله سراقة بن مالك فقال: يا رسول الله، عمرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟

فَشَبَّكَ رَسُولُ الله ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الأُخْرَى، وَقَالَ: « دَخَلَتِ العُمْرَةُ فِي الحَجِّ» مَرَّتَيْنِ «لَا، بَلْ لِأَبَدِ أَبَدٍ»متفق عليه[3].

- **إقامة الرسول ﷺ بمكة:**

عاد الرسول ﷺ بعد فراغه من طوافه بين الصفا والمروة ، حتى نزل بالأبطح ، شرق مكة ، فأقام هناك بقية يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء ، حتى صلى الصبح من يوم الخميس ، كل ذلك يصلي بأصحابه هناك.

ولم يعد ﷺ إلى الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ، فَطَافَ وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا، وَالمَرْوَةِ، وَلَمْ يَقْرَبِ الكَعْبَةَ بَعْدَ طَوَافِهِ بِهَا، حَتَّى رَجَعَ مِنْ عَرَفَةَ. أخرجه البخاري[4].

وترك النبي ﷺ الطواف تطوعاً بالبيت في تلك المدة خشية أن يظن الناس أنه واجب، وكان ﷺ يحب التخفيف على أمته.

وكان ﷺ مدة إقامته هناك إلى يوم التروية يقصر الصلاة ، ويصليها في أوقاتها بلا جمع.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٥٦٤).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣٦٧)، ومسلم برقم (١٢١٦).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٢٣٠)، ومسلم برقم (١٢١٨).

(٤) أخرجه البخاري برقم (١٦٢٥).

عن أبي جحيفة ﷺ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ بِالهَاجِرَةِ، فَأُتِيَ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ. متفق عليه[1].

وفي هذه الفترة قدم علي بن أبي طالب ﷺ من اليمن حاجاً ، وقدم بهدي من اليمن ، فكان مجموع الهدي الذي قدم به ، والهدي الذي أتى به رسول الله ﷺ ، مائة بدنة.

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ اليَمَنِ بِبُدْنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِمَّنْ حَلَّ، وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا، وَاكْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا، قَالَ: فَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ بِالعِرَاقِ: فَذَهَبْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ، مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ الله ﷺ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «صَدَقَتْ صَدَقَتْ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الحَجَّ؟» قَالَ قُلْتُ: اللهُمَّ إِنِّي أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ، قَالَ: «فَإِنَّ مَعِيَ الهَدْيَ فَلَا تحِلُّ» قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةُ الهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ اليَمَنِ، وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِائَةً، قَالَ: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا، إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ. أخرجه مسلم[2].

وقدم كذلك أبو موسى الأشعري من اليمن ، ورسول الله ﷺ بالبطحاء في مكة.

عن أبي مُوسَى الأَشْعَرِي ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ إلى أَرْضِ قَوْمِي، فَجِئْتُ وَرَسُولُ الله ﷺ مُنِيخٌ بِالأَبْطَحِ، فَقَالَ: «أَحَجَجْتَ يَا عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَبَّيْكَ إِهْلاَلًا كَإِهْلاَلِكَ، قَالَ: «فَهَلْ سُقْتَ مَعَكَ هَدْيًا» قُلْتُ: لَمْ أَسُقْ، قَالَ: «فَطُفْ بِالبَيْتِ، وَاسْعَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، ثُمَّ حِلَّ» متفق عليه[3].

- **الخروج إلى منى:**

فلما كان يوم التروية ، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، وكان يوم الخميس ضحى ، توجه رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين إلى منى، وقد أحرم بالحج من كان أحل منهم.

فلما وصل رسول الله ﷺ إلى منى نزل هناك ، وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، في أوقاتها قصراً ركعتين ، وبات بمنى تلك الليلة ، وكانت ليلة الجمعة ، وصلى بها الصبح ، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨٧)، ومسلم برقم (٥٠٣).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٤٦)، ومسلم برقم (١٢٢١).

- **توجه الرسول ﷺ إلى عرفة:**

فلما طلعت الشمس من يوم الجمعة ، نهض رسول الله ﷺ إلى عرفة ، وأمر أن تضرب له قبة من شعر بنمرة ، وهي خارج الحرم ، بين طرف الحرم ، وطرف عرفات.

فسار رسول الله ﷺ سالكاً طريق ضب ، وكان أصحابه منهم الملبي ، ومنهم المكبر ، وهو يسمع ذلك، ولا ينكر على هؤلاء، ولا على هؤلاء، فلما وصل إلى عرفة وجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها ، حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء فَرُحِّلت له ، ثم سار حتى أتى بطن الوادي من أرض عرنة ، فخطب الناس وهو على راحلته خطبة عظيمة جامعة ، قرر فيها قواعد الإسلام ، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية.

فقال ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه: « أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ».

«إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلى السَّمَاءِ، وَيَنْكُتُهَا إِلى النَّاسِ:«اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. أخرجه مسلم[1].

فلما فرغ رسول الله ﷺ من خطبته، أَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى العَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، حَتَّى أَتَى المَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ القَصْوَاءِ إِلى الصَّخَرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ المُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. أخرجه مسلم[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).

• **هل صام الرسول ﷺ وهو في عرفة ؟**

عَنْ أُمِّ الفَضْلِ بِنْتِ الحَارِثِ رضي الله عنها أَنَّ نَاسًا تَمَارَوْا عِنْدَهَا يَوْمَ عَرَفَةَ فِي صَوْمِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ صَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِصَائِمٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِقَدَحِ لَبَنٍ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى بَعِيرِهِ، فَشَرِبَهُ. متفق عليه[1].

وعَنْ مَيْمُونَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ النَّاسَ شَكُّوا فِي صِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِحِلاَبٍ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي المَوْقِفِ فَشَرِبَ مِنْهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ. متفق عليه[2].

وأمر رسول الله ﷺ الناس أن يرتفعوا عن بطن عرنة.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:« عَرَفَةُ كلها مَوْقِفٌ، وَارْفعُوا عَنْ بَطْنِ عُرَنَةَ» أخرجه أحمد والطحاوي[3].

• **كثرة العتقاء من النار يوم عرفة:**

عن عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ المَلاَئِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟» أخرجه مسلم[4].

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ الله مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ»، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، هُنَّ أَفْضَلُ أَمْ عِدَّتُهُنَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِ الله، قَالَ: «هُنَّ أَفْضَلُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِ الله، وَمَا مِنْ يوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ الله مِنْ يومِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ الله إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إلى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ جَاؤا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحمَتِي، وَلمَ يَرَوْا عَذَابِي، فَلَمْ يُرَ يَوْمٌ أَكْثَرُ عِتْقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يوْمِ عَرَفَةَ» أخرجه ابن حبان[5].

• **إكمال الدين :**

نزل على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة/ ٣] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٩٨٨)، ومسلم برقم (١١٢٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٩٨٩)، ومسلم برقم (١١٢٤).

(٣)**صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٦٧٥١)، وأخرجه الطحاوي برقم (١١٩٤).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٣٤٨).

(٥) **صحيح/** أخرجه ابن حبان برقم (٣٨٥٣).

فلما سمعها عمر بن الخطاب ﷺ بكى ، وكأنه استشعر منها وفاة النبي ﷺ ، فإن فيها نعي رسول الله ﷺ، فقد مات ﷺ بعد نزولها بنحو ثمانين يوماً .

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ أَنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَؤُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: " اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا " قَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ.متفق عليه[1].

أما آخر آية نزلت من القرآن فهي قوله سبحانه : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾ [البقرة/ ٢٨١] .

وقد مكث النبي ﷺ بعد نزولها تسع ليال ثم مات .

- **إفاضة الرسول ﷺ من عرفة إلى المزدلفة :**

لما غابت الشمس من يوم عرفة ، واستحكم غروبها ، وغاب قرص الشمس ، أفاض رسول الله ﷺ من عرفة إلى المزدلفة سالكاً طريق المأزمين ، وهو يلبي في مسيره ، وقد أردف أسامة بن زيد خلفه ، وأفاض رسول الله ﷺ بالسكينة ، وقد ضم إليه زمام ناقته ، حتى إن رأسها ليصيب طرف رحله .

عن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلْإِبِلِ فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ» أخرجه البخاري[2].

وجعل رسول الله ﷺ يسير العنق ، فإذا وجد فجوة نص– أي أسرع –، وكلما أتى حبلاً من الحبال ، وهو الرمل الممتد ، أرخى للناقة زمامها قليلاً حتى تصعد .

فلما كان ﷺ في الطريق عند الشعب ، وهو ما انفرج بين جبلين ، نزل ﷺ ، فبال وتوضأ وضوءاً خفيفاً ، فقال له أسامة بن زيد ﷺ: الصلاة يا رسول الله ، فقَالَ: «الصَّلاَةُ أَمَامَكَ» متفق عليه[3].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٥)، ومسلم برقم (٣٠١٧).
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٦٧١).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٦٦٩)، ومسلم برقم (١٢٨٠).

- **الجمع بين المغرب والعشاء في المزدلفة:**

عنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قال: دَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ عَرَفَةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشِّعْبِ نَزَلَ فَبَالَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَلَمْ يُسْبِغِ الوُضُوءَ فَقُلْتُ الصَّلاَةَ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: «الصَّلاَةُ أَمَامَكَ» فَرَكِبَ، فَلَمَّا جَاءَ المُزْدَلِفَةَ نَزَلَ فَتَوَضَّأَ، فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَصَلَّى المَغْرِبَ ثُمَّ أَنَاخَ كُلُّ إِنْسَانٍ بَعِيرَهُ فِي مَنْزِلِهِ، ثُمَّ أُقِيمَتِ العِشَاءُ فَصَلَّى، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا. أخرجه البخاري[1].

ثم رقد ﷺ ، ولم يصح عنه في إحياء تلك الليلة شيء، لكنه ﷺ صلى التهجد ثم أوتر، ثم أذن رسول الله ﷺ لضعفة أهله من النساء والصبيان وغيرهم من الضعفاء أن يفيضوا إلى منى بعد غيبوبة القمر.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: نَزَلْنَا المُزْدَلِفَةَ فَاسْتَأْذَنَتِ النَّبِيَّ ﷺ سَوْدَةُ، أَنْ تَدْفَعَ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَكَانَتِ امْرَأَةً بَطِيئَةً، فَأَذِنَ لَهَا، فَدَفَعَتْ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَأَقَمْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا نَحْنُ، ثُمَّ دَفَعْنَا بِدَفْعِهِ، فَلأَنْ أَكُونَ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ الله ﷺ كَمَا اسْتَأْذَنَتْ سَوْدَةُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ. متفق عليه[2].

وعن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قال: أَنَا مِمَّنْ قَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ المُزْدَلِفَةِ فِي ضَعَفَةِ أَهْلِهِ. متفق عليه[3].

- **وقوف النبي ﷺ بالمشعر الحرام:**

لما طلع الفجر من ليلة النحر بالمزدلفة قام رسول الله ﷺ فصلى بالناس الصبح مغلساً بأذان وإقامة يوم النحر ، وهو يوم الحج الأكبر ، ثم ركب رسول الله ﷺ ناقته القصواء، حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، ودعا الله وهلله وكبر ووحده ، ولم يزل واقفاً حتى أسفر جداً ، وذلك قبل طلوع الشمس.

وأخبر رسول الله ﷺ الناس حين وقف على المشعر الحرام أن المزدلفة كلها موقف ، فقال: « وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ» أخرجه مسلم[4].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٩).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦٨١)، ومسلم برقم (١٢٩٠).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦٧٨)، ومسلم برقم (١٢٩٣).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).

• **سؤال عروة بن مضرس:**

عن عُرْوَةَ بْنِ مُضَرِّسٍ ﷺ أَنَّهُ حَجَّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَلَمْ يُدْرِكِ النَّاسَ إِلَّا لَيْلًا وَهُوَ بِجَمْعٍ، فَانْطَلَقَ إلى عَرَفَاتٍ فَأَفَاضَ مِنْهَا، ثُمَّ رَجَعَ فَأَتَى جَمْعًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتْعَبْتُ نَفْسِي، وَأَنْضَيْتُ رَاحِلَتِي، فَهَلْ لِي مِنْ حَجٍّ؟ فَقَالَ: « مَنْ صَلَّى مَعَنَا صَلَاةَ الغَدَاةِ بِجَمْعٍ، وَوَقَفَ مَعَنَا، حَتَّى نُفِيضَ، وَقَدْ أَفَاضَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ عَرَفَاتٍ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ، وَقَضَى تَفَثَهُ» أخرجه أحمد(١).

• **جمع رسول الله ﷺ حصى الجمار:**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ غَدَاةَ جَمْعٍ: « هَلُمَّ القُطْ لِي » فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ: « نَعَمْ، بِأَمْثَالِ هَؤُلاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالغُلُوِّ فِي الدِّينِ» أخرجه أحمد(٢).

• **إفاضة الرسول ﷺ إلى منى:**

ثم دفع رسول الله ﷺ من المشعر الحرام قبل أن تطلع الشمس ، مخالفاً للمشركين الذين لا يفيضون إلى منى حتى تطلع الشمس ، وأردف حوله الفضل بن عباس رضي الله عنهما.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَانَ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ إلى المُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ أَرْدَفَ الفَضْلَ مِنَ المُزْدَلِفَةِ إلى مِنًى، قَالَ: فَكِلاَهُمَا قَالاَ: لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ. أخرجه البخاري(٣).

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ لَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا، حَتَّى غَابَ القُرْصُ وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ اليُمْنَى : «أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ»، كُلَّمَا أَتَى حَبْلًا مِنَ الحِبَالِ أَرْخَى لهَا قَلِيلًا حَتَّى تَصْعَدَ ، حَتَّى أَتَى المُزْدَلِفَةَ فَصَلَّى بِهَا المَغْرِبَ وَالعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ ، وَصَلَّى الفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ، ثُمَّ

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٦٢٠٩).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٨٥١).
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٦٨٦).

رَكِبَ القَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى المَشْعَرَ الحَرَامَ ، فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، وَأَرْدَفَ الفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ مَرَّتْ بِهِ ظُعُنٌ يَجْرِينَ، فَطَفِقَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ ، فَوَضَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الفَضْلِ، فَحَوَّلَ الفَضْلُ وَجْهَهُ إلى الشِّقِّ الآخَرِ يَنْظُرُ، فَحَوَّلَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ عَلَى وَجْهِ الفَضْلِ، يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ يَنْظُرُ، حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ فَحَرَّكَ قَلِيلًا. أخرجه مسلم(١).

- **سؤال المرأة عن أمها:**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تحُجَّ فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تحُجَّ أَفَأَحُجَّ عَنْهَا؟ قَالَ: « نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: « اقْضُوا اللهَ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللهَ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ» أخرجه مسلم(٢).

- **وصول الرسول ﷺ إلى وادي محسر:**

وكان رسول الله ﷺ يسير سيراً ليناً، وعليه السكينة، فلما أتى محسراً، حرك ناقته قليلاً. ولما أوضع رسول الله ﷺ في وادي محسر قال للناس: « عليكم بحصى الخذف الذي يرمى به الجمرة » ثم أمرهم بالسكينة في مسيرهم.

عنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: دَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَأَوْضَعَ فِي وَادِي مُحَسِّرٍ، فَأَرَاهُمْ مِثْلَ حَصَى الخَذْفِ، وَأَمَرَهُمْ بِالسَّكِينَةِ، وَقَالَ:« لِتَأْخُذْ أُمَّتِي مَنْسَكَهَا، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا الْقَاهُمْ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا » أخرجه أحمد(٣).

- **وصول الرسول ﷺ إلى منى:**

لما وصل ﷺ إلى منى سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة ، وكان يلبي في مسيره ذلك حتى شرع في الرمي.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْدَفَ الفَضْلَ، فَأَخْبَرَ الفَضْلُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى الجَمْرَةَ. أخرجه البخاري(٤).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨٥٢).
(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٤٥٥٣).
(٤) أخرجه البخاري برقم (١٦٨٥).

ولما وصل ﷺ جمرة العقبة ، وهي الجمرة الكبرى ، وقف في أسفل الوادي ، وجعل البيت عن يساره ، ومنى عن يمينه ، واستقبل الجمرة ، وهو على راحلته ، وكان الوقت ضحى ، فرماها ﷺ من بطن الوادي بسبع حصيات مثل حصى الخذف ، يكبر مع كل حصاة منها .

عن جابر رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» أخرجه مسلم[1].

وعَنْ أُمِّ الحُصَيْنِ رضي الله عنها قالت: حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَجَّةَ الوَدَاعِ فَرَأَيْتُهُ حِينَ رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ. أخرجه مسلم[2].

وازدحم الناس عند الرمي ، فأمرهم الرسول ﷺ بالروية في الرمي.

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ عَنْ أُمِّهِ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَرْمِي جَمْرَةَ العَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الوَادِي يَوْمَ النَّحْرِ، وَهُوَ يَقُولُ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَلَا يُصِيبُ بَعْضُكُمْ، وَإِذَا رَمَيْتُمُ الجَمْرَةَ فَارْمُوهَا بِمِثْلِ حَصَى الخَذْفِ» أخرجه أحمد[3].

● **خطبة الرسول ﷺ بمنى يوم النحر:**

خطب رسول الله ﷺ الناس بمنى حين ارتفع الضحى ، وهو واقف بين الجمرات على ناقته ، وعلي رضي الله عنه يعبر عنه ، والناس بين قائم وقاعد ، فذكر حرمة يوم النحر ، وحرمة مكة، وقرر في خطبته بعض ما قاله في عرفة ، لكثرة الجمع حوله ، وكان مما قاله ﷺ:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ «أَلَيْسَ ذُو الحَجَّةِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ «أَلَيْسَتْ بِالبَلْدَةِ الحَرَامِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إلى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ،

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٨).
(٣) حسن/ أخرجه أحمد برقم (١٦٠٨٧).

قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» أخرجه البخاري[1].

وعن سلمة بن قيس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ: لَا تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلَا تَسْرِقُوا، ولا تزنوا» أخرجه أحمد[2].

وقال ﷺ: « أَلَا وَإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ أَنْظُرُكُمْ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ، فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي، أَلَا وَقَدْ رَأَيْتُمُونِي، وَسَمِعْتُمْ مِنِّي، وَسَتُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، أَلَا وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ رِجَالًا أَوْ نَاسًا ، وَمُسْتَنْقَذٌ مِنِّي آخَرُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» أخرجه أحمد[3].

وقال ﷺ: «أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ، أَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَدًا، وَلَكِنْ سَيَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِي بَعْضِ مَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَيَرْضَى بِهَا، أَلَا وَكُلُّ دَمٍ مِنْ دِمَاءِ الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ مَا أَضَعُ مِنْهَا دَمُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ - كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ، فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ - أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبًا مِنْ رِبَا الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ، أَلَا يَا أُمَّتَاهُ هَلْ بَلَّغْتُ؟» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. أخرجه الترمذي وابن ماجه[4].

وقال ﷺ: «اعْبُدُوا رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ» أخرجه أحمد[5].

وقال رسول الله ﷺ: «نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ.

ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ لله، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلَاةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ، تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ» أخرجه أحمدوابن ماجه[6].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٧٤١).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٨٩٨٩).
(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٤٩٧).
(٤) **حسن**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٠٨٧)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٠٥٥).
(٥) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٢١٦١).
(٦) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٦٧٣٨)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٠٥٦).

وأمر رسول الله ﷺ الناس في خطبته هذه بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله ، وإن كان عبداً أسوداً مجدعاً.

● **منازل الناس في منى:**

ثم أنزل ﷺ المهاجرين و الأنصار منازلهم ، فأنزل المهاجرين ميمنة القبلة ، وأنزل الأنصار مسيرة القبلة ، وأنزل الناس حولهم ، ونزل ﷺ يسار مصلى الإمام بمنى.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ بِمِنًى وَنَزَّلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ فَقَالَ: «لِيَنْزِلِ المُهَاجِرُونَ هَا هُنَا» وَأَشَارَ إلى مَيْمَنَةِ القِبْلَةِ «وَالأَنْصَارُ هَا هُنَا» وَأَشَارَ إلى مَيْسَرَةِ القِبْلَةِ «ثُمَّ لِيَنْزِلِ النَّاسُ حَوْلَهُمْ» أخرجه أبو داود[1].

● **سؤال الناس رسول الله ﷺ:**

وهناك في يوم النحر بمنى سئل رسول الله ﷺ عمن حلق قبل أن يذبح، وعمن ذبح قبل أن يرمي، ونحو ذلك من التقديم والتأخير في أداء المناسك ذلك اليوم.

عنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ، فَجَاءهُ رَجُلٌ فَقَالَ: لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ؟ فَقَالَ: «اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ» فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ: لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ؟ قَالَ: «ارْمِ وَلاَ حَرَجَ» فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلاَ أُخِّرَ إِلَّا قَالَ: «افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ» أخرجه البخاري[2].

● **نحر رسول الله ﷺ هديه بمنى:**

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المنحر بمنى ، فنحر ثلاثاً وستين بدنه بيده الشريفة ﷺ ، وأمر علياً أن ينحر ما بقي منها ، وهي سبع وثلاثون بدنة، تمام المائة، ثم أكل منها، وأمر علياً بقسمة ما بقى منها على المساكين.

عن جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي ﷺ – وفيه -: ثُمَّ انْصَرَفَ إلى المَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا، فَنَحَرَ مَا غَبَرَ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ، فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ، فَطُبِخَتْ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا. أخرجه مسلم[3].

وعن علي رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَقُومَ عَلَى بُدْنِهِ، وَأَنْ يَقْسِمَ بُدْنَهُ كُلَّهَا، لحُومَهَا وَجُلُودَهَا وَجِلاَلَهَا، وَلاَ يُعْطِيَ فِي جِزَارَتِهَا شَيْئًا. متفق عليه[4].

---

(١) **حسن**/ أخرجه أبو داود برقم (١٩٥١).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٨٣).
(٣) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٧١٧)، ومسلم برقم (١٣١٧).

وذبح رسول الله ﷺ عن نسائه البقر؛ لأنهن كن متمتعات.
وذبح الصحابة ضي الله عنهم الهدي عن أنفسهم ، فنحرو البعير عن سبعة ، والبقرة عن سبعة ، والشاه عن واحد.
ولما أتى ﷺ المنحر استفته جارية شابة من خثعم عن الحج عن أبيها.
عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ، فَجَعَلَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجعَلَ النَّبِيُّ ﷺ ، يَصْرِفُ وَجْهَ الفَضْلِ إلى الشِّقِّ الآخَرِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ فَرِيضَةَ الله عَلَى عِبَادِهِ فِي الحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ. متفق عليه[1].
ويؤخذ من هذا وغيره أن تعليم الناس، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من شعائر الحج.

- **حلق رسول الله ﷺ رأسه:**

لما فرغ رسول الله ﷺ من نحر هديه ، دعا الحلاق ، فحلق رأسه ، حلقه معمر بن عبد الله العدوي رضي الله عنه.
ثم قال رسول الله ﷺ للحلاق «خُذْ» وَأَشَارَ إلى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ الأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ. أخرجه مسلم[2].
عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَالحَلَّاقُ يَحْلِقُهُ، وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ. أخرجه مسلم[3].
وحلق ناس من أصحاب النبي ﷺ ، وقصر بعضهم ، وقد دعا ﷺ للمحلقين بالرحمة والمغفرة ثلاثاً ، وللمقصرين واحدة.
عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ» قَالُوا: وَلِلْمُقَصِّرِينَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ»، قَالُوا: وَلِلْمُقَصِّرِينَ، قَالهَا ثَلاَثًا، قَالَ: «وَلِلْمُقَصِّرِينَ» متفق عليه[4].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥١٣)، ومسلم برقم (١٣٣٤).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٣٠٥).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٣٢٥).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٧٢٨)، ومسلم برقم (١٣٠٢).

- **إفاضة الرسول ﷺ إلى البيت:**

ولما فرغ رسول الله ﷺ من حلق رأسه لبس القميص ، وأصاب الطيب ، طيبته عائشة رضي الله عنها بطيب فيه مسك ، قبل أن يطوف طواف الإفاضة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ الله ﷺ لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ، وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالبَيْتِ. متفق عليه[1].

ثم ركب رسول الله ﷺ فأفضى إلى البيت قبل الظهر ، فطاف طواف الإفاضة على راحلته ، كي يراه الناس ، وليشرف ، وليسألوه ، فإن الناس عشوه ، وكان يستلم الركن بمحجنه ، كلما أتى عليه أشار إليه وكبر.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالبَيْتِ عَلَى بَعِيرٍ، كُلَّمَا أَتَى الرُّكْنَ أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ كَانَ عِنْدَهُ وَكَبَّرَ. أخرجه البخاري[2].

ولما فرغ ﷺ من طوافه أتى زمزم وبنو عبد المطلب يسقون ، فناولوه دلواً فشرب منه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَاءَ إلى السِّقَايَةِ فَاسْتَسْقَى، فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا فَضْلُ، اذْهَبْ إلى أُمِّكَ فَأْتِ رَسُولَ الله ﷺ بِشَرَابٍ مِنْ عِنْدِهَا، فَقَالَ: «اسْقِنِي»، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ أَيْدِيَهُمْ فِيهِ، قَالَ: «اسْقِنِي»، فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ أَتَى زَمْزَمَ وَهُمْ يَسْقُونَ وَيَعْمَلُونَ فِيهَا، فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَإِنَّكُمْ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ» ثُمَّ قَالَ: «لَوْلاَ أَنْ تُغْلَبُوا لَنَزَلْتُ، حَتَّى أَضَعَ الحَبْلَ عَلَى هَذِهِ» يَعْنِي: عَاتِقَهُ، وَأَشَارَ إِلَى عَاتِقِهِ. أخرجه البخاري[3].

وعن جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي ﷺ - وفيه - : ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ الله ﷺ فَأَفَاضَ إلى البَيْتِ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ، فَقَالَ: «انْزِعُوا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ» فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ. أخرجه مسلم[4].

- **إقامة الرسول ﷺ في منى:**

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى منى من يومه ذلك ، ومكث ﷺ بمنى أيام التشريق الثلاثة ، يصلي الصلوات الخمس في أوقاتها بمن معه قصراً بلا جمع.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥٣٩)، ومسلم برقم (١١٨٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٦١٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٦٣٥).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).

وأمر ﷺ بشر بن سحيم رضي الله عنه أن ينادي بمنى في الناس: «أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَإِنَّهَا أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ» يَعْنِي أَيَّامَ التَّشْرِيقِ. أخرجه أحمد[1].

- **رمي الجمار:**

كان الرسول ﷺ يأتي الجمار في أيام التشريق الثلاثة بعد زوال الشمس ماشياً، ذاهباً وراجعاً، فيرمي كل جمرة بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، ويقف بعد الرمي عند الجمرة الأولى والوسطى مستقبل القبلة، فيطيل القيام، ويرفع يديه يدعو، ويرمي جمرة العقبة، ولا يقف عندها، ثم يرجع فيصلي الظهر ركعتين بمسجد الخيف.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ يَرْمِي الجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ عَلَى إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يُسْهِلَ، فَيَقُومَ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا، وَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الوُسْطَى، ثُمَّ يَأْخُذُ ذَاتَ الشِّمَالِ فَيَسْتَهِلُ، وَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا، وَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، وَيَقُومُ طَوِيلًا، ثُمَّ يَرْمِي جَمْرَةَ ذَاتِ العَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الوَادِي، وَلاَ يَقِفُ عِنْدَهَا، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَيَقُولُ «هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَفْعَلُه» أخرجه البخاري[2].

وخلال إقامته ﷺ بمنى أيام التشريق لم يذهب إلى المسجد الحرام، بل بقي في منى إلى حين طواف الوداع.

- **استئذان العباس رضي الله عنه أن يبيت بمكة:**

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ العَبَّاسَ رضي الله عنه اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ لِيَبِيتَ بِمَكَّةَ لَيَالِيَ مِنًى مِنْ أَجْلِ سِقَايَتِهِ، فَأَذِنَ لَهُ. متفق عليه[3].

واستأذن رعاة الإبل أن يبيتوا خارج منى فأذن لهم ﷺ في المبيت وتأخير الرمي.

عَنْ أَبِي البَدَّاحِ بْنِ عَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَخَّصَ لِرِعَاءِ الإِبِلِ فِي البَيْتُوتَةِ عَنْ مِنًى يَرْمُونَ يَوْمَ النَّحْرِ، ثُمَّ يَرْمُونَ الغَدَ، أَوْ مِنْ بَعْدِ الغَدِ اليَوْمَيْنِ، ثُمَّ يَرْمُونَ يَوْمَ النَّفْرِ. أخرجه أحمد[4].

- **خطبة الرسول ﷺ في أوسط أيام التشريق:**

عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قال حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ الله ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ،

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٥٤٢٩).
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٧٥١).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٧٤٥)، ومسلم برقم (١٣١٥).
(٤) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٧٧٥).

وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ الله، ثُمَّ قَالَ: « أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ »، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: « أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ »، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: « فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ » - قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَالَ: أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا - كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ »، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ الله. أخرجه أحمد[1].

- **إفاضة الرسول ﷺ من منى ﷺ:**

ثم نهض رسول الله ﷺ من منى في آخر يوم من أيام التشريق، وهو يوم النحر الآخر، وذلك بعد أن رمى بعد الزوال، وتفرق المسلمون.

فأفاض إلى المحصب، وهو الأبطح، وهو خيف بني كنانة، وهو الآن عمارات وطرق، ولما أفاض ﷺ وجد أبا رافع قد ضرب له فيه قبة، فنزل رسول الله ﷺ هناك.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ من الغد يوم النحر وهو بمنى: «نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ »، يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُحَصَّبَ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ تحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ أَنْ لا يُنَاكِحُوهُمْ، وَلا يُبَايِعُوهُمْ حَتَّى يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ الله ﷺ. متفق عليه[2].

فأقام الرسول ﷺ في المحصب بقية يومه ذلك وليلته، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم رقد رقدة هناك.

عن أنس بن مالك ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ، وَالعَصْرَ، وَالمَغْرِبَ، وَالعِشَاءَ، ثُمَّ رَقَدَ رَقْدَةً بِالمُحَصَّبِ، ثُمَّ رَكِبَ إلى البَيْتِ، فَطَافَ بِهِ. أخرجه البخاري[3].

- **عمرة عائشة رضي الله عنها من التنعيم:**

في تلك الليلة، ليلة الحصبة، رغبت عائشة رضي الله عنها في العمرة، فأمر رسول الله ﷺ أخاها عبد الرحمن أن يعمرها من التنعيم، تطييباً لقلبها، فخرجت رضي الله عنها مع أخيها، فأهلت بعمرة من التنعيم، ففرغت من عمرتها ليلاً، ثم أقبلت مع أخيها إلى رسول الله ﷺ في جوف الليل، وهو بالمحصب فأذن بالناس في الرحيل.

---

(١) **صحيح/** أحمد أحمد برقم (٢٣٤٨٩).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥٩٠)، ومسلم برقم (١٣١٣).
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٧٥٦).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يَا رَسُولَ الله، أَتَنْطَلِقُونَ بِعُمْرَةٍ وَحَجَّةٍ وَأَنْطَلِقُ بِالحَجِّ؟ فَأَمَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا إلى التَّنْعِيمِ، فَاعْتَمَرَتْ بَعْدَ الحَجِّ فِي ذِي الحَجَّةِ. متفق عليه [1].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي أَشْهُرِ الحَجِّ، وَلَيَالِي الحَجِّ، وَحُرُم الحَجِّ، فَنَزَلْنَا بِسَرِف، قَالَتْ: فَخَرَجَ إلى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَعَهُ هَدْيٌ، فَأَحَبَّ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ الهَدْيُ فَلاَ» قَالَتْ: فَالآخِذُ بِهَا، وَالتَّارِكُ لَهَا مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَتْ: فَأَمَّا رَسُولُ الله ﷺ وَرِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَكَانُوا أَهْلَ قُوَّةٍ وَكَانَ مَعَهُمُ الهَدْيُ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى العُمْرَةِ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ يَا هَنْتَاهُ؟» قُلْتُ: سَمِعْتُ قَوْلَكَ لِأَصْحَابِكَ فَمُنِعْتُ العُمْرَةَ، قَالَ: «وَمَا شَأْنُكِ؟» قُلْتُ: لاَ أُصَلِّي، قَالَ: «فَلاَ يَضِيرُكِ، إِنَّمَا أَنْتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِ آدَمَ، كَتَبَ الله عَلَيْكِ مَا كَتَبَ عَلَيْهِنَّ، فَكُونِي فِي حَجَّتِكِ، فَعَسَى الله أَنْ يَرْزُقَكِيهَا» قَالَتْ: فَخَرَجْنَا فِي حَجَّتِهِ حَتَّى قَدِمْنَا مِنًى، فَطَهَرْتُ، ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْ مِنًى، فَأَفَضْتُ بِالبَيْتِ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَتْ مَعَهُ فِي النَّفْرِ الآخِرِ، حَتَّى نَزَلَ المُحَصَّبَ، وَنَزَلْنَا مَعَهُ، فَدَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «اخْرُجْ بِأُخْتِكَ مِنَ الحَرَمِ، فَلْتُهِلَّ بِعُمْرَةٍ، ثُمَّ افْرُغَا، ثُمَّ ائْتِيَا هَا هُنَا، فَإِنِّي أَنْظُرُكُمَا حَتَّى تَأْتِيَانِي» قَالَتْ: فَخَرَجْنَا، حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ، وَفَرَغْتُ مِنَ الطَّوَافِ، ثُمَّ جِئْتُهُ بِسَحَرَ، فَقَالَ: «هَلْ فَرَغْتُمْ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَآذَنَ بِالرَّحِيلِ فِي أَصْحَابِهِ، فَارْتَحَلَ النَّاسُ. أخرجه البخاري[2].

- **طواف الوداع:**

أمر رسول الله ﷺ الناس أن لا ينصرفوا إلى بلادهم بعد الحج حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالبَيْتِ. متفق عليه[3].

ثم دخل رسول الله ﷺ مكة في تلك الليلة، ليلة الحصبة، فطاف بالبيت طواف الوداع سحراً قبل صلاة الصبح.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٧٨٥)، ومسلم برقم (١٢١٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٥٦٠).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٧٥٥)، ومسلم برقم (١٣٢٧).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مُهِلِّينَ بِالحَجِّ، فِي أَشْهُرِ الحَجِّ، وَحُرُمِ الحَجِّ، فَنَزَلْنَا سَرِفَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ، فَأَحَبَّ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ، فَلاَ». وَكَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ذَوِي قُوَّةٍ الهَدْيُ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ عُمْرَةً، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ «مَا يُبْكِيكِ؟» قُلْتُ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ لِأَصْحَابِكَ مَا قُلْتَ: فَمُنِعْتُ العُمْرَةَ، قَالَ: «وَمَا شَأْنُكِ؟»، قُلْتُ: لاَ أُصَلِّي، قَالَ: «فَلاَ يَضِرْكِ أَنْتِ مِنْ بَنَاتِ آدَمَ، كُتِبَ عَلَيْكِ مَا كُتِبَ عَلَيْهِنَّ، فَكُونِي فِي حَجَّتِكِ عَسَى الله أَنْ يَرْزُقَكِهَا»، قَالَتْ: فَكُنْتُ حَتَّى نَفَرْنَا مِنْ مِنًى، فَنَزَلْنَا المُحَصَّبَ، فَدَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: «اخْرُجْ بِأُخْتِكَ الحَرَمَ، فَلْتُهِلَّ بِعُمْرَةٍ، ثُمَّ افْرُغَا مِنْ طَوَافِكُمَا، أَنْتَظِرْكُمَا هَا هُنَا». فَأَتَيْنَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ: «فَرَغْتُمَا». قُلْتُ: نَعَمْ، فَنَادَى بِالرَّحِيلِ فِي أَصْحَابِهِ، فَارْتَحَلَ النَّاسُ وَمَنْ طَافَ بِالبَيْتِ قَبْلَ صَلاَةِ الصُّبْحِ، ثُمَّ خَرَجَ مُوَجِّهًا إلى المَدِينَةِ. متفق عليه[1].

ورخص ﷺ في ترك طواف الوداع للحائض.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - حَاضَتْ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «أَحَابِسَتُنَا هِيَ» قَالُوا: إِنَّهَا قَدْ أَفَاضَتْ قَالَ: «فَلاَ إِذًا». متفق عليه[2].

- **رجوع الرسول ﷺ إلى المدينة:**

ثم خرج رسول الله ﷺ من المسجد الحرام مرتحلاً إلى المدينة، وخرج من مكة من الثنية السفلى، ثنية كدي، وكانت مدة إقامته بها عشرة أيام.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ مِنَ الثَّنِيَّةِ العُلْيَا الَّتِي بِالبَطْحَاءِ، وَخَرَجَ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى. متفق عليه[3].

- **خطبته ﷺ في غدير خم:**

سار ﷺ بأصحابه من مكة إلى المدينة، ولما وصل إلى غدير خم نزل هناك، وخطب الناس خطبة عظيمة، ووعظهم وذكرهم وأوصاهم بكتاب الله ﷻ، وبأهل بيته.

عن حصين بن سبرة أنه سأل زيد بن أرقم أن يحدثه عن رسول الله ﷺ فقال زيد: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٧٨٨)، ومسلم برقم (١٢١١).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٧٥٧)، ومسلم برقم (١٣٢٨).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥٧٦)، ومسلم برقم (١٢٥٧).

عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: « أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ » فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ.

ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ» أخرجه مسلم[1].

ثم بين رسول الله ﷺ فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبراءة عرضه ممن تكلم فيه من بعض من كان معه بأرض اليمن.

عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا بِغَدِيرِ خُمٍّ، فَنُودِيَ فِينَا: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، وَكُسِحَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، فَقَالَ: « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ » قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟ » قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ» أخرجه أحمد وابن ماجه[2].

- **وصول الرسول ﷺ المدينة:**

واصل الرسول ﷺ وأصحابه السير إلى المدينة، فلما أتى ذا الحليفة بات بها، لأنه ﷺ كان يكره أن يطرق الناس أهاليهم ليلاً على غير أهبة.

فلما أصبح ﷺ ورأى المدينة، كبر ثلاث مرات وقال: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ » متفق عليه[3].

ثم دخل ﷺ المدينة نهاراً، فأتى المسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، ثم انصرف إلى بيته.

عن كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة تخلفه عن غزوة تبوك – وفيه – : وَكَانَ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ. متفق عليه[4].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤٠٨).
(٢) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٨٤٧٩). وابن ماجه برقم (١١٦).
(٣) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (١٧٩٧)، ومسلم برقم (١٣٤٤).
(٤) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٤٤١٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٩).

٦- ظهور مدعي النبوة

١- تنبؤ مسيلمة الكذاب

كان مسيلمة الكذاب قد قدم المدينة ، في السنة التاسعة للهجرة مع قومه بني حنيفة، وسأل رسول الله ﷺ أن يجعل له الأمر من بعده حتى يتبعه، فأبى عليه الرسول ﷺ ذلك.

فلما رجع وفد بني حنيفة إلى اليمامة ، أخذ مسيلمة يفكر في أمره ، ثم ادعى أنه اشترك في الأمر مع رسول الله ﷺ ، فادعى النبوة ، وسمى نفسه رحمان اليمامة.

وشهد له الرجال بن عنفوة أخزاه الله أن رسول الله ﷺ أشركه في الأمر، فافتتن الناس به.

وكان الرجال بن عنفوة قد وفد مع قومه إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، وقرأ سوراً من القرآن ، وفقه في الدين ، ثم ارتد وآمن بمسيلمة ، وشهد له زوراً أن رسول الله قد أشركه في النبوة.

فكان الرجال أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة الكذاب، وكان ﷺ قد رأى في المنام أنه وضع في يده سوارا ن من ذهب ، فكرههما ، فنفخهما فطارا ، فأولهما كاذبين يخرجان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي المَنَامِ أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ، يَخْرُجَانِ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا العَنْسِيَّ، وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابَ، صَاحِبَ اليَمَامَةِ» متفق عليه[(١)].

وكان مسيلمة الكذاب يسجع الكلام سجعاً ، مضاهاة للقرآن ، وينظم من كلام الكهان والمنجمين ما يضحك منه السفهاء ، ويستحي من روايته العقلاء.

ثم وضع مسيلمة الكذاب قبحه الله عن قومه الصلاة ، وأحل لهم الخمر والزنا ، ترغيباً لهم في اتباعه ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ أنه نبي ، فافتتن به قومه.

- **كتاب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ:**

ثم كتب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ كتاباً قال فيه: من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد: فإني قد أُشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦٢١)، ومسلم برقم (٢٢٧٤).

وبعث الكتاب مع رجلين من قومه ، فلما قُرئ كتاب مسيلمة على رسول الله ﷺ قال لهما: «مَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا؟» قَالَا: نَقُولُ كَمَا قَالَ. قَالَ: «أَمَا وَالله لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا» أخرجه أبو داود[1].

- **كتاب الرسول ﷺ إلى مسيلمة الكذاب:**

نص كتاب الرسول ﷺ إلى مسيلمة الكذاب: « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين ».

وبعث ﷺ بالكتاب مع حبيب بن زيد الأنصاري رضي الله عنه ، فلما وصل الكتاب إلى مسيلمة، وقرئ عليه ، قتل مسيلمة حبيب بن زيد رسول رسول الله ﷺ.

واستمر مسيلمة في كذبه وفجوره ، وتفاقم أمره ، وازدادت شوكته بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وأخذ يحشد الجموع لقتال المسلمين.

فجهز له خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيشاً أَمَّر عليه خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقتل مسيلمة الكذاب، وبعج بطنه، وفلق رأسه، وهزمه وقومه في معركة اليمامة العظيمة، وباء بالخسران والعقاب: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام/ ٩٣].

٢ – تنبؤ الأسود العنسي

ظهر في صنعاء باليمن الأسود العنسي ، فادعى النبوة ، وتبعه قومه بنو عبس ، وجماعة من بني مذحج ، وسمى نفسه رحمان اليمن .

واسم الأسود هذا عبهلة بن كعب ، ولقب بالأسود لأنه كان يخمر وجهه دائماً .

وكان الأسود العنسي كاهناً مشعوذاً ، وكان يُري قومه الأعاجيب ، ويسبي قلوب من سمع منطقه .

وكان أول خروجه بعد عودة الرسول ﷺ من حجة الوداع ، فكاتبته مذحج ، وواعدوه نجران ، فوثبوا عليها ، وأخرجوا عمرو بن حزم ، وخالد بن سعيد ، رضي الله عنهما ، عاملا رسول الله ﷺ ، وأنزلوه منزلهما.

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٢٧٦١).

ثم استولى الأسود على صنعاء ، وأخرج منها المهاجربن أمية ﵁، عامل رسول الله ﷺ فأخذها، ثم قوي أمره بمرض رسول الله ﷺ.
وقد قتل الله الأسود العنسي الكذاب قبل وفاة رسول الله ﷺ على يد فيروز الديلمي ﵁.

٣ – تنبؤ طليحة بن خويلد الأسدي

ظهر في بني أسد في حياة رسول الله ﷺ متنبئ ثالث ، هو طليحة بن خويلد الأسدي .
وكان طليحة قد وفد على رسول الله ﷺ مع قومه فأسلم ، ثم ارتد ، وادعى النبوة ، وتبعه جماعة .
فكتب طليحة إلى رسول الله ﷺ يدعوه إلى الموادعة ، فوجه إليه رسول الله ﷺ ضرار بن الأزور إلى عماله على بني أسد ، وأمرهم بقتال من ارتد ، ولم يلبث الأمر كذلك حتى توفي رسول الله ﷺ .
فلما كانت خلافة أبي بكر الصديق ﵁، بعث إليه خالد بن الوليد ﵁، فسار إليه خالد ﵁ ، فقاتل طليحة فهزمه ، وهرب إلى الشام ، ثم إنه أسلم ، وحسن إسلامه ، وشهد معركة القادسية ، فأبلى فيها بلاءً عظيماً: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ ﴾ [المائدة/ ٣٩] .
والحمد لله رب العالمين الذي أظهر الحق، وأبطل الباطل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ﴾ [التوبة/ ٣٣] .

* * * * *

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الحادية عشرة من الهجرة

وفاة الرسول ﷺ

وتشتمل على ما يلي :

١- دنو أجل الرسول ﷺ

٢- مرض الرسول ﷺ

٣- وفاة الرسول ﷺ

٤- غسل جنازة الرسول ﷺ

٥- تكفين الرسول ﷺ

٦- الصلاة على الرسول ﷺ

٧- دفن الرسول ﷺ

٨- زوجات الرسول ﷺ

٩- أولاد الرسول ﷺ

١٠- بيعة أبي بكر الصديق بالخلافة

الباب الثالث

سيرته ﷺ من هجرته إلى وفاته

السنة الحادية عشرة من الهجرة

وفاة الرسول ﷺ

١ – دنو أجل الرسول ﷺ

في يوم الاثنين ، لأربع ليال بقين من صفر ، من السنة الحادية عشرة للهجرة ، ندب رسول الله ﷺ الناس لغزو الروم ، ودعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وكان عمره ثمان عشرة سنة ، وأمَّره على هذا الجيش ، وأمره أن يُوطئ الخيل البلقاء من أرض فلسطين .

فلما كان يوم الأربعاء بدأ بالنبي ﷺ وجعه الذي قبضه الله تعالى فيه .

فلما أصبح ﷺ يوم الخميس عقد لأسامة رضي الله عنه لواء بيده ، ثم قال ﷺ لأسامة :« اغز باسم الله، في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله ».

فخرج أسامة رضي الله عنه بلوائه معقوداً ، فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه ، وعسكر بالجرف ، موضع قريب شمال المدينة .

وخرج الناس في هذا الجيش ، ولم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب في ذلك الجيش ، فكان فيهم :عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وقتادة بن النعمان ، وسلمة بن أسلم ، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين .

وتكلم الناس في إمرة أسامة رضي الله عنه ، لحداثة سنه ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك ، قام في الناس خطيباً ، وبين فضل أسامة رضي الله عنه ، وأنه خليق بالإمارة .

ونظراً لمرض رسول الله ﷺ ، فقد تريث أسامة رضي الله عنه في معسكره بالجرف ، حتى يعرف ما يقضي الله تعالى به .

فقد مرض ﷺ بعد البدء بتجهيز هذا الجيش بيومين ، وظل معسكراً بالجرف ، ثم رجع إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ ، ثم أنفذه أبو بكر رضي الله عنه بعدما استخلف ، وكانت عدته ثلاثة آلاف مقاتل .

- **علامات دنو أجل الرسول ﷺ:**

لما بلَّغ الرسول ﷺ البلاغ المبين ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وسيطر الإسلام على الجزيرة العربية، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وبدت طلائع انتشاره في العالم، وأظهر الله دينه على الدين كله ، أحس رسول الله ﷺ بدنو أجله ، فأخذ يتهيأ للقاء ربه، وظهر منه من الإشارات والأقوال والأفعال ما يدل على قرب الرحيل من هذه الدنيا الفانية .

وأول ما عرَّف الله عز وجل رسوله ﷺ باقتراب أجله ما يلي :

١- نزول سورة النصر :

وسورة النصر هي : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر/ ١ – ٣] .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه سَأَلَهُمْ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ"، قَالُوا: فَتْحُ المَدَائِنِ وَالقُصُورِ، قَالَ: مَا تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: أَجَلٌ، أَوْ مَثَلٌ ضُرِبَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ نُعِيَتْ لَهُ نَفْسُهُ. أخرجه البخاري .[1]

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ" إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» متفق عليه[2].

وسورة النصر هي آخر سورة نزلت كاملة على رسول الله ﷺ .

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: تَعْلَمُ – وَقَالَ هَارُونُ: تَدْرِي – آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ القُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ، قَالَ: صَدَقْتَ. أخرجه مسلم [3].

٢- مدارسة القرآن مع جبريل ﷺ :

كان الرسول ﷺ يعرض القرآن على جبريل ﷺ كل عام في رمضان ، فعرضه في العام الذي قبض فيه مرتين .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٦٩).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٩٦٧)، ومسلم برقم (٤٨٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٣٠٢٤) .

عن عائشة رضي الله عنهاقالت : إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ جمِيعًا، لمَ تُغَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ تمَشِي، لاَ وَالله مَا تخَفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ: خَصَّكِ رَسُولُ الله ﷺ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ الله ﷺ سَالتُهَا: عَمَّا سَارَّكِ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفيِّ، قُلْتُ لهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ لمَّا أَخْبَرْتِنِي.

قَالَتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرَتْنِي، قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الأَمْرِ الأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أَرَى الأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي الله وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ» قَالَتْ : فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ ، قَالَ : «يَا فَاطِمَةُ ، أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ» متفق عليه[1].

٣- مضاعفة الاعتكاف في رمضان :

كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان كل عام ، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانٍ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا. أخرجه البخاري[2].

٤- اجتهاده ﷺ في العبادة :

اجتهد ﷺ في العام الذي قبض فيه ، وأكثر من العبادة والذكر والحمد والاستغفار .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لمَّا نَزَلَتْ "إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله وَالفَتْحُ" قَالَ: نُعِيَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ نَفْسُهُ حِينَ أُنْزِلَتْ، فَأَخَذَ فِي أَشَدِّ مَا كَانَ اجْتِهَادًا فِي أَمْرِ الآخِرَةِ. أخرجه النسائي في الكبرى [3].

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٢٨٥) ومسلم برقم (٢٤٥٠).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٠٤٤).
(٣) **صحيح**/ أخرجه النسائي في الكبرى برقم (١١٦٤٨).

٥ – تلميح الرسول ﷺ باقتراب أجله :

كان الرسول ﷺ يُعَرِّض لأصحابه باقتراب أجله،ويلمِّح لهم بذلك في مناسبات مختلفة.

١- ففي حجة الوداع قال ﷺ للناس عند جمرة العقبة :«لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» أخرجه مسلم (١).

٢- وخطب في منصرفه من الحج في غديرخم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ووعظ وذكَّر ثم قال : «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ» أخرجه مسلم (٢).

٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُم» أخرجه مسلم(٣).

٦ – صلاة رسول الله ﷺ على شهداء أحد :

لما رجع الرسول ﷺ من حجة الوداع ، خرج إلى أحد فصلى على الشهداء صلاته على الميت ، بعد ثمان سنين ، كالمودع للأحياء والأموات ، ثم انصرف ، وخطب الناس ، وودعهم.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ، كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ المِنْبَرَ فَقَالَ: «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا»، قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ . متفق عليه (٤).

٧ – استغفاره ﷺ لأهل البقيع :

في أواخر شهر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة ، خرج رسول الله ﷺ في جوف الليل إلى البقيع ، فاستغفر لأهلها .

عَنْ أَبِي مُوَيْهِبَةَ مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: « يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ البَقِيعِ فَانْطَلِقْ مَعِي »، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٤٠٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٣٦٤).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠٤٢) ومسلم برقم (٢٢٩٦).

فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ قَالَ: « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ المَقَابِرِ، لِيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ، مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللهُ مِنْهُ، أَقْبَلَتِ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يَتْبَعُ أَوَّلُهَا آخِرَهَا، الآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الأُولَى ».

قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: « يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا، وَالخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الجَنَّةَ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ، وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالجَنَّةِ » قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي، فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا، وَالخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الجَنَّةَ، قَالَ: « لَا وَاللهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي، وَالجَنَّةَ » ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ البَقِيعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَبُدِئَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قَبَضَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ. أخرجه أحمد[1].

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٥٩٩٧).

٢ – مرض الرسول ﷺ

ابتدأ رسول الله ﷺ يشكو من المرض الذي قبضه الله فيه ، في أواخر شهر صفر ، من السنة الحادية عشرة للهجرة ، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً تقريباً .

وكان رسول الله ﷺ في شدة مرضه يصلي بالناس إلى أن ثقل به المرض جداً ، فانقطع عن الصلاة في المسجد ثلاثة أيام ، وأمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس .

وكان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من وجعه الصداع الشديد في رأسه الشريف ، بعد رجوعه من البقيع .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: رَجَعَ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْم مِنْ جَنَازَةٍ بِالبَقِيعِ، وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي، وَأَنَا أَقُولُ: وَارَأْسَاهْ قَالَ: « بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ» ثم قَالَ: « مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي، فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ، ثُمَّ صَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ؟ » قُلْتُ: لَكِنِّي أَوْ لَكَأَنِّي بِكَ، وَالله لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي فَأَعْرَسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ، قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ ، ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ. أخرجه أحمد[1].

ثم إن رسول الله ﷺ أراد أن يطوف على أزواجه كما هي عادته في تعاهدهن ، فلما وصل إلى بيت ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها اشتد به المرض ، فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها ، فأذنَّ له ، رضي الله عنهن .

فخرج ﷺ بين عمه العباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما ، ورجلاه من شدة المرض تخطان في الأرض .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، تَخُطُّ رِجْلاَهُ فِي الأَرْضِ، بَيْنَ عَبَّاسٍ وَرَجُلٍ آخَرَ. قَالَ عُبَيْدُ الله: فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: أَتَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا تُحَدِّثُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ بَعْدَمَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ، لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ» أخرجه البخاري[2].

وكان ﷺ يحب أن يُطبَّب في بيت عائشة رضي الله عنها .

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٩٠٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٩٨).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، يَقُولُ: «أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا. متفق عليه (١).

- **اشتداد المرض على الرسول ﷺ :**

اشتدت وطأة المرض ، واشتد الوجع على رسول الله ﷺ ، وبدأت الحمى تشتد عليه، واشتدت حرارة جسمه ﷺ ، حتى أن حرارتها لتوجد من فوق الثياب .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الوَجَعُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ. متفق عليه (٢).

وعَنْ ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قَالَ: فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَجَلْ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» متفق عليه(٣).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ قَالَ: «إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا البَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الأَجْرُ» أخرجه أحمد وابن ماجه (٤).

- **رقية الرسول ﷺ :**

كانت عائشة رضي الله عنها تقرأ بالمعوذات ، وهي سورة الإخلاص والفلق والناس ، وتنفث على رسول الله ﷺ بهن، وتمسح بيده ﷺ ، رجاء بركتها .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي المَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا، فَسَالتُ الزُّهْرِيَّ: كَيْفَ يَنْفِثُ؟ قَالَ: كَانَ يَنْفِثُ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ. متفق عليه (٥).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤٥٠)، ومسلم برقم (٢٤٤٣) .
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٦) ومسلم برقم (٢٥٧٠) .
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٨)، ومسلم برقم (٢٥٧١).
(٤) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١١٤٨٣)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٠٢٤).
(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٣٥)، ومسلم برقم (٢١٩٢).

● **لدُّ الرسول ﷺ :**

كان الرسول ﷺ من شدة وجعه يُغمى عليه ، ثم يفيق ، وأُغمي عليه مرة فخافوا عليه ، وظنوا أن به ذات الجنب فَلَدّوه ، وذات الجنب الدّمل التي تنفجر داخل البطن .

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: لَدَدْنَاهُ فِي مَرَضِهِ فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا: «أَنْ لاَ تَلُدُّوني» فَقُلْنَا كَرَاهِيَةُ المَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّوني»، قُلْنَا كَرَاهِيَةَ المَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «لاَ يَبْقَى أَحَدٌ فِي البَيْتِ إِلَّا لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَّا العَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ» متفق عليه[1].

● **وصية الرسول ﷺ لعثمان رضي الله عنه:**

أرسل رسول الله ﷺ في مرض موته إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فجاء فخلا به ، فجعل رسول الله ﷺ يكلمه ووجه عثمان رضي الله عنه يتغير .

قالت عائشة رضي الله عنها :فَكَانَ مِنْ آخِرِ كَلَامِ كَلَّمَهُ، أَنْ ضَرَبَ مَنْكِبَهُ، وَقَالَ: « يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ المُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ، فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَاني، يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللهَ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ المُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ، فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَاني » ثَلَاثًا.أخرجه أحمد[2].

● **خطبة الرسول ﷺ في مرض الموت :**

وهذه آخر خطبة خطبها رسول الله ﷺ في حياته ، فقبل وفاته بخمسة أيام اشتد الوجع برسول الله ﷺ، وزادت حرارته حتى أغمي عليه ، فلما أفاق من الإغماء قال ﷺ : « هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن » .

وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا تُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ بَعْدَمَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ، لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ» أخرجه البخاري[3].

فعند ذلك أحس رسول الله ﷺ بخفة ، فخرج متوكئاً على الفضل بن العباس رضي الله عنهما ، عاصباً رأسه بعصابة دسماء ، وعليه ملحفة منعطفاً بها على منكبيه ، حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر ، ولم يصعده بعد ذلك اليوم ، ثم جلس ، والناس مجتمعون حوله ، فخطبهم، وأشار إلى وفاته ﷺ.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤٥٨)، ومسلم برقم (٢٢١٣) .

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٤٥٦٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٩٨).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ العَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ» متفق عليه (1).

ثم أوصى ﷺ بالأنصار رضي الله عنهم فقال: «أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ» أخرجه البخاري (2).

وعن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُتَعَطِّفًا بِهَا عَلَى مَنْكِبَيْهِ، وَعَلَيْهِ عِصَابَةٌ دَسْمَاءُ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ، وَتَقِلُّ الأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا كَالمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْرًا يَضُرُّ فِيهِ أَحَدًا، أَوْ يَنْفَعُهُ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ» أخرجه البخاري (3).

ثم ذكر ﷺ أسامة بن زيد، وأنه خليق للإمارة، فقال: «إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ» متفق عليه (4).

- **هَمّ الرسول ﷺ أن يكتب الكتاب:**

في يوم الخميس، قبل وفاته ﷺ بأربعة أيام، هَمَّ ﷺ أن يكتب كتاباً لاتضل الأمة بعده.
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَفِي البَيْتِ رِجَالٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ»، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ غَلَبَهُ الوَجَعُ، وَعِنْدَكُمُ القُرْآنُ حَسْبُنَا، كِتَابُ اللهِ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ البَيْتِ وَاخْتَصَمُوا،

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٦٦)، ومسلم برقم (٢٣٨٢).
(2) أخرجه البخاري برقم (٣٧٩٩).
(3) أخرجه البخاري برقم (٣٨٠٠).
(4) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٧٣٠) ومسلم برقم (٢٤٢٦).

فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلاَفَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «قُومُوا» قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَكَانَ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ، مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الكِتَابَ، لِاخْتِلاَفِهِمْ وَلَغَطِهِمْ. متفق عليه (١).

- **وصية الرسول ﷺ :**

أوصى رسول الله ﷺ أصحابه في ذلك اليوم بثلاث .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : يَوْمُ الخَمِيسِ، وَمَا يَوْمُ الخَمِيسِ؟ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعُهُ، فَقَالَ: «ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا»، فَتَنَازَعُوا وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ، أَهَجَرَ اسْتَفْهِمُوهُ؟ فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «دَعُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ» وَأَوْصَاهُمْ بِثَلاَثٍ، قَالَ: «أَخْرِجُوا المُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَأَجِيزُوا الوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ» وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثَةِ أَوْ قَالَ فَنَسِيتُهَا. أخرجه البخاري (٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، وَهُوَ يُغَرْغِرُ بِنَفْسِهِ «الصَّلاَةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ». أخرجه ابن ماجه (٣).

- **تحذير الرسول ﷺ من اتخاذ قبره وثناً يعبد :**

حذر الرسول ﷺ أمته أن يتخذوا قبره مسجداً ، وأخبرهم أن شرار الناس الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « اللهُمَّ لا تجعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» أخرجه أحمد (٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا» أخرجه أحمد (٥).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا»، قَالَتْ: وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. أخرجه البخاري (٦).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤٣٢)، ومسلم برقم (١٦٣٧).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٤٣١).
(٣) **صحيح**/ أخرجه ابن ماجه برقم (٢٦٩٧).
(٤) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٧٣٥٨).
(٥) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (٨٨٠٤).
(٦) أخرجه البخاري برقم (١٣٣٠) .

• **أمْر الرسول ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس :**

لم يزل ﷺ حريصاً على أن يصلي بالناس مع ما به من شدة الوجع ، حتى غلبه المرض، وأعجزه عن الخروج إلى المسجد .

فعند ذلك أمر رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه أن يؤم الناس في الصلاة .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لمَّا ثَقُلَ رَسُولُ الله ﷺ جاءَ بِلاَلٌ يُوذِنُهُ بِالصَّلاَةِ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَإِنَّهُ مَتَى مَا يَقُمْ مَقَامَكَ لاَ يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، فَقَالَ:«مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاس» متفق عليه [(١)].

• **أمْر الرسول ﷺ بحسن الظن بالله عز وجل :**

حُسن الظن بالله تعالى أن يظن العبد أن الله يرحمه ويعفو عنه،وهو من أعظم العبادات.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِالله عَزَّ وَجَل» أخرجه مسلم[(٢)].

• **آخر صلاة حضرها الرسول ﷺ مع المسلمين :**

قبل وفاة الرسول ﷺ بيومين ، وجد ﷺ من نفسه خفة ، فخرج يهادى بين رجلين إلى الصلاة .

عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ : أَلَا تحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ الله ﷺ ، قَالَتْ : بَلَى ، ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : «أَصَلَّى النَّاسُ؟» ، قُلْنَا : لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ ، قَالَ : «ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ» ، قَالَتْ : فَفَعَلْنَا ، فَاغْتَسَلَ فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ ﷺ : «أَصَلَّى النَّاسُ؟» ، قُلْنَا : لَا ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : «ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ» ، قَالَتْ : فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : «أَصَلَّى النَّاسُ؟» ، قُلْنَا : لَا ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ الله ، فَقَالَ : «ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ» ، فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : «أَصَلَّى النَّاسُ؟» ، فَقُلْنَا : لَا ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ الله ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَام لِصَلَاةِ العِشَاءِ الآخِرَةِ .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١٣)، ومسلم برقم (٤١٨) .
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٧).

فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا - :
يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الأَيَّامَ ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا العَبَّاسُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ ، قَالَ : أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ ، فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي، وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ. متفق عليه [1].

- **رجوع جيش أسامة من معسكره بالجرف :**

لما كان يوم الأحد، قبل وفاة النبي ﷺ بيوم، اشتد به ﷺ الوجع، فوصلت الأخبار الى جيش أسامة وهو بالجرف، فشاع الحزن بين الصحابة، فرجع أسامة رضي الله عنه ، ورجع الناس معه إلى المدينة، ورسول الله ﷺ مغمور- أي مغمى عليه- .

فدخل عليه أسامه رضي الله عنه ، وقد أصمت رسول الله ﷺ فلا يتكلم، فجعل يرفع يديه إلى السماء، ثم يصبها على أسامة، قال أسامه: فعرفت أنه يدعو لي.

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: لمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَبَطْتُ وَهَبَطَ النَّاسُ مَعِي إِلَى المَدِينَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ أَصْمَتَ فَلَا يَتَكَلَّمُ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ يَصُبُّهَا عَلَيَّ أَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي. أخرجه أحمد [2].

- **إنفاق الرسول ﷺ ما عنده :**

١- قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا عَائِشَةُ، مَا فَعَلَتِ الذَّهَبُ ؟»، فَجَاءَتْ مَا بَيْنَ الخَمْسَةِ إِلَى السَّبْعَةِ، أَوِ الثَّمَانِيَةِ، أَوِ تِسْعَةِ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ وَيَقُولُ: «مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ لَقِيَهُ وَهَذِهِ عِنْدَهُ، أَنْفِقِيهَا» أخرجه أحمد [3]

٢- وعَنْ عَمْرِو بْنِ الحَارِثِ رضي الله عنه قَالَ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلاَ دِينَارًا وَلاَ عَبْدًا وَلاَ أَمَةً وَلاَ شَيْئًا ، إِلَّا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ ، وَسِلاَحَهُ ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً. أخرجه البخاري [4].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٨٧)، ومسلم برقم (٤١٨) .
(٢) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (٢١٧٥٥).
(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٤٢٢٢).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٩).

٣- وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا أَوْصَى بِشَيْءٍ. أخرجه مسلم(١).

- **وداع الرسول ﷺ لأصحابه :**

بات رسول الله ﷺ مريضاً متعباً، فلما طلع الفجر أصبح خفيفاً مفيقاً، فكشف ستر الحجرة، ونظر الى الناس وهم صفوف خلف أبي بكر الصديق ﷺ ، فتبسم لما رأى من اجتماعهم على رجل واحد، وحسن ألفتهم وتآخيهم .

عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ : أَنَّ المُسْلِمِينَ بَيْنَا هُمْ فِي الفَجْرِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَأَبُو بَكْرٍ ﷺ يُصَلِّي بِهِمْ، فَفَجِئَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ، فَتَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلاَةِ، وَهَمَّ المُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلاَتِهِمْ، فَرَحًا بِالنَّبِيِّ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ: أَنْ أَتِمُّوا، ثُمَّ دَخَلَ الحُجْرَةَ، وَأَرْخَى السِّتْرَ، وَتُوُفِّيَ ذَلِكَ اليَوْمَ. أخرجه البخاري(٢).

ثم أخبرهم رسول الله ﷺ أنه لم يبق من أمر النبوة إلا المبشرات، وهي الرؤيا الصالحة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ الله ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمَ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا المُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ القُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ» أخرجه مسلم(٣).

فلما رأى الناس رسول الله ﷺ قد أصبح مفيقاً، ظنوا أنه قد برأ من وجعه، فانصرفوا في حوائجهم مستبشرين .

عن ابْن عَبَّاسٍ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا حَسَنٍ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ ؟ فَقَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ الله بَارِئًا،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٣٥).
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٢٠٥).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٤٧٩).

فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ وَاللهِ بَعْدَ ثَلاَثٍ عَبْدُ العَصَا، وَإِنِّي وَاللهِ لأَرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ سَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعِهِ هَذَا، إِنِّي لأَعْرِفُ وُجُوهَ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ عِنْدَ المَوْتِ، اذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلْنَسْالهُ فِيمَنْ هَذَا الأَمْرُ، إِنْ كَانَ فِينا عَلِمْنَا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلِمْنَاهُ، فَأَوْصَى بِنَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّا وَاللهِ لَئِنْ سَالنَاهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَمَنَعَنَاهَا لاَ يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ، وَإِنِّي وَاللهِ لاَ أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ.أخرجه البخاري(1).

- **استئذان أبي بكر الصديق ﷺ:**

استأذن أبو بكر الصديق ﷺ رسول الله ﷺ في الخروج إلى أهله بالسُّنح ، فقال: يا رسول الله : إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب ، واليوم يعني يوم الاثنين يوم بنت خارجة أفأتيها ؟

فقال رسول الله ﷺ: « نعم »، فخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح ، موضع بعوالي المدينة.

- **احتضار الرسول ﷺ :**

احتضر رسول الله ﷺ فداه أبي وأمي ، واشتد الوجع عليه أشد ما يكون حين رجع إلى حجرة عائشة رضي الله عنها ، فاضطجع في حجر عائشة رضي الله عنها ، وجعل يتغشاه الكرب الشديد، حتى تأذت وتألمت ابنته فاطمة من شدة ما يلقى من سكرات الموت .

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: لمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: وَاكَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لهَا: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ»، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ، يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ.

فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ.أخرجه البخاري(2).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لمَّا وَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ كَرْبِ المَوْتِ مَا وَجَدَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ: وَا كَرْبَ أَبَتَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لَا كَرْبَ عَلَى أَبِيكِ بَعْدَ اليَوْمِ، إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ مِنْ أَبِيكِ مَا لَيْسَ بِتَارِكٍ مِنْهُ أَحَدًا، المُوَافَاةُ يَوْمَ القِيَامَةِ» أخرجه ابن ماجه (3).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٤٤٧).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٤٦٢).
(٣) **حسن صحيح**/ أخرجه ابن ماجه برقم (١٦٢٩) .

ثم جعل الوجع يشتد على رسول الله ﷺ ، وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخيبر من الشاة المسمومة التي أهدتها له زينب اليهودية، حتى انقطع منه الأبهر بسبب السم ، والأبهر عرق متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ» أخرجه البخاري[1].

وعن أُمِّ مُبَشِّرٍ رضي الله عنها قالت :دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَقَالَتْ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، مَا تَتَّهِمُ بِنَفْسِكَ؟ فَإِنِّي لَا أَتَّهِمُ إِلَّا الطَّعَامَ الَّذِي أَكَلَ مَعَكَ بِخَيْبَرَ، وَكَانَ ابْنُهَا مَاتَ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «وَأَنَا لَا أَتَّهِمُ غَيْرَهُ، هَذَا أَوَانُ قَطْعِ أَبْهَرِي» أخرجه أحمد[2].

فظهر أثر السم بقوة عند موته ﷺ ، لِمَا يريده الله له من تكميل مراتب العبودية والفضل ، فأكرمه ربه بالشهادة ، فمات ﷺ شهيداً .

وبينما رسول الله ﷺ يعالج سكرات الموت ، وعائشة رضي الله عنها مسندته إلى صدرها ، وهو بين سحرها ونحرها ، دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ، وفي يده سواك رطب يستن به ، والرسول ﷺ ينظر إليه، فأخذته ولينته وأعطته إياه صلوات الله وسلامه عليه .

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: إِنَّ مِنْ نِعَمِ الله عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ الله جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ الله ﷺ ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ - يَشُكُّ عُمَرُ - فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ. أخرجه البخاري[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٤٢٨).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٩٣٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٤٤٩).

٣ – وفاة الرسول ﷺ

توفى الله رسوله محمداً ﷺ يوم الاثنين ، الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، من السنة الحادية عشرة للهجرة ، وعمره ﷺ ثلاث وستون سنة .

وكانت وفاته ﷺ حين اشتد الضحى من يوم الاثنين ، واشتداد الضحى يقع قبل الزوال، ويستمر حتى يتحقق الزوال .

عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا المُسْلِمُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ الله ﷺ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَنظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ، فَتبَسَّمَ يَضْحَكُ، وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ لَهُ الصَّفَّ، فَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ الخُرُوجَ وَهَمَّ المُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلاَتِهِمْ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ، فَأَرْخَى السِّتْرَ وَتُوُفِّيَ مِنْ آخِرِ ذَلِكَ اليَوْمِ. أخرجه البخاري[1].

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قالت: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ – أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، يَشُكُّ عُمَرُ – فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ. أخرجه البخاري[2].

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: إِنَّ مِنْ نِعَمِ الله عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ الله جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ. أخرجه البخاري[3].

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ: « إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُحَيَّا أَوْ يُخَيَّرَ»، فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ القَبْضُ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ البَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» فَقُلْتُ: إِذًا لاَ يُجَاوِرُنَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ. أخرجه البخاري[4].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٥٤).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥١٠).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٤٤٩).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٤٣٧).

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ ، إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَان مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَذْهِبِ البَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقمًا» فَلَمَّا مَرِضَ رَسُولُ الله ﷺ وَثَقُلَ، أَخَذْتُ بِيَدِهِ لِأَصْنَعَ بِهِ نَحْوَ مَا كَانَ يَصْنَعُ، فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الأَعْلَى» قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى. أخرجه مسلم(1).

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي، فَلاَ أَكْرَهُ شِدَّةَ المَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ . أخرجه البخاري(2).

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ وَرَأْسُهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ، قَالَتْ: فَلَمَّا خَرَجَتْ نَفْسُهُ لَمْ أَجِدْ رِيحًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْهَا. أخرجه أحمد (3).

وبعد معالجة شدة سكرات الموت ، مات أعز مخلوق على وجه الأرض ، وفقدت الدنيا أكرم مخلوق عرفه البشر، وفاضت أطهر روح في الدنيا من جسده الطاهر ، وصعدت إلى بارئها راضية مرضية ، وخرج أكرم إنسان على الله تعالى من الدنيا كما جاء إليها، ولم يترك مالاًولا ديناراً ، ولا درهما ولا ولداً ، إلا فاطمة رضي الله عنها، وإنما ترك ﷺ للأمة إلى يوم القيامة هداية وإيماناً ، وأخلاقاً وآداباً ، وشريعة عامة خالدة ، وميراثاً روحياً عظيماً ، وأمة رباها وعَّلمها ، هي خير الأمم وأوسطها : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة/ ١٢٨] .

● هول الفاجعة التي أصابت المسلمين :

شاع خبر وفاة رسول الله ﷺ بالمدينة ، ونزل خبر وفاته ﷺ على أصحابه كالصاعقة ، لشدة حبهم له ، وما تعودوه من صحبته ، والعيش في كفنه ، والأنس بمجالسته ، وتلقي العلم منه ، وتحقق الأمن ببعثته ، واجتماع قلوبهم عليه ، ووحشة فراقه ﷺ .

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: صَلَّيْنَا المَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ العِشَاءَ، قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٩١).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٤٤٦).
(٣) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (٢٤٩٠٥).

صَلَّيْنَا مَعَكَ المَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ العِشَاءَ، قَالَ «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» أخرجه مسلم[1].

- **موقف عمر بن الخطاب** رضي الله عنه:

لما اشتد المرض برسول الله ﷺ جيء به محمولاً في كساء، فدخل على عائشة رضي الله عنها وبعث إلى أزواجه وقال: « إِنِّي قَدْ اشْتَكَيْتُ، وَإِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدُورَ بَيْنَكُنَّ، فَائْذَنَّ لِي فَلأَكُنْ عِنْدَ عَائِشَةَ، أَوْ صَفِيَّةَ» ، وَلَمْ أُمَرِّضْ أَحَدًا قَبْلَهُ، فَبَيْنَمَا رَأْسُهُ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى مَنْكِبَيَّ إِذْ مَالَ رَأْسُهُ نَحْوَ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُ مِنْ رَأْسِي حَاجَةً، فَخَرَجَتْ مِنْ فِيهِ نُطْفَةٌ بَارِدَةٌ، فَوَقَعَتْ عَلَى ثُغْرَةِ نَحْرِي، فَاقْشَعَرَّ لَهَا جِلْدِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَسَجَّيْتُهُ ثَوْبًا.

فَجَاءَ عُمَرُ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَاسْتَأْذَنَا، فَأَذِنْتُ لَهُمَا، وَجَذَبْتُ إِلَيَّ الْحِجَابَ، فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَاغَشْيَاهْ، مَا أَشَدُّ غَشْيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَامَا، فَلَمَّا دَنَوَا مِنَ الْبَابِ، قَالَ الْمُغِيرَةُ: يَا عُمَرُ، مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: كَذَبْتَ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ تَحُوسُكَ فِتْنَةٌ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَا يَمُوتُ حَتَّى يُفْنِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَافِقِينَ.

ثُمَّ جَاءَ أَبو بَكْرٍ، فَرَفَعْتُ الْحِجَابَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَحَدَرَ فَاهُ، وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَانَبِيَّاهْ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ حَدَرَ فَاهُ، وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاصَفِيَّاهْ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَحَدَرَ فَاهُ، وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، وَقَالَ: وَاخَلِيلَاهْ، مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَعُمَرُ يَخْطُبُ النَّاسَ وَيَتَكَلَّمُ، وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَا يَمُوتُ، حَتَّى يُفْنِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَافِقِينَ. أخرجه أحمد[2].

فلما خرج عمر رضي الله عنه من عند رسول الله ﷺ سل سيفه، وتوعد الناس، وقال: لا أسمع أحداً يقول: مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بالسيف، ثم قام في المسجد خطيباً وقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإن رسول الله ﷺ والله ما

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣١).

(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٤١).

مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات .

والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات ، وظل الناس في المسجد وحوله يبكون من هول الفاجعة .

- **موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه:**

عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، فَتَيَمَّمَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ الله، لاَ يَجْمَعُ الله عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا.

قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه خَرَجَ وَعُمَرُ رضي الله عنه يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: اجْلِسْ، فَأَبَى فَقَالَ: اجْلِسْ، فَأَبَى، فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ، فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله فَإِنَّ الله حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٤] .

وَالله لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ الله أَنْزَلَهَا حَتَّى تَلاهَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ، فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلَّا يَتْلُوهَا . أخرجه البخاري(١) .

فنشج الناس يبكون لما سمعوا خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال عمر رضي الله عنه: وَالله لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الله أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا.

قال عمر رضي الله عنه: وَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاَهَا فَعَقِرْتُ، حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلاَيَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاَهَا، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ. أخرجه البخاري(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٤٥٤).

قالت عائشة رضي الله عنها : فما كان من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها ، لقد خوَّف عمر الناس ، وإن فيهم لنفاقاً ، فردهم الله بذلك .
ثم لقد بصَّر أبو بكر الناس الهدى ، وعرَّفهم الحق الذي عليهم ، وخرجوا به يتلون : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٤٤] .

- **هل أوصى الرسول ﷺ لأحد بالخلافة :**

عَنِ الأَسْوَدِ قَالَ: ذَكَرُوا عِنْدَ عَائِشَةَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ الله عَنْهُمَا كَانَ وَصِيًّا، فَقَالَتْ: مَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ، وَقَدْ كُنْتُ مُسْنِدَتَهُ إِلَى صَدْرِي؟- أَوْ قَالَتْ: حَجْرِي - فَدَعَا بِالطَّسْتِ، فَلَقَدْ انْخَنَثَ فِي حَجْرِي، فَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَمَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ؟ أخرجه البخاري(١).
وعن أبي جُحَيْفَةَ قَالَ: سَالتُ عَلِيًّا رضي الله عنه هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي القُرْآنِ؟ وَقَالَ مَرَّةً: مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ؟ فَقَالَ: وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي القُرْآنِ، إِلَّا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ، وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ. قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: العَقْلُ، وَفِكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَنْ لاَ يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ. أخرجه البخاري(٢).
وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا كِتَابُ الله، وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « المَدِينَةُ حَرَمٌ، مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ، وَقَالَ: ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلاَ عَدْلٌ، وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلاَ عَدْلٌ» أخرجه البخاري(٣).
وعن عَامِر بْن وَاثِلَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيْكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ، قَالَ: فَقَالَ: مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قَالَ: « لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، ولَعَنَ اللهُ من غيَّر منارَ الأرض » أخرجه مسلم(٤).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٤١).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٩٠٣).
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٨٧٠).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٩٧٨).

وعن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ عَبْدًا مَأْمُورًا، بَلَّغَ وَالله مَا أُرْسِلَ بِهِ، وَمَا اخْتَصَّنَا دُونَ النَّاسِ بِشَيْءٍ، لَيْسَ ثلاثًا، أَمَرَنَا أَنْ نُسْبغَ الوُضُوءَ، وَأَنْ لَا نَأْكُلَ الصَّدَقَةَ، وَأَنْ لَا نُنْزِيَ حِمَارًا عَلَى فَرَسٍ. أخرجه أحمد[1].

وعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَالأَشْتَرُ إِلَى عَلِيٍّ، فَقُلْنَا: هَلْ عَهِدَ إِلَيْكَ نَبِيُّ الله ﷺ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: لَا، إِلا مَا فِي كِتَابِي هَذَا، قَالَ: وَكِتَابٌ فِي قِرَابِ سَيْفِهِ، فَإِذَا فِيهِ « المُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، أَلَا لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله، وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أخرجه أحمد[2].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٩٧٧).
(٢)**صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٩٩٣).

٤ – غسل جنازة الرسول ﷺ

لما بويع لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة يوم الاثنين ، أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ وغسله ، وذلك يوم الثلاثاء، الثالث عشر، من ربيع الأول.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أرادوا غسل النبي ﷺ اختلفوا فيه فقالوا: والله ما ندري! كيف نصنع ، أنجرّد رسول الله ﷺ كما نجرِّد موتانا، أم نغسِّله وعليه ثيابه؟ قالت : فلما اختلفوا أرسل الله عليهم السِّنَة حتى والله ما من القوم من رجل إلا ذقنه في صدره نائماً، ثم كلَّمهم من ناحية البيت، لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه.قالت رضي الله عنها : فثاروا إليه، فغسلوا رسول الله ﷺ وهو في قميصه، يفاض عليه الماء والسدر ، ويدلكه الرجال بالقميص. أخرجه أحمد وأبوداود [١].

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه.

وكان الذين تولوا غسل رسول الله ﷺ سبعة نفر، وهم:

علي بن أبي طالب .. والعباس بن عبد المطلب .. والفضل بن العباس .. وقثم بن العباس ، رضي الله عنهم ، ومعهم أسامة بن زيد ، وصالح وهو شقران مولى رسول الله ﷺ ، رضي الله عنهم أجمعين .

وأما أوس بن خولى الأنصاري رضي الله عنه ، فحضر غسل الرسول ﷺ ، ولم يل من غسله شيئاً، فكان العباس والفضل وقثم رضي الله عنهم يقلبون الرسول ﷺ مع علي رضي الله عنه ، وكان أسامة بن زيد وشقران رضي الله عنهما يصبان الماء ، وعلي رضي الله عنه يغسله ، وهو يقول : بأبي وأمي ، ما أطيبك حياً وميتاً .

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه لمَّا غَسَّلَ النَّبِيَّ ﷺ ذَهَبَ يَلْتَمِسُ مِنْهُ مَا يَلْتَمِسُ مِنَ المَيِّتِ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَقَالَ: بِأَبِي الطَّيِّبُ طِبْتَ حَيًّا وَطِبْتَ مَيِّتًا .أخرجه ابن ماجه [٢].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ : جَعَلَ عَلِيٌّ يُغَسِّلُ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمْ يَرَ مِنْهُ شَيْئًا ممَّا يُرَى مِنَ المَيِّتِ ، وَهُوَ يَقُولُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَطْيَبَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا. أخرجه أحمد [٣].

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٣٠٩)، وأخرجه أبوداود برقم (٣١٤١).
(٢) حسن/ أخرجه ابن ماجه برقم (١٤٦٧).
(٣) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٥٧).

٥ – تكفين الرسول ﷺ

لما فرغوا من غسل الرسول ﷺ ، كفنوه في ثلاثة أثواب بيض ، سحولية من كرسف وهو القطن ، ليس فيها قميص ولا عمامة .
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كُفِّنَ فِي ثَلاَثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَةٍ بِيضٍ، سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ.متفق عليه (١).

٦ – الصلاة على الرسول ﷺ

لما كُفن الرسول ﷺ وُضع على سريره في بيت عائشة رضي الله عنها ، ثم أُذن للناس بالدخول عليه ﷺ أرسالاً، أفواجاً يتبع بعضهم بعضاً ، يصلون عليه ، ولا يؤمهم أحد . وإنما صلوا عليه فرادى لم يؤمهم أحد ، ليباشر كل واحد من الناس الصلاة على الرسول ﷺ منه إليه ، ولتكرر صلاة المسلمين عليه مرة بعد مرة ، من كل فرد من آحاد الصحابة ، رجالهم ونساؤهم وصبيانهم .
عَنْ أَبِي عَسِيبٍ، أَوْ أَبِي عَسِيمٍ أَنَّهُ شَهِدَ الصَّلاَةَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ، قَالُوا: كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْهِ؟ قَالَ: ادْخُلُوا أَرْسَالًا أَرْسَالًا، قَالَ: فَكَانُوا يَدْخُلُونَ مِنْ هَذَا البَابِ فَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنَ البَابِ الآخَرِ .
قَالَ: فَلَمَّا وُضِعَ فِي لَحْدِهِ ﷺ، قَالَ المُغِيرَةُ: قَدْ بَقِيَ مِنْ رِجْلَيْهِ شَيْءٌ لَمْ يُصْلِحُوهُ، قَالُوا: فَادْخُلْ فَأَصْلِحْهُ، فَدَخَلَ، وَأَدْخَلَ يَدَهُ فَمَسَّ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: أَهِيلُوا عَلَيَّ التُّرَابَ، فَأَهَالُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ، حَتَّى بَلَغَ أَنْصَافَ سَاقَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَكَانَ يَقُولُ أَنَا أَحْدَثُكُمْ عَهْدًا بِرَسُولِ الله ﷺ. أخرجه أحمد (٢).

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٦٤)، ومسلم برقم (٩٤١).
(٢)**صحيح**/ أخرجه أحمد (٢٠٧٦٦).

٧ – دفن الرسول ﷺ

لما فرغ الصحابة رضي الله عنهم من الصلاة على رسول الله ﷺ ، أخذوا يتشاورون أين يدفنونه ؟

فقال بعضهم : ندفنه عند المنبر ، وقال آخرون : ندفنه بالبقيع ، فاختلفوا ، فأرسلوا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يُحب أن يدفن فيه) ادفنوه في موضع فراشه.

عَنْ عَائِشَةَرضي الله عنها قَالَتْ: لمَّا قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ، قَالَ: مَا قَبَضَ الله نَبِيًّا إِلاَّ فِي المَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ، ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِه» أخرجه الترمذي [١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: رَأَيْتُ كَأَنَّ ثَلاثَةَ أَقْمَارٍ سَقَطَتْ فِي حُجْرَتِي ، فَسَأَلتُ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ ، إِنْ تَصْدُقْ رُؤْيَاكِ يُدْفَنُ فِي بَيْتِكِ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ ثَلاثَةً ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ وَدُفِنَ، قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ : يَا عَائِشَةُ ، هَذَا خَيْرُ أَقْمَارِكِ ، وَهُوَ أَحَدُهَا .أخرجه الحاكم [٢].

ثم اختلف الصحابة رضي الله عنهم في حفر قبر النبي ﷺ ، هل يُجعل له لحد؟ أو يُجعل له شق ؟

واللحد: شق يُجعل في جانب القبر للميت من جهة القبلة ، والضريح شق يحفر في وسط القبر. وكان في الندينة رجلان يحفران القبور هما : أبو عبيده بن الجراح رضي الله عنه ، وكان يضرح ، كحفر أهل مكة ، والآخر أبو طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه ، وكان يَلْحد ، وكان يحفر لأهل المدينة ، فأرسلوا إليهما ، فسبق صاحب اللحد فحفر قبر النبي ﷺ في حجرة عائشة رضي الله عنها .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ بِالمَدِينَةِ رَجُلٌ يَلْحَدُ، وَآخَرُ يَضْرَحُ، فَقَالُوا: نَسْتَخِيرُ رَبَّنَا، وَنَبْعَثُ إِلَيْهِمَا، فَأَيُّهُمَا سُبِقَ تَرَكْنَاهُ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِمَا، فَسَبَقَ صَاحِبُ اللَّحْدِ، فَلَحَدُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ . أخرجه ابن ماجه [٣].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (١٠١٨).
(٢) **صحيح**/ أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٤٥٦).
(٣)**حسن**/ أخرجه ابن ماجه برقم (١٥٥٧).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : لمَّا أَرَادُوا أَنْ يَحْفِرُوا لرسول الله ﷺ ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ يَضْرَحُ كَحَفْرِ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ هُوَ الَّذِي يَحْفِرُ لِأَهْلِ المَدِينَةِ ، فَكَانَ يَلْحَدُ ، فَدَعَا العَبَّاسُ رَجُلَيْنِ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا : اذْهَبْ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ ، وَلِلْآخَرِ اذْهَبْ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ . اللَّهُمَّ خِرْ لرسول الله ﷺ ، فَوَجَدَ صَاحِبَ أَبِي طَلْحَةَ أَبَا طَلْحَةَ ، فَجَاءَ بِهِ ، فَلَحَدَ لرسول الله ﷺ . أخرجه أحمد[1].

وعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ: الحَدُوا لِي لَحْدًا، وَانْصِبُوا عَلَيَّ اللَّبِنَ نَصْبًا،كَمَا صُنِعَ بِرَسُولِ الله ﷺ.أخرجه مسلم[2].

ولما جاء أبوطلحة الأنصاري رضي الله عنه خط حول الفراش، ثم حُول رسول الله ﷺ بالفراش ناحية من البيت وحفر أبو طلحة القبر ، وصنع له لحداً ، ودخل قبره ﷺ العباس وعلي والفضل ، رضي الله عنهم ، ووضع شقران مولى رسول الله ﷺ في قبره ﷺ قطيفة حمراء، ثم أنزلوا رسول الله ﷺ في قبره صلوات الله وسلامه عليه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جُعِلَ فِي قَبْرِ رَسُولِ الله ﷺ قَطِيفَةٌ حَمْرَاءُ. أخرجه مسلم[3].

وكان آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن العباس بن عبد الطلب رضي الله عنهما .

عن عَبْدِ الله بْنِ الحَارِثِ قَالَ: اعْتَمَرْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فِي زَمَانِ عُمَرَ، أَوْ زَمَانِ عُثْمَانَ، فَنَزَلَ عَلَى أُخْتِهِ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ عُمْرَتِهِ رَجَعَ، فَسُكِبَ لَهُ غُسْلٌ فَاغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا حَسَنٍ، جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرٍ نُحِبُّ أَنْ تخْبِرَنَا عَنْهُ، قَالَ: أَظُنُّ المُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يحَدِّثُكُمْ أَنَّهُ كَانَ أَحْدَثَ النَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ الله ﷺ ؟ قَالُوا: أَجَلْ، عَنْ ذَلِكَ جِئْنَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: أَحْدَثُ النَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ الله ﷺ قُثَمُ بْنُ العَبَّاسِ. أخرجه أحمد[4].

وكان دفن النبي ﷺ ليلة الأربعاء ، فقد مكث ﷺ يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء بكامله ، ودفن ليلة الأربعاء ، صلوات ربي وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار .

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٣٩).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٦٦).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٩٦٧).
(٤) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٧٨٧) .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: تُوُفِّيَ النبي ﷺ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَدُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ . أخرجه أحمد[1].

وعَنْ عَائِشَةَ عنها قَالَتْ: مَا عَلِمْنَا بِدَفْنِ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتَ المَسَاحِي مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ. أخرجه أحمد[2].

وقد حزن الصحابة رضي الله عنهم على وفاة رسول الله ﷺ حزناً عظيماً ، وتأثر بذلك كبارهم وصغارهم ، ورجالهم ونساؤهم وأطفالهم ، ورحل السراج المنير الذي ملأ الدنيا نوراً وهدى ورحمه ، في حياته وبعد مماته ﷺ .

عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: لمَّا هَاجَرَ رَسُولُ الله ﷺ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَرْكَبُ وَأَبُو بَكْرٍ رَدِيفُهُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُعْرَفُ فِي الطَّرِيقِ لِاخْتِلَافِهِ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِالقَوْمِ فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَيَقُولُ: هَادٍ يَهْدِينِي. فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ المَدِينَةِ بَعَثَا إِلَى القَوْمِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنَ الأَنْصَارِ إِلَى أَبِي أُمَامَةَ وَأَصْحَابِهِ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِمَا فَقَالُوا: ادْخُلَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ، فَدَخَلَا.

قَالَ أَنَسٌ: فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ أَنْوَرَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ يَوْم دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ المَدِينَةَ، وَشَهِدْتُ وَفَاتَهُ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ أَظْلَمَ وَلَا أَقْبَحَ مِنَ اليَوْمِ الَّذِي تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ فِيهِ. أخرجه أحمد[3].

وعَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: لمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَقَالَ: مَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ الأَيْدِي حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا. أخرجه أحمد[4].

وعَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ الله ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَزُورُهَا، فَلمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ الله خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ .

فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ الله خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى البُكَاءِ. فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا.أخرجه مسلم[5].

---

(١) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (٢٤٩٧٠) .
(٢) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (٢٤٣٣٣).
(٣) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٢٢٣٤).
(٤) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٣٨٣٠).
(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٤٥٤).

وعنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: لمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جعَلَ يَتغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: وَاكَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لهَا: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ».
فلمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ، يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ، فَلمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ. أخرجه البخاري[1].
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾
[الأحزاب/ ٥٦].

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ».
إنا لله وإنا إليه راجعون ، ونُشهد الله وملائكته والخلائق أجمعين أن رسولنا محمداً ﷺ قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، وترك الأمة على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر/ ٣٠].
﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٤٦٢).

٨ – زوجات الرسول ﷺ

أمهات المؤمنين هن زوجات الرسول ﷺ ، وقد أكرمهن الله ﷻ بأن حرم عليهن أن يتزوجن بعد رسول الله ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٥٣] .

وقد تزوج الرسول ﷺ خمس عشرة امرأة ، ودخل بثلاث عشرة منهن ، واجتمع عنده منهن إحدى عشرة امرأة ، وتوفي ﷺ عن تسع زوجات .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَاأَنَّ ابْنَةَ الجَوْنِ لمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَدَنَا مِنْهَا، قَالَتْ: أَعُوذُ بِالله مِنْكَ، فَقَالَ لهَا: «لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، الحَقِي بِأَهْلِكِ» أخرجه البخاري(١).

وعَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ وَأَبِي أُسَيْدٍ قَالاَ: تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَيْمَةَ بِنْتَ شَرَاحِيلَ، فَلمَّا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَكَأَنَّهَا كَرِهَتْ ذَلِكَ، فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ أَنْ يجُهِّزَهَا وَيَكْسُوَهَا ثَوْبَيْنِ رَازِقِيَّيْنِ. أخرجه البخاري(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ – قَالَ أَحَدُهُمَا: صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، وَقَالَ الآخَرُ: نِسَاءُ قُرَيْشٍ – أَحْنَاهُ عَلَى يَتِيمٍ فِي صِغَرِهِ» متفق عليه(٣).

وزوجاته ﷺ اللاتي دخل بهن وبقين معه إحدى عشرة إمرأة ، وهن أمهات المؤمنين كما قال سبحانه : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[الأحزاب/ ٦] .

١ – وأمهات المؤمنين ستٌّ قرشيات، وهن :

خديجة بنت خويلد ، وسودة بنت زمعة ، وعائشة بنت أبي بكر ، وحفصة بنت عمر ، وأم سلمة بنت أمية بن سهل، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، رضي الله عنهن أجمعين.

وأربع عربيات غير قرشيات وهن :

زينب بنت جحش ابنة رئاب المخزومية ، وميمونة بنت الحارث بن قيس الهلالية ، وزينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث بن ضرار المصطلقية.

وواحدة من بني إسرائيل وهي صفية بنت حيي بن أخطب النضري اليهودي .

فهؤلاء أزواجه ﷺ إحدى عشرة امرأة فقط .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢٥٤).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٢٥٦).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧١٧)، ومسلم برقم (٢٥٢٧).

والله حكيم عليم ، فالرسول ﷺ أطلق له العدد ، وحُد له المعدود ، ونحن أطلق لنا المعدود ، وحد لنا العدد فأباح الله لرسوله ﷺ أن يتزوج ما شاء من النساء ، وحد له نساء بأعينهن ينقلن شريعته من داخل بيوته ﷺ ، فلما أكمل الله شريعته قال الله له : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ ﴾ [الأحزاب/ ٥٢] .

ونحن أباح الله ﷻ لنا أن نتزوج ما شئنا من نساء المسلمين في أي وقت ، وحدد لنا العدد حيث لا يجتمع في عصمة الرجل في وقت واحد أكثر من أربع زوجات ، مع اباحه ملك اليمين كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ ﴾ [النساء/ ٣] .

وإذا كنا قد عرفنا الرسول الكريم ، والنبي الرحيم ، والزوج الصالح ﷺ ، من خلال سيرته ﷺ ، فلا بد لنا من معرفة أزواجه الطاهرات ، وأمهات المؤمنين التقيات ، ومعرفة أولاده من بنين وبنات ، ليكتمل النصاب بمعرفة أهل بيت النبوة ، وما يجب لهم من المحبة وسائر الحقوق .

وهؤلاء أزواجه ﷺ اللاتي تزوج بهن ، وبقين معه، وهن إحدى عشرة امرأة:

١ - خديجة بنت خويلد رضي الله عنها :

هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، أول زوجات الرسول ﷺ ، تزوجها ﷺ وهو في سن الخامسة والعشرين من عمره ، وهي في سن الأربعين من عمرها ، ولم يتزوج عليها في حياتها أي امرأة .

وخديجة رضي الله عنها أول من آمن بالرسول ﷺ من النساء ، وأول من صلى خلفه ، وأول من أنفق ماله في سبيل الله ، وأول من دعا إلى الله ﷻ ، وهي التي رزق ﷺ منها الولد ، وأول من جاءها سلام خاص من ربها ، وأول من بُشرت ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب .

٢ - سودة بنت زمعة رضي الله عنها :

أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها ، كانت من المؤمنات المهاجرات في سبيل الله ، فقد هاجرت هي وزوجها السكران بن عمرو إلى الحبشة ، ومكثت في الحبشة دهراً .

وعندما عادت مع زوجها من هجرتها توفي زوجها السكران بن عمرو ، وتركها من غير عائل ، وكان أهلها أشداء وأعداء ألدا للإسلام ، فخشي رسول الله ﷺ أن يبطش بها قومها ، ويفتنونها في دينها ، فأراد ﷺ أن يجزيها على إسلامها ومصابها خيراً ، وفي هذا الوقت كانت خديجة رضي الله عنها قد ماتت ، وحزن عليها الرسول ﷺ حزناً شديداً ، فخطب ﷺ سودة بنت زمعة رضي الله عنها وتزوجها في شوال من السنة العاشرة من البعثة ، بعد أن عقد على عائشة رضي الله عنها .

وكانت سودة رضي الله عنها بدينة الجسم ، ثقيلة الحركة ، كبيرة السن ، وعندما طعنت في السن ، وذهبت حاجتها إلى الرجال ، خشيت أن يطلقها رسول الله ﷺ، وحرصت على أن تحشر في أزواجه ، وأن تسره بما يحبه ، فوهبت يومها لعائشة رضي الله عنها.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا، غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ الله ﷺ .أخرجه البخاري [1].

وبقيت سودة رضي الله عنها زوجة للرسول ﷺ ، ثم توفيت رضي الله عنها في خلافة عثمان رضي الله عنه، وعمرها ما يقارب الثمانين عاماً .

٣- عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، تزوجها رسول الله ﷺ في شوال ، من السنة العاشرة للبعثة ، وقد بلغت من العمر ست سنين ، ولم يدخل بها إلا في شوال ، من السنة الثانية للهجرة ، وعمرها تسع سنين ، بعد هجرته إلى المدينة بسبعة أشهر .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ.أخرجه البخاري[2].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ، وَزُفَّتْ إِلَيْهِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ، وَلُعَبُهَا مَعَهَا، وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانَ عَشْرَةَ.أخرجه مسلم[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٨٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٥١٣٤).
(٣) أخرجه مسلم برقم (١٤٢٢).

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ الله ﷺ فِي شَوَّالٍ، وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ الله ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟، قَالَ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ.أخرجه مسلم(١).

وكانت لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مكانة عظيمة في قلب رسول الله ﷺ، لمواقفه العظيمة معه في سبيل الله، فأراد ﷺ أن يكرم صاحبه الوفي الأمين، ويوثق عرى المحبة بينه وبين من ناصره ووقف معه، برباط المصاهرة، فتزوج من ابنته عائشة رضي الله عنها.

وقد رأى رسول الله ﷺ في المنام أن ملكاً يحمل إليه عائشة في سرقة من حرير.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « أُرِيتُكِ قَبْلَ أَنْ أَتَزَوَّجَكِ مَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُ المَلَكَ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقُلْتُ لَهُ: اكْشِفْ، فَكَشَفَ فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَقُلْتُ: إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ الله يُمْضِهِ، ثُمَّ أُرِيتُكِ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقُلْتُ: اكْشِفْ، فَكَشَفَ، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَقُلْتُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ الله يُمْضِهِ»أخرجه البخاري(٢).

ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غيرعائشة رضي الله عنها.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: «فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا» تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا.أخرجه البخاري(٣).

وكانت عائشة رضي الله عنها امرأة ذكية ، فطنة ، غزيرة العلم ، فقيهة في الدين ، سامية الخلق ، وكانت أحب نساء الرسول ﷺ إليه ، وكانت شديدة الحب لرسول الله ﷺ ، حتى كانت تغار عليه .

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ عَمْرَو بْنَ العَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ» فَعَدَّ رِجَالًا، فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ»متفق عليه (٤).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٢٣).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠١٢).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٠٧٧).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٥٨)، ومسلم برقم (٢٣٨٤).

توفيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في خلافة معاوية ﷺ ، ليلة الثلاثاء ، السابع عشر من رمضان ، سنة ثمان وخمسين من الهجرة ، وعمرها ست وستون سنة ، ودفنت من ليلتها بالبقيع رضي الله عنها ، وجعل جنة الفردوس مثواها .

٤- حفصة بنت عمر رضي الله عنها:

أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها ، توفي عنها زوجها خنيس بن حذافة السهمي ، صاحب الهجرتين ، الحبشة والمدينة ، إذ أصابته جراحة يوم أحد فمات منها ، فحزنت عليه حزناً شديداً ، وحزن عمر لحزنها فعرض زواجها على أبي بكر ثم عثمان ، لعل في زواجها بأحدهما مواساة لها ، وإخراج لها من أحزانها ، فاعتذر عثمان ، وسكت أبو بكر ، فوجد عليهما عمر رضي الله عنه.

ثم لبث عمر ليالي فخطبها رسول الله ﷺ ، مواساة لها ، وإكراماً لأبيها ، فاروق هذه الأمة رضي الله عنه.

عن ابْن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، تُوُفِّيَ بِالمَدِينَةِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا.

قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ الله ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ الله ﷺ ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا. أخرجه البخاري (١).

وكان عمر حفصة رضي الله حين تزوجها رسول الله ﷺ عشرين عاماً ، وهي الزوجة الرابعة في الترتيب بعد خديجة وسودة وعائشة ، رضي الله عنهن .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠٠٥).

وكانت حفصة رضي الله عنها صوامة قوامة ، ولما طلقها رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ فقال له: راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة.

وتوفيت حفصة رضي الله عنها في شعبان ، سنة إحدى وأربعين للهجرة ، في أول خلافة معاوية رضي الله عنه ، ودفنت بالبقيع في المدينة رضي الله عنها .

٥- زينب بنت خزيمة رضي الله عنها:

أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها هي أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث لأمها ، وكانت تدعى في الجاهلية أم المساكين ، لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، وتعاقب عليها عدد من الأزواج في الجاهلية والإسلام .

ولما مات آخرأزواجها عبد الله بن جحش رضي الله عنه في أحد، أكرمها رسول الله ﷺ بخطبتها، والزواج منها في شهر رمضان ، من السنة الثالثة للهجرة .

وبقيت زينب بنت خزيمة رضي الله عنها مع الرسول ﷺ شهرين أو ثلاثة ، ثم توفيت رضي الله عنها ، ودفنت بالبقيع ، وهي أول من دفن من أزواج الرسول ﷺ في البقيع .

ولم يمت من أزواجه ﷺ في حياته غير زينب بنت خزيمة ، وقبلها خديجة التي دفنت بالحجون بمكة ، رضي الله عنهن أجمعين .

٦- أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها :

أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد رضي الله عنه ، وهو أخو النبي ﷺ من الرضاعة ، وابن عمته برة .

وقد أبلى أبو سلمة بلاءً حسناً في غزوة أحد ، وجُرح جرحاً كبيراً اندمل بعد فترة ، ثم عاوده واشتد عليه ألمه ، وكان سبباً في وفاته .

فمات رضي الله عنه وخلف وراءه زوجته أم سلمة ، وأربعة من الأولاد هم : (زينب وسلمة وعمر ودرة)، فبكت عليه زوجته ، وحزنت لفقده ، فأراد الرسول ﷺ أن يكرمها ويواسيها عملياً ، بضمها إلى نسائه ، والقيام بأمرها ، وكفالة أولادها ، لأنها من المهاجرات اللاتي هاجرن الهجرتين ، وذات رأي سديد ، كما عمل الرسول ﷺ برأيها في صلح الحديبية كما مر معنا .

فتزوجها ﷺ في شوال ، سنة أربع من الهجرة.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: "إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا »، قَالَتْ: فَلمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ الله ﷺ ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ»أخرجه مسلم [1].

وبعد وفاة الرسول ﷺ لزمت أم سلمة رضي الله عنها بيتها ، وعكفت على العبادة ، وروت للصحابة ما سمعت من رسول الله ﷺ ، وهي ثاني أزواج الرسول ﷺ رواية للحديث بعد عائشة رضي الله عنها، وتوفيت أم سلمة رضي الله عنها في شهر ذي القعدة، سنة اثنتين وستين للهجرة، ودفنت بالبقيع ، وهي آخر زوجات النبي ﷺ وفاة، رضي الله عنها .

٧- زينب بنت جحش رضي الله عنها:

أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها ، هي ابنة عمة الرسول ﷺ أميمة بنت عبد المطلب .

وقد زوجها رسول الله ﷺ من مولاه زيد بن حارثة الذي أعتقه رسول الله ﷺ ثم تبناه ، إلى أن أبطل الله عادة التبني ، وأنزل الله في قصة زواجها من زيد ، ثم من الرسول ﷺ ، قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[الأحزاب/ ٣٧] .

ولما طلقها زيد ، وفرغت من عدتها ، تزوجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة من العام الخامس الهجري ، وهي بنت خمس وثلاثين سنة .

وكانت رضي الله عنها تفخر على أزواج النبي ﷺ ، وتقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سماوات .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١٨).

وأراد رسول الله ﷺ بهذا الزواج تنفيذ إبطال عادة التبني، بزواجه من امرأة مولاه زيد رضي الله عنه أمام المسلمين ، ليكون أدعى لقبولهم كما تقدم .

وكانت زينب رضي الله عنها من سادة النساء ديناً وخلقاً وورعاً ومعروفاً ، كانت تعمل بيدها وتتصدق .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ « أَسْرَعُكُنَّ لحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا » قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا. قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَب لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ. متفق عليه [1].

وقد توفيت زينب بنت جحش رضي الله عنها سنة عشرين من الهجرة، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمرها ثلاثاً وخمسين سنة، وقد صلى عليها عمر رضي الله عنه، ثم دفنت بالبقيع رضي الله عنها.

٨- جويرية بنت الحارث رضي الله عنها:

أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها ، كان أبوها الحارث سيد بني المصطلق ، وقد أسلم رضي الله عنه .

عن جويرية رضي الله عنها قالت: يَا رَسُولَ الله، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ البَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ - أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ - فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي. قَالَ: «فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟» . قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «أَقْضِي كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ» قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ» . قَالَتْ: وَخَرَجَ الخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الحَارِثِ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ الله ﷺ فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ، قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا. أخرجه أحمد [2].

وكان عمر جويرية حين تزوجها رسول الله ﷺ عشرين سنة ، وكان زواجها بعد غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة للهجرة ، وقد أراد ﷺ بهذا الزواج صيانة سيدات الأسر الكريمة من الذل ، ورحمة عزيز قوم ذل ، وغني قوم افتقر ، فنالت بزواج رسول الله ﷺ منها أعظم شرف ، وأعلى مقام .

---

(١) متفق عليه، خرجه البخاري برقم (١٤٢٠)، ومسلم برقم (٢٤٥٢).

(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٣٦٥).

وقد توفيت أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها سنة خمسين من الهجرة ، في خلافة معاوية ﷛ ، وكان عمرها حين توفيت خمساً وستين سنة ، رضي الله عنها وأرضاها ، ودفنت بالبقيع بالمدينة .

٩- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها:

أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها أسلمت قديماً ، وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي إلى الحبشة ، ولما مات زوجها في الحبشة أرسل الرسول ﷺ عمرو بن أمية الضمري ﷛ إلى النجاشي ليخطبها له ، فزوجها رسول الله ﷺ بصفته وكيلاً عنه ﷺ ، وبعث بها النجاشي إلى المدينة مع شرحبيل بن حسنة ، وكان ذلك سنة سبع للهجرة ، وكان عمرها بضعاً وثلاثين سنة .

وفي زواج الرسول ﷺ من أم حبيبة رضي الله عنها مواساة لها في مصيبتها في زوجها الذي مات ووقوف معها في غربتها ، وتخفيف من غلواء وعداوة قومها بني أمية ، فما زال النبي ﷺ يكرمهم ويؤلف قلوبهم حتى هداهم الله للإسلام ، وأصبحوا قوه تنصره وتدافع عن أهله كما تقدم .

وأم حبيبة رضي الله عنها من بنات عم الرسول ﷺ ، وليس في نسائه من هي أقرب إليه نسباً من أم حبيبة رضي الله عنها .

توفيت رضي الله عنها سنة أربع وأربعين من الهجرة ، في خلافة أخيها معاوية رضي الله عنهما ، ودفنت بالبقيع .

١٠ - صفية بنت حيي رضي الله عنها:

أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها هي بنت سيد بني النضير في المدينة حيي بن أخطب ، وكان أشد أعدائه من يهود .

وعندما افتتح رسول الله ﷺ خيبر في السنة السابعة للهجرة ، وقعت صفية رضي الله عنها في الأسر ، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه ، ثم أعتقها وتزوجها ، ودخل عليها في طريق العودة من خيبر إلى المدينة ، وهي الزوجة العاشرة من أزواجه .

وكان زوج صفية رضي الله عنها كنانة بن أبي الحقيق اليهودي ، فقتل يوم خيبر ، وسبيت زوجته مع النساء .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَدِمْنَا خَيْبَرَ فَلمَّا فَتَحَ الله عَلَيْهِ الحِصْنَ، ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا النَّبِيُّ ﷺ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ، فَبَنَى بِهَا رَسُولُ الله ﷺ ، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطَعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ لِي: «آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ». فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَتَهُ عَلَى صَفِيَّةَ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى المَدِينَةِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، وَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ. متفق عليه [1].

وأراد ﷺ من زواجه بصفية رضي الله عنها رفع قدرها ومكانتها ، فهي ابنة أكبر زعماء اليهود ، فلا بد من إكرامها لمكانتها عند اليهود ، وكان من خلقه ﷺ إكرام عزيز قوم ذل إذا أسلم .

وعاشت صفية رضي الله عنها مع الرسول ﷺ عزيزة مكرمة ، وكان ﷺ يلقنها الحجج عندما يقع بينها وبين بعض نسائه ما يقع عادة بين الضرائر .

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ: بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: « مَا يُبْكِيكِ؟» فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَإِنَّكِ لابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟» ثُمَّ قَالَ: « اتَّقِي الله يَا حَفْصَةُ ». أخرجه الترمذي [2].

فقوله ﷺ (وإنك لابنة نبي) يريد إسحاق ﷺ ، (وإن عمك لنبي) يريد إسماعيل ﷺ، (وإنك لتحت نبي) يريد نفسه ﷺ .

وكان عمر صفية حين تزوجها رسول الله ﷺ سبعة عشر عاماً ، وكانت ذات حسب وجمال وخلق ودين .

وتوفيت رضي الله عنها سنة خمسين من الهجرة في المدينة ، في خلافة معاوية ﷺ ، ودفنت بالبقيع .

١١- ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها:

أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها تزوجها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء ، في السنة السابعة من الهجرة ، ودخل بها بسرف خارج مكة ، وهي أخت أم الفضل بنت الحارث زوجة العباس ، رضي الله عنهما.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢١١)، ومسلم برقم (١٣٦٥).
(٢) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٤).

وكانت ميمونة رضي الله عنها معروفة بالصلاح والتقوى وصلة الرحم ، فلما تأيمت من زوجها أبي رهم بن عبد العزي ، أشار العباس ﷺ على رسول الله ﷺ بالزواج منها ، لأنه أعرف الناس بها، فهي أخت زوجته أم الفضل رضي الله عنها ، فتزوجها رسول الله ﷺ إكراماً لها ، ومواساة لها بعد فقد زوجها ، وتقديراً لفضلها ، وتحبيباً لقومها في الإسلام كما تقدم .

وتوفيت ميمونة رضي الله عنها سنة إحدى وخمسين من الهجرة بسرف ، في نفس المكان الذي تزوجها ﷺ فيه ، بعد منصرفه من عمرة القضاء .

عَنْ يَزِيدَ بْنِ الأَصَمِّ عَنْ مَيْمُونَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ تَزَوَّجَهَا حَلاَلًا، وَبَنَى بِهَا حَلَالًا، وماتت بسرف، فدفنها فِي الظُّلَّةِ الَّتِي بَنَى بِهَا فِيهَا، فَنَزَلْتُ فِي قَبْرِهَا أَنَا وَابْنُ عَبَّاسٍ، فَلَمَّا وَضَعْنَاهَا فِي اللَّحْدِ، مَالَ رَأْسُهَا، وَأَخَذْتُ رِدَائِي فَوَضَعْتُهُ تحت رأسها، فاجتذبه ابن عَبَّاس. أخرجه ابن حبان [1].

فهذه أزواجه ﷺ إحدى عشرة امرأة ، أولهن خديجة رضي الله عنها ، وآخرهن ميمونة رضي الله عنها .

٢- حكمة تعدد زوجات الرسول ﷺ :

أمهات المؤمنين معلمات ومفتيات ينقلن للأمة الأحكام والآداب الزوجية التي تحصل في بيوته ﷺ ، ومن الصعب أن تقوم زوجة واحدة بنقل وإبلاغ تلك الأحكام المختلفة إلى الناس، فاقتضى الأمر تعدد أزواجه، لنقل تلك الأحكام الهامة من بيوته.

كما كان ﷺ الأسوة الحسنة في حسن الخلق ، وطيب العشرة مع نسائه ، وما يفعل الرجل مع أزواجه من تعليم ورحمة ، وحسن عشرة ، مع اختلاف الطبائع والأعمار والصفات .

ولم يكن لهؤلاء النساء من أزواجه ما يغريهن بالبقاء معه سوى هذه المهمة العظيمة ، فقد كن يعشن في شظف من العيش ، وكن يطالبن بزيادة النفقة ، فخيَّرهن ﷺ بين الطلاق أو قبول هذا المستوى من المعيشة، فاخترن البقاء معه كما قال سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ

(١) صحيح/ أخرجه ابن حبان برقم (٤١٣٤).

﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ [الأحزاب/ ٢٨ – ٢٩].

وكان منهن الصغيرة والمسنة ، وابنة صديق حميم ، وابنة عدو لدود ، وابنة عزيز ذلت، ومنهن من يواسيها عن فقد زوجها، ومنهن من تميزت بالبر والتقوى وكثرة الصيام والقيام ، ومنهن من تزوجها ليؤلف قومها على الإسلام ، ويحببه إليهم.

ولما كثر أعداء الإسلام من قريش وغطفان ويهود وغيرهم اقتضت الحكمة أن يُجمد رسول الله ﷺ بعض أطراف هذا العداء ، وذلك بالإصهار إلى قبائل شتى ، لأن أعراف العرب كانت تقتضي أن يحمي أهل المرأة زوج امرأتهم ، ولئلا تستغل هذه المصالح استغلالاً سيئاً ، جعل الله هذا التعدد بهذه الكيفية خاصاً برسول الله ﷺ ، وحد لغيره من أمته أربع زوجات : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠﴾ [الأحزاب/ ٥٠].

ولما تمت المقاصد الكبرى من زواجه ﷺ بأمهات المؤمنين قال الله ﷻ له : ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ [الأحزاب/ ٥٢].

٩ – أولاد الرسول ﷺ

١- كان للرسول ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أبناء وبنات .

أما الأبناء فهم: القاسم ، وعبد الله ، وقد ماتوا صغاراً .

وأما البنات فهن أربع على الترتيب :

زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، رضي الله عنهن .

فأما زينب فتزوجها ابن خالها أبو العاص بن الربيع ، وكانت أكبر بنات الرسول ﷺ.

وأما رقية رضي الله عنها فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولما توفيت زوَّجه رسول الله ﷺ أختها أم كلثوم رضي الله عنها.

وأما فاطمة رضي الله عنها فتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وولد له منها الحسن والحسين ، وزينب وأم كلثوم رضي الله عنهم أجمعين .

وجميع بناته ﷺ توفاهن الله في حياته إلا فاطمة رضي الله عنها ، فقد ماتت بعد وفاته ﷺ بسته أشهر كما تقدم .

٢- وولد للرسول ﷺ إبراهيم من سريته مارية القبطية ، ومات بعد ستة عشر شهراً من ولادته.

فأولاده ﷺ ثلاثة : القاسم ، وعبد الله ، وإبراهيم .

وبناته أربع :زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، رضي الله عنهم أجمعين .

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه وأتباعه.

١٠- بيعة أبي بكر الصديق بالخلافة

بعد أن انتشر خبر وفاة رسول الله ﷺ أصاب الناس الحزن والأسى على فقدان رسول الله ﷺ ، وقبل أن يُدفن الرسول ﷺ ، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، للنظر في أمر الخلافة ، ومن سيكون خليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ .

عن عمر بن الخطاب ؓ قال: قَدْ كَانَ مِنْ خَبَرِنَا حِينَ تَوَفَّى الله نَبِيَّهُ ﷺ إِلاَّ أَنَّ الأَنْصَارَ خَالَفُونَا وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَخَالَفَ عَنَّا عَلِي وَالزُّبَيْرُ وَمَنْ مَعَهُمَا، وَاجْتَمَعَ المُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ. فَقُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ. فَانْطَلَقْنَا نُرِيدُهُمْ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ لَقِينَا مِنْهُمْ رَجُلاَنِ صَالِحَانِ، فَذَكَرَا مَا تمَالَى عَلَيْهِ القَوْمُ، فَقَالاَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ؟ فَقُلْنَا: نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ . فَقَالاَ: لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَقْرَبُوهُمُ، اقْضُوا أَمْرَكُمْ . فَقُلْتُ: وَالله لَنَأْتِيَنَّهُمْ . فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ مُزَمَّلٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ. فَقُلْتُ: مَا لَهُ؟ قَالُوا: يُوعَكُ . فَلَمَّا جَلَسْنَا قَلِيلاً تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ، فَأَثْنَى عَلَى الله بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَنَحْنُ أَنْصَارُ الله وَكَتِيبَةُ الإِسْلاَمِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ رَهْطٌ، وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ، فَإِذَا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَزِلُونَا مِنْ أَصْلِنَا وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنَ الأَمْرِ . فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَكُنْتُ زَوَّرْتُ مَقَالَةً أَعْجَبَتْنِي أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَي أَبِي بَكْرٍ، وَكُنْتُ أُدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الحَدِّ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَى رِسْلِكَ . فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ ، والله مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِي فِي تَزْوِيرِي إِلاَّ قَالَ فِي بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا، حَتَّى سَكَتَ. فَقَالَ: مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الأَمْرُ إِلاَّ لِهَذَا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ. فَأَخَذَ بِيَدِي، وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ وَهْوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا، فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كَانَ والله أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي لاَ يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ ، اللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ تُسَوِّلَ إِلَيَّ نَفْسِي عِنْدَ المَوْتِ شَيْئًا لاَ أَجِدُهُ الآنَ . فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ، وَعُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ، مِنَّا أَمِيرٌ ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ .

فَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ حَتَّى فَرِقْتُ مِنَ الاِخْتِلاَفِ. فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ . فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، وَبَايَعَهُ المُهَاجِرُونَ، ثُمَّ بَايَعَتْهُ الأَنْصَارُ ، وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ. فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ . فَقُلْتُ: قَتَلَ اللهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ. قَالَ عُمَرُ: وَإِنَّا وَاللهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ، خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا القَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ: أَنْ يُبَايِعُوا رَجُلًا مِنْهُمْ بَعْدَنَا، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لاَ نَرْضَى، وَإِمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيَكُونُ فَسَادٌ، فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَلاَ يُتَابَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ. أخرجه البخاري[1].

وقال عمر ﵁ : يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَؤُمَّ النَّاسَ؟ فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ؟.

فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: نَعُوذُ بِاللهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ. أخرجه أحمد[2].

وقَامَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَإِنَّ الإِمَامَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَنَحْنُ أَنْصَارُهُ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا مِنْ حَيٍّ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، وَثَبَّتَ قَائِلَكُمْ ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَوْ فَعَلْتُمْ غَيْرَ ذَلِكَ لمَا صَالَحْنَاكُمْ. أخرجه أحمد[3].

- **عدم حرص أبي بكر ﵁ على الخلافة :**

ولم يكن أبو بكر ﵁ حريصاً على الخلافة ، وإنما لما خاف الاختلاف والفتنة قبل بها، خشية أن تقع فتنة أربى من تركه قبولها ، ﵁ وأرضاه .

ولما خطب أبو بكر ﵁ قال : ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة ، ولا سألتها في سر ولا علانية .

- **البيعة العامة :**

تمت بيعة أبي بكر الصديق ﵁ بالخلافة في سقيفة بني ساعدة يوم الاثنين ، يوم وفاة النبي ﷺ ، فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع الناس في المسجد ، فكانت البيعة العامة له من عموم المسلمين، وخطب في ذلك اليوم عمر بن الخطاب ﵁، ثم خطب أبو بكر ﵁.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٨٣٠).
(٢) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (١٣٣).
(٣)**صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢١٦١٧) .

٣- خطبة عمر رضي الله عنه:

عن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الآخِرَةَ حِينَ جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ، وَذَلِكَ الغَدَ مِنْ يَوْمٍ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَتَشَهَّدَ وَأَبُو بَكْرٍ صَامِتٌ لاَ يَتَكَلَّمُ، قَالَ: كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى يَدْبُرَنَا، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرَهُمْ، فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ، هَدَى اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثَانِيَ اثْنَيْنِ، فَإِنَّهُ أَوْلَى المُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ، فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ.

وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ العَامَّةِ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ الزُّهْرِيُّ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ لِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ: اصْعَدِ المِنْبَرَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى صَعِدَ المِنْبَرَ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَامَّةً. أخرجه البخاري[1].

٤- خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

ثم قام أبو بكر رضي الله عنه، وصعد المنبر ، وخطب في الناس ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال : أما بعد، أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي ؛ وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي ؛ الصِّدْقُ أَمَانَةٌ ، وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ الله ، وَالقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ الله ، لَا يَدَعُ قَوْمٌ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا ضَرَبَهُمْ اللهُ بِالذُّلِّ ، وَلَا تَشِيعُ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمْ اللهُ بِالبَلَاءِ ؛ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ.[2].

وهكذا تمت بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بإجماع المسلمين ، والحمد لله رب العالمين.

وبايع على بن أبي طالب رضي الله عنه، والزبير بن العوام رضي الله عنه، من أول يوم أو ثاني يوم من وفاة رسول الله ﷺ .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَامَ خُطَبَاءُ الأَنْصَارِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ، يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْكُمْ قَرَنَ مَعَهُ رَجُلًا مِنَّا، فَنَرَى أَنْ يَلِيَ هَذَا الأَمْرَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا مِنْكُمْ وَالآخَرُ مِنَّا، قَالَ: فَتَتَابَعَتْ خُطَبَاءُ الأَنْصَارِ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢١٩).

(٢) **صحيح** / أخرجه ابن إسحاق (٤/ ٣١٨).

كَانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَإِنَّ الإِمَامَ يَكُونُ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَنَحْنُ أَنْصَارُهُ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ، فَقَالَ: «جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، وَثَبَّتَ قَائِلَكُمْ» ثُمَّ قَالَ: «أَمَا لَوْ فَعَلْتُمْ غَيْرَ ذَلِكَ لمَا صَالحْنَاكُمْ» ثُمَّ أَخَذَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: هَذَا صَاحِبُكُمْ، فَبَايَعُوهُ، ثُمَّ انْطَلَقُوا، فَلَمَّا قَعَدَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى المِنْبَرِ نَظَرَ فِي وُجُوهِ القَوْمِ فَلَمْ يَرَ عَلِيًّا فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَامَ نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَتَوْا بِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَتَنُهُ أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا المُسْلِمِينَ؟ فَقَالَ: لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَايَعَهُ. أخرجه الحاكم [1].

والرسول ﷺ لم ينص على الخلافة عيناً لأحد من الناس ، لا لأبي بكر رضي الله عنه كما قاله بعض الناس ، ولا لعلي رضي الله عنه كما يقوله طائفة من الرافضة .

ولكنه ﷺ أشار إشارات قوية يفهمها كل ذي لب وعقل ، إلى أن الأولى بالخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ومن ذلك تقديمه في الصلاة ، حين مرض الرسول ﷺ ، وبعثه أميراً على الحج في السنة التاسعة للهجرة واختياره رفيقاً له في الهجرة، وغير ذلك .

وما وقع في الصحيحين من أن علياً رضي الله عنه بايع أبا بكر رضي الله عنه بعد ستة أشهر من وفاة رسول الله ﷺ ، وذلك حين توفيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فإن علياً رضي الله عنه بايع أولاً مع الناس البيعة العامة على المنبر .

ولما حصل من فاطمة رضي الله عنها من عتب على أبي بكر رضي الله عنه بسبب حقها في الميراث ، ولم تعلم أن النبي ﷺ قال: « لا نورث، ما تركناه فهو صدقة ».

فلم تكلم فاطمة رضي الله عنها الصديق حتى ماتت ، فاحتاج علي رضي الله عنه أن يجدد البيعة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وهذا هو اللائق بعلي رضي الله عنه ، فإنه بايع أبا بكر رضي الله عنه من أول يوم ، وشهد معه الصلوات ، وبذله النصيحة والمشورة بين يديه ، رضي الله عنهم أجمعين .

* * * * *

(١) **صحيح/** أخرجه الحاكم برقم (٤٥١٤).

الباب الرابع

دلائل نبوة الرسول ﷺ

وتشتمل على ما يلي :

١- بشارات الأنبياء السابقين بالرسول ﷺ

٢- أنه ﷺ لو لم يكن نبياً لحذَّر الأنبياء منه

٣- أنه ﷺ كان لايرى رؤيا في المنام إلا جاءت كما رآها

٤- انقطاع استراق الجن للسمع قبيل بعثته ﷺ

٥- إنزال القرآن الكريم عليه ﷺ

٦- أن الله ﷻ خرق للنبي ﷺ العادة مراراً في أمور كثيرة

٧- توقير بعض الجمادات والحيوانات للرسول ﷺ

٨- إخباره ﷺ عن أمور تحصل في المستقبل فحصلت

٩- المعجزات والأخبار التي أخبر بها ﷺ فصدقها الطب الحديث

دلائل نبوة الرسول ﷺ

بعث الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين ، وأيده بالدلائل العظيمة ، والآيات العجيبة، والمعجزات الكثيرة، الدالة على وجوب الإيمان به ، وصدق رسالته، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « مَا مِن الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ» متفق عليه[1].

ودلائل نبوته ﷺ كثيرة وهذه أهمها :

الأولى : بشارات الأنبياء السابقين به ﷺ ، فقد بشر به عيسى ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف/ ٦].

وقد جاء وصف النبي ﷺ والذين معه في التوراة والإنجيل كما قال سبحانه : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح/ ٢٩].

وجاء النص في القرآن في حق جميع الأنبياء بالإقرار بنبوته كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨١].

ولما كانت نبوة محمد ﷺ مسجلة في كتب أهل الكتاب ، شهد بها بعض علماء اليهود والنصارى للنبي ﷺ قبل البعثة وبعدها، لِمَا رأوا عليه من أمارات وعلامات النبوة : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [البقرة/ ١٠١].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٩٨١) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٥٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة: والله إِنَّهُ لمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ : يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ ، وَلا صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله تَعَالَى حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ ، بِأَنْ يَقُولُوا : لا إِلَهَ إِلا الله ، وَيَفْتَحُوا بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا ، وَآذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا. أخرجه البخاري(١).

وقد استشهد الله ﷻ على نبوة محمد ﷺ بشهادة من عنده علم الكتاب، وهي التوراة والإنجيل كما قال سبحانه : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾[الرعد/ ٤٣].

الثانية : أنه ﷺ لو لم يكن نبياً لحذَّر الأنبياء منه ، ولوجد هذا التحذير في كتبهم ، بينما الواقع خلاف ذلك .

فقد انتشرت دعوته في مشارق الأرض ومغاربها ، وعم دينه أقطار الأرض ، ولو كان كذاباً لحذر منه الأنبياء من قبله ، ولحذروا أممهم من اتباعه كما حذروهم من اتباع الدجال ، ولما لم يحصل شيء من ذلك ، بل حصل من الأنبياء مدحه ﷺ ، والثناء عليه ، والبشارة به ، والأمر باتباعه ، والنهي عن مخالفته ، فدل ذلك على صدق نبوته، وإنه رسول الله الذي بشرت به الأنبياء أممهم : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾[الرعد/ ٤٣].

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[الصف/ ٦].

الثالثة : أنه ﷺ كان لايرى رؤيا في المنام إلا جاءت كما رآها مثل فلق الصبح .

فقد رأى ﷺ في المنام أنه يهاجر إلى أرض فيها نخل ، فوقع الأمر كما رأى ، وهاجر إلى المدينة.

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:«رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ»متفق عليه(٢).

(١) أخرجه البخاري برقم (٢١٢٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٢٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٢٧٢).

ورأى ﷺ أنه سيدخل المسجد الحرام بعد هجرته إلى المدينة فوقع ذلك ، ودخل المسجد الحرام فاتحاً كما قال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفتح/ ٢٧] .

ورؤاه الصادقة ﷺ كثيرة ، ومن أراد معرفتها ، فعليه بكتاب التعبير من صحيح البخاري ، وكتاب الرؤيا من صحيح مسلم .

الرابعة : انقطاع استراق الجن للسمع قبيل بعثته ﷺ .

فقد كانت الشياطين تسترق السمع من السماء، وتلقيه إلى الكهان فيزيدون عليه، فلما قرب أمر مبعثه ﷺ حُجبت الشياطين عن السمع، وصار من يقعد لاستراق السمع في السماء يُرمى بشهاب ثاقب كما قال سبحانه عن الجن : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن/ ٨ - ٩] .

وظنت قريش أن ذلك علامة على قيام الساعة ، ولكن لما بُعث ﷺ ، وأسلمت الجن ، عرفت سبب منعها من السمع ، وأنه لئلا يختلط الوحي بغيره ، كما زكى الله وحيه بقوله : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٠ - ٢١٢] .

الخامسة : إنزال القرآن الكريم عليه ﷺ .

والقرآن من أعظم دلائل نبوته ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر/ ٨٧] .

والقرآن الكريم معجز في ذاته من سبعة وجوه :

الأول : بيان القرآن وفصاحته وبلاغته ، وظنت قريش أفصح الناس لساناً أنها تستطيع الإتيان بمثله كما قال الله عنهم : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنفال/ ٣١] .

فنزل القرآن بتحديهم على ثلاث مراحل :

أن يأتوا بمثله .. ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة مثله، فعجزوا مع شدة حرصهم على مغالبة القرآن ، فقطع الله طمعهم في معارضة كتابه إلى

قيام الساعة بقوله : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٨] .

الثاني : حفظه من التحريف والتغيير، والزيادة والنقصان على مر العصور والدهور إلى قيام الساعة كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر/ ٩].

الثالث : صدق الأخبار التي تضمنها ، سواء التي مضت ، أم التي حصلت أثناء نزول القرآن ، أو الأخبار التي ستقع في المستقبل .

فالأخبار التي مضت كأخبار خلق السموات والأرض وما فيها ، وقصة آدم وإبليس ، وقصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم .

وأما الأخبار التي نزلت مع التنزيل كالآيات التي نزلت في كشف أحوال المنافقين ، والآيات التي فيها إجابة السائلين

وأما الأخبار التي فيها كشف ما سيأتي في المستقبل فوقعت مطابقة لما أخبر به القرآن كدخول المسجد الحرام ، وهزيمة الكفار في غزوة بدر ، والآيات التي تقرر حفظ الله لكتابه ، والآيات التي يقررعجز الناس أن يأتوا بمثل سورة من القرآن ونحو ذلك : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾[الأنعام/ ١١٥].

الرابع : حسن ما تضمنه القرآن من تشريع وأحكام تصلح لجميع الخلق ، ولجميع الأزمنة والأمكنة ، ولجميع الأحوال، وتشمل جميع ما يُصلح العباد في دنياهم وأخراهم في كل شيء : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل/ ٨٩] .

الخامس : كثرة العلوم التي احتواها القرآن الكريم ، فعلاوة على أن القرآن قرر العقيدة الصحيحة ، وهدم أساطير الخرافة ، وقرر الأحكام الحسنة ، فقد اغترف منه علماء النحو والبلاغة واللغة وغيرهم شتى العلوم .

وهذا يدل على أن النبي ﷺ صادق فيما بلغه عن ربه؛ لأنه معروف عند قومه أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، مما يدل على أن ما جاء به وحي من ربه : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[العنكبوت/ ٤٨ – ٤٩] .

السادس : تأثير القرآن في النفوس التأثير البليغ ، سواء كانت نفوساً مؤمنة أو كافرة أو حيوانات أو جمادات : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٢٣] .

وعن تأثيره في الجمادات قال سبحانه : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر/ ٢١].

وعن تأثيره في نفوس المؤمنين قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢] .

وعن تأثيره في نفوس الكفار كما قال سبحانه عن النصارى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المائدة/ ٨٣] .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ. متفق عليه[1].

السابع : الاستشفاء بالقرآن من الأمراض البدنية والقلبية، فقد أمر الله في القرآن بأكل الطيبات ، واجتناب الخبائث، وحرم الخمر والزنا والفواحش ، وبعد المرض أمر بالتداوي والاستشفاء بالرقية والعسل : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٢] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس/ ٥٧] .

والآن نعود إلى تكميل دلائل نبوته .

السادسة : من دلائل نبوته ﷺ أن الله عز وجل خرق له العادة مراراً في أمور كثيرة .

ومن ذلك تكثير الطعام ببركة دعائه ﷺ ، وقد حصل هذا للنبي ﷺ أكثر من عشر مرات ، وكلها في الصحيحين وغيرهما .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٥٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٦٣).

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ ، وَعَلَيْهِ دَيْنٌ ، فَاسْتَعَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى غُرَمَائِهِ ، أَنْ يَضَعُوا مِنْ دَيْنِهِ ، فَطَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: « اذْهَبْ فَصَنِّفْ تَمرَكَ أَصْنَافًا، العَجْوَةَ عَلَى حِدَةٍ ، وَعَذْقَ زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ ، ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَيَّ »، فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَجَاءَ فَجَلَسَ عَلَى أَعْلاهُ ، أَوْ فِي وَسَطِهِ ، ثُمَّ قَالَ : «كِلْ لِلْقَوْمِ »، فَكِلْتُهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتُهُمُ الَّذِي لَهُمْ ، وَبَقِيَ تَمْرِي كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ . وَقَالَ فِرَاسٌ :عَنْ الشَّعْبِيِّ ، حَدَّثَنِي جَابِرٌ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّاهُ . أخرجه البخاري [(١)].

وعن جَابِرِ بْن عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ : لمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا ، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ : هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ الله ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا ، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَتْ : لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ الله ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ ».

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ، حَتَّى أَجِيءَ » فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ : بِكَ وَبِكَ ، فَقُلْتُ : قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ ، فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ ، ثُمَّ قَالَ : « ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا » وَهُمْ الفٌ، فَأُقْسِمُ بِالله لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ. متفق عليه[(٢)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافَ الإِسْلامِ لا يَأْوُونَ عَلَى أَهْلٍ وَلا مَالٍ، وواللهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ وَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ فِيهِ ، فَمَرَّ بِي أَبُو بَكْرٍ فَسَالتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ مَا أَسْأَلُهُ إِلا لِيُشْبِعَنِي ، فَمَرَّ وَلَمْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢١٢٧).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤١٠٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٠٣٩).

يَفْعَلْ ، ثُمَّ مَرَّ عُمَرُ فَسَالتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ مَا أَسْأَلُهُ إلا لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسِمِ ﷺ فتبَسَّمَ حِينَ رَآنِي ، وَقَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ »، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله ، فَقَالَ: «الحقْ »، وَمَضَى فَأَتْبَعْتُهُ وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، فَاسْتَأْذَنْتُ فَأَذِنَ لِي ، فَوَجَدَ قَدَحًا مِنْ لَبَنٍ ، فَقَالَ : « مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ لَكُمْ ؟ »قِيلَ : أَهْدَاهُ لَنَا فُلانٌ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « أَبَا هِرٍّ »، قُلْتُ : لَبَّيْكَ ، قَالَ : « الحقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ»، وَهُمْ أَضْيَافُ الإِسْلامِ ، وَلا يَأْوُونَ عَلَى أَهْلٍ وَلا مَالٍ ، وَإِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا ، فَسَاءَنِي ذَلِكَ ، وَقُلْتُ : مَا هَذَا القَدَحُ بَيْنَ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَأَنَا رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ فَسَيَأْمُرُنِي أَنْ أُدِيرَهُ عَلَيْهِمْ فَمَا عَسَى أَنْ يُصِيبَنِي مِنْهُ وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُصِيبَ مِنْهُ مَا يُغْنِينِي وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ طَاعَةِ الله وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ وَأَخَذُوا مجَالِسَهُمْ ، قَالَ : « يَا أَبَا هِرٍّ ، خُذِ القَدَحَ فَأَعْطِهِمْ ».

فَأَخَذْتُ القَدَحَ فَجَعَلْتُ أُنَاوِلُهُ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّهُ وَأُنَاوِلُهُ الآخَرَ ، حَتَّى انْتَهَيْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ ، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ القَدَحَ ، فَوَضَعَهُ عَلَى يَدَيْهِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَتبَسَّمَ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا هِرٍّ »، فَقُلْتُ : لَبَّيْكَ، يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : « اقْعُدْ فَاشْرَبْ »، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ ، ثُمَّ قَالَ : « اشْرَبْ »، فَشَرِبْتُ ، ثُمَّ قَالَ : « اشْرَبْ »، فَشَرِبْتُ ، ثُمَّ قَالَ : « اشْرَبْ »، فَلَمْ أَزَلْ أَشْرَبُ ، وَيَقُولُ : « اشْرَبْ »، حَتَّى قُلْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا ، فَأَخَذَ القَدَحَ ، فَحَمِدَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَسَمَّى ، ثُمَّ شَرِبَ. أخرجه البخاري [١].

ومن ذلك تكثير الماء القليل ببركة دعائه ﷺ .

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ حَضَرَتْ العَصْرُ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ غَيْرَ فَضْلَةٍ، فَجُعِلَ فِي إِنَاءٍ فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ وَفَرَّجَ أَصَابِعَهُ ثُمَّ قَالَ : « حَيَّ عَلَى أَهْلِ الوُضُوءِ، البَرَكَةُ مِنْ الله » فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ وَشَرِبُوا، فَجَعَلْتُ لَا آلُوا مَا جَعَلْتُ فِي بَطْنِي مِنْهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ. قُلْتُ لِجَابِرٍ كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: الفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ . متفق عليه[٢].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٥٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٣٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٥٦).

ومن ذلك ما جعل الله من البركة والشفاء في بدنه وريقه وعرقه ﷺ ، وهذا خاص به دون غيره .

عن يَزِيد بْن أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ : رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا مُسْلِم، مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ ، فَقَالَ النَّاسُ : أُصِيبَ سَلَمَةُ ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَنَفَثَ فِيهِ ثَلاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ. أخرجه البخاري [1].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ. قَالَ فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا فَأُتِيَتْ فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ ﷺ نَامَ فِي بَيْتِكِ عَلَى فِرَاشِكِ. قَالَ فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدِيمٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا، فَفَزِعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا قَالَ: «أَصَبْتِ» متفق عليه [2].

ومن ذلك انشقاق القمر آية له حين سأله أهل مكة أن يريهم آية تدل على نبوته ، فانشق القمر فرقتين حتى رأوا جبل حراء بينهما ، فقال النبي ﷺ « اشْهدُوا » متفق عليه[3].

ومن خوارق العادات التي حصلت له رفع بيت المقدس له وهو في مكة ، حتى رآه ووصفه للناس ، وهو ينظر إليه .

عَنْ جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قَالَ: سمعت رَسُولُ الله ﷺ يقول :« لمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلَا الله لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ» متفق عليه [4].

ومن دلائل نبوته ﷺ أنه أوتي جوامع الكلم ، ونصر بالرعب ، وأوتي مفاتيح خزائن الأرض .

عَنْ أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال :« بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي» متفق عليه [5].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٢٠٦).

(٢) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٦٢٨١) ، ومسلم برقم (٢٣٣١).

(٣) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٣٦٣٦) ، ومسلم برقم (٢٨٠٠).

(٤) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٦) ، ومسلم برقم (١٧٠).

(٥) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٢٩٧٧) ، ومسلم برقم (٥٢٣).

ومن دلائل نبوته ﷺ أنه يرى من خَلفه وهو يصلي بالناس إماماً .
عَنْ أنس رضي الله عنه قَالَ : أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ :« أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي » متفق عليه (1).
ومن لطيف دلائل نبوته ﷺ أنه نُصر بالصبا وهي ريح تهب من جهة المشرق، فريح سليمان ﷺ تأتيه بأمره، أما الصبا فتأتيه ﷺ بدون أمره .
قال الله تعالى عن سليمان ﷺ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص/ ٣٦].
وعَنْ ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قَالَ :« نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ» متفق عليه (2).
السابعة : توقير بعض الجمادات له كجبل أحد حين صعد عليه .
عن أنس رضي الله عنه قال : صعد النبي ﷺ إلى أُحُد ومعه أبوبكر وعمر وعثمان، فرجف بهم ، فضربه برجله،قال: «اثْبُتْ أُحُدُ فَمَا عَلَيْكَ إِلا نَبِيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شَهِيدَانِ»أخرجه البخاري(3).
ومن دلائل نبوته ﷺ حنين الجذع إليه .
وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله: أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا، قَالَ: « إِنْ شِئْتُمْ» فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ قَالَ : «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا» أخرجه البخاري(4).
ومن دلائل نبوته ﷺ توقير بعض الحيوانات له .
عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنهما قَالَ : أَرْدَفَنِي رَسُولُ الله ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ ، قَالَ : فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ : «مَنْ رَبُّ هَذَا الجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الجَمَلُ ؟» فَجَاءَ فَتًى مِنْ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ لِي : يَا رَسُولَ الله ، فَقَالَ :

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٣٤).
(2) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٠٣٥) ، ومسلم برقم (٩٠٠).
(3) أخرجه البخاري برقم (٣٦٨٦).
(4) أخرجه البخاري برقم (٣٥٨٤).

«أَفَلَا تَتَّقِي الله فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ الله إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ» أخرجه أبوداود[1].

الثامنة : من دلائل نبوته ﷺ إخباره عن أمور تحصل في المستقبل مع مرور الزمن فحصلت كما أخبر .

عَنْ ابن مسعود رضي الله عنه عن النَّبِيّ ﷺ قال : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يجيءُ أقْوامٌ تَسْبِقُ شهادةُ أحدهم يمينَهُ ، ويمينُهُ شهادتَهُ » متفق عليه[2].

ومن ذلك إيماؤه ﷺ إلى اختيار أبي بكر رضي الله عنه خليفة للمسلمين من بعده .

عَنِ الأَسْوَدِ قَالَ : كُنَّا عِنْدَعَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا فَذَكَرْنَا الْمُوَاظَبَةَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالتَّعْظِيمَ لهَا ، قَالَتْ : لمَّا مَرِضَ رَسُولُ الله ﷺ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَأُذِّنَ ، فَقَالَ :« مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ ، إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ ، فَقَالَ : «إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» .

فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً ، فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الوَجَعِ ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَكَانَكَ ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ ، قِيلَ لِلْأَعْمَشِ : وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلَاتِهِ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ بِرَأْسِهِ : نَعَمْ . متفق عليه[3].

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره أن الروم سوف تنتصر على الفرس، فانتصرو كما أخبر كما قال سبحانه : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم/ ١-٥].

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره بمقتل عثمان رضي الله عنه مظلوماً فوقع كما أخبر.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ فِتْنَةً ، فَقَالَ: « يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظْلُومًا » لِعُثْمَانَ . أخرجه أحمد والترمذي[4].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أبوداود برقم (٢٥٤٩).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٣٣).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٦٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤١٨).

(٤) **حسن** / أخرجه أحمد برقم (٥٩٥٣)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٧٠٨) وهذا لفظه.

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره بفتح خيبر على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان كما أخبر.
عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النَّبِيّ ﷺ يقول يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟» فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ فَدُعِيَ لَهُ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّه لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ: نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» متفق عليه [1].

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره بأن ابنته فاطمة رضي الله عنها أول أهل بيته لحوقاً به بعد وفاته، فكان كما أخبر.
عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دَعَا فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ، فَسَارَّهَا، فَبَكَتْ، ثُمَّ سَارَّهَا، فَضَحِكَتْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِفَاطِمَةَ: مَا هَذَا الَّذِي سَارَّكِ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَكَيْتِ؟ ثُمَّ سَارَّكِ، فَضَحِكْتِ؟ قَالَتْ: سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي بِمَوْتِهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ مَنْ يَتْبَعُهُ مِنْ أَهْلِهِ فَضَحِكْتُ. متفق عليه [2].

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره بهلاك كسرى وقيصر، وإنفاق كنوزهما في سبيل الله، فكان كما أخبر.
عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قال: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟ قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تخَافُ أَحَدًا إِلَّا الله»، قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّءٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلَادَ «وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى»، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ، فَلَا يجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟

---
(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٤٠٦).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٢٥)، ومسلم برقم (٢٤٥٠) واللفظ له.

فَيقُولُ: بَلَى ، فيَقُولُ : أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيقُولُ : بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ ».
قَالَ : عَدِيٌّ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، يَقُولُ : «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ »، قَالَ : عَدِيٌّ فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللهَ وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ ﷺ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ . أخرجه البخاري[1].

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره بأن الطاعون لا يدخل المدينة ، فكان كما أخبر ، فلم يدخلها قط حتى الآن .

عَنِ أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ : قال رَسُولُ الله ﷺ: « لا يَدْخُلُ المَدِينَةَ المَسِيحُ وَلا الطَّاعُونُ » متفق عليه[2].

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره بأن بعض أمته سوف يتشبه باليهود والنصارى ، فوقع الأمر كما أخبر .

عَنِ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رَسُولُ الله ﷺ قال: « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لاتبعتموهم»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله اليَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : «فَمَنْ ؟» متفق عليه[3].

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره عن أمور ستقع قبل قيام الساعة، وقد وقع الأمركما أخبر.

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهْوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا» أخرجه البخاري[4].

ومنها إخباره ﷺ عن نار ستخرج من أرض الحجاز ، تضيء لها أعناق الإبل ببصرى في الشام ، وقد خرجت هذه النار سنة ٦٦٥هـ .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٩٥).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٧٣١) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٣٧٩).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٥٦) ، ومسلم برقم (٢٦٦٩) واللفظ له.
(٤) أخرجه البخاري برقم (٣١٧٦).

عَنِ أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى» متفق عليه [1].

التاسعة : المعجزات والأخبار التي صدقها الطب الحديث :

فقد كشف الطب الحديث عن أسرار بعض المعجزات والأمور التي أخبر بها النبي ﷺ ، ويطلعنا الله ﷻ يوماً بعد يوم على سر من أسرار هذه المعجزات ، فيزيد إيمان العبد ، ويطمئن قلبه على صدق نبوة محمد ﷺ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٥٣] .

وهذه بعض أسرار المعجزات التي أخبر بها ﷺ :

١ - التمر :

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ» متفق عليه [2].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اصْطَبَحَ كُلَّ يَوْمٍ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ سُمٌّ وَلَاسِحْرٌ ذَلِكَ اليَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ» وَقَالَ غَيْرُهُ: سَبْعَ تَمَرَاتٍ. متفق عليه[3].

فقد أثبت الطب أن التمر بأنواعه ، وأجوده العجوة ، يُذهب الداء ولا داء فيه ، ملين للطبع ، مقو للكبد ، يزيد في الباءة ، وينقي الدم والكبد من المواد السامة .

٢ - الحبة السوداء :

عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول: « إِنَّ هَذِهِ الحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا مِنْ السَّامِ» قُلْتُ: وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: « المَوْتُ». أخرجه البخاري[4].

وقد أثبت الطب عملياً أن الحبة السوداء ، وهي الكمون الأسود ، فيها شفاء من كل داء يقبل العلاج كعسر الهضم والإمساك ونزلات البرد والسعال والربو ، وأمراض القلب وأمراض الكبد والكلى والمعدة ، والعقم والكسور ، والسكر وضغط الدم ، وأمراض العيون وغيرها .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١١٨) ، ومسلم برقم (٢٩٠٢).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٤٤٥) ، ومسلم برقم (٢٠٤٧).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٠٤٧).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٦٨٧).

٣- العسل :

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الشِّفَاءُ فِي ثَلاثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ وَكَيَّةِ نَارٍ وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنْ الكَيِّ » أخرجه البخاري(١).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُحِبُّ الحَلْوَاءَ وَالعَسَلَ. متفق عليه(٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فقَالَ أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ فقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ فقَالَ : «اسْقِهِ عَسَلًا»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فقَالَ : «اسْقِهِ عَسَلًا»، ثُمَّ أَتَاهُ فقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، فقَالَ: «صَدَقَ الله وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا» فَسَقَاهُ فَبَرَأَ . متفق عليه (٣).

العسل فيه شفاء للناس من كل داء يقبل العلاج ، وأثبت الطب أن العسل غذاء ودواء ، ينقي الجسم من السموم ، ويحرق الأشياء الضارة ، وأحسن ما يكون شرباً كما قال سبحانه : ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل/ ٦٩] .

٤ – الكمأة :

عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: «الكَمْأَةُ مِنْ المَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ » متفق عليه (٤).

الكمأة نبات صحراوي لا ساق له ولا أوراق ، تنصدع عنه الأرض بعد نزول المطر .

وقد أثبت الطب ما قاله رسول الله ﷺ في الكمأة ، فهي شفاء من الالتهابات في الجسم، وماؤها شفاء من أمراض العيون ، ويمنع التليف الذي يسبب التراخوما .

٥– السنا :

عن عبد الله بن حرام رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « عَلَيْكُمْ بِالسَّنَا وَالسَّنُّوتِ، فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ» قيل يا رسول الله: وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: « المَوْتُ» أخرجه ابن ماجه (٥).

السنا شجرة تعرف بـ (سنا مكي) والسنوت : العسل .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٨٢) ، ومسلم برقم (١٤٧٤) واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٨٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٢١٧).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤٧٨) ، ومسلم برقم (٢٠٤٩).

(٥) **صحيح** / أخرجه ابن ماجه برقم (٣٤٥٧).

وقد أثبت الطب أن السنا أوراقه وثماره مضادة للجراثيم والحميات الراشحة ، ويسهل الصفراء والسوداء ، ويقوي القلب ، ويزيل الصداع بإذن الله .

٦- القسط البحري :

عن أم قيس بنت محصن رضي الله عنها أَنَّهَا أَتَتْ رَسُولَ الله ﷺ بِابْنٍ لهَا قَدْ عَلَّقَتْ عَلَيْهِ مِنَ العُذْرَةِ فَقَالَ : «اتَّقُوا الله، علام تَدْغَرُونَ أَوْلَادَكُمْ بِهَذِهِ الأَعْلَاقِ، عَلَيْكُمْ بِهَذَا العُودِ الهنْدِيِّ ، فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ مِنْهَا : ذَاتُ الجَنْبِ » أخرجه البخاري[1].

أثبت الطب أن التداوي بالقسط طلاءً أو شراباً أو سوطاً أو لدوداً يدفع السموم ، ويقتل الديدان ، وهو من أقوى المواد المطهرة القاتلة للجراثيم .

٧- أبوال وألبان الإبل :

عن أنس ﷺ أَنَّ نَاسًا اجْتَوَوْا فِي المَدِينَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَلْحَقُوا بِرَاعِيهِ يَعْنِي الإِبِلَ فَيَشْرَبُوا مِنْ البَانهَا وَأَبْوَالهَا، فَلَحِقُوا بِرَاعِيهِ فَشَرِبُوا مِنْ البَانهَا وَأَبْوالهَا حَتَّى صَلَحَتْ أَبْدَانُهُمْ، فَقَتَلُوا الرَّاعِيَ ، وَسَاقُوا الإِبِلَ ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِمْ ، فَجِيءَ بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ . متفق عليه[2].

أثبت الطب حديثاً أن التداوي بشرب ألبان الإبل وأبوالها يفيد في علاج السكر والربو والدرن وإلتهاب الكبد وقرح الجهاز الهضمي والسرطان وغيرها ، وألبان الإبل ثرية بمكونات الغذاء الأساسية .

٨- زيت الزيتون :

قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[النور/ ٣٥] .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « ائْتَدِمُوا بِالزَّيْتِ وَادَّهِنُوا بِهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ» أخرجه ابن ماجه[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧١٨).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٨٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٦٧١).

(٣) **صحيح** / أخرجه ابن ماجه برقم (٣٣١٩).

وقد أثبت الطب عملياً أن زيت الزيتون مغذ للأبدان، ونافع في غذاء الحامل والمرضع والأطفال، ملين لتصلب الشرايين، ويقي أمراض الحموضة والقرصة، ويخفض نسبة السكر في الدم، وينقص الوزن، وينفع في علاج الأمراض الالتهابية والكبدية .

٩- السواك بعود الأراك :

عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى النَّاسِ- لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاةٍ». متفق عليه(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ». أخرجه أحمد (٢).

السواك مسنون كل وقت ، ويتأكد عند الوضوء ، والصلاة ، وقراءة القرآن ، وعند دخول البيت، وعند تغير رائحة الفم وغير ذلك، والسواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب.

وقد أثبت الطب أن سواك الأراك يحتوي على كثير من المواد النافعة والمطهرة والقابضة ، والمانعة للنزيف الدموي ، والقاتلة للجراثيم .

١٠- غمس الذباب :

عن أبي هريرة ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً وَفِي الآخَرِ دَاءً» أخرجه البخاري(٣).

وقد أثبت الطب عملياً أن الذباب يحمل الجراثيم على أطراف جناحيه ورجليه وخرطومه ، وفي برازه ، والجراثيم هي أسباب الأمراض ، وأثبت الطب كذلك أن في الذباب نفسه أقوى المضادات الحيوية التي هي سبب للشفاء من الجراثيم التي يحملها الذباب ، فتعقيم الحليب إذا وقع فيه الذباب بغمسه كله لتطهيره ، ولا يلزم من ذلك شربه .

١١- الخبز الأسمر :

عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ فَقُلْتُ: هَلْ أَكَلَ رَسُولُ الله ﷺ النَّقِيَّ؟ فَقَالَ سَهْلٌ: مَا رَأَى رَسُولُ الله ﷺ النَّقِيَّ مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ الله حَتَّى قَبَضَهُ الله. قَالَ فَقُلْتُ: هَلْ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٨٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٢).

(٢) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٢٤٢٠٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٧٨٢).

كَانَتْ لَكُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَنَاخِلُ؟ قَالَ: مَا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْخُلًا مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ. قَالَ قُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ؟ قَالَ: كُنَّا نَطْحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ، فَيَطِيرُ مَا طَارَ، وَمَا بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ فَأَكَلْنَاهُ. أخرجه البخاري(١).

فقد أثبت الطب الحديث أن خلو الخبز من النخالة كالخبز الأبيض يؤدي إلى الإصابة بمجموعة من الأمراض كالإمساك، والبواسير، وفتق جدار البطن والحاجب الحاجز، وانسداد الأمعاء، والنزيف الدموي للمعدة، وسرطان الأمعاء، وغير ذلك، ولأهمية النخالة صارت تباع في الصيدليات في شكل أقراص ومساحيق.

١٢ – الصبر:

عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِمَلَلٍ اشْتَكَى عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ عَيْنَيْهِ فَلَمَّا كُنَّا بِالرَّوْحَاءِ اشْتَدَّ وَجَعُهُ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ يَسْأَلُهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ اضْمِدْهُمَا بِالصَّبِرِ فَإِنَّ عُثْمَانَ ﷺ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الرَّجُلِ إِذَا اشْتَكَى عَيْنَيْهِ وَهُوَ مُحْرِمٌ ضَمَّدَهُمَا بِالصَّبِرِ. أخرجه مسلم(٢).

وقد أثبت الطب الحديث أن ثمرة الصبر تنفع من قروح العين وأوجاعها، ومن حكة المآق، وهو مجفف للجسد، وعلاج لتقرحات قرنية العين، وقروح الرجلين، والصبر مرطب للجلد ويلطفه وينعمه لأنه يحبس الماء في الجلد فيرطبه وينعمه، وهو نافع في علاج التهاب المفاصل.

وهناك أضعاف ما ذكرنا من المعجزات التي أكد الطب صحتها، وقد تركناها خشية الإطالة، ولا يزال الطب كل يوم يؤكد صحة ما جاء عن الله ورسوله طبياً وعملياً: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

ودلائل نبوته ﷺ كثيرة، فقد أوصلها بعض الباحثين إلى أكثر من ألف دليل.

ويمكن تقسيم دلائل نبوته ﷺ من حيث وقوعها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: آيات ودلائل حصلت وانقضت حين كان النبي ﷺ حياً، خروج الماء من بين أصابعه، وتسليم الحجر عليه بمكة، وانشقاق القمر آية له، وحنين الجذع إليه، وإشباع العدد الكثير من الطعام أو الشراب القليل ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٤١٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٢٠٤).

الثاني : آية خالدة ، منذ بعث الله النبي ﷺ إلى قيام الساعة ، وهي القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وذلك من أعظم الأدلة على نبوته : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩] .

الثالث : آيات ودلائل تأتي مع مرور الزمن ، وهي كل ما أخبر به النبي ﷺ من الغيبيات كعلامات الساعة الصغرى والكبرى ، وما يحدث بعد قيام الساعة من البعث والحساب إلى دخول الناس منازلهم في الجنة أو النار .



الباب الخامس

فقه الإيمان بالله ورسوله

ويشتمل على ما يلي :

١ - فقه الإيمان بالله ورسوله

الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح.

والتصديق وحده لا يكفي، فلابد معه من الإقرار، والانقياد.

فقد صدَّق أبو طالب عم النبي ﷺ بنبوة إبن أخيه، ولكنه لم يقر له، ولم يتبعه، فمات مشركاً .

وكذلك اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ كانوا يعرفون أنه نبي، ويشهدون أنه نبي، ومع هذا حكم الله عليهم بالكفر، لأنهم لم يتبعوه : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ٣٣] .

وكذا بعض الكفار اليوم يؤمنون بنبوة محمد ﷺ ، ويسمونه بالنبي، وهم باقون على كفرهم، لأنهم لم يتبعوه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥] .

فلا نجاة لأحد يوم القيامة إلا بثلاثة أمور :

عبادة الله وحده .. واتباع الرسول ﷺ وحده .. والكفر بكل ما يعبد من دون الله ﷻ :

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٦] .

﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

ولو أن الإيمان هو التصديق لله ورسوله فقط بدون انقياد، لكان إبليس مؤمناً، لأنه يعلم الحق من الباطل، ولكنه لم ينقد للحق استكباراً عليه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة/ ٣٤] .

لهذا لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان برسول الله ﷺ ، ولا يتم توحيد الله بالعبادة الا بتوحيد الرسول ﷺ بالإتباع : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

والإيمان بالله ورسوله أصل التوحيد، وأساس الإيمان، وأعظم أركان الإسلام، والطريق الوحيد للفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التغابن/ ٨] .

ولا يكمل إيمان العبد إلا باستكمال أركان الإسلام والإيمان.

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء/ ١٣٦] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ الإسلام بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ،وَحَجِّ البيتِ ». متفق عليه(١).

وعن عمر رضي الله عنه قال : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ ، بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ ، سَوَادِ الشَّعَرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ :«الإسلام أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا »، قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ ، وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ ، قَالَ : «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَاليَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » أخرجه مسلم(٢).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، إِلَّا بِحَقِّ الإسلام ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله» متفق عليه(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» أخرجه مسلم(٤).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨)، ومسلم برقم (١٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٥٣).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٨).

٢- شروط شهادة أن لا إله إلا الله

- **شهادة التوحيد لها ركنان :**

شهادة أن لا إله إلا الله .. وشهادة أن محمداً رسول الله .

فشهادة أن لا إله الا الله توحيد الله ﷻ بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعبادته وحده لا شريك له.

وكلمة التوحيد بركنيها شرط للدخول في الإسلام، وشرط لدخول الجنة، والنجاة من النار، وهي لب الدين، وأساس الملة، لهذا فإنه يجب على من أراد الله والدار الآخرة أن يعلم شروط تلك الشهادة، ويحققها بالعمل بموجبها، والقيام بشروط كلمة التوحيد من أوصاف أهل الجنة كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المعارج/ ٣٣] .

وهذه الآية وإن كان المقصود بها عموم الشهادات، فإن شهادة (أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله) هي أولى الشهادات بالأداء والتحقيق، والتصديق، والتطبيق .

- **شروط شهادة أن لا إله إلا الله :**

يشترط لتحقيق كلمة التوحيد ثمانية شروط:

الأول:العلم المنافي للجهل كما قال سبحانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد / ١٩] .

الثاني:اليقين المنافي للشك كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات / ١٥].

الثالث: القبول المنافي للرد كما قال سبحانه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[البقرة/ ٢٥٦].

الرابع: الانقياد المنافي للترك كما قال سبحانه : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[لقمان/ ٢٢] .

الخامس: الصدق المنافي للكذب كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة / ١١٩] .

السادس : الإخلاص المنافي للشرك كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ [البينة/ ٥].

السابع:الاستقامة المنافية للانحراف كما قال سبحانه : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ ﴾ [هود / ١١٢] .

الثامن: المحبة المنافية للبغض كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [البقرة/ ١٦٥] .

٣- شروط شهادة أن محمداً رسول الله

شهادة أن محمداً رسول الله هي طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠] .

وشهادة أن محمداً رسول الله كشهادة أن لا إله إلا الله، لها شروط، لا ينتفع قائلها إلا بتحقيقها وهي :

١- العلم بمعناها، وهو العلم بأن محمداً رسول من عند الله حقاً : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب/ ٤٠] .

٢- استيقان القلب بهذه الشهادة : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥] .

٣- الانقياد لها ظاهراً وباطناً، وذلك بالقيام بحقوق النبي ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران/ ٣١] .

٤- القبول بها، فلا يرد شيئاً من لوازمها : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء/ ٦٥] .

٥- الإخلاص فيها، بأن لا يجعل مع الرسول شريكا في الإتباع : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧] .

٦- الصدق فيها، وضده الكذب والنفاق : ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون/ ١] .

٧- المحبة لهذه الشهادة وأهلها، والمعاداة لمن أبغضها: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران/ ٣٢] .

٨- الإيمان بها والكفر بما يناقضها: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/ ١١٥].

٤- خصائص الرسول ﷺ

رسولنا محمد ﷺ سيد ولد آدم ، وأفضل النبيين والمرسلين ، جمع الله له ما تفرق من كمالات الأنبياء من الأقوال والأعمال والأخلاق،وخصه ربه الذي اصطفاه بخصائص تميز بها عن غيره ، وخصائصه ﷺ تزيد على مائة صفة كريمة.

وهذه أشهر خصائصه ﷺ على سبيل الإيجاز :

١- أن الله سبحانه أخذ العهد والميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه.

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨١] .

٢- أنه أعطي ﷺ خمساً لم يعطهن أحد قبله :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» متفق عليه. (١)

٣- أن في كتابه الذي أنزل عليه الناسخ والمنسوخ :

قال الله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٠٦] .

٤- أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين :

قال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤٠] .

٥- حفظ الكتاب الذي أُنزل عليه إلى يوم القيامة :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩] .

٦- حماية كتابه ﷺ من التحريف والتبديل :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٤١ – ٤٢] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٥)، ومسلم برقم (٥٢١).

٧- أنه ﷺ أمنة لأصحابه من العذاب والفتن في حياته:

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾** ﴾ [الأنفال/ ٣٣].

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: صَلَّيْنَا المَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ العِشَاءَ قَالَ فَجلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله صَلَّيْنَا مَعَكَ المَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ العِشَاءَ، قَالَ «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» أخرجه مسلم [(١)].

٨- أن الله ﷻ أقسم بحياته، لما فيها من عظيم الخير والبركات:

قال الله تعالى: ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾** ﴾ [الحجر/ ٧٢].

٩- أنه ﷺ أكثر الناس تبعاً في الدنيا والآخرة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا» أخرجه مسلم [(٢)].

١٠- أن الله ﷻ نادى كل نبي باسمه، ونادى محمداً ﷺ بوصف النبوة والرسالة، زيادة في التكريم والإجلال له:

قال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾** ﴾ [الأنفال/ ٦٤].

وقال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ** ﴾ [المائدة/ ٦٧].

١١- أنه ﷺ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾** ﴾ [الفتح/ ١-٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٦).

١٢ – أن الله ﷻ خصه ﷺ بفاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، والمفصل .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ ، فُتِحَ الْيَوْمَ ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ ، فَقَالَ : هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ ، لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَسَلَّمَ ، وَقَالَ:أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ. أخرجه مسلم (١).

١٣ – أن الله ﷻ قرن اسمه باسمه في كتابه تشريفاً وتعظيماً له :

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[التغابن/ ١٢] .

١٤ – أن الله ﷻ أعطاه مفاتيح خزائن الأرض بيده :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا.متفق عليه(٢).

١٥ – أن الله ﷻ خصه بالإسراء والمعراج :

قال الله تعالى : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء/ ١] .

١٦ – أنه ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، أَلَا تُحْسِنُ صَلَاتَكَ؟ أَلَا يَنْظُرُ المُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّي؟ فَإِنَّمَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ، إِنِّي وَالله لَأُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ» متفق عليه.(٣).

١٧ – أن الله ﷻ خصه بدرجة الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود يوم القيامة :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ» أخرجه البخاري (٤).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٠٦).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩٧٧)، ومسلم برقم (٥٢٢).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤١٩)، ومسلم برقم (٤٢٣).

(٤)أخرجه البخاري برقم (٤٧١٩).

١٨- أنه ﷺ أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ» متفق عليه(١).

١٩- أنه ﷺ أول من يقرع باب الجنة :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «آتي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» أخرجه مسلم(٢).

٢٠- أنه ﷺ أول من يمر على الصراط :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه - في حديث الرؤية وفيه - فقال رسول الله ﷺ: «..وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ» قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يجُيزُ » متفق عليه(٣).

٢١- أن الله عز وجل خصه بالكوثر :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر/ ١].

٢٢- أن ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ» متفق عليه(٤).

٢٣- أن الله عز وجل خصه يوم القيامة بالدعوة المستجابة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا» متفق عليه(٥).

٢٤- أنه يدخل الجنة من أمته ﷺ سبعون ألفاً بغير حساب :

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ الفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» متفق عليه(٦).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٣٧٣).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٣)، ومسلم برقم (١٨٢).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨٨٨)، ومسلم برقم (١٣٩٠).
(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٤)، ومسلم برقم (١٩٩).
(٦) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٧٠٥)، ومسلم برقم (٢١٨).

٢٥- أن الله ﷻ جعل أمته ﷺ خير الأمم، وجعلهم وسطا، وجعلهم شهداء على الناس:

قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران/ ١١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة/١٤٣] .

٢٦- أن الله سبحانه حرم الزكاة والصدقة عليه وعلى آله ، وعلى مواليه وموالي آله :

عن عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث ؓ.. قال: قال رسول الله ﷺ :«إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ، إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ» أخرجه مسلم(١).

٢٧- أن الله ﷻ وضع الآصار والأغلال عن أمته :

قال الله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[الحج/ ٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[البقرة/ ١٨٥] .

٢٨- أن الله ﷻ خصه ﷺ بإسلام قرينه من الجن :

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ؓ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ ، وَقَرِينُهُ مِنَ المَلَائِكَةِ » ، قَالُوا : وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : «وَإِيَّايَ ، إلا أَنَّ الله أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » أخرجه مسلم(٢).

٢٩- أنه ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه :

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عَائِشَة رَضِيَ الله عَنْهَا: كَيْفَ كَانَتْ صَلاَةُ رَسُولِ الله ﷺ فِي رَمَضَانَ؟ قَالَتْ: مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَلاَ تَسَال عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسَال عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ: «تَنَامُ عَيْنِي وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي»متفق عليه(٣).

٣٠- أن الله ﷻ قد تجاوز لأمته عن الخطأ والنسيان وحديث النفس :

قال الله تعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[البقرة/ ٢٨٦] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٧٢).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٤).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٩)، ومسلم برقم (٧٦٣).

فقال الله: قد فعلت. أخرجه مسلم[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الله تجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» متفق عليه[2].

٣١- أن الله سبحانه حفظ أمته ﷺ من الهلاك والاستئصال وأن الله زوى له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها، وأنه أعطي كنوز الدنيا، وهي الآن في أمته:

عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَالتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا» أخرجه مسلم[3].

٣٢- أن أمته ﷺ شهداء الله في الأرض:

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الأَرْضِ» متفق عليه[4].

٣٣- أنه لا يخلو عصر في أمته من جماعة ظاهرة على الحق إلى يوم القيامة:

عَنِ المُغِيرَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ» متفق عليه[5].

٣٤- أن الله ﷻ خص أمته ﷺ أن جعل صفوفها كصفوف الملائكة:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٦).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢٦٩)، ومسلم برقم (١٢٧).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٨٩).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٦٧)، ومسلم برقم (٩٤٩).
(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦٤١)، ومسلم برقم (١٩٢١).

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ المَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ المَاءَ» أخرجه مسلم[1].

٣٥- أن أمته ﷺ يأتون يوم القيامة غراً محجلين :

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنَّ حَوْضِي لَأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الإِبِلَ الغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ» أخرجه مسلم[2].

٣٦- أنه ﷺ وأمته أول من يعبر على الصراط :

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : «.. وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ» متفق عليه[3].

٣٧- أن أمته ﷺ أكثر أهل الجنة :

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ : «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ ؟ »، قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ ؟ »، قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ ؟ »، قُلْنَا : نَعَمْ. قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ» متفق عليه[4].

٣٨- أن أمته ﷺ أول من يحاسب يوم القيامة :

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ» متفق عليه[5].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٢٢).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٤٨).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٣)، ومسلم برقم (١٨٢).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٨)، ومسلم برقم (٢٢١).
(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٦٢٤)، ومسلم برقم (٨٥٥).

٣٩- أن الله ﷻ خص أمته بيوم الجمعة من بين الأمم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ - قَالَ: يَوْمُ الجُمُعَةِ - فَاليَوْمَ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى» متفق عليه[(١)].

٤٠- أنه ﷺ أبيح له الوصال في الصوم دون أمته :

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالوِصَالَ» مَرَّتَيْنِ قِيلَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: «إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ، فَاكْلَفُوا مِنَ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ» متفق عليه[(٢)].

٤١- أنه ﷺ أبيح له الزواج من النساء بلا قيد بعدد :

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٥٠].

٤٢- أن أزواجه ﷺ أمهات للمؤمنين :

قال الله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ [الأحزاب/ ٦].

٤٣- أن أزواجه ﷺ محرمات على غيره أبداً :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٥٣].

٤٤- أن الكذب عليه ﷺ أشد إثماً وعقوبة من غيره :

عَنِ المُغِيرَةِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» متفق عليه[(٣)].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٤٨٦)، ومسلم برقم (٨٥٥).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٩٦٦)، ومسلم برقم (١١٠٣).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٢٩١)، ومسلم برقم (٤).

٤٥- أن من استهان به أو سبه كفر :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة/ ٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[التوبة/ ٦٥-٦٦] .

٤٦- أن الله ﷻ خصه بالعصمة في أقواله وأفعاله :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم/ ١ – ٤] .

٤٧- أن الله ﷻ اتخذ محمداً ﷺ خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً :

عَنْ ابن مسعود ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلًا، لاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ الله» أخرجه مسلم [(١)].

٤٨- اختصاصه ﷺ بإباحة الصلاة بعد العصر :

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: رَكْعَتَانِ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ يَدَعُهُمَا سِرًّا وَلاَ عَلاَنِيَةً: رَكْعَتَانِ قَبْلَ صَلاَةِ الصُّبْحِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ العَصْرِ. متفق عليه [(٢)].

٤٩- اختصاصه ﷺ بإباحة القتال في مكة :

عن أبي شريح العدوي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الفتح «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا الله، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلاَ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ الله ﷺ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ الله قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ» متفق عليه [(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٨٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٢)، ومسلم برقم (٨٣٥).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠٤)، ومسلم برقم (١٣٥٤).

٥٠- أن له ﷺ نكاح من وهبت نفسها بلا مهر :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾[الأحزاب/ ٥٠] .

٥١- أن الله سبحانه كرمه وشرفه بالصلاة عليه ، وأمر المؤمنين بذلك :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[الأحزاب/ ٥٦] .

٥٢- أن أصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين قد رضي الله عنهم :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾[التوبة/ ١٠٠] .

٥٣- أن الله ﷻ أعطاه قوة ثلاثين رجلاً :

عن قتادة عن أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الوَاحِدَةِ، مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ. قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَوَكَانَ يُطِيقُهُ؟ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلاثِينَ. متفق عليه (١).

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ. متفق عليه (٢).

فهذه أهم خصائص الرسول ﷺ الواردة في القرآن والصحيحين أو أحدهما ، اقتصرنا عليها خشية الإطالة .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٨)، ومسلم برقم (٣٠٩).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٨٤)، ومسلم برقم (٣٠٩).

٥- لوازم الإيمان بالنبي ﷺ

ليس الإيمان بالنبي ﷺ هو مجرد التصديق والإقرار بأنه نبي، أو أنه رسول، أو أنه مصلح عظيم، ويقف الأمر عند ذلك فقط .

بل الإيمان الصادق الصحيح الكامل بالنبي ﷺ يقتضي أربعة عشر أمراً وهي :

١-معرفة اسمه ونسبه فنعرف أنه (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره) ... الخ

فلابد للمسلم أن يعرف الرب الذي يعبد وهو (الله) والرسول الذي يتبع وهو (محمد) ﷺ والدين الذين يدين به وهو (الإسلام) .

٢- الإيمان ببشريته، وانه عبد لله لا يُعبد كما قال سبحانه : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء/ ١].

٣-وعن عمر رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا : عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ» أخرجه البخاري[1].

٤-الإيمان بنبوته ورسالته، وأنه نبي ورسول من عند الله حقاً: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

٥-الإيمان بما ثبت في سيرة النبي ﷺ من الأخبار الصحيحة الدالة على حسن سيرته، وعظمة أخلاقه، وجهاده في دعوته، وبذل كل ما يملك في سبيل إبلاغ دين ربه، ثم تحقيق ذلك في حياة المسلم : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

٦- الإيمان بما جاء من صفاته الخَلقية والخُلقية كصفة طوله ولونه وصفة هيئته ومشيئه، وصفة وجهه، وجمال خلقته .

وكذا معرفة ما حباه الله به من أخلاق كريمة لم تجتمع لأحد غيره كالصدق والعفو،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).

والأمانة والرحمة، والكرم والجود وغيرها من الصفات العظيمة، ثم التحلي بتلك الأخلاق العظيمة : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

٧- الإيمان بما جاء من خصائصه ﷺ الذاتية كمعرفة أنه تنام عيناه، ولا ينام قلبه، وأنه يرى من أمامه ومن خلفه، ومعرفة خصائصه الشرعية كمعرفة أنه لا يورث، وأنه لا تنكح نساءه من بعده، وغير ذلك من الخصائص .

٨-الإيمان بما جاء من دلائل نبوته ﷺ ، وذلك بمعرفة الأدلة الحسية والعقلية والشرعية التي تدل على أنه رسول الله حقاً .

٩- القيام بحقوقه ﷺ الواجبة له على أمته، بتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر/ ٧] .

١٠- الإيمان بأنه ﷺ خاتم النبيين، ورسالته خاتمة الرسالات كما قال عنه ربه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب/ ٤٠] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال :« إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ، قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ » متفق عليه [(١)].

١١- الإيمان بأن رسالة النبي ﷺ ناسخة لما قبلها من الشرائع كلها كشريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، ومهيمنة عليها كلها: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة/ ٤٨] .

١٢- الإيمان بأنه بعد بعثة النبي ﷺ فإنه لا دين مقبول عند الله إلا الإسلام الذي جاء به، فلا يجوز التعبد لله بعد بعثته بغير الإسلام الذي جاء به: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٥] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» أخرجه مسلم [(٢)].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٢٨٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٥٣).

١٣- الإيمان بعموم رسالته ﷺ للإنس والجن إلى يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

وكلمة الناس يقصد بها الإنس و الجن كما قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [الناس/ ٥-٦].

وثبتت دعوة النبي ﷺ للجن في القرآن في سورة الجن والأحقاف، وأتى بعض الجن فبايعوا النبي ﷺ على الإسلام كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحقاف/ ٢٩-٣١].

١٤- الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة كاملة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وترك الأمة على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣].

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للناس في حجة الوداع: «.. وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابُ الله، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إلى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إلى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلاثَ مَرَّاتٍ. أخرجه مسلم[1].

وعَنْ مَسْرُوقٍ عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قالت: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شيئاً مما أنزلَ اللهُ عليه فَقَدْ كَذَبَ، واللهُ يقولُ: "يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ". متفق عليه[2].

١٥- الإيمان بعصمته ﷺ ، والنبي ﷺ معصوم من خمسة أشياء:

فهو معصوم من الشرك، ومعصوم من كبائر الذنوب، ومعصوم من الأخلاق السيئة، ومعصوم في مجال التبليغ والرسالة، ومعصوم في نسبه من السفاح.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١٧).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٦١٢) واللفظ له، ومسلم برقم (١٧٧).

١-فالنبي ﷺ عصمه ربه من الشرك، قبل البعثه وبعد ها: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/١٠٨].

فقد كان ﷺ يعرف الله بفطرته قبل أن يبعثه الله، وكان يتعبد لله في غار حراء سنين عديده، ولم يسجد لصنم قط، ولم يفعل شيئاً من أمور الشرك التي كان يفعلها قومه.

وقد استخرج الله ﷻ حظ الشيطان منه في حادثة شق صدره التي حصلت للنبي ﷺ مرتين :

الأولى: لما كان صغيراً يرضع في بادية بني سعد، والثانية: في مكة في الحجر قبيل العروج به إلى السماء.

عن أنس بن مالك ؓ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ القَلْبَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً ، فَقَالَ : هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ لأَمَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ ، وَجَاءَ الغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ ، فَقَالُوا : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ ، قَالَ أَنَسٌ : وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ المِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ » متفق عليه (١).

وعن أَنَس بْن مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « بَيْنَا أَنَا عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَاليَقْظَانِ - وَذَكَرَ- يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ - فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنْ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ البَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ البَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ البُرَاقُ فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا » متفق عليه (٢).

فهذا الحديث وما قبله يدل على عصمة النبي ﷺ من الشرك.

٢- والنبي ﷺ عصمه ربه من كبائر الذنوب، سواء قبل البعثة أو بعدها، فلم يسجد ﷺ لصنم قط، ولم يشرب الخمر قط، ولم يكذب قط، ولم تمس يده يد امرأة أجنبية عنه قط، ولم تقع منه كبيرة قط: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [النجم/١-٥].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٥١٧)، ومسلم برقم (١٦٢) واللفظ له.
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧) واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٤).

وكيف تقع منه الكبيرة وهو الذي قال ﷺ عن نفسه: « أَمَا واللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لله، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ» أخرجه البخاري[1].

٣- والنبي ﷺ عصمه ربه من جميع الأخلاق السيئة، وجمَّله بجميع الأخلاق الحسنة؛ لأنه رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين، فتبارك الله أحسن الخالقين: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم/ ٤].

فقد فطره الله ﷻ على كل خُلق فاضل كريم، وجمع له خصال الخير كلها، وجمله بمحاسن الأخلاق التي جبله عليها منذ نشأته.

فلله الحمد الذي عصم نبيه ﷺ من كل مايُنقصه أو يضع من قدره في دينه، أو خلقه، أو نسبه، أو قوله، أو فعله، أو سيرته، أو نسبه، ليكون مثالا فريداً لكل ما يحبه الله ويرضاه ، وحتى لا يبقى لحاقد أو حاسد أو منتقص حجة يتعلق بها، لتنفير الناس من رسول الله ﷺ : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ ﴾[التوبة/ ١٢٨].

وقالت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها حينما أتاها النبي ﷺ خائفاً بعد أن لقيه جبريل عليه السلام في غار حراء قبل البعثه، فقال لها: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ لَهُ : كَلَّا، أَبْشِرْ، فوالله لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ. أخرجه البخاري[2].

وعن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال : فقال : أجل والله ، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : " يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا " وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صَخَّاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتحوا بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غُلفاً . أخرجه البخاري[3].

وقول الله عز وجل :﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾لا يشكل على ما تقدم من عصمة النبي ﷺ من الشرك والكبائر وسيء الأخلاق؛ لأن معنى ﴿ ضَآلًّا ﴾ وجدك غافلاً عما يُراد

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٩٥٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢١٢٥).

بك من أمر النبوة، أو لم تكن تدري مالقرآن ولا الشرائع، فهداك الله إليها : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ ﴾ [الشورى/ ٥٢].

أما الخطأ الذي يجوز في حقه ﷺ فله ثلاث حالات:

١-الخطأ في الأمور الدنيوية البحتة التي لا تمس الدين والسلوك، فهذه قد تقع منه، لكنها لا تحط من قدره كنبي، ولا تنقص من منزلته، ولا تناقض عصمته، وذلك مثل تلقيح النخل، فإنه لما قدم المدينة وجدهم يلقحون النخل فقال : « لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا » فَتَرَكُوهُ ، فَنَفَضَتْ أَوْ فَنَقَصَتْ ، قَالَ : فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ» أخرجه مسلم(١).

٢-الخطأ في المسائل القضائية؛ لأنه لا علم له بحقيقة أمر المتخاصمين فيها، إلا ما ظهر له منها .

فهذا قد يقع في حقه ﷺ ، لأن النبي ﷺ بشر لا يعلم الغيب، وإنما يقضي على نحو ما يسمع من أقوال الخصمين والشهود .

ويدل على إمكانية وقوع الخطأ منه في القضاء قوله ﷺ : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ » متفق عليه (٢).

٣-الخطأ منه ﷺ في الجانب الديني أو السلوكي، وهذا نادر جداً، لا تكاد مسائله تعد على الأصابع، وهذا من حكمة الله تعالى لإثبات أن النبي ﷺ بشر كغيره، يخطئ كما يخطئون، وينسى كما ينسون، كما حصل له من النسيان في الصلاة، لحكمة استنان المسلمين به .

وهذا الخطأ الذي يمكن وقوعه من النبي ﷺ يكون في غير شرك، ولا كبيرة، ولا في تبليغ الوحي، والله سبحانه لا يقره على هذا الخطأ، وإنما يوجهه إلى الصواب، وربما

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٦٢).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١٦٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٧١٣).

يعاتبه كما قال سبحانه: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ ﴾ [عبس/ ١-٤].

وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ ﴾ [الأنفال/ ٦٧].

وهذا الخطأ يقع منه ﷺ على سبيل الإجتهاد، لا على سبيل الرغبة في المعصية .

وقد كان النبي ﷺ يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة، ووعده ربه بمغفرة ذنبه كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ ﴾ [الفتح/ ١-٢].

٤- عصمة نسبه الذي تناسل منه من السفاح .

فقد حمى الله ﷻ أصول نبينا ﷺ من سفاح الجاهلية، فلم يشب نسبه شيء من ذلك، لا من جهة آبائه، ولا من جهة أمهاته، ولم يولد إلا من نكاح شرعي صحيح .

فلم يلتق أبواه على سفاح قط، ولم يزل الله ﷻ ينقله من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً، لم تتشعب شعبتان في عمود نسبه إلا كان في خيرهما .

فخرج ﷺ من نكاح، ولم يخرج من سفاح من لدن آدم ﷺ ، لم يصبه من سفاح الجاهلية شيء: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

٥- عصمته ﷺ في مجال التبليغ من الخطأ والنسيان:

جميع أنبياء الله ورسله معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالته، ولهذا أوجب الله الإيمان بكل ما جاءوا به من عند ربهم كما قال سبحانه: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٣٦-١٣٧].

والرسل هم الوسائط بين الله وعباده في التبليغ، وبهم يهتدي البشر إلى عبادة الله سبحانه، ولهذا أوجب الله العصمة لرسله وأنبيائه، لتصل الرسالة كاملة غير منقوصة ولا محرفة، فتقوم بها الحجة على الناس: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [النجم/ ١-٥].

فالنبي ﷺ معصوم من الخطأ في مجال التبليغ والرسالة، وقد بلَّغ البلاغ المبين كما أمره ربه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة/ ٦٧].

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » ، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: فَإِنَّكَ تُدَاعِبُنَا يَا رَسُولَ الله.فَقَالَ: « إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» أخرجه أحمد والترمذي[1].

وقد عصم الله رسوله ﷺ من الناس، وكفاه من أذاهم.

وقد ثبت في السنة نحو عشرين قصة تدل على وقاية الله لنبيه ﷺ من أذى الكفار حتى بلَّغ رسالة ربه، منها قصته ﷺ لما اجتمعت قريش على قتله، فخرج عليهم من بيته، وخلَّف مكانه علي بن ابي طالب، وخرج عليهم ولم يروه.

ومنها عصمة الله وحفظه لرسوله ﷺ من أهل مكة، وصناويدها، وحسادها، ومعانديها، ومترفيها.

فصانه الله في بداية الرسالة بعمه أبي طالب الذي كان رئيساً مطاعاً في قريش، فلما مات قيض الله له الأنصار، فبايعوه على الإسلام، على أن يتحول معهم إلى دارهم وهي المدينة، فلما صار إليها منعوه ممن عاداه.

ومنها أن الله عصمه من كفار قريش وغيرهم وهو في طريق الهجرة، لما خرج المشركون في طلبه فاختبأ في غار ثور مع أبي بكر رضي الله عنه، ولما وصلوا إلى الغار أعمى الله أبصارهم، ثم لما أدركه سراقة بن مالك في طريق الهجرة دعا عليه النبي ﷺ، فساخت قوائم فرسه، فلم يستطع أن يدركه أو يضره .

وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله، ورد كيده عليه، وحفظ رسوله ﷺ فقد كاده اليهود في المدينة بالسحر، فحماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء.

ولما سَمَّه اليهود في ذراع تلك الشاة التي أهديت له بخيبر أعلمه الله به، وحماه منه.

وحماه الله من المشركين في بدر بمدد من اللائكة .

وحماه الله من المشركين في الأحزاب بالريح الشديدة، والملائكة القديرة، وغير ذلك كثير مما ثبت في السنه.

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٨٢٧٦)، وأخرجه الترمذي برقم (١٩٩٠).

٦- نواقض الإيمان بالنبي ﷺ

شهادة أن محمداً رسول الله تنتقض بالوقوع في أحد خمسة أمور:

الأول: نقض شرط من شروط شهادة أن محمداً رسول الله، بعدم الأيمان به ﷺ ، أو عدم طاعته فيما أمر، أو عدم تصديقه فيما أخبر، أو عدم اجتناب مانهى عنه وزَجر، أو عدم عبادة الله بما شرع: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥** ﴾ [النساء/ ١١٥].

الثاني: إنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة كإنكار نبوته ﷺ أو بشريته، أو أنه خاتم النبيين، أوإنكار عموم رسالته للإنس والجن، أو إنكارأنه قد بلغ الدين كله، أو إنكارأن رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع ، أو إنكار أن له حقوقاً على أمته ونحو ذلك، فمن فعل ذلك فهو كافر كما قال سبحانه: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١** ﴾ [النساء/ ١٥٠-١٥١].

الثالث: إيذاؤه ﷺ بقول أو فعل، سواء كان ذلك في حياته أو بعد مماته، فمن آذاه فهو كافر كما قال سبحانه: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧** ﴾ [الأحزاب/ ٥٧].

ومن لعنه الله لا يكون إلا كافراً، لأن من آذى الرسول ﷺ فقد آذى الله، ومن أطاع الرسول ﷺ فقد أطاع الله: ﴿ **مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠** ﴾[النساء/ ٨٠].

ومن ألوان إيذائه ﷺ الاستهزاء به، أو الطعن في شخصه، أو نسبه، او صدقه، أو عقله، أو عفته، أو عرضه، أو الطعن في دينه، أو تصغير شأنه و نحو ذلك: ﴿ **وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤** ﴾ [الأنعام/ ٣٤].

والاستهزاء بالنبي ﷺ سب له، وكفر بالله ورسوله، سواء كان المستهزي جاداً أو هازلاً، كما قال الله عن المستهزئين به وبأصحابه: ﴿ **وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥** ﴾ [التوبة/ ٦٥].

فالاستهزاء بالله ورسوله كفر مخرج من الدين، لأن أصل الدين قائم على تعظيم الله، وتعظيم دينه، وتعظيم رسوله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل العظيم من توقيره وتعظيمه واجلاله كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح/ ٨ – ٩] .

الرابع: الوقوع في شيء من نواقض الإسلام.

ونواقض الإسلام الكبرى تزيد على عشرة نواقض وهي :

الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له.. ومن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم الشفاعة.. ومن لم يكفِّر المشركين ، أو شك في كفرهم ، أو صحح مذهبهم.. ومن اعتقد أن غير هدي النبيﷺ أكمل من هديه، أو أن حُكم غيره أحسن من حكمه..ومن أبغض شيئاً مما جاء به الرسولﷺ ولو عمل به .. ومن استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه .. والسحر، فمن فعله أو رضي به كفر.. ومن اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ .. والإعراض عن دين الله لايتعلمه ولا يعمل به .. وإنكار شئ معلوم من الدين بالضرورة كإنكار وجوب الصلاة والزكاة ، أو إنكار تحريم الزنا والربا، أو إنكار شيء من أركان الإسلام أو الإيمان .. ومظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين.

فمن فعل شيئاً من هذه النواقض عالماً عامداً مختاراً فهو كافر مرتد عن دين الإسلام كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء/ ١٣٦]

الخامس: الغلو في النبي ﷺ، وهو مجاوزة الحد في تعظيم النبي ﷺ، حتى يصل الأمر إلى صرف شئ من حقوق الله تعالى له، سواء كان من صفات الله كصفة علم الغيب، أو من العبادات كصرف الدعاء أو النذر أو الذبح له، وهذا هو الشرك بعينه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٥ – ٦٦] .

وهذه الأمة أفضل الأمم، وقد خصها الله بأكمل الشرائع، وجعلها أمة وسطاً في كل شئ، فلا إفراط ولا تفريط، ولاغلو ولا تقصير: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وقد حذر الله هذه الأمة وغيرها من جميع أنواع الغلو والأهواء بقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٧].

والغلو في النبي ﷺ حرام لأن الغلو في الأنبياء و الصالحين يؤدي إلى الوقوع في الشرك كما حصل لقوم نوح حين غلو في الصالحين منهم.

ثم زين لهم الشيطان فعبدوهم من دون الله كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾

[نوح/ ٢١-٢٥].

ثم بسبب الغلو في الصالحين انتشر الشرك في قوم نوح، ثم انتقل إلى من بعدهم، حتى وصل الشرك عن طريق الغلو إلى أمة محمد ﷺ ، وانتقلت تلك الأصنام من قوم نوح إلى بلاد العرب .

ومن ذلك غلو النصارى في نبي الله عيسى ﷺ ، فإنهم تجاوزوا الحد، ونقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله كما قال الله عنهم : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾

[المائدة/ ٧٢].

ثم غلوا في أتباع عيسى ﷺ من الأحبار والرهبان، وادعوا فيهم العصمة، ثم اتبعوهم في كل ما قالوا، سواء كان حقاً أم باطلاً : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا

﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ [التوبة/ ٣١].

لهذا يجب تعظيم النبي ﷺ وتوقيره حسب ما ورد به الشرع من غير غلو ولا إطراء.

عن عمر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» أخرجه البخاري[1].

ومظاهر الغلو في الأنبياء والصالحين كثيرة، بعضها شرك، وفاعلها يُعتبر مشركاً، وبعضها يدخل في حيز البدع غير المكفرة، وصاحبها يعتبر من أهل الكبائر .

ومظاهر الغلو في النبي ﷺ التي يكفر بها العبد ستة، وهي كما يلي:

الأول: دعاؤه ﷺ كأن يقول: يا رسول الله أغثني، أو يا نبي الله اغفر لي، ونحو ذلك .

فهذا شرك، لأن الدعاء عبادة لا تصرف إلا لله وحده، ومن صرف دعاءه لغير الله فهو ضال مشرك: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ ﴾ [الأحقاف/ ٥].

الثاني: دعوى الربوبية فيه ﷺ، كأن يعتقد أنه يخلق أو يرزق أو يدبرالأمر، ونحو ذلك.

وهذا شرك ظاهر، وهو من أقبح أنواع الشرك، لأن الله وحده هو المتفرد بالربوبية على خلقه أجمعين: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

الثالث: الذبح له ﷺ، والذبح لغير الله شرك، لأن الذبح عبادة لا يجوز صرفها إلا لله وحده: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ ﴾ [الكوثر/ ٢].

الرابع: النذر له ﷺ، وهذا شرك، لأن النذر عبادة لا تصرف إلا لله وحده: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧ ﴾ [الحج/ ٧٧].

الخامس: الطواف حول قبره ﷺ، وهذا شرك، لأن الطواف عبادة، لا يجوز صرفه إلا لله وحده، والطواف الشرعي لا يكون إلا في مكان واحد من الأرض هو الطواف بالبيت العتيق في مكة حرسها الله: ﴿ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩ ﴾ [الحج/ ٢٩].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).

السادس : ادعاء أنه ﷺ يعلم الغيب ، وهذا شرك في التوحيد ، لأن علم الغيب خاص بالله وحده ، فمن ادعى أن غير الله يعلم الغيب فهو مشرك : ﴿ **وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾** ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

أما المظاهر المحرمة في الغلو بالنبي ﷺ فيما دون الشرك فهي على درجتين :

منها ما يدخل في حيز البدع .. ومنها ما يدخل في حيز الكبائر التي دون البدع ، وكلاهما ليست من نواقض الإيمان بالنبي ﷺ ، وليست مكفرات بحد ذاتها ، ولكنها قد تؤدي إلى الكفر والشرك .

ولهذا حذر منها النبي ﷺ ؛ لأن كل ما كان وسيلة إلى محرم فهو محرم ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾** ﴾ [النور/ ٦٣].

ومن هذه المظاهر ما يلي :

١- اتخاذ قبره ﷺ مسجداً يُصلى فيه .

وهذا بحمد الله متعذر بسبب الحجرة النبوية، والسور الحديدي المحيط بها ، وقيام الحكومة السعودية حرسها الله بمنع ذلك.

عن جندب بن سفيان ﵁ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُتَوَفَّى بِخَمْسٍ يَقُولُ : « ..أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» أخرجه مسلم[1].

ومن أجل هذا دَفن الصحابة رسول الله ﷺ في حجرة عائشة، لئلا يُتخذ قبره مصلى .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي ماتَ فيه : « لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » متفق عليه[2].

٢- بناء مسجد على قبره ﷺ لعبادة الله وحده، وهذا لم يحصل بحمد الله ، ولن يحصل ؛ لأن الله حافظ نبيه ﷺ حياً وميتاً .

فيحرم على أهل التوحيد بناء المساجد على قبور الأنبياء أو الصالحين .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٣٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣٣٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٢٩).

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ لِرَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ» متفق عليه[1].

٣- دعاء الله ﷻ عند قبره ﷺ ، ومن يفعل هذا يظن أن الدعاء عند قبره أقرب إلى الاستجابة ، وهذا قول على الله بغير علم ، وقد نهى النبي ﷺ أن يُتخذ قبره عيدا ، ولم يفعله أصحابه بعد مماته : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

٤- طلب الدعاء منه ﷺ بعد مماته، وهذا سفه في العقول؛ لأن النبي ﷺ قد مات بنص القرآن، وإجماع الصحابة، والميت في حياة برزخية لا علاقة له بالحياة الدنيا : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأحقاف/ ٥].

ولو كان طلب الدعاء منه بعد وفاته مشروعاً لفعله الصحابة رضي الله عنهم، وإنما يطلب منه الدعاء في حياته فقط كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء/ ٦٤] .

٥- اتخاذ قبره ﷺ عيداً يعوده الإنسان كل يوم، أو كل اسبوع ونحو ذلك، وهذا محرم، لأنه من الزيادة في التعظيم فوق القدر المشروع .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاتَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا»أخرجه أحمد وأبوداود[2].

وبهذا نعلم أن ما يفعله بعض الناس من زوار المدينة وغيرهم من ارتياد قبر النبي ﷺ كل يوم، أو بعد كل فريضة، مخالف للشريعة .

٦-السفر إلى زيارة قبره ﷺ ، وهذا محرم .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِي هَذَا ، وَمَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى » متفق عليه[3].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢٧) ، ومسلم برقم (٥٢٨).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٨٥٨٦) وهذا لفظه، وأخرجه أبوداود برقم (٢٠٤٢) .
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٩٩٥) ، ومسلم برقم (١٣٩٧) واللفظ له.

فمن أراد السفر إلى المدينة فلتكن نيته السفر لزيارة المسجد النبوي والصلاة فيه فقط، وبعد الصلاة يسن له زيارة قبر النبي ﷺ .

٧- الحلف به ﷺ ، فهذا محرم ، وقد يكون شركاً مخرجاً من الملة، وقد لا يكون .
فإن كان الحالف يعظم المحلوف به كما يعظم الله فيقول (والنبي) أو (وحياة النبي)، فهذا شرك، لأنه ساوى بين الله والمخلوق في المنزلة، وإن كان دون ذلك فهو من الشرك الأصغر الذي هو من كبائر الذنوب .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حَلَفَ بغيرِ الله فقد كَفرَ أو أَشْرَكَ» أخرجه أبوداود والترمذي(١).

٨- تعظيم البقاع والأماكن التي مر بها النبي ﷺ أو صلى عندها أو جلس فيها.
وهذا محرم، لأنه من التعلق بغير الله من الجمادات : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

٩- التبرك بمسح قبره ﷺ ، أو أخذ تراب منه، أو التمسح بجدران حجرته، أو الحديد المحيط بها، ونحو ذلك ابتغاء البركة، وهذا باطل ومحرم، لأن الشرع لم يأت به، وهو من التعلق بغير الله من الجمادات، والأمور كلها بيد الله وحده لا شريك له: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة/ ٥].

وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ أَنّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى خُيْبَرَ ، مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ، يُقَالُ لهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«سُبْحَانَ الله، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : اجْعَلْ لَنَا إِلهًا كَمَا لهُمْ آلهةٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»أخرجه أحمد والترمذي(٢).

١٠- التوسل بذاته ﷺ ، كأن يقول : اللهم إني أتوسل إليك بجاه نبيك أن ترزقني أو تشفيني ونحو ذلك .
فهذا من التوسل البدعي، لأن الشرع ورد بالتوسل بأسماء الله الحسنى، أو بالعمل الصالح من العبد، أما التوسل بذوات الآخرين أو أعمالهم، فهذا لم يرد لا في القرآن

---

(١) **صحيح/** أخرجه أبوداود برقم (٣٢٥١) والترمذي برقم (١٥٣٥) وهذا لفظه.
(٢) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (٢١٣٨٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢١٨٠) وهذا لفظه.

ولا في السنة، فالتعبد به بدعة: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أخرجه مسلم[1].

١١- الاحتفال بذكرى مولده ﷺ.

وهذا من البدع المشتهرة، وقد أنكرها علماء الإسلام على مر العصور، وهي من التشبه بالكفار من النصارى الذين يحتفلون بمولد عيسى ﷺ، ويتخذونه عيداً، توقد فيه الشموع، وتُرتكب المحرمات من الغلو والأغاني والاختلاط وغيرها.

وفي إقامة المولد تشبه بالنصارى، وهو منهي عنه شرعاً.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟» متفق عليه[2].

والاحتفال بالمولد النبوي لو كان خيراً لفعله الصحابة والتابعون الذين هم أشد الناس تعظيماً للنبي ﷺ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، والخير كله في اتباع سنته وهديه، والعمل بما جاء به: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾ [آل عمران/ ٣١].

وإقامة المولد النبوي بجميع أنواعه، سواء كان في المساجد أو غيرها بدعة محرمة محدثة، أحدثها الشيعة الفاطميون لإفساد دين الإسلام، وفيها من الفساد والرقص والغناء والغلو والمنكرات مما عمّ وطمّ ما يندى له الجبين: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ ﴾ [النور/ ٦٣].

- **عقوبة المستهزئ بالنبي ﷺ:**

أما حكم الاستهزاء بالنبي ﷺ فهو لون من ألوان إيذائه، ومن استهزأ به فهو كافر.

وعقوبة المستهزئ بالنبي ﷺ القتل كفراً لا حداً.

عن جَابِرَ بْن عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٥٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٦٩).

الأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ» فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ قَالَ: «نَعَمْ».
قَالَ فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا قَالَ: « قُلْ».
فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ.
قَالَ: وَأَيْضًا وَاللهِ لَتَمَلُّنَّهُ.
قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ.
فَقَالَ: نَعَم ، ارْهَنُونِي .قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟
قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ.
قَالُوا:كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ العَرَبِ؟
قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ.
قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ فَيُقَالُ رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ - قَالَ سُفْيَانُ يَعْنِي السِّلَاحَ -.
فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنْ الرَّضَاعَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الحِصْنِ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟
فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ - وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَتْ أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ- قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُونَائِلَةَ، إِنَّ الكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ.
قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ - وَقَالَ مَرَّةً ثُمَّ أُشِمُّكُمْ -.
فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ رِيحًا.
قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ العَرَبِ ، وَأَكْمَلُ العَرَبِ .
فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشَمَّ رَأْسَكَ.
قَالَ: نَعَمْ .فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ قَالَ:

دُونَكُمْ، فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ . متفق عليه[1].

والاستهزاء به ﷺ معاداة له، والمعادي لولي الله معاد لله في الحقيقة، ومن عادى الله فقد حاربه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :«إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا ، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِليَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِليَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِليَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ » أخرجه البخاري[2].

والمستهزئ بالنبي ﷺ حقيق بعقوبة الله له في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٥] .

والنبي ﷺ لم يسلم من الأذى والسخرية والاعتداء منذ بعثه الله إلى يومنا هذا، شأنه شأن غيره من الأنبياء، لتستمر أجورهم من غيرهم إيجاباً وسلباً : ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يس/ ٣٠] .

ومن استهزاء الكفار بالنبي ﷺ أنهم اتهموه بالجنون، والكذب، والشعر والسحر، وغمزوه في عرضه الشريف، وكانوا يسمونه مذمما، ولكن الله حفظه، وعصمه من أذاهم كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٦٧] .

وقد أخبر الله رسوله ﷺ أن من استهزأ بالأنبياء فإن الله سيعاقبه في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٤١] .

والاستهزاء بالرسول ﷺ لا يضر الدين شيئاً، فدين الله سيبلغ ما بلغ الليل والنهار لا محالة، وقد بلغ ولله الحمد أكثر الأرض : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٣] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠٣٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٠١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

ومن سب النبي ﷺ مكرهاً، فهذا لا يؤاخذ كما قال سبحانه: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾ [النحل/ ١٠٦].

ولا شك أن الاستهزاء بالنبي ﷺ مستلزم للشريعة التي جاء بها، فلولا الدين الذي جاء به لما استهزؤا به، فمن استهزأ به فقد استهزأ بالشريعة التي جاء بها، ومن استهزأ بالشريعة فقد استهزأ بالله الذي أنزلها، وكل ذلك كفر: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ [التوبة/ ٦٥-٦٦].

* * * * *

الباب السادس

صفة حياة الرسول ﷺ

وتشتمل على ما يلي :

١ - أحسن أسوة

٢ - حياة النبي ﷺ الخاصة: وتشمل:

١ - ملابس الرسول ﷺ
٢ - أثاثه ﷺ
٣ - طعامه ﷺ
٤ - خدمه ﷺ
٥ - مواليه ﷺ
٦ - حرسه ﷺ
٧ - دوابه ﷺ
٨ - ركوبه ﷺ
٩ - نومه ﷺ وانتباهه
١٠ - معاشرته ﷺ أهله
١١ - من كان فى شؤونه الخاصة ﷺ

٣ - حياة النبي ﷺ العامة: وتشمل:

١ - أخلاقه وشمايله ﷺ: وتشمل:

١ - أخلاق النبي ﷺ

٢ - شمايل النبي ﷺ

٢ - دعوته ﷺ
٣ - عباداته ﷺ
٤ - معاملاته ﷺ
٥ - مؤذنيه ﷺ
٦ - كتّابه ﷺ
٧ - خطباؤه وشعراؤه ﷺ

٤ - جهاد الرسول ﷺ: ويشمل:

١ - سلاحه ﷺ
٢ - جهاده ﷺ
٣ - غزواته وبعوثه وسراياه ﷺ
٤ - أمراؤه ﷺ
٥ - حداته ﷺ
٦ - من كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ

١ - أحسن أسوة

الله سبحانه هو الملك الحق الذي شهدت له بالربوبية جميع مخلوقاته، وأقرت له بالإلهية جميع مصنوعاته، لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ولا شبيه له في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه/٨].

هو الإله والرب، والواحد الأحد، مالك الملك، قاهر كل شيء بقدرته، ومنعم على كل أحد بأنواع رحمته، لا فوز للعباد إلا بطاعته، ولا نجاة لهم إلا بالإيمان به، ولا عز لهم إلا بالتذلل لعظمته، ولا غنى لهم إلا بالافتقار إلى رحمته، ولا هدي لهم إلا بالاستهداء بنوره، ولا سعادة لهم إلا بحسن عبادته، ولا فلاح لهم إلا بإخلاص العمل له : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

وهو الملك الغني العزيز الكريم، يُطاع فيشكر، ويُعصى فيغفر، ويدعى فيجيب، ويُستهدى فيهدي، ويُسأل فيعطي : ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤﴾ [فاطر/ ٣٤].

وبحسب متابعة الرسول ﷺ تكون العزة، والنصرة، والكفاية، والأمن، كما تكون بحسب متابعته الهداية والفلاح والنجاة : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

والله ﷻ هو وحده المتفرد بالخلق والاختيارمنه كيف يشاء: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾ [القصص/ ٦٨].

واحد لا شريك له يخلق كخلقه، ويختار كاختياره، ويدبر كتدبيره، فهذا الخلق العظيم، والاختيار والتدبير، من أعظم آيات ربوبيته، وأكبر شواهد وحدانيته، وأعظم الأدلة على كمال أسمائه وصفاته : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فخلق سبحانه السماوات سبعاً، فأظهر لنا منهن واحدة، وهي السماء الدنيا، وأخفى ستاً، واختار من السماوات السبع العليا، وفضَّلها على سائر السموات، واختصها

بالقرب من كرسيه الكريم، وعرشه العظيم، وأسكنها من شاء من خلقه، وجعلها مستقر المقربين من ملائكته، وجعل فيها بيته المعمور .

وخلق سبحانه أنواع الجنان، واختار منها جنة الفردوس، وجعل سقفها عرشه، واختارها سكناً لخيرته من خلقه .

وخلق سبحانه الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، واختار منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، وخصهم من بين الملائكة بصفات وأعمال عظيمة .

فجبريل: موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح .

وميكائيل: موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والحيوان .

وإسرافيل: موكل بالنفخ في الصور الذي إذا نفخ فيه أحيا الله به الأموات .

واختار سبحانه الأنبياء والرسل من البشر، واختار الرسل من الأنبياء الذين عددهم (١٢٤) ألف نبي، الرسل منهم (٣١٥) رسولاً، واختار من الرسل أولي العزم (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) عليهم الصلاة والسلام .

واختار من أولي العزم الخليلين (إبراهيم ومحمد) عليهم الصلاة والسلام، واختار من الخليلين سيد الأنبياء والرسل محمداً ﷺ .

واختار سبحانه هذه الأمة من بين الأمم، وفضَّلهم على سائر الأمم في توحيدهم وإيمانهم، وفي أعمالهم وأخلاقهم، وفي عظيم ثوابهم، وحسن جزائهم، إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا .

واختار سبحانه من الأراضين السبع هذه الأرض، واختار منها مكة، وجعل فيها أول بيت وضع في الأرض، وجعله حرماً آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٩٦] .

وجعل بيته الحرام قبلة للناس إلى يوم القيامة : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة/ ١٤٤] .

وخلق سبحانه الأزمنة والأوقات، واختار منها من الأيام يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم عاشوراء، ويوم الجمعة، واختار من الشهور شهر رمضان، وفضَّله على سائر الشهور،

واختار من الليالي والأيام ليالي العشر الأواخر من رمضان، وأيام عشر ذي الحجة، فأيام عشر ذي الحجة فيها يوم عرفة، ويوم النحر، وليالي العشر الأواخر من رمضان فيها ليلة القدر .

فيوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، ويوم عرفة ويوم النحر أفضل أيام العام، وليلة الجمعة أفضل ليالي الأسبوع، وليلة القدر أفضل ليالي العام .

فالله سبحانه طيب، وأسماؤه أطيب الأسماء، ولا يقبل من الأقوال والأعمال إلا ما كان طيباً، ومن طاب عمله، طاب ثوابه، ومن خبث عمله، فجزائه جهنم دار الخبيثين :

ولما كان المشرك خبيث الذات، خبيث الصفات، لم تُطهر النار خبثه، فهو مخلد في النار دار الخبيثين ، والمؤمن طيب الذات، طيب الصفات، فهو مخلد في الجنة دار الطيبين، وكانت النار حراماً عليه: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠] .

لهذا حاجة العباد إلى معرفة الرسول ﷺ وما جاء به فوق كل حاجة، فإنه لا سبيل إلى فلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل، والطيب من الخبيث، الا من جهتهم، ولا يُنال رضى الله البتة إلا على أيديهم : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

فالطيب من جميع الأقوال والأعمال والأخلاق هو هديهم، وهم الميزان الراجح الذين بأقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن أقوال وأعمال وأخلاق البشرية، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، وأهل الحق من أهل الباطل، ويحصل الفوز بالجنة والنجاة من النار: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء/ ٦٦-٧٠] .

وإذا كانت سعادة الإنسان في الدارين متعلقة بهدي النبي ﷺ، فيجب على كل مسلم يحب أن يسعد في الدنيا والآخرة أن يعرف من سيرة النبي ﷺ وهديه وسنته ما يخرج به من قوائم الجاهلين، ويدخل به في عداد أتباعه المؤمنين : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾[آل عمران/ ٣١] .

والاتباع الكامل للنبي ﷺ يتحقق بستة أمور:

معرفة سيرته وسنته .. واتباعه في نيته وفكره .. وفي أقواله الحسنة .. وفي أعماله الصالحة .. وفي أخلاقه الكريمة .. وفي دعوته وجهاده.

وحياة النبي ﷺ أحسن حياة، وأطهر حياة، وأزكى حياة، وأجمل حياة.

وقد أكرم الله رسوله ﷺ بأنواع الحياة المختلفة : زوجاً وأباً، وداعياً ومعلماً، وعابداً وزاهداً، وإماماً وسيداً، وذاكراً ومذكراً، وغنياً وفقيراً، وشاكراً وصابراً، ومجاهداً ومقاتلاً، وغير ذلك من صفحات الحياة القلبية والبدنية والمالية والأخلاقية.

وذلك أولاً: ليمتثل ﷺ أمر الله إليه في كل حال، ويبلغ فيها الكمال، وينال عليها أحسن الثواب: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم/ ٤] .

وثانيا: ليكون ﷺ قدوة لكل فرد من أمته، سواء كان رجلاً أو امرأة، أو زوجاً أو أباً، أو حاكماً أو محكوماً، أو قوياً أو ضعيفاً، أو داعياً أو معلماً: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

لهذا يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ما جاء به، والعمل بموجبه، والدعوة إليه، والتواصي به: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾ [العصر/ ١-٣].

وهذه بعض الصور العملية من حياته ﷺ الخاصة، وحياته العامة .

١ - حياة النبي ﷺ الخاصة

- **ملابس الرسول ﷺ :**

كانت له ﷺ عمامة تسمى السحاب، وكان إذا اعتم أرخى طرفي عمامته بين كتفيه .

عن عمرو بن حريث رضي الله عنه قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولَ الله ﷺ عَلَى المِنْبَرِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ . أخرجه مسلم [١].

ولبس ﷺ القميص، وكان أحب الثياب إليه، وكان كمه إلى الرسغ في الكف، ولبس الجبة، ولبس في السفر جبة ضيقة الكمين، ولبس القباء، ولبس الإزار والرداء، وكان طول ردائه ستة أذرع وشبر، وعرضه ذراعان وشبر، وطول إزاره أربعة أذرع وشبر، وعرضه ذراعان وشبر.

ولبس ﷺ حلة حمراء منسوجة بخطوط حمر مع الأسود، والحُلة إزار ورداء بشكل واحد.

ولبس ﷺ الخميصة المعلَّمة والساذجة، ولبس الثوب الأسود، ولبس الفروة المكفوفة بالسندس.

ولبس ﷺ السراويل،ولبس الخفين،ولبس النعلين، ولبس الخاتم في يمينه وفي يسراه، ولبس البيضة على رأسه، ولبس المغفر، ولبس الدرع، وظاهَر يوم أحد بين درعين.

وكان له ﷺ بردان أخضران، وكساء أسود، وكساء أحمر ملبد، وكساء من شعر .

وكان قميصه ﷺ من قطن، وكان قصير الطول، قصير الكمين، وكان أحب الثياب إليه القميص والحبرة، والحبرة ضرب من البُرد فيه حمرة .

وكان أحب الألوان إليه البياض، لبسه ﷺ ، وأمر بلبسه، وتكفين الأموات به.

عَنْ ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ » أخرجه أبوداود والترمذي [٢].

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ قال : دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ ، فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا إِزَارًا غَلِيظًا مِمَّا يُصْنَعُ بِالْيَمَنِ وَكِسَاءً مِنَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا المُلَبَّدَةَ ، قَالَ : فَأَقْسَمَتْ بالله إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قُبِضَ فِي هَذَيْنِ الثَّوْبَيْنِ. أخرجه مسلم [٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٥٩).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أبوداود برقم (٣٨٧٨) ، وأخرجه الترمذي برقم (٩٩٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٠٨٠).

ولبس ﷺ خاتم فضة، وكان يجعل فصه مما يلي باطن كفه، ونهى الرجال عن التختم بالذهب .

وكان غالب ما يلبسه ﷺ وأصحابه من الثياب ما نسج من قطن، وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان أحياناً .

وسنة الرسول ﷺ أن هديه في اللباس أن يلبس ما تيسر له من اللباس من القطن أو الكتان أو الصوف أو الشعر.

ولبس ﷺ العمامة، وأدارها على الحنك .

وكان إذا استجد ثوباً سماه باسمه، وكان إذا لبس قميصه بدأ بميامنه .

وهديه ﷺ في أنواع اللباس، أن اللباس الجميل إذا لبسه الإنسان تجملاً وإظهاراً لزينة ونعمة الله فهو ممدوح، وإذا لبسه تكبراً وفخراً وخيلاء فهو مذموم .

وإذا لبس الدنيء من الثياب استكانة وتواضعاً فهو ممدوح، وإذا لبسه شهرة وخيلاء ورياء فهو مذموم .

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ » قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : «إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ » أخرجه مسلم [(١)].

● **أثاثه ﷺ :**

كان له ﷺ قدح يسمى الريان، وقدح من قوارير، وقدح مضبب بسلسلة من فضة، وله ركوة تسمى الصادر، وتورٌ من حجارة يتوضأ منه، ومغتسل من صفر،وله ربعة يجعل فيها المشط والمرآة والمقراض والسواك ، وله مكحلة يكتحل منها عند الحاجة عند النوم في كل عين ثلاثاً بالإثمد.

وكانت له ﷺ قصعة تسمى الغراء، لها أربع حلق، يحملها أربعة رجال.

وله صاع، ومد، وقطيفة، وله سرير قوائمه من ساج، أهداه له أسعد بن زرارة، وله فراش من أدم حشوه ليف، وله وسادة من أدم حشوها ليف ، وله كنانة تسمى الجمع .

وكل هذه وردت في أحاديث صحيحة عنه ﷺ .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١).

- **طعامه ﷺ :**

كان هديه ﷺ في الطعام أنه ما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم، وما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه لغيره يأكله .

وأكل ﷺ الحلوى والعسل، وكان يحبهما، وأكل لحم الجزور والضأن، وأكل الدجاج والحباري، وأكل لحم الأرنب وحمام الوحش، وأكل طعام البحر، وأكل الشواء .

وأكل الرطب والتمر، وشرب اللبن خالصاً ومشوباً، وشرب السويق والعسل مشوباً بالماء، وأكل القثاء بالرطب، وأكل الأقط، وأكل التمر بالخبز، وأكل الخبز بالخل، وأكل الثريد، وهو الخبز باللحم، وأكل الخبز بالإهالة السنخة، وأكل القديد وأكل من الكبد المشوية، وأكل الدباء المطبوخة، وأكل الثريد بالسمن، وأكل الجبن، وأكل الخبز بالزبيب، وأكل البطيخ بالرطب، وأكل التمر بالزبد، وكان يحبه .

وكان هديه ﷺ في الطعام أكل ما تيسر، فإن أعوزه صبر، حتى إنه ليربط الحجر على بطنه من الجوع، ويُرى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ولا يوقد في بيته نار.

وكان ﷺ إذا جاءه ضيف لا يرد موجودا، ولا يتكلف مفقوداً .

وكان معظم طعامه ﷺ يوضع على الأرض في السفرة، وهي كانت مائدته، وكان يأكل بأصابعه الثلاث، ويلعقها إذا فرغ، وكان يجلس على طعامه جلسة العبد، ولا يأكل متكئاً على الجنب، ولا على إحدى يديه.

وكان ﷺ يأكل ويشرب بيمينه، ويقول:(بسم الله) في أول طعامه، ويحمد الله بعد الفراغ منه.

وكان أكثر شربه قاعداً، وزجر عن الشرب قائماً، وشرب مرة من زمزم لعذر قائماً .

وكان ﷺ إذا شرب ناول من على يمينه، وإن كان من على يساره أكبر منه.

وكان ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله .

عن أنس بن مالك ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُتيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ وَعَنْ يَمينِهِ أَعْرَابِيٌّ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَبو بَكْرٍ، فَشَرِبَ ثُمَّ أَعْطَى الأَعْرَابِيَّ وَقَالَ: «الأَيمَنُ فَالأَيمَنُ» متفق عليه[1].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٣٥٢)، ومسلم برقم (٢٠٢٩) واللفظ له.

• **خدمه ﷺ :**

منهم أنس بن مالك، وكان على حوائجه، وعبد الله بن مسعود، صاحب نعله وسواكه، وعقبة بن عامر، صاحب بغلته، وبلال بن رباح، وأبو ذر الغفاري، رضي الله عنهم.

• **مواليه ﷺ :**

منهم زيد بن حارثة ﵁ ، حب رسول الله ﷺ، أعتقه ﷺ، وزوَّجه مولاته أم أيمن، فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

ومنهم ثوبان، وأسلم، وأبو رافع، وأبو كبشة سليم، وشقران، ورباح، ويسار، ومدعم، وكركرة، وأنجشة، وسفينة، وأفلح، وعبيد، وطهمان، وذكوان، وأبومويهبة فهؤلاء مواليه من الرجال.

ومواليه من النساء منهن سلمى أم رافع، وميمونة بنت سعد، ومارية القبطية، وريحانة، وميمونة، رضي الله عنهن .

• **حرسه ﷺ :**

منهم سعد بن معاذ، حرس النبي ﷺ يوم بدر حين نام في العريش، ومحمد بن مسلمة، حرسه يوم أحد، والزبير بن العوام، حرسه أيام الخندق، والمغيرة بن شعبة وقف على رأسه بالسيف يوم الحديبية .

ومنهم عباد بن بشر، وهو الذي كان على حرسه .

وحرسه ﷺ جماعة آخرون غير هؤلاء، فلما نزل قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧**﴾ [المائدة/ ٦٧].خرج ﷺ إلى الناس فأخبرهم بها، وصرف الحرس.

• **دوابه ﷺ :**

ركب ﷺ الناقة، والخيل، والحمار، والبغل .

فمن خيله ﷺ السَّكب، وهو أول فرس ملكه، وكان أغر محجلاً، والمرتجز، وكان أشهباً، واللزاز، واللحيف، والظراب، والورد، وسبحة، فهذه سبعة من خيله ﷺ .

وكانت له من البغال دلدل، وكانت شهباء، وبغلة أخرى تسمى فضة، وبغلة شهباء أهداها له صاحب أيلة، وبغلة أخرى أهداها له صاحب دومة الجندل .

ومن الإبل كانت له القصواء، وهي التي هاجر عليها، والعضباء، والجدعاء، ولم يكن بهما عضب ولا جدع، والعضباء هي التي كانت لا تُسبق، ثم سبقها قعود الأعرابي .
وغنم ﷺ جملاً مهرياً يوم بدر، وكان لأبي جهل، وكانت في أنفه برة من فضة، فأهداه وذبحه يوم الحديبية ليغيظ به المشركين .
وكان له من الحُمر عفير، وكان أشهباً، أهداه له المقوقس ملك القبط، وحمار آخر أهداه له فروة الجذامي .
وكان له ﷺ من الإبل خمس وأربعون لقحة، وله مائة شاة من الغنم، وكان يريد أن لا تزيد، كلما ولّد له الراعي بهمة، ذبح مكانها شاة .
وكانت له سبع أعنز منائح، ترعاهن أم أيمن رضي الله عنها .

- **ركوبه ﷺ :**

ركب ﷺ الإبل، والخيل، والبغال، والحمير، في أيام ومناسبات مختلفة.
وركب الفرس مسرجة تارة، وعرياً أخرى، وكان يركب وحده وهو الأكثر، وربما أردف خلفه على البعير، وربما أركب أمامه، وأردف الرجال، وأردف بعض نسائه .
وكان أكثر مراكبه ﷺ الخيل والإبل .

- **نومه ﷺ وانتباهه :**

كان فراشه ﷺ أدماً حشوه ليف، وكانت وسادته أدماً حشوها ليف، وكان له مسح ينام عليه يُثنى له ثنيتين .
وكان ﷺ ينام على الفراش تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى النطع تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رماله، وتارة على كساء أسود .
وكان إذا أوى إلى فراشه للنوم قال: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا»
وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيهِ النُّشُورُ » أخرجه البخاري[1].
وكان ينام على شقه الأيمن، ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن .
وغير ذلك من أذكار وآداب النوم والاستيقاظ المبسوطة في كتب الفقه والحديث .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣١٤).

وكان ينام أول الليل، ويقوم آخره، وربما سهر أول الليل في مصالح المسلمين، وكانت تنام عيناه، ولا ينام قلبه، وكان إذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذي يستيقظ، وكان إذا عرس بليل اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه، ووضع رأسه على كفه الأيمن ، لئلا يغلبه النوم.

- **معاشرته ﷺ أهله :**

كانت سيرته ﷺ مع نسائه حُسن المعاشرة، وحُسن الخلق، وكان يقسم بين أزواجه في المبيت والنفقة، وكان إذا صلى العصر دار على نسائه، فدنا منهن، واستقرأ أحوالهن، فإذا جاء الليل انقلب إلى بيت صاحبة النوبة فخصها بالليل، وقل يوم إلا كان يطوف عليهن جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس .

وكان ﷺ يقسم بين نسائه التسع إلا سودة بنت زمعة، فإنها لما كبرت وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها.

وكان ﷺ يطوف على نسائه بغسل واحد، وربما اغتسل عند كل واحدة، وقد فعل هذا وهذا، وقد أعطي قوة ثلاثين رجلاً في الجماع وغيره، وقد أباح الله له من النساء ما لم يبحه لأحد من أمته، لاستكمال تحقيق البلاغ، وأحكام النساء المختلفة.

وكان ﷺ يأتي أهله أول الليل وآخره، فكان إذا جامع أول الليل ربما اغتسل ونام، وربما توضأ ونام، وكان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فمن خرج سهمها خرج بها معه، وكان إذا قدم من السفر لم يطرق أهله ليلاً، ونهى عن ذلك .

وكان ﷺ يحب عائشة رضي الله عنها، ويُسَرِّب إليها بنات الأنصار يلعبن معها، وإذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه، وإذا شربت من الإناء أخذه ووضع فمه في موضع فمها وشرب، وإذا تعرقت عرقاً من لحم أخذه فوضع فمه موضع فمها وأكل.

وكان ﷺ يتلو ويقرأ القرآن ورأسه في حجرها، وربما كانت حائضاً، وكان يأمرها وهي حائض فتتزر ثم يباشرها، وكان يقبلها وهو صائم، وسابقها في السفر على الأقدام مرتين سبقته مرة، وسبقها مرة .

وكان ﷺ يقول: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي» أخرجه الترمذي[١].

---

(١) **صحيح/** أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥).

فنعم الزوج ﷺ كان، ونعم الأب كان، ونعم زوجاته أمهات المؤمنين، ونعم إحسانه وتربيته لهن رضي الله عنهن أجمعين : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾[الأحزاب/ ٣٢-٣٣] .

- **من كان في شئونه الخاصة ﷺ :**

كان بلال على نفقاته ﷺ، وكان معيقيب على خاتمه ﷺ ، وكان عبد الله بن مسعود على سواكه ونعله، وكان يأذن عليه مولياه رباح وأنس، وأذن عليه أنس بن مالك، وأبو موسى الأشعري، رضي الله عنهم أجمعين .

٣- حياة النبي ﷺ العامة

أخلاق النبي ﷺ وشمايله

١ - أخلاق النبي ﷺ

● **حسن خلق النبي ﷺ:**

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً، ولا متفحِّشاً، وكان يقول: «إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقاً» متفق عليه(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لي: أُفٍّ، وَلا لِمَ صَنَعْتَ، وَلا أَلَا صَنَعْتَ. متفق عليه(٢).

● **كرمه ﷺ:**

عن جابر رضي الله عنه قال: ما سئِلَ النَّبيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قطُّ فَقَالَ: لا. متفق عليه(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ ما يَكونُ في رَمضَانَ حيْنَ يَلْقاهُ جِبْرِيلُ ، وَكانَ يَلْقاهُ في كلِّ لَيْلةٍ منْ رَمضَانَ فَيُدَارِسهُ القرآنَ فَلَرَسولُ الله أَجوَدُ بالخَيْرِ منَ الرِّيْحِ المُرْسلَةِ. متفق عليه(٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال: مَا سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ على الإسْلامِ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَماً بَينَ جَبَلَينِ، فَرَجَعَ إلى قومِهِ فَقَالَ: يَا قَومِ أَسْلِمُوا فَإنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطاءً لا يَخْشَى الفَاقَةَ. أخرجه مسلم(٥).

● **حياؤه ﷺ:**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ في وَجْهِهِ. متفق عليه(٦).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٢١).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٣٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٠٩).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٣٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣١١).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٠٨).
(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٢).
(٦) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٢٠).

• **تواضعه ﷺ:**

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقولُ: «لا تُطْرُوْني كَمَا أَطْرَتِ النَّصارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ» أخرجه البخاري[1].

وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ امْرَأَةً كَانَ في عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ الله: إِنَّ لِي إِلَيكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ» فَخَلا مَعَهَا في بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا. أخرجه مسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَوْ دُعِيتُ إلى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ» أخرجه البخاري[3].

• **شجاعته ﷺ:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ،وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِيْنَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ ناسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ رَاجِعاً، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إلى الصَّوتِ، وَهُوَ على فَرَسٍ لأبي طَلْحَةَ عُرْيٍ في عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا،لَمْ تُرَاعُوا» قَالَ:«وَجَدْنَاهُ بَحْراً، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ» قَالَ: وَكَانَ فَرَساً يُبَطَّأُ. متفق عليه[4].

وعن علي رضي الله عنه قال: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يومَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلوذُ بِرَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إلى العَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يومَئِذٍ بَأساً. أخرجه أحمد[5].

• **رفقه ﷺ:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا على بَوْلِهِ ذَنوباً مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» متفق عليه[6].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا ، وَسَكِّنُوا وَلا تُنَفِّرُوا» متفق عليه[7].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣٢٦).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٥٦٨).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩٠٨)، ومسلم برقم (٢٣٠٧) واللفظ له.
(٥) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٦٥٤).
(٦) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٢٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٤).
(٧) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٢٥)، ومسلم برقم (١٧٣٤).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي على الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي على العُنْفِ، وَمَا لا يُعْطِي على مَا سِوَاهُ» متفق عليه(١).

- **عفوه ﷺ:**

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة/ ١٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَينَ أَمْرَينِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً، فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِه، إِلَّا أَنْ تُنتَهَكَ حُرْمَةُ الله فَيَنتَقِمَ للهِ بِهَا. متفق عليه(٢).

- **رحمته ﷺ:**

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي العَاصِ على عَاتِقِهِ فَصَلَّى، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَ، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا. متفق عليه(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قَبَّلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ» متفق عليه(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ، وَالسَّقِيمَ، وَالكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» متفق عليه(٥).

وعَنِ المَعْرُورِ بنِ سُوَيْدٍ قَالَ: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعلى غُلَامِهِ مِثْلُهُ فَقُلْنَا: يا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَشَكَانِي إلى النَّبِيِّ ﷺ فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَبَا

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧)، ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٢٧).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٤٣).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣١٨).
(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٠٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٦٧).

ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فيكَ جَاهِلِيَّةٌ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» متفق عليه[1].

وعن أنس ﷺ قال: كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ» فَنَظَرَ إلى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» أخرجه البخاري[2].

- **ضحكه ﷺ:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجْمِعاً قَطُّ ضَاحِكاً حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. متفق عليه[3].

وعن جرير ﷺ قال: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلا رآني إِلَّا تَبَسَّمَ في وَجْهِي. متفق عليه[4].

- **بكاؤه ﷺ:**

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قال: «نَعَمْ»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى أَتَيْتُ إلى هَذِهِ الآيَةِ :﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ قال: «حَسْبُكَ الآنَ»، فَالتَفَتُّ إِلَيهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. متفق عليه[5].

وعن عبدالله بن الشِّخِّير ﷺ قال: رأيتُ رَسُولَ الله ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ البُكَاءِ ﷺ. أخرجه أبو داود والنسائي[6].

وفي رواية للنسائي: «كأزيزِ المِرْجَلِ» .

- **غضبه ﷺ لأمر الله:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عَلَيَّ النبي ﷺ وفي البيت قِرام فيه صور، فتلوَّن

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٠)، ومسلم برقم (١٦٦١) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣٥٦).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٨٩٩).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٨٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٤٧٥).
(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٨٠٠).
(٦) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٩٠٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (١٢١٤).

وجهه ثم تناول الستر فهتكه، وقالت: قال النبي ﷺ: «مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ» متفق عليه[1].

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يُطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله ﷺ قط أشدَّ غضباً في موعظةٍ منه يومئذ، قال: فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ مِنكُم مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ، فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإنَّ فيهِمُ المريضَ، وَالكَبِيرَ، وَذَا الحَاجَةِ» متفق عليه[2].

- **شفقته ﷺ على أمته:**

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً فَجَعَلَ الجَنَادِبُ وَالفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيْهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي» أخرجه مسلم[3].

- **انبساطه ﷺ إلى الناس:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لأَخٍ لي صَغِيرٍ «يَا أَبَا عُمَيرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» متفق عليه[4].

- **زهده ﷺ:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوْتاً» متفق عليه[5].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المدِيْنَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلاثَ لَيَالٍ تِبَاعاً حَتَّى قُبِضَ. متفق عليه[6].

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: وَالله يَا ابْنَ أُخْتِي إنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إلى الهلالِ ثُمَّ الهلالِ، ثُمَّ الهلالِ، ثَلاثَةَ أَهِلَّةٍ في شَهْرَين، وَمَا أُوْقِدَ في أَبيَاتِ رَسُولِ الله

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٠٧).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١١٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٦٦).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٢٨٥).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٢٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٥٠).
(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٠) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٥٥).
(٦) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٤١٦)، ومسلم برقم (٢٩٧٠) واللفظ له.

ﷺ نارٌ، قَالَ: قُلْتُ يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتْ: الأَسْوَدَانِ ، التَّمْرُ وَالمَاءُ، إلَّا أنه قَدْ كَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ جِيرانٌ مِنَ الأَنصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إلى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَلبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ. متفق عليه[1].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ الحَارِثِ قال: مَا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ دِيناراً وَلا دِرْهَماً، وَلا عَبْداً وَلا أمَةً، إلا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلاحَهُ، وَأرْضاً جَعَلَهَا لابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً. أخرجه البخاري[2].

- **عدله ﷺ:**

عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمَّهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت.. -وفيه-: فكلَّمه أسامة بن زيد، فقال رسول الله ﷺ: «أَتشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُوْدِ اللهِ؟» ثُمَّ قَام فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيهِ الحَدَّ، وَأَيْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»متفق عليه[3].

- **حلمه ﷺ:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحد؟ فقال: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَومِكِ وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يومَ العَقَبَةِ،إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي على ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ ابنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إلى مَا أَرَدْتُّ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ على وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فنظَرْتُ فَإِذَا فيْهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَاني فَقَالَ: إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوْا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إلَيكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ فَنَادَاني مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ الله قَدْ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ، وَأَنا مَلَكُ الجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَني رَبُّكَ إلَيْكَ لِتَأْمُرَني بِأَمْرِكَ ، فَمَا شِئْتَ؟ إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيهِمُ الأَخْشَبَينِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» متفق عليه[4].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٥٦٧)، ومسلم برقم (٢٩٧٢) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٤٦١).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٥) واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٨٨).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (١٧٩٥) واللفظ له.

• **صبره ﷺ:**

قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف/ ٢٨].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: دَخَلْتُ على رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكاً شَديداً.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَجَلْ إنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ» قَالَ فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَجَلْ» متفق عليه[1].

وعن خباب بن الأرتِّ رضي الله عنه قال: شَكَونَا إلى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ في ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ في الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيْهَا، فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوْضَعُ على رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَينِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مِن دُونِ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِيْنِهِ، وَالله لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إلَّا الله ، وَالذِّئْبَ على غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» أخرجه البخاري[2].

• **نصحه ﷺ:**

كَانَ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَليلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» متفق عليه[3].

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ» متفق عليه[4].

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَجَسَّسُوا، وَلا تَنَاجَشُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَاناً» متفق عليه[5].

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «لا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَومَ القِيَامَةِ» أخرجه مسلم[6].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٦٧)، ومسلم برقم (٢٥٧١) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٩٤٣).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٦٢١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٥٩).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٢٣٧)، ومسلم برقم (٢٥٦٠) واللفظ له.
(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٦٣).
(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٨).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ : «مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الوَجْهَينِ ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ» متفق عليه(١).

وكان ﷺ يقول: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» متفق عليه(٢).

وكان ﷺ يقول: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ على أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» أخرجه مسلم(٣).

وكان ﷺ يقول: «إِذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ» أخرجه مسلم(٤).

وكان ﷺ يقول: «لا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ، اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ البِرِّ مِنْكُمْ» أخرجه مسلم(٥).

وكان ﷺ يقول: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ مُتَمَنِّياً لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْراً لِي» متفق عليه(٦).

وكان ﷺ يقول: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» أخرجه مسلم(٧).

وكان ﷺ يقول: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» متفق عليه(٨).

- **تقشفه** ﷺ :

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : «أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ «لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ، مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ» أخرجه مسلم. (٩).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٥٨)، ومسلم برقم (٢٥٢٦) واللفظ له.
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٠).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٨).
(٤) أخرجه مسلم برقم (٣٠٠٢).
(٥) أخرجه مسلم برقم (٢١٤٢).
(٦) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٥١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٨٠)
(٧) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٩).
(٨) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٧).
(٩) أخرجه مسلم برقم (٢٩٧٧).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: مَا أَكَلَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ إِلَّا إِحْدَاهُمَا تَمْرٌ. أخرجه البخاري [(١)].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَدَمٍ، وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ. متفق عليه. [(٢)].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَهُ حَصِيرٌ، يَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ، وَيحْتَجِرُهُ بِاللَّيْلِ، فَثَابَ إِلَيْهِ نَاسٌ، فَصَلَّوْا وَرَاءَهُ. أخرجه البخاري [(٣)].

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا، فَقَالَتْ: قُبِضَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَيْنِ. أخرجه البخاري [(٤)].

- **حلمه ﷺ :**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. متفق عليه [(٥)].

- **تيسيره ﷺ :**

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

[الأعراف/ ١٥٧].

و عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. متفق عليه. [(٦)]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٥٥).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٥٦)، ومسلم برقم (٢٠٨٢).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٣٠).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٨١٨).
(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣١٤٩)، ومسلم برقم (١٠٥٧).
(٦) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٢٦)، ومسلم برقم (٢٣٢٧).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا» متفق عليه[1].

- **رحمته ﷺ :**

١- رحمته بالأطفال :

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا» أخرجه البخاري[2].

و عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ؟» فَقَالَ الغُلاَمُ: وَالله يَا رَسُولَ الله، لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ الله ﷺ فِي يَدِهِ. متفق عليه.[3]

٢- رحمته بالخدم :

عن أبي هريرة ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ» متفق عليه[4].

٣- رحمته بالضعفاء :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ، فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» متفق عليه[5].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٩)، ومسلم برقم (١٧٣٤).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٣).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٢٠)، ومسلم برقم (٣٠٢٠).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٤٦٠)، ومسلم برقم (١٦٦٣).
(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٠٣)، ومسلم برقم (٤٦٧).

٢- شمايل النبي ﷺ

- «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً، وَأَحْسَنَهُ خَلْقاً، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الذَّاهِبِ وَلا بِالقَصِيرِ» متفق عليه[١].
- و«كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ الله ﷺ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَماً حَشْوهُ لِيفٌ» متفق عليه[٢].
- و«كَانَ ﷺ إذَا اشْتَكَى نَفَثَ على نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ» متفق عليه[٣].
- و«كَانَ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، وَإِذَا كَرِهَ شَيْئاً عُرِفَ في وَجْهِهِ» متفق عليه[٤].
- و«كَانَ ﷺ إذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَانَ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ» متفق عليه[٥].
- و«كَانَ ﷺ يُبَاشِرُ نِسَاءَهُ فَوقَ الإزَارِ وَهُنَّ حُيَّضٌ» متفق عليه[٦].
- و«كَانَ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ في تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ» متفق عليه[٧].
- و«كَانَ ﷺ يُقَبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لإرْبِهِ» متفق عليه[٨].
- و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لا يَطْرُقُ أَهْلَهُ، كَانَ لا يَدْخُلُ إلَّا غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً» متفق عليه[٩].
- و«كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُحِبُّ العَسَلَ وَالحَلْوَاءَ، وَكَانَ إذَا انْصَرَفَ مِنَ العَصْرِ دَخَلَ على نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْ إحْدَاهُنَّ» متفق عليه[١٠].
- و«كَانَ ﷺ لا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ إلَّا نَهَاراً في الضُّحَى، فَإذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ، فَصَلَّى فِيْهِ رَكْعَتَينِ، ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ» متفق عليه[١١].
- و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعاً، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنِيهِ» متفق عليه[١٢].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٤٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٣٧).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٥٦)، ومسلم برقم (٢٠٨٢) واللفظ له.
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤٣٩)، ومسلم برقم (٢١٩٢) واللفظ له.
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢)، ومسلم برقم (٢٣٢٠) واللفظ له.
(٥) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٦) ، ومسلم برقم (٢٧٦٩) واللفظ له.
(٦) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٠٣)، ومسلم برقم (٢٩٤) واللفظ له.
(٧) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٦٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٨).
(٨) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٩٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (١١٠٦).
(٩) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨٠٠) واللفظ له، ومسلم برقم (١٩٢٨).
(١٠) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢٦٨) واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٧٤).
(١١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٠٨٨)، ومسلم برقم (٧١٦) واللفظ له.
(١٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٣٧).

• و «كَانَ شَعَرُ رَسُولِ الله ﷺ رَجِلاً، لَيسَ بِالسَّبِطِ وَلا الجَعْدِ، بَيْنَ أُذُنيهِ وَعَاتِقِهِ» متفق عليه[1].

• و «كَانَ ﷺ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيُحْيِي آخِرَهُ» متفق عليه[2].

• و «كَانَ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ » متفق عليه[3].

• و «كَانَ ﷺ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ على نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ » متفق عليه[4].

• و «كَانَ ﷺ إذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثاً حَتَّى تُفْهَمَ، وَإذَا أَتَى على قَومٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيهِمْ ثَلاثاً» أخرجه البخاري[5].

• و «كَانَ ﷺ إِذَا اشْتَدَّ البَرْدُ بَكَّرَ بِالصَّلاةِ، وَإذَا اشْتَدَّ الحَرُّ أَبْرَدَ بِالصَّلاةِ» أخرجه البخاري[6].

• وقال كعب بن مالك رضي الله عنه: لقَلَّمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَخْرُجُ إذَا خَرَجَ في سَفَرٍ إلَّا يَوْمَ الخَمِيسِ. أخرجه البخاري[7].

• و «كَانَ ﷺ يُصَلِّي على رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ، فَإِذَا أَرَادَ الفَرِيْضَةَ نَزَلَ فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ» أخرجه البخاري[8].

• و «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ رَحِيماً رَفِيقاً» أخرجه البخاري[9].

• و «كَانَ ﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » أخرجه البخاري[10].

• و «كَانَ ﷺ إذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلا صَوتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ» أخرجه مسلم[11].

• و «كَانَ ﷺ إذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ» أخرجه مسلم[12].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٣٨).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١١٤٦)، ومسلم برقم (٧٣٩) واللفظ له.
(٣) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٤٢٨)، واللفظ له ،وأخرجه مسلم برقم (٥٢٤).
(٤) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٤٤٣٩) ،وأخرجه مسلم برقم (٢١٩٢) ، واللفظ له.
(٥) أخرجه البخاري برقم (٩٥).
(٦) أخرجه البخاري برقم (٩٠٦).
(٧) أخرجه البخاري برقم (٢٩٤٩).
(٨) أخرجه البخاري برقم (٤٠٠).
(٩) أخرجه البخاري برقم (٦٣١).
(١٠) أخرجه البخاري برقم (٢١٤).
(١١) أخرجه مسلم برقم (٨٦٧).
(١٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣).

- و«كَانَ ﷺ كَثِيراً مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ» أخرجه مسلم[١].
- و«كَانَ ﷺ يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً إذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيْحٌ سَبَّحَ، وَإذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ» أخرجه مسلم[٢].
- و«كَانَ ﷺ إذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيهِ بِالمُعَوِّذَاتِ» أخرجه مسلم[٣].
- و«كَانَ ﷺ يَذْكُرُ الله تَعَالى على كُلِّ أَحْيَانِهِ» أخرجه مسلم[٤].
- و«كَانَ ﷺ رَجُلاً سَهْلاً» أخرجه مسلم[٥].
- و «كَانَ ﷺ يُوجِزُ في الصَّلاةِ وَيُتِمُّ» أخرجه مسلم[٦].
- و «كَانَ ﷺ لا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ أَو الغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ» أخرجه مسلم[٧].
- و «كَانَ ﷺ رَحِيماً رَقِيقاً» أخرجه مسلم[٨].
- و«كَانَ ﷺ يَتَخَلَّفُ في المَسِير،فَيُزْجِي الضَّعِيفَ، وَيُرْدِفُ، وَيَدْعُوْلَهُمْ»أخرجه أبوداود[٩].
- و«كَانَ ﷺ إذَا اكْتَحَلَ اكْتَحَلَ وِتْراً، وَإذَا اسْتَجْمَرَ اسْتَجْمَرَ وِتْراً» أخرجه أحمد[١٠].
- و«كَانَ ﷺ تعجبه الريح الطيبة» أخرجه أحمد وأبو داود[١١].
- و«كَانَ ﷺ إذَا دَعَا لأَحَدٍ بَدَأَ بِنَفْسِهِ» أخرجه أحمد وأبو داود[١٢].
- و«كَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إلى رَسُولِ الله ﷺ القَمِيْصُ» أخرجه أبو داود والترمذي[١٣].
- و«كَانَ ﷺ إذَا أَرَادَ الحَاجَةَ أَبْعَدَ» أخرجه أحمد والنسائي[١٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٧٢).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٢).
(٤) أخرجه مسلم برقم (٣٧٣).
(٥) أخرجه مسلم برقم (١٢١٣) .
(٦) أخرجه مسلم برقم (٤٦٩).
(٧) أخرجه مسلم برقم (٦٧٠).
(٨) أخرجه مسلم برقم (١٦٤١).
(٩) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٢٦٣٩).
(١٠) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٧٥٦٢).
(١١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٢٦٣٦٤)، وأخرجه أبو داود برقم (٤٠٧٤).
(١٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢١١٢٦) وهذا لفظه، وأخرجه أبو داود برقم (٣٩٨٤).
(١٣) **صحيح** / أخرجه أبو داود برقم (٤٠٢٥)، وأخرجه الترمذي برقم (١٧٦٢).
(١٤) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٥٧٤٦)، وأخرجه النسائي برقم (١٦).

- و«كَانَ ﷺ يَلْبَسُ النِّعَالَ السِّبْتِيَّةَ، وَيُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ بِالوَرْسِ وَالزَّعْفَرَانِ» أخرجه أبو داود والنسائي[١].
- و «كَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ خَاتِمُ فِضَّةٍ يَتَخَتَّمُ بِهِ في يَمِينِهِ» أخرجه النسائي[٢].
- و «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لا يَتَوَضَّأُ بَعْدَ الغُسْلِ» أخرجه الترمذي والنسائي[٣].
- و «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَوَضَّأُ بِالمُدِّ وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ» أخرجه أبو داود والنسائي[٤].
- و «كَانَ ﷺ يَبِيْتُ اللَّيَالِيَ المُتَتَابِعَةَ طَاوِياً، وَأَهْلُهُ لا يَجِدُوْنَ عَشَاءً، وَكَانَ عَامَّةُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيْرِ» أخرجه أحمد والترمذي[٥].
- و «كَانَ ﷺ إِذَا عَطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ أَوْ بِثَوْبِهِ، وَغَضَّ بِهَا صَوْتَهُ » أخرجه أبوداود والترمذي[٦].
- و«كَانَ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُقَصِّرُ الخُطْبَةَ، وَلَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالمسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الحَاجَةَ » أخرجه النسائي[٧].
- و«كَانَ ﷺ إذا رَاعَهُ شيء قال:هُوَ الله رَبِّي لا أُشْرِكُ بِهِ شَيئاً»أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة[٨].
- و«كَانَ ﷺ لا يُسْأَلُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ أَوْ سَكَتَ» أخرجه الحاكم[٩].
- و «كَانَ ﷺ إِذَا مَشَى مَشَى مُجْتَمِعاً لَيْسَ فيهِ كَسَلٌ» أخرجه أحمد والبزار[١٠].
- و«كَانَ ﷺ يَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَعْمَلُ مَا يعْمَلُ الرِّجَالُ في بُيُوتهمْ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد[١١].
- و«كَانَ ﷺ رَحِيماً ، وَكَانَ لا يَأْتِيهِ أَحَدٌ إِلَّا وَعَدَهُ وَأَنْجَزَ لَهُ إنْ كَانَ عِنْدَه» أخرجه البخاري في الأدب المفرد[١٢].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أبوداود برقم (٤٢١٠)، وأخرجه النسائي برقم (٥٢٤٤).
(٢) **صحيح**/ أخرجه النسائي برقم (٥١٩٧).
(٣) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (١٠٧)، وأخرجه النسائي برقم (٤٣٠) وهذا لفظه.
(٤) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٩٢)، وأخرجه النسائي برقم (٣٤٧) وهذا لفظه.
(٥) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٠٣)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٢٣٦٠).
(٦) **صحيح** / أخرجه أبو داود برقم (٥٠٢٩) ، وأخرجه الترمذي برقم (٢٧٤٥)، وهذا لفظه.
(٧) **صحيح** / أخرجه النسائي برقم (١٤١٤).
(٨) **صحيح**/ أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٦٥٧).
(٩) **صحيح** / أخرجه الحاكم برقم (٢٥٩١).
(١٠) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٣٠٣٣) ،وأخرجه البزار - كشف الأستار- برقم (٢٣٩١) .
(١١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٢٤٩٠٣) ،وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٥٤٩) .
(١٢) **حسن**/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٨١).

- و«كَانَ كَلامُ رسول الله ﷺ كَلاماً فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ» أخرجه أبو داود[1].
- و«كَانَ ﷺ لا يَنَامُ إِلَّا وَالسِّوَاكُ عِنْدَهُ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ» أخرجه أحمد[2].

فرَّق الله ﷻ الأخلاق الحسنة في الأنبياء، ثم جمعها في سيد الأنبياء ﷺ ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء.

فكان ﷺ أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً، وأعظمهم رحمة، وأحسنهم حديثاً، وأطيبهم ريحاً، وأنقاهم سريرة، وأكرمهم جوداً، وأتقاهم لربه:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾.

وكان ﷺ يجلس على الأرض تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى البساط تارة.

وكان يتكئ على الوسادة، وربما اتكأ على يساره، وربما اتكأ على يمينه، وكان يتوكأ أحياناً على بعض أصحابه عند القيام من الضعف .

وكان ﷺ إذا مشى تكفأ تكفوءاً كأنما ينحط من صبب ، وكان أسرع الناس مشية وأحسنها وأسكنها، كأن الأرض تطوى له.

وكان يمشي حافياً ومنتعلاً، ويماشي أصحابه فرادى وجماعة، وكان أصحابه رضي الله عنهم يمشون بين يديه وهو خلفهم، وكان في السفر يسوق أصحابه، يُزجي الضعيف، ويُردفه .

وكان ﷺ يستنجي بالماء تارة، وبالأحجار تارة، ويجمع بينهما تارة، وكان إذا أراد قضاء الحاجة في السفر توارى عن أصحابه، واستتر عنهم بهدف أو شجر، وكان يبول قاعداً، وبال قائماً مرة لعذر، وكان يستنجي ويستجمر بشماله .

وكان ﷺ يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره، وأخذه وعطائه، وفي شأنه كله، وكانت يمينه لطعامه وشرابه وطهوره، ويساره لخلائه ونحوه من إزالة الأذى والأوساخ.

وكان ﷺ يحب السواك، ويكثر من التسوك، ويستاك مفطراً وصائماً، وكان يحب الطيب، ويُكثر منه، ولا يرد الطيب، وكان أحب الطيب إليه المسك .

وكان ﷺ أفصح الخلق، وأحسنهم كلاماً، وأحلاهم منطقاً، إذا تكلم تكلم بكلام فصل مبين، يعده العاد، ليس بهذٍّ سريع لا يُحفظ، ولا منقطع تتخلله السكتات، وكان

---

(١) حسن/ أخرجه أبوداود برقم (٤٨٣٩).
(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٥٩٧٩).

كثيراً ما يعيد الكلام ثلاثاً ليعقل عنه، كلامه جزل مؤثر، يأخذ بمجامع القلوب، ويغذي الأرواح .

وكان ﷺ طويل السكوت، لا يتكلم من غير حاجة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، ويتكلم بجوامع الكلم، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وكان إذا كره شيئاً عُرف في وجهه من غير أن يتكلم بشأنه، ولم يكن ﷺ فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق .

وكان ﷺ جل ضحكه التبسم، بل كله التبسم،فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذه، وكان يضحك مما يُضحك منه، ويُتعجب من مثله .

وأما بكاؤه ﷺ فلم يكن بشهيق، ورفع صوت، بل كانت عيناه تدمعان حتى تهملا، ويُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل ، وهي القدر التي تغلي.

وكان بكاؤه ﷺ تارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن أوقراءته، وهو بكاء حب وإجلال وشوق مصاحب للخوف والخشية، وتارة يبكي خوفاً على أمته، وشفقة عليها، وتارة يبكي رحمة للمريض أو الميت، وتارة يبكي لما يرى من عظمة الله، وسعة حلمه على عباده، وتوالي نعمه على خلقه، وتارة يبكي عند استغاثته بربه، وعند شهود تقصيره بما كلفه الله به ونحو ذلك .

وكان ﷺ يخطب خطبه تارة على الأرض، وتارة على المنبر، وتارة على الناقة.

وكان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم، وكان لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله ﷻ ، وختمها بالاستغفار، وكان يخطب خطبه قائماً أو راكباً.

وكان مدار خطبه ﷺ على حمد الله وتوحيده، والثناء عليه بآلائه، وتمجيده بأسمائه وصفاته، وتعليم قواعد الإسلام، وبيان أحوال اليوم الآخر، والأمر بتقوى الله ﷻ، وبيان ما يحبه الله ويرضاه، والترغيب فيه.

وهذه الأخلاق والشمائل التي مر ذكرها ، ماهي إلا نقطة من بحر أخلاقه ، لأنه ما من خصلة حميدة ذكرت في القرآن أو السنة أو الآثار أو الأخبار إلا وكان ﷺ يتصف بها ، وهو أول العاملين بها ، وأحسن المتحلين بها ، قد جمع الله أخلاق الأنبياء والرسل في ظاهره وباطنه ، وزاد عليها بما أكرمه الله به من محاسن الأخلاق والأقوال والأعمال كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

٢- دعوته ﷺ

تنقسم حياة النبي ﷺ إلى ثلاثة أقسام، وهي :

الأول: طريقة حياة، وهي كل ما كان يتحلى به الرسول ﷺ من الأخلاق والآداب والسنن والفضائل الشرعية : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم/ ٤].

الثاني: فرائض حياة ، وهي جميع العبادات والحقوق والواجبات الشرعية.

الثالث: مقصد حياة، وهي الدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وقدأرسل الله رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين، فدعا الناس إلى توحيد رب العالمين، وعبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه من الأصنام والأوثان وغيرها كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾[الأحزاب/ ٤٥-٤٨].

فقام ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى بين أهله، وعشيرته، وقومه، وقريته، وما حولها، والعرب قاطبة، والناس كافة، والعالم قاطبة يدعو إلى الله في الليل والنهار، والحضر والسفر، والصحة والمرض: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء/ ١٠٧].

فبلَّغ ﷺ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وترك الأمة على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، تحقيقاً لقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[المائدة/ ٦٧].

ودعا ﷺ إلى الله من أول يوم من بعثته،إلى آخريوم من حياته،وربى أصحابه على ذلك.

وتفصيل دعوته ﷺ أفردناه بفضل الله بباب مستقل، لأن الدعوة إلى الله هي مقصد حياته ﷺ كلها، وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة، وقد أمر الله بها قبل الصلاة والصوم وغيرها من فرائض الإسلام، ووقت الفرائض محدود، ووقت الدعوة مطلق غير محدود، بل الدعوة إلى الله هي أم الفرائض كلها، وأداء الفرائض من ثمراتها: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف/ ١٠٨].

٣-عباداته ﷺ

كان ﷺ يعبد الله ويذكره في جميع أحواله، في ليله ونهاره، وفي حضره وسفره، وفي أقواله وأفعاله، وفي أخلاقه وآدابه، وفي بيته وسوقه، وفي مسجده، ويذكر الله على كل أحيانه، ويدعو الله في جميع أوقاته، ويحقق العبودية لله في كل حال من أحواله، تحقيقاً لقول ربه له : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر/١١-١٢].

وشكراً لله ﷻ على نعمة الهداية والرسالة : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

وكان ﷺ يتوضأ لكل صلاة، وربما صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد كما فعل يوم الفتح، وكان يتوضأ بالمد تارة، وبأزيد منه تارة .

ومسح على الخفين في الحضر والسفر، ومسح على الجوربين والنعلين، ومسح على العمامة.

وكان ﷺ يتيمم بضربة واحدة للوجه والكفين، وكان يتيمم بالأرض التي يصلي عليها تراباً أو رملاً أو سبخةً، وجعل التيمم قائماً مقام الوضوء، فيضرب بيده الأرض، ويمسح بهما وجهه، ثم يمسح ظاهر اليد اليمنى، بباطن كف اليد اليسرى، ثم يمسح ظاهر كف اليسرى بباطن كف اليد اليمنى .

وكان ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال : (الله أكبر) ويرفع يديه معها ممدودة الأصابع، مستقبلا بها القبلة إلى فروع أذنيه، أو إلى منكبيه، ثم يكمل صلاته فرضاً أو نفلاً على أحسن صفة كما ورد في كتب الفقه والحديث أكثر من مائتي مسألة من التكبير إلى التسليم.

وكان ﷺ يطيل الركعة الأولى على الثانية من كل صلاة، ويطيل صلاة الصبح أكثر من سائر الصلوات، لأن قرآن الفجر مشهود، يشهده الله وملائكته، وملائكة الليل والنهار: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾[الإسراء/ ٧٨].

وكان ﷺ إذا فرغ من القراءة في الصلاة سكت بقدر ما يتراد إليه نفسه، وكان يقيم صلبه إذا رفع من الركوع، وبين السجدتين .

وكان ﷺ في صلاته يضع ركبتيه على الأرض، ثم يديه، ثم جبهته وأنفه، وإذا رفع رفع رأسه، ثم يديه، ثم ركبتيه.

وكان ﷺ يسجد على الأرض كثيراً، وسجد على الماء والطين، وعلى الخمرة المتخذة من خوص النخل، وعلى الحصير، وعلى الفروة المدبوغة.

وكان ﷺ يبكي في صلاته، ويصلي حافياً تارة، ومنتعلاً تارة.

وكان ﷺ يصلي إلى سترة، ويدنو منها .

وكان ﷺ يصلي التهجد بالليل إحدى عشرة ركعة تارة، وثلاث عشرة ركعة تارة، والأُولى الأكثر من فعله، وكان لا يدع قيام الليل حضراً أو سفر، وكان إذا غلبه نوم أو وجع صلى من النهار ثنتي عشر ركعة، وكان يصلي صلاة التهجد بالليل مثنى مثنى .

وكان ﷺ يُسر بالقراءة في صلاة الليل تارة ، ويجهر بها تارة ، ويطيل القيام تارة ، ويخففه تارة ، ويوتر آخر الليل وهو الأكثر ، ويوتر أوسطه تارة ، ويوتر أوله تارة .

وكان ﷺ يصلي التطوع بالليل والنهارفي السفر على راحلته، ويجعل سجوده أخفض من ركوعه ، فإن تمكن من استقبال القبلة والركوع والسجود فعله .

وصلى الرسول ﷺ صلاة الضحى يوماً ركعتين ، ويوماً أربعاً ، ويوماً ستاً ، ويوماً ثمانياً ، ثم ترك ، فمن أراد أن يصليها فليصلها على ما شاء من هذه الأعداد أو أزيد .

وكان من هديه ﷺ سجود الشكر عن تجدد النعم ، أو اندفاع النقم ، فكان إذا جاءه أمر يسره خر لله ساجداً ، شكراً لله تعالى .

وكان ﷺ إذا مر بسجدة في الصلاة كبر وسجد واحدة ثم قام ، وسجود التلاوة خارج الصلاة لا قيام فيه ولا تكبير، ولا تشهد فيه ولا تسليم .

وكان من هديه ﷺ تعظيم يوم الجمعة وليلتها، والغسل فيه ، والتطيب فيه ، والتبكير إلى الجمعة ، وقراءة سورة الكهف ، وفي يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه الله إياه .

وكان ﷺ يصلي العيدين في المصلى الذي على باب المدينة ، ولم يصل العيد في مسجده ﷺ ، وكان يلبس عند الخروج لصلاة العيدين أجمل ثيابه ، وكان يبدأ بالصلاة قبل الخطبة .
وكان ﷺ إذا كسفت الشمس ، أو خسف القمر ، صلى صلاة الكسوف في المسجد جماعة كما وردفي كتب الفقه .
وكان ﷺ إذا أجدبت الأرض ، وقحط المطر ، صلى صلاة الاستسقاء في المصلى ، واستسقى يوم الجمعة على المنبر في أثناء خطبته ، ووعد الناس يوماً يخرجون فيه إلى المصلى ، فخرج إليهم لما طلعت الشمس متخشعاً متذللاً وصلى بهم صلاة الاستسقاء، واستسقى في بعض غزواته لما عطش أصحابه، فسال الوادي ، وشرب الناس وارتووا .
وكان ﷺ إذا رأى الغيم والريح عُرف ذلك في وجهه ، فأقبل وأدبر ، فإذا أمطرت سُري عنه ، وذهب عنه ذلك.
وكانت أسفاره ﷺ دائرة بين أربعة أسفار هي : سفره لهجرته ، وسفره للجهاد في سبيل الله ، وهو أكثرها ، وسفره للعمرة ، وسفره للحج .
وكان ﷺ إذا سافر خرج من أول النهار ، وكان يقصر الصلاة الرباعية في سفره حتى يرجع ، وكان يقتصر على الفرض في السفر ، ولم يحفظ عنه في السفر من التطوع إلا سنة الفجر ، وصلاة التهجد ، والوتر ، فلم يكن يدعهن سفراً ولا حضراً .
وعلق ﷺ القصر والفطر في السفر على مطلق السفر والضرب في الأرض ، ولم يحدد لذلك مسافة محدودة .
وكان ﷺ له حزب من القرآن يقرؤه كل يوم ، وكانت قراءته ترتيلاً ، وكان يقطِّع قراءته آية آية ، وكان يحب أن يسمع القرآن من غيره .
وكان ﷺ يقرأ القرآن قائماً ، وقاعداً ، ومضطجعاً ، ومتوضئاً ، ومحدثاً ، ولم يكن يمنعه من قرآءة القرآن شيء إلا الجنابة ، وكان يتغنى بالقرآن ، ويرجِّع صوته به أحياناً.
وكان ﷺ إذا صلى على الميت تبعه إلى المقابر ماشياً أمامه ، وكان لا يصلي صلاة الجنازة على من قتل نفسه ، ويصلي على المقتول حداً ، وكان يزور قبور أصحابه

رضي الله عنهم للدعاء لهم ، والترحم عليهم ، والاستغفار لهم ، وكان يعزي أهل الميت بما ورد في السنة .

وكان ﷺ إذا اجتمع خوف وسفر قصر أركان الصلاة وعددها ، وقصر العدد وحده إذا كان في سفر لا خوف معه ، وقصر الأركان وحدها إذا كان خوف لا سفر معه : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [النساء/ ١٠١] .

وكان هديه ﷺ في الزكاة أكمل هدي وأحسنه ، في وقتها ، وقدرها ، ونصابها ، ومن تجب عليه ، ومصرفها ، أوجبها مرة كل عام ، وراعى فيها مصلحة الأغنياء ، ومصلحة المساكين ، وجعلها طهرة للمال، وجعل حول الزروع والثمار عند كمالها واستوائها، وفاوت بين مقادير الواجب بحسب سعي أرباب الأموال في تحصيلها.

وفرض ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعاً من طعام، على الكبير والصغير ، والذكر والأنثى ، والحر والعبد، وبقية أحكام الزكاة في كتب الفقه والحديث.

وكان ﷺ أعظم الناس صدقة بما ملكت يده ، وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه لله ولا يستقله .

وكان ﷺ يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ، ولا يسأله أحد شيئاً إلا أعطاه إياه، قليلاً كان أو كثيراً، وكان العطاء والصدقات أحب شيء إليه.

وكان ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه .

وكان ﷺ ينوع في أصناف عطائه : تارة بالهبة ، وتارة بالهدية ، وتارة بالصدقة ، وتارة بشراء الشيء، ثم إعطاء البائع السلعة والثمن جميعاً ، وتارة يقترض الشيء، ثم يرد أكثر منه ، وتارة يشتري الشيء، ويعطي صاحبه أكثر من ثمنه .

وكان ﷺ يقبل الهدية ، ويثيب عليها بأحسن منها ، فصلوات الله وسلامه عليه .

وصام رسول الله ﷺ تسع رمضانات ، وكان جبريل يدارسه القرآن في رمضان ، وكان أجود الناس ، وأجود ما يكون بالخير في رمضان .

وكان ﷺ يكثر في رمضان من أنواع العبادات من الصدقة ، والإحسان ، وتلاوة القرآن، والصلاة ، والذكر ، والدعاء والاعتكاف .

وسافر ﷺ في رمضان فصام وأفطر ، وخيَّر الناس بين الأمرين ، وكان يصوم تطوعاً ثلاثة أيام من كل شهر ، ورغَّب في صوم يوم الاثنين ، ونهى عن صوم يوم العيدين ، وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ﷻ.

وبقية أحكام الصيام في كتب الفقه والحديث .

وقد اعتمر ﷺ بعد الهجرة أربع عمر ، كلهن في ذي القعدة: عمرة الحديبية سنة ست.. ثم عمرة القضاء من العام المقبل سنة سبع.. ثم عمرته ﷺ من الجعرانة عام الفتح سنة ثمان.. ثم الرابعة عمرته التي قرنها مع حجته سنة عشر من الهجرة .

وحج ﷺ بعد هجرته حجة واحدة، وهي حجة الوداع، سنة عشر من الهجرة، وكان حجه قارناً، وكتب الله له أجر حج القران بفعله، وأجر حج التمتع بتمنيه .

وطاف ﷺ بالبيت، ثم سعى بين الصفا والمروة، ثم بقي على إحرامه؛ وفي ضحى اليوم الثامن خرج إلى منى، وصلى بها خمس صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، قصراً بلا جمع، ولما طلعت الشمس من يوم عرفة أفاض إلى عرفات، ثم وقف بها إلى الغروب، ثم أفاض إلى المزدلفة، ثم بات بها، ولما صلى الفجر وقف بالمشعر الحرام، ثم أفاض قبل طلوع الشمس إلى منى، ثم بدأ يرمي جمرة العقبة، ثم نحر هديه، ثم حلق رأسه، ثم أكل من لحم الهدي، وشرب من مرقه، ثم لبس ثيابه، ثم توجه إلى البيت، فطاف طواف الإفاضة، ثم رجع إلى منى، ولما زالت الشمس من الغد رمى الجمرات الثلاث مرتبة، كل واحدة بسبع حصيات، الأولى، ثم الوسطى، ثم العقبة.

ثم رمى في اليوم الثاني عشر والثالث عشر كذلك بعد الزوال، ثم خرج وصلى الظهر بالأبطح، وبات به، ثم طاف بالبيت للوداع قبل الفجر، ثم خرج من مكة بعد صلاة الفجر متوجهاً إلى المدينة، وصفة حجته مبسوطة في كتب الفقه والحديث .

وكان ﷺ أكمل الخلق ذكراً لله ﷻ ، وكانت حياته كلها ذكراً لله ﷻ:

فقد كان كلامه كله في ذكر الله ﷻ ، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكراً منه لربه سبحانه.

وكان إخباره ﷺ عن أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه ووعده ووعيده ذكراً منه لله ﷿.

وكان تمجيده لربه، وثناؤه عليه، وحمده وشكره وتسبيحه لربه ذكراً منه لله ﷿ .

وكان سؤاله ودعاؤه لله، ورغبته ورهبته ذكراً منه لله ﷿.

وكان سكوته ﷺ وصمته ذكراً منه لله بقلبه .

فكان ﷺ يذكر الله في كل أحيانه، وعلى جميع أحواله، كما أمره ربه بقوله : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل/ ٨] .

وكان ﷺ يذكر الله قائماً وقاعداً وعلى جنبه، وفي مشيه وركوبه، وفي مسيره ونزوله.

وكان ذكره ﷺ لله يجري مع أنفاسه، ومواطن أذكاره وأدعيته مبسوطة في كتب الفقه والحديث .

وكان ﷺ يسلم بنفسه على من يواجهه، ويُحمِّل السلام لمن يريد السلام عليه من الغائبين عنه .

وكان هديه ﷺ انتهاء السلام إلى وبركاته، وكان يبدأ من لقيه بالسلام، وإذا سلم عليه أحد رد عليه على الفور مثل تحيته أو أفضل منها: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء/ ٨٦] .

وكان ﷺ إذا استأذن استأذن ثلاثاً، فإن أُذن له وإلا انصرف، وثبت عنه السلام قبل الاستئذان فعلاً وتعليماً .

وكان ﷺ يحب العطاس، ويشمت من عطس عنده إذا حمد الله.

وكان ﷺ يكره التثاؤب، لأنه من الشيطان ، وكان ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض أو غض به صوته .

٤ – معاملاته ﷺ

كان ﷺ أحسن الناس معاملة، وكان إذا استلف سلفاً قضى خيراً منه، ودعا لصاحبه.

وباع ﷺ واشترى، وكان شراؤه بعد الرسالة أكثر من بيعه، وبعد الهجرة إلى المدينة لا يكاد يحفظ عنه البيع إلا في قضايا يسيرة أكثرها لغيره، وأما شراؤه فكثير.

وآجر ﷺ ، واستأجر، واستئجاره أكثر من إيجاره، أجَّر نفسه قبل النبوة في رعاية الغنم، وأجَّر نفسه من خديجة في سفره بمالها إلى الشام قبل النبوة، وإن كان العقد معها مضاربة فالمضارب أمين، وأجير، ووكيل، وشريك .

ووكَّل ﷺ وتوكل، وكان توكيله أكثر من توكُله.

وأهدى ﷺ وقبِل الهدية،وأثاب على الهدية،ووهب واتَّهب،وكانت هباته أكثر من اتهابه.

واستدان ﷺ برهن، واستدان بغير رهن، واستعار، واشترى بالثمن الحال والمؤجل .

وضمن ﷺ على ربه أعمالاً من عملها كان مضموناً له الجنة، وضمن لمن مات من المسلمين وعليه دين لم يترك له وفاءً أن يوفيه عنه .

وشفع ﷺ ، وشُفع إليه، وردت بريرة شفاعته في مراجعتها مغيثاً، فلم يغضب عليها، ووقف ﷺ أرضاً كانت له، جعلها صدقة في سبيل الله.

وحلف ﷺ في أكثر من ثمانين موضعاً، أمره الله بالحلف في ثلاثة منها بقوله : ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ [يونس/ ٥٣] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ/ ٣] .

وقوله سبحانه : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن/ ٧] .

وكان ﷺ يستثني في يمينه تاره، ويكفر عنها تارة، ويمضي فيها تارة، والاستثناء يمنع عقد اليمين، والكفارة تحلها بعد عقدها .

وكان ﷺ يمازح، ولا يقول في مزاحه إلا الحق، ويُورِّي ولا يقول في توريته إلا الحق، وكان ﷺ يُشير ويستشير، وشاور أصحابه في جهاده وغزواته مرات كثيرة .

وكان ﷺ يجيب الدعوة، ويمشي مع الأرملة والمسكين والضعيف في حوائجهم، ويعود المريض، ويشهد الجنازة، ويقري الضيف .

وكان ﷺ يصل من قطعه،ويعطي من حرمه،ويعفوعمن ظلمه،ويحسن إلى من أساء إليه.
وسمع ﷺ مديح الشعر، وأثاب عليه، وما قيل فيه من الشعر جزء من محامده، وأمر الناس أن يحثوا في وجوه المداحين التراب؛ لأن مدحهم كذب.
وسابق ﷺ على الأقدام، ورقع ثوبه بيده، وخصف نعله بيده، وفلى ثوبه، وحلب شاته، وخدم نفسه وأهله، وأعان أصحابه في بناء المسجد، وحفر الخندق وغيرهما.
وربط ﷺ الحجر على بطنه من الجوع تارة، وشبع تارة، وأضاف وأضيف.
وتداوى ﷺ من المرض، وأمر بالتداوي، ورقى ولم يسترق، واحتجم في وسط رأسه، وعلى ظهر قدمه، واحتجم في الأخدعين، واحتجم في الكاهل، وهو ما بين الكتفين.
وأمر ﷺ بالحمية،وحفظ الصحة،واستفراغ المواد الفاسدة، واجتناب الأشياء الضارة.

٥- مؤذنيه ﷺ

مؤذنو النبي ﷺ أربعة :
اثنان بمسجده ﷺ وهم : بلال بن رباح، وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ، وعبد الله بن أم مكتوم الأعمى، رضي الله عنهما.
وسعد القرظ في مسجد قباء ، وأبو محذورة الجمحي في المسجد الحرام بمكة .

٦- كتَّابه ﷺ

الكتَّاب الذين كانوا يكتبون الوحي والرسائل لرسول الله ﷺ هم:
أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والزبير بن العوام، وأبي بن كعب، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن رواحة، وثابت بن قيس بن شماس، وحنظلة بن الربيع، وخالد بن الواليد، وخالد بن سعيد بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت، رضي الله عنهم أجمعين.

٧- خطباؤه وشعراؤه ﷺ

كان خطيبه ﷺ الذي كان يخطب بين يديه بأمره ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري رضي الله عنه.
وكان من شعرائه ﷺ الذين يذبون عن الإسلام :
كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، وكان أشدهم على الكفار.

٤ - جهاد الرسول ﷺ

• **سلاحه ﷺ :**

كان له ﷺ تسعة أسياف هي:

مأثور، وهو أول سيف ملكه، والعضب، وذو الفقار، تنفله يوم بدر .

ومن سيوفه البتار، والقضيب، والحتف، والرَّسوب، والقَلْعِي، والمِخْذم .

وكان له ﷺ سبعة أدرع هي:

ذات الفضول، وذات الوشاح، وذات الحواشي، والبتراء، والسعدية، والفضة، والخرنق.

وكان له ﷺ خمسة رماح هي :

المثوى، والمُثنى، وحربة يقال لها النبعة، والبيضاء، وعنزة يمشي بها أحياناً، ويتخذها سترة يصلي إليها في أسفاره.

وكان له مغفران من حديد، أحدهما الموشّح، والآخر السبوغ.

وكان له ﷺ ثلاث جباب يلبسها في الحرب، وكانت له راية سوداء، يقال لها العقاب، وراية صفراء، وألوية بيضاء .

وكانت له ﷺ ست قسي هي:

الروحاء، والزوراء، والبيضاء، والصفراء، والكتوم، والسداد .

وكان له ترس يقال له الزلوق، وآخر اسمه الفتق .

وكان له ﷺ محجن قدر ذراع أو أطول، يمشي به، ويركب به، ويعلقه بين يديه على بعيره.

• **جهاده ﷺ :**

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، ومنازل أهله أعلى المنازل في الدنيا والآخرة، وكان رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه، وقام بأنواعه كلها .

فجاهد ﷺ في الله حق جهاده بالقلب والجَنان، والدعوة والبيان، والسيف والسنان، وكانت ساعاته وأيامه موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده وماله .

ولهذا كان ﷺ إمام المجاهدين، وأرفع العالمين ذكراً، وأعظمهم عند الله قدراً .

وقد أمره الله ﷻ بأعظم أنواع الجهاد، وهو الدعوة إلى الله من حين بعثه، بقوله سبحانه: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان/ ٥١-٥٢].

وجهاد الكفار والمنافقين يكون بالحجة والبيان وتبليغ القرآن.

وجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد ورثة الرسل، وخواص الأمة، والقائمون به أفراد في العالم، والمشاركون فيه، والمتعاونون عليه، هم الأعظمون عند الله قدراً، وأجراً، ومنزلة، وقد قام به ﷺ خير قيام، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين تحقيقاً لأمر ربه له بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٣].

ورسول الله ﷺ أول وأعظم من أكمل مراتب الجهاد، فجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمرها الله به، وتترك ما نهى الله عنه، وجاهد الشيطان على دفع ما يلقي من الشبهات، وما يزين من الشهوات، وجاهد الكفار والمنافقين بالقلب، واللسان، والنفس، والمال، وجاهد في الله حق جهاده هو وأصحابه رضي الله عنهم حتى توفاه الله ﷻ: ﴿ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٨٨].

وشرع ﷺ في الجهاد من حين بُعث إلى أن توفاه الله ﷻ ، فشمر عن ساق الدعوة، ودعا إلى الله ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وصدع بأمر الله، لا تأخذه في الله لومة لائم.

فدعا إلى الله ﷺ الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والحر والعبد، والأحمر والأسود، والإنس والجن، تحقيقاً لقوه سبحانه: ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

ولما صدع ﷺ بأمر الله، وصرح لقومه بالدعوة إلى الله وحده لا شريك له، آمن به بعضهم، وكفر به وآذاه وسبه وشتمه أكثرهم، فصبر على كل ذلك، ثم قاتلوه وحاربوه، فنصره الله عليهم، وأظهر الله دينه، وقتل أئمة الكفر والكبر والضلال الذين يصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾

[الصف/ ٨-٩].

فصلوات الله وسلامه على من أرسله الله رحمة للعالمين، وأفضل من دعا إلى الصراط المستقيم، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٨] .

ولعظيم جهاده وصبره ﷺ ، وعظيم أخلاقه ورحمته، وكمال معرفته بربه، وحُسن عبادته، ونصره الله وغفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفتح/ ١-٣] .

وصلى الله عليه وملائكته، وأمر الله المؤمنين بالصلاة والسلام عليه بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٥٦] .

والجهاد في سبيل الله نوعان :

الأول: جهاد حسن لذاته، وهو الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والنصح لكل مسلم، وهو أعلى أنواع الجهاد، وهو جهاد جميع الأنبياء والرسل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

الثاني: جهاد حسن لغيره، وهو القتال في سبيل الله، لصد عدوان المعتدين، وكسر شوكة المستكبرين، ودفع الظلم عن المظلومين .

وقد كان القتال محرماً في أول الإسلام بمكة، ثم مأذوناً به، ثم مأموراً به لمن بدأ المسلمين بالقتال، ثم مأموراً به لجميع المشركين.

ففي التحريم قال الله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [النساء/ ٧٧] .

وفي الإذن بالقتال قال سبحانه : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحج/ ٣٩] .

وفي الأمر به لمن بدأ بالقتال قال سبحانه : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٩٠] .

وفي الأمر به لعموم المشركين : ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٩٣] .

وهذا الجهاد فرض عين على كل قادر إذا دعا إليه إمام المسلمين، أو هجم العدو على بلد المسلمين، أو حضر المسلم صف القتال، أو احتاج الأمر إليه بنفسه كطبيب وطيار ونحوهما: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [النساء/ ٧٤] .

وكان ﷺ يرغِّب أصحابه في قتال أعداء الله المشركين، ويحثهم على الشهادة في سبيل الله، وكان يبايع أصحابه في الحرب على أن لا يفروا، وربما بايعهم على الموت، وكان إذا أراد غزوة ورى بغيرها إلا تبوك.

وكان ﷺ يبعث العيون ليأتونه بخبر عدوه، ويُطلع الطلائع، ويبث الحرس .

وكان ﷺ إذا لقي عدوه وقف ودعا، واستنصر الله عليهم، وأكثر ذكر الله هو وأصحابه رضي الله عنهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنفال/ ٤٥-٤٧] .

وكان ﷺ يرتب صفوف الجيش، ويعبئهم بيده، وكان إذا اشتدت الحرب اتقوا به، وكان أقربهم إلى العدو، وكان يلبس الدرع، ويتقلد السيف، ويحمل الرمح والقوس، ويتترس بالترس.

وكان ﷺ ينهى عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال في الحرب .

وكان ﷺ يأمر أمراءه في السرايا بثلاثة أمور:

أن يدعوا عدوهم قبل القتال إلى الإسلام.. فإن أبوا الإسلام دعوهم إلى بذل الجزية.. فإن أبوا استعانوا بالله وقاتلوهم .

وكان ﷺ ينهى في مغازيه عن النهبة، والغلول، والمثلة .
وكان ﷺ يمن على بعض الأسرى، ويقتل بعضهم، ويفادي بعضهم بالمال، ويفادي بعضهم بأسرى المسلمين، يفعل ذلك حسب المصلحة، وثبت أنه قتل جاسوساً من المشركين.
وكان هديه ﷺ أنه إذا صالح قوماً، فنقض بعضهم عهده، وأقرهم الباقون، ورضوا به، غزاهم جميعاً، كما فعل بقريظة وبني النضير من يهود .

- **غزواته وبعوثه وسراياه ﷺ:**

غزواته وبعوثه وسراياه ﷺ كلها كانت بعد هجرته إلى المدينة، في مدة عشر سنين.
وغزواته ﷺ سبع وعشرون غزوة، قاتل منها في تسع غزوات هي:
بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، وبني المصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف .
والغزوات الكبار الأمهات سبع هي: بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، والفتح، وحنين، وتبوك ، وفي شأن هذه الغزوات نزل القرآن الكريم:
فنزلت سورة (الأنفال) في شأن غزوة بدر، ونزلت آخر سورة (آل عمران) في شأن غزوة أحد، ونزل في غزوة الخندق وقريظة وخيبر صدر سورة (الأحزاب)، ونزلت سورة (الحشر) في غزوة بني النضير، ونزلت سورة (الفتح) في شأن قصة الحديبية وخيبر، وذكر الله الفتح صريحاً في سورة (النصر) .
ونزلت سورة التوبة في شأن غزوة تبوك .
وجُرح ﷺ في غزوة واحدة من غزواته، وهي غزوة أحد، وقاتلت معه الملائكة منها في غزوتين هما بدر، وحنين، ونزلت الملائكة يوم الخندق لنصرته ﷺ، فزلزلت المشركين وهزمتهم، وأرسل الله عليهم الريح فهربوا.
وكان الفتح الأعظم في غزوتي بدر وحنين، وقاتل ﷺ بالمنجنيق في غزوة واحدة، هي غزوة الطائف، وتحصن بالخندق في غزوة واحدة هي غزوة الخندق .
أما عدد سراياه وبعوثه فأكثر من ستين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾[الأنفال/ ٧٤] .

- **أمراؤه ﷺ :**

كان له ﷺ ولاة في مختلف البلدان:

منهم باذان بن ساسان، أمَّره رسول الله ﷺ على اليمن كلها بعد موت كسرى.
وهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأول من أسلم من ملوك العجم، ولما مات باذان أمَّر بعده ابنه شهر على صنعاء، ولما قتل شهر أمَّر بعده على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه .

وولى ﷺ زياد بن أمية الأنصاري حضرموت، وولى أبا موسى الأشعري زبيد وعدن والساحل، وولى معاذ بن جبل الجند، رضي الله عنهم أجمعين.

وولى ﷺ أبا سفيان صخر بن حرب نجران، وولى ابنه يزيد تيماء شمال المدينة، رضي الله عنهما .

وولى ﷺ عتاب بن أسيد مكة، وعمره دون عشرين سنة رضي الله عنه.

وولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأحماس باليمن، وولى عمرو بن العاص رضي الله عنه عُمان وأعمالها.

وولى ﷺ أبا بكر إقامة الحج سنة تسع من الهجرة، وأردفه بعلي بن أبي طالب عوناً له ومساعداً، وليقرأ على الناس سورة براءة، رضي الله عنهم أجمعين.

وولى ﷺ لكل قبيلة وال يقبض صدقاتها ويُفرقها على أهلها .

- **حداته ﷺ** :

حداته الذين كانوا يحدون بين يديه في السفر بالأشعار التي تزيد في النشاط، وتطرد الكسل هم :

عبد الله بن رواحة، وأنجشة، وعامر بن الأكوع، وعمه سلمة بن الأكوع، رضي الله عنهم أجمعين.

- **من كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ** :

الذين كانوا يضربون أعناق الكفار والمجرمين ومن عليه حد بين يديه هم :

علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، ومحمد بن مسلمة، والمقداد بن عمرو، والضحاك بن سفيان الكلابي، وعاصم بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين.

وكان قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه منه ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير.

* * * * *

الباب السابع

دعوة الرسول ﷺ

أصول الدعوة ومراحلها في ضوء القرآن والسنة

وتشتمل على ما يلي :

١ –فقه الدعوة إلى الله

٢ –مراحل الدعوة في حياة الرسول ﷺ : وتشمل:

١ – مرحلة النشر والتبليغ : وتشمل :

١ – مناهج الدعوة إلى الله

٢ – أساليب الدعوة إلى الله

٣ – أهداف مرحلة النشر والتبليغ

٢ – مرحلة البناء والتكوين : وتشمل :

١ – سمات البناء والتكوين

٢ – أسس البناء والتكوين

٣ – أهداف مرحلة البناء والتكوين

٣ –مرحلة المواجهة والتمكين : وتشمل :

١ – مرحلة المواجهة

٢ – شروط النصر

٣ – علامات التمكين

٤ – أهداف مرحلة المواجهة والتمكين

٥ – الدعوة سبيل النجاة والفلاح

١ - فقه الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله أم الأعمال كلها ، وهي وظيفة الأنبياء والرسل ، ووظيفة هذه الأمة جميعاً كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

والدعوة إلى الله ﷻ رأس العمل الصالح ، وبالدعوة إلى الله يأتي الإيمان ، وبالإيمان تأتي الأعمال الصالحة ، وفي مقدمة الأعمال الصالحة الدعوة إلى الله كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

وإذا قامت الدعوة إلى الله جاء الإيمان في الناس ، ثم جاءت الأعمال الصالحة ، ثم صلحت أحوالهم ، ثم رضي الله عنهم ، ثم أسعدهم في حياتهم ، ثم زاد سعادتهم عند الموت ، ثم زادها في القبر ، فيكون لهم روضة من رياض الجنة ، ثم بلغهم ربهم كمال السعادة في الجنة : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤ - ٥٥] .

وبغير الإيمان فالعمل الصالح كله حابط ، وصاحبه خاسر : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٥ - ٦٦] .

والجهاد نوعان :

جهاد حسن لذاته ، وهو الدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان/ ٥٢] .

وهذا الجهاد أعلى أنواع الجهاد ، وهو سبب لحصول الهداية للداعي والمدعو : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

أما الجهاد الحسن لغيره فهو القتال في سبيل الله ، وهذا لا يكون إلا بعد الدعوة ، وهو حسن لغيره لما فيه حفظ دار الإسلام ، ودفع الأعداء ، وفتح الأبواب لتدخل الدعوة في كل بلد : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٩٣] .

والدعوة إلى الله ليست خُطباً ومواعظاً ودروساً فقط ، بل هي خلق كريم ، وعطاء جزيل ،

وإحسان جميل، ورحمة بالخلق، ورفق بالناس، وتواضع لهم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

وهي كذلك بذل كل شيء من أجل الدين، وترك كل شيء من أجل الدين، وصبر على المكاره: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥].

والدعوة كذلك حياة مطابقة لحياة سيد الخلق ﷺ، الذي كان أحسن الناس خلقاً وخلقاً، وكان خلقه القرآن، وحياته ﷺ أحسن حياة، وأطهر حياة، وأجمل حياة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وأعظم الإحسان بعد الإحسان في توحيد الله وعبادته، هو الإحسان إلى الخلق بدعوتهم إلى الله الذي خلقهم ورزقهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

والإسلام هو المنهج الوحيد للحياة السعيدة للبشرية كلها إلى يوم القيامة، فيجب إبلاغه لكل الناس: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

وفي القرآن والسنة جميع المناهج الشرعية للأفراد والجماعات والشعوب، وهي صالحة لكل زمان ومكان، في جميع شعب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

فالقرآن العظيم ذاته منهج حياة، وداخله مناهج: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل/ ٦٤].

والقرآن الكريم كله مناهج هي أحسن المناهج على الإطلاق: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل/ ٨٩].

وبغير منهج القرآن فالبشرية تعيش في ظلام وضلال وبغي وعدوان: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

والسنة النبوية ذاتها منهج حياة ، وداخلها مناهج : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢] .

والسيرة النبوية ذاتها منهج حياة ، وداخلها مناهج من أحسن المناهج التربوية : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

ونشر الحق كنشر الباطل ، كلاهما يحتاج إلى جهود وتضحيات ، وإلى بذل وترك ، وإلى تخطيط وتدبير وتنفيذ : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج/٧٨] .

وكما أنه لابد للمباني والمدن من تخطيط وتنفيذ ، كذلك لابد للبشرية من تدبير وتنفيذ وشورى ، لكيفية دعوتهم إلى الله ، وصبغهم بصبغة الله ، لتكون حياتهم في الدنيا والآخرة أحسن حياة ، بالتوحيد والإيمان ، وعبادة الله وحده لا شريك له، والفوز برضوانه وجنته : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة/ ٧١] .

وأحسن التدبير المقرون بالتنفيذ ، تدبير رب العالمين ، لرسوله الكريم ﷺ .

والتوجيه الرباني الكريم لصاحب الدعوة الأسوة ﷺ يبدأ بـ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق/ ١ – ٥] .

ثم بعدها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل/ ١ – ٤] .

ثم بعدها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر/ ١ – ٧] .

ثم بعدها : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٤] .

ثم بعدها : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٤] .

ثم بعدها : ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الشورى/ ٧] .

ثم بعدها : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

ثم بعدها : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٩٠] .

ثم بعدها : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ [التوبة/ ٣٦] .

وعن معاذ ﷛ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: « إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ» متفق عليه (1).

هذا هو التخطيط .. وهذا هو التدبير .. وهذا هو التوجيه للنبي ﷺ ولأمته.

والدعوة إلى الله ، وإبلاغ هذا الدين ، أعظم فريضة في الإسلام بعد التوحيد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٦٧] .

وعقوبة ترك الدعوة أعظم عقوبة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٩ – ١٦٠] .

ولن تخرج من الدعوة الثمرات إلا إذا قامت على هذه الأصول والمناهج : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] .

وقام كل مسلم ومسلمة بالدعوة إلى الله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٩٥) ، ومسلم برقم (١٩) واللفظ له.

والذي جعله الله من خير أمة أخرجت للناس ، فيجب عليه أن يصرف كلَّ وقته في عبادة الله ، والدعوة إلى الله ، وتعلم وتعليم شرع الله : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام/ ١٦١ – ١٦٣] .

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

وإذا كان للحكومات والشركات خطط ومناهج وأهداف ، فكذلك الدعوة إلى الله ، بمنهج الله ، لها تخطيط ومناهج ، ولها أساليب ووسائل ، ولها من وراء ذلك كله أهداف وغايات ، وهي تعبيد الناس لرب العالمين ، بما جاء به رسوله الكريم ، ولذلك كله نتائج وآثار وثمار ، وزينة تظهر على القلوب والجوارح ، وهي أجمل من الأوراق والأزهار والثمار على الأشجار : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾ [الأنفال/ ٢ – ٤] .

والمناهج : هي الخطط التي من خلالها نخطط للدعوة إلى الله ، لتصل إلى كل إنسان ، وكل أسرة ، وكل قرية ، وكل دولة ، وكل قارة ، مسترشدين بما جاء في القرآن والسنة من توجيهات : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦] .

والأساليب : الشكل الذي تتم به الدعوة إلى الله ، ليدخل الإيمان في القلوب ، ثم تستجيب الجوارح للقلوب بكل عمل صالح : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ

عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٨].
والوسائل: هي الأشياء المعينة لإيصال الحق إلى الناس بأحسن وسيلة.
إن الدعوة إلى الله، وإبلاغ دين الله، من أعظم الفرائض والواجبات بعد الإيمان بالله ﷻ، والمسلمون كلهم شركاء مع الرسول ﷺ فيها: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].
ونحن خلفاء الرسول ﷺ في إبلاغ دين الله إلى البشرية كافة كما قال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» أخرجه البخاري(1).
والدعوة إلى الله أمانة ثقيلة، ورسالة عظيمة، أشفقت من حملها أعظم المخلوقات، وحملها الإنسان ليفوز بثوابها، ويسعد بأدائها: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٢-٧٣].
فيجب علينا جميعاً رجالاً ونساءً حمل أمانة الدعوة إلى الله، وإبلاغ الناس دين الله، كما جاء في كتاب الله ﷻ، وسنة رسول الله ﷺ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.
فمن قام بأداء هذه الأمانة العظيمة كما جاءت، أفلح وسعد في الدنيا والآخرة: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].
ومن ضيع هذه الأمانة خسر وشقي في الدنيا والآخرة: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].
وهذا بيان موجز لأصول الدعوة العلمية والعملية، وبيان لمراحلها، في ضوء القرآن والسنة، والتي دخل الناس بحسن تطبيقها في دين الله أفواجاً، وترك النبي ﷺ الأمة بعدها على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

---

(1) أخرجه البخاري برقم (٢٢٠).

١ -مراحل الدعوة في حياة الرسول ﷺ

مرت الدعوة إلى الله في حياة الرسول ﷺ بثلاث مراحل :

مرحلة النشر والتبليغ .. ومرحلة البناء والتكوين .. ومرحلة المواجهة والتمكين .

١ - مرحلة النشر والتبليغ

وهذه أول مراحل الدعوة إلى الله ، وهي أهم المراحل ، وهي الغاية التي بعث الله الأنبياء والرسل من أجلها ، ليعبد الناس ربهم وحده لا شريك له : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾[النحل/ ٣٦] .

وفي هذه المرحلة كان الرسول ﷺ يتنقل بين الناس في المجامع والأسواق ، ويرتحل إلى البلاد والأطراف ، ويتحمل كل أذى من قومه وغيرهم ، ويقول للناس أينما وجدهم : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا» أخرجه أحمد[١].

ويطلب من الأشراف الحماية والنصرة قائلاً :«مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الجَنَّةُ» أخرجه أحمد[٢].

والقرآن الكريم ينزل على رسول الله ﷺ ويغذيه بالدلائل والبراهين والآيات التي تملأ قلبه توحيداً وإيماناً ، ورحمة ورأفة ، وحلماً وصبراً، وبذلاً وعطاءً .

فينتقل ﷺ في دعوته بين مناهج عدة ، ويواجه الناس حسب اختلاف عقولهم وعواطفهم ، وحسب اختلاف الأشخاص والأحوال ، بما يفتح قلوبهم وعقولهم للإيمان بالله ، وعبادته وحده لا شريك له ، حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً.

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٦٠٢٣).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٤٤٥٦) .

١ -مناهج الدعوة إلى الله

١ - إيقاظ الفطرة البشرية :

القرآن كله إيقاظ للفطرة ، والفطرة موجودة في كل إنسان ، والفطرة هي صفاء النفس ، ونقاء في الطبع ، واستقامة في القلب ، تميل بالنفس إلى الحق والخير والفضائل ، وتميل بها عن الباطل والشر والرذائل ، وهي من أعظم نعم الله على عباده : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم/ ٣٠] .

وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قال رسول الله ﷺ :«كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ »متفق عليه (١).

والفطرة في كل إنسان ، يحس بها ساعة الصفا ، وساعة الفرج، وساعة الأمن ، وساعة النعمة ، فيمتلئ قلبه بحب الله، ويشكر ربه الكريم على نعمه التي لا تُعد ولا تحصى.

ويحس بها ساعة العسرة ، وساعة الشدة ، وساعة الخوف ، فيفر إلى ربه ، وينكسر بين يديه .

ويحس بها الإنسان في آيات الله التي تحدث كل يوم في الأنفس والآفاق، فيمتلئ قلبه بالتوحيد والإيمان : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٥٣] .

ويحس بها إذا تأمل خلق السموات والأرض ، وتأمل في سير الأولين والآخرين ، وتأمل في اختلاف الليل والنهار، فيمتلئ قلبه بعظمة الله وجلاله : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٠ – ١٩١] .

وكل هذه الدلائل والآيات تنطق ، وكلها تشهد ، وكل تهتف ، بأنه لا إله إلا الله الخالق لكل شيء ، المالك لكل شيء ، العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء، وكلها تشهد بأنه لا إله إلا الله الواحد الأحد ، السميع لكل أحد ، البصير بكل أحد ، الرحيم بكل أحد،

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٨٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٥٨).

الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد ، الذي يعلم بكل أحد ، ولا يخفى عليه أحد : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٣] .

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢] .

ويشهد كل مخلوق في الكون ، في العالم العلوي ، وفي العالم السفلي ، أنه لا إله إلا الله ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢ – ١٠٣] .

وقد خلق الله سبحانه الفطرة في كل إنسان ، لكن قد تقترن الفطرة بالفطنة ، فإذا هو إنسان سوي يعرف الله على بصيرة ، ويعبده على بصيرة ، ويدعو إليه على بصيرة : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة/ ٤] .

وقد تبقى الفطرة وحدها بلا فطنة ، فيعرف هذا الإنسان ربه معرفة العوام ، معرفة من سُئلت أين الله ؟ فقالت : في السماء .

يعرف الله معرفة من قال : البعرة تدل على البعير ، والأقدام تدل على المسير : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٤] .

وقد ينطمس بعض هذه الفطرة ، لكنها لا تُمحى ، قد يطمسها انشغال بالشهوات ، أو انشغال بالمناصب ، أو انشغال بالأموال ، أو هوى ، أو انحراف فكر : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان/ ٤٤] .

وقد تنطمس الفطرة كلياً ، حتى يرى الإنسان الحق باطلاً ، والباطل حقاً : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩] .

وإذا انطمست الفطرة عميت، حتى ترى التوحيد شركاً ، والشرك توحيداً ، كما قال الله عن عباد الأصنام في مكة : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [ص/ ٥] .

ومع هذا وذاك ، تبقى الفطرة كامنة مستعدة للانبعاث في أي وقت : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾

﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

وقد تُحرك العاطفة ظروف شديدة، فتذكر الله رغم أنف صاحبها: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء/ ٦٧].

والبشر كلهم ينعمون بالفطرة، لكن الفطن الذكي تهزه نظرة أو لمسة أو آية، والضعيف البليد تهزه رجة أو زلزلة أو صاعقة، فهذا ينظر ببصره، والأول ينظر ببصيرته: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

والقرآن العظيم كله مناهج عظيمة توقظ الفطرة، يثير ما فيها من كوامن التوحيد، والميل إلى الحق، والبعد عن الباطل، وتكبير من يستحق التكبير، وحب من يستحق الحب، وتوحيد من يستحق التوحيد: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ ﴾ [فاطر/ ١٣].

وآيات القرآن، وأدلة القرآن، أحسن الأدلة التي توقظ الفطر، وتثمر كمال التوحيد والإيمان والتقوى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣ ﴾ [المائدة/ ٨٣].

والقرآن يأمرنا بأن ننظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية، لتشهد الفطرة بأنه لا إله إلا الله، مع وعيد بالعذاب الأليم يهز النفس التي لم تستيقظ فيها الفطرة، ومع وعد بالنعيم المقيم يمني النفس بما عند الله: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ ﴾ [الشورى/ ٣٦].

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾ [النساء/ ١٣-١٤].

مع القصص والأمثال التي تشرح الصدور، وتؤنس النفوس، وتطمئن القلوب، وتسعد الأرواح:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤

﴿ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٢٤-٢٥] .

وذلك كله يثمر أعظم الثمرات ، من الإيمان بالله ، وحب الله ، والتوكل على الله ، والأنس بالله ، والرغبة إليه ، والرجاء له ، والخوف منه ، والافتقار إليه ، ورجاء جنته ، والخوف من ناره : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

فالقرآن كله سور وآيات توقظ الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، ليعبدوا ربهم الذي خلقهم ورزقهم وحده لا شريك له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١ – ٢٢] .

وآيات القرآن فيها شفاء من كل داء ، تشفي من أمراض الكفر والشرك والنفاق وغيرها من أمراض القلوب ، فهي كالغذاء ينتفع به كل إنسان ، وكالماء ينتفع به الكبير والصغير ، ويحتاجه القوي والضعيف ، والغني والفقير: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٢] .

ومن أعظم الآيات التي توقظ الفطرة في النفس البشرية :

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٨٤ – ٨٩] .

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦ –٨] .

﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح/ ١٥ – ٢٠] .

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾[العنكبوت/ ٢٠] .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر/ ٢٧-٢٨] .

٢- تحريك العاطفة :

فالدعوة إلى الله تكون بإيقاظ الفطرة ، وتكون كذلك بتحريك العاطفة ، وتوجيهها إلى حب الله ، وحب رسوله ، وحب دينه ، وحب المؤمنين ، وإلى بغض الكفر والفسوق والعصيان والطغيان والعدوان : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾[الحجرات/ ٧-٨] .

والعاطفة كالفطرة مشاعر يهتز بها القلب ، ثم يحرك بها الجوارح ذات اليمين، وذات الشمال : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

[البقرة/ ٣٨-٣٩] .

والله سبحانه يرغب الناس في الطاعات، ويعدهم بالمغفرة ، ويبشرهم بالجنة، فيقول : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤] .

ويعدهم بالحياة الطيبة إذا آمنوا واتقوا : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف/ ٩٦] .

ويعد المؤمنين والمؤمنات بأنواع المسرات : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة/ ٧٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأنفال/ ٢٩] .

ويخوف سبحانه الناس من النار فيقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء/ ٥٦] .

ويخوف المؤمنين بالنار ، ليقبلوا على طاعته ، ويجتنبوا معصيته ، فيقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم/ ٦] .

ويعرض القرآن مصير أهل الحق ، ليشد الناس إلى الحق ، فيقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٧ – ١٠٨] .

﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤ – ٥٥] .

ويصف مصير أهل الباطل فيقول : ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٩] .

ويقول : ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ ﴾ [الحاقة/ ٤ – ١٠] .

ويقول : ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر/ ٦-١٤] .

ويقول سبحانه : ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الذاريات/ ٣٨ – ٤٥] .

والهدف من إثارة الفطرة ، وتحريك المشاعر ، وتوجيه العاطفة ، هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم عبادته وحده لا شريك بموجب هذه المعرفة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

٣- محاسن الأخلاق :

حسن الخلق هو المنهج الأمثل لجذب الناس إلى الإسلام ، ومن أجل ذلك عُرف الرسول ﷺ من قبل البعثة بالصدق والأمانة ، ولقب بالصادق الأمين .

ومن بعد البعثة امتدحه ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

والدين كله محاسن وأخلاق ، وأكد ذلك محمد رسول الله ﷺ حين جعل غاية بعثته الدعوة إلى مكارم الأخلاق فقال : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ» أخرجه أحمد [(١)].

ويربط ﷺ الأخلاق بالإيمان فيقول : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » متفق عليه [(٢)].

ويمنن الله على رسوله ﷺ بالرحمة فيقول : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] .

ويبين أن الغاية من رسالته ﷺ الرحمة فيقول : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

ويصف المؤمنين بالرحمة فيقول : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح/ ٢٩] .

ويقرن مع الرحمة الأمر بأداء الأمانة ، والحكم بالعدل فيقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء/ ٥٨] .

ويأمر سبحانه بالعدل والإحسان ، وينهى عن الفحشاء والمنكر فيقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٨٩٥٢).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠١٨) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٧).

﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل/ ٩٠] .

ويأمر سبحانه بالعدل مع القريب والبعيد ، ومع الصديق والعدو فيقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨ ﴾ [المائدة/ ٨] .

وامتن الله على الأمة بأن جعل رسولها ﷺ أرحم الخلق بها فقال : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ ﴾ [التوبة/ ١٢٨] .

والأخلاق الحسنة من أعظم مناهج الدعوة ، وبالأخلاق تلين القلوب القاسية، وتؤسر النفوس الشاردة، وبها تُفتح القلوب المغلقة ، وبعد فتح القلوب فتحت بلاد مظلمة في أنحاء الأرض ، بغير نقطة دم واحدة : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ ﴾ [الفتح/ ١ – ٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ ﴾ [الحجرات/ ١١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢ ﴾ [الحجرات/ ١٢] .

وأصول الأخلاق الكبرى أربعة هي:

أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك.

وبهذه الأصول ينقلب العدو صديقاً، ويعود الكافر مؤمناً : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ ﴾ [فصلت/ ٣٤] .

ومن هنا كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً ، وكان خلقه القرآن ، وكان مقامه بينهم بأحسن الأخلاق، وأجمل الصفات، مع التوجيه الخفيف، دعوة بالأخلاق والآداب ، قبل الأوامر والأقوال .

فكان ﷺ أسوة لكل إنسان في كل حال كما قال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

فعلينا الاقتداء به ﷺ في توحيده وإيمانه ، وفي أقواله الحسنة ، وفي أعماله الصالحة ، وفي أخلاقه الكريمة .

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في كل ما جاء به ، وفي كل ما تجمل به : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

٤ - المنهج الفكري والعقلي :

إن الدعوة إلى الله تكون بإيقاظ الفطرة ، وتوجيه العاطفة ، للنظر والتدبر والتفكر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، ليمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان ، وتتحلى النفوس بمكارم الأخلاق ، ليحب الناس حامل رسالة الدعوة إلى الله ، ويحبون من أرسله ، ويحبون الدين الذي جاء به ، ومن ثم يدخلون فيه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

وكذلك دعا الإسلام إلى إعمال الفكر والعقل ، ليعرف الإنسان الخالق من المخلوق ، والكبير من الصغير ، والقوي من الضعيف ، والملك من المملوك ، والرازق من المرزوق ، وذلك يثمر توحيد الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعبادته وحده لا شريك له ، والإيمان بالله ورسوله ، وطاعة الله ورسوله ﷺ : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٨] .

والفكر والتدبر والنظر ، والعلم والمعرفة ، كل ذلك وعاؤه العقل.

والحب والبغض ، والخوف والرجاء ، والإيمان والكفر ، وعاؤه القلب .

فالتفكر والتدبر والعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله شجرة مباركة، وثمرتها التوحيد والإيمان ، وتعظيم الله وتكبيره، وحمد الله وشكره، وحب الله ورسوله ودينه ، وعبادة الله بموجب ذلك : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس/ ٣] .

والقرآن العظيم كله يدعو الناس إلى توحيد الله ، والإيمان به ، بالنظر والتدبر والتفكر في الآيات القرآنية ، والآيات الكونية ، وهذا من أحسن مناهج الدعوة إلى الله وأيسرها ، وأجودها ثمرة ، وأسرعها تأثيراً : ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ١٨٥﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

وهذه بعض الآيات التي دعا فيها القرآن الكريم إلى إعمال الفكر والعقل :

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة/ ١٦٤].

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران/ ١٩٠ - ١٩١].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد/ ٢٤].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ٨٢﴾ [النساء/ ٨٢].

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٩﴾ [ص/ ٢٩].

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣٠﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ٢٠﴾ [الروم/ ٢٠].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الروم/ ٢١].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ٢٢﴾ [الروم/ ٢٢].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٤﴾ [الروم/ ٢٤].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٤٦﴾ [الروم/ ٤٦].

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾
[يونس/ ١٠١] .

﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ ﴾ [العنكبوت/ ٢٠] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣ ﴾ [فاطر/ ٣] .

﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ ﴾ [يونس/ ٣١] .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ ﴾ [الرعد/ ٣] .

﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾ [الرعد/ ٤] .

﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١ ﴾ [النمل/ ٥٩ – ٦١] .

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٥ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ ﴾ [النبأ/ ١ – ١٧] .

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ ﴾ [الغاشية/ ١٧ – ٢٠] .

وتكررت في القرآن كثيراً الآيات التي تدل على أهمية التدبر والتفكر، ومنها:

﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[يس/ ٦٨] .

﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنبياء/ ٣٠] .

﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾[السجدة/ ٢٦] .

﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾[السجدة/ ٢٧] .

﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[الأنعام/ ٥٠] .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾[الرعد/ ٤١] .

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾[البقرة/ ٢٤٣] .

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾[الأنعام/ ١١].

وغيرها مما يدعو الإنسان للتدبر والتفكر الذي ينشأ عنه الإيمان بالله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾[سبأ/ ٤٦] .

وقد احتفى الإسلام بالعلم والعلماء :

فقد كانت أول آيات القرآن نزولاً دعوة إلى العلم : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[العلق/ ١ – ٥] .

وربط العلم باسم الرب ، حتى يتجه الناس إلى العلم النافع الذي ذكره الله في القرآن ، والذي ينشأ عنه الإيمان بالله وخشيته وتقواه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر/ ٢٨] .

ورفع الله سبحانه مقام العلماء فقال : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[المجادلة/ ١١] .

وفرَّق بين العالم والجاهل فقال : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾

[الزمر/ ٩] .

وكان تكريم أول الأنبياء والرسل آدم ﷺ بالعلم : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[البقرة/ ٣١] .

وبعد تشريفه بالعلم أمر الله الملائكة بالسجود له : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة/ ٣٤] .

وكان تكريم آخر الأنبياء والرسل محمد ﷺ بالعلم : ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء/ ١١٣] .

والعلم النافع هو الذي يزكي القلوب بالإيمان ، ويطهرها من الشرك ، وهو العلم الإلهي الذي يزيد الإنسان معرفة بربه ، ومعرفة بنفسه ، ومعرفه بدينه ، ومعرفه بالكون من حوله، وهذا العلم بحر واسع لا ساحل له: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء/ ٨٥] .

وهذا العلم هو الذي عَلَّم الله رسوله ﷺ أن يدعو به، ويطلب المزيد منه بقوله : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه/ ١١٤] .

فسبحان العليم الخبير الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

والعلم الإلهي وليد القراءة والتحصيل والتدبر ، وهو نعمة من أعظم نعم الله على عباده : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق/ ١ – ٥] .

والفضل فيه لله وحده لا شريك له كما قال الله سبحانه عن يعقوب ﷺ : ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف/ ٦٨] .

وإذا اجتمعت قوة الفكر مع العلم بلغ الإنسان مرتبة كريمة ، ونال درجة كبيرة ، وتبوأ منزلة رفيعة؛ لأن الفكر إعمال للعقل في مجاله ، فإذا تسلح معه بالعلم النافع ، بلغ شأواً كبيراً ، كما أظهر الله على يد الذي عنده علم من الكتاب الإتيان بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام في لمحة بصر : ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل/ ٤٠].

وكما أظهر الله على يد العبد الصالح الذي صحبه موسى ﷺ ليتعلم منه ، بعض الآيات : ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف/ ٦٤ – ٦٥] .

فاللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وإيماناً وتقوى .

وكل ما عدا ذلك العلم الإلهي فهو علم غير نافع ، وهو كل علم يلهي أو يصرف عن الله واليوم الآخر : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم/ ٦ –٧] .

وما سوى العلم الإلهي كله لغو يمر به الإنسان مرور الكرام ، إلا ما فيه مصالح معاشه كما وصف الله المؤمنين بذلك : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان/ ٧٢] .

وما سوى العلم الإلهي فهو جهل، لأنه يربط المخلوق بالمخلوق فقط، أما العلم الإلهي فيربط المخلوق بالخالق، فيثمر توحيد الرب وتعظيمه ومحبته وعبادته : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القصص/ ٥٥] .

وشتان بين السماء والأرض ، وبين الليل والنهار ، وبين العلم والجهل : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد/ ١٩] .

والعلم التجريبي كل يوم يشهد لله بالوحدانية ، والعظمة ، والقدرة، وهو جزء من العلم الإلهي : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٥٣] .

والعلم التجريبي لا يصلح وحده للدعوة إلى الله ، بل لابد أن يكمله المنهج الفطري ، والتوجيه العاطفي ، والإحسان إلى الناس، ليكون نوراً على نور ، يصل الناس من خلاله إلى الإيمان الحق : ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور/ ٣٥] .

والذين عرفوا الإسلام عن طريق العلم وحده ، شهدوا للإسلام بأنه حق ، لكنهم لم يسلموا ، أو أسلموا وبقوا على السلم دون أن يصعدوا إلى مدارج الإيمان ، ومراتب الأعمال : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٤] .

وقد يكون في المنهج العلمي من الدلائل والشواهد ما يجذب العقل ويملؤه ، لكن القلب يظل فارغاً حتى يجد ما يملؤه بالتوحيد والإيمان والتقوى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢ – ٤] .

وهذه المناهج القرآنية هي أحسن سبل الدعوة إلى الله ، وأعظمها أثراً ، وأكثرها نفعاً ، وأيسرها حملاً ، وأحسنها قبولاً ، وكل ما سواها حجاب دونها : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٤٥] .

والناقل مؤتمن : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٩] .

والقرآن بلاغ لكل الناس، وحق يجب أداؤه لكل الناس : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

ومناهج الدعوة في القرآن كثيرة ، والداعية إلى الله ليس ملزماً بمنهج واحد ، ولا بأسلوب واحد ، وإنما له أن يتنقل بين تلك المناهج ، ليكون التأثير أقوى وأحكم.

فقد يبدأ عند الدعوة إلى الله مع أحد الناس بمنهاج فطري ، ثم ينتقل به إلى منهج عقلي ، ثم يرده إلى منهج خلقي يراه من خلال سلوكه ومعاملاته، وقد يجمع بين منهجين في آن واحد .

ومن ناحية الأساليب يتنقل من الدعوة بالحكمة إلى الموعظة الحسنة ، إلى المجادلة بالتي هي أحسن ، وتقديم القدوة الحسنة التي قد تكون أبلغ من الحديث .

وهذا هو البلاغ المبين من جهة المنهج ، والأسلوب ، والوسيلة : ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النحل/ ٣٥] .

والدعوة للداعي تركيزا، ولغيره تذكيرا : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الغاشية/ ٢١].

ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

٢-أساليب الدعوة إلى الله

الأسلوب: هو الطريقة الحكيمة التي يصل بها الداعي إلى مقصوده من غيره.

وأساليب الدعوة تختلف من شخص إلى شخص ، لاختلاف القدرات والطاقات والبيئات ، وقد يصلح هذا الأسلوب للذكي الوجيه ، ولا يصلح لضده .

والدعوة إلى الله هي أخذ المخلوق من المخلوق، وتوجيهه إلى الخالق ليؤمن به ويكبره ويشكره، ويحبه ويعبده وحده لا شريك له.

وأساليب الدعوة كثيرة ، وهي تختلف بحسب الداعي ، وبحسب المدعو ، ولهذا تنوعت أساليبها : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥] .

وهذه أهم أساليب الدعوة :

الحكمة .. الموعظة الحسنة .. المجادلة بالتي هي أحسن .. حسن القدوة .. القوة

١ - الدعوة بالحكمة :

الحكمة : هي الإصابة في القول والعمل ، والإتقان في القول والعمل ، ووضع الشيء في موضعه.

والحكمة المقصودة هنا هي الأسلوب المؤثر الذي ينبغي للداعي أن يسلكه مع من يدعو ، لكي يؤمن بالله ، ويعبد الله وحده لا شريك له .

والحكمة عطاء من الرب ، وجهد من العبد : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٩] .

والحكمة لها ثلاث صور :

حكمة في السلوك .. وحكمة في المواقف .. وحكمة في الأقوال .

١ - الحكمة في السلوك :

السلوك الحسن يؤثر في القلوب ، ويدفعها للإيمان بالله الذي أمر به.

وأحسن السلوك امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، في الأقوال والأعمال والأخلاق .

وأحسن السلوك مجموع في حياة الرسول ﷺ ، الذي أمرنا الله بالقتداء به في كل شيء إلا ما خصه الله به : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

وجميع الصفات التي وصف الله بها المؤمنين ، ودعاهم للاتصاف بها في كل زمان ومكان ، هي من أحسن السلوك الذي يتجمل به العبد بين يدي ربه ، ويتجمل به بين يدي خلقه ، وينال على هذا وذاك الأجر العظيم من ربه : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

وقد ذكر الله في القرآن الكريم أحسن أنواع السلوك ، لنتحسن به ، ونحسن به غيرنا ، فعلاً للحسن والأحسن ، وتركاً للسيء والأسوأ ، ومن ذلك آيات في سورة الإسراء ، وآيات في سورة لقمان .

ففي سورة الإسراء ذكر الله سبحانه اثنتي عشرة وصية ، فيها اثنتا عشرة حكمة ، سبع جاءت على سبيل النهي ، وخمس جاءت على سبيل الأمر .

فتدبرها ، وتجمل بها ، وتعبَّد لله بها ، تنتقل إلى غيرك إذا رآها فيك :

قال الله تعالى في سورة الإسراء : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن

﴿تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء/ ٢٣-٣٩].

وفي سورة لقمان ذكر الله ﷻ ثمان وصايا ، خمس جاءت على سبيل الأمر ، وثلاث جاءت على سبيل النهي .

فتجمل بها يحبك الله ورسوله ، وتكون داعية إلى الله بسلوكك .

قال الله تعالى في سورة لقمان : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان/ ١٢-١٩].

والخُلق العظيم ، والسلوك الحسن ، من أحسن أبواب الدعوة إلى الله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤].

٢- الحكمة في المواقف :

الدعوة بالموقف كالدعوة بالسلوك ، فالمواقف الحسنة تدفع المدعو إلى التوقف ، وتقدير من يهتم به، وتجره إلى شكر الإحسان ، وقبول الإستماع ، وربما تكون نقطة تحول في حياته ، لمن أراد الله له الهداية : ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة/ ١٩٥].

ولهذا كان للأنبياء والرسل مواقف من أحسن المواقف ، ولأتباعهم كذلك مواقف ، وكلها حلم ورفق ولين وتلطف بالمدعو ، وإحسان إليه ، وإكرام له ، وكلها من أحسن أساليب الدعوة التي تؤثر في الناس .

ومن تلك المواقف الحسنة للأنبياء والرسل :

١ - مواقف إبراهيم ﷺ :

١ - موقف إبراهيم ﷺ مع أبيه ، الذي يكشف عن قوة رحمته ، فيحاول تليين قلب أبيه الكافر بكل أسلوب مؤثر : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم/ ٤١ - ٤٨] .

٢ - وموقف إبراهيم ﷺ من الكواكب زاده إيماناً ويقيناً بربه ، وعدم الالتفات إلى غيره : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

[الأنعام/ ٧٥ - ٧٩] .

٣ - وموقفه ﷺ مع الكفار والأصنام ، الذي أبطل به كفرهم ، وقطع حجتهم ، وأنجاه الله من كيدهم : ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء/ ٥٨ - ٧١] .

٤- وموقفه ﷺ من الملك النمرود الذي حاج إبراهيم، فقهره إبراهيم ﷺ بقوة الحجة : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) ﴾ [البقرة/ ٢٥٨].

٢- مواقف الرسول ﷺ :

١- مواقف الصبر في مكة، فقد احتمل ﷺ، وهو الشريف في قومه، من كفار مكة، كل أنواع السب والشتم والسخرية والأذى القلبي والجسدي، لكمال رحمته، ولأنه يعلم ما لا يعلمون : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) ﴾ [القلم/ ٤].

وتحمل مع هذا كله أنواع الأذى والسب لأصحابه، فأذى الجنود وآلامهم مؤذ لقائدهم ومؤلم له : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾ [النحل ١٢٧- ١٢٨].

٢- مواقفه ﷺ في الجهاد، فقد كان أسرع الناس إلى العدو، وأقربهم إلى صفوف العدو، وكان يستغيث بربه، يستنزل نصره، لكمال يقينه، وثقته بنصره، وكان أشجع الناس، وتمنى لو خرج في كل غزوة وسرية : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

٣- مواقفه ﷺ في الأخلاق مع كل الناس.

مواقف السماحة والعفو .. مواقف الرحمة والإحسان .. مواقف العطاء والإكرام .. : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

ومواقف الخلفاء الراشدين، ومواقف الصحابة أجمعين، كلها ترجمة لمواقفه الجميلة ﷺ، وكلها من أعظم أبواب الدعوة إلى الله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ

﴿ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾
[الفتح/ ٢٩] .

ومواقف علماء السلف ودعاتهم إلى يومنا هذا ، كلها حكمة، وكلها دعوة : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة/ ٤] .

٣ – الحكمة في الأقوال :

أقوال الأنبياء والرسل كلها حكمة ، وأقوال الرسول ﷺ ومواعظه ونصحه وتذكيره ، كلها حكمة ، وكلها دعوة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢] .

والقلوب التي قد لا يؤثر فيها السلوك الحسن ، قد تؤثر فيها المواعظ ، بالترغيب في الطاعات ، وبيان حسن ثوابها ، والترهيب من المعاصي ، وبيان سوء عاقبتها .

قال الله تعالى في الترغيب في الإيمان والطاعات : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾
[السجدة/ ١٥ – ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٢] .

وقال الله تعالى في الترهيب من الكفر والمعاصي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾
[النساء/ ٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٩١] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦١-١٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النبأ/ ٢١-٢٨] .

وهناك خطاب للقلوب العاقلةيهديها إلى الحق : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٨٤ – ٩٠] .

﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

[الطور/ ٣٥-٣٦] .

وهناك خطاب للقلوب القاسية ، يهزها ، ويذيب قسوتها ، بالترغيب تارة ، وبالترهيب تارة : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾

[النساء/ ١٣ – ١٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

[السجدة/ ١٨-٢٠] .

٢ – الدعوة بالموعظة الحسنة:

الوعظ هو النصح والتذكير بالعواقب ، لتلين القلوب القاسية التي لم تنفع معها الحكمة .

والموعظة الحسنة أسلوب من أساليب الدعوة، وأكثر ما تكون الموعظة غالباً في التحذير والتخويف .

فنوح ﷺ حذر قومه من الكفر : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [هود/ ٢٥ – ٢٦] .

وهود ﷺ قال لقومه : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [هود/ ٥٠] .

وصالح ﷺ قال لقومه : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود/ ٦١] .

وشعيب ﷺ قال لقوم : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ [هود/ ٨٤] .

وكل القرآن مواعظ لهذه الأمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٢ – ١٠٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٥٤] .

﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨١] .

٣ – الدعوة بالمجادلة بالتي هي أحسن :

الجدل: هو اللدد والخصومة في الأمور.

والجدال في القرآن يعني المحاورة لقصد إظهار الحق كما قال سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[النحل/ ١٢٥] .

والمجادلة بالتي هي أحسن ، مقيدة بالغاية ، بأن يكون إظهار الحق غايته ، ومقيدة بالوسيلة ، بأن تكون الحسنى وسيلته .
والجدال قسمان : محمود .. ومذموم .
والفرق بينهما بحسب الغاية والوسيلة .
فإن كانت الغاية حقاً فالجدال محمود ، وإلا فهو مذموم .
وإن كانت الوسيلة حسنة كان الجدال محموداً ، وإلا كان مذموماً .
وكما تكون الدعوة إلى الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، تكون كذلك بالمجادلة بالتي هي أحسن .
ومجادلة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم ، ومجادلة الرسول ﷺ ، ومجادلة الصحابة رضي الله عنهم ، ومجادلة التابعين لهم بإحسان ، كلها من الجدل المحمود الذي غايته إظهار الحق ، وترغيب الناس فيه ، وإبطال حجة الخصم .
ومن آيات الجدل المحمود :
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل/ ١٢٥] .
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت/ ٤٦] .
﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة/ ١] .
ومن آيات الجدل المذموم :
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾ [الحج/ ٣] .
﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ ﴾ [غافر/ ٤] .
﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾ [غافر/ ٥] .
وهذه نماذج من الجدل في القرآن ، ويظهر فيها دفع الحق للباطل ، بقوة الدليل ، وإفحام الخصم .
قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ

بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٧٧ – ٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف/ ٥٧ – ٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان/ ٢٠ – ٢٢].

٤ – الدعوة بالقدوة والقوة:

القدوة الحسنة أحسن وسيلة لنشر الدعوة إلى الله وأيسرها، وأكثرها أجراً وثواباً وتأثيراً.

أحسن قدوة للبشرية هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وإمامهم في الفضائل والمحاسن سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خلقاً وخلقاً، وكان خلقه القرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤].

وكانت حياته ﷺ مجموعة من الأخلاق والقيم في كل اتجاه:

في حياته الرسالية داعياً ومعلماً .. وفي حياته العامة إماماً وقائداً .. وفي حياته الخاصة زوجاً وأباً .. وفي حياته الاجتماعية غنىً وفقراً .. وفي جميع جوانب حياته يأمرنا الله ﷻ باتباعه، واتخاذه قدوة وأسوة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

والقدوة الحسنة في مجال الدعوة إلى الله لازمة، وهي أنجح سبل الدعوة، والرسول ﷺ هو القدوة الأولى والأسمى، ثم من بعده الأنبياء والرسل، ثم من بعدهم الصحابة رضي الله عنهم،

ومن بعدهم التابعون لهم بإحسان ، ومن بعدهم الدعاة والعلماء الربانيون في كل زمان ومكان : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٧] .

وقد أمر الله ﷻ الرسول ﷺ أن يقتدي بالأنبياء، وأمرنا أن نقتدي به ﷺ فقال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٠] .

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر/ ٧] .

وفي حياة الشعوب على مختلف العصور ، قدوات سيئة ، من طبقات الحكام والوزراء ، والمشاهير والمفسدين ، الذين تُطلق عليهم الألقاب ، وتُسلط عليهم الأضواء الكاذبة ، فتضل الشعوب وراء هذه القدوات السيئة : ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ٢٥] .

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٨] .

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص/ ٤] .

والقوة أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ، تبدأ بقوة الإيمان ثم بقوة الصف ، وتنتهي بقوة الساعد : ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [البقرة/ ٦٣] .

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج/ ٧٨] .

فقوة الإيمان زاد عظيم في طريق الدعوة القائم على المجاهدة : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان/ ٥٢] .

وقوة الصف قوة في طريق الدعوة ، تشد أزر المؤمنين ، وهي قوة مؤثرة أمام الغير : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة/ ٧١] .

وقوة الساعد حماية للدعوة ، والقوة البدنية غير الغلظة والشدة ، وإنما هي ضد الضعف ، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير .

عَنْ أبي هريرة ﷺ قَالَ: قال رسول الله ﷺ :« المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » أخرجه مسلم(1) .

ورسول الله ﷺ سيد الدعاة والمجاهدين كان قوي الإيمان ، قوي الخلق ، قوي الساعد : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح/ ٢٩] .

فقوة إيمانه ﷺ أثرت فيمن حوله ، وقوة خلقه أسرت قلوب من تعامل معه ، وقوة بدنه هزم بها من صارعه في الإسلام .

وقوة إنفاقه ﷺ على المؤلفة قلوبهم كانت سبباً لثباتهم على الإسلام ، فصاروا لبنات قوية ، تدافع عن الإسلام بعد أن كانت تقاتله ، وتنفق عليه بعد أن كانت تأكل منه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

٣- أهداف مرحلة النشر والتبليغ

الذي يضع نصب عينيه هدفاً يسير إليه يصل إليه، والذي يسير على غير هدى فلن يهتدي إلى ما يريد أبداً .

ورسول الله ﷺ أكمل الدعاة إلى الله ، وضع أمام عينيه أهدافاً ثلاثة ، ولما تحققت وُلدت في الأرض خير أمة أخرجت للناس في العبادة ، في الدعوة ، في التعليم ، في الأخلاق : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

وهذه الأهداف الثلاثة هي :

١ – نشر الدعوة أفقياً ورأسياً في أنحاء الأرض بقدر الاستطاعة .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٦٧] .

فالذي يقصد بلداً لابد أن يمر بالبلاد التي دونه ، وكذا الداعي الذي يريد التمكين في الأرض ، لابد أن ينشر الدعوة إلى الله أولاً ، ليؤمن بها الناس ، ثم ليكونوا جنود التمكين لها .

وبلوغ التمكين بغير مرحلة الدعوة هو منهج الانقلابات العسكرية ، فهي وإن تمكنت سريعاً ، فإنها مهددة بالزوال في أي وقت ، فتذهب سريعاً كما جاءت؛ لأنه لا أساس لها ، فهي على شفا جرف هار سوف ينهار : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٩] .

والدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والمرسلين ، وسبيل التابعين ، وهدف المسلمين أجمعين .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل/ ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

والدعوة إلى الله وسيلة لغاية ، وهي عبادة الله ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٢٥] .

٢- تحقيق البلاغ لكل الناس ، لتقوم الحجة على العباد :

من رحمة الله ﷻ، إرسال الرسل إلى الناس ، ليعبدوا الله وحده لا شريك له : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ١٦٥] .

فلا حرج على من لم تبلغه الدعوة : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء/ ١٥] .

والهداية بعد الدعوة بيد الله وحده : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النور/ ٥٤] .

﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الانعام/ ١١١] .

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير/ ٢٨-٢٩] .

والله أعلم حيث يجعل رسالته ةهدايته، وشدة الحرص لا تفيد؛ لأن الهداية بيد الهادي وحده لا شريك له : ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النحل/ ٣٧] .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص/ ٥٦]

ومن قبل الحق نال أجره، ومن أعرض عنه بعد البلاغ فعليه وزره : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [الشورى/ ٤٨] .

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٢-٢٤] .

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٩] .

والبلاغ للدين يجب أن يكون من جميع المسلمين إلى جميع الكفار والمشركين ، والبلاغ المبين لابد أن يكون بطريقة حسنة لا بطريقة منفرة ، ليكون سبباً للهدى لمن يسره الله له : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥] .

٣- اختيار الأئمة والقادة :

اختيار الأئمة والقادة بعد الدعوة والبلاغ يحتاج إلى علم وخبرة وفراسة ، هذا يصلح ، ولأي شيء يصلح .

وقد أراد عمر رضي الله عنه يوماً أن يولي أحداً على إحدى الولايات ، فتساءل من يصلح؟ فذُكِر أمامه أحد الناس وزكي ، فسأل عمر من أشار به: لعلك رأيته يصلي ويهمهم ؟ قال : نعم ، فسأله ثلاثاً .

هل سافرت معه ؟ هل جاورته ؟ هل عاملته بالدرهم والدينار ؟

فقال : لا ، فقال عمر رضي الله عنه : إذن فأنت لا تعرفه .

تلك هي الخبرة والفراسة ، قبل أن يكون العلم والدراسة .

فلا يؤم الناس إلا أمين يحافظ على الفرائض ، ويتخلق بأخلاق الإسلام ، ويؤثر مصالح الأمة على رغبات نفسه : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص/ ٢٦] .

٢ – مرحلة البناء والتكوين

البناء أصعب من الهدم ، وبناء البشر أشد من بناء الحجر ، ولهذا بعث الله الأنبياء والرسل لتربية البشر ، ولم يرسل أحداً لإصلاح الحجر : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٢٥] .

والناس متفاوتون في عقولهم وعواطفهم ، مختلفون في ذكائهم وفطنتهم ، متباينون في علومهم وقدراتهم ، وفي توحيدهم وإيمانهم وأعمالهم .

ومن هنا كانت هذه المرحلة أشد على الدعاة من الأولى؛ لأنهم في الأولى يبحثون عن الأرض الخصبة ، وفي هذه المرحلة يتخيرون اللبنات ومنارات الهدى ، ثم يجربونها في الميدان ، ثم يقومون ببناء هيكل الجماعة الذي يفضي إلى بناء الأمة ، على أحسن طراز عرفته الأرض : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢] .

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة/ ١١٢] .

لهذا لابد لبناء هذا الكيان العظيم على أصول شرعية ، من معرفة سمات البناء والتكوين ، ثم معرفة أسس البناء والتكوين : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

١ - سمات البناء والتكوين

القرآن العظيم كتاب الدعوة ، وكتاب الهداية ، وكتاب الأحكام ،وكتاب الأجر والثواب .
بيَّن الله فيه أصول الدعوة ، وثواب الدعاة، وصفات الداعي ، وما يواجه به المدعو .
وسمات البناء والتكوين في القرآن كثيرة ، ويجمعها خمس سمات وهي :
الرحمة .. والإحسان .. والصبر .. والدأب .. والإعراض
١ - فالرحمة كما قال سبحانه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] .
وقال ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .
٢ - والإحسان كما قال سبحانه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤] .
وقال سبحانه : ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة/ ١٩٥] .
٣ - والصبر كما قال سبحانه : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٨] .
وقال ﷻ : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم/ ٦٠] .
والصبر أنواع ، والصبر هنا موجه للمسؤل مع مَن يكوِّنهم ويربيهم من المؤمنين ، وهذا الصبر نوعان :
صبر على ما يحبه الله ويرضاه من أنواع الطاعات والقربات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٠٠] .
وصبر عن ما يغضب الله من المحرمات والإسراف في الشهوات :
فالله سبحانه قد ابتلى عباده بثلاث :
بالشهوات البشرية .. والأوامر الإلهية .. وبالمصائب القدرية .

فمن لم يعلو بالإيمان والطاعات، سقط في المعاصي والشهوات: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم/ ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥- ١٥٧].

وقال سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٤].

أما الصبر الثالث فهو الصبر مع الذين يدعون ربهم على مشاق الدعوة، وصبر على تفلت البعض، وصبر على قوة الشدائد التي لا يلوح معها النصر: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٤].

وصبر على الاستعجال: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحقاف/ ٣٥].

وعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه قَالَ: شَكَوْنَا إلى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَقُلْنا: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنا؟ أَلا تَدْعُو لَنا؟ فَقالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَالله لَيتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا الله، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» أخرجه البخاري(1).

وصبر على المكاره والشدائد، وهذه المكاره تساعد على تكوين الداعي، وهي تحتاج إلى صبر ممن يتعرض لها بنفسه، وتحتاج إلى صبر الداعي مع من يدعو، فيتعرض هو للعذاب، ويتعذب إذا رأى من يدعوه يعذب من قبل أعدائه، كما يتعذب الأب والأم

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٤٣).

لولدهم المريض أكثر من عذابه هو: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى/٤٣].

ولهذا يحتاج الأمر إلى صبر الداعي، والمدعو الذي استجاب، كما كان ﷺ يمر بآل ياسر وهم يعذبون فيقول: « أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةُ » أخرجه الحاكم [1].

وكان ﷺ يرى بلالاً يُعذب، فيتألم لعذابه، فيصبر، ويصبِّر بلالاً.

وضُرب أبو بكر الصديق رضي الله عنه في مكة، ووطأه الكفار بأرجلهم، وضربوه بالنعل في وجهه، حتى لا يُعرف أنفه من وجهه، والرسول ﷺ يراه، ويتألم لعذابه، ويصبر على ما سمع ورأى، ويصبِّر الصديق رضي الله عنه: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر/١-٣].

وجهر ابن مسعود رضي الله عنه بسورة الرحمن في المسجد الحرام وقت الضحى عند المقام، فضربه المشركون في وجهه، والرسول ﷺ يراه فيصبر، ويصبره رضي الله عنه.

وفوق هذا أبو جهل يحاول منع الرسول ﷺ من الصلاة عند الكعبة فيصبر، وفيه نزل: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾ [العلق/ ٩-١٩].

وأبو لهب يتعقب رسول الله ﷺ وهو يدعو، فيكذبه أمام الناس، وتسبه زوجته بلسانها السليط، فيصبر على كل ذلك، رحمة وشفقة على الناس من النار، وفي ذلك نزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ ﴾ [المسد/ ١-٥].

وأمية بن خلف يلمز رسول الله ﷺ كلما رآه، فيصبر على ما سمع ورأى، وفيه أنزل الله: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾ ﴾ [الهمزة/ ١-٩].

ومع هذا كله المشركون كذبوه ﷺ وهو الصادق، وخونوه وهو الأمين، واتهموه بأنه ساحر، ومجنون، وكاهن، وشاعر، فصبر، فكذبهم الله وأنزل: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ

---

(١) **صحيح** / أخرجه الحاكم برقم (٥٦٤٥).

﴿ ٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٣ ﴾ [الحاقة/ ٣٨ – ٤٣] .

ويوضع الشوك في طريقه ﷺ فيصبر ، وتضرب قدميه في الطائف بالحجارة فيصبر ، ويوضع سلى الجزور على رأسه وهو ساجد يصلي لله بالمسجد الحرام فيصبر ، والله قادر على نصره ، ولكن الله يربي رسوله ﷺ ، لأنه أسوة لغيره.

فصبر ﷺ على تلك المكاره والشدائد ، رحمة بالمعارضين له ، لأنهم لا يعلمون ، ويصبر ليعلم المؤمنين به الصبر عملياً ، ويصبر لأنه على يقين من نصر الله له ، والله يأمره بالصبر ، ويعده بالنصر والفرج فيقول له : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾ [الروم/ ٦٠] .

ويقول له : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ٨٥ ﴾ [الحجر/ ٨٥] .

ويقول له : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٠ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣ ﴾ [المزمل ١٠ – ١١] .

ويقول له ولأتباعه ﷺ : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ١٤ ﴾ [الجاثية/ ١٤] .

ويقول : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ٢٠ ﴾ [الفرقان/ ٢٠] .

ويقول : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩ – ٢٠٠] .

ثم يتوج ذلك لا بالصبر فقط ، بل بدفع السيئة بالحسنة ، وكسب قلوب الناس ، فيقول : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥ ﴾ [فصلت/ ٣٣ – ٣٥] .

ثم يطمئنه بأن له أسوة بالأنبياء قبله فيقول له : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾ [الأحقاف/ ٣٥] .

إن الله ﷻ يربي نبيه ﷺ على أعلى مكارم الأخلاق ، لأن الله سبحانه سيربي به خير أمة أخرجت للناس ، ويربي بسيرته الدعاة والعلماء ، والقادة والأمراء : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٨] .

ويقف ﷺ وحده أمام الباطل الواسع الشرس ، والله سبحانه يربيه ويثبته ويطمئنه ويعده بالنصر فيقول له : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٧ – ٩٩] .

ويقول له : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ٣٥] .

ويقول له : ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٦ – ٧٧] .

ويقول له : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ٣٤] .

وأمر الله بالصبر في أكثر من ثمانين آية في القرآن ، وكلها في مجال الصبر على الدعوة إلى الله ، لأنها حمل ثقيل، وأمانة عظيمة، لا يقوم بها إلا خلفاء الرسل.

ونزلت السور المكية كسورة يوسف والأنبياء والشعراء وغيرها بياناً لأصول الدعوة إلى الله ، والأمر بالصبر على ذلك .

٤ – الدأب والاستمرار في الرعاية :

إن حرص الداعي على أتباعه ، وحرص القائد على جنوده ، لا يقل عن حرص الأب على أبنائه ، فالأبناء امتداد شخصي للأب ، والأتباع والجنود امتداد دعوي للداعي ، وامتداد عسكري للقائد ، والأخيرة مقدمة على الأولى ، لما فيها من إصلاح الأمة جمعاء ، وتكوين الأسرة الكبرى ، والقبيلة العظمى ، وهي قبيلة المسلمين والمؤمنين والمتقين : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

وتكوين هذه الأمة ، ودعوتها إلى التوحيد والإيمان ومكارم الأخلاق ، يحتاج إلى الدعوة المستمرة ، والمتابعة الدائمة : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف/ ٢٨] .

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

وذلك يستلزم الدأب والرعاية والعناية بالأئمة من هذه الأمة ، ليكونوا أئمة الحق والهدى إلى يوم القيامة ، وذلك يستلزم دوام العناية بهم روحياً ، لتمتلئ قلوبهم بالتوحيد والإيمان والتقوى ومحاسن الأخلاق .

ويستلزم العناية بهم عقلياً بتعليمهم أحكام الله في القرآن والسنة ، ليعملوا بها ، ويعلموها الناس : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

ويستلزم العناية بأبدانهم وحوائجهم ، لتقوى أبدانهم على مواصلة الدعوة والتعليم والجهاد ، ويتفرغوا لمهمات الدين : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون/ ٥١] .

وأصدق وأكمل وأحسن من ظهرت فيه هذه العناية بأمته رسول الله ﷺ ، لأن ربه علمه أن المؤمنين كالجسد الواحد ، وأنه ﷺ جزء من هذا الجسد الكبير ، يتأثر لما يحصل لهذا الجسد ، ويحب له ما يحب لنفسه ، ويحرص عليه حرصه على نفسه : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨] .

فهو ﷺ حريص على سلامة أمته .. حريص على راحتهم .. حريص على سعادتهم .. حريص على دعوتهم .. حريص على دينهم .. حريص على دخولهم الجنة : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢] .

فكل رحمة في البشرية كلها لا تساوي مثقال ذرة من رحمة رسول الله ﷺ للخلق : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩] .

فليجتنب الداعي إلى الله العبوس في وجوه الناس ، والشدة في الكلام معهم ، والغلظة في معاملتهم ، بحجة إظهار الهيبة للداعي أمام الناس ، وإظهار جلال العلم ، وجرهم إلى محبته وإجلاله .

إنه بالرأفة والرحمة والإحسان وتوقير الناس ، يطيع الإنسان الداعي أو القائد من قلبه ، بدلاً من أن يطيعه من الكلمة الخشنة ، أو المعاملة القاسية : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥] .

إن هذا تنفير لا تبشير ، من غلاظ الأكباد ، وقساة التصرف ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح/ ٢٩] .

٥- الإعراض عن الجاهلين :

وقت الداعي إلى الله يجب أن يشغله فيما يفيد ، ولا يضيعه فيما لا يفيد ولو كان لا يضر : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩] .

ووقت المسلم كله إناء لعبادة الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣] .

ومن صفات الدعاة إلى الله : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٣- ٦٤] .

وإضاعة الأوقات فيما لا يفيد من قول أو فعل لغو ، وقد أثنى الله ﷻ على المؤمنين بقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١ -٣] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القصص/ ٥٥] .

والوقت هو العمر ، فمن شغله بما يحبه الله ويرضاه أفلح : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج/ ٧٧] .

ومن أضاع أوقاته فيما لا يفيده ، فقد ضيع عمره فيما لا يفيده : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٣ – ١٠٤] .

وقد أعرض رسول الله ﷺ عن كل محاولات الاستفزاز له ولأصحابه .

فدعا ﷺ المشركين والمنافقين ، واليهود والنصارى ، إلى الإسلام ، ولم ينشغل بما قالوه من الاستهزاء والسخرية والكذب والأذى رغم تكراره ومرارته .

كان ﷺ في بداية الدعوة يطوف بالكعبة ، فعرض عليه الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأمية بن خلف ، وغيرهم من سادة قريش ، وقالوا : هلم يا محمد فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنكون في الأمر سواء ، فأعرض عنهم ، فنزلت : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون/ ١-٦] .

وحين جاء عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث علمت من السطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ، وكفَّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أموراً ، وأنظر فيها ، لعلك تقبل منها ما تشاء .

فقال رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد .

فقال عتبة : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالاً .

وإن كنت إنما تريد به شرفاً سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك .

وإن كنت تريد به ملكاً ملَّكْناك علينا .

وإن كان هذا الذي يأتيك تابعاً من الجن لا تستطيع رده طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا ، حتى نبرئك منه .

فقال رسول الله ﷺ : أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال ﷺ فاسمع مني، ثم قال : ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [فصلت/ ١-٤] .

وظل ﷺ يقرأ حتى بلغ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت/ ١٣] .

فأمسك عتبة على فيه، وناشده بالرحم، ورجع إلى أهله، ولم يخرج إلى قريش، واحتبس عنهم.

والتوجيه الرباني الصبر مع المؤمنين ، والإعراض عن الكافرين .

جاء ابن أم مكتوم الأعمى إلى رسول الله ﷺ ليسأله ، ورسول الله ﷺ مشغول بصناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام ، فأعرض عنه ، واشتغل بدعوة أولئك الأشراف ، فنزل الوحي معاتباً لرسول الله ﷺ : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [عبس/ ١ – ١٠] .

وقال بعض المؤلفة قلوبهم: يا رسول الله ، لو جلست في صدر المجلس ، ونحيت عنا هؤلاء الفقراء ، يعنون سلمان وأبا ذر وبلال وغيرهم ، لجلسنا إليك ، وسمعنا منك ، فنزلت : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٨] .

فهذه أهم سمات البناء والتكوين التي اتصف بها النبي ﷺ ، وربى عليها أصحابه رضي الله عنهم .

٢- أسس البناء والتكوين

الأسس التي أقام عليها رسول الله ﷺ البناء أول مرة في مكة ، وهي لازمة في مجال التربية في كل مرة ، ليكون البناء سليماً بقواعده وأعمدته وسقفه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٢-١٠٤] .

والأسس التي أقام عليها رسول ﷺ بناء الإسلام ثلاثه :

تلاوة القرآن .. وتزكية القلوب .. وتعليم الكتاب والحكمة ، كما قال سبحانه : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢] .

١ - تلاوة القرآن :

البناء والتكوين أولاً على القرآن تلاوة وتدبراً ، وعلماً وعملاً : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص/ ٢٩] .

ومهمة الرسول ﷺ أن يتلو القرآن على أصحابه رضي الله عنهم .

وفي القرآن : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر/ ٢٩] .

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق/ ١ – ٥] .

﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل/ ٢٠] .

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل/ ٤] .

فالقراءة معروفة ، والترتيل قراءة حسنة مع التجويد ، وتلاوة القرآن حق تلاوته ، تدبره، وفهمه، والعمل به حق العمل .

فتلاوة القرآن حق تلاوته لها مراحل :

قراءة مع الترتيل ، ثم تدبر لما يقرأ ، ثم فهم لما يقرأ ، ثم عمل بما يقرأ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد/ ٢٤] .

وقد أنزل الله القرآن تبياناً لكل شيء ، وهدى من الضلالة ، ورحمة من العذاب : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل/ ٨٩] .

وقرن العلم بالعمل به هو سبيل الصلاح والإصلاح للفرد والأمة : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٠] .

والعلم النافع هو كل ما جاء في القرآن والسنة ، وكان طلبه والعمل به مقروناً بالإخلاص وخشية الله : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة/ ٥] .

وتدبر القرآن مفتاح العلم ، وسبيل الخشية : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٨] .

فهذه كيفية تلاوة القرآن ، وما سوى ذلك فالإنسان محاسب عليه ، ومجزي به بأشد العذاب : ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الجن/ ١٧] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يومَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ.. - وفيه -: وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعرفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرأتَ القُرآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلى وَجْهِهِ حَتَّى القِيَ في النَّارِ » أخرجه مسلم(١).

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا» أخرجه مسلم(٢).

٢- التزكية :

وصف الله رسوله ﷺ بأنه يتلو القرآن على أتباعه ويزكيهم : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

وتزكية القلوب بالتوحيد والإيمان والتقوى ، وتزكية الروح بالأخلاق والفضائل ، وتزكية الجوارح بالأعمال الصالحة ، هو المقصود من بعثة الرسل إلى الناس : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾ [النحل/ ٣٦] .

وبناء النفوس علمياً وعملياً لا بد يكون أبداً إلا بالتزكية : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) ﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

والتزكية من أعظم مناهج بناء الأفراد والجماعات ، وهي تقوم على أصلين : التخلية أم التحلية ، فهي تطهير للنفوس من الشرور والرذائل ، ثم بث الخيرات والفضائل : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) ﴾ [البقرة/ ٢٥٦] .

فإثبات التوحيد لله ، لا بد أن يسبقه نفي الشرك عنه كما في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فلا إله : نفي للشرك ، وهي التخلية ، وإلا الله : إثبات الألوهية لله وحده ، وهي التحلية : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) ﴾ [البقرة/ ١٦٣] .

والتخلية لها نصيب كبير من اسم التزكية ، ولهذا قدمها الله على التحلية ، لأنها تحتاج إلى جهود كبيرة ، ذلك لأن الناس زُين لهم حب الشهوات ، والشيطان يجري من إبن آدم مجرى الدم ، ليعلم الله من يقدم أوامر ربه ، على شهوات نفسه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ [آل عمران/ ١٤] .

فالإنسان مبتلى بالشهوات الحيوانية ، ومبتلى بالأوامر الإلهية ، فمن تزكى بالتوحيد والإيمان قدم محبوبات الرب على شهوات النفس : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) ﴾ [الأعلى/ ١٤-١٥] .

ومبتلى كذلك بالشيطان مزيناً لا ملزماً ، ليعلم الله من يطيع ربه الرحمان ، فمن يطيع عدوه الشيطان : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) ﴾ [البقرة/ ٢٥٦] .

وقد أضل الشيطان أكثر الخلق فقدموا طاعة الشيطان على طاعة الرحمان : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ/ ٢٠] .

ومن زكى نفسه بالتوحيد والإيمان والتقوى رأى الحق حقاً وعمل به ، ورأى الباطل باطلاً واجتنبه ، وقدم ما يحبه الله ورسوله ، على ما تحبه نفسه وتهواه ، وأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، وأعطى للدين بقدر الطاقة : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة/ ٤] .

فالدين كله قائم على التخلية ثم التحلية ، وهما متلازمتان : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر/ ١٧ – ١٨] .

فالجانب الأول من التزكية تخلية القلوب والقوالب من الشرك والرذائل والنجاسات، وتطهيرها من المعاصي والسيئات .

والجانب الثاني تحليتها بالتوحيد والإيمان ، وتطييبها بالأقوال والأعمال والأخلاق الحسنة : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [فاطر/ ١٨] .

وتزكية القلوب وتحليتها يكون بثلاثة أمور :

حب الله .. والخوف من الله .. والرجاء في الله .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة/ ١٦٥] .

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾
[السجدة/ ١٥ – ١٧] .

وبهذا يكون القلب كالطائر يطير بالإنسان بالإيمان بالله ، إلى رضوان الله ، إلى القرب من الله ، إلى نعيم الجنة ، لأنه يرى ربه وحده يخلق ويرزق ويفعل ما يشاء ، ويرى كل ما سواه دليلاً عليه ، ذليلاً بين يديه، متصاغراً لكبريائه.

فاللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور/ ٢١] .

ولا بد في التزكية مع عمل القلب من عمل آخر ، وهو الأخلاق التي تتزكى بها النفوس ، فبعد تزكية القلوب بالتوحيد والإيمان ، تزكى النفوس بالأخلاق الكريمة من الصدق ، والأمانة، والحياء، والحلم، والعفة، والرحمة.

والأخلاق تُخلق ، ثم تصير لازمة ، ثم تصير طبعاً .

وقد زكى الله ﷻ محمداً ﷺ بأعظم الأخلاق قبل أن يزكي نفسه ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

ودعا الله ﷻ المسلمين لتزكية نفوسهم بالإيمان والأعمال والأخلاق للاقتداء به ﷺ فقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

ودعا الله المؤمنين إلى الجنة والمغفرة بمكارم الأخلاق التي يحبها فقال : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤] .

وجعل سبحانه ثواب الجنة أكثره يتعلق بالإيمان مع الأخلاق فقال سبحانه : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد/ ١٩ – ٢٢] .

وفي مقابل هؤلاء أهل الأخلاق السيئة التي توجب اللعنة ، وتفضي إلى سوء الدار : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٥] .

ووصف سبحانه عباد الرحمن الذين يبشرهم بالجنة بأحسن الأخلاق فقال : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ

يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان/ ٦٣ – ٦٨] .

وقال سبحانه : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢] .

وقال سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون/ ١ – ١١] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٥] .

ولا بد أن يسبق التحلي بالأخلاق الحسنة ، التخلي عن الأخلاق السيئة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل/ ٩٠] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف/ ٣٣] .

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات/ ٧ – ٨] .

ولا بد مع التزكية بالتوحيد والإيمان ، والتزكية بالأخلاق ، من التزكية بأهم شيء ، وهي العبادة بمفهومها العام ، من شعائر وشرائع : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧] .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢ – ٤].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل/ ١ – ٤].

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٩].

٣- تعليم الكتاب والحكمة :

تعليم الكتاب والحكمة من أفضل العلوم والعبادات : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

فتلاوة القرآن يحصل بها العلم العام الذي لا يسع أحداً من المسلمين الجهل به ، وتعليم الكتاب والحكمة من العلم الخاص الذي يتخصص فيه فريق من علماء الأمة وفقهائها : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢].

وهذا العلم الخاص يقوم على أصلين :

الأول : تعلم وتعليم الكتاب .. والثاني : تعلم وتعليم الحكمة .

١- فعلوم القرآن أعظم العلوم وأحسنها وأنفعها وأرفعها : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر/ ٨٧].

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٢٣].

﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل/ ٤٠].

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٢].

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء/ ٨٣].

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ ﴾
[الأنبياء/ ٧] .

﴿ كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

فالعلم العام فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، والعلم الخاص إن لم يكن فرض عين ، فهو بالتأكيد فرض كفاية ، تأثم الأمة جمعاء إذا خلت من هذا اللون من العلماء الربانيين .

عن عثمان ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري(1) .

ومن هنا يجب في مرحلة البناء والتكوين الاهتمام بهذا الفريق الذي يتعلم الكتاب والحكمة : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَـٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠ ﴾
[الأعراف/ ١٧٠] .

وهذا الفريق من العلماء الربانيين يكون ويتكون بتربيته على تلاوة القرآن ، وتزكية القلوب بالإيمان ، والتزكي بمكارم الأخلاق ، مع العلم بتفاصيل ودقائق العلم الشرعي ، ويبقى التوازن بين أشواق الروح ، ومدارج العقل ، وحسن العمل ، وتقترن الفتوى بالتقوى ، فلا يضل العقل ولا يشقى .

ويتلقى هذا الفريق العلوم من القرآن والسنة ، بفهم سلف الأمة ، مع تربية ملكة تدبر وفهم القرآن، وتربية ملكة استنباط الأحكام من القرآن، لتكون هذه النخبة أعلام هدي وهداية، يستنير بعلمهم عامة الأمة إلى يوم القيامة، وهؤلاء هم الراسخون في العلم .

وقد كون الرسول ﷺ هذا الفريق من الصحابة رضي الله عنهم ، فكما ربى من صحابته في مجال الفروسية أمثال خالد وسعد وأبي عبيدة ، ربى كذلك في مجال العلم والفقه أمثال أبي بكر وعمر وابن مسعود ، وابن عباس ، رضي الله عنهم أجمعين .

وتبع هؤلاء الأخيار الحسن البصري ، وسعيد بن المسيب وغيرهم ، ثم تبعهم أمثال مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل ، ثم تبعهم من سار على هديهم أمثال ابن تيمية ، وابن القيم ، وهكذا يستمر ظهور هذه الأقمار والشموس في كل زمان ومكان على مختلف العصور : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾ [البقرة/ ١٥١ - ١٥٢] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ الله، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ» متفق عليه [1].

٢- تعلم وتعليم الحكمة:

والحكمة: هي إصابة الحق في العلم والقول والعمل، ووضع الشيء في موضعه، يختص الله بها من يشاء من عباده: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

والله سبحانه ربى رسوله ﷺ على الحكمة ليربي الرسول ﷺ أمته على الحكمة.

ومن حكمته ﷺ:

صبره ﷺ على أذى قريش وعنادهم، حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً.

وتصرفه ﷺ في موضوع حاطب بن أبي بلتعة، الذي أرسل إلى الكفار يخبرهم بمقدم رسول الله ﷺ إلى مكة لقتالهم كما مر معنا، حتى لا يقال محمد يقتل أصحابه.

وتصرفه ﷺ مع رأس المنافقين عبد الله بن أبي سلول كما مر معنا.

وتصرفه ﷺ حين نقضت يهود بني قريظة العهد كما مر معنا.

وتصرفه ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد، فلم يعنفه أو يعاتبه، أو يقطع عليه بوله، بل أمهله حتى فرغ من بوله، ثم أمر الصحابة أن يهريقوا على بوله سجلاً من الماء ثم قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» أخرجه البخاري [2].

وتصرفه ﷺ يوم الحديبية، عندما قبل شروط كفار مكة، وتصور الصحابة أن فيها دنية، وكانت فتحاً مباركاً دخل الناس بعده في الإسلام آمنين: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء/ ١١٣].

ومن الحكمة تصرفه ﷺ مع الشاب الذي جاء إليه، وقال: ائذن لي بالزنا، فلم يسبه أو يعنفه، بل أقنعه بحكمته ودعا له، فتاب إلى ربه.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ؓ قَالَ: إِنَّ فَتىً شَابّاً أَتى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَى، فَأَقْبَلَ القَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: «ادنُهْ» فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً، قَالَ: فَجَلَسَ،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٤١)، ومسلم برقم (١٠٣٧) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٢٠).

قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا وَالله ، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفتُحِبُّهُ لابنَتِكَ؟»، قَالَ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله ، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ»، قَالَ: « أَفتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا وَالله ، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ»، قَالَ: « أَفتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا وَالله ، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ»، قَالَ: « أَفتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَالله ، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ»، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ». قال: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الفَتَى يَلْتَفِتُ إلى شَيْءٍ. أخرجه أحمد(1).

والحكمة فضل من الله يؤتيه من يشاء ممن يشكره : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان/ ١٢] .

وتكمل الحكمة بالتعلم والتجارب : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

وبهذا يكون قد اكتمل نصاب البناء والتكوين لهذه الأمة ، على مستوى الأفراد والجماعات : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٢٥٦٤).

٣- أهداف مرحلة البناء والتكوين

أهداف هذه المرحلة بناء ثلاث جهات :

بناء الفرد المسلم .. وبناء الأسرة المسلمة .. وبناء المجتمع المسلم .

١- بناء الفرد المسلم :

المقصود بالفرد هو المسلم ذكراً كان أو أنثى كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

والصفات اللازمة للفرد المسلم في مرحلة التكوين عشر :

الأولى : حسن الفهم للتوحيد والعبادة ، وفهم مقاصد الشريعة ، وفهم عموم الإسلام وشموله ، ورد الأمر إلى الله ورسوله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩] .

الثانية : الإخلاص في القول والعمل ، بأن تكون حياته مصبوغة بصبغة الإخلاص : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٢] .

الثالثة : حسن العمل والتقوى ، وهو ثمرة العلم والإخلاص : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

الرابعة : الجهاد في سبيل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ [التحريم/ ٩] .

الخامسة : التضحية بكل ما يستطيع لإعلاء كلمة الله ، وذلك ببذل النفس والمال والوقت ، وترك الأهل والبلد والشهوات ، من أجل دين الله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٥] .

السادسة : طاعة الله ورسوله ، بامتثال ما أمر الله ورسوله به ، واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه ، في حال العسر واليسر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

﴿ ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء/ ٥٩] .

السابعة : الثبات والاستمرار على بذل كل جهد في سبيل إعلاء كلمة الله ، حتى يلقى الله على ذلك : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج/ ٧٨] .

الثامنة : المحبة والأخوة بين المؤمنين، والمؤمن الصادق يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأقل الحب سلامة الصدر ، وأعلاه درجة الإيثار : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر/ ٩] .

والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة/ ٧١] .

التاسعة : التجرد ، فيوجه فكره وعمله إلى القيام بكل ما يحبه الله ورسوله فقط ، ولا يلتفت لما سوى ذلك : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة/ ٥] .

العاشرة : الثقة التامة التي تجعل الجندي يطمئن إلى القائد في كفاءته وإخلاصه ، اطمئناناً ينتج الحب والاحترام ، والتقدير والطاعة :

عَن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قَالَ: قال رسول الله ﷺ :« مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» متفق عليه [1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ، ومسلم برقم (٢٥٨٦) واللفظ له.

فهذه أهم الصفات المطلوبة لبناء الفرد المسلم في مرحلة التكوين.

أما واجبات المسلم الشرعية فكثيرة ، وهذه أهمها :

أن يكون له ورد يومي من القرآن .. وأن يحسن تلاوة القرآن وتدبر معانيه .. وأن يكون رقيق الشعور .. شديد الحياء .. وأن يكون رحيم القلب سمحاً .. وأن يكون صادق النية والكلمة والوعد .. وأن يكون وقوراً يؤثر الجد .. وأن يكون شجاعاً قوي الاحتمال .. وأن يكون حسن المعاملة يؤدي حقوق الله ، وحقوق الناس .. وأن يديم مراقبة الله في السر والعلن ، ويتذكر الآخرة في كل وقت .. وأن يقوم بأداء الفرائض في أوقاتها ، ويتقرب إلى الله بأنواع النوافل .. وأن يستصحب نية الجهاد .. ويكثر من التوبة والاستغفار .. ويبتعد عن قرناء السوء ، وينشر الدعوة في كل مكان ، ويعلم شرائع الإسلام : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج/ ٧٧] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لي وَلياً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إليَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيهِ ، وَمَا زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبْتُهُ، فَكُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المؤمِنِ ، يَكْرَهُ الموتَ وَأَنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ». أخرجه البخاري(١) .

وبناء الفرد المسلم أهم أهداف مرحلة البناء والتكوين .

٢- بناء الأسرة المسلمة :

إن بناء الأسرة المسلمة هدف ، والأسرة في ذاتها لبنة كبيرة من لبنات المجتمع ، وفي الوقت نفسه الأسرة محضن اللبنات الصغيرة وهم الأفراد .

والإسلام يقيم بناء الأسرة من أول يوم على الإيمان والتقوى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٢] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

ومراحل الأسرة المسلمة ثلاث :

المرحلة الأولى : الأسرة قبل الزواج :

فهذه الأسرة تبنى أولاً في الذهن على تقوى الله ﷻ ، فالزوج يحلم بذات الدين والخلق ، وهي تحلم كذلك ، وإذا توفر بعد ذلك محاسن أخرى طاب هذا الزواج .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» متفق عليه[1].

وليس في هذه المرحلة سوى البحث لبلوغ هذا الهدف ، وفق الضوابط الشرعية .

المرحلة الثانية : الأسرة بعد الزواج :

لتكون هذه الأسرة كالجسد الواحد ، يجب أن تقوم على الرحمة والمودة ، والثقة والأمانة والصفا والصدق والمحبة والصبر : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم/ ٢١] .

فيستحضر الرجل قول الرسول ﷺ : « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» أخرجه الترمذي [2].

وتستحضر المرأة قول الرسول ﷺ في صفات المرأة الصالحة : « الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» أخرجه مسلم[3].

ويستحضران فضل العفو والإحسان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[التغابن/ ١٤].

ويستحضران معاً نعمة الله عليهما : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم/ ٢١] .

ويستحضران حجم المسؤولية والأجر في الرعاية والتربية .

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠٩٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٦٦).

(٢) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٤٦٧).

عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُولة عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » متفق عليه[1].

المرحلة الثالثة : الأسرة عند فشل الزواج :

إذا حصل الخلاف بين الزوجين وجب الإصلاح بينهما؛ لما فيه من حفظ الأسرة من التفرق: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[النساء/ ٣٥] .

والحل عند فشل الزواج التفريق بينهما إن لم ينفع الإصلاح بينهما : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾[النساء/ ١٢٩ - ١٣٠] .

٣- بناء المجتمع المسلم :

المجتمع المسلم هو نتيجة أفراد مسلمين ، وأسر مسلمة ، وبناؤه يحتاج إلى مزيد من العناية والرعاية والمتابعة ، وهو الغاية الأخيرة لمرحلة البناء والتكوين .

وصفات المجتمع المسلم الذي يريده الله ، مذكورة في كتاب الله كما قال سبحانه : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة/ ١١٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى/ ٣٦- ٤٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٩٣)، ومسلم برقم (١٨٢٩) واللفظ له.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب/ ٣٥].

وقوله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون/ ١ – ١١].

وقوله سبحانه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان/ ٦٣].

فهذه صفات المجتمع المسلم الذي يريده الله ﷻ، ويسعى لإيجاده محمد ﷺ، وهي تزيد على سبعين صفة محمودة بنص القرآن، وهي التي تميز بين مجتمع الإلتزام، ومجتمع الإنتماء فقط: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥].

ومجتمع الإنتماء: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات/ ١٤].

٣- مرحلة المواجهة والتمكين

مرحلة المواجهة والتمكين في مقدمة مراحل تكوين الدولة الإسلامية ، وفي نفس الوقت هي آخر مراحل الدعوة .

ولهذه المرحلة ثلاث مراحل :

١- مرحلة المواجهة

إن مرحلة البناء والتكوين تفضي بلا شك إلى المواجهة ، لأنه إن صبر أهل الحق على أذى الباطل ، فإن الباطل لا يصبر على انتشار الحق : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾ [البقرة/ ١٠٩] .

ومن هنا يخاف أهل الباطل على أنفسهم ، فيتحرك الباطل ضد الحق مفتعلاً الحوادث ، ومختلقاً الأكاذيب ، وملصقاً التهم بالمسلمين ، ومستفزاً الشباب المسلمين ، لتكون بداية الصدام منهم ، ليكون ذلك مبرراً للكفار لاجتثاث شأفة الدعاة إلى الله ، وإبادة جموع المسلمين في كل مكان : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) ﴾ [التوبة/ ٣٢] .

وقد تكرر ذلك أكثر من مرة ، في أكثر من بلد ، في أكثر من صورة في القديم والحديث: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧) ﴾ [البقرة/ ٢١٧] .

فقد انتهز كفار مكة خروج الرسول ﷺ لطلب العير في بدر ، وأثاروها حمية جاهلية في العرب أن الرسول ﷺ سيعتدي على تجارتهم .

وخرجت قريش وأحلافها بخيلها وخيلائها ، تحاد الله ورسوله ، في ثلاثة أضعاف المسلمين عدداً ، وفي خمسين ضعف عدة : ﴿ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) ﴾ [الأنفال/ ٤٧] .

فأحبط الله كيدهم ، وقتلهم خارج بلادهم ، وقطع دابرهم ، ونصر المؤمنين عليهم : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٢٣] .

لهذا كان واجباً على أهل الحق أن يستعدوا للعدو ، وأن تكون لديهم القدرة على مواجهته ، وأن يصبروا حتى يتم الإستعداد للعدو ، ويصبروا حتى يتم النصر على العدو .

وهذه هي الشروط اللازمة لمواجهة العدو :

الأول : الصبر حتى يتم الإعداد الذي يواجه به العدو ، فكل استفزاز من الكفار يستجاب له قبل كمال الإعداد له هلاك وإهلاك للمسلمين .

وقد استفز كفار مكة رسول الله ﷺ عدة مرات ، لكنه لم يقابله بعنف ، وهو المؤيد من السماء ، والله يأمره بالصبر وعدم المواجهة فيقول له : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم/ ٦٠] .

وحدث الاستفزاز لأصحابه رضي الله عنهم ، فضُربوا وعُذبوا ، وسخر الكفار منهم ، والرسول ﷺ يتألم مما يحصل لهم من العذاب ، فصبروا ولم يردوا على هذا الاستفزاز العارم رضي الله عنها .

فأمرهم الرسول ﷺ أن يهاجروا إلى الحبشة مرة ، ثم مرة أخرى ، وأخيراً أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة ، ومغادرة مكة ، حتى يمكن التجمع والإعداد لمواجهة العدو الغاشم ، وهذا هو الصبر الذي ينبغي أن يلازم الإعداد : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال/ ٦٠] .

وجاء بعض الأنصار إلى النبي ﷺ وهو في مكة فقالوا : يا نبي الله ، كنا في عز ونحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذلة ، فقال ﷺ :« إِنِّي أُمِرْتُ بِالعَفْوِ ، فَلا تُقَاتِلُوا القَوْمَ »، فَلَمَّا حَوَّلَهُ إِلى المَدِينَةِ أَمَرَهُ بِالقِتَالِ فَكَفُّوا ، فَأَنْزَلَ الله تَبارَكَ وَتَعالَى:" أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ". أخرجه النسائي [1].

وأمره الله بالعفو: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩] .

وأمره بالصبر وعدم الاستعجال : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم/ ٦٠] .

---

(١) **صحيح** / أخرجه النسائي برقم (٣٥٤٥).

وأمر الله رسوله ﷺ ومن معه بالعفو والصبر والصفح، حتى يتم الإعداد للمواجهة، وضبط النفس، وعدم الاستجابة للاستفزاز، فكان المؤمنون كما وصفهم الله بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى/ ٣٧-٤٣].

الثاني : الإعداد لمواجهة العدو :

فالبناء والتكوين للأمة أول الإعداد ؛ لأنه إعداد معنوي وعقلي وجسدي .

أما الإعداد لمواجهة العدو فيشمل أمرين :

إعداد أقصى قوة : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ [الأنفال/ ٦٠].

وإعداد أقصى سلاح : ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾ [الأنفال/ ٦٠].

والقوة متعددة الجوانب ، ويجمعها أمران :

١- الإعداد المادي ، وهو استكمال التدريب بأنواعه ، وتنظيم الجيوش ، وحسن توزيعها.

أما السلاح بأنواعه فيلزم فيه أمران :

الأول : توفير أحسن أنواع السلاح وأحدثها ، فلا يظهر في العالم سلاح حديث إلا كان المسلمون أسبق الناس إليه : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [الأنفال/ ٦٠].

الثاني : بذل الجهد لتوفير هذا السلاح وصناعته محلياً ، حتى لا تتحكم قوى الباطل في حصولنا عليه ، وحتى لا يتوقف الجهاد يوماً لتوقف الإمداد بالسلاح .

الثالث : القدرة .

فلا تصح ولا تجوز مواجهة العدو دون قدرة ، لأن المواجهة دون قدرة ، أخطر من القعود عن الجهاد مع القدرة ، لأن المواجهة دون قدرة يحصل بها اجتثاث قوة المسلمين الموجودة ، ويورث ارتداداً في نفوس المسلمين لما يرون من قوة الهزيمة لهم ، ويولد اليأس الذي لا يمكن علاجه إلا بعد زمن طويل.

وما حصل ويحصل في العالم الإسلامي يؤكد كل ذلك ، فالمواجهة من دون استعداد يترتب عليه تمكن العدو وتحكمه ، وإذلال المسلمين ، وبقاء الجسد الإسلامي صغيراً هامداً خامداً لزمن طويل ، وهذا ما نراه اليوم صريحاً كما رآه من قبلنا ، سفكاً للدماء ، وهدماً للبيوت ، وإحراقاً للمزارع ، وسجناً للأبرياء ، وهذه عقوبة معصية الله ، ومخالفة أمره : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور/ ٦٣] .

إن بعض الجماعات الإسلامية التي خرجت على طغاة حاكمين بغير قدرة كافية ، قد سُحقت ، وبررت لهذه الأنظمة الكافرة إعمال السلاح في مئات الألوف من دعاة المسلمين وعلمائهم وعامتهم ، وجعلت تلك الجماعات هي المسؤلة عن تلك الأنهار من الدماء ، لينفض الناس عنها لعجزها عن المواجهة ، ثم ليدب الخلاف واليأس من النصر ، لتبقى الأمة عاجزة عن المواجهة لفترة طويلة ، وقد فطن الأعداء لهذه الخطة الماكرة ، وأبادوا من خلالها مالا يحصى من المسلمين على مختلف العصور ، فما أعظم جناية من ساق الأمة بلا إعداد لمواجهة عدو مستعد وجبار : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء/ ١١٥] .

والقدرة المطلوبة تختلف في كل زمان ومكان وحال ، من جهة عدد الرجال ، وقوة التسليح ، وحداثة المعدات ، وحسن التنظيم ، وقوة التوحيد ، وقوة الإيمان ، وحسن الاستقامة، والتوكل على الله ، وبعد ذلك : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[البقرة/ ٢٤٩] .

٢- شروط النصر

بيّن الله ﷻ في القرآن الكريم عوامل النصر فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال/ ٤٥-٤٦].

فهذه شروط ستة ، إذا كانت موجودة في الأمة المسلمة، نزل عليهم نصر الله ﷻ .

١- الإيمان بالله ، فهو أعظم قوة يستنزل بها النصر ، ويواجه بها الأعداء، فالمؤمن قوي لأنه عبد القوي ، ومنصور لأنه عبد الناصر : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنفال/ ١٧].

٢- الثبات ، فالثبات في ميدان القتال يعطي قوة معنوية دافعة لجيش المسلمين ، ويهز قوة العدو المعنوية .

والثبات قوة يعقبها الفتح والنصر على مستوى الفرد والجماعة ، فالإنسان الثابت على مبدئه وعقيدته ، يغير الله به حياة أمة ، كما حصل للأنبياء والرسل والصحابة والعلماء والدعاة الربانيين : ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزخرف/ ٤٣].

والجماعة الثابتة على مبدئها وعقيدتها ودعوتها هي محل نصر الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد/ ٧].

٣- ذكر الله ﷻ، فذكر الله دائماً ثمرته اطمئنان القلب ، والقلب المطمئن يستطيع أن يثبت ، وأن يفكر ، وأن يخطط ، وأن يحارب : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وفوق ذلك أن ذكر الله يقرب العبد من ربه ، ومن ذَكَر الله ذكره ونصره : ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٢٦].

٤- طاعة الله والرسول :

الناصر سبحانه إنما ينصر أولياءه بطاعتهم له، وبمعصية عدوهم لله، فإذا تساووا معه في المعصية تخلى الله عنهم، فالمعاصي أعظم من جنود العدو، وبها يرتفع النصر،

وتحصل الهزيمة: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء/ ١٢٣] .

وسبب طاعة الله ورسوله نصرالله رسوله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في بدر وأحد والأحزاب وفتح مكة وحنين وغيرها .

والنصر دائماً مع الطاعة الكاملة ، والخذلان دائماً مع المعصية ، فسبب معصية الرسول ﷺ في أحد من بعض الرماة ، حيث خالفوا أمره ، ونزلوا من الجبل لجمع الغنائم لما رأوا النصر ، فانقض الكفار على المسلمين من هذه الثغرة ، وحصلت الهزيمة بعد النصر بسبب تلك المعصية : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٢] .

وما حصل في حنين من الإعجاب بالقوة عدداً وعدة ، فرفع الله عنهم النصر حتى تابوا وثابوا فنصرهم الله : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٧] .

وكلما زادت المعاصي وتنوعت ، كانت الهزيمة والخسران أكبر وأشد ، كما خسر المسلمون في مواطن كثيرة سُفكت فيها دماء المسلمين ، واستباح العدو ديارهم ، كما هُزم المسلمون الآن على أيدي أذل أمة يهود ، وكما هُزم المسلمون على أيدي عباد البقر ، وقسموا أكبر دولة إسلامية إلى دولتين : باكستان ، وبنجلاديش ، وقَتْل وأَسْر وتشريد مئات الألوف منهم كما هو حاصل الآن في بلاد المسلمين: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء/ ١٢٣] .

فالنصر مقرون بطاعة الله ورسوله ، والهزيمة مقرونة بمعصية الله ورسوله : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٥] .

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى/ ٣٠].

٥- عدم التنازع :

التنازع يعقبه الفشل والخسارة لا محالة : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال/ ٤٦].

والتنازع تنشأ عنه الفرقة والخلاف الذي يعقبه الكفر والهلاك ، ولهذا حذرنا الله منه ، لسوء عاقبته فقال : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [آل عمران/ ١٠٥].

وكلما اشتد النزاع اقترب من الكفر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ۝ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [آل عمران/ ١٠٠ – ١٠١].

والتنازع يوم أحد كانت نتيجته الفشل والهزيمة والخسارة والندامة.

٦- الصبر :

الصبر بأنواعه نصف الدين ، صبر على الطاعات ، وصبر عن المعاصي ، وصبر على المكروه ، وصبر على مشاق الدعوة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

والمطلوب من المسلم في حياته الصبر على إبلاغ هذا الدين ، والصبر على إعداد الأئمة والقادة ، والصبر في ميدان القتال حتى يتم النصر .

فقد يلوح النصر في البداية ، فتكون معه العجلة التي تضيع النصر ، وتحصل بسببها الكارثة ، فاصبروا عند اللقاء ، واصبروا حتى يتم النصر : ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال/ ٤٦].

فهذه ستة عوامل هي شروط النصر للمسلمين في كل زمان ومكان ، وبمخالفتها أو مخالفة بعضها تحصل الهزيمة بلا ريب : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الفتح/ ٢٣].

٣- علامات التمكين

وصف الله عباده الذين نصرهم ومكن لهم في الأرض بقوله : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج/ ٤٠-٤١] .

ووعدهم بالخلافة في الأرض ، يعمرونها ، ويوجهون أهلها إلى أبواب السعادة في الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور/ ٥٥] .

فقد وصف الله من مكن لهم في الأرض بأربع صفات :

الأولى : إقامة الصلاة :

فإقامة الصلاة إشارة إلى إقامة شرع الله في الأرض ، فالصلاة عمود الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن استقام أمام ربه ، استقام أمام خلقه .

والصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، فإن صلحت نظر في بقية أعماله ، وإن لم تصلح صلاته فلا عبرة بما سواها .

عن جابر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ». أخرجه مسلم[1].

ولإقامة شرع الله شروط لا بد منها .

١- أن يكون الشرع لله ابتداء وانتهاء: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف/ ٤٠] .

٢- أن تكون شريعة الله هي العليا ، لا شريعة فوقها ، ولا شريعة معها .

٣- أن تطبق شريعة الله كاملة غير مجزأة : ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٥] .

﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [البقرة/ ٨٥] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٢).

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[الزمر/ ٣].

الثانية : إيتاء الزكاة :

فإقامة الصلاة حق الله ، وإيتاء الزكاة حق الناس ، وإيتاء الزكاة إشارة إلى إقامة الأمة الواحدة التي تتكافل فيما بينها ، ويعين بعضها بعضاً : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة/ ٥].

الثالثة : الأمر بالمعروف :

وهو نشر الحق في العالم ، وإبلاغ دين الله لكل الناس ، ليعبد الناس ربهم الذي خلقهم ورزقهم : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم/ ٥٢].

٤ - النهي عن المنكر :

والأمر بالمعروف مقرون بالنهي عن المنكر ، والفلاح مقرون بهذا وهذا : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

وأعرف المعروف هو شرع الله ﷻ، وأنكر المنكر ما سواه من الشرائع .

والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، إشارة إلى إقامة الدولة المسلمة العادلة .

ومهمة الدولة المسلمة أن تطبق شرع الله على من تحت ولايتها ، وتبلغ شرع الله إلى الناس كافة على مختلف المستويات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٦٧].

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠].

والحكومة حتى تكون شرعية لها شروط :

أن تطبق شرع الله كما سبق .. وأن تقوم برضا المسلمين ومبايعتهم .. وأن تتوفر في الإمام شروط الإمامة الشرعية .

فهذا الإمام الذي تجب طاعته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء/ ٥٩] .

فهذه صفات أهل التمكين في الأرض: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر .

وقد وعد الله هؤلاء بأعظم البشارات في الدنيا فقال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ ﴾ [النور/ ٥٥] .

أما في الآخرة فبشرهم بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ ﴾ [فصلت/ ٣٠ – ٣٢] .

٣- أهداف مرحلة المواجهة والتمكين

أهداف هذه المرحلة ثلاثة :

إعلاء كلمة الله .. الشهادة على العالمين .. أن يكون الدين كله لله .

١- إعلاء كلمة الله :

ويتم ذلك بأمرين :

١- إقامة شريعة الله في الداخل ، والحكم بين المسلمين بما أنزل الله : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [المائدة/ ٤٩] .

٢- دعوة جميع الناس إلى الإسلام ، في كل زمان ومكان : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

وذلك لا يتم حتى يكون شرع الله هو الذي يحكم بين الناس ، وأن تطبق الشريعة كاملة غير مجزأة ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، لا شيء معها ، ولا شيء فوقها .

وذلك يقتضي البذل والترك لإعلاء كلمة الله ، وحماية الدعوة ، وإزالة العقبات من طريقها ، ليكون الدين كله لله: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[البقرة/ ١٩٣] .

٢ – الشهادة على العالمين :

وذلك بالتطبيق العملي الذي يبرز القدوة الحسنة ، ويحقق الشهادة بأن هذا الدين حق ، ليعلم ذلك كل العالمين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

وذلك يقتضي بعث الدعاة إلى كل الجهات ، وإرسال الرسل إلى كافة الأفراد والجماعات والحكومات ، والبث الإعلامي الإسلامي الكثيف بكافة اللغات ، ليصل الحق إلى كافة المستويات : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران/ ١١٠] .

٣- أن يكون الدين كله لله :

ويكون ذلك بنشر الدين الإسلامي في العالم كله ، وإزالة العقبات التي تقف في طريقه ، ولو أدى ذلك إلى استعمال القوة ، فالقصد من القوة ليس العدوان ، وإنما

القصد منها فتح الأبواب المغلقة دونه ، ودفع العدوان عن دين الله ، وبعد ذلك من شاء أن يؤمن ، ومن شاء أن يكفر : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف/ ٢٩] .

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾[المزمل/ ١٩] .

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[البقرة/ ٢٥٦] .

وبهذا يكون الدين كله لله ، وإن أعرض عنه أفراد أو جماعات محدودة ، فعليهم دفع الجزية مقابل الحماية : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾[الأنفال/ ٣٩ – ٤٠] .

وبذلك تزول الفتنة ، وينعم الجميع بالأمن ، ويكون الدين كله لله : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[البقرة/ ١٩٣] .

وإقامة دولة الإسلام هدف لبلوغ الهدف الأعظم ، وهو تعبيد الناس لرب العالمين ، وهذا هو البلاغ المبين : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم/ ٥٢] .

وهذه ملامح الدولة الإسلامية المأمولة :

١- أنها دولة وحدة ، تعبد رباً واحداً ، وتتبع منهجاً واحداً هو القرآن ، وتقتدي برسول واحد هو محمد ﷺ: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾[المؤمنون/ ٥٢].

٢- أنها دولة رحمة ، فهي تتعامل مع أبنائها ومع غيرها بالرحمة : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء/ ١٠٧] .

٣- أنها دولة أُخوّة، فجميع أبنائها إخوة، يحب كل واحد منهم لأخيه ما يحب لنفسه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الحجرات/ ١٠] .

٤- أنها دولة شورى ، يتشاور أهلها في جلب المصالح ، ودفع المفاسد ، ومحاربة الظلم والاستبداد : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[الشورى/ ٣٨] .

٥- أنها دولة حكم بالعدل والحق الذي أنزله الله : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن

﴿يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة/ ٤٩ – ٥٠].

٦- أنها دولة دعوة إلى الخير في كل مكان وزمان : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

٧- أنها دولة العلم والتعليم لكل الناس : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

٨- أنها دولة الأعمال الصالحة في الدين والدنيا : ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة/ ١٠٥].

٩- أنها دولة الأخلاق والقيم الرفيعة : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة/ ٢].

١٠- أنها دولة الجهاد، تبسط الأمن في الأرض، وتواجه الباغي المعتدي؛ لتمنع الظلم عن نفسها وعن غيرها : ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾ [التوبة/ ٣٦].

٥- الدعوة سبيل النجاة والفلاح

الدعوة إلى الله أعظم الأعمال التي تُفتح بها أبواب السعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

وإذا قامت الدعوة إلى الله على أصولها العلمية والعملية ، في ضوء القرآن والسنة ، صارت إيجابية يسعد بها المسلمون والمشركون ، لأنها قائمة على العدل والإحسان والرحمة .

وإذا قامت الدعوة إلى الله بتطبيق المناهج الإسلامية، والأساليب الدعوية، والوسائل الشرعية، في ضوء القرآن والسنة،كما قام بها محمد ﷺ وأصحابه، تحقق بذلك ما يلي:

١- وجود الرجل الصالح ، والأسرة المسلمة والمجتمع الإسلامي ، والدولة الإسلامية المأمولة ، والبلاغ المبين لكل العالمين : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

ومن وراء ذلك كله رضا رب العالمين ، ودخول جنات النعيم : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

٢- وتحقق بذلك الأمن والهداية للبشرية كلها : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٨٢] .

٣- وتحقق بذلك خروج الناس من الظلمات إلى النور .. ومن الشرك إلى التوحيد .. ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم .. ومن الفرقة إلى الوحدة .. ومن الظلم والطغيان إلى العدل والإحسان : ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٧] .

٤- وتحقق بذلك قيام الخلافة الراشدة على مناهج النبوة تعبد الله ، وتنصح لعباد الله، وتحسن إلى خلق الله ، وتدعو إلى الله ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور/ ٥٥] .

وبقيت آمنة مطمئنة : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج/ ٤٠ – ٤١] .

٥- وتحققت بذلك عبودية الله في الأرض ، كما تحققت في السماء : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦ – ٥٨] .

وهذه سنة الله التي لا تتبدل أبداً : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٣٨] .

فهذه ثمرات الدعوة إلى الله في ضوء القرآن والسنة .

أما إذا دخلت الأهواء في هذا العمل العظيم ، أو اختلت المناهج ، أو تعثرت الوسائل ، أو اضطربت الأساليب ، فلا بد من ثمن فادح ، وخسارة كبيرة ، وعقوبة أكبر ، لأن الدين حق لكل الناس ، وإبلاغه كما جاء واجب على كل المسلمين : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام/ ١٩] .

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء/ ١١٥] .

وأول خسارة حرمان البشرية من البلاغ المبين : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

وعقوبة من ترك الدعوة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٩ – ١٦٠] .

وعقوبته : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد/ ٣٨] .

وعقوبته : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٨-٧٩] .

والخسارة الثانية : تأخر الاستخلاف أو تعثره ، فإن الله سبحانه رتب الإستخلاف على أمرين: الإيمان، والعمل الصالح : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾[النور/ ٥٥] .

فالإيمان أوله عمل القلب ، وآخره عمل الجوارح ، وهو العمل الصالح ، والعمل الصالح في مجال الدعوة هو الأخذ بما أمر الله ورسوله به من إعداد المناهج ، واختيار الأساليب ، والاستفادة من الوسائل ، في ضوء القرآن والسنة : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾[يوسف/ ١٠٨] .

فإذا قصر الدعاة إلى الله ، أو خالفوا أمر الله ورسوله ، وقعدوا عن عمل نبيهم ﷺ ، فسيتأخر الاستخلاف أو يتعثر ، وفوق ذلك ستحكم الجاهلية دار الإسلام : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨ ﴾[محمد/ ٣٨] .

وقد عاش المسلمون تأخر الاستخلاف في كثير من بقاع الأرض ، ورضوا بالحياة الدنيا ، فقعدوا عن العمل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ ﴾[التوبة/ ٣٨ – ٣٩] .

والأمور كلها بيد الله وحده، ومن خالف أمر الله من الحكام استبدله بغيره: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾[آل عمران/ ٢٦] .

وقد حصل الاستبدال فيمن سبقنا من أمتنا بسبب ترك هذا العمل العظيم ، فلما صار حكم بني أمية ملكاً عضوضاً ، استبدل الله بهم بني العباس ، فلما لم يقوموا بالواجب في أواخر عهدهم ، استبدل الله بهم التتار، فلما خالفوا أمر الله أزالهم .

فلما انتهى الأمر إلى بني عثمان أقاموا الخلافة الإسلامية ، وحملوا الأمانة لمدة خمسة قرون ، حتى عم الإسلام كثيراً من بقاع الأرض ، ولما كان في أواخر عهد العثمانيين أعرضوا عن شرع الله ، وقبلوا بقوانين الجاهلية المستوردة من الدول الكافرة ، وتركوا يهود الدونمة يعيثون في الأرض فسادا ، تحت اسم الحرية والتسامح ، فانتشر الظلم، وعم

الفساد، فاقتلع الله هذه الخلافة التي ضيعت الأمانة ، وزالت على أيدي الصليبية الفاجرة ، واليهودية الحاقدة : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور/ ٦٣] .

وتلك سنة الله : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/ ١١٥] .

وحصلت بعد زوال الخلافة الإسلامية ، واستبدال غيرها ، أمور عظيمة ، ودواهي خطيرة ، فتمزق الجسد الواحد إلى دول متناحرة ، وتسلط الأعداء على بلادها وثرواتها ، واشتغلت الحروب فيما بين الأشقاء ، وعم الفساد ، وانتشرت الفتن ، وجرت أنهار الدم بين المسلمين ، وأكل بعضهم بعضاً ، وذلك كله بسبب مخالفة أوامر الله ﷻ : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى/ ٣٠] .

وعقوبة أشد : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٤ – ١٢٦] .

والخسارة الثالثة بسبب ترك الدعوة إلى الله تأخر التمكين في الأرض للأمة ، وحتى للأفراد ، وتأخر التمكين على مستوى الأمة والأفراد معناه نقض عرى الإسلام عروة عروة ، واختفاء صورة المجتمع المسلم الذي جاءت في القرآن صفاته وخصائصه .

والمجتمع الإسلامي اليوم على خير كثير ، وإن اختفت منه كثير من صور الاستقامة ، ولا زال بحمد الله الكثير من المسلمين في بقاع الأرض يقيمون أمر الله ، وإن لم تكن لهم خلافة تجمعهم ، ولا زال الدعاة والعلماء يقومون بما أوجب الله عليهم كل بحسب قدرته ، في جميع أنحاء الأرض ، بشَّر بذلك النبي ﷺ بقوله : «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ الله ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ» متفق عليه [(١)] .

وبين الحين والحين تُوَجَّه من الأعداء ضربات آثمة وقاسية للمسلمين في مختلف الأوطان، إما لتقصيرهم في عمل القلب من ضعف الإيمان ، والحب في الله ، والرجاء فيه ، والخوف من الله ، والتوكل على الله ، والاعتصام به .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦٤١) ، ومسلم برقم (١٠٣٧) واللفظ له.

أو لتقصيرهم في عمل الجوارح ، بعدم توجيه العقول تدبراً وتفكيراً لنشر الدعوة إلى الله ، والعمل بما يحبه الله ورسوله ، واستعمال الجوارح من السمع والبصر واللسان في غير طاعة الله ورسوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعرف/ ٩٦] .

وإما ابتلاءً من الله وتمحيصاً له ليتميز الصف الثابت الذي يستطيع أن يحمل راية الإسلام التي حملها الرسول ﷺ : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٢ – ٣] .

والخسارة الرابعة : الخوف ، وهو عقاب الله للذين اختل إيمانهم ، وفسدت أخلاقهم ، وضل سعيهم : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل/ ١١٢] .

وكلما كان العبد بالله أعرف كان منه أخوف ، وكلما ضعف الإيمان كان الخوف من المخلوق أشد ، ومن خاف غير الله أخافه الله من كل شيء : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٧٥] .

والخوف من الله عبادة ، والخوف من غير الله من البشر أن يضروه شرك .

وإذا انتقضت عرى الإسلام ، وكثرت المعاصي ، وقلت الطاعات ، جاء الخوف من المخلوق ، وظن الناس أن النفع والضرر بيد البشر ، فألبسوا إيمانهم بظلم ، وفقدو الرشاد ، وتسلط عليهم الأعداء ، وفقدوا أمن النفس ، وكان الضيق والضنك والشدة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٨٢].

إن سنة الله إذا تعطلت الدعوة إلى الله أو تعثرت تأخر الاستخلاف أو تعثر ، ثم تأخر التمكين حتى للفرد ، ثم اضطربت القلوب واشتغلت بخوف من غير الله ، يذهب الأمن ويورث الشقاء في الدنيا والآخرة : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه/ ١٢٣ – ١٢٦] .

وسنة الله ماضية : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٨٥].

وسنة الله جارية : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤٠ – ٤١].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، يا ذا الجلال والإكرام.

* * * * *

الباب الثامن

محبة الرسول ﷺ وتوقيره

وتشتمل على ما يلي :

١- محبة النبي ﷺ وتوقيره

٢- الأسباب الجالبة لمحبة النبي ﷺ وتوقيره

٣- وجوب محبة النبي ﷺ

٤- دلائل ومظاهر محبته وتعظيمه ﷺ

٥- دلائل عظمة قدر الرسول ﷺ

١- محبة النبي ﷺ وتوقيره

خص الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ من بين الأنبياء والرسل بخصائص كثيرة، وصفات كريمة، وأخلاق رضية، وآداب جمة، ورحمة عامة، ومحاسن جميلة، وعلم واسع، وقدوة حسنة، وشمائل رفيعة، وأقوال حسنة، وأعمال صالحة، وعبودية كاملة.

ولهذه الخصائص والصفات والمكرمات اختاره الله ليكون سيد الأولين والآخرين، وسيد الأنبياء والمرسلين، وسيد الثقلين، وسيد المتعبدين والمتقين، وسيد الدعاة والعلماء، وسيد المجاهدين والمتقين: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم/ ٤].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وذلك كله يدعو كل مسلم أن يحبه ﷺ ويجله، ويوقره، ويعظمة، ويعظم سنته، بقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء/ ٦٥].

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾ [النساء/ ٨٠].

ولعظيم ما جاء به ﷺ من الحق من ربه، وعظمة ماقام به من البلاغ لأمته، وعظمة ماتحمل من الصبر والأذى في سبيل ذلك، فقد أثنى الله عليه، وأخبر أنه يصلي وملائكته عليه، وأمر المؤمنين بالإكثار من الصلاة عليه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب/ ٥٦].

وعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَليَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا» أخرجه مسلم[1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٠٨).

فاللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

وأصح المخلوقات مزاجاً هم بنوآدم، وأصح بني آدم مزاجاً هم المؤمنون، وأصح المؤمنين مزاجاً الأنبياء و الرسل، وأصح الأنبياء والرسل مزاجاً هم أولي العزم الخمسة: (نوح و إبراهيم و موسى وعيسى ومحمد) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأصح أولي العزم مزاجاً الخليلان (إبراهيم و محمد) وأصحهما مزاجاً سيد الأولين والآخرين(محمد) ﷺ الذي كان أحسن الناس خَلقا وخُلقا، وكان خلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويعمل بمحكمه، ويؤمن بمتشابهه، ويحلل حلاله، ويحرم حرامه، ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[التوبة/ ٣٣].

فالنبيﷺ نبي الرحمة، ونبي الهداية، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء/ ١٠٧].

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة/ ٦٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف/ ١٠٨].

وقال تعالى:﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾[الفرقان/ ٥٢].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة/ ١٢٨].

فسبحان الرب الكريم الذي خلقه وجمَّله ظاهراً وباطناً، وأرسله، وملأ قلبه توحيداً وإيماناً، وعلماً ورحمة، وأرسله بالحق للناس كافة:﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء/ ١١٣].

وأُخبر أنه جمع فيه محاسن الأخلاق كلها:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم/ ٤].

وقد اختار الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ اسم (محمد) و (أحمد)، وهما اسمان مشتملان على الحمد والثناء.

فهو ﷺ محمود عند الله تعالى، ومحمود عند ملا ئكته، ومحمود عند إخوانه الأنبياء والمرسلين، ومحمود عند أهل الارض كلهم؛ لأن صفاته محمودة عند كل ذي عقل وإن كابر وجحد: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح/ ٢٩] .

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب/ ٤٠].

وهو ﷺ أحمد أهل الأرض و السماء لربه، وأحسنهم ثناء عليه، وحمداً له، وتمجيداً له، وأعظمهم ذكراً له، وتكبيراً له، وتواضعاً له، وافتقاراً إليه: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف/ ٦] .

وهو أحمد الخلق للخلق، وأرحم بهم من أنفسهم، وأنفع لهم، وأنصح لهم: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب/ ٦] .

فصدق الله العظيم الذي أثنى على خُلقه العظيم بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

وصدق ﷺ حين قال عن نفسه : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القبر ، وأَوَّلُ شَافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » أخرجه مسلم[1].

ومما يحمد عليه ﷺ ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق، وكريم الشيم، فهو خير الناس أخلاقاً،وأحسنهم شمائل،وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثاً، وأشدهم تواضعاً، وأجودهم إنفاقاً، وأقواهم صبراً، وأحسنهم حلماً، وأعظمهم عفواً، وأوسعهم مغفرة.

وهو ﷺ أفصح الخلق بياناً، وأحسنهم تعبيراً، وأكملهم توقيراً، وهو ﷺ أعظمهم براً، وأوفاهم عهداً، وألينهم معاملة.

وهو ﷺ أصبر الخلق في مواطن الصبر، وأكرمهم في مواطن الجود، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأعظمهم إيثاراً على نفسه، وأكملهم مكافأة على الجميل بأضعافه.

وهو ﷺ أقوم الناس بما يأمر به، وأتركهم لما ينهي عنه، وأوصل الخلق لرحمه. وأعظمهم استجابة لأمر ربه.

وهو ﷺ أكرم الخلق لأصحابه، وأعدلهم مع أعدائه، وأشد الخلق ذباً عن أصحابه، وحماية لهم، ودفاعاً عنهم، وأعظمهم نفعاً لأتباعه في دينهم و دنياهم: ﴿ يَأْمُرُهُم

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨).

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف/ ١٥٧].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة: والله إِنَّهُ لمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ : يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمَّيْتُكَ المتوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ ، وَلا صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله تَعَالَى حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ الْعَوْجَاءَ ، بِأَنْ يَقُولُوا : لا إِلَهَ إِلا الله ، وَيَفْتَحُوا بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا ، وَآذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا. أخرجه البخاري[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢١٢٥).

٢- الأسباب الجالبة لمحبة النبي ﷺ وتوقيره

الذي يدفع المسلم لمحبة الرسول ﷺ وتعظيمه أمور:

الأول: معرفة سيرته ﷺ الحسنة، ومعرفة أخلاقه العظيمة، وشمائله الكريمه، ومعرفة عظيم رحمته بالأمة، ومعرفة جهاده وصبره، ومعرفة عظمة صدقه وحرصه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)﴾ [التوبة/ ١٢٨].

ومعرفة روح رسالته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)﴾ [الأحزاب/ ٤٥-٤٨].

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

فمن عرف سيد الأولين والآخرين بهذه الصفات والأخلاق أحبه ووقره وأكثرمن الصلاة والسلام عليه: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩)﴾ [الفتح/ ٩].

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب/ ٥٦].

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨)﴾ [الفتح/ ٢٨].

الثاني: موافقة مراد الله ﷻ في محبته للنبي ﷺ وثنائه عليه، وتعظيمه، وتوقيره.

فقد أثنى الله عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ [القلم/ ٤].

وقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)﴾ [التوبة/ ١٢٨].

واكرمه بأعظم الكرامات بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)﴾ [الشرح/ ١-٤].

فلا يذكر أحد في الدنيا ولا يثنى عليه كما يذكر نبينا ﷺ، ويثنى عليه.

وأقسم الله بحياته تعظيماً لشأنه فقال : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحجر/ ٧٢].

وزكى الله عقله وقلبه ولسانه بقوله : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [النجم/ ١-٥] .

واتخذه الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً.

ومحبة رسول الله ﷺ وتعظيمه تابعة لمحبة الله وتعظيمه، فالمؤمن يحب الله، ومن يحبه الله من رسله وأوليائه.

فالمؤمنون يحبون رسول الله ﷺ لمحبة الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له .

ومحبة أهل العلم والإيمان، ومحبة الصحابة الكرام وإجلالهم، كل ذلك تابع لمحبة الله ورسوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣١] .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة/ ١٦٥] .

وعَنْ أنس ﷺ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» متفق عليه [(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُون الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا ، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تحَابَبْتُمْ ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » أخرجه مسلم [(٢)].

٣-أن محبة النبي ﷺ وتعظيمه من شروط إيمان العبد، وكذا محبة ماجاء به من الوحي، فحب الرسول ﷺ وتعظيمه وتوقيره وطاعته، به يكون قيام الدين كله، وبضد ذلك يكون سقوط الدين كله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥] .

قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء/ ٨٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٢] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥) ، ومسلم برقم (٤٤) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

٤- معرفة ماخصه الله به من شرف النسب، وكرم الحسب، وكمال الصفات: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح/ ٢٩].

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب/ ٤٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

فمن عرف ذلك زاد إيمانه بالله ورسوله، وسارع إلى اتباع رسوله ﷺ، وامتلأ قلبه بمحبته: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

٥- معرفة شدة محبته ﷺ لأمته، وعظيم شفقته عليها، وشدة رحمته لها، وفرحه بفضل الله عليها: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

٦- معرفة قدر الثواب والأجر الحاصل باتباعه وطاعته: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠]

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

فكل خير وهدى في هذه الأمة، وكل فلاح و سعادة، وكل كرامة و عزة، وكل أجر وثواب لايمكن أنه يحصل لأحد من البشر إلا بالإيمان بالله ورسوله، واتباع الرسول ﷺ وطاعته: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

فكل خير وفلاح في هذه الأمة إنما جاء من طريق الرسول ﷺ الذي: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٧].

٣- وجوب محبة النبي ﷺ

الإيمان بالله ورسوله، ومحبة الله ورسوله، أعظم أصول الإيمان، فلا إيمان لمن لم يكن الله ورسوله أحب إليه مما سواهما : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة/ ٢٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : "النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ" » متفق عليه(١).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بهن حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بعدَ أَنْ أنقذهُ اللهُ منهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» متفق عليه(٢).

وعَنْ أنس رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» متفق عليه (٣).

وبا عث المحبة وقُوتَّها يكون بحسب معرفة ما في المحبوب من كمال وجلال وجمال ذاتي، والله تعالى وحده أحق بهذه المحبة، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، والرسول ﷺ أحق من يتلوه في هذه المحبة؛ لأنه أكرم الخلق عند ربه، وأعظمهم أخلاقا : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة/ ١٦٥].

وإن كان باعث المحبة للغير بسبب ما يصل إليك من الغير من المنافع والنعم والخيرات، فالله تعالى أحق بهذه المحبة؛ لأن نعمه تجري على العباد في كل حين، فكل نعمة منه جل جلاله : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل/ ٥٣].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٧٨١) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٦١٩).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٦) ، ومسلم برقم (٤٣) واللفظ له.
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥) ، ومسلم برقم (٤٤) واللفظ له.

وقال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل/ ١٨].

وقال تعالى : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

والرسول ﷺ أحق من يتلوه في هذه المحبة، فهو الرسول الكريم الرحيم الذي أكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، وأخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، واستنقذنا به من النار، فليس بعد الله أحد أمنَّ علينا منه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٣].

اللهم إنا نُشهدك، ونُشهد جميع مخلوقاتك، أننا نحبك، ونحب أنبياءك ورسلك، ونحب دينك، ونحب المؤمنين والمؤمنات : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

ومن أحب الله، وأحب أن يحبه الله، ويغفر ذنوبه، فليتبع رسول الله ﷺ : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣١].

ومحبة الرسول ﷺ على قسمين :

الأولى : فرض، وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله، وتلقيه بالمحبة والقبول والرضا والتعظيم والتسليم، وحسن الاتباع له فيما أرسله الله

به، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، ونصرة دينه، وجهاد من خالف ما جاء به، فهذه المحبة تبعث على امتثال أوامره، والانتهاء عن معاصيه، والرضا بما جاء به : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥].

فهذا القدر لابد منه، ولا يتم إيمان العبد إلا به : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور/ ٦٣].

الثانية : فضل، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به، وتحقيق الاقتداء بسنته، وأخلاقه، وآدابه، ونوافله، وأكله، وشربه، ولباسه، وحسن معاشرته، وسائر تطوعاته : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء/ ٦٩].

وأكمل المسلمين ديناً من جمع في الاتباع بين الفرض والفضل : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد/ ٢١].

والتعظيم والمحبة حقان واجبان للرسول ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح/ ٨-٩].

فالحق المشترك بين الله ورسوله : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الفتح/ ٩].

والخاص بالله وحده : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح/ ٩].

والخاص بالرسول ﷺ ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح/ ٩].

وتعزيره ﷺ نصره، ونشر ما جاء به، وتأييده، ومنعه من كل ما يؤذيه .

وتوقيره إجلاله،وإكرامه،وتعظيمه، وتبجيله، لما له من حرمة ومكانة يُعظَّم من أجلها.

والتعظيم أعلى من المحبة؛ لأن المحبوب لا يلزم أن يكون معظماً، فالولد الصغير يحبه والده محبة تدعوه إلى تكريمه لا تعظيمه، والولد يحب أباه محبة تدعوه إلى تعظيمه وإكرامه .

وكيف نحقق محبة النبي ﷺ وتعظيمه ؟

محبة النبي ﷺ وتعظيمه عبادة نتقرب إلى الله سبحانه بها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٥٦] .

والعبادة التي يريدها الله ﷻ من العبد، ويحبها ويرضاها، هي ما ابتغي بها وجه الله، وكانت على الصفة التي شرعها الله ورسوله : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة/ ٥] .

فالإخلاص وابتغاء وجه الله في الأعمال هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأن معناها لا معبود بحق إلا الله .

ومتابعة النبي ﷺ في كل ما جاء به من ربه هو مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله؛ لأن معنى الشهادة له بأنه رسول الله حقاً: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

وفي هذا كمال المحبة له ﷺ ، وكمال التعظيم له، وكمال التوقير له : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح/ ٨-٩] .

وكمال الهداية بالإيمان بالله ورسوله، وكمال الإيمان والتقوى، والإخلاص والمتابعة: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

أما من لم يؤمن برسالته ﷺ ، أوشك في خبره، أو استنكف عن طاعته، أو ارتكب مخالفته، أو ابتدع في دينه، أو عبد الله من غير طريقه، أو جحد ما جاء به، أو استهزأ به، فهو بعيد عن الإيمان به، بعيد عن محبته وتعظيمه بُعد الأرض عن السماء : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور/ ٦٣] .

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء/ ١١٥] .

﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء/ ١٤] .

ولهذا من سلك في عبادته سبيلاً لم يشرعها رسول الله ﷺ فقد ضل وأضل، وعمله مردود غير مقبول : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

وعَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفق عليه (١).

ولهذا أنكر الله ﷻ على من عبد غير الله، أو عبد الله بما لم يشرعه الله ورسوله، وتوعدهم بالعذاب الأليم : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [المائدة/ ٧٦] .

وقال سبحانه :﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة/ ٦٣] .

وقال سبحانه : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى/ ٢١] .

إن محبة الرسول ﷺ وتعظيمه وتوقيره من أصول الإيمان، وهي عبادة من العبادات التي نتقرب إلى الله بفعلها.

والعبادة محلها القلب واللسان والجوارح .

ويتحقق تعظيم النبي ﷺ بالقلب بتقديم محبته على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، فلا يتم الإيمان إلا بذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء/ ١٣٦] .

ولاتوقير ولاتعظيم بلا محبة له ﷺ ، ولا تعظيم ولا محبة إلا بعد معرفته ، ومعرفة سيرته ، ومعرفة قدره ومحاسنه .

وإذا استقرت محبته الصادقة في القلب أثمرت تعظيمه ﷺ و طاعته واتباعه والاقتداء به في جميع ما جاء به من ربه بعبادات تظهر على القلب واللسان و الجوارح:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨).

﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾[التوبة/ ٦٢].

• أحوال الصحابة في محبة وتعظيم النبي ﷺ :

أكرم الله عَزَّ وَجَلَّ الصحابة رضي الله عنهم بشرف لقاء النبي ﷺ ، والإيمان به ، ومحبته، وتعظيمه ، فكان لهم النصيب الأكمل والأوفى من محبته وتعظيمه والاقتداء به ، مما سبقوا به غيرهم ، ولن يدركهم فيه من بعدهم ، فرضي الله عنهم ، ورضوا عنه كما قال سبحانه : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[التوبة/ ١٠٠]

وَسُئِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه : كَيْفَ كَانَ حُبُّكُمْ لِرَسُولِ الله ﷺ ؟ قَالَ : كَانَ وَالله أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا ، وَأَوْلَادِنَا ، وَآبَائِنَا ، وَأُمَّهَاتِنَا ، وَمِنَ المَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظَّمَإِ.[1].

(١) انظر كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٣٨٥).

٤- دلائل ومظاهر محبته وتعظيمه ﷺ

١- تقديم النبي ﷺ وتفضيله على كل البشر :

فقد فضل الله نبيه محمداً ﷺ على جميع الخلق أولهم وآخرهم ، فهو خاتم الأنبياء ، وإمام المرسلين، وسيد الخلق أجمعين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وعَن وَاثِلَة بْن الأَسْقَعِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ الله سُبْحَانَهُ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » أخرجه مسلم(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القبر ، وأَوَّلُ شَافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » أخرجه مسلم(٢).

لهذا يجب على جميع الأمة إذا عرفت فضائله حبه وتوقيره ، واستشعار هيبته ، وجلالة قدره ، وعظيم شأنه ، واستحضار مكانته ومحاسنه ، ومعرفة الأمور الجالبة لحبه ، والعلم بسيرته وسنته ، وحسن الاقتداء به : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

ومتى كان حب النبي ﷺ وتعظيمه مستقراً في القلب ، فإن آثار ذلك ستظهر على اللسان والجوارح لا محالة .

فترى اللسان يجري بمدحه ، والثناء عليه ، وذكر محاسنه ، والإكثار من الصلاة عليه : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

[الأحزاب/ ٥٦].

وسترى بقية الجوارح مستجيبة لما جاء به ، تتبع شرعه ، وتتمثل أوامره ، وتجتنب نواهيه ، وتؤدي حقه من الحب والتعظيم والتكريم والطاعة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨).

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥].

فمن فضَّل الأئمة من آل البيت على النبي ﷺ فقد ضل ، ومن فضَّل الأولياء والأقطاب على النبي ﷺ فقد ضل .

ومن فضَّل أحداً من البشر على النبي ﷺ فهذا كفر وإلحاد ، ومخالفة لنصوص الشريعة ، وإجماع الأمة : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/ ١١٥].

٢- حسن الأدب معه ﷺ :

ويتحقق ذلك بالأمور الآتية :

١- حسن الثناء عليه ﷺ بما هو أهله ، وأكمل ذلك ما أثنى عليه به ربه ﷻ ، وما أثنى به هو على نفسه ﷺ ، وأفضل ذلك الصلاة والسلام عليه ، لأمر الله ﷻ بذلك وتوكيده كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب/ ٥٦]

ولعظيم مقام عبدالله ورسوله محمد ﷺ أخبرنا الله ﷻ بأنه يثني عليه في الملأ الأعلى، وأن الملائكة تصلي عليه ، ثم أمرنا بالصلاة والسلام عليه ، ليجتمع الثناء عليه من ربه العظيم ، ومن أهل العالم العلوي ، وأهل العالم السفلي .

وهذه الآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه، وأبخل الناس وأذلهم وأحقرهم من ذكر عنده فلم يصل عليه.

عن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: « الْبَخِيلُ الذي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ » أخرجه أحمد والترمذي [١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ فَلَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ» أخرجه أحمد والترمذي [٢].

---

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (١٧٣٨)، والترمذي برقم (٣٥٤٦).
(٢) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٧٤٠٢)، والترمذي برقم (٣٥٤٥).

والصلاة من الله الثناء عليه ﷺ في الملأ الأعلى ، والصلاة من الملائكة والمؤمنين سؤال الله الثناء عليه .

وثمرات الصلاة على النبي ﷺ كثيرة منها:

أنها سبب لحصول الحسنات ، ومحو السيئات ، ورفع الدرجات ، وإجابة الدعوات ، وحصول الشفاعة، والنجاة من البخل ، وصلاة الله على العبد ، ودوام محبة النبي ﷺ، وغير ذلك من الفوائد والثمرات .

لهذا رغب النبي ﷺ في الصلاة عليه بقوله : «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا» أخرجه مسلم(١).

والصلاة عليه ﷺ مشروعة في كل وقت ، ومشروعة في عبادات كثيرة تزيد على أربعين موطناً ، ومن ذلك الصلاة عليه في التشهد في الصلاة ، والخطبة ، وبعد الأذان، وفي صلاة الجنازة ، وعند الدعاء ، وعند سماع اسمه وغير ذلك .

وأفضل صيغ الصلاة عليه ﷺ ماعلمه لأصحابه : «اللهمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ على إبرَاهِيمَ وَعَلى آلِ إبرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهمَّ بَارِكْ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ على إبرَاهِيمَ وَعَلى آلِ إبرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ». متفق عليه(٢).

٢- الإكثار من ذكره ﷺ ، وذكر محاسنه وفضائله ، ومعجزاته ، ودلائل نبوته ، وتعليم الناس سنته ، ودوام تذكيرهم بمنزلته ومكانته ، وتذكيرهم بحقوقه وصفاته وأخلاقه ، وتذكيرهم بدعوته وسيرته ، وجهاده وغزواته .

فالعبد كلما أكثر من ذكر المحبوب ، واستحضر في قلبه محاسنه وفضائله ، تضاعف حبه له ، وزاد شوقه لرؤيته ، وكملت طاعته له .

ولهذا أمرنا الله بالإكثار من ذكره في كل وقت كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٠٨).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

وأمر الله سبحانه بالصلاة والسلام على نبيه بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٥٦].

٣- حسن الأدب عند ذكر اسمه ﷺ ، فلا يذكر باسمه مجرداً ، بل يوصف بالنبوة أوالرسالة .

وقد خصه الله في القرآن من بين الأنبياء ، فلم يذكره بإسمه مجرداً ، بل ناداه بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾ .

وحين قال: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ ﴾ قال بعدها: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب/ ٤٠].

ومن كمال الأدب معه أنه ينادى ويذكر بوصف النبوة والرسالة ، لا بغير ما ورد في القرآن والسنة : ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضًا ﴾ [النور/ ٦٣].

٤- حفظ حرمة بلده المدينة النبوية ، فإنها مهاجره ، ودار نصرته ، وبلد أنصاره ، ومحل إقامة دينه ، وفيها قبره ، وفيها مسجده أفضل المساجد بعد المسجد الحرام.

لهذا يجب على من سكنها ، أو زارها ، أو دخل فيها ، مراعاة حسن المجاورة فيها، وحسن التأدب ، وفعل الطاعات ، واجتناب المعاصي .

٥- حسن الأدب عند دخول مسجده ﷺ ، وكذا عند زيارة قبره ، وترك اللغط ورفع الصوت هناك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحجرات/ ٢-٣] .

٦- توقير حديثه ﷺ ، وحسن سماعه ، والوقار عند دراسته ، وحسن قراءته ، وتعظيم سنته ، ومحبة حديثه ، والمسارعة إلى العمل به ، تعظيماً له ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [النجم/ ١ –٥] .

وكان مالك بن أنس رحمه الله إذا أراد أن يخرج يحدِّث توضأ وضوءه للصلاة ، ولبس أحسن ثيابه، ولبس قلنسوته، ومشط لحيته، فقيل له في ذلك، فقال : أوقر به حديث رسول الله ﷺ .

٣- تصديق النبي ﷺ فيما أخبر :

من أصول الإيمان الأساسية الإيمان بعصمة النبي ﷺ من الكذب والبهتان ، وتصديقه في كل ما أخبر به عن الماضي أو الحاضر أو المستقبل ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر/ ٧] .

والجفا كل الجفا ، بل الكفر كل الكفر ، اتهامه ﷺ فيما أخبر وتكذيبه .

وقد رد الله في كتابه على من كذبه بقوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يونس/ ٣٧- ٣٩]

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [السجدة/ ٣] .

فالتوحيد يقوم على ركنين :

الأول : توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيده بالعبادة والاستعانة ، والخضوع والذل ، والتوكل والإنابة: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾

[البقرة/ ١٦٣] .

الثاني : توحيد الرسول ﷺ بالاتباع له ، والانقياد لأمره ، والتسليم لحكمه ، والإذعان لطاعته : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥] .

وبهذا وهذا يكمل التوحيد ، ويتحقق الإيمان؛ توحيد الرسول ﷺ بالاتباع ، وتوحيد من أرسله بالعبادة : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

[آل عمران/ ٣٢] .

٤- التحاكم إلى سنته ﷺ :

تحكيم سنة النبي ﷺ في كل حال وشأن أصل من أصول الإيمان به ومحبته واتباعه.

فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته، ويسلم له تسليماً مطلقاً: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥] .

ومن أعرض عما جاء به ﷺ ، ورضي بحكم غيره ، فتلك حقيقة النفاق: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء/ ١١٥] .

كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيم سنته ، وارتفاع الحرج عن الصدور بحكمه ، والتسليم المطلق لما حكم به رضىً واختباراً ومحبةً .

وقد بين الله ﷻ أن من علامات الزيغ والنفاق، والإعراض عن سنة النبي ﷺ ، وترك التحاكم إليها ، وتحكيم غيرها كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء/ ٦٠-٦١] .

٥- اتباع النبي ﷺ وطاعته :

الأصل في أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وأخلاقه، وأحواله، أنها للاتباع والتأسي به مطلقاً كما بين سبحانه وتعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

ويستثنى من ذلك ما خصه الله به دون غيره.

وقد أمر الله ﷻ بطاعته وطاعته رسوله ﷺ في آيات كثيرة فقال : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣٢] .

وقال : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٢] .

وقال : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء/ ٨٠] .

وأمرنا الله ﷻ عند التنازع أن نرد ذلك إلى الله والرسول فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء/ ٥٩] .

فعلينا جميعاً أن نتعبد لله ﷻ باتباع النبي ﷺ ، وطاعته، والاقتداء به، والاهتداء بهديه، وتحكيم سنته، وتصديق خبره، وتعظيم أمره ونهيه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠] .

٦- الذب عن النبي ﷺ :

الدفاع عن رسول الله ﷺ ونصرته وحمايته من أعظم البراهين والدلائل على محبته واجلاله : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩ ﴾ [الفتح/٨-٩] .

وقد ضرب أصحاب النبي ﷺ أروع الأمثلة، في الذب عن رسول الله ﷺ ، وفدائه بالأنفس والأموال والأولاد، في العسر واليسر، وفي المنشط والمكره : ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ [الحشر/ ٨- ٩] .

وعن عُبادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قال: بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا ، لَا نَخَافُ فِي الله لَوْمَةَ لَائِمٍ. متفق عليه(١).

ومن الذب عنه ﷺ الذب عن سنته، والذب عن سنته يكون بحفظها وتنقيحها، وإخراج ما ليس منها، وحمايتها من تأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، ورد شبهات الملاحدة والزنادقة الطاعنين في سنته، وبيان أكاذيبهم وأباطيلهم ودسائسهم، والرد على شبهات المستهزئين بما جاء في سننه من قول أو فعل أو اعتقاد، كمن يستهزئ باللحية أو الحجاب أوالسواك أو رفع الإزار أو الميراث.

والاستهزاء بالسنة الصحيحة كفر يخرج من الملة : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦ ﴾ [التوبة/ ٦٥-٦٦] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١٩٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٧٠٩).

والتهاون في الذب عن رسول الله ﷺ وعن شريعته من الخذلان الذي يدل على ضعف إيمان المسلم أو زواله، فمن ادعى حب النبي ﷺ ولم تظهر عليه الغيرة على حرمته وعرضه وسنته، فهو كاذب في دعواه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣١] .

فاحذر أن يكون خصمك يوم القيامة رسول الله ﷺ فيقول لك: بلَغَتك سنتي فلماذا لم تعمل بها ؟ ولماذا لم تنشرها ؟ ولماذا لم تدافع عنها ؟

والرب العظيم سوف يسأل كل رسول، وكل من أُرسل إليه : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ٦-٩] .

فالمحامي عن السنة، الذاب عن حماها كالمجاهد في سبيل الله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

وقد كان جبريل ﷺ مع حسان بن ثابت، يؤيده ما نافح عن رسول الله ﷺ في أشعاره، فكذلك من ذب عن سنته ودينه من بعده .

عَنْ الْبَرَاءِ ؓ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ لحَسَّانَ بن ثابت :« اهْجُهُمْ أَوْهَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ » متفق عليه [(١)] .

ومن تمام محبة النبي ﷺ وتعظيمه الحرص على إبلاغ ما جاء به من ربه كما قال سبحانه: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

والحرص على نشر سنن النبي ﷺ وأقواله وأفعاله وإبلاغها للناس، كما أمر بذلك رسول الله ﷺ بقوله : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» أخرجه البخاري [(٢)] .

وقوله ﷺ:« لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ » متفق عليه [(٣)] .

وحرص المسلم على نشر السنة وإبلاغها وتعليمها باب عظيم من أبواب محبة النبي ﷺ وتعظيمه، وباب كبير من أبواب كسب الأجر والثواب .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢١٣) ، ومسلم برقم (٢٤٨٦).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٠٤) ، ومسلم برقم (١٣٥٤).

عَنْ زيد بن ثابت ﷺ قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول :« نَضَّرَ الله امْرَءاً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ» أخرجه أبوداود والترمذي [1].

فإبلاغ السنة، وتعليمها ونشرها، والعمل بموجبها، هو روح رسالة النبي ﷺ ، والبرهان القاطع على محبته وتعظيمه وتعظيم سنته : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

وعَنْ أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال :« مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ ، فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ » متفق عليه [2].

ومن مقتضيات ذلك الحرص على إماتة الضلالات والبدع المخالفة لهدي النبي ﷺ وأمره، فالابتداع في دينه من خوارم محبته وتعظيمه : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور/ ٦٣] .

عَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَت: قال رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه [3].

فمحبة النبي ﷺ وتعظيمه تقتضي التسليم للحبيب ﷺ ، والانقياد لأمره، وتتبع آثاره، والوقوف عند أمره ونهيه، وعدم النقص أو الزيادة في دينه : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء/ ١١٥] .

تلك بعض أمارات حب النبي ﷺ وتعظيمه، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا العمل بموجبها ما بقينا.

٧- ولا شك أن الذب عن النبي ﷺ يقتضي الذب عن أصحابه رضي الله عنهم، فهم ثقات عدول، وهم خير القرون، وهم أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ ، وقد رضي الله عنهم

(١) **صحيح** / أخرجه أبوداود برقم (٣٦٦٠)، والترمذي برقم (٢٦٥٦).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٢٨٢).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨).

ورضوا عنه كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

وقال ﷻ : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح/ ١٨] .

وقال ﷻ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح/ ٢٩] .

عَنْ عمران بن حصين رضي الله عنه قَالَ: قال النبي ﷺ :« خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» متفق عليه [(١)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« لا تَسُبُّوا أحداً من أَصْحَابِي ، فإِنَّ أَحَدَكُمْ لوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ» متفق عليه [(٢)].

لهذا فحقوق الصحابة علينا كثيرة جداً منها :

١- محبتهم، والترضي عنهم، والاستغفار لهم، وحسن الثناء عليهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر/ ١٠] .

٢- الاقتداء بسنتهم، والاهتداء بهديهم :

عَن الْعِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ : « .. فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ » أخرجه أبوداود والترمذي [(٣)].

والقدح في الصحابة وسبهم قدح في النبي ﷺ ، فهم خاصته وأصحابه وبطانته الذين آمنوا به ونصروه وأطاعوه، وجاهدوا معه، ونقلوا للأمة سنته وشريعته، فرضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٥١) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٣٥).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٣) ، ومسلم برقم (٢٥٤١) واللفظ له.
(٣) **صحيح** / أخرجه أبوداود برقم (٤٦٠٧) وهذا لفظه، والترمذي برقم (٢٦٧٦).

وأعظم من طعن في الصحابة وسبهم الرافضة، وباطن أمرهم الطعن في الرسول ﷺ، ليقول القائل رجل سوء، كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦ ﴾ [البقرة/ ١٦].

فما أعظم جرمهم، وما أقبح افتراءهم، وما أسوأ كذبهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠ ﴾ [البروج/ ١٠].

٨- ومن الذب عن النبي ﷺ وسنته الذب عن عرضه، وعرض أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، خاصه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه، وأحفظهن لسنته، واكثرهن رواية لحديثه، والتي برأها من فوق سبع سموات بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ ﴾ [النور/ ١١].

فمن سب عائشة رضي الله عنها بعد هذه البراءة قُتل؛ لأنه كافر مخالف لنصوص القرآن.

وجميع أمهات المؤمنين مؤمنات طيبات تقيات نقيات، ولهذا سماهن الله أمهات المؤمنين بقوله : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ [الأحزاب/ ٦].

والوقيعة في زوجات النبي ﷺ ، واتهامهن بالباطل، من أعظم الإيذاء للنبي ﷺ ، والقدح في دينه وعرضه وأهله، وذلك كفر من فاعله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ ﴾ [الأحزاب/ ٥٧].

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ ﴾ [الأحزاب/ ٥٣].

٥- دلائل عظمة قدر الرسول ﷺ

النبي ﷺ أعظم الناس قدراً، وأحسنهم ديناً، وأكملهم توحيداً، وأقواهم إيماناً، وأفضلهم حديثاً، وأكثرهم علماً، وأكرمهم نفساً، وأعلاهم شأناً، وأعزهم مكانة، وأشرفهم نسباً، وأحسنهم خُلقاً.

ودلائل عظمة قدر الرسول ﷺ كثيرة، وهذه أهمها :

١- أن الله ﷻ اصطفاه واختاره ليقوم بأعباء الرسالة العالمية من بين سائر الناس : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٣] .

٢- أن الله سبحانه جمع لمحمد ﷺ بين النبوة والرسالة كما قال سبحانه : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

٣- أنه ﷺ من أولي العزم من الرسل، فهو أفضلهم وسيدهم، وأولو العزم من الرسل خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد ذكرهم الله في قوله سبحانه : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى/ ١٣] .

وقال ﷻ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف/ ٣٥] .

٤- أن الله ﷻ خصه من بين الأنبياء بآيات ومعجزات تدل على صدق نبوته، ويؤمن بسببها الناس، وأعظمها القرآن الكريم : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر/ ٨٧] .

ومعلوم أن آيات الأنبياء انتهت بموتهم، أما القرآن العظيم فآية خالدة باقية إلى قيام الساعة .

٥- أن الله ﷻ أنزل عليه أحسن كتبه، وهو القرآن العظيم : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾ [الزمر/ ٢٣] .

وأوحى إليه بالسنة التي هي أفضل الشرائع، وأحسنها، وأكملها، وأيسرها : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [النجم/ ١-٥] .

٦- أن الله ﷻ أتم به بنيان الأنبياء ، ولهذا سمي بخاتم الأنبياء ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب/ ٤٠] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :« إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ، قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ» متفق عليه [(١)].

٧- أن الله ﷻ فضل النبي ﷺ على جميع الخلق ، فهو سيد الأولين والآخرين ، وسيد الأنبياء والمرسلين .

عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :« أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه [(٢)].

٨- أنه ﷺ أعلم الخلق بربه ، وأخشاهم له ، وأتقاهم له كما قال ﷺ : « أَمَا والله إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ » متفق عليه [(٣)].

٩- أن الله ﷻ اتخذه خليلاً ، والخلة أعلى درجات المحبة.

عَنْ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ :« لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا» متفق عليه [(٤)].

١٠- ومن دلائل عظمة قدره ﷺ أن الله جمع فيه ماتفرق في غيره من الأنبياء ، وهو الخلة والكلام والنبوة والرسالة ، وأفضل الأخلاق والشمائل وغيرها: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨ ﴾ [التوبة/ ١٢٨] .

١١- أن الله ﷻ خصه بالإسراء إلى بيت المقدس ، والمعراج إلى مافوق السماء السابعة ، وتكليمه بالوحي: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١ ﴾[الإسراء/ ١].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٢٨٦).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢) ، ومسلم برقم (١٩٤).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٤٠١).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٩٠٤) ، ومسلم برقم (٢٣٨٢) واللفظ له.

وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ [النجم/ ١٣-١٥].

١٢- أن الله ﷻ جعل محمداً ﷺ قدوة وأسوة لجميع الناس في أقواله وأفعاله وأخلاقه وجميع أحواله كما قال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

١٣- أن الله ﷻ أكرمه بشق صدره، واستخراج حظ الشيطان منه، وغَسْل قلبه، وَملْئه إيمانا وحكمة.

وقد حصل شق صدر النبي ﷺ مرتين:

الأولى: وهو غلام صغير في بادية بني سعد.

والثانية: قبيل الإسراء والعروج به إلى السماء.

١٤- أن الله ﷻ أرسله للناس كافة، الإنس والجن، بينما أرسل غيره من الأنبياء إلى أقوامهم خاصة، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ/ ٢٨].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﵁ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ» متفق عليه [(١)].

١٥- أن الله ﷻ جعله رحمة للعالمين في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، وفي الدنيا، وفي الآخرة: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

١٦- أن الله تعالى وهب نبيه ﷺ أحسن الأخلاق، وأثنى على عظيم خُلقه فقال له: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

فكان خلقه القرآن، يتمثل أوامره، ويتجنب نواهيه، ويصدق أخباره، ويتأدب بآدابه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويبلغ أحكامه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف/ ٩].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٢١).

وقد أجمل ﷺ بعثته كلها في مكارم الأخلاق بقوله :« إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ» أخرجه أحمد[1].

ومكارم الأخلاق قسمان :

الأول : حسن الخلق مع الخالق بتوحيده، والإيمان به، وعبادته وحده لاشريك له .

والثاني: حسن الخلق مع المخلوق بالإحسان إليه ، وكف الأذى عنه، وكان ﷺ أعظم الناس أخلاقاً في هذا وهذا : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن. أخرجه مسلم[2].

وإذا كان خلقه القرآن ، فالقرآن يهدي للتي هي أقوم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء/ ٩] .

فسبحان من جمَّله بالأخلاق ظاهراً وباطناً ، وأرسله لتجميل الناس بالإيمان والتقوى ومكارم الأخلاق : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٨]

فالدين كله حسن الخلق ، مما يجعل الأخلاق العظيمة هي البعثة كما قال سبحانه :

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٧] .

فقد جمع الله سبحانه في هذه الآية الدين كله بأقسامه الثلاثة :

الإيمان بالله وملائكته ... إلخ ، والإسلام من صلاة وزكاة ... إلخ ، والإحسان من وفاء وصدق وصبر وتقوى الله ﷻ .

فمن أكمل هذه الأخلاق في الدنيا ، كان أقرب الناس منزلة من نبيه ﷺ يوم القيامة.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٨٩٥٢).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٤٦).

إليَّ وَأَقربِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يومَ القِيَامَةِ ؟ » فَسَكَتَ القَومُ ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَينِ أَوْ ثَلاثاً ، قَالَ القَومُ : نَعَم يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً». أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد[1].

١٧- أن الله رفع ذكر رسوله ﷺ رفعاً عظيماً كما قال سبحانه: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح/ ٤].

فجعل الله سبحانه اسم نبيه ﷺ جزءاً من شهادة التوحيد ، فلا يُذكر الله تعالى إلا وذُكر معه النبي ﷺ في الأذان، والإقامة، وفي الصلاة في التحيات والتشهد ، وفي الخطب، وكثير من الأذكار والأدعية .

فَذِكر النبي ﷺ يدوِّي في كل مكان في العالم العلوي، والعالم السفلي، والله وملائكته والمؤمنون يصلون ويسلمون عليه في كل آن، ومنارات المساجد تهتف بذكره في كل يوم وليلة خمس مرات، في كل وقت، وفي كل بلد.

فليس بشر في الدنيا يُذكر ويثنى عليه كما يُذكر النبي ﷺ ويثنى عليه .

١٨- أن الله ﷻ أمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ، وأخبر سبحانه أنه يصلي عليه وملائكته فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٥٦].

فالصلاة والسلام عليه مشروعة في كل حال ، ومشروعة في أحوال خاصة كالتشهد في الصلاة ، وفي صلاة الجنازة ، وفي الخطبة ، وبعد الأذان ، وعند الدعاء ، وغيرها من المواطن .

ولعظمة قدره ﷺ رتب الأجر العظيم على من صلى عليه ، وأخبر ﷺ أن من صلى عليه واحدة، صلى الله عليه بها عشر.

عَنْ أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :« مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا» أخرجه مسلم[2].

فالله ﷻ يصلي عليه ، وأمر الملائكة بالصلاة والسلام عليه ، وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ، لعظمة مكانته ومنزلته وقدره ، لهذا اجتمع أهل العالم العلوي والسفلي على الصلاة والسلام عليه .

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٦٧٣٥)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٥).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٠٨).

١٩- أن الله ﷻ ميزه بشرف النسب، وكريم الحسب، وصفاء النشأة، فهو خير الناس بيتاً، وخيرهم نفساً .

وعَن وَاثِلَة بْن الأَسْقَع ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّ الله سُبْحَانَهُ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَاصْطَفَاني مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » أخرجه مسلم(١).

٢٠- ومن دلائل عظم قدره ﷺما خصه الله به من خصائص ذاتية،وخصائص شرعية.

فالذاتية التي تتعلق ببدنه: أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه، وما جعل الله فيما انفصل من جسده من البركة كعرقه، وريقه وشعره، وماء وضوئه، وهذا خاص به .

أما خصائصه الشرعية فمتعددة، ومنها أنه لا يورث، وما تركه صدقة، ومنها أن الصدقة محرمة عليه وعلى آل بيته، ومنها أن الله أباح له النكاح من أكثر من أربع نسوة، ومنها جواز الوصال في الصوم في حقه، وأنه لا يجب عليه القسم في الليالي بين نسائه، ومع ذلك يقسم لكمال خُلقه ﷺ : ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ [الأحزاب/ ٥١] .

٢١- ومن دلائل عظم قدره ﷺ ما اختص الله به أمته من خصائص وكرامات أهمها :

١- أن الله جعل أمته خير الأمم كما قال سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران/ ١١٠] .

٢- أن الله ﷻ اجتباها من بين الأمم كما اجتبى الأنبياء واصطفاهم من بين الناس: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[الحج/ ٧٨] .

٣- أن الله ﷻ جعل أمته أمة وسطاً، وجعلهم شهداء على الناس: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[البقرة/ ١٤٣] .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قال رسول الله ﷺ :« يجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ ، فَيَقُولُ الله تَعَالَى : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيْ رَبِّ ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ ، فَيَقُولُونَ : لَا،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٦).

مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : محَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَعَلَى النَّاسِ" وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ.أخرجه البخاري[1].

فهذه الأمة أمة وسط وعدل، وصفهم الله بالوسط، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غُلُو في الدين غُلُو النصارى الذين غَلَوا بالترهب، وغلو في نبيهم عيسى فقالوا إنه الله أو ابن الله، ولا هم أهل تقصير في الدين تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وحرفوه، وقتلوا أنبياء هم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، وقالوا على الله غير الحق .

٤- أن الله ﷻ جعل أمته ﷺ الآخرون في الدنيا، السابقون يوم القيامة في الحساب ودخول الجنة.

فهم الآخرون زماناً، الأولون منزلة، فهم أول من يُحشر، وأول من يحاسب، وأول من يدخل الجنة.

عَنْ أبي هريرة ﷺ قَالَ: قال رسول الله ﷺ :« نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ » متفق عليه [2].

٥- أن أمته ﷺ أول من يجوز من الأمم على الصراط يوم القيامة.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في حديث الرؤية: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ » متفق عليه[3].

٦- أن الله هدى أمته ﷺ إلى يوم الجمعة سيد الأيام، فأمته ﷺ يجتمعون للعبادة يوم الجمعة، واليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد .

عَنْ أبي هريرة ﷺ قَالَ: قال رسول الله ﷺ :« نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ ، فَهَدَانَا الله، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ » متفق عليه [4].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٣٩).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦) ، ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢) واللفظ له.

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦) ، ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له.

وخلق الله آدم يوم الجمعة، والإنسان إنما خلق للعبادة، فناسب أن يشتغل أكثر بالعبادة فيه، ولأن الله أكمل فيه خلق الموجودات، وخلق فيه الإنسان الذي ينتفع بها، فناسب أن يشكر ربه على ذلك بالعبادة فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة/ ٩-١٠].

٧- أن أمته ﷺ لا تجتمع على ضلالة: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٥٢].

عَنْ ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قال النبي ﷺ: « إِنَّ الله لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي ، أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ » أخرجه الترمذي [1].

٨- أن أمته ﷺ يأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء.

عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال النبي ﷺ: « إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ» متفق عليه [2].

٩- أن أمته ﷺ نصف أهل الجنة أو أكثر.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في قُبَّةٍ فقال: «أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ » قلنا نعم قال: «أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ » قلنا نعم، قال: «أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ » قلنا: نعم.

قال: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ في أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ في جِلْدِ الثَّورِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ في جِلْدِ الثَّورِ الأَحْمَرِ». متفق عليه [3].

١٠- أن الله ﷻ يُدخل من أمته ﷺ سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَجِدُ النَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ

---

(١) **صحيح/** أخرجه الترمذي برقم (٢١٦٧).

(٢) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (١٣٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٤٦).

(٣) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢١).

الخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، هَؤُلاءِ أُمَّتي؟ قَالَ: لا، وَلَكِن انْظُرْ إلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوادٌ كَثِيرٌ.قَالَ: هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفاً قُدَّامَهُمْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا عَذَابَ. قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لا يَكْتَوونَ، ولا يَسْتَرْقونَ، وَلا يَتَطيَّرون، وَعَلَى رَبِّهِمْ يتوكَّلُونَ». متفق عليه[1].

١١- مضاعفة أجورهذه الأمة، فالحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة/ ٢٦١].

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُما عن النبي ﷺ قال :« مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ ، فَقَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلى قِيرَاطٍ ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى،ثُمَّ قَالَ:مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِإِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، فَقَالُوا : مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا، وَأَقَلَّ عَطَاءً، قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»أخرجه البخاري[2].

وعن أبي ذر ﷺ في قصة الإسراء والمعراج أن النبي ﷺ قال :« فَفَرَضَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ الله لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا. فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ فَرَاجَعْتُ. فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاجَعْتُهُ فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ » متفق عليه[3].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٠).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٢٦٨).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٦٣).

فهذه الأمة أمة مكرَّمة، ذنوبها مغفورة ، وعيوبها مستورة ، وأعمالها مضاعفةوأعمارها قليلة ، لأن الله شرفها كالأنبياء بالدعوة والعبادة : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

١٢- أن أمته ﷺ لا يعمها الهلاك العام كالأمم السابقة بغرق أو خسف أو جدب ، فهي باقية إلى يوم القيامة ، كما أهلك الله تعالى الذين كذبوا رسله من قبل: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤٠] .

وعن سعد بن أبي وقاص ؓ قَالَ: قال النبي ﷺ :« سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاثًا ، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً ، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا» أخرجه مسلم(١).

١٣- ومن خصائص أمة محمد ﷺ بقاء طائفة منها على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، جعلنا الله وإياكم وجميع المسلمين منهم .

عن معاوية ؓ قَالَ : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ الله ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ» متفق عليه (٢).

١٤- أن الله ﷻ أكرم هذه الأمة بحسن الشريعة وكمالها ، فقد حوت جميع محاسن الشرائع الإلهية المتقدمة ، ورفع الله عنها مالا يلائمها ، كرفع الحرج ، والعفو عند الخطأ والنسيان والإكراه ، والآصار والأغلال ، وحديث النفس : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٧] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٨٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٤١) ، ومسلم برقم (١٠٣٧) واللفظ له.

﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾[الحج/ ٧٨] .

١٥- أن الله قيض لأمة محمد ﷺ من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة، ليحفظ لها دينها على مر القرون الى يوم القيامة .

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال :« إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا » أخرجه أبوداود[١].

١٦- أن الله ﷻ اختص أمته ﷺ بالشريعة السمحة ، ويُسر التشريع ، وأحل لها بعض ماحرم على الأمم قبلها .

عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال :« أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» متفق عليه[٢].

وغير ذلك من الخصائص والكرامات التي خص الله بها أمة محمد ﷺ .

ونعود الآن إلى تكميل دلائل عظمة قدره ﷺ .

٢٢- ومن دلائل عظمة قدره ﷺ أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، وأنه أول من يفيق .

عن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال :« لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ » متفق عليه[٣].

وعن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال :« لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ » متفق عليه[٤].

٢٣- أن الله ﷻ خصه من بين الرسل بالشفاعة العظمى لبدء الحساب يوم القيامة ، تشريفاً لمقامه ، وإظهاراً لمكانته ، إذ جعله ربه شفيع جميع الخلائق لبدء حساب العباد كلهم، مؤمنهم وكافرهم ، حين يطول بهم الموقف يوم القيامة ، ويعتذر جميع الأنبياء عن الشفاعة من لدن نوح إلى عيسى ، عليهم الصلاة والسلام ، ثم يذهبون إلى

---

(١) **صحيح** / أخرجه أبوداود برقم (٤٢٩١).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٥٢١).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٤١٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٧٣).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٩١٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٧٤).

محمد ﷺ فيقول :« أَنَا لَهَا ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّيَ فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لا تَحْضُرُنِي الآنَ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ » متفق عليه [1].

فالنبي ﷺ أعظم الخلق جاهاً وقدراً عند الله ، لما قام به من جهد البلاغ والرسالة ، والصبر على أداء الأمانة، ولهذا فهو أول شافع ، وأول مشفع .

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :« أَنَا سَيِّدُ الناسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه [2].

ومن دلائل عظمة قدره عند الله أن الله خصه يوم القيامة بثلاث شفاعات غير العظمى المتقدمة في أهل الموقف وهي :

١- شفاعته ﷺ لعصاة المؤمنين من أهل الكبائر من أمته ممن استحق النار ألا يدخلها.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :« لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا ، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ » متفق عليه [3].

٢- شفاعته ﷺ للمؤمنين في دخول الجنة، فإذا شفع فتحت لهم أبواب الجنة فدخلوها.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :« آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟فَأَقُولُ:مُحَمَّدٌ،فَيَقُولُ:بِكَ أُمِرْتُ، لَاأَفْتَحُ لِأَحَدٍقَبْلَكَ»أخرجه مسلم [4].

فالشفاعة الأولى لزوال الكرب والغم، ليرتاح الناس من كربات الحشر ، والثانية في عصاة المؤمنين ، ليريحهم من الهم والغم ، والثالثة في دخول الجنة ، لينال المؤمنون الفرج والسرور بدخول الجنة، فصلوات الله وسلامه عليه .

٣- شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، ليخفف عنه العذاب، جزاء إحسانه إليه ، ودفاعه عنه .

عن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال للنبي ﷺ : مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَار، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ» متفق عليه [5].

---

(١) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٧٥١٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٩٢).
(٢) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢) ، ومسلم برقم (١٩٤).
(٣) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٩٩).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).
(٥) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٠٩).

فهذه الشفاعات الأربع خاصة به ﷺ، وهناك شفاعة خامسة ، ولكنها مشتركة بينه وبين المؤمنين والملائكة، وهي الشفاعة في المؤمنين الذين استحقوا النار أن يخرجوا منها.

٢٤- أن الله ﷻ قرن حقه بحق نبيه ﷺ في ثلاثة مواطن: في الإيمان به ، وفي طاعته ، وفي محبته .

فالإيمان به في قوله سبحانه : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التغابن/ ٨] .

وطاعته في قوله سبحانه: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران/ ١٣٢].

وفي المحبة في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة/ ٢٤].

٢٥- أن السماء قبيل بعثته ﷺ حرست من استراق الشياطين للسمع ، لئلا يختلط الوحي بكذب الشياطين ، وهذا حدث عظيم ، فقد كانت الشياطين يسترقون السمع ، ثم يلقونه إلى الكهان ، ثم يلقيها الكهان على الناس بعدما يزيدون فيها كذبات كما قال سبحانه عن الجن: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن/ ٨-٩]

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ ، فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » متفق عليه [(١)].

٢٦- ومن دلائل عظيم قدره ﷺ تسليم بعض الجمادات عليه كالحجر الذي كان يسلم عليه بمكة قبل البعثة .

عن جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنِّي لأعرف حجراً كَانَ يسلم عَليّ قبل أَن أُبْعث، وَإِنِّي لأعرفه الْآن » أخرجه مسلم [(٢)].

٢٧- توقير بعض الحيوانات له ﷺ ، كقصة الجمل الذي خر ساجداً بين يديه .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢١٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٢٢٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٧).

عن أنس بن مالك ﵁ قال: كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْنُونَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ الْجَمَلَ اسْتُصْعِبَ عَلَيْهِمْ فَمَنَعَهُمْ ظَهْرَهُ ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ جَاؤا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نُسْنِي عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ اسْتُصْعِبَ عَلَيْنَا ، وَمَنَعَنَا ظَهْرَهُ ، وَقَدْ عَطِشَ الزَّرْعُ وَالنَّخْلُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ : « قُومُوا» ، فَقَامُوا فَدَخَلَ الحَائِطَ وَالْجَمَلُ فِي نَاحِيَته ، فَمَشَى النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَهُ. فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ : يَا رسولَ الله ، إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلِبِ ، وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ ، فَقَالَ: « لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ » فَلَمَّا نَظَرَ الجَمَلُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، أَقْبَلَ نَحْوَهُ ، حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا كَانَتْ قَطُّ ، حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا نبيَّ الله ، هَذِهِ بَهِيمَةٌ لَا تَعْقِلُ تَسْجُدُ لَكَ ، وَنَحْنُ نَعْقِلُ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ ! فَقَالَ: « لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا » أخرجه أحمد(١).

٢٨- محبة بعض الجمادات له كجبل أحد:

عن أبي حميد ﵁ قال: أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى المَدِينَةِ، قال: « هَذِهِ طَابَةُ ، وَهَذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » متفق عليه (٢).

٢٩- طاعة بعض الجمادات له ﷺ ، فحين صعد النبي ﷺ على جبل أحد ، ومعه أبوبكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبل ، فضربه ﷺ برجله ، وقال : « اثْبُتْ أُحُدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ » أخرجه البخاري(٣).

٣٠- تعظيم بعض الكفار له ﷺ وإن لم يتبعوه، وهذا مشاهد معلوم في الماضي والحاضر، أما في الحاضر المعاصر فكم كتب كفار معاصرون في عظماء البشرية ، وجعلوا نبينا محمداً ﷺ أول العظماء .

وأما في الماضي فكما روي أن هرقل عظيم الروم تأثر من كتاب النبي ﷺ ، وأوشك أن يسلم ، ووضع كتابه له في قصبة من ذهب تعظيماً له ، وأنه لايزال حكام الروم يتوارثونه كابراً عن كابر ، ودامت دولة الروم أكثر من دولة الفرس .

---

(١) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (١٢٦١٤).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤٢٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٣٩١).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦٨٦).

٣١- أنه ﷺ أكثر الأنبياء تبعاً .

عَنْ أنس رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ» أخرجه مسلم[١].

وعَنْ أنس رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« أَنَا أَوَّلُ شفيعٍ في الجَنَّةِ» أخرجه مسلم[٢].

٣٢- ومن دلائل عظمة قدر النبي ﷺ أنه كان إمام الأنبياء في الصلاة ليلة الإسراء ببيت المقدس.

عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الحِجْرِ وَأَنَا أُخْبِرُ قُرَيْشًا عَنْ مَسْرَايَ قَالَ : فَسَأَلُونِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا ، قَالَ : فَكُرِبْتُ كَرْبًا مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، قَالَ : فَرَفَعَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، مَا سَأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ ، قَالَ : وَرَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، وَإِذَا عِيسَى قَائِمٌ يُصَلِّي ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ، قَالَ : وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَائِمٌ يُصَلِّي ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ ، قَالَ : فَحَانَتِ الصَّلاةُ فَأَمَمْتُهُمْ فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاةِ قِيلَ لي : يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلامِ » أخرجه مسلم[٣].

٣٣- أنه ﷺ أكثر الأنبياء جهداً وصبراً ، وأعظم الناس أجراً وثواباً يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٨٨] .

عَنْ أبي مسعود رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» أخرجه مسلم[٤].

٣٤- أن قرنه ﷺ خير قرون بني آدم ، كما أنه خير قرون أمته .

عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ» أخرجه البخاري[٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٦).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٦).
(٣) أخرجه مسلم برقم (١٧٢).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٨٩٣).
(٥) أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٧).

وعن عائشة رضي الله عنها قَالَت: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ :أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ ، ثُمَّ الثَّانِي ، ثُمَّ الثَّالِثُ » أخرجه مسلم(1).

٣٥- أن الله ﷻ أخبر النبي ﷺ بأنه غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وهو حي يمشي على الأرض كما قال سبحانه ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ ﴾ [الفتح/ ١-٣].

ولم ينقل أن الله ﷻ أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك ، والظاهر أنه سبحانه لم يخبرهم؛ لأنهم في مقام الشفاعة في الموقف ذكر كل واحد منهم خطيئته التي أصابها ، ثم اعتذر عن الشفاعة ، ولو علم بغفرآن خطيئته لم يوجل منها وشفع .

٣٦- أن الله ﷻ أقسم بحياته إظهاراً لعظيم مكانته وقدره كما قال سبحانه: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢ ﴾ [الحجر/ ٧٢] .

والإقسام بحياته يدل على شرف حياته وعزتها وقدرها عند المقسم بها، وأن حياته ﷺ جديرة أن يقسم الله بها؛ لما فيها من البركات العظيمة، والمنافع الجمة، والجهد العظيم الذي بذله في سبيل إعلاء كلمة الله : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ ﴾ [التوبة/ ١٢٨] .

٣٧- أن الله ﷻ وقر نبيه ﷺ في ندائه، فلم يخاطبه باسمه محمد مجرداً، بل ناداه بوصف الرسالة والنبوة بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ [المائدة/ ٦٧] . وبقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ [التحريم/ ١] .

وهذا خاص بالنبي دون غيره من الأنبياء، ولما أخبر عنه بقوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[الأحزاب/ ٤٠].قال بعدها: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب/ ٤٠] .

أما الأنبياء من قبله فقد ناداهم بأسمائهم فقال : ﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ ﴾ [هود/ ٤٨] . وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ [الصافات/ ١٠٤-١٠٥] .

وقال: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ ﴾ [القصص/ ٣٠] .

وقال : ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ ﴾ [المائدة/ ١١٠] .وقال : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص/ ٢٦] .وقال : ﴿ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾ [هود/ ٨١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣٦).

٣٨- أنه ﷺ أول من يجيز على الصراط، وأول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخلها، وهذا خاص به دون غيره .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حديث الرؤية: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إلا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». متفق عليه[١].

وعَنْ أنس رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تبعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ» أخرجه مسلم[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ:مَنْ أَنْتَ؟فَأَقُولُ:مُحَمَّدٌ،فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لاأَفْتَحُ لِأَحَدٍقَبْلَكَ»أخرجه مسلم[٣].

٣٩- ومن دلائل عظمة قدره ﷺ كثرة أسمائه وتنوعها، وكلها أسماء مدح وكمال وصفات قائمة به، مثل محمد وأحمد وغيرها .

وأسماؤه ﷺ نوعان :

أحدهما : خاص به لا يشاركه في معناه غيره من الرسل كمحمد، وأحمد، والعاقب، والحاشر، والمقفي، ونبي الملحمة : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح/ ٢٩].

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾ [الصف/ ٦].

وعن جبير بن مُطْعِم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ». متفق عليه[٤].

الثاني : أسماء يشاركه في معناها غيره من الرسل، لكن له منها الكمال ، فهو مختص بكماله دون أصله كرسول الله ، ونبي الله ، وعبد الله ، والشاهد ، والمبشر ، والنذير ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، والمتوكل ، والأمين ، والقاسم ، وغيرها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٥٤).

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾

[الأحزاب/ ٤٥ – ٤٦].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١ ﴾

[الأحزاب/ ١].

وأما إن اشتققنا له ﷺ من كل وصف من أوصافه اسماً، فإن أسماؤه تتجاوز المائتين كالرؤف الرحيم ، والصادق المصدوق : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

فهو ﷺ (محمد) كثير الخصال التي يُحمد عليها ، الذي يُحمد أكثر من غيره ، الذي يحمده أهل السماء والأرض .

وهو ﷺ (أحمد) فهو أحمد الخلق لربه ، وحمده أكثر من حمد غيره لربه ، وهو أحق الناس وأولاهم بأنه يحمد ، لكثره خصال الخير فيه .

وهو ﷺ (المتوكل) الذي توكل على الله في إقامة الدين ، وفي كل أموره ، توكلاً لم يشركه فيه غيره .

وهو ﷺ (الحاشر) الذي يحشر الناس على قدمه ، فكأنه بعث ، ليحشر الناس .

وهو ﷺ (العاقب) الذي جاء بعد الأنبياء كلهم ، فليس بعده نبي .

وهو ﷺ (الماحي) الذي يمحو الله به الكفر والشرك .

وهو ﷺ (المقفى) الذي قفى على آثار من تقدمه من الأنبياء، فهو خاتمهم وآخرهم .

وهو ﷺ (الأمين) فهو أمين الله على وحيه ودينه، وهو أمين من في السماء، وأمين من في الأرض.

وهو ﷺ (الضحوك القَتَّال) وهما اسمان مزدوجان ، لا يفرد أحدهما عن الآخر ، فهو ضحوك في وجه المؤمنين ، قَتَّال لأعداء الله المكابرين والمستكبرين ، لا تأخذه فيهم لومة لائم .

وهو ﷺ (الفاتح) الذي فتح الله به أبواب الهدى ، وفتح به أمصار الكفار ، وفتح به أبواب الجنة، وفتح به أبواب العلم النافع والعمل الصالح ، وفتح به القلوب والأسماع والأبصار والأمصار .

وهو ﷺ (نبي التوبة) الذي فتح الله به أبواب التوبة على أهل الأرض .
وكان ﷺ أكثر الناس توبة واستغفاراً وأكملهم .
عن الأغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيُغَانُ على قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله في اليَومِ مِائَةَ مَرَّةٍ» أخرجه مسلم[1].
وتوبة أمته ﷺ أكمل من توبة سائر الأمم وأيسرها ، وكانت توبة من قبلهم من أصعب الأشياء ، حتى كان من توبة بني إسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم .
ولكرامة هذه الأمة جعل الله توبتها الندم، والإقلاع عن المعصية : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠] .
وهو ﷺ (نبي الرحمة) ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، فرحم الله به أهل الأرض جميعاً ، مؤمنهم وكافرهم .
فالمؤمنون نالوا النصيب الأكمل والأوفر من الرحمة في الدنيا والآخرة ، وأما الكفار فمن دفع الجزية عاش في ظله وعدل شرعه ، ومن قتل من الكفار فإنه تعجل إلى النار، واستراح من الحياة الطويلة التي لا تزيده إلا شدة العذاب في الآخرة .
وهو ﷺ (نبي الملحمة) ، الذي بعثه الله بجهاد أعدائه من الكفار الذين آذوه، وحاربوه، وأصروا على كفرهم، فجاهدهم بنفسه وماله، ولسانه ويده : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾[التحريم/ ٩] .
ولم يجاهد نبي وأمته مثل جهاد رسول الله ﷺ وأمته .
وهو ﷺ (البشير) الذي بشر من أطاعه بالجنة ،(النذير) الذي أنذر من عصاه بالنار : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤٥] .
وهو ﷺ (عبد الله) وقد شرفه الله بهذا الاسم في أعظم المقامات كما قال سبحانه : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان/ ١] .
وفي مقام الإسراء بقوله سبحانه: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء/ ١] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

وقد وصف الله رسوله بالعبودية في تسعة مواضع من القرآن .
٤٠- ومن دلائل عظيم قدره ﷺ أن الله نصره بالرعب مسيرة شهر من كل جهة ، فيلقي الله تعالى الرعب في قلوب أعدائه مسيره شهر ، حتى لو كان وحده بدون عسكر .
عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ ليَ الأرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ ليَ المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلي، وَأُعْطيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إلَى النَّاسِ عَامَّةً» متفق عليه[1].
٤١- أنه ﷺ رأى في المنام أنه أوتي مفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يده ، وحصل الأمر كما رأى ، فورثت أمته كنوز كسرى وقيصر وغيرها من الممالك .
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي» متفق عليه[2].
٤٢- ومن دلائل عظمة قدر النبي ﷺ أن أتباعه في ازدياد ، فلا يمر يوم إلا ودخل داخل في دين الإسلام ، بخلاف الأنبياء الآخرين : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر/ ١-٣].
٤٣- أن الشيطان لا يتمثل به ﷺ في المنام ، فمن رآه في المنام وكان الذي رآه كما جاء في صفته المذكورة في السنة، فقد رأى شخصه حقاً، ومنع الله الشيطان أن يتمثل في صورته؛ لئلا يكذب على لسانه في النوم .
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَآني فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآني ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي ». متفق عليه[3].
٤٤- أن ما بين بيته ﷺ ومنبره روضة من رياض الجنة ، أي كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة ، وحصول الخير والسعادة بما يحصل فيها من الأعمال الصالحة ، أو أن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة .

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٢١).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩٧٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٢٣).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١١٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٦٦).

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ ، وَمِنْبَرِي عَلى حَوْضِي» متفق عليه[1].

٤٥- ومن دلائل عظم قدره ﷺ عصمته من الشرك ، ومن الخطأ في مجال التبليغ، وعصمة نسبه من السفاح ، وعصمته من كبائر الذنوب ، وعصمته من رذائل الأخلاق : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [النجم/ ١ – ٥] .

٤٦- أن الصدقة محرمة عليه ﷺ ، وعلى آل بيته؛ لأنها أوساخ الناس، ولهذا كان بذلها طهرة للمال والشخص .

عَنْ عبدالمطلب بن ربيعة قَالَ: اجْتَمَعَ رَبِيعَةُ بْنُ الحَارِثِ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، فَقَالَا : والله لَوْ بَعَثْنَا هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ – وفيه – فقال رَسُولُ الله ﷺ :« إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَةَ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ » أخرجه مسلم[2].

٤٧- أن الله ﷻ أعانه على قرينه من الجن فأسلم ، فلا يأمره إلا بخير .

عَنْ ابن مسعود ﷺ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ :« مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ» قَالُوا : وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : « وَإِيَّايَ ، وَلَكِنَّ الله أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » أخرجه مسلم[3].

٤٨- ومن دلائل عظم قدره ﷺ تحريم نكاح زوجاته من بعده أبداً : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣ ﴾ [الأحزاب/ ٥٣].

٤٩- أن من سبه ﷺ، أو سب نبياً من الأنبياء ، فإن عقوبته القتل ، سواء كان مسلماً أو كافراً.

عَنْ عَلِيٍّ ﷺأَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ، فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ، فَأَبْطَلَ رَسُولُ الله ﷺ دَمَهَا. أخرجه أبوداود[4].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨٨٨) ، ومسلم برقم (١٣٩١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٠٧٢).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٤).
(٤) **صحيح** / أخرجه أبوداود برقم (٤٣٦٢).

٥٠- ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه لا ينبغي عنده التنازع ، فإنه ﷺ لما اختلف عنده بعض الصحابة عند وفاته، وكثر اللغط قال : « قُومُوا عَنِّي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ » متفق عليه(١).

بل إن رفع الصوت فوق صوته موجب لحبوط العمل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجرات/ ٢].

٥١- ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي، أو قتل نبياً.

عَنْ عبدالله بن مسعود ﷺ أن رَسُولَ الله ﷺ قال: « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا ، وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ المُمَثِّلِينَ» أخرجه أحمد (٢).

*   *   *   *   *

---

(١) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (١١٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٦٣٧).
(٢) **حسن /** أخرجه أحمد برقم (٣٨٥٨).

البـــاب التاسع

حقوق النبي ﷺ

وتشتمل على ما يلي :

١ - الإيمان بالنبي ﷺ
٢ - تصديقه ﷺ فيما أخبر
٣ - طاعته ﷺ فيما أمر
٤ - اجتناب ما نهى عنه ﷺ وزجر
٥ - أن لا يعبد الله إلا بما شرع ﷺ
٦ - تعظيم سنته ﷺ
٧ - التحاكم إلى شريعته ﷺ
٨ - هجر المعرضين عن سنته ﷺ
٩ - محبة النبي ﷺ
١٠ - الدعوة إلى دينه ﷺ
١١ - تـــوقـــيره ﷺ
١٢ - حسن الأدب معه ﷺ
١٣ - الدعاء للنبي ﷺ
١٤ - الذب عن ذاته ﷺ
١٥ - الذب عن دينه ﷺ
١٦ - توقير آل بيته ﷺ
١٧ - توقير زوجاته ﷺ
١٨ - توقير أصحابه ﷺ

حقوق النبي ﷺ

إن الإيمان بالله ﷻ يقتضي توحيده وطاعته، وتعظيمه وتكبيره، وحمده وشكره، وعبادته وحده لا شريك له، وغير ذلك من الحقوق العظمى الواجبة لله ﷻ .

وكذا الإيمان بالرسول ﷺ يقتضي توحيده بالاتباع ، وتصديقه ، وطاعته ، وغير ذلك من الحقوق الواجبة له ﷺ .

والقيام بحقوق النبي ﷺ هو الركن الأعظم من الدين بعد أداء حقوق الله ﷻ : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[آل عمران/ ٣٢] .

وعن تميم الداري رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :«الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ، قُلْنَا : لمَنْ ؟ قَالَ : «لله ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم[1] .

والنصيحة لرسول الله ﷺ تكون بتحقيق الأمور الآتية :

التصديق برسالته ونبوته .. والإيمان بكل ماجاء به .. وتصديقه فيما أخبر .. وطاعته فيما أمر .. واجتناب ما نهى عنه وزجر .. وألا نعبد الله إلا بماشرع .. ونصرته حياً وميتاً .. وموالاة من والاه .. ومعاداة من عاداه .. وتعظيمه وتوقيره .. وتعظيم سنته .. وإحياء دينه وطريقته .. وبث دعوته .. ونشر شريعته .. والتفقه في معانيها .. والتلطف في تعلمها وتعليمها .. والدعوة إليها.. والذب عنها .. والتأدب عند قراءتها .. وإعظامها وإجلالها .. ونفي التهمة عنها .. وعدم الكلام فيها بغير علم .. وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[الفتح/ ٨-٩] .

ومن حقوقه ﷺ التخلق بأخلاقه الكريمة .. والتأدب بآدابه الجميلة .. ومحبته ﷺ .. ومحبة آل بيته .. ومحبة أصحابه .. ومجانبة من ابتدع في دينه .. وهجر من تعرض لأحد من أصحابه .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

ومن حقوقه ﷺ الانقياد والتسليم لأمره .. وبذل النفوس والأموال دونه في حياته .. وإحياء سنته بعد موته : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٢١].

وحقوقه ﷺ كثيرة، والمؤمن حقاً من أداها كما جاءت في القرآن والسنة، واتبع نبيه ﷺ.

في خمسة أمور تجمع الحقوق كلها :

اتباعه ﷺ في توحيده وإيمانه.. وفي نيته وفكره.. وفي أقواله الحسنة .. وفي أعماله الصالحة .. وفي أخلاقه الكريمة .

وهذه حقوق النبي ﷺ كما جاءت في القرآن والسنة ، وقد أحصينا منها ثمانية عشر حقاً ، نسأل الله ﷻ أن يعيننا على أدائها ، وأن يرزقنا حسن العمل بموجبها، وأعلام الناس بها .

١ - الإيمان بالنبي ﷺ

الإيمان بالأنبياء والرسل أحد أركان الإيمان الستة كما في حديث جبريل أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال : «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» أخرجه مسلم[1].

والإيمان بالنبي ﷺ هو التصديق بنبوته ، وبما جاء به من الرسالة : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥] .

وقد أمرنا الله ﷻ بالإيمان بالله ورسوله في آيات كثيرة كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء/ ١٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

وقال جل جلاله : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح/ ٨-٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨).

٢- تصديقه ﷺ فيما أخبر

تصديق النبي ﷺ فيما جاء به من ربه ﷻ هو شطر الإيمان به ، فإن الإيمان به له ركنان: تصديق ماجاء به من الأخبار .. والانقياد لما جاء به من الأوامر : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء/ ٦٥].

وتصديق النبي ﷺ يتضمن التصديق بكل ماجاء به من أمور التوحيد والإيمان ، والشرائع والأحكام ، والأخبار والآداب : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة/ ٢] .

فكل ماجاء به ﷺ من الوحي حق يجب الإيمان به ، وتصديقه ، واتباعه : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[النجم/ ١ -٥]

فالنبي ﷺ جاء بالوحيين القرآن والسنة ، وهما أصدق الحديث ، وهو ﷺ أصدق الخلق ، ومن آمن به فيجب عليه أن يصدق بما جاء به : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل/ ٤٤] .

وأعظم من آمن به ﷺ وصدقه من هذه الأمة أبوبكر الصديق رضي الله عنه، فقد آمن به حق الإيمان ، وصدقه حق التصديق ، ثم اتبعه في كل ماجاء به ﷺ ، فهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، لكمال إيمانه وتصديقه واتباعه، ولذلك سمي أبوبكر الصديق: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الزمر/ ٣٣] .

فعلينا أن نؤمن به ﷺ ونصدقه، ونتبعه ، لنسعد في الدنيا والآخرة ، ونكون ممن يرافقه في الجنة مع الأنبياء والمؤمنين : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[النساء/ ٦٩ - ٧٠] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أَهْلَ الجنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ المشْرِقِ أَوِ المغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ،

قال: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ». متفق عليه(١).

وضد التصديق للنبي ﷺ التكذيب والشك والإعراض ، وذلك كله من نواقض تصديقه : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء/ ١١٥].

فليحذر العبد من ذلك ، لينجو من عقوبة ذلك : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور/ ٦٣] .

٣- طاعته ﷺ فيما أمر

الإيمان بالرسول ﷺ يقتضي طاعته في كل ماجاء به من ربه ﷻ ، وقد قرن الله طاعة رسوله بطاعته في آيات كثيرة تأكيداً لوجوب طاعته ﷺ فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[النساء/ ٥٩].

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران/ ١٣٢].

وقوله سبحانه : ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣٢] .

وقد ذكر الله طاعة الرسول ﷺ في ثلاثين موضعاً من القرآن الكريم .

وأعلم الله تعالى وأخبروأكد بأن من أطاع الرسول فقد أطاع الله بقوله : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾[النساء/ ٨٠] .

والرسول ﷺ إنما جاء بهذا الدين من عند الله ، فهو مبلغ عن الله ، ولم يأت بشيء من عند نفسه كما قال الله له : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف/ ١١٠] .

وقال سبحانه: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[المائدة/ ٦٧] .

وقد أمر الله ﷻ بطاعته ، وطاعة رسوله ، وطاعة أولي الأمر، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[النساء/ ٥٩].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٦)، ومسلم برقم (٢٨٣١)، واللفظ له.

فأعاد سبحانه (أطيعوا) مع الرسول إعلاماً بأن طاعة الرسول ﷺ تجب استقلالاً ، فإذا أمر وجبت طاعته ، سواء كان ما أمر به في القرآن ، أو لم يكن فيه ، فإنه أوتي القرآن ومثله معه وهي السنة .

ولم يأمر الله تعالى بطاعة أولي الأمر استقلالاً ، بل حذف الفعل (أطيعوا) ، وجعل طاعهتم ضمن طاعة الله ورسوله ، فمن أمر منهم بطاعة الله ورسوله وجبت طاعته ، ومن أمر منهم بخلاف ما جاء عن الله ورسوله فلا سمع له ولا طاعة .

عَنْ علي رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ الله، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ» متفق عليه[1].

وعَنْ علي رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه أحمد[2].

وأولو الأمر الذين تجب طاعتهم هم العلماء والأمراء ، فالعلماء ولاة أمرنا في بيان شريعة الله ، والأمراء ولاة أمرنا في تنفيذ شريعة الله على عباد الله .

وفي طاعة العلماء والأمراء في غير معصية الله الأمن والنجاة والسعادة ، وفي معصيتهم الفتن والخوف والشقاوة .

وأمرنا الله عز وجل عند التنازع في الأمور بالرد لحلها إلى الله والرسول فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[النساء/ ٥٩].

فالرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته ، والرد إلى سنته بعد وفاته .

فيجب علينا جميعاً تلقي كل ماجاء به الرسول ﷺ بالرضا والتسليم، والانقياد لأمره : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾ [الحشر/ ٧].

وقد أمرنا الله عز وجل باتباعه وطاعته ﷺ ، والاهتداء بهديه ، وتعظيم أمره ونهيه بقوله سبحانه : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾[الأعراف/ ١٥٨] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٢٥٧) ، ومسلم برقم (١٨٤٠) واللفظ له.

(٢) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (١٠٩٥).

وأخبر الله سبحانه أن الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة فقط بطاعة الله ورسوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب/ ٧١] .

وأكد النبي ﷺ على وجوب طاعته، وتواترت النصوص النبوية التي فيها الحث والتأكيد على وجوب طاعته واتباعه ، والانقياد لسنته ، وعدم مخالفة أمره .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى ، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، وَمَنْ يَأْبَى ؟ ، قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» أخرجه البخاري [١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى الله » متفق عليه[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ» أخرجه مسلم [٣].

فيجب على كل مسلم الانقياد لسنته، والمسارعة إلى طاعته في كل حال ، والاستجابة لأمره إذا علم به .

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي. قَالَ: «أَلَمْ يَقُلْ الله "اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحيِيكُم"» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ المَسْجِدِ؟» فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّكَ قُلْتَ لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنْ القُرْآنِ. قَالَ: «الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ » أخرجه البخاري [٤].

والله سبحانه إنما أرسل رسله ليطاعوا فيما جاؤوا به عن ربهم عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ٦٤﴾ [النساء/ ٦٤] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩٥٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٣٥).
(٣) أخرجه مسلم برقم (١٣٣٧).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٤٧٤).

وجميع الأنبياء والرسل أمروا أقوامهم بطاعتهم ، ليسعدوا ويفلحوا كما ذكر الله في سورة الشعراء عن نوح وهود وصالح وغيرهم ، وكلّ رسول قال لقومه : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾[الشعراء/ ١٠٧ – ١٠٨] .

وطاعة الرسول ﷺ تكون باتباع كل ما جاء في سنته ، والتأسي به في خمسة أمور :
في توحيده وإيمانه ، وفي نيته وفكره ، وفي أقواله الحسنة ، وفي أعماله الصالحة ، وفي أخلاقه الكريمة : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٢١] .

واتباع النبي ﷺ وطاعته دليل على محبة الله لعبده كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران/ ٣١] .

فمحبة الله ﷻ توجب اتباع الرسول ﷺ ، واتباع الرسول ﷺ يثمر محبة الله للعبد ، وهذه أعظم ، فليس الشأن أن تحب الله فقط ، بل الشأن كل الشأن أن يحبك الله ، ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت رسوله ﷺ ظاهراً وباطناً ، وصدقته خبراً ، وأطعته أمراً ، وآثرته طوعاً ، وقدمت حكمه على حكم غيره ، ومحبته على محبة غيره ، وطاعته على طاعة غيره .

ومن لوازم محبة الرسول ﷺ طاعته ، ولهذا أعقب الله تعالى آية المحبة بآية الأمر بطاعة الله ورسوله فقال : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾
[آل عمران/ ٣٢] .

وطاعة الرسول ﷺ فيها حياة القلوب والأرواح،والحياة النافعة الطيبة تحصل بالطاعة والاستجابة لله ورسوله كما قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾
[الأنفال/ ٢٤].

فمن استجاب لله والرسول ظاهراً وباطناً فهم أحياء وإن ماتوا ، ومن لم يستجب فهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان.

وأكمل الناس حياة ، وأسعدهم حياة هو رسول الله ﷺ ، فيجب على الخلق طاعته والانقياد لأمره ، لأن كل ماجاء به ودعا إليه فيه أكمل الحياة ، فمن أطاعه فيما جاء به حيا وحسنت حياته ، ومن فاته جزء مما جاء به فاته جزء من الحياة ، ومن أعرض عما جاء به فهو ميت بين الأحياء : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي

﴿ ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾
[الأنعام/ ١٢٢].

وكل أحد سوف يُسأل يوم القيامة عن طاعة الرسول ﷺ أو معصيته كما قال سبحانه : ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦٥ ﴾ [القصص/ ٦٥].

فمن أطاع الله ورسوله ﷺ وأرضاه ، وأدخله الجنة يوم القيامة ونال من ربه أجره وثوابه: ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ ﴾ [النساء/ ١٣].

وهؤلاء رفقاؤه وجلساؤه ﷺ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾ [النساء/ ٦٩ – ٧٠].

ومن عصى الله ورسوله سخط الله عليه ، فشقى في الدنيا ، وأدخله النار يوم القيامة : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾ [النساء/ ١٤].

وهؤلاء جنود إبليس وأتباعه: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ٩٣ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ٩٥ ﴾
[الشعراء/ ٩١ – ٩٥].

وكل من عصى الله ورسوله فسوف يندم أشد الندم حين لاينفع الندم : ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩ ﴾
[الفرقان/ ٢٧ – ٢٩].

فالناس في هذه الدنيا إما أحياء أو أموات ، أو مؤمنون وكافرون ، أو أهل طاعه وأهل معصية ، ولكل درجات أو دركات مما عملوا : ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

وعن أبي موسى ﷺ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ الله بِهِ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ ، فَقَالَ : يَا قَوْمِ ، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ» متفق عليه(١).

وأكمل الناس طاعة ومحبة واتباعاً لرسول الله ﷺ هم الصحابة رضي الله عنهم ، والذين اتبعوهم بإحسان من هذه الأمة : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة/ ١٠٠] .

هؤلاء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، يدورون مع النصوص حيث دارت، ويحكمون بها على أنفسهم وعلى غيرهم ، ويحكمون على الرجل أنه على الصراط المستقيم ما كان على الأثر : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧ – ١٨] .

وكمال انقياد الصحابة لنبيهم ﷺ ، وحسن طاعتهم له ، وصدق اتباعهم لما جاء به ، فقد أثنى عليهم ﷺ ، وحذر من سبهم.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ». متفق عليه(٢).

وعَنْ عمران بن حصين ﷺ قَالَ: قال النبي ﷺ :« خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» متفق عليه (٣).

ولما كانت طاعة الرسول ﷺ بهذه المنزلة العظيمة ، والمكانة العالية ، وهي من أعظم أسباب محبة الله لعبده ، فحري بنا أن نجتهد لتحقيقها في حياتنا ظاهراً وباطناً ، قولاً وعملاً.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٢) ، ومسلم برقم (٢٢٨٣) واللفظ له.
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٥٤٠)، واللفظ له.
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٥١) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٣٥).

والأسباب المعينة على طاعة الرسول ﷺ كثيرة وهذه أهمها :

١- أن يلجأ العبد إلى ربه ، وأن يتضرع بين يديه ، ويظهر الافتقار والحاجة إليه ، بأن يهديه الصراط المستقيم ، ويعينه على طاعة الرسول ﷺ ، وحسن التعامل بما جاء به ، وهذا دعاء المسلم في كل صلاة : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)** ﴾[الفاتحة/ ٥ -٦] .

والحق الذي جاء به الرسول ﷺ كله بيِّن ، ومن اشتبه عليه الحق ، أو أخفي عليه ، أو أشكل عليه فهمه ، فلا يستقل بفهمه الخاص ، بل يدعو ربه أن يهديه للحق كما كان يفعل النبي ﷺ : ﴿ **أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)** ﴾[يونس/ ٣٥] .

﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)** ﴾[غافر/ ٦٠].

وعن أَبِي سَلَمَةَ بْن عَبْدِ الرَّحْمَن قَالَ: سَالتُ عَائِشَةَ أُمَّ المؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ الله ﷺ يَفْتَتِحُ صَلاَتَهُ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ؟

قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ « اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لمِاَ اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أخرجه مسلم[1].

٢- تدبر القرآن الكريم .

فمن تدبر آيات القرآن الكريم ، وتأملها حق التأمل ، دله القرآن على كل خير ، وحذره من كل شر ، وملأ قلبه بالإيمان ، وأوصله إلى مايحبه الله ويرضاه : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)** ﴾[محمد/ ٢٤] .

والقرآن فيه تبيان كل شيء ، ومن تدبره بان له الطريق الموصلة إلى الله، وإلى رضوانه، وإلى جنته، وإلى رحمته: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)** ﴾[الأنعام/ ١٥٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠).

واستبان له الطريق المعوج الموصل إلى عذاب الله، وإلى نار الله الموقدة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٦٨].

فهؤلاء أهل الجنة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة/ ٧٢].

٣- صحبة العلماء الربانيين ، وحضور مجالسهم .

من أعظم الأسباب التي تعين على طاعة الرسول ﷺ واتباعه صحبة العلماء والأخيار، لأن الصاحب ساحب وقائد ، فإن كان الصاحب صاحب سنة واتباع حمله على ذلك، وإن كان الصاحب صاحب بدعة وفسوق حمله على ذلك : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف/ ٢٨] .

وقد أمر الله عباده بلزوم بيئة الإيمان والتقوى فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة/ ١١٩].

وحذر سبحانه من بيئة الأهواء والفجور والفسوق فقال : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[الأنعام/ ٦٨] .

والرجل دائماً على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل .

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ ، فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الكِيرِ ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً». متفق عليه[1] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ » أخرجه أبوداود والترمذي[2].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٥٣٤)، ومسلم برقم (٢٦٢٨) واللفظ له.

(٢) حسن/ أخرجه أبوداود برقم (٤٨٣٣) ، وأخرجه الترمذي برقم (٢٣٧٨).

٤ – اجتناب مانهى عنه ﷺ وزجر

الطاعة ضد المعصية ، وضد طاعة النبي ﷺ معصيته ، وكما أمر الله ﷻ بطاعة الله ورسوله ، فقد نهى كذلك عن معصية الله ورسوله في آيات كثيرة .

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء/ ١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان/ ٢٧ – ٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/ ١١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور/ ٦٣] .

وعن أبي هريرة ؓ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« ..إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ» أخرجه مسلم[1].

ومعصية الرسول ﷺ سبب للعقوبة في الدنيا قبل الآخرة .

عن سلمة بن الأكوع ؓ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لَاأَسْتَطِيعُ ، قَالَ: « لَا اسْتَطَعْتَ »مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ . قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. أخرجه مسلم[2].

وعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ؓ قَالَ : غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ – وفيه – فَلَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٣٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٤٨٢).

فَلْيَعْقِلْهُ ، فَعَقَلْنَاهَا ، وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، فَقَامَ رَجُلٌ فَالقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ . متفق عليه[1].

ومعصية النبي ﷺ أربعة أنواع :

صغائر .. وكبائر .. وبدع .. وكفر .

١- فالصغيرة كل ذنب لم يرد فيه حد الدنيا ، ولا وعيد خاص في الآخرة.

والإصرارعلى الصغيرة،وعدم التوبة منها، يجعلها كبيرة، ومحقرات الذنوب يجتمعن على العبد حتى يهلكنه : ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ [الطلاق/ ١] .

٢- والكبيرة كل ذنب ورد في القرآن أو السنة في حق فاعله لعنة أو غضب أو حد أو وعيد بالنار كالربا والزنا، والظلم والكذب، والسرقة وشرب الخمر، وقطيعة الأرحام ونحو ذلك .

وصاحب الكبيرة إذا لم يتب يكون تحت المشيئة في الآخرة ، إن شاء الله عذبه في النار بقدر ذنبه ثم أخرجه، وإن شاء غفر له : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ [النساء/ ٣١] .

والواجب على المسلم الحذر من الصغائر والكبائر، واتباع الرسول ﷺ؛ لينجو من العقوبة ، وتسلم له دنياه وآخرته : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر/ ٧] .

٣- والبدعة هي إحداث اعتقاد أو عبادة في الدين لم تأت به الشريعة : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء/ ١١٥] .

وعَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفق عليه[2].

٤- والكفر هو ارتكاب شيء من نواقض الإسلام كعبادة غيرالله من الأنبياء والصالحين، أو عبادة الأصنام من أشجار وأحجار ، أو سب الله أو رسوله ، أو الاستهزاء بالدين ، أو رد شيء من الدين معلوم بالضرورة كالإيمان بالله ورسوله ووجوب الصلاة والزكاة،

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٤٨١) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٣٩٢).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨).

ونحو ذلك من النواقض : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ ﴾[النساء/ ١٥٠-١٥١].

وقد صرف الشيطان أكثر الخلق عن طاعة الله ورسوله ، وجرهم إلى معصية الله ورسوله ، فجرهم من المباحات ، ثم إلى الصغائر ، ثم إلى الكبائر ، ثم إلى الكفر : ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[سبأ/ ٢٠].

وقد حذرنا الله سبحانه من طاعة الشيطان واتباعه فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾

[البقرة/ ٢٠٨].

ودوافع معصية الرسول ﷺ بأنواعها الأربعة السابقة ثمرة ثلاثة أمور :

اتباع الهوى .. القول بالرأي .. التقليد الأعمى .

١- فاتباع هوى النفس يقود إلى أنواع المعاصي الأربع كلها : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص/ ٢٦].

فاتباع الهوى يقود إلى ارتكاب الصغائر كالنظرة الحرام مثلاً ، ويقود كذلك إلى ارتكاب الكبائر كالكذب والغيبة وأكل الربا والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك من المعاصي التي ورد في شأنها الوعيد الشديد لمن ارتكبها .

واتباع الهوى يقود إلى الوقوع في البدع المكفرة وغير المكفرة ، والبدع القولية والعملية : ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾

[القصص/ ٥٠].

واتباع هوى النفس يقود كذلك إلى الكفر ، فقد يعرف الإنسان الحق ثم يعرض عنه ، ويكفر به ، تقليداً لآبائه وعشيرته كما فعل أبو طالب حين رفض الدخول في الإسلام ، ليس كراهية للحق ، ولكنه أنفة وخوفاً من ملامة قومه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾

[لقمان/ ٢١].

واتباع هوى النفس يقود إلى الاستكبار عن الحق ، ورد الأمر على الآمر ، كما فعل إبليس حين أمره الله بالسجود لآدم فامتنع : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة/ ٣٤] .

واتباع الهوى يقود الإنسان إلى الحسد ، كما رد اليهود دعوة النبي ﷺ حسداً للعرب أن خرج منهم نبي، وإلا فإنهم يعرفون أنه نبي كما يعرفون أبناءهم : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[البقرة/ ١٤٦].

٢- القول بالرأي: والمقصود به الرأي الباطل الذي ليس له مستند صحيح من نص شرعي أو قياس صحيح، وإنما مستنده الإعجاب بالعقل، وتقديم ما يستحسنه العقل على النقل، أو القياس الخاطئ، أو الاستحسان .

فالإعجاب بالعقل مثلاً رد حديث الذباب؛ لأن العقل يقول لا يزيده غمسه في الماء إلا داءً، ولكن الطب الحديث أكد صحة معنى الحديث .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ، ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً، وَفِي الآخَرِ دَاءً» أخرجه البخاري(1) .

وأما القياس الخاطئ فيقع فيه من لا يعرف ضوابط القياس الشرعي الصحيح.

وأما الاستحسان فغالبه استحسان لم تأت به الشريعة،وهوما يعرف بالبدع، ومن أمثلة ذلك:

عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا.

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ.

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا.

فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ:«أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَالله إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لله، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» متفق عليه (2).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٨٢).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٤٠١).

ولو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه عند المسح، ولكان ترك التيمم بالتراب أولى من فعله .

فيجب علينا الاعتصام بالقرآن والسنة، والحذر من الآراء والبدع، وعدم العمل والإفتاء إلا بقرآن ناطق أو سنة ما ضية : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

فأعظم صنم معبود من دون الله هو اتباع هوى النفس الموجود داخل الإنسان : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف/ ٥٣] .

ورأس الضلالة اتباع الهوى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص/ ٥٠] .

فاتبع رسول الهدى ﷺ ، ولا تخالف أمره فتهلك : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور/ ٦٣] .

٣- التقليد الأعمى: وهو العمل بحكم بدون معرفة دليله، ولا تمحيص لصحته، وإنما تقليد لما عليه الآباء أو علماء السوء أو غيرهم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [المائدة/ ١٠٤] .

والتقليد الأعمى هو الدافع الثالث من دوافع معصية الرسول ﷺ .

والواجب على المسلم اتباع النبي ﷺ بالدليل الشرعي من القرآن والسنة أو أحدهما : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

وخطر التقليد أنه يكمن في اتباع قول باطل بدون دليل شرعي، والاتباع بالدليل الشرعي وسط بين طرفين هما: التقليد، واتباع الرأي.

فإن التقليد فيه تعطيل للعقل، واتباع الرأي فيه تقديم العقل على النقل، وأما الاتباع فهو تسليم العقل لما يوجبه النقل : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

[النساء/ ٦٥] .

والواجب على كل مسلم يشهد ((أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)) توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وتوحيد رسوله ﷺ بالاتباع.

وأن يعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم أصحاب رسول الله ﷺ ، فلا ينتصر لشخص انتصاراً عاماً مطلقاً إلا لرسول الله ﷺ ، فالحق والهدى يدور مع الرسول ﷺ حيث دار، ويدور مع أصحابه ﷺ دون أصحاب غيره حيث داروا، أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوباً، وأصدقها إيماناً، وأعمقها علماً، وأحسنها اتباعاً : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح/ ٢٩] .

والعامي من المسلمين عليه أن يجتهد في اختيار العالم الرباني الذي يقلده عند النازلة، فيختار العالم الشديد التمسك بالسنة، الشديد الخوف من الله : ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[النحل/ ٤٣] .

فمن أراد النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة فليعتصم بالكتاب والسنة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت/ ٣٠-٣٢] .

٥- أن لا يعبد الله إلا بما شرع ﷺ

من أعظم حقوق النبي ﷺ الاعتصام بسنته ، والحذر من البدعة في دينه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر/ ٧] .

عن عُمَرَ بْن الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» متفق عليه [١].

عَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفق عليه [٢].

وعَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » أخرجه مسلم [٣].

فحديث عائشة هذا ميزان للأعمال الظاهرة ، وحديث عمر رضي الله عنه «إنما الأعمال بالنيات» ميزان الأعمال الباطنة ، ودين الإسلام كله يقوم على هذين الأصلين العظيمين .

فكل عمل لا يراد به وجه الله ﷻ فهو باطل لا ثواب فيه ، وكل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فمردود على عامله : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠] .

وعن العِرْبَاض بن سارية رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟.

فَقَالَ : «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا،فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » أخرجه أبوداود والترمذي [٤].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١) ، ومسلم برقم (١٩٠٧).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨).
(٣) أخرجه مسلم برقم (١٧٢١).
(٤) **صحيح** / أخرجه أبوداود برقم (٤٦٠٧) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٢٦٧٦).

وإذا استشرى وانتشر في الأمة اتباع الهوى ، وترك الهدى ، فتح الشيطان للناس أبواب المعاصي بأنواعها، والتقليد الأعمى، والآراء الباطلة، والبدع المختلفة.

وهذا مربع الشر الأعظم الذي يفتك بعقيدة المسلمين ، وينقلهم من السنة إلى البدعة، ومن الهدى إلى الضلال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦ ﴾[البقرة/ ١٦] .

وعن حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ ﷺ قال : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا الله بِهَذَا الخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟قَالَ : « نَعَمْ » قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ : «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ».

قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ » قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : «نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا » قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله صِفْهُمْ لَنَا.

فَقَالَ : «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِنَتِنَا » قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ : «تَلْزَمُ جمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لهُمْ جمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» متفق عليه [١].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦٠٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٤٧).

٦- تعظيم سنته ﷺ

من أعظم حقوقه ﷺ تعظيم سنته، وتعظيم سنته يقتضي العمل بشريعته ، والاقتداء بسنته، وامتثال أوامره، وتحكيم كل ما جاء به، والرضا بحكمه، والتسليم له، والسعي في إظهار دينه ، وتبليغ رسالته للناس ، ودعوتهم للإيمان به : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء/ ٦٥].

ومن تعظيم سنته ﷺ طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[الفتح/ ٨-٩].

ومن تعظيم سنته ﷺ تعلُّم ما جاء به ، والعمل به ، وتعليمه الناس : ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران/ ٧٩] .

ومن تعظيم سنته ﷺ توقير حديثه، والتأدب عند سماعه، والوقار عند دراسته، والإصغاء إلى حديثه كأنه يتكلم به، وتوقير مجلس الحديث، والتحفز لاستباق العمل به،تعظيماً له.

ومن تعظيم سنته ﷺ نصر ما جاء به ، والذب عن سنته ، والدفاع عنها ، والحب والبغض لأجله ، وجهاد من خالفه ، والبعد عن معصيته ، والاستغفار عما وقع من التقصير في حقه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران/ ١٠٤].

وتعظيم سنته ﷺ يقتضي إجلال العاملين بها ، والمعلمين لها ، وتقديرهم وتوقيرهم ، خاصة العلماء منهم؛ لأنهم كالنجوم زينة لأهل الأرض ، وعلامات يهتدي بها الناس إلى الحق ، ورجوماً لأهل البدع والضلال ، وهم الأمنة والأمناء على ميراث النبوة :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر/ ٢٨].

وقال سبحانه عن علمهم وعبادتهم : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩].

وقال ﷻ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد/ ١٩].

٧ – التحاكم إلى شريعته ﷺ

الإيمان بالنبي ﷺ يقتضي التحاكم إلى شريعته ، والرضا بحكمه ، والتسليم لأمره : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥] .

وعن العباس رضي الله عنه أن رَسُولُ الله ﷺ قال: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا، وَبالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» أخرجه مسلم[1] .

لهذا يجب التسليم الكامل، والانقياد التام، لكل ما حكم به الله ورسوله، وليس في ذلك اختيار بل الواجب السمع والطاعة، والانقياد والتسليم، لكل ما جاء في الشريعة: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور/ ٥١] .

فيجب على كل من آمن بالله ورسوله السمع والطاعة ، وعدم مخالفة أمر الله ورسوله؛ لأن ذلك من موجبات الإيمان بالله ورسوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٣٦] .

فلا يؤمن أحد من الناس حتى يحكِّم الرسول ﷺ في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهراً وباطناً، والتسليم الكامل لما حكم به من غير ممانعة ، ولا مدافعة ، ولا منازعة ، وأخذه بقبول ورضى وانشراح صدر : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥] .

فالمؤمن حقاً ، والسعيد حقاً هو من انقاد لما حكم به رسول الله ﷺ طوعاً ورضىً وتسليماً، لا تسليم قهر كما يستسلم المقهور لمن قهره كرها .

بل يُسلِّم تسليم عبد مطيع لسيده ومولاه الذي هو أحب الخلق إليه ، لعلمه أن سعادته وفلاحه في تسليمه إليه، وأنه أولى به من نفسه، وأرحم بها منه، وأنصح له منها، وأعلم بمصالحه منها : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٨] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

وإذا علم العبد هذا من الرسول ﷺ استسلم له ، وانقادت كل ذرة من قلبه إليه ، ورأى أنه لا فلاح ولا سعادة له إلا بهذا التسليم المطلق : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٧١].

وضد التحاكم إلى شريعته ﷺ الإعراض عنها ، وعدم التحاكم إليها ، وهذا من أكبر علاقات الزيغ والنفاق : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾[النساء/ ٦٠-٦١].

ولا إيمان ولا فلاح، ولا نجاة ولا سعادة، إلا بتحكيم شريعته ﷺ في كل شيء: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة/ ٤٩-٥٠].

٨ – هجر المعرضين عن سنته ﷺ

ومن حقوقه ﷺ على أمته مجانبة الراغبين عن سنته من أهل الأهواء والبدع والضلال؛ لئلا يُلبسوا على المسلم دينه، أو يغمسوه في ضلالتهم، وليكون في هجره لهم تأديباً لهم، لعلهم يتوبون من بدعتهم : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[الأنعام/ ٦٨].

والصاحب ساحب إلى سنة أو بدعة ، ومن جالس الصالحين زاد صلاحه ، وحسن دينه ، ومن جالس أهل الزيغ والفساد زاغ قلبه ، وفسد دينه .

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:« إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تجَدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» متفق عليه[1].

ولا شك أن من جالس صاحب بدعة وهوى لم يسلم من إحدى ثلاث آفات :

إما أن يكون فتنه لغيره .. وإما أن يقع في قلبه شيء يضره .. وإما أن يعجب بنفسه ، ويثق بعلمه وإيمانه ، ويقول: والله لا أبالي بهم ، ومَنْ أَمِن الله على دينه طرفة عين سلبه

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٥٣٤)، ومسلم برقم (٢٦٢٨) واللفظ له.

الله إياه ، فقال على الله غير الحق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنفال/ ٢٤-٢٥] .

فعلى المسلم أن يلزم مجالس أهل الإيمان والتقوى، ويتجنب مجالس أهل البدع والأهواء : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف/ ٢٨] .

وأعظم من ينبغي الحذرمن مجالستهم هم المنافقون ، وأهل البدع العقائدية والعملية، وأهل الأهواء المضلة : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[النساء/ ١٤٠] .

٩- محبة النبي ﷺ

حب النبي ﷺ وتوقيره ، وتعظيم سنته ، واتباعه، من لوازم الإيمان به ، ومن أصول الدين التي أوجبها الله على العباد : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف/ ١٥٨] .

وكمال محبة النبي ﷺ يكون بتقديم محبته على محبة النفس والمال والوالد والولد والناس أجمعين؛ لأنه ﷺ أولى بكل مؤمن نفسه كما قال سبحانه عنه : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ ﴾[الأحزاب/ ٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:«مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ اقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ " النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ " فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ ». متفق عليه[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » متفق عليه[2].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٣٩٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٦١٩).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٤).

وعن عمر ﷺ أنه قال : يَا رَسُولَ الله، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، فقال النبي الله ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَالله لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ» أخرجه البخاري(١).

وكمال المحبة أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فلا يكتفي المسلم بأصل الحب ، بل لابد أن يقدم حب الله ورسوله على حب كل محبوب سواهما ، ليحصل للعبد كمال الإيمان ، ويذوق حلاوته : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة/ ١٦٥].

وعن أنس ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ ». متفق عليه(٢)

وقد جاء ذكر محبة الرسول ﷺ مقترناً بمحبة الله ﷻ في عدة نصوص من القرآن والسنة، وذلك لعظيم شأن محبته ﷺ، ومدى الصلة الوثيقة بين محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ .

وفي هذا الاقتران إعلام بعظيم قدر محبة النبي ﷺ ، وإشعار بأهميتها ، وإشارة إلى علو مكانتها .

وكل حب وتعظيم للبشر فإنما يجوز إذا كان تبعاً لمحبة الله وتعظيمه ، كمحبة رسول الله وتعظيمه ، فإنها من تمام محبة من أرسله وتعظيمه .

وأمته ﷺ يحبونه لمحبة الله له ، ويجلونه لإجلال الله له: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ ﴾ [الفتح/ ٨-٩].

وكذلك محبة الصحابة ، وأهل العلم والإيمان ، وإجلالهم وإكرامهم ، كل ذلك تابع لمحبة الله ورسوله لهم .

والمحبة التامة الكاملة لله ورسوله تقتضي من العبد حب كل ما يحبه الله ورسوله ، وكره كل ما يكرهه الله ورسوله ، كما تقتضي طاعة الله ورسوله في كل أمر، ومعصية

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٦٣٢).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٣).

أعداء الله ورسوله من شياطين الإنس والجن : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣١ – ٣٢] .

ومن أعظم دلائل الحب الصادق للرسول ﷺ موافقة الرسول ﷺ في حب ما يحبه، وكره ما يكرهه، فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه، أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى بما يرضى به الله ورسوله، ويسخط ما يسخطه الله ورسوله، ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٦١-٦٣] .

فإن عمل المسلم بجوارحه شيئاً يخالف أمر الله ورسوله دل ذلك على نقص محبة الله ورسوله ﷺ ، فعليه أن يتوب ، ويسعى لتكميل المحبة الواجبة ، لتأتي الطاعة الكاملة، ويحصل له الثواب الكامل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

وجميع المعاصي والذنوب إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله ، ومحبة ما يحبه الله ورسوله كما قال سبحانه : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص/ ٥٠] .

وكذلك البدع تنشأ من تقديم الهوى على الشرع : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [المائدة/ ٤٩] .

فيجب على كل مؤمن ومؤمنة محبة الله جل جلاله ، ومحبة من يحبه الله من الملائكة والأنبياء والرسل، ومحبة المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين عموماً.

ومن أحب لله وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان ، وفاز بكريم الأجر والثواب : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال/ ٢ – ٤] .

والمؤمن يوالي في الله ، ويعادي في الله ، والمؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك ، والكافر تجب معاداته وإن أكرمك وأحسن إليك ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[الممتحنة/ ٤] .

وإذا اجتمع في الإنسان خير وشر، أو طاعة ومعصية، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[الممتحنة/ ٨] .

وقال سبحانه : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[المجادلة/ ٢٢] .

ومن دلائل الصدق في محبة النبي ﷺ تمني رؤية وصحبة النبي ﷺ في الآخرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولُ الله ﷺ قال : « مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ » أخرجه مسلم(١).

ومن دلائل الصدق في محبة النبي ﷺ الاقتداء به في كل ما جاء به ، والاجتهاد في الأعمال التي تقرب لرؤية وصحبة النبي ﷺ في الآخرة ، مثل التحلي بالأخلاق الفاضلة ، والصفات الحسنة .

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: «إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقاً». متفق عليه(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٢١).

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا» أخرجه الترمذي [(١)].

وعَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا. أخرجه البخاري [(٢)].

والناس باعتبار الحب والبغض في الله ثلاثة أقسام:

الأول: من نحبه جملة: وهو من آمن بالله ورسوله، وقام بوظائف الإسلام، فامتثل أوامر الله ورسوله، وأخلص أقواله وأفعاله لله وحده لا شريك له.

الثاني: من نبغضه جملة: وهو كل من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، أو أشرك بالله في أسمائه وصفاته وعبادته: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة/ ٢٢].

الثالث: من نحبه من وجه، ونبغضه من وجه: وهو المسلم الذي خلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات/ ١٠].

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٣].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَالله مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ» أخرجه البخاري [(٣)].

---

(١) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٠١٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٣٠٤).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٧٨٠).

وفضائل محبة النبي ﷺ كثيرة منها :

١- أن من أحب الرسول ﷺ كان معه في الآخرة : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[النساء/ ٦٩ – ٧٠] .

٢- أن اتباع الرسول ﷺ سبب لمحبة الله لعبده: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران/ ٣١] .

وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ ، فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ : «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لهَا ؟ » قَالَ : لَا شَيْءَ ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ، فَقَالَ : «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ».
قَالَ أَنَسٌ : فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ »، قَالَ أَنَسٌ : فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لمَ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالهِمْ .متفق عليه(١)

ونحن نقول إننا نحب الله ورسوله، ونحب جميع أصحاب النبي ﷺ ، ونحب جميع المؤمنين والمؤمنات، ونرجو أن نكون معهم وإن لم نعمل بمثل أعمالهم.

- **الأسباب المعينة على حب النبي ﷺ:**

الأسباب المعينة الجالبة لحب النبي ﷺ كثيرة أهمها :

١- معرفة صفات النبي ﷺ الكريمة ، وأخلاقه العظيمة ، فما من صفة حميدة إلا وقد تحلى بها النبي ﷺ ، وما من خلق سيء إلا والنبي ﷺ منزه عنه ، فهو كما قال عنه ربه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم/ ٤] .

ومن أعظم صفاته ﷺ الكريمة الصدق، والأمانة، والرحمة، والإحسان، والعفو، والكرم، والإيثار، والشجاعة وغيرها من الأخلاق الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[الأحزاب/ ٤٥].

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ – وفيه- أنه قال لخديجة: «مالي فقد خشيت على نفسي» فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَالله لَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا، وَالله إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦٨٨) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٣٩).

الحَدِيثَ، وَتحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوائِبِ الحَقِّ. متفق عليه(1).

وعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قُلْتُ: أَخبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ الله ﷺ فِي التَّوْرَاةِ قَالَ: أَجَلْ، وَالله إِنَّهُ لمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا". أخرجه البخاري (2).

وغير ذلك من أخلاقه الكريمة الواردة في السنة النبوية .

٢- تذكر شفقته ﷺ على أمته ، ورحمته لهم ، وخوفه عليهم من عذاب الآخرة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة/ ٢] .

وقال ﷻ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة/ ١٢٨] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ ، يَقُولُ : «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ، جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا ، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا» متفق عليه(3).

٣- ومما يقوي محبة النبي ﷺ في القلوب معرفة تضحياته من أجل هداية أمته وسعادتهم، وشفقته عليهم ، فقد بذل ﷺ كل شيء من أجل دعوة الناس إلى الله ، وترك كل شيء من أجل ذلك ، حتى أظهر الله دينه، ودخل الناس في الله أفواجاً .

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة/ ١٢٨] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٩٥٣) ، ومسلم برقم (١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢١٢٥).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٢٨٤).

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي الله وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ،وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي الله وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ ، وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ» أخرجه الترمذي[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ.

فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي ، فَقَالَ : إِنَّ الله قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » متفق عليه[2].

وعنْ ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ : لمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ نَاسًا ، أَعْطَى الأَقْرَعَ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى نَاسًا، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا أُرِيدَ بِهَذِهِ القِسْمَةِ وَجْهُ الله، فَقُلْتُ: لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ .قَالَ :«رَحِمَ الله مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» متفق عليه[3].

٤- الإكثار من قراءة كتب السيرة النبوية ، وتذكر حياته وسيرته ﷺ ، والاطلاع على أحواله وأعماله ، ودعوته وجهاده وصبره وحلمه، في سبيل إبلاغ الرسالة.

ومعرفة ذلك مما يقوي محبته ، ويسهل الاقتداء به : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٢١].

---

(١) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٤٧٢).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٧٩٥).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٣٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٠٦٢).

١٠- الدعوة إلى دينه ﷺ

ومن أعظم حقوقه ﷺ العمل بما جاء به، ونشر سنته، وإبلاغ دينه للناس كافة كما قال سبحانه: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

فكل مسلم نائب النبي ﷺ في أمته بعد وفاته في الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى الخلق: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

والدعوة إلى الله أفضل الأعمال، ولهذا شرف الله بها هذه الأمة مع رسولها ﷺ كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف/ ١٠٨].

والدعوة إلى الله واجبة على كل الأمة رجالاً ونساء، كل بحسبه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» أخرجه البخاري[1].

والأدلة على فضائل الدعوة إلى الله ووجوبها، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كثيرة جداً في القرآن والسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠].

وقال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل/ ١٢٥].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

وعن سهل بن سعد ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ لعلي ﵁ :«انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله فِيهِ ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» متفق عليه[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» أخرجه مسلم[2].

وعن ابن مسعود ﵁ قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» أخرجه الترمذي[3].

والنبي ﷺ بعثه الله رحمة للعالمين بما جاء به من هذا الدين العظيم : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

وأهل الأهواء والبدع لا يحبون نشر السنة النبوية ، بل يسعون لكتمانها ، وينهون عن إشاعتها وإبلاغها ، خلافاً لما أمر الله ورسوله به من وجوب البلاغ على جميع الأمة كما قال ﷺ : «لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الغَائِبَ» متفق عليه[4].

وقد ذم الله عز وجل في كتابه الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾ [البقرة/ ١٥٩ – ١٦٠].

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ ﴾ [البقرة/ ١٧٤].

ومن بلَّغ رسالة ربه حفظه الله من عدوه، وأجزل له الأجر والمثوبة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة/ ٦٧].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢١٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٤٠٦).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).
(٣) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٦٥٧).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٧٤١) ، ومسلم برقم (١٦٧٩) واللفظ له.

١١- توقيره ﷺ

من حقوقه ﷺ وجوب توقيره وتعظيمه، وتعظيم سنته، والتوقير هو التعظيم والإجلال والإكرام: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح/ ٨-٩].

فالإيمان بالله والرسول، والتعزير والتوقير للرسول، والتسبيح بكرة وأصيلاً لله وحده.

والتعزير التقوية بالنصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال له.

والمؤمنون به ﷺ حقاً، القائمون بحقوقه صدقاً هم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٧].

ومن أعظم دلائل توقير الله تعالى لنبيه ﷺ أنه خصه في المخاطبة بما يليق به من الإجلال والتكريم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾.

وأمر سبحانه الأمة بحسن خطابه ودعائه ﷺ فقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ [النور/ ٦٣].

ومن توقير الله عز وجل لنبيه ﷺ تحريم إيذائه بقول أو فعل، تحريم نكاح أزواجه من بعده أبداً كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٥٣].

وإجلالاً وإكراماً له ﷺ جعل أزواجه أمهات للمؤمنين جميعاً كما قال سبحانه: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب/ ٦].

وأعظم الخلق توقيراً واتباعاً للنبي ﷺ هم الصحابة رضي الله عنهم، فلا يتجادلون في مجلسه ﷺ، ولا يرفعون أصواتهم أمامه بحوار أو نقاش، وإنما يجلونه ويوقرونه، ولا يرفعون رؤوسهم إليه إعظاماً له؛ عملا بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات/ ٢].

ومن تعظيم الصحابة للنبي ﷺ ، وتوقيرهم له ما رواه عروة بن مسعود الثقفي لما أتى للتفاوض مع النبي ﷺ في صلح الحديبية ، وكان إذ ذاك مشركاً ، فرأى من تعظيم الصحابة للرسول ﷺ ما هاله ، فقال لقريش عندما رجع إليهم: أَيْ قَوْم ، وَالله لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَالله إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ، وَالله إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ.أخرجه البخاري[1] .

وتعظيم النبي ﷺ وتوقيره يكون بثلاثة أشياء :

بالقلب .. واللسان .. والجوارح.

١- فتعظيم القلب له ﷺ يكون باستشعاره لهيبته ﷺ ، وعظيم شأنه ، وجلالة قدره ، واستحضاره لمحاسنه وأخلاقه، ومكانته ومنزلته، وكل ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكراً لحقه من التعظيم والتوقير والتعزير والإكرام: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة/ ١٢٨].

٢- أما تعظيم اللسان له ﷺ فيكون بالثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به عليه ربه ، وأثنى هو على نفسه ، من غير غلو ولا تقصير ، ومن أعظم ذلك الصلاة والسلام عليه كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب/ ٥٦] .

وأفضل أنواع الصلاة عليه ما نقوله في التشهد في الصلاة : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » متفق عليه[2].

ومن تعظيم اللسان له ﷺ تعداد فضائله ، وخصائصه ، ودلائل نبوته ، وإعلام الناس بسيرته ، وتعليمهم سنته ، وتذكيرهم بمكانته ، وتعريفهم بحقوقه ، وتذكيرهم بدعوته وجهاده ، والثناء عليه ومدحه في حدود ما ورد به الشرع ، مع الابتعاد عن مظاهر الغلو والاطراء المذموم .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٣١).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٠٦).

عن عُمَرَ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:« لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ » أخرجه البخاري (1).

٣- أما تعظيم الجوارح للرسول ﷺ فإن القلب ملك للأعضاء ، واللسان ترجمانه ، والجوارح جنوده ، فإذا كان تعظيم النبي ﷺ مستقراً في القلب ، فإن آثار ذلك ستظهر على اللسان والجوارح تعبداً لله عز وجل ، فترى اللسان يتكلم بمدحه ﷺ وذكر محاسنه وهديه ، وترى جميع الجوارح ممتثلة لما جاء به ، ومستجيبة لأمره ، ومؤدية لما له من الحقوق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال/ ٢٤] .

١٢- حسن الأدب معه ﷺ

من حقوقه ﷺ حسن الأدب معه بندائه حين كان حياً بلفظ النبوة أو الرسالة، إجلالاً له، وتعظيماً لشأنه : ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور/ ٦٣] .

ومن حقوقه ﷺ عدم رفع الصوت واللغط في مسجده ، وعند قبره ، لأن حرمة النبي ﷺ في حياته ومماته على حد سواء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الحجرات/ ٢] .

وقد بلغ الصحابة رضي الله عنهم الغاية في احترام النبي ﷺ وتوقيره ، وحسن الأدب معه قولاً وفعلاً، وكذا من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[الأعراف/ ١٥٧] .

وقد شدد عمر رضي الله عنه النكير على رجلين من أهل الطائف رفعا أصواتهما في مسجده ﷺ، وقال لهما : لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ . أخرجه البخاري (2).

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧٠).

وضد الأدب معه ﷺ إيذاؤه بالقول أو الفعل، وإيذاؤه كفر، ومن أسباب لعنة الله وعذابه كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾[الأحزاب/ ٥٧].

وإيذاء النبي ﷺ يكون بسبه، أوشتمه، أو سب دينه، أو الاستخفاف بدينه، أو سب صحابته، أو سب زوجاته : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء/ ١١٥].

والاستهزاء بالنبي ﷺ ردة عن الإسلام، وكفر بالله عز وجل كما أخبر الله عن المنافقين الذين استهزؤا بالنبي ﷺ وسخروا منه في غزوة تبوك فقال : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[التوبة/ ٦٥-٦٦].

١٣- الدعاء للنبي ﷺ

الدعاء للنبي ﷺ عبادة من العبادات، وحق له ﷺ ، وأعظم الدعاء له الصلاة والسلام عليه كما ورد في القرآن والسنة .

والدعاء للنبي ﷺ ثلاثة أنواع :

الصلاة والسلام عليه .. الدعاء له بالوسيلة والفضيلة .. الدعاء له بأن يبعثه الله مقاماً محموداً

١- فالصلاة على النبي ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب/ ٥٦].

فالصلاة من الله على النبي ﷺ رحمته ، وثناؤه عليه عند الملائكة ، فهي من الله إكرام، وتعظيم، ورحمة، ومحبة، وثناء على نبيه ﷺ .

وصلاة الملائكة عليه ﷺ الدعاء له ، فالملائكة تتقرب إلى الله بالصلاة والسلام عليه، والثناء عليه ﷺ .

والصلاة من الناس دعاء له ، وثناء عليه ، وطلب من الله أن يرفع ذكره ، ويزيده تعظيماً وتشريفاً وثواباً .

فالصلاة على النبي ﷺ معناها تعظيمه وإجلاله، فمعنى قولنا (اللهم صل على محمد) عظِّم محمداً في الدنيا بإعلاء ذكره ، وإظهار دينه ، وإبقاء شريعته ، وتكثير أتباعه ، وفي الآخرة عظِّمه بإجزال مثوبته، وتشفيعه في أمته، وإظهار فضيلته بالمقام المحمود.
أما السلام عليه فيتضمن سلامته من كل آفة .
فما أعظم منزلة النبي ﷺ عند ربه حيث أخبر سبحانه أنه يصلي عليه ، والملائكة تصلي عليه ، ثم أمر الناس بالصلاة والسلام عليه ، فاجتمع في الثناء عليه أهل العالم العلوي والسفلي،فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[الأحزاب/ ٥٦].
ومن تعظيم حقه ﷺ أن من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشراً .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ :«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً ، صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا» أخرجه مسلم [(١)].
وتجب الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره .
عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلاَهُ الجَنَّةَ» أخرجه أحمد والترمذي [(٢)].

صفة الصلاة على النبي ﷺ :

صفة الصلاة على النبي ﷺ وردت بعدة صفات ينبغي للمسلم التعبد لله بها ، إحياء للسنة بأنواعها ، وهذه أشهرها :
«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ »متفق عليه[(٣)].
«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَأَزْوَاجِهِ ، وَذُرِّيَّتِهِ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ »متفق عليه[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٠٨).
(٢) **صحيح** / أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٤) ، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٤٥) وهذا لفظه.
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٥٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٠٦).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٦٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٠٧).

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ »أخرجه البخاري [(١)].

ولأهمية الصلاة على النبي ﷺ ، وعظيم شأنها وقدرها ، وعظيم أجرها وثوابها ، فقد وردت مشروعيتها في عدة مواطن :

في الصلاة في التشهد الأخير فرضاً أو نفلاً .. وفي صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية .. وفي الخطب كخطبة الجمعة ، والعيدين ، والاستسقاء ، والنكاح ، وغيرها .. وعند الدعاء .. وعند ذكره ﷺ ، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم ، وغير ذلك من المواطن .

وفضائل الصلاة على النبي ﷺ كثيرة وهذه بعض ثمراتها :

أنها امتثال لأمر الله تعالى بالصلاة والسلام عليه ، وأنها عبادة مستقلة يؤجر العبد عليها ، وأنها من الذكر المستحب ، والذكر من أفضل الأعمال ، وأنها سبب لمغفرة الذنوب ، وكفاية العبد ما أهمه ، ومنها حصول عشر صلوات من الله لمن صلى على النبي ﷺ .

ومن فوائدها وثمارها أن من صلى على النبي ﷺ يُرفع عشر درجات ، ويُكتب له عشر حسنات ، ويمحى عنه عشر سيئات ، وأنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له ، وأنها سبب لطيب المجلس وزكاته ، وأنها سبب لأداء أقل القليل من حقه ﷺ .

أما السلام على النبي ﷺ فقد جاء مقروناً بالصلاة عليه كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٥٦] .

والسلام عليه ﷺ تحيته بتحية الإسلام : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) والدعاء له بالسلامة من كل آفة، كما نقول في تشهد الصلاة (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته).

وتسليم الله على أنبيائه ورسله أمنة من الله للمرسلين في الدنيا من كل مكروه ، وفي الآخرة من فزع اليوم الأكبر : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[الصافات/ ١٨٠-١٨٢] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٥٨).

وتسليم الله على أنبيائه ورسله من باب الجزاء بالمثل، فالله سبحانه يسلمهم ويقيهم من كل مكروه، لسلامة ما قالوه عن ربهم لأقوامهم من الخطأ والزلل، وسلامة حياتهم من الذنوب والمعاصي، وسلامة عباداتهم من النقص والتقصير.

وتسليم المسلم على من لقيه من إخوانه أفضل تحية يحيي بها المسلم إخوانه ، وهو من غاية الإكرام والإجلال ، وهي تحية الله لعباده المؤمنين في الجنة ، جعلنا الله وإياكم منهم : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الأحزاب/ ٤٤].

والإكثار من السلام سبب للمحبة بين الناس ، ودخول الجنة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :«لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» أخرجه مسلم (١) .

٢- الدعاء له ﷺ بالوسيلة والفضيلة .

فالوسيلة منزلة عالية في الجنة لا تكون إلا لعبد واحد، وأما الفضيلة فهي الدعاء له ﷺ بأنواع البركات والخيرات والكرامات .

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « إِذَا سَمِعْتُمْ المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا الله لِيَ الوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» أخرجه مسلم (٢) .

٣- الدعاء له ﷺ بالمقام المحمود الذي وعده به يوم القيامة ، والمقام المحمود هو قيامه ﷺ بالشفاعة الكبرى يوم القيامة لبدء حساب الخلائق ، وهي شفاعته العظمى لأهل الموقف حين تنتهي إليه ، فيشفع ويُشفع، ثم يفصل الله بين الناس.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ » أخرجه البخاري (٣) .

فالمقام المحمود هو تلك الشفاعة العظمى، والثناء العظيم على ربه في ذلك المقام العظيم: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٤).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٨٤).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٦١٤).

١٤ - الذب عن ذاته ﷺ

الدفاع عن النبي ﷺ ونصرته من أعظم دلائل محبته وإجلاله ، وقد سبق بها الصحابة من جاء بعدهم كما أخبر الله عنهم بقوله : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر/ ٨].

والصحابة من المهاجرين والأنصار أفضل الناس بعد الأنبياء ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، والقيام معه ، والذب عنه ، وإقامة دينه ، رضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

لقد بذلوا كل ما يملكونه ، وتركوا كل ما يملكون، من أجل ما جاء به رسول الله ﷺ من الدين الحق، وصدقوا فيما عاهدوا الله عليه، وضحوا من أجل ذلك بأنفسهم، وأموالهم، وأوقاتهم، وشهواتهم، وأهلهم، وبلادهم فلهم أجر عظيم : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٧].

وعنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ : بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المَنْشَطِ وَالمكْرَهِ ، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا ، لَا نَخَافُ فِي الله لَوْمَةَ لائِمٍ . متفق عليه[(١)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ الله ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ، قَالَ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا ، فَقَالَ : «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا» أخرجه مسلم[(٢)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: لمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انهَزَمَ نَاسٌ مِنْ النَّاسِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١٩٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٧٠٩).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٨٩).

النَّزْعِ وَكَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الجَعْبَةُ مِنْ النَّبْلِ فَيَقُولُ: «انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ» قَالَ وَيُشْرِفُ نَبِيُّ الله ﷺ يَنْظُرُ إِلَى القَوْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ الله، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ لَا يُصِبْكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ القَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ. متفق عليه[1].

فرضي الله عن الصحابة أجمعين الذين دافعوا عن نبينا محمد ﷺ ونصروه بكل ما يملكون، فاللهم ارزقنا نصر سنته، وحسن الدفاع عنه ببيان صفاته، وفضائله، ومحاسنه، ودينه بألسنتنا وأقلامنا ، والتأسي به ، والذب عنه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح/ ٨-٩].

١٥- الذب عن دينه ﷺ

من أعظم حقوقه ﷺ الذب عن دينه الذي أرسله الله به: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٤].

والذب عن الدين الذي جاء به الرسول ﷺ يتضمن أموراً خمسة:

الأول : حفظ سنته ﷺ من الضياع ، ويتحقق ذلك بكتابة وتحرير أحاديثه الصحيحة ، وآثار الصحابة والتابعين على مر القرون والأجيال .

الثاني : حماية سنته ﷺ من انتحال المبطلين ، وتحريف الضالين ، وتأويل الجاهلين ، وقد قام به علماء الأمة منذ ظهر الكذب عليه ، وظهرت البدع بعده .

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ؓ أَن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ الله فِي أُمَّةٍ قَبْلِي، إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ » أخرجه مسلم[2].

الثالث : تنقيح سنته ﷺ مما أدخله المبطلون فيها من الأحاديث الضعيفة والمكذوبة ، وبيان الصحيح من السقيم .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨١١) ، ومسلم برقم (١٨١١) واللفظ له.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٠).

الرابع : الرد على شبهات المستهزئين بما ثبت في هديه في القول أوالفعل أو الاعتقاد ، كاستهزاء البعض بالصلاة أو الحجاب، أو السواك، أو اللحية، أو برفع الإزار فوق الكعبين ، أو الميراث ونحو ذلك: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المائدة/ ٥٨].

والاستهزاء بالسنة الصحيحة ، والطعن فيها ، كفر مخرج من ملة الإسلام : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة/ ٦٥-٦٦].

والرد على الطاعنين في القرآن والسنة من أعظم الجهاد ، والمحامي عن السنة ، الذاب عنها كالمجاهد في سبيل الله : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان/ ٥٢].

والتهاون في الذب عن شريعة الإسلام التي جاء بها رسول الله ﷺ من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان، أو زواله بالكلية، فمن أحب أحداً، ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمته وسنته، فهو كاذب في دعواه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران/ ٣١-٣٢].

الخامس : ومن الذب عن دينه الجهاد في سبيل الله تعالى ، وبذل النفس والمال والوقت لنصرة الإسلام بالعلم واللسان ، والسيف والسنان : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥].

١٦- توقير آل بيته ﷺ

من حقوقه ﷺ على أمته حب آل بيته ﷺ والترضي عنهم، والصلاة عليهم، وإكرامهم، والعناية بهم ، وتوقيرهم ، تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ فيهم .

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: « أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ الله ، فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ الله وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ الله وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي »أخرجه مسلم [١].

وآل بيت النبي ﷺ هم الذين تحرم عليهم الصدقة، وهم:

بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطلب بن عبد مناف، فهؤلاء يدخلون في سهم ذوي القربى، وتحرم عليهم الصدقة حماية لجناب النبوة، وتعظيماً لقدرهم، لأن الصدقة أوساخ الناس.

عن عَبْد المُطَّلِبِ بْن رَبِيعَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ، إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ» أخرجه مسلم [٢].

وأزواج النبي ﷺ داخلات في آل البيت بنص القرآن كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٣].

وقد جعل الله لآل البيت حقاً في الخمس والفيء عوضاً عما حُرِموه من الصدقة .

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قَالَ : مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ، أَعْطَيْتَ بَنِي المُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنَّمَا بَنُو المُطَّلِبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ» أخرجه البخاري [٣].

فيجب علينا توقير آل بيت الرسول ﷺ ، والترضي عنهم ، وإكرامهم ، والإحسان إليهم ، واحترامهم ، ومحبتهم ، وموالاتهم ، فإنهم من ذرية طاهرة ، ومن أشرف بيت على وجه الأرض حسباً ونسباً، لا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤٠٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٠٧٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣١٤٠).

عن وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ ﵁ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ الله اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » أخرجه مسلم (1).

ومن دلائل توقير آل بيت النبي ﷺ أن النبي ﷺ عَلَّم أمته أن يقولوا في التشهد في الصلاة: « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » متفق عليه(2).

فالصلاة على النبي ﷺ حق له ولآله دون سائر الناس .

وأعظم المسلمين توقيراً لآل البيت أصحاب النبي ﷺ، وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق ﵁.

عن أبي بكر الصديق ﵁ قال : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ الله ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي. متفق عليه(3).

١٧- توقير زوجاته ﷺ

من حقوقه ﷺ توقير زوجاته ، ورعاية حرمتهن ، وصيانة أعراضهن ، وبيان فضائلهن، وحسن الثناء عليهن ، والاستغفار لهن ، والترضي عنهن ، والدعاء لهن .

وقد رفع الله ﷻ مقام أزواج النبي ﷺ ، وبوأهن منزلة عالية ، بل رفع قدرهن إلى منزلة الأمومة لجميع المؤمنين بقوله سبحانه : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾[الأحزاب/ ٦] .

وهذه المنزلة العالية لهن هي من التشريف والتعظيم الذي أعطاه الله للنبي ﷺ .

وسلف هذه الأمة من أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا يتولون أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة، يترضون عنهن خاصة زوجته خديجة رضي الله عنها أمُّ أكثر أولاده ، وأول من آمن به، وأول من أعانه وعاضده على أمره.

وكذا الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه، وأحفظهن لسنته .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٦).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٠٦).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٧١٢) ، ومسلم برقم (١٧٥٩).

عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ » متفق عليه[1].

وقد دل القرآن على طهارة أزواج النبي ﷺ من السوء والفحشاء كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٣].

ومما يدل على عظمة قدر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن عظيم مكانتهن، ومضاعفة أجورهن كما قال سبحانه: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٠-٣١].

ولهن مقام كبير، وعليهن مسؤولية عظيمة، لأنهن أزواج رسول الله ﷺ : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٢-٣٣].

ومما يدل على عظيم حق أمهات المؤمنين قَرْن الصلاة عليهن بالصلاة على النبي ﷺ في التشهد في الصلاة.

عن أبي حميد الساعدي ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: « قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»متفق عليه[2].

وأزواج الأنبياء والرسل، وأزواج النبي ﷺ، مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات طيبات طاهرات، والطعن فيهم طعن في أزواجهن من الأنبياء والرسل.

والطعن في أمهات المؤمنين أو بعضهن كطعن الرافضة في عائشة رضي الله عنها، مع تطهير الله لها من فوق سبع سماوات، وذلك كفر وإيذاء للنبي ﷺ، وقد توعد الله من فعل ذلك بالعذاب الأليم كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب/ ٥٧-٥٨].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٧٧٠)، ومسلم برقم (٢٤٤٦).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٦٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٧).

وأزواج النبي ﷺ من دخل قل بهن من النساء، وهن إحدى عشرة:
خديجة بنت خويلد، وسودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وزينب بنت خزيمة، وجويرية بنت الحارث، وصفية بنت حيي ، وميمونة بنت الحارث ، رضي الله عنهن أجمعين .

١٨- توقير أصحابه ﷺ

من حقوقه ﷺ على أمته توقير أصحابه، والترضي عنهم، والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والدعاء لهم، والاستغفار لهم، وذكر فضائلهم ومحاسنهم، ومحبتهم وإجلالهم، من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾[التوبة/ ١٠٠].

وأصحاب النبي ﷺ كلهم عدول مرضيون ثقات ، وعدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، ورضاه عنهم ، وشهادة رسوله ﷺ لهم .

قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾[آل عمران/ ١١٠].

ووصفهم الله وزكاهم بقوله :﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩ ﴾[الفتح/ ٢٩].

وعَنْ عمران بن حصين رضي الله عنه قَالَ: قال النبي ﷺ :« خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» متفق عليه [١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« لا تَسُبُّوا أحداً من أَصْحَابِي، فإنَّ أَحَدَكُمْ لوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ» متفق عليه [٢].

والصحابة رضي الله عنهم أفضل الأمة بعد النبي ﷺ، لثناء الله جل جلاله عليهم ، وثناء رسوله ﷺ عليهم ، ولأن الله اختارهم لصحبة نبيه ﷺ ، وخصهم برؤية وجهه

---

(١) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٢٦٥١) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٣٥).
(٢) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٣) ، ومسلم برقم (٢٥٤١) واللفظ له.

الشريف، وسماع حديثه من فمه الشريف ، وأخذ الشريعة عنه ، وتبليغ ما جاء به من الحق على أكمل الوجوه ، والجهاد معه في سبيل الله : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الحشر/ ٨ – ١٠].

على أنه لو لم يرد عن الله ورسوله ثناء عليهم وتعديل لهم ، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد، وبذل الأنفس والأموال والأوقات في سبيل إعلاء كلمة الله ، وفراق الأهل والبلاد ، وقتل الآباء والأولاد ، نصرة لدين الله ، مع قوة الإيمان ، وحسن الاتباع، أوجب ذلك كله القطع بعدالتهم ، والجزم بنزاهتهم ، وأنهم أفضل ممن جاء بعدهم .

عن ابن عمررضي الله عنهما قال: من كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرّها قلوباً، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ. أخرجه أبونعيم في الحلية [1].

وإيمان الصحابة أقوى إيمان الخلق بعد الأنبياء ، وقد شهد الله لهم بأنهم المؤمنون حقاً بقوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[الأنفال/ ٧٤] .

وأخبر سبحانه أن الناس إن آمنوا بمثل ما آمن به الصحابة فقد اهتدوا كما قال سبحانه : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[البقرة/ ١٣٧] .

وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفارلهم ومحبتهم كما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الحشر/ ١٠] .

---

(١) حسن / أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥).

وأمر رسوله ﷺ باللطف بهم ، والعفو عنهم ، ومشاورتهم ، والاستغفار لهم ، فقال سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

وأخبر ﷺ بأنهم خيرا القرون ، وأن أجرهم مضاعف على أجر من جاء بعدهم .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ؓ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« لا تَسُبُّوا أحداً من أَصْحَابِي، فإنَّ أَحَدَكُمْ لوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ» متفق عليه (١).

وذكر الله ﷻ فضلهم وخيريتهم في التوراة والإنجيل والقرآن فقال سبحانه : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح/ ٢٩].

وأهل السنة والجماعة يؤمنون ويقبلون ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ومراتبهم ، فيؤمنون بأن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويفضلون من أنفق منهم قبل الفتح وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل، وأن الله قال لأهل بدر:«اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»متفق عليه (٢).

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما جاء في الكتاب والسنة : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح/ ١٨].

وواجبنا نحو أصحاب محمد ﷺ أن نحبهم جميعاً ونوقرهم ، ونثني عليهم ، بأن تكون ألسنتنا رطبة بذكرهم بالجميل من صفاتهم وأفعالهم، وقلوبنا عامرة بحبهم، وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون، من أصاب منهم فهو مأجور، ومن أخطأ فخطؤه مغفور ، فليسوا معصومين ، بل هم بشر يصيبون ويخطئون .

ومن طعن في أصحاب محمد ﷺ جميعاً كفعل الرافضة فهذا كفر؛ لأن القدح في الصحابة قدح في النبي ﷺ ، فهم أصحابه وخاصته وبطانته ، وهم الذين نقلوا الدين

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٣) ، ومسلم برقم (٢٥٤١) واللفظ له.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٤٩٤).

لمن جاء بعدهم ، فمن طعن فيهم لزم من هذا الطعن فيما نقلوه من القرآن والأحاديث ، وهذا كفر بيِّن؛ لأن القرآن حق ، والرسول ﷺ حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ.

وإنما يريد الرافضة من الطعن في الصحابة رضي الله عنهم جرح شهود النقل ، ليبطلوا الكتاب والسنة، فظاهر أمرهم الطعن في الصحابة، وباطنه الطعن في الرسالة : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥** ﴾[النساء/ ١١٥].

والقيام بحقوق الصحابة رضي الله عنهم يتضمن أربعة أمور :

الأول : حبهم والترضي عنهم ، والاستغفار لهم، كما قال سبحانه : ﴿ **وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠** ﴾[الحشر/ ١٠].

الثاني : الإيمان بأنهم أفقه الأمة بأمر دينها ، لأنه تربَّوا على عين النبي ﷺ ، وعاينوا التنزيل ، وأن للخلفاء الراشدين منهم سنة متبعة .

عن العِرْبَاض بن سارية رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ : «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » أخرجه أبوداود والترمذي [(١)].

الثالث : ذكر محاسنهم ، والكف عما شجر بينهم .

الرابع : الذب عنهم مما قاله بعض المبتدعة فيهم كالرافضة ومن سلك سبيلهم .

* * * * *

---

(١) **صحيح** / أخرجه أبوداود برقم (٤٦٠٧) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٢٦٧٦).

الباب العاشر

فقه اتباع النبي ﷺ

ويشتمل على ما يلي :

١ - أصول الاعتصام بالسنة

٢- فقه الاتباع

٣- أفعال النبي ﷺ من حيث الاتباع

٤- قواعد هامة في الاتباع

٥- منزلة الاتباع في الشريعة

٦- حكم اتباعه ﷺ

٧- أقسام الناس في الاتباع

٨- علامات الاتباع

٩- الوسائل المعينة على اتباع النبي ﷺ

١٠- عوائق الاتباع

١ - أصول الاعتصام بالسنة

- **أصول الاعتصام بالسنة والحذر من البدعة كثيرة وهذه أهمها:**

الأول : أن الإسلام مبني على أصلين عظيمين هما :

١ - أن لا نعبد إلا الله وحده لاشريك له ، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله .

٢ - أن لا نعبد الله إلا بما شرع ، وهو معنى شهادة أن محمداً رسول الله .

فالشرك ضد الأصل الأول، والبدعة ضد الأصل الثاني: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠].

فلا يقبل الله ﷻ أي عمل إلا إذا كان خالصاً صواباً، والخالص ما كان لله وحده، والصواب. ما كان على السنة، فالفوز والنجاة في التوحيد والسنة ، والخسران والهلاك في الشرك والبدعة : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٥ - ٦٦].

الثاني : أن السنة سنتان : سنة فعلية .. وسنة تركية .

فالسنة الفعلية : هي ما فعله النبي ﷺ ، أو أمر به ، أو أقر عليه ، مثل الأذان للصلوات الخمس ، والتلبية في الحج ونحوها .

والسنة التركية : هي ما تركه النبي ﷺ مع قيام المقتضى لذلك، مثل ترك الأذان لصلاة العيدين ، وصلاة الجنازة ، فتركه سنة نبوية ، كما أن فعل الأول سنة نبويه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر/ ٧].

الثالث : أن الأصل في العبادات المنع إلا بدليل شرعي من القرآن والسنة ، أو من أحدهما، والأصل في المعاملات والعادات الحل إلا بدليل شرعي يدل على التحريم.

ودليل الأول قول النبي ﷺ : «مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » أخرجه مسلم (١)

ودليل الثاني : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٩].

الرابع : أن التأسي بالنبي ﷺ في عبادته يتحقق بستة أمور :

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٢١).

١- السبب: بأن تكون العبادة موافقة للشريعة في سببها، فلو زاد أحد صلاة سادسة على الصلوات الخمس فعبادته مردودة؛ لأنه ليس لها سبب شرعي في القرآن أوالسنة: قال الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[الشورى/ ٢١] .

وعَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفق عليه (١).

٢- الجنس: فلو ضحى أحد بفرس لم تقبل أضحيته؛ لأن الشريعة جاءت بالأضحية من بهيمة الأنعام فقط (الغنم والبقر والإبل) .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر/ ٧] .

٣- القدر : فلو صلى الجمعة ثلاثاً لم تقبل صلاته، لأنها مخالفة للشريعة في قدرها ، لأن الشريعة جاءت بصلاة الجمعة ركعتين .

قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾[الطلاق/ ١] .

٤- الكيفية : بأن تكون العبادة موافقة للشريعة في كيفيتها ، فلو غسل إنسان رجليه في الوضوء ثم مسح رأسه ، ثم غسل يديه ، ثم غسل وجهه ، فهذا وضوءه غير مقبول ، وصلاته به غير صحيحة ، لأنه خالف الشريعة في كيفية الوضوء .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء/ ١١٥] .

٥- المكان : فلو وقف الحاج يوم عرفة بمزدلفة، أو طاف بغير الكعبة ، أو اعتكف في بيته، فهذه العبادات لا تصح ، لأنه خالف الشريعة في مكان العبادة المحدد لها شرعاً .

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » أخرجه مسلم (٢).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

٦- الزمان : فلو صلى مسلم الظهر قبل الزوال ، أو صام فرض رمضان في رجب ، فهذا صلاته وصيامه ليس بصحيح ، لأنه خالف الشريعة في زمانها المحدد لها شرعاً .

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف/ ١١٠] .

فهذه ستة أوصاف لا تتحقق متابعة النبي ﷺ إلا باجتماعها في كل عبادة : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور/ ٦٣] .

الخامس : أن الله ﷻ أكمل الدين ببعثة محمد ﷺ ، فلا يستطيع أحد أن يأتي بشيء يقرب إلى الله تعالى غير النبي ﷺ فقط : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر/ ٧] .

السادس : أن كمال الدين يقتضي بطلان البدع ، فدين الإسلام كامل لا يحتاج إلى زيادة ، كما أنه لا يجوز فيه النقص : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة/ ٣] .

فالله سبحانه بين في كتابه كل شيء يحتاجه الناس في معاشهم ومعادهم كما قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل/ ٨٩].

وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي: عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الخِرَاءَةَ، قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ القِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِاليَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ. أخرجه مسلم[1].

السابع : أن التشريع حق لله وحده كما قال سبحانه : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[يوسف/ ٤٠] .

وأنكر سبحانه على من شرع للناس ديناً أضلهم به فقال : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[الشورى/ ٢١] .

والتشريع قد انقضى بموت النبي ﷺ بعد حجة الوداع، بعد أن أنزل الله عليه في عرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة/ ٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢).

فمن أحدث في دين الله، وزاد فيه ما ليس منه ، فقد جعل نفسه مشرعاً مع الله، ومقتضى فعله أن النبي ﷺ لم يتم الرسالة ، وأنه ببدعته جاء ليتم الشريعة ، وكل ذلك باطل مردود معاقب عليه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء/ ١١٥] .

وعَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفق عليه[1].

والابتداع في الدين ولو بقصد حسن يعتبر تكذيباً لله ﷻ في قوله سبحانه : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة/ ٣] .

الثامن : أن الابتداع في الدين تقدُّم بين يدي الله ورسوله ، وهذا من الجرأة على الله ورسوله ، وقد حذر الله من ذلك بقوله سبحانه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحجرات/ ١] .

التاسع : أن النبي ﷺ كان يحذر من البدع دائماً في كل خطبة ، وفي كل جمعة ، وهذا يدل على عظيم خطر البدع ، وشدة ضررها ، وأن كل بدعة ضلالة : ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور/ ٦٣] .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، وَيَقُولُ: « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى وَيَقُولُ: « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرُ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » أخرجه مسلم[2].

العاشر : أن التعبد لله لا يكفي فيه معرفة الهدي النبوي فقط ، بل لا بد من معرفة ضده من الشركيات والبدع ، لئلا يقع الإنسان في الشرك أو البدع وهو لا يدري ، كما مر في حديث حذيفة السابق .

وقد وقع أناس في الشرك الذي هو أعظم من البدع، فكيف بالبدع، لأن الوقوع فيها أخف وأسرع، لأن أمرها قد يخفى على الإنسان ، فيظن أنها سنة ، وأنها من العمل الحسن، وأنها

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٨٦٦).

تقربه إلى الله، وهي لا تزيده من الله إلا بعداً، فيكون ممن قال الله فيهم: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[الكهف/ ١٠٣] .

الحادي عشر: أن البدع تكون في الاعتقادات والأقوال والأفعال، وإذا انتشرت اشتهرت، وصارت كأنها سنة .

والموارد التي تنشأ منها البدع سبعة موارد هي :

١- الأحاديث الضعيفة .

٢- الأحاديث الموضوعة.

٣- الأحاديث التي لا أصل لها .

٤- العادات أو العبادات المأخوذة من الكفار .

٥- العادات التي يستحسنها العامة والجهال .

٦- ما نص على استحبابه بعض العلماء بدون دليل ، وهذا من زلات العلماء .

٧- الغلو في العبادات .

الثاني عشر : أن البدع درجات، وليست في خطورتها على درجة واحدة، فبعضها يفضي إلى الكفركبعض بدع العقائد، وبعضها لا يفضى إلى الكفر ككثير من بدع العبادات القولية والفعلية .

والبدع فوق الكبائر في المرتبة، وليس فوق البدع إلا الشرك، لأن البدعة فيها تعدٍّ على الشريعة بزيادة، والزيادة تحريف ، ولا أظلم من ذلك : ﴿ **قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾** ﴾[الأعراف/ ٣٣] .

وإثم البدع أعظم من إثم الكبائر من وجوه :

الأول: أن صاحب البدعة يعتقد أنه على صواب فيما يقوم به من عبادات محدثة، فلا يفكر في التوبة منها، أما فاعل الكبيرة من زنا أو سرقة ونحوها، فيعلم أنه مخطئ، فربما أحدث توبة ، فتاب الله عليه : ﴿ **وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾** ﴾[النساء/ ١١٠] .

الثاني : أن البدع تؤدي مع مرور الزمن إلى تغييرالدين ، لأنها تتطور وتتفرع وتشتهر ، أما الكبائر فكل أحد يعلم أنها مخالفة للدين ، وليست منه .

٣- أن أهل البدع في الغالب يحاربون أهل السنة إذا أمروهم بالسنة ، ونهوهم عن بدعهم ، وربما فسقوهم ، أو كفروهم ، أو اتهموهم .

أما أهل الكبائر فإن من جاءهم ليذكرهم بالله وعقابه فإنهم أما أن يقبلوا النصيحة ويتوبون إلى الله ، وهذا هو الأغلب ، وإما أن يردوا النصيحة مع طلب الدعاء لهم بالهداية .

٤- أن إحياء البدع وإشهارها يؤدي إلى هدم السنة النبوية ، والبعد عنها : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥** ﴾[النساء/ ١١٥] .

الثالث عشر:أن صغائر البدع تكبر مع مرور الزمان، وقلة المناصح، فتصير كبائر، وتقوى وتشتد حتى تصبح ديناً يُتعبد لله به.

فالنجاة في الاعتصام بالسنة، والحذر من البدعة، وهذا هو الصراط المستقيم: ﴿ **قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١** ﴾[الأنعام/ ١٦١].

والخارجون عن الصراط المستقيم إلى الصراط المعوج اثنان :

أحدهما: رجل زل عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير، فهذا لا يُقتدى بزلته، لأنها مهلكة : ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣** ﴾[الأنعام/ ١٥٣] .

الثاني: من عاند الحق، وخالف مَنْ كان قبله من المتقين، فهذا ضار ضال مضل، وشيطان مريد، حق على من يعرفه أن يحذر الناس منه، لئلا يقع أحد في بدعته : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥** ﴾[النساء/ ١١٥] .

الرابع عشر : أن البدع كلها ضلالة ، وكلها سيئة، وكلها مردودة.

والبدع ليست من الإسلام ، والبدعة ليست بحسنة .

عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ عَلَيْهِمْ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ

ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ: قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنْ الأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» أخرجه مسلم[1].

فمن أحيا سنة كانت موجودة فعدمت ، ثم أحياها وعمل بها الناس بعده ، فله مثل أجر من عمل بها، وكذا من سن العمل فبدأ به قبل الناس، وليس من سن العمل تشريعاً، لأن التشريع ممنوع ، وهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وحديث أبي هريرة يفسر حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنهما.

عن أبي هريرة ﵁ أن رَسُولُ الله ﷺ قال : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» أخرجه مسلم[2].

فليس في الإسلام إلا السنن لا البدع ، كما أنه ليس في البدع بدعة حسنة ، بل البدع كلها سيئة .

وأما الأثر الذي أساء فهمه بعض الناس فهو ما ورد عن عبد الرحمن ﵁ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﵁ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى المَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ.

فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاَءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ، ثُمَّ عَزَمَ، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ قَارِئِهِمْ، قَالَ عُمَرُ: نِعْمَ البِدْعَةُ هَذِهِ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ. يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ . أخرجه البخاري[3].

فالجواب عنه: أن عمر ﵁ من أشد الناس تعظيماً لكلام الله ورسوله، والوقوف عند أحكام الشريعة وحدودها .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٠١٠).

وصلاة التراويح سنها النبي ﷺ بقوله وفعله ، وقد فعلها ﷺ في المسجد ثلاثة أيام ، ثم تركها خشية أن تفرض على الأمة.

واستمر الناس يصلونها فرادى في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وصدراً من خلافة عمر رضي الله عنه، ثم ألهمه الله فعلها جماعة ، فسن إحياء قيام رمضان جماعة ، وقال: نعمت البدعة هذه .

فبالنظر إلى أنها موافقة لفعل النبي ﷺ فهي سنة، وبالنظر إلى ما كان عليه الأمر قبل إحيائها من جديد فهي محدثة، ولهذا وصفها بالحسنة.

الخامس عشر : أن بدع العقائد أشد خطراً من بدع الأعمال؛ لأن العقيدة عمل القلب، وإذا صلح بالعقيدة الصحيحة صلح عمل الجوارح ، وإذا فسد القلب بالبدع المحدثة، فسد سائر عمل الجوارح .

عن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ.

أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى الله فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ » متفق عليه (١) .

والبدع في العقيدة كثيرة ، وقد أخبر النبي ﷺ عن تفرق أمته في باب العقيدة إلى فرق وطوائف نحواً من ثلاث وسبعين فرقة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «تَفَرَّقَتْ اليَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» أخرجه أحمد والترمذي (٢).

ومن أعظم البدع والفرق التي ظهرت في العقيدة :

بدعة الجهمية، وبدعة القدرية .

وبدعة المرجئة الذين قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب .

وبدعة المعتزلة الذين قالوا إن مرتكب الكبيرة كالزنا كافر ، وهو مخلد في النار.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٠٥١) ، ومسلم برقم (١٥٩٩).

(٢) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٢٤١٠)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٦٤٠)وهذا لفظه .

ومثلهم الخوارج، وبدعة الرافضة الذين طعنوا في الرسالة ، وصحة القرآن ، وأنكروا السنة إلا ما وافق مذهبهم ، وكفَّروا الصحابة كلهم إلا أفراداً لا يصلون إلى العشرة، وكذبوا ما نقلوا للأمة من الأحاديث، وعبدوا القبور، وحكموا بردة الخلفاء الراشدين وكفرهم إلا علياً .

وكفَّروا أهل السنة وعادوهم وحاربوهم ، وكانوا دائماً مع أعدائهم كما حصل منهم مع التتار ، فشابهوا اليهود في عقيدتهم التي بها كفروا كما قال سبحانه : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٨٥].

وبدعة الخوارج والزيدية من أعظم البدع في باب السمع والطاعة لولاة الأمور ، فاستحلوا الخروج على الأئمة إذا رأوا منهم معصية .

وقد فعل الخوارج ما فعلوا من قتل عثمان وعلي رضي الله عنهما، ثم انفتحت أبواب الشر على المسلمين إلى يومنا هذا .

وفي باب الإيمان بالقدر ضلت الجبرية الذين قالوا إن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه .

ورؤوس أهل البدع الكبرى أربعة: الخوارج .. والرافضة .. والجهمية .. والمرجئة .

وأما البدع في العبادات فبحر لا ساحل له ، فلا تكاد تجد عبادة إلا وأضاف إليها أهل البدع زيادة ، سواء في هيئتها أو عددها أو وقتها.

فما أعظم تلاعب الشيطان بالناس: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر/ ٨] .

٢- فقه الاتباع

الاتباع: هو الاقتداء والتأسي والاقتفاء والإئتمام .

واتباع النبي ﷺ ، والشهادة له بالرسالة، هو الركن الثاني من أركان التوحيد .

فالتوحيد كله في أمرين : شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله .

والاتباع في الشرع: هو الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ في خمسة أمور :

في توحيده وإيمانه ، وفي نيته وفكره، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر/ ٧] .

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء/ ٨٠] .

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

فنوحد الله كتوحيد النبي ﷺ لربه، ونؤمن بالله كإيمانه، ونذكر الله كذكره، وندعوه كدعائه، ونستغفره كاستغفاره، ونعبد الله كعبادته، ونتوضأ كوضوئه، ونصلي كصلاته، ونصوم كصيامه، ونحج كحجه، ونبيع كبيعه، ونشتري كشرائه، ونجاهد كجهاده، وندعو إلى الله كدعوته، ونعلم شرعه كما علمه .. وكذا نحسن كإحسانه، ونعفو كعفوه، ونرحم كرحمته، ونحلم كحلمه، ونعطي كعطائه، ونزور كزيارته .. وهكذا .

فنقول كقوله ﷺ ، ونفعل كفعله ﷺ ، على الوجه الذي فعله، من أجل أنه فعله كالأدعية والأذكار، والصلاة والصيام، والنكاح والطلاق، والبيع والشراء، والدعوة والجهاد وغيرها مما جاء عنه ﷺ، وهذه حقيقة التأسي والاتباع : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

وضد الاتباع المخالفة، وتكون في الاعتقاد، والقول والفعل، والترك : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور/ ٦٣] .

وكما أنه لكل اتباع ثواب، فكذا لكل مخالف عقاب : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

﴿لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾
[النساء/ ١١٥] .

ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه : ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق/ ١] .

لهذا يجب أن نفعل ما فعله ﷺ من جميع الأوامر والطاعات، ونترك ما تركه من أنواع المعاصي والمحرمات، ونفعل الأوامر حسب الاستطاعة : ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾
[التغابن/ ١٦] .

ونجتنب ما نهى الله ورسوله عنه مطلقاً .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «دَعُوني مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه (١) .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٣٣٧).

٣- أفعال النبي ﷺ من حيث الاتباع والتأسي

- **أفعال النبي ﷺ من حيث الاتباع والتأسي ثلاثة أقسام :**

القسم الأول : الأفعال الجبلية: كالقيام والقعود، والدخول والخروج، والأكل والشرب، والنوم واليقظة ونحو ذلك فهذا من حيث الاتباع والتأسي نوعان :

الأول : نوع جاء النص الشرعي بإيجابه أو ندبه كالأكل باليمين، والنوم على الشق الأيمن، والسلام عند الدخول والخروج.

فهذا يشرع التأسي والاقتداء به ﷺ في ذلك .

الثاني : نوع لم يأت به نص دال على مشروعيته، فهو باق على أصل الإباحة، كالصلاة في موضع صلى فيه النبي ﷺ اتفاقاً، وكنزوله بالأبطح لما فرغ من مناسك الحج.

فهذا لا يشرع التأسي والاقتداء بالنبي ﷺ في فعله، لأن فعله اتفاقاً لا قصداً له بعينه .

القسم الثاني : الأفعال التعبدية: وهي جميع العبادات والمعاملات التي يُقصد بها التشريع.

فهذه يجب الاقتداء بالنبي ﷺ بها فعلاً للأوامر، واجتناباً للمناهي.

وهذه هي الأصل في أفعال النبي ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

القسم الثالث : الأفعال الخاصة به: وهي التي علمنا شرعاً أنها من خصائصه ﷺ ، سواء كانت من المباحات أو الواجبات أو المحرمات أو المكروهات .

فمن المباح له ﷺ خاصة مثل نكاح أكثر من أربع نسوة، والنكاح بلا مهر، ونكاح الواهبة نفسها له .

ومن الواجب عليه وجوب التهجد، وقيام الليل .

ومن المحرم عليه الأكل من الصدقة، وأكل ما له رائحة خبيثة من المباح كالثوم والبصل .

فهذه خصائص لا يشاركه فيها أحد، ولا يقتدى ولا يتأسى به فيها أحد، لأنه جاء الخبر بأنها من خصائصه .

٤- قواعد هامة في الاتباع

• **هذه أهم القواعد الواجبة في اتباعه ﷺ :**

الأولى: أن دين الإسلام بني على الوحيين القرآن الكريم والسنة الصحيحة، لا على ما تراه العقول، أوتستحسنه الأهواء .

فما جاء من أمر أو نهي في كتاب الله تعالى، أو سنة رسوله ﷺ ، فإنه يجب علينا الإيمان به، وقبوله، والمسارعة إلى امتثاله فعلاً أو تركاً : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر/ ٧] .

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء/ ١١٥] .

وعَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » أخرجه مسلم [(١)].

فمن الله الرسالة والحق والهدى، وعلى الرسول الامتثال والبلاغ، وعلينا التسليم والاتباع : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣] .

فالمؤمن حقاً من يدور مع القرآن حيث دار، ويقف مع السنة حيث جاءت : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٠] .

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٥].

فلا يستقيم إيمان العبد إلا بالتسليم والاستسلام لنصوص الوحيين، والانقياد إليهما، والرضا بما فيهما، وتصديق أخبارهما، وتنفيذ أوامرهما، وعدم الاعتراض عليهما : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر/ ٧] .

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٨٥] .

ويجب على المسلم اتباع السنن والأحكام التي جاء بها النبي ﷺ سواء عرف حكمتها أم لم يعرف ذلك؛ لأن مدار العبودية على طاعة من أمر بها .

لهذا فبعض وجوه الحق تأتي كثيراً على خلاف الرأي، وعلى خلاف ما تحبه النفس كإسباغ الوضوء على المكاره، وكون الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ونحو ذلك .

ولابد من الاتباع فيما نعرف معناه وما لا نعرف معناه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ [النساء/ ١٣] .

الثانية : يجب على المسلم معرفة الحكم الشرعي فيما يريد أن يفعله قبل أن يفعله، وذلك في جميع شئون حياته، ومن عمل عملاً لم تأت به الشريعة فعمله باطل ومردود.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :« مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيس عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » أخرجه مسلم [1].

الثالثة : اتباع الرسول ﷺ يكون باتباع كل ما جاء به من أوامر ونواهي في القرآن الكريم، والعمل بالسنة التي هي أفعاله وأقواله وتقريراته .

عَنِ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الكِنْدِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ »أخرجه أبوداود والترمذي [2].

الرابعة : كل ما تركه النبي ﷺ من جنس العبادات، ولم يفعله مع وجود المقتضي لفعله على عهده ففعله بدعة، وذلك مثل الاحتفال بالمولد النبوي، واحياء ليلة الإسراء والمعرج، وليلة النصف من شعبان، ورأس السنة ونحو ذلك .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).
(٢) **صحيح** / أخرجه أبوداود برقم(٤٦٠٤) وهذا لفظه ، وأخرجه الترمذي برقم (٢٦٦٤).

فكل قول أو فعل لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه فهو بدعة، لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور٦٣] .

وعَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفق عليه [(١)].

الخامسة : أن الشريعة جاءت بتبيان كل شيء في أصول الدين وفروعه، في أمور الدنيا والآخرة، من العبادات والمعاملات والعلاقات، في السلم أو الحرب، في السياسة أو الاقتصاد وغير ذلك كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل/ ٨٩] .

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣] .

السادسة: أن الاقتداء والاتباع للرسول ﷺ لا يتحقق بالكامل إلا إذا كان العمل موافقاً للشرع في ستة أمور هي: السبب، الجنس، القدر، الكيفية، الزمان، المكان كما سبق.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء/ ١١٥] .

السابعة : الأصل في كل ما أمر الله ورسوله به، أو نهى الله ورسوله عنه، التعبد والامتثال والإذعان، دون الالتفات إلى الحكم والمعاني، فالحكمة الأصل هي أَمْر الله ورسوله في المأمورات، ونهي الله ورسوله في المنهيات، وهذا هو حقيقة التسليم والانقياد : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥] .

والعبودية الكاملة أن تكون مسلماً لأمر الله ورسوله، سواء عرفت حكمته أو لم تعرفها.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨).

والبحث عن الحكم والمعاني والأسرار في جميع أوامر الله مطلوب شرعاً، لنعرف عظمة الخالق فيما خلق، وفيما حكم وقضى ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس/ ٣] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البقرة/ ٤٤]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩﴾ [البقرة/ ٢١٩].

وجميع العبادات والمعاملات، والأوامر والنواهي، التي جاءت بها الشريعة، معقولة المعاني، بل هي في منتهى الحكمة، وإن كانت لا تظهر الحكمة أحياناً لبعض الناس: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود/ ١].

وقد يكون من تمام العبودية الا نعرف الحكمة، وإن كانت تزيد في الإيمان، إلا أن الامتثال والتسليم مطلقاً أصدق إيماناً، وأحسن اتباعاً.

فمعرفة الحكم والمعاني مطلوب شرعاً، لكن المراد التحذير من التنطع في استخراج المعاني، أو ربط القيام بالعمل بمعرفتها.

الثامنة: المشقة ليست مقصودة في التشريع مطلقاً، لأن الأصل في الشريعة التيسير ورفع الحرج عن العباد: ﴿فَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن/ ١٦].

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة/ ٦].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٨٥﴾ [البقرة/ ١٨٥].

فالمطلوب من المسلم امتثال الأوامر بقدر الاستطاعة، واجتناب المنهيات مطلقاً.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه (1).

فلا يصح التقرب إلى الله بالمشاق، لأن الله شرع القُرَب كلها تعظيماً للرب بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وليست المشاق تعظيماً ولا توقيراً.

ولكن المشقة غير المقصودة التي تلحق المكلف أحياناً بسبب أدائه لفعل مشروع كما يحصل في مناسك الحج أحياناً تزيد في ثوابه، فالأجر على قدر النصب كما قال

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٥٩).

سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾[التوبة/ ١٢٠].

وقال ﷺ لعائشة رضي الله عنها حينما أصابها التعب في حجتها : « أَجْرُكِ عَلَى قَدْرِ نَفَقَتِكِ» متفق عليه [(١)].

وعن جَابِر بْن عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: كَانَتْ دِيَارُنَا نَائِيَةً عَنِ المَسْجِدِ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَبِيعَ بُيُوتَنَا ، فَنَقْتَرِبَ مِنَ المَسْجِدِ، فَنَهَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ :«إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةً» أخرجه مسلم[(٢)].

---

(١) **متفق عليه،** أخرجه البخاري برقم (١٧٨٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٥٩).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٦٦٤).

٥- منزلة الاتباع في الشريعة

١- كل عمل ليكون صالحاً ومقبولاً عند الله له ركنان :

أن يكون خالصاً لله ﷻ .. وأن يكون موافقاً لما جاء به النبي ﷺ .

فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو مردود على عامله، فكذلك كل عمل لا يكون موافقاً لهدي الله ورسوله فهو مردود على عامله؛ لأن الله إنما يُعبد بأمره الذي بعث به رسوله ﷺ فقط ، لا بالأهواء والآراء : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

وعَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » أخرجه مسلم (١).

فالاتباع شرط لقبول وصحة العبادات والمعاملات .

٢- أن إخلاص العبادة لله وحده هو حقيقة إيمان العبد وشهادته بأن لا إله إلا الله .

والاتباع والتأسي برسول الله ﷺ هو كذلك حقيقة إيمان العبد وشهادته بأن محمداً رسول الله .

فهما توحيدان لا فلاح للعبد ولا نجاة له من عذاب الله إلا بهما:

توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ ، ومدار الدين كله على هذين الأصلين العظيمين :

أحدهما: ألا نعبد إلا الله، والثاني: ألا نعبده إلا بما شرع الله ورسوله : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

٣- الاتباع دليل محبة الله تعالى، فمحبة الله توجب اتباع الرسول ﷺ، واتباع الرسول ﷺ يوجب محبة الله للعبد، واتباع الرسول ﷺ يكون باتباعه في نيته وأقواله وأعماله وأخلاقه، وبحسب قوة الاتباع تكون قوة محبة الله للعبد : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

٤- الاتباع هو الطريق الوحيد لتحصيل محبة الرسول ﷺ، وقد أوجب الله على عباده محبة رسوله ﷺ واتباعه، ولا سبيل لتحصيل تلك المحبة إلا عن طريق كمال اتباعه والاقتداء به، وهذه المحبة من شروط الإيمان.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». متفق عليه(١).

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال : يَا رَسُولَ الله، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، فقال النبي ﷺ: « لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الآنَ وَالله لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ» أخرجه البخاري(٢).

٥- الاتباع سبيل دخول الجنة، والنجاة من النار .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى ؟قَالَ : « مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» أخرجه البخاري (٣).

٦- الاتباع هو سبيل امتثال أوامر الله بطاعة رسوله ﷺ ، واجتناب معصيته كما قال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء/ ٥٩] .

﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ ﴾ [آل عمران/ ٣٢] .

فلا سبيل إلى امتثال أوامر الله بطاعة رسوله ﷺ إلا بالاتباع والتأسي به : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾ [الأنفال/ ٢٤] .

٧- الاتباع علامة من علامات التقوى وصحة الإيمان كما قال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢ ﴾ [الحج/ ٣٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٤).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٦٣٢).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠).

وشعائر الله أوامره وأحكامه وأعلام دينه الظاهرة، ومن أعظمها وأعلاها طاعة النبي ﷺ ، واتباع شرعه: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٣٢] .

٨- الاتباع من صفات المؤمنين اللازمة لهم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [النور/ ٥١-٥٢] .

وقد نفى الله ﷻ الإيمان عمن أعرض عن طاعة الرسول ﷺ ولم يرض بحكمه كما قال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء/ ٦٥] .

٦- حكم اتباعه ﷺ

يجب على كل مسلم ومسلمة اتباع الرسول ﷺ والتأسي به في كل ما جاء به عن ربه ﷻ، لينال رضا ربه، ويفوز بجنته، وينجو من عذابه .

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر/ ٧] .

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء/ ١١٥].

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور/ ٦٣] .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥] .

فقد أقسم الله بنفسه الكريمة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهراً وباطناً، وما نهي عنه فهو الباطل والمحرم الذي يجب اجتنابه ظاهراً وباطناً .

فيجب الانقياد لكل ما جاء به ﷺ مما أمره الله به، وأمره الذي يجب اتباعه، ولا تجوز مخالفته هو منهاجه وسنته وطريقته وشريعته : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

وعن العِرْبَاضِ بن سارية رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رَسُولُ الله ﷺ ، مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله،إِنَّ هَذِهِ لمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ : « قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ» أخرجه ابن ماجه[1] .

ومن ترك سنته وطريقته فقد تبرأ منه ﷺ .

عن أَنَس رضي الله عنه في قصة الرهط الثلاثة - وفيه - فقال رَسُولُ الله ﷺ: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» متفق عليه[2] .

---

(١) **صحيح** / أخرجه ابن ماجه برقم (٤٤).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) ، ومسلم برقم (١٤٠١).

٧- أقسام الناس في الاتباع

- **الناس في الاتباع للرسول ﷺ على أربعة أضرب :**

الأول : من يمتثل ما أمر الله ورسوله به، ويجتنب ما نهى الله ورسوله عنه.

وهذا أكمل أحوال أهل الإيمان، وأعلى درجات المتقين : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧١].

الثاني : من يمتثل المأمور، ويقترف المحظور .

فهذا وإن سلم من التقصير في فعل الطاعات، فقد تورط لغلبة الشهوة على الإقدام على فعل المعصية، فينال ثواب الطاعة، ويستحق العذاب على انتهاك الحرمات، وتجاوزالحدود : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٢].

الثالث : من لا يمتثل المأمور، ولا يقترف المحظور، فهذا الصنف يستحق عذاب ترك الطاعات، والغفلة عن القربات .

والمسلمون في امتثال أوامر الله ورسوله على ثلاث درجات :

ظالم لنفسه .. ومقتصد يفعل الواجبات، ويترك المحرمات .. وسابق بالخيرات يؤدي الواجبات والمستحبات، ويجتنب المحرمات والمكروهات، وكل هؤلاء في الجنة على درجاتهم : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٣].

الرابع : من لا يمتثل المأمور، ويقترف المحظور .

وهؤلاء أخبث أحوال المكلفين، وهؤلاء جنود إبليس في العالمين، يستحقون عذاب المعرض عما أمره الله ورسوله به من الطاعات، وعذاب المجترئ على ارتكاب ما نهى الله ورسوله عنه من المعاصي والمنكرات : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ/ ٢٠].

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء/ ١٤].

٨- علامات الاتباع

- **للاتباع علامات، أبرزها ما يلي :**

١- الرضا بحكم رسول الله ﷺ وشرعه في كل شيء .

عن العباس رضي الله عنه أن رَسُول الله ﷺ قال : «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا ، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا » أخرجه مسلم[1].

والرضا يجمع القبول والانقياد والتسليم لما جاء به محمد ﷺ .

فمن رضي بمحمد رسولاً ونبياً حَكَّم سنته، وقَبِل حكمه، وانقاد له، واتبعه، ورضي بكل ما جاء به من ربه، ورأى نعمة الله عليه حيث جعله من أتباع سيد المرسلين .

يقتدي بالرسول ﷺ: في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله وأفعاله، وفي صفاته وأخلاقه، ولا يلتفت إلى غير هديه، ولا يعول في سلوكه على غير سنته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس/ ٥٧-٥٨] .

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦] .

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة/ ٦٢-٦٣] .

٢- تحكيم العبد للشرع وتحاكمه إليه .

فتحكيم العبد للشرع، وتحاكمه إلى الشرع في كل شأن، هو العلامة الفارقة، والسمة

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

البارزة بين المسلم والكافر، وبين المسلم الذي يتبع هواه بغير هدى من الله في بعض أموره : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء/ ٥٩] .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٤٧] .

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص/ ٥٠] .

٣- تعظيم النصوص الشرعية :

فتعظيم النصوص الشرعية من القرآن والسنة من أبرز علامات ومظاهر الاتباع ، وتعظيمها يكون بالإيمان بها، وتقديرها وإجلالها وتقديمها على غيرها، وعدم هجرها، واعتقاد أن الهدى فيها لا في غيرها، والحرص على تعلمها وفهمها وتدبرها، والعمل بموجبها، وتعليمها للناس، وعدم معارضتها.

فمن عرف ربه العظيم، آمن بكتابه العظيم، وامتثل أمره العظيم، واتبع رسوله الكريم، ونال ثواب ربه العظيم : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٠].

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء/ ٨٢] . ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٥] .

٤- الاقتداء بالنبي ﷺ ظاهراً وباطناً، والتأسي به قولاً وفعلاً وخلقاً، وعبادة ومعاملة ومعاشرة كما قال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

والأسوة الحسنة أن تكون الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ من ربه هي المهيمنة على العبد في جميع أحواله، والنبي ﷺ أولى بالعبد من نفسه، فمن لم يكن رسول الله ﷺ أولى به من نفسه فليس من المؤمنين .

لهذا لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده، وحكمه شريعته التي جاء بها من ربه كما قال سبحانه : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب/ ٦].

٥- الخوف الدائم من الزيغ والانحراف والاستدراج، والخوف من المعاصي والذنوب، والخوف من عدم الثبات على الحق، كل ذلك من علامات ومظاهر الاتباع: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة/ ١٥] .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٥٧].

فالمؤمن حقاً يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٦٠] .

وأصحاب النبي ﷺ يخافون على أنفسهم من الزيغ إن خالفوا سنته أو شيئاً من أمره، وهم خير القرون، فكيف بنا اليوم ومَنْ بيننا من يستهزىء بنبيه ﷺ ، ويستهزىء بأوامره وسنته، ويتباهى بمخالفته : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور/ ٦٣] .

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء/ ١١٥] .

٦- الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى الخلق، من أبرز مظاهر وعلامات الاتباع ، فالنبي ﷺ خاتم الأنبياء، وهذه الأمة آخر الأمم، والله أكرمها

كالأنبياء بالدعوة والعبادة : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة/ ١٩٥] .

﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :« بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » أخرجه البخاري [1] .

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

٩- الوسائل المعينة على اتباع النبي ﷺ

- **الوسائل المعينة على اتباع النبي ﷺ كثيرة، أهمها :**

١- تقوى الله ﷻ .

فمن اتقى الله وخافه جعل له فرقاناً يميز به بين الحق والباطل، وبين النور والظلام، وبين ما ينفعه وما يضره .

فمن اتقى الله أعطاه الله نوراً و علماً وهدى يمشي به في ظلمات الجهل والضلال كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾[الحديد/ ٢٨] .

والتقوى والاستقامة هي أساس الدين كله، وأساس سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأنفال/ ٢٩] .

٢- إخلاص العمل لله ﷻ .

فمعرفة الحق فقط لا تكفي للعبد، بل لابد من التجرد لله في طلبه، وشكره على معرفته، وطلب عونه في أدائه وإبلاغه، فمن سعى لطلب الحق مخلصاً هداه الله إليه، وأعانه على أدائه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾[محمد/ ١٧] .

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت/ ٦٩] .

ومن أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه، فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمي قلبه عن الحق الواضح : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾
[الصف/ ٥] .

٣- إظهار الافتقار لله، والتضرع إليه، واللجوء إليه، من أعظم الأسباب المعينة على الاتباع لما جاء به النبي ﷺ من الهدى والنور : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر/ ٦٠] .

وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يفعل ذلك، ومن دعائه ﷺ:

«اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أخرجه مسلم(١).

«اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَالجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ » أخرجه البخاري(٢).

٤- تعلم الأحكام الشرعية من القرآن والسنة :

فالعمل بأحكام الإسلام فرع عن العلم بها، فلا بد من العلم قبل القول والعمل كما قال سبحانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩].

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة/ ١١] . ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

وسماع القرآن وتلاوته وتدبره من أعظم الأسباب المعينة على الاتباع، لما فيه من تقرير التوحيد والإيمان، وأخبار الأنبياء والرسل، وأحوال اليوم الآخر : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل/ ٨٩].

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[العلق/ ١-٥].

وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ، وَاللهُ المعْطِي، وَأَنَا القَاسِمُ، وَلا تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ» متفق عليه(٣).

وعن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ».أخرجه البخاري(٤).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤٧).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١١٦) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣٧).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

٥- تدبر نصوص القرآن والسنة، وفهم معانيها، فهما مصدر تلقي الحق والهدى والسنة والأحكام: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء/ ٩].
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل/ ٤٤].
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء/ ٨٢].

وقد تكفل الله سبحانه بحفظ كتابه من التحريف أو التبديل أو الزيادة أو النقصان، وذلك لأنه منهج الأمة إلى قيام الساعة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩].

وكذلك قيض الله لسنة محمد ﷺ من يكتبها ويحفظها ويدافع عنها، ويخرج منها ما ليس منها، وذلك لأن القرآن والسنة مصدر الأحكام، وطريق الاعتصام بالحق، والأمن من الزيغ والضلال: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزخرف/ ٤٣].

٦- اتباع طريقة السلف في فهم النصوص، وفي العلم والعمل.

فخير قرون هذه الأمة وأفضلها أقربها إليه ﷺ، فهم أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه.

عَنْ عمران بن حصين رضي الله عنه قَالَ: قال النبي ﷺ: « خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» متفق عليه [1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » أخرجه أبوداود والترمذي [2].

فالفلاح والنجاة في فهم النصوص الشرعية من القرآن والسنة بفهم سلف الأمة فقط: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء/ ١١٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٥١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٣٥).
(٢) حسن / أخرجه أبوداود برقم (٤٥٩٦) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٢٦٤٠).

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾[النساء/ ١٣] .

عن ابن عمررضي الله عنهما قال: من كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرّها قلوباً، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ. أخرجه أبونعيم في الحلية [١].

٧- الصحبة الصالحة :

صحبة الصالحين والأخيار من أهل الإيمان والتقوى من أعظم الأسباب التي تعين المسلم على الاتباع والتمسك والعمل بما جاء به النبي ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة/ ١١٩] .

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: « إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ ، فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الكِيرِ ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» متفق عليه[٢].

فالصاحب ساحب إما إلى خير أو إلى شر، وإما إلى سنة أو بدعة، وإما إلى تقوى أو إلى فجور، وإما إلى جنة أو نار.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» أخرجه أبوداود والترمذي [٣].

ففي الصحبة الصالحة اتباع ونجاة، وفي الصحبة السيئة ضلال وهلاك : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾

[الكهف/ ٢٨].

(١) **حسن** / أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٥٣٤)، ومسلم برقم (٢٦٢٨) واللفظ له.
(٣) **حسن** / أخرجه أبوداود برقم (٤٨٣٣)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٣٧٨).

١٠- عوائق الاتباع

- **يَحُول بين المسلم وبين اتباع النبي عوائق كثيرة، أهمها :**

١- الجهل بالله وأسمائه وصفاته، والجهل بآلائه ونعمه، والجهل بدينه وشرعه، والجهل بسيرة نبيه ﷺ وما جاء به من ربه : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة/ ٥٠].

هذا الجهل بأنواعه من أعظم عوائق الاتباع ، بل هو من أعظم أسباب الوقوع في الكبائر والمحرمات من كفر وشرك، وبدع ومعاص، سواء كان جهلاً بعدم الاطلاع على نصوص القرآن والسنة، أو جهلاً بمعانيها ومنزلتها، أو جهلاً بمقاصد الشريعة، وقواعد العلم الشرعي وأصوله .

ولخطورة الجهل العظيمة نجد القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة يؤكدان على أهمية العلم، والحث على تعلمه وتعليمه، والتحذير من الجهل، وبيان خطورته :

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩].

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر/ ٩].

﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران/ ٧٩].

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر/ ٢٨].

﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[هود:/ ٤٦].

﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[البقرة/ ٦٧].

والجاهل يقول على الله بلا علم، ويعمل بلا علم، والقول على الله بلا علم أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثماً، لأنه يتضمن الكذب على الله، ونسبته إلى ما لا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ويتضمن حب ما أبغضه الله، وبغض ما أحبه، ونفي ما أثبته، وإثبات ما نفاه، وإحقاق ما أبطله الله، وإبطال ما حققه، وتحليل ما حرمه، وتحريم ما أحله، ويتضمن القول على الله بلا علم، ووصفه بما لا يليق بذاته وأسمائه وصفاته

وأفعاله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأنعام/ ٢١].

فليس في أنواع الكبائر والمحرمات أعظم عند الله ولا أشد إثماً من القول على الله بلا علم كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٣٣].

فالقول على الله بلا علم أصل الكفر والشرك، وعليه أسس الشيطان البدع والضلالات، فكل بدعة قولية أو فعلية أو اعتقادية أساسها القول على الله بلا علم : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٦].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [لقمان/ ٢١].

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٨].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» متفق عليه(١).

وعن علي رضي الله عنه - في صفة الخوارج - قال :قال رسول الله ﷺ: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ». متفق عليه(٢).

٢- اتباع الهوى :

الهوى ضد الهدى، واتباع الأهواء والشهوات من أعظم عوائق الاتباع ، وسلوك طرق الانحراف، والزيغ عن الحق : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص/ ٥٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٣).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٥٧) ، ومسلم برقم (١٠٦٦) واللفظ له.

ومن لم يتبع الأوامر الشرعية هبط به الشيطان إلى الشهوات الحيوانية كما قال سبحانه: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾ [مريم/ ٥٩] .

وجميع البدع والمعاصي تنشأ من تقديم الهوى على النصوص الشرعية التي كلها هدى وطاعات، لأن من طبيعة النفس البشرية أنها تميل وتحب الشهوات، ولا يقدر على صرفها عن ذلك إلا من قوي إيمانه : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ [يوسف/ ٥٣] .

وكل من لم يتبع الرسول ﷺ فيما جاء به من ربه فقد اتبع الهوى، وترك الهدى : ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠ ﴾ [القصص/ ٥٠] .

فأعظم صنم معبود من دون الله موجود داخل الإنسان، وهو هوى النفس : ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣ ﴾ [الجاثية/ ٢٣] .

وكان ﷺ يتعوذ بالله من الأهواء ويخاف منها كما قال ﷺ : «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلاقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ» أخرجه الترمذي[1].

٣- مجالسة أهل البدع والمعاصي والانحراف من أعظم عوائق الاتباع ، فإن الصاحب ساحب إلى يمين أو شمال .

فأصحاب السوء يزينون لجليسهم باطلهم حتى يراه حقاً، فإن لم يستطيعوا قلب الحق إلى باطل في ذهنه أجبروه على فعل باطلهم إما مجاملة أو خوفاً من نقدهم أو استهزائهم، فإن لم يستطيعوا ذلك فلا أقل من أن يداهنهم بترك الإنكار عليهم .

لهذا حذر الله ورسوله من مجالسة أهل السوء، لشدة ضررهم، وعظيم خطرهم : ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨ ﴾ [الأنعام/ ٦٨] .

ورغَّب الله ورسوله ﷺ في مجالسة الصالحين، لعظيم نفعهم، وكثرة بركتهم فقال : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ

---

(١) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٩١).

عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٨] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة/ ٢٧٨] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ ، فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الكِيرِ ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً». متفق عليه(١) .

٤- تقديم آراء الآباء والأكابر والشيوخ على نصوص القرآن والسنة من أعظم عوائق اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الشريعة : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٠] . ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [المائدة/ ١٠٤] .

وما أكثر الناس الذين غرهم الشيطان، وزين لهم اتباع الآباء، وتقليد الأكابر، وطاعة الشيوخ، والإعراض عن دين الله : ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ/ ٢٠] .

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر/ ٦] .

وما أشد حسرة من قلد الآباء في ضلالهم، وأعرض عما جاء من الله ورسوله من الحق والهدى : ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفرقان/ ٢٧] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٦٤-٦٨] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٥٣٤)، ومسلم برقم (٢٦٢٨) واللفظ له.

ودين الله ﷻ مبني على ثلاثة أصول :

كتاب الله ﷻ .. وسنة نبيه ﷺ .. وما أجمعت عليه الأمة .

وهذه الثلاثة هي المعصومة من الزيغ والزلل، وما تنازعت فيه الأمة في أمر من الأمور نرده إلى القرآن والسنة فقط : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[النساء/ ٥٩] .

ولا يجوز لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته، يوالي عليها ويعادي، لأن هذا من فعل أهل البدع الذين يصدون الناس عن الهدى بالهوى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾[النساء/ ١١٥].

﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ ﴾[النور/ ٦٣] .

وكم جر الشيطان من أبناء المسلمين إلى حزبه، فقدموا رأي شيوخهم أو أئمتهم أو أحزابهم أو جماعتهم على النصوص الشرعية الصريحة من القرآن والسنة : ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠ ﴾[المائدة/ ٥٠] .

﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠ ﴾[سبأ/ ٢٠] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤ ﴾[المائدة/ ١٠٤] .

٥- تقديم العقل على النقل من القرآن والسنة الصحيحة .

للبصر حد ينتهي إليه، وللسمع حد ينتهي إليه، وللعقل حد ينتهي إليه، فالعقل يستقبل الوحي، ويميز بين البدائل والأشياء، والله سبحانه أكرم الانسان وفضَّله بالعقل، ومدح في كتابه أولي الألباب والعقول المستنيرة فقال : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾[ص/ ٢٩] .

﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤ ﴾[البقرة/ ٤٤] .

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٥ ﴾[الصافات/ ١٥٥] .

وكثير من الناس زل في مسألة العقل، ولم يبقه في المنزلة التي خلقه الله لها، بل زلوا فيه من جهتين :

فمنهم من عطله ولم يقم له وزناً، فهذا تفريط .

ومنهم من بالغ فيه، وجعله إلهاً ومصدراً للتشريع، فقدمه على النقل من قرآن أو سنة، وهذا إفراط، والجفا والغلو كلاهما مذموم، وهذا كله من الباطل.

والله سبحانه أمرنا بالتسليم لحكمه وحكم رسوله تسليماً مطلقاً،لابمحاكمة النصوص إلى العقول قبل التسليم ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء/ ٦٥] .

وقال تعالى :﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[المائدة/ ٧٧] .

فمن الله الرسالة، وعلى الرسول الاتباع والبلاغ، وعلينا التسليم والاتباع والبلاغ :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١]. ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر/ ٧].

﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

فتقديم العقل على الوحي من أعظم معوقات الاتباع : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة/ ٥٠] .

٦- التعلق بالشبهات من عوائق الاتباع لما جاء به محمد ﷺ من الوحي، فمن قلَّت معرفته بالوحي من قرآن وسنة، تعلق بالشبهات، ومن تعلق بالشبهات أقعدته عن الاتباع ، وسار على ما في قلبه من ضلالات وشبهات فضل وأضل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ ﴾[آل عمران/ ٧] .

وقد حذر النبي ﷺ من أهل الشبهات والضلالات بقوله :«فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ» متفق عليه[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِى، أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُم» أخرجه مسلم[2].

فدين الإسلام قائم على تسليم العبد المطلق للوحيين القرآن والسنة: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنبياء/ ٤٥].

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾[الزخرف/ ٤٣].

٧- سكوت العلماء عن بيان الحق، والتحذير من الباطل، يجعل صوت الباطل يقوى، وصوت الحق يضعف، فيلتبس الأمر، ويظن بعض الناس أن أهل الباطل لكثرتهم، وقوة سلطانهم، هم أصحاب الحق، بدليل ظهورهم وقوتهم وسلطانهم وإلا لما ظهروا وبرزوا، وينتج عن ذلك قلة اتباع الحق .

لهذا جاءت نصوص الشريعة بالترغيب في نشر العلم، والتحذير من كتمان العلم، وعدم نشره كما قال سبحانه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم/ ٥٢].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة/ ١٥٩-١٦٠].

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[المائدة/ ٧٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَومَ القِيَامَةِ» أخرجه أبو داود والترمذي[3].

٨- القعود والتثاقل عن حضور مجالس الذكر والإيمان والدعوة والعبادة والطاعات، والانشغال بالشهوات عن أوامر الله من أعظم عوائق الاتباع : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٥٤٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٦٥).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٦).
(٣) **صحيح** / أخرجه أبوداود برقم (٣٦٥٨) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٢٦٤٩).

﴿ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ [الكهف/ ٢٨] . ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ ﴾[النور/ ٦٣] .

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾ [مريم/ ٥٩].

٩- الاعتماد على النصوص النبوية الضعيفة والموضوعة، وإثبات الأحكام بها على أنها سنة، ورد الحق الثابت بالنص الصحيح بها، بسبب الجهل أو التعصب، أو بسبب الاغترار بقول من يجيز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، متناسين شروط العمل به، وهي:

ألا يعتقد ثبوته عن النبي ﷺ .. وألا يكون الضعف شديداً .. وأن يكون الحديث الضعيف مندرجاً تحت أصل عام جاءت به الشريعة: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ [النساء/ ١١٥] .

* * * * *

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين على نعمة التوحيد والإيمان، والحمد لله رب العالمين على نعمة البدء والختام، والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله رب العالمين الذي فتح أبواب الخير للناس أجمعين، والحمد لله رب العالمين الذي يسَّر كل عسير، وأظهر ما كان في القلب مكنونا، ليكون على ظهور الأوراق مسطورا، وبين يدي الخلق مقروءا.

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا علماً، إنك أنت العليم الحكيم.

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ .

« سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك ».

* * * * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة